



مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات

مجلة
جامعة القدس المفتوحة
للأبحاث والدراسات

العدد الثاني والأربعون ، الجزء الأول ، صفر 1439 هـ / تشرين ثاني 2017م

مجلة علمية فصلية محكمة



42

الجزء الأول

Journal of
Al-Quds Open University
for Research and Studies

ISSN 2074 - 5648



Journal of Al-Quds Open University for Research and Studies

A Quarterly Scientific Refereed Journal

No. 42 - Vol. 1 - Safar - 1439H/ November 2017



ISSN 2074 - 5648



**JOURNAL OF AL-QUDS OPEN UNIVERSITY
FOR RESEARCH & STUDIES**

A Quarterly Scientific Refereed Journal
No. 42 - Vol. 1 - November 2017

PUBLISHER:

Deanship of Scientific Research
Al-Quds Open University

ALL CORRESPONDENCES SHOULD BE ADDRESSED TO:

Editor - In - Chief
Deanship of Scientific Research
Al-Quds Open University
Al-Masyoun - Ramallah \ Palestine
P.O. Box: 1804
Tel: +970 - 2 - 2984491
+970 - 2 - 2952508
Fax: +970 - 2 - 2984492
Email: sprgs@qou.edu

DESIGN & PRODUCTION:

Deanship of Scientific Research
Al-Quds Open University

Opinions expressed in this journal are solely those of their authors.

All Rights Reserved. ©2017



**مجلة جامعة القدس المفتوحة
للأبحاث والدراسات**

مجلة علمية فصلية محكمة
العدد (42)، الجزء 1، تشرين الثاني 2017 م

الناشر:

عمادة البحث العلمي
جامعة القدس المفتوحة

توجه المراسلات والأبحاث على العنوان الآتي:

رئيس هيئة التحرير
عمادة البحث العلمي
جامعة القدس المفتوحة

الماصيون - رام الله / فلسطين
ص.ب 1804
هاتف: +970-2-2984491
+970-2-2952508
فاكس: +970-2-2984492
بريد إلكتروني: sprgs@qou.edu

تصميم وإخراج فني:

عمادة البحث العلمي
جامعة القدس المفتوحة

المجلة غير مسؤولة عن الآراء المنشورة فيها، حيث أنها تمثل آراء الباحثين المؤلفين،

حقوق الطبع والتصميم والانتساب والترجمة والنشر محفوظة للناشر ©2017

مجلة جامعة القدس المفتوحة
للأبحاث والدراسات

المشرف العام

أ. د. يونس مرشد عمرو
رئيس الجامعة

رئيس هيئة التحرير
أ. د. سمير داود النجدي

مشرف التحرير

أ. د. حسني محمد عوض
عميد البحث العلمي

هيئة التحرير

أ. د. فيصل حسين غوادرة	أ. د. عبد الناصر قاسم الفرا
أ. د. جمال محمد إبراهيم	أ. د. محمد محمد الشلش
أ. د. سامي عوض أبو اسحاق	أ. د. هاني حسين أبو الرب
د. معتصم توفيق الخضر	أ. د. عماد صالح عبد الحق
د. غسان إسماعيل فطافطة	د. رشدي يوسف القواسمة
د. موسى علي طالب	د. عاطف حسني العسولي

المدقق اللغوي

د. حسن أبو الرب

رؤية الجامعة

الريادة والتميز والإبداع في مجالات التعليم الجامعي المفتوح، وخدمة المجتمع، والبحث العلمي، وترسيخ مكانتها القيادية في بناء مجتمع فلسطيني قائم على العلم والمعرفة.

رسالة الجامعة

إعداد خريجين مؤهلين لتلبية حاجات المجتمع، قادرين على المنافسة في سوق العمل المحلي والإقليمي، والإسهام الفاعل والتميز في مجال البحث العلمي، وبناء القدرات التقنية والبشرية، من خلال تقديم برامج تعليمية وتدريبية على وفق أفضل ممارسات التعليم المفتوح وأساليب التعليم المدمج، وتعزيز بيئة البحث العلمي في إطار من التفاعل المجتمعي والتعاون والشراكة وتبادل الخبرات مع الأطراف المعنية كافة، مع مراعاة أحدث معايير الجودة والتميز.

القيم التي تؤمن بها الجامعة

لتحقيق رؤية الجامعة ورسالتها وأهدافها، تعمل الجامعة على تطبيق وترسيخ الإيمان بالقيم الآتية:

- ◆ الريادة والتميز.
- ◆ الانتماء الوطني والقومي.
- ◆ ديمقراطية التعليم وتكافؤ الفرص.
- ◆ الحرية الأكاديمية والفكرية.
- ◆ احترام الأنظمة والقوانين.
- ◆ الشراكة المجتمعية.
- ◆ الإدارة بالمشاركة.
- ◆ الإيمان بدور المرأة الريادي.
- ◆ النزاهة والشفافية.
- ◆ التنافسية.

المجلة

تنشر المجلة البحوث والدراسات الأصيلة المرتبطة بالتحصينات العلمية لأعضاء الهيئة التدريسية والباحثين في جامعة القدس المفتوحة وغيرها من الجامعات المحلية والعربية والدولية، مع اهتمام خاص بالبحوث المتعلقة بالتعليم المفتوح، والمراجعات والتقارير العلمية وترجمات البحوث، شريطة أن لا تكون الورقة منشورة في مجلد المؤتمر أو أية مجلة أخرى.

قواعد النشر والتوثيق

أولاً - متطلبات إعداد البحث:

يجب أن تتضمن مسودة البحث الآتي:

1. صفحة منفصلة عليها: اسم الباحث/ الباحثين وعنوانه/ هم بعد عنوان البحث مباشرة باللغتين العربية والإنجليزية، ويذكر بريده/هم الإلكتروني.
2. ملخصين أحدهما باللغة العربية والآخر بالإنجليزية في حدود (100 - 150) كلمة لكل منهما، يتضمنان كلمات مفتاحية لا يزيد عددها عن ست كلمات.
3. تدرج الرسوم البيانية والأشكال التوضيحية في النص، وترقم ترقيماً متسلسلاً، وتكتب أسماؤها وعناوينها والملاحظات التوضيحية تحتها.
4. تدرج الجداول في النص وترقم ترقيماً متسلسلاً وتكتب عناوينها فوقها. أما الملاحظات التوضيحية فتكتب تحت الجداول.

ثانياً - شروط تسليم البحث:

1. رسالة موجهة من الباحث إلى رئيس هيئة التحرير تتضمن رغبته في نشر بحثه في المجلة ويحدد فيها التخصص الدقيق للبحث.
2. يقدم الباحث بحثه بإرساله عبر البريد الإلكتروني لعمادة البحث العلمي (sprgs@qou.edu) بصيغة (Word)، مع الأخذ بعين الاعتبار أن يكون البحث مكتوباً بصيغة العمودين المتقابلين؛ ويمكن الاسترشاد بالنموذج الإلكتروني المرفق في صفحة عمادة البحث العلمي للجامعة.
3. تعهد خطي من الباحث بأن بحثه لم ينشر، أو لم يقدم للنشر في دورية أخرى، وأنه ليس فصلاً أو جزءاً من كتاب منشور.
4. سيرة ذاتية مقتضبة للباحث تتضمن: اسمه الرباعي، ومكان عمله، والدرجة العلمية، ورتبته الأكاديمية، وتخصصه الدقيق، إضافة إلى بريده الإلكتروني ورقمي هاتفه الثابت والنقال.
5. نسخة كاملة من أداة جمع البيانات (الاستبانة أو غيرها)، إذا لم تكن قد وردت في صلب البحث أو في ملاحقه.
6. أن يتجنب الباحث أية إشارة قد تدل على شخصيته في أي موقع من صفحات البحث، وذلك لضمان السرية التامة في عملية التحكيم.

ثالثاً - شروط النشر:

تؤكد هيئة التحرير على ضرورة الالتزام بشروط النشر بشكل كامل، إذ إن البحوث التي لا تلتزم بشروط النشر سوف لن ينظر فيها، وتعاد الملاحظات بشأنها لأصحابها مباشرة حتى يتم التقيد بشروط النشر.

1. تقبل الأبحاث باللغتين العربية والإنجليزية على أن تكون مكتوبة بلغة سليمة خالية من الأخطاء النحوية واللغوية.

2. يقدم الباحث بحثه بإرساله عبر البريد الإلكتروني لعمادة البحث العلمي (sprgs@qou.edu) بصيغة (Word)، مع مراعاة الآتي:

◆ الأبحاث المكتوبة باللغة العربية يستخدم الخط *Simplified Arabic* بحجم (14) غامق للعنوان الرئيس، و (13) غامق للعناوين الفرعية، و (12) عادي لباقي النصوص، و (11) عادي للجداول والأشكال.

◆ الأبحاث المكتوبة باللغة الإنجليزية يستخدم الخط *Times New Roman* بحجم (14) غامق للعنوان الرئيس، و (13) غامق للعناوين الفرعية، و (12) عادي لباقي النصوص، و (11) عادي للجداول والأشكال.

◆ المسافة بين الأسطر: مفردة.

◆ الهوامش:

- إذا كان البحث باللغة العربية: 3 سم للأعلى والأسفل، و 3 سم للجانب الأيمن و 2.5 سم الأيسر.

- أما إذا كان البحث باللغة الإنجليزية: 3 سم للأعلى والأسفل، و 2.5 سم للجانب الأيمن و 3 سم الأيسر.

3. ألا يزيد عدد كلمات البحث عن (7000) كلمة، وبما لا يزيد عن (25) صفحة حجم (A4)، بما في ذلك الأشكال والرسوم والجداول والهوامش والمراجع. علماً بأن الملاحق لا تنشر، إنما توضع لغايات التحكيم فحسب.

4. أن يتسم البحث بالجددة والأصالة والموضوعية، ويمثل إضافة جديدة إلى المعرفة في ميدانه.

5. أن لا يكون منشوراً أو قدم للنشر في مجلة أخرى، وأن يتعهد الباحث خطياً، وبعدم تقديم بحثه للنشر إلى أية جهة أخرى إلى حين الانتهاء من إجراءات التحكيم واتخاذ القرار المناسب بهذا الشأن، ويتعهد الباحث الرئيس بأنه أطلع على شروط النشر في المجلة والتزم بها.

6. أن لا يكون البحث فصلاً أو جزءاً من كتاب منشور.

7. لا يجوز نشر البحث أو أجزاء منه في مكان آخر، بعد إقرار نشره في المجلة، إلا بعد الحصول على كتاب خطي من عمادة البحث العلمي في الجامعة.

8. تحتفظ المجلة بحقها في أن تطلب من الباحث أن يعيد صياغة بحثه، أو أي جزء منه بما يتناسب وسياساتها في النشر، وللمجلة إجراء أية تعديلات شكلية تتناسب وطبيعة المجلة.

9. يجب أن يرفق مع البحث ملخصان أحدهما باللغة العربية وآخر باللغة الإنجليزية، في حدود (100 - 150) كلمة لكل منهما، ويراعى أن يتضمن الملخص أهداف البحث ومشكلته ومنهجه وأبرز النتائج التي توصل إليها، ويثبت الباحث في نهاية الملخص ست كلمات مفتاحية (Key Words) كحد أقصى ليتمكن الآخرون من الوصول إلى البحث من قواعد البيانات.
10. أن يشير الباحث إلى أنه استل بحته من رسالة ماجستير أو أطروحة دكتوراه إذا فعل ذلك، في هامش صفحة العنوان.
11. لا تعاد البحوث التي ترد إلى المجلة إلى أصحابها سواء قبلت للنشر أم لم تقبل.
12. تعتذر المجلة عن عدم النظر في البحوث المخالفة للتعليمات وقواعد النشر.
13. يلتزم الباحث بدفع النفقات المترتبة على إجراءات التحكيم حال طلبه سحب البحث ورغبته في عدم المضي في إجراءات التقييم.
14. يبلغ الباحث بالقرار النهائي لهيئة التحرير بقبول بحته أو رفضه في غضون ثلاثة إلى ستة أشهر من تاريخ استلام البحث.

رابعاً - التوثيق:

1. تدون الإحالات المرجعية في نهاية البحث وفق النمط الآتي: إذا كان المصدر أو المرجع كتاباً فيثبت: اسم المؤلف، عنوان الكتاب أو البحث، اسم المترجم أو المحقق (مكان النشر، الناشر، الطبعة، سنة النشر)، الجزء أو المجلد، رقم الصفحة، أما إذا كان المرجع مجلة، فيثبت: المؤلف، عنوان البحث، اسم المجلة، المجلد، عدد المجلة وتاريخها، رقم الصفحة.
2. ترتب قائمة المصادر والمراجع في نهاية البحث وفق الترتيب الألف بائي (الأبتي) لكنية/ لقب المؤلف، ثم يليها اسم المؤلف، عنوان الكتاب أو البحث، (مكان النشر، الناشر، الطبعة، سنة النشر)، الجزء أو المجلد، ويجب أن لا تحتوي القائمة على أي مصدر أو مرجع لم يذكر في متن البحث.
 - في حالة عدم وجود طبعة يضع الباحث (د. ط).
 - في حالة عدم وجود دار النشر يضع الباحث (د. د).
 - في حالة عدم وجود مؤلف يضع الباحث (د. م).
 - في حالة عدم وجود سنة أو تاريخ نشر يضع الباحث (د. ت).
3. على الباحث استخدام نمط "Style APA" في توثيق الأبحاث العلمية والتطبيقية، حيث يشار إلى المرجع في المتن بعد فقرة الاقتباس مباشرة وفق الترتيب الآتي: "اسم عائلة المؤلف، سنة النشر، رقم الصفحة".
4. يستطيع الباحث تفسير ما يراه غامضاً من كلمات أو مصطلحات باستخدام طريقة الحواشي في المتن، حيث يشار إلى المصطلح المراد توضيحه برقم في أعلى المصطلح، ثم يشار لهذه الهوامش في قائمة منفصلة قبل قائمة المصادر والمراجع.

ملاحظة: لمزيد من المعلومات حول آلية التوثيق بنظام APA، يمكنك الاطلاع على المعلومات المتوفرة على الصفحة الإلكترونية لعمادة البحث العلمي:

<http://journals.qou.edu/resources/pdf/apa.pdf>

خامساً - إجراءات التحكيم والنشر:

ترسل البحوث المقدمة للنشر إلى متخصصين لتحكيمها حسب الأصول العلمية، ويلقى البحث القبول النهائي بعد أن يجري الباحث التعديلات التي يطلبها المحكمون، والباحثون مسؤولون عن محتويات أبحاثهم، فالبحوث المنشورة تعبر عن وجهة نظر معدّها وليس عن وجهة نظر المجلة. كما أن البحوث المرسلّة إلى المجلة تخضع لفحص أولي تقوم به هيئة التحرير، لتقرير أهليتها للتحكيم والتزامها بقواعد النشر، ويحقّ لهيئة التحرير أن تعتذر عن قبول البحث دون إبداء الأسباب.

وتتم إجراءات التحكيم والنشر وفق الآتي:

1. تقوم هيئة التحرير بمراجعة البحوث المرسلّة إلى المجلة للتأكد من استيفائها لمعايير النشر في المجلة، ولتقرير أهليتها للتحكيم.
2. ترسل البحوث المستوفية لمعايير النشر إلى اثنين من المحكمين من ذوي الاختصاص، تختارهم هيئة التحرير بسرية تامة، من بين أساتذة متخصصين في الجامعات ومراكز البحوث داخل فلسطين وخارجها، على ألا تقل رتبة المحكم عن رتبة صاحب البحث.
3. يقدم كل محكم تقريراً عن مدى صلاحية البحث للنشر. إذا اختلفت نتيجة المحكمين (أحدهما مقبول والآخر مرفوض)، يرسل البحث لمحكم ثالث لترجيح الحكم، ويعد حكمه نهائياً.
4. إذا اختلفت نتيجة المحكمين (أحدهما مقبول والآخر مرفوض)، يرسل البحث لمحكم ثالث لترجيح الحكم، ويعد حكمه نهائياً.
5. يبلغ الباحثون بقرار هيئة التحرير بقبول بحثه أو رفضه في غضون ثلاثة إلى ستة أشهر من تاريخ استلام البحث، وبعد إجراء التعديلات عليه إن وجدت.
6. يزود الباحث بنسخة من العدد الذي نشر فيه بحثه، ويتم إرسال نسخة من العدد إلى مكتب الجامعة في الأردن للباحثين من خارج فلسطين، ويتحمل الباحث تكلفة النقل من الأردن إلى مكان إقامته.

سادساً - أخلاقيات البحث العلمي:

1. الالتزام بمستوى أكاديمي ومهني عالٍ في جميع مراحل البحث، ابتداءً من مرحلة تقديم مقترح البحث، ومروراً بإجراء البحث، وجمع البيانات، وحفظها، وتحليلها، ومناقشة النتائج، وانتهاءً بنشرها بكل أمانة ودون تحريف أو انتقائية أو إغفال للمنهج العلمي الصحيح.
2. الالتزام بالاعتراف الكامل بجهود كل الذين شاركوا في البحث من زملاء وطلبة بإدراجهم ضمن قائمة المؤلفين، وكذلك الاعتراف بمصادر الدعم المادي والمعنوي الذي استخدم لإجراءات البحث.

3. الالتزام بإسناد أية معلومات مستعملة في البحث لمصدرها الأصلي، وكذلك الالتزام بعدم النقل الحرفي لأية نصوص من مصادر أخرى دون إسنادها للمصدر أو المرجع الذي أخذت منه.
4. الالتزام بعدم إجراء أية أبحاث قد تضر بالإنسان أو بالبيئة، والالتزام بأخذ موافقة مسبقة من الجامعة (أو من لجنة أخلاقيات البحث إن وجدت) حين إجراء أية أبحاث على الإنسان أو البيئة، والالتزام بأخذ موافقة مسبقة من الجامعة أو المركز البحثي أو المؤسسة التي يعمل فيها الباحث أو من لجنة أخلاقيات البحث العلمي إن وجدت.
5. الالتزام بأخذ موافقة خطية من كل فرد من الأفراد الذين يستخدمون كموضوع للبحث بعد إعلامهم بكل ما يترتب على اشتراكهم من عواقب، وكذلك الالتزام بعدم نشر نتائج البحث في مثل هذه الحالات إلا بشكل تحليل إحصائي يضمن سرية المعلومات الفردية التي جمعت حول هؤلاء الأفراد.

سابعاً - حقوق الملكية الفكرية:

1. تلتزم المجلة باحترام حقوق الملكية الفكرية.
2. على الباحثين احترام حقوق الملكية الفكرية.
3. تؤول حقوق طبع البحث ونشره إلى المجلة عند إخطار صاحب البحث بقبول بحثه للنشر، وإذا رغب الباحث/ الباحثين في إعادة نشر البحث فإنه يتوجب الحصول على موافقة خطية من عمادة البحث العلمي في الجامعة.
4. لا يجوز نشر أو إعادة نشر البحوث إلا بعد أخذ موافقة خطية من عمادة البحث العلمي.
5. حق المؤلف في أن ينسب البحث إليه، وذكر اسمه على كل النسخ التي تنتج للجمهور بأي شكل كانت، وفي كل نسخة أو طبعة من المصنف.
6. حق المؤلف في طلب أن تنسب مؤلفاته إليه باسمه الشخصي.

المحتويات

الأبحاث:

الترقيم	الباحث/ الباحثون	عنوان البحث	الصفحة
1	د. تلعيش خالد	الفواعل في الدولة وإشكالية ترقية أداء السياسات القطاعية وتحقيق الحكم الرشيد: الجزائر أمودجاً.	11
2	أ.عبد الرحمن البلوي د. خالد العزي	درجة توافر معايير الجودة العالمية في كتاب التربية الاجتماعية والوطنية المطور للصف الرابع الابتدائي في المملكة العربية السعودية من وجهة نظر معلمي التربية الاجتماعية والوطنية والمشرفين التربويين.	22
3	د. حسام محمد أيوب	الكلمة المفتاح" في شعر البهاء زهير "دراسة أسلوبية" العربية.	36
4	أ. بن فريحة رشيد د.ميهور يوسف	التحري الجنائي في مسرح الجريمة الإلكترونية.	52
5	د. مُحَمَّد مَوْسَى الْبُلُولَة الزَّيْن	الْمُتَلَقِّي عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ الطَّيِّبِ فِي كِتَابِهِ الْمُرْشِدِ إِلَى فَهْمِ أَشْعَارِ الْعَرَبِ وَصَنَاعَتِهَا. .	61
6	أ. بن نافلة نصيرة أ.د. بن بوزيان محمد	أثر السيولة على الإقتصاد الجزائري دراسة قياسية لدولة الجزائر.	74
7	أ. د. ماضي بلقاسم أ. حمدان نهاد	دور المكونات التصميمية للوحة الاشهارية في إثارة انتباه المتلقين الجزائريين.	84
8	د.جمال نمر محمد رياح	العلة النحوية بين القدماء والمحدثين.	97

مجلة جامعة القدس المفتوحة

للأبحاث والدراسات

العدد [42] - ج [1]

الترقيم	الباحث/ الباحثون	عنوان البحث	الصفحة
9	أ. أبوبكر خوالد أ.د. نوة ثلاثية	مدى تبني عناصر المزيج التسويقي 7P's في المصارف التجارية العاملة في الجزائر من وجهة نظر مدراءها وموظفيها: دراسة ميدانية.	107
10	د. إبراهيم المصري د. عمرو أبوجبر	العلاقة بين مستويات استخدام الجمهور الفلسطيني للإعلام الرقمي ومستويات المعرفة بقضايا الشباب.	121
11	د. سعيد عبدالله البيشاوي د. شامخ زكريا علاونه	الكرمة إنتاجها والحرف والصناعات القائمة عليها في فلسطين في عصر الغزو الفرنجي 492-690 هـ / 1099-1291 م.	139
12	د. شبلي أحمد عيسى عبيدات د. يوسف عبد الله الشريفين	تعسف الزوج في حق زوجته وأثره على استقرار الأسرة المسلمة	153
13	أ. م. د. أحمد علي إبراهيم الفلاحي	أثر الحياة الاجتماعية في وجهة الشعر في إربل في القرن السابع الهجري.	167
14	أ. حمزه عبد الله سعاده شواهنة	نداءات يوم القيامة في ضوء القرآن الكريم.	181
15	أ. فرحات سميرة أ. د. عيسى خليفي	دور الذكاء التنافسي في التقليل من المخاطر في الصناعة الدوائية.	193
16	د. عبد الرحمن المغربي	الزيتون والصناعات القائمة عليه في نيابة بيت المقدس خلال العصر المملوكي (658-922 هـ / 1260-1516 م).	209
17	د. إبراهيم خلف سليمان الخالدي د. محمد احمد حسن ربابعة	فاعلية التربية الإعلامية لدى طلبة الدعوة والإعلام الإسلامي في جامعة اليرموك -دراسة ميدانية -.	227

الترقيم	الباحث/ الباحثون	عنوان البحث	الصفحة
18	د. أدهم حسن البعلوجي	"أثر توظيف الرسوم المتحركة والرحلة في تدريس نظام معالجة المياه العادمة لوحدة الأنظمة من كتاب التكنولوجيا للصف العاشر الأساسي".	238
19	د. فيصل حسين غوادة	أبو تمام وابن القيسراني بين التقليد والتجديد من خلال قصيدتيهما: (فتح عمورية) لأبي تمام، و (معركة إنّب) لابن القيسراني.	254
20	د. نديم هاراتشيتش	أسباب التغيير الاجتماعي ودور التربية فيه. أساليبها وميادينها في التغيير من منظور قرآني.	271
No.	Researcher / Researchers	Research Title	Page No.
1	Dr. Mohammad A. Momany Dr. Omar Khasawneh Dr. Arwa Alrefaie	The Implications of Idealism as an Educational Philosophy in Jordanians' Elementary Curriculum Stage as Perceived by Teachers	9
2	Fatima Yaqoub Quresh	Opening the Doors for Mobile Assisted Language Learning Mobile Apps for ESL: Value and Methods	22
3	Dr. Ayman Nawaf Sharif Al Hawawsheh	The Legal Nature of the Crime of Money Laundering	35
4	Dr. Ahmad Hasan Abu Jafar	Attitudes of Law Students at Al-Istiqlal University-Jericho towards Learning Legal Terminology Course in English	45
5	Dr. Khaled Abdul-Jaleel Dweikat Mr. Othman Diab Amer	Students' Attitudes towards Blended Learning at Al-Quds Open University	56

الفواعل في الدولة وإشكالية ترقية أداء السياسات القطاعية وتحقيق الحكم الرشيد: الجزائر أنموذجاً*

د. **تالعيـش خالد** **

* تاريخ التسليم: 2014/7/21م، تاريخ القبول: 2015/8/19م.
** أستاذ محاضر/جامعة خميس مليانة /الجزائر.

ملخص:

واتجاهاتها الفكرية، أنها بحاجة إلى دعم ومساندة شعوبها بما تصنع وتتخذ من قرارات، وما تقوم به من أعمال متنوعة في جميع الظروف والأوقات. وحتى يتحقق لها ذلك، سعت جاهدة إلى حل مشاكلهم والاستجابة لمطالبهم المتنوعة والمختلفة من خلال تقديم مجموعة من الخطط والبرامج التي يطلق عليها السياسة العامة الهادفة ما سمح بتحقيق جملة من المنافع وتخفيف المعاناة عن أغلبيتهم.

تتسم السياسات العامة بشمولية نتائجها لشرائح المجتمع عامة، ما يُحتم على الدولة الاهتمام بصياغتها بشكل يؤدي إلى زيادة فرص نجاحها وتحقيق المنافع المتوقعة عند تنفيذها، ومن ثمَّ يُقلل من احتمالات فشلها إلى أقل نسبة ممكنة، فهي تصاغ بشكل دقيق بالاعتماد على معلومات ومعطيات صحيحة. إن صنع السياسة العامة من الأمور التي يشارك فيها جميع الأطراف السياسية المتمثلة في الهيئات الحكومية من السلطة التشريعية التي تصدر التشريعات والقوانين التي تنفذها السلطة التنفيذية، تلك التي تعمل السلطة القضائية على مراقبتها، فهي تراقب عملية تنفيذ السياسة العامة. لكن صياغة هذه الأخيرة وتنفيذها لا يكتفي بالهيئات الحكومية نظراً للتطورات الحاصلة والتغيرات الجذرية في العالم التي أدت إلى بروز فواعل أخرى على الساحة السياسية في كل الدول، وفتح المجال أمام فواعل غير رسمية تشارك في صنع السياسة العامة وتقومها، إذ تختلف عملية صنع السياسة العامة باختلاف طبيعة النظام السياسي ونمطيته، الذي يلعب دوراً في إنتاج هذه الفواعل وهي مُحددة لنوعية كل شريك في اللعبة السياسية ودوره.

1. مبررات ودوافع اختيار الدراسة وأهميتها.

أ. المبررات الموضوعية:

♦ الدولة والسياسات العامة اللذين يشغلان حيزاً كبيراً في المؤسسات المحلية والإقليمية والعالمية، ما يتطلب منا دراسة وتحليل هذين المفهومين وتعرف دورهما في ترقية مفهوم التنمية.

♦ يلاحظ أن الدراسات والأبحاث المتخصصة التي تناولت فواعل الدولة والسياسات العامة تكاد تكون منعدمة على كافة المستويات مقارنة بباقي المواضيع الأخرى التي يزخر الميدان بدراسات وأبحاث كثيرة هذا ما دفعني إلى البحث في هذا الموضوع ومحاولة إيجاد محصلة وقراءة جيدة له.

ب. المبررات الذاتية:

رغبنا في اختيار الموضوع، ونظراً لأنه يدخل صلب اهتمامي كوني دارساً في حقل العلوم السياسية توجب عليّ الاهتمام بمختلف جوانب فواعل الدولة ومساهماتها في صنع السياسات العامة ومحاولة التعمق فيهما بغية أن تكون الدراسة منطلقاً لإسهامات عملية أخرى، ومحاولة مني في المساهمة في تقديم تصورات وإقتراحات لتطوير أطر صنع السياسات العامة والتعرف على دور فواعل الدولة في دعم وترقية الحكم الرشيد في الجزائر وأهم التحديات والإصلاحات التي تواجهها.

النظام السياسي هو مجموعة المؤسسات والمكونات سواء رسمية أو غير رسمية تقوم بصنع السياسة العامة، من حيث الرسم والتنفيذ والتقييم هي نتاج أداء تلك المؤسسات، وأدائها هو من يظهر تباين الأنظمة السياسية في كيفية ممارسة مؤسساتها عند صنع السياسات العامة القطاعية. إن تطور المؤسسات الديمقراطية، جعل من فواعل الدولة جزءاً مهماً في الحياة السياسية، إذ لا يستمر أي نظام حكم ولا تستقيم السياسات القطاعية بمعزل عنهم. وأصبح طرح مؤسسات المجتمع المدني لمطالبها وأهدافها أكثر وقعا من ذي قبل بعد أن كانت مجرد ملاحظات ضد السياسة العامة التي تقرها الحكومة، أصبحت أكثر تأثيراً في صنع السياسات العامة، نظراً للوعي لدى أفراد المجتمع ما أرغم الأنظمة السياسية على إيجاد شركاء فاعلين لترقية الممارسات نحو الجودة في الحكم.

الكلمات المفتاحية: الدولة، السياسات القطاعية، الحكم الرشيد، الجزائر.

The actors in the State and the problem of upgrading the performance of sectoral policies and achieving good

Governance: Algeria model

Abstract:

The political system is a set of institutions and components, whether formal or informal, you create public policy, in terms of designing, implementation, and evaluation is the result of the performance of these institutions, and their performance is shown varying political systems in how to exercise their institutions at the sectoral policy-making The development of democratic institutions, making the state of the actors as an important part in political life. It is not any system of governance continues upright and sectoral policies in isolation from them. And became asked civil society organizations to their demands and objectives more explosions than ever before after it was merely remarks against the public policy established by the government, have become more influential in public policy-making, given the awareness among members of the community, forcing political systems to create active partners to upgrade practices towards quality in judgment.

Key words: sectoral policies, good governance, Algeria

مقدمة:

أيقنت الحكومات خلال مسيرتها السياسية وتباين أنظمتها

ج. أهمية الدراسة:

الرشادة. لذلك تبرز مظاهر مساهمة الفواعل غير الرسمية في صنع وتقويم السياسات العامة من خلال دور المجتمع المدني ومؤسساته. فيعمل في التأثير على السياسات العامة من خلال ما تقدمه من اقتراحات للحكومة تقوم بها السلوكيات السياسية بما يقود نحو جودة للحكم. ومن خلال ذلك نطرح تصور للخطة نجيب فيه على الإشكالية ونثبت مدى صحة الفرضية التي طرحناها. على النحو الآتي:

◆ المحور الأول: مأسسة التحول الديمقراطي في الجزائر وإنتاج فواعل الدولة.

◆ المحور الثاني: الفواعل السياسية وترشيدها قرار السياسات القطاعية.

◆ المحور الثالث: الفواعل غير الرسمية: مقارنة معرفية.

◆ المحور الرابع: القطاع الخاص وتحقيق الجودة السياسية.

◆ المحور الخامس: القطاع الخاص شريك داعم لأسس الحكم الراشد في الجزائر.

4. منهجية الدراسة:

إن موضوع الدراسة الذي نحن بصدد تفكيك إشكاليته مُعقد ومُتشابك بفعل أبعاده المتعددة، لذلك فمن غير الممكن الإحاطة بالموضوع من جميع الجوانب بالارتكاز على مقاربات ومناهج تعتمد التبسيط والتجزؤ والاختزال. وللإجابة عن الأسئلة وإثبات مدى صحة الفرضية الرئيسية، اعتمدنا استخدام منهجية متكاملة ترمي إلى ربط الكل وأجزائه، الشمولي والخاص، ووضع الأشياء والظواهر محل الدراسة في سياقها الزماني والمكاني ولتحقيق ذلك اعتمدنا المنهج الوصفي التحليلي؛ وذلك لوصف الفواعل في الدولة، وكيفية تعاملها مع السياسات القطاعية، وكيفية توظيف المهارات لتحقيق تنمية متعددة الأشكال في الجزائر، كما تم الاستعانة بالمنهج المقارن في مختلف محطاته وهو ضروري في التوضيح والمقارنة بين ما يجب أن يكون، وبين ما هو موجود على الواقع الفعلي. كما أن الدراسة الميدانية أيضاً تحتاج منا استخدام المنهج الإحصائي لتعرف الإحصائيات الضرورية الخاصة بحالة الجزائر، والدور الذي قامت به الحكومات المتعاقبة نحو تحقيق أهداف وسياسات رئيس الجمهورية، وما هي نوعية القرارات التي صنعتها واتخذتها القيادة لزيادة وتيرة التنمية والاستفادة منها في المستقبل، وبذلك اعتمدنا المنهج الإحصائي الذي يسهم في تقريب وتقييم النتائج بين البحوث الأكاديمية والعملية.

المحور الأول: مأسسة التحول الديمقراطي في الجزائر وإنتاج فواعل الدولة.

إن النظام السياسي نسق يتصل بالسلطة السياسية، ويتكون من عدة أجزاء (المؤسسات الرسمية وغير الرسمية)، تتربط فيما بينها ويتفاعل هذا النسق مع البيئة (الداخلية والخارجية)، بما يؤدي إلى بقاءه واستمراره في الحكم لأطول فترة مُمكنة، أي تحقيق الاستقرار السياسي الذي يتطلب أن يتفاعل هذا النظام مع البيئة التي يوجد فيها بما يؤدي إلى تحقيق هذه الغاية.

إن الجزائر وخلافاً لكل المستعمرات في العالم، عرفت

◆ تعد فواعل الدولة من المواضيع المثيرة للنقاش في الوقت الحالي على الأصعدة والمستويات كافة.

◆ فواعل الدولة تعتمد على مميزات تعكس معايير المشاركة، المساواة، إضافة إلى ما تجسده أدوار الدولة.

◆ تتضمن هذه الدراسة إطاراً نظرياً فكرياً عن فواعل الدولة وإطاراً معرفياً يقف على دعم دور هذه الفواعل في صنع السياسات العامة وتحقيق التنمية.

◆ تكمن أهمية هذه الدراسة في كون الجزائر تطمح في بناء صرح ديمقراطي يجسد قيم الحرية والمشاركة الفعالة، الشفافية والمصادقية، وهذا لا يتأتى إلا بتجسيد مبادئ الديمقراطية.

2. أهداف الدراسة.

◆ تعرف ماهية السياسات العامة القطاعية.

◆ رصد وتحليل أهم آليات السياسات العامة القطاعية ودور الفواعل في دعم التنمية.

◆ رصد أهم العمليات التنموية وفهم العلاقة التي تربط السياسات العامة بالتنمية.

◆ فهم الأبعاد التنموية التي تؤثر في بناء سياسات عامة رشيد تحقق الاستقرار وتشجع سياسة الاستثمار النوعي والهادف.

3. إشكالية الدراسة.

لقد أصبحت الدولة مجرد شريك من بين الشركاء أو الفواعل التي لها دور في صنع السياسة العامة. إذ إن البرنامج الحكومي يحوي على عدد من السياسات القطاعية التي أفرزتها الحاجة الملحة للمجتمع. انطلاقاً من ذلك فإن تطبيق السياسات القطاعية يؤدي إلى إنتاج عدد من الفاعلين يختلفون في الأدوار بالنظر إلى عدد من المحددات التي تبيّن أهميتهم ونوعيتهم بالنسبة للقطاع المشاركين فيه. فإلى أي مدى تساهم الفواعل المنتجة في صنع وتقويم السياسات العامة وإنتاج الحكامة في الدولة بصفة عامة، والجزائر بصفة خاصة؟ انطلاقاً من هذه الإشكالية فإنها تبرز لنا عدداً من التساؤلات. نذكرها على النحو الآتي:

◀ ملامح النظام السياسي الجزائري في ظل التحول الديمقراطي؟

◀ ماهية مظاهر مساهمة الفواعل غير الرسمية في صنع وتقويم السياسة العامة؟

◀ ما هو دور الأحزاب السياسية والتنظيمات النقابية في صنع وتقويم السياسة؟

◀ هل هناك علاقة تجمع المجتمع المدني والقطاع الخاص بالسلطة؟

◀ ما هو دور القطاع الخاص في تحليل وتوجيه السياسة العامة؟

للإجابة على الإشكالية نطرح الفرضية التالية محاولة منّا فهم وبناء مقارنة معرفية جديدة تسهم في ترقية الحكم نحو

الأحزاب الوطنية، الإسلامية، اليسارية.

♦ تعزيز دولة القانون: نشير إلى التعهدات التي رفعتها الجزائر على مستوى الدولي في موضوع إصلاح الدولة ومؤسساتها محاولة لإعادة بناء شرعيتها من جديد، إصلاح قطاع العدالة، ترقيته و تقريبه من المواطن، محاربة الرشوة و الفساد من خلال آليات مكافحتها والوقاية منها (صدر قانون رقم 06 - 01، الصادر في 20 فيفري 2006م)⁽¹⁾، اعتماد الحوار سياسة لترشيد الحكم من خلال الزيارات الميدانية، ترقية الحقوق السياسية للمرأة من خلال مراجعة الدستور، بما يكفل تعزيز مكانتها ورفع حضورها في احتلال مناصب قيادية.

ب. على نطاق البناء المؤسسي:

يعد تطبيق المبادئ الديمقراطية محفزاً على بناء منظومة مؤسسية، وهذا ما تجلى في تطبيقاتها في العديد من الدول، وبصفة خاصة في الجزائر، ما سمح بإنشاء عدد من المؤسسات التي تصنع القرار، وتتجلى هذه المؤسسات فيما يأتي:

■ المؤسسات المنتخبة: إن تحقيق مبدأ التداول على السلطة الذي أقره الدستور الجزائري كرس تجسيد دورية العملية الانتخابية، ما أسهم في إنتاج عدد من المؤسسات المنتخبة الصانعة للقرار السياسي والإداري على كافة المستويات. وتشمل المؤسسات المنتخبة، ما يأتي:

1. رئيس الجمهورية، وهو أعلى سلطة في الدولة، ينتخب من طرف الشعب عبر اقتراع حر لعهدتها رئاسية مدتها خمسة سنوات قابلة للتجديد مرة واحدة.

2. المؤسسة التشريعية، وتشمل قسامين أساسين هما المجلس الشعبي الوطني الذي يعتبر الغرفة الأولى ومجلس الأمة الذي يعتبر الغرفة الثانية، إذ يعتبر رأسها نائب رئيس الجمهورية، وتضم أغلب النخب وكوادر الأحزاب السياسية، التي تشكل هذه المؤسسة عبر انتخابات حرة ودورية.

3. مؤسسات المنتخبة للمجتمع المحلي، المتمثلة في المجالس البلدية والمجالس الولائية. التي تنبثق عن مؤسسات المجتمع المحلي، وهي أداة لترقية مفهوم الحكامة المحلية للوصول إلى مساهمته في صناعة القرار وتوجيهه.

إن الجزائر تتوفر على جملة من المكتسبات الأخرى، إلى جانب المؤسسات الديمقراطية القائمة التي جعلت من الديمقراطية أمراً مُستتباً لا يزول، وبنينا راسخاً لا يتهدم. ما أدى إلى بروز مظاهر وسلوكيات مجتمعية حضارية، تتماشى مع مقومات وقيم وأصالة المجتمع الجزائري. وهذا لا ينفي وجود عقبات ومطبات كبحت تطور القيم الممارسية للديمقراطية، إلا أنها لم توقف مسيرة الديمقراطية التي تبناها النظام السياسي.

المحور الثاني: الفواعل السياسية وترشيد السياسات القطاعية.

إن التأسيس للقيم والمبادئ الديمقراطية في المجتمعات يُحقق قيمة فعلية وتوجهاً حقيقياً للبناء المؤسسي الذي يعطي للقرار السياسي نوعاً من الرشد ويؤسس لبناء شراكة فعلية لشركاء

فراغاً مؤسسياً، إذ لم تعرف وجود مؤسسات وطنية سابقة على الاستعمار، وهكذا، فإنه عقب دحره سنة 1962م، كان من الممكن أن تتحول الجزائر بعد الاستقلال مباشرة إلى بلد ديمقراطي بسبب التنوع السياسي والتعددية الفكرية والتعايش البديع والتجربة العريقة والقيادات الفذة التي أنتجت الحركة الوطنية الجزائرية، غير أن حسم الصراع على السلطة باستعمال القوة العسكرية منذ بداية الاستقلال، فوت الفرصة على أجيال الجزائر حقبة من الزمن. لكن بعد انتهاء الحرب الباردة وتأثيرات النظام الدولي الجديد على النظم السياسية، وبخاصة الدول الفقيرة والسائرة في طريق النمو، لذا اتضحت معالم النظام السياسي الجزائري الذي تأثر بذلك وتوجه نحو تطبيق المبادئ الديمقراطية في الحكم لترسيخ دولة الحق والقانون. إذ تم التفريق بشكل رسمي بين السلطات الثلاث، التنفيذية، التشريعية، والقضائية بشكل عام، إذ يسهر الرئيس والجهاز التنفيذي على تطبيق القوانين، التي يسنها البرلمان الجزائري، ويقررها القضاء في الأحكام المدنية والجزائية. ولم تقف عجلة التحول الديمقراطي في الجزائر عند هذا الحد بل أسهمت في إعداد برامج للإصلاح وترشيد القرار للمنظومة الحاكمة لمواكبة كل التحولات الإقليمية والعالمية. إذ تم تطوير المفهوم الممارسات لمنظومة الحكم الرشيد في الدولة، تحترم فيها كل سلطة من سلطات الدولة القواعد الموضوعية في الدستور لممارسة اختصاصاتها، إذ لا تحيد عن حدود هذه الاختصاصات أو تتعدى على اختصاصات سلطة أخرى، وذلك من خلال قيام كل سلطة بمهامها المنوطة بها من أجل تحقيق أهداف السياسة العامة. وحققت بذلك جملة من المكتسبات الديمقراطية، التي حققتها الجزائر في مجال تطبيق الديمقراطية، يمكن تحديد هذه المكتسبات التي تعتبر عديدة، إذ نصنفها على مستوى نطاقين أساسيين هما:

أ. على النطاق التنظيمي:

حققت الجزائر مجموعة من العناصر والمتطلبات التي عكست المفهوم الممارستي للديمقراطية واتجهت بها نحو ترسيخ قيم مجتمعية جديدة تقود نحو تفعيل نظرية العقد الاجتماعي، يمكن تحديد هذه الإجراءات التنظيمية التي تحققت، على النحو الآتي:

♦ دستور ديمقراطي: تعدّ صياغة الدساتير صناعة بشرية، تخضع لظروف الزمان، وهي عادة ما توضع لمعالجة الأوضاع القائمة وتأطير الممارسة السياسية من خلال تحديد العلاقة بين السلطات، وتبيان حقوق الأفراد وحررياتهم، والنص على الآليات الكفيلة بصيانتها؛ ولكن في نفس الوقت تبقى أحكامها غير مقدسة، بل إن الدساتير نفسها تتضمن أحكاماً تتعلق بكيفية تعديلها متى استدعى الأمر ذلك. إن الدستور الجزائري الحالي يضمن إقامة نظام شبه رئاسي. وهو وسط بين كل من النظام البرلماني والنظام الرئاسي، إذ يلاحظ عليه وجود القاعدة الذهبية للنظام البرلماني والمتمثلة في مسؤولية الحكومة أمام البرلمان. وحق السلطة التنفيذية (رئيس الجمهورية) في حل البرلمان. كما نجد أيضاً الفصل المرن بين السلطات، ثم ثنائية السلطة التنفيذية والتي تتجسد في رئاسة الجمهورية والحكومة.

♦ تبني التعددية الحزبية: عرفت الجزائر تبني نظام التعددية الحزبية، حيث أقر القانون العضوي للأحزاب السياسية بروز أكثر من 100 حزب سياسي تختلف في أيديولوجياتها من

التنفيذية، أمّا في الدول التي تأخذ بنظام الجمعية النيابية، فإن هذا التوجيه يكون بيد هيئة مكوّنة من عدة أشخاص مُنتخبين من قبل الجمعية النيابية، ويمكن التمييز بين نظامين إداريين هما مركزية ولا مركزية الإدارة، وذلك من حيث ممارسة الوظيفة التنفيذية⁽³⁾. من خلال ذلك فإن السلطة التنفيذية هي حلقة الوصل أو الناقل، لكن هذا من الناحية النظرية، أمّا المتمعن والمتفحص لدور السلطة التنفيذية من خلال الممارسة يجد أنها تلعب دوراً مهماً ومميزاً وهي السلطة المهيمنة على باقي السلطات في الدولة، بالنظر إلى عدد من العوامل التي أثرت في قيمة دور السلطة التشريعية والسلطة القضائية. وهذا راجع بالأساس إلى طبيعة النظام السياسي في الدولة.

في الجزائر يعدّ رئيس الجمهورية هو المسؤول الأول عن السلطة التنفيذية. إذ يُجسد وحدة الأمة، وهو حامي الدستور ويُجسد الدولة داخل البلاد وخارجها. ويُنتخب رئيس الجمهورية عن طريق الاقتراع العام المباشر والسري. ويجري الفوز بالانتخاب عند الحصول على الأغلبية المطلقة من أصوات الناخبين المعبر عنها. ويُسند جزءاً من مهامه إلى رئيس الحكومة الذي هو نفسه معين من طرف رئيس الجمهورية⁽⁴⁾. إن ثنائية السلطة التنفيذية في النظام السياسي الجزائري جعل منها مهيمنة على القرار السياسي، وهذا يبين النفوذ والتأثير في المؤسسات الأخرى وبخاصة السلطة التشريعية، ما يجعل قرار السياسات العامة القطاعية يرسم وفق إيديولوجية الحزب الفائز في الانتخابات الرئاسية والتشريعية.

3. السلطة القضائية: تقتصر مهمة هذه السلطة في تحقيق العدالة، وذلك بتجسيد القوانين وتطبيقها على الواقع المعينة التي تعرض عليها في المنازعات، إذ تعدّ فرعاً خاصاً من السلطة التنفيذية، وبخاصة في الدول البرلمانية، إذ لعبت هذه السلطة دوراً أساسياً في صنع السياسات العامة في الولايات المتحدة الأمريكية بخاصة.

مما لا شك فيه، أن مباشرة السلطة القضائية لرقابة فعالة على أعمال الإدارة كضمانة أساسية من ضمانات قيام الدولة القانونية، وحماية قانونية للحقوق والحريات الفردية ضد كل تعسف⁽⁵⁾. ولاشك أن قيمة وجود سلطة قضائية تمتلك من الاستقلالية يوفر لها العمل في جو مريح دون أية ضغوطات، فيسمح بتوفير العدالة في المجتمع ويحقق الرضى المجتمعي على أداء النظام السياسي، ما ينتج لنا صورة من الحياة السياسية البناءة تحقق الاستقرار السياسي للمؤسسات السياسية والإدارية في الدولة.

في الدستور الجزائري الحالي، تعدّ السلطة القضائية «مستقلة وتمارس في إطار القانون»⁽⁶⁾، وهي بذلك مستقلة عن السلطتين التشريعية والتنفيذية. إذ إن وزير العدل في الحكومة الجزائرية مثلاً باعتباره السلطة التنفيذية لا يستطيع أن ينطق بحكم أو أن يملّي على قاض من قضاة الحكم حكماً معيناً وإن كان له حق مراقبة أعمال النيابة، فالقاضي لا يخضع إلا للقانون وهو محمي من جميع أشكال الضغوط والتدخلات والمناورات التي قد تضر بأداء مهمته أو تمس نزاهة حكمه. وهو وصف قد لا يكرس مبدأ استقلال القضاء، لأن القضاء وعلى غرار ما هو سائد في الدول المعاصرة، قلما يكون مستقلاً بمفهوم هذا المبدأ، لا سيما عن السلطة التنفيذية، التي إن كانت لا تتدخل للفصل في الخصومات القائمة أمام القضاء بصورة مباشرة، فإن اللوائح التنظيمية التي تتخذها بين الفينة

الدولة في التنمية المجتمعية، انطلاقاً من ذلك فإننا نحاول تفسير سلوكيات القرار على مستوى الفواعل الرسمية للتنمية في الدولة.

1. السلطة التشريعية: تعد من أهم السلطات في الدولة، ومن مهامها الأساسية هي سنّ القوانين التي تنظم مختلف أوجه الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية في الدولة، فالقانون هو من عمل هذه السلطة وحدها في حين يعد المرسوم بقانون من اختصاص السلطة التنفيذية؛ إذ تتباين دول العالم عن بعضها من حيث كيفية تكوين الهيئات التشريعية، وذلك باختلاف ما إذا كانت تأخذ نظام المجلس الواحد، أو نظام المجلسين، وباختلاف ما إذا كانت موحدة أو متحدة اتحاداً فدرالياً⁽²⁾.

إن السلطة التشريعية من أقوى السلطات في الدولة بالنظر إلى قيمتها وهذا من الناحية النظرية، فهي على تماس مباشر بأفراد المجتمع بكل فئاتهم. انطلاقاً من ذلك فإن مهمة المنتخبين الذين يربطهم عقد اجتماعي بالمجتمع تكون نقل متطلباتهم إلى المؤسسات الرسمية وصياغتها على شكل قوانين تسمح للجهاز التنفيذي بخدمة الصالح العام وتحقيق الأمن بكل مستويات في المجتمع.

على الرغم من السلطات والصلاحيات التشريعية والرقابية التي تتمتع بها السلطة التشريعية في الجزائر، إلا أن دوره في الحياة السياسية يتسم بنوع من الضعف والهشاشة وهذا ما أكدته الدراسات السياسية والدستورية فعلى صعيد عملية التشريع تؤكد خبرة ممارسة البرلمان التعددي في الجزائر منذ 1997م، أن الحكومة هي التي تقدم الغالبية العظمى من مشاريع القوانين، ويقوم المجلس بمناقشتها وإقرارها بدون تعديل، أو بعد إدخال تعديلات طفيفة على بعضها. أمّا في المجال الرقابي يتمتع المجلس الشعبي الوطني بسلطات رقابية إلا أنه لا يمارس هذه السلطات كما يجب، وبما يعزز من دوره في مراقبة أعمال الحكومة، إذ يغلب على النشاط الرقابي للبرلمان أساليب الرقابة الأقل تأثيراً على الحكومة مثل توجيه الأسئلة الشفوية والكتابية مقارنة بأساليب الرقابة الأكثر فاعلية مثل الاستجواب والتصويت بملتمس الرقابة ضد الحكومة، إذ تشير الخبرة البرلمانية في الجزائر إلى أنه لم يحدث أن قام المجلس الشعبي الوطني بالتصويت عن طريق ملتمس الرقابة ضد الحكومة لا في فترة البرلمان الأحادي منذ دستور 1963م، ولا في البرلمان التعددي منذ 1997م وإلى يومنا هذا.

رغم حداثة التجربة البرلمانية التعددية في الجزائر فقد تميزت الجلسات العامة للبرلمان بالنقاش الصريح والساخن أحياناً، وبالطرح الموضوعي في معالجة القضايا والمسائل المطروحة للنقاش، كما مثلت تلك الجلسات بالنسبة للأحزاب السياسية والنواب الأحرار فرصة للتعبير عن آرائهم بشأن ما عرض عليهم من برامج وقوانين وأوامر واتفاقيات.

2. السلطة التنفيذية: تعتبر الهيئة التي يقع على عاتقها تنفيذ القوانين التي تصدرها الهيئة التشريعية وتعمل على اتخاذ الإجراءات اللازمة لحفظ الأمن، وإدارة مختلف المؤسسات والمعالم العامة في الدولة، وبهذا يختلف تكوين هذه الهيئة من دولة إلى أخرى؛ فالنظام الرئاسي يعتمد على مبدأ الفردية، ورئيس الدولة يقوم بمباشرة السلطة الفعلية. أما النظام البرلماني يكون هذا للتوجيه بيد رئيس الدولة ومجلس الوزراء، بمعنى ثنائية السلطة

والأخرى، عادة ما تشكل تدخلاً صارخاً، يحول دون تطبيق هذا المبدأ بصورة فعلية.

إضافة إلى ما ذكرناه، من فواعل رسمية أسهنا في تفسيرها (السلطة التشريعية، التنفيذية، القضائية)، فإنه لا بد من وجود مؤسسة عسكرية محترفة تدعم مسيرة الديمقراطية من خلال نضالها في حماية رموز الدولة وشعبها من كل الأخطار الداهمة، وبذلك تصبح أداة فعالة في ترقية الممارسات السياسية وترشيد نموذج القرار.

المحور الثالث: الفواعل غير الرسمية: مقارنة معرفية.

إن الحركات التأسيسية للديمقراطية والليبرالية تنتج فواعل أساسية في بناء منطق الحكم الرشيد الذي تقوم فلسفته على ضرورة إشراك المجتمع المدني والقطاع الخاص في ترشيد الحكم ببناء نظام شفاف ومسؤول بالضغط والاقتراح... والتقاضي والمساهمة الفعلية في التقييم والتقييم بما يرفع من الكفاءة التسييرية للمنظومة السياسية والقرارية ككل. وترتبط درجة تحقيق أهداف السياسات العامة بشكل مباشر أو غير مباشر بدور المؤسسات غير الرسمية، ومدى استقلاليتها وتأثيرها في المؤسسات الرسمية للنظام السياسي.

أولاً: مفهوم المجتمع المدني:

التعريف اللغوي لعبارة «المجتمع المدني» في اللغة العربية، نجدها تكتسب معناها من مقابلها الذي هو المجتمع البدوي، وهو نفس الطرح تماماً عندما استعمل ابن خلدون الاجتماع الحضري ومقابلته المجتمع البدوي. وفي اللغة العربية الأنية يُعد لفظ (civil)، والذي يترجم مدني، فإنه يستند في الفكر الأوروبي إلى عدة معانٍ رئيسية هي بمثابة أصداد له معنى-التوصيف- بمقارنة عبارة الشعوب البدائية المتوحشة في مقابلة الشعوب المتحضرة، وبذلك فإن عبارة المجتمع المدني في الفكر الأوروبي هو بناء ذلك المجتمع المتحضر، لا سلطة فيه لا للعسكر ولا للكنيسة⁽⁷⁾. فالمجتمع المدني غير خاضع لأي سلطة في الدولة بالنظر إلى دوره المميز في المساهمة في تحقيق الجودة السياسية.

التعريف الاصطلاحي: يشير (حسين توفيق) إلى المجتمع المدني على أنه عبارة عن مجموعة من الأبنية السياسية، الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والقانونية، التي تنظم في إطارها شبكة معقدة من العلاقات والممارسات بين القوى والتكوينات الاجتماعية في المجتمع، ويحدث ذلك بصفة ديناميكية ومستمرة من خلال مجموعة من المؤسسات الطوعية التي نشأت وتعمل باستقلال عند الدولة⁽⁸⁾. فالمجتمع المدني هو الهيئات غير الرسمية بصفاتها عناصر فاعلة في كل المجالات، هو تمكين المؤسسات الأهلية من تحمل المسؤولية أكبر في إدارة شؤون المجتمع، التي يقوم نشاطها على العمل التطوعي⁽⁹⁾. من خلال ذلك نتبين أن المجتمع المدني يتسم بالصفة غير الرسمية ويلعب دوراً فعالاً في التأثير في السياسات القطاعية، لكن في إطار توفير الاستقلالية لهذه المؤسسة.

ثانياً: خصائص المجتمع المدني:

عند التطرق إلى خصائص المجتمع المدني ننطلق مما طرحه الباحث (صامويل هنتغتون) في قوله بأن المؤسسات والتنظيمات المختلفة تشهد فيما بينها تقدماً وتخلفاً، وفعاليتها تتوقف ذلك

أحياناً على معايير أساسية التالية⁽¹⁰⁾:

أ. القدرة على التكيف: بمعنى قدرة المؤسسة على التكيف مع التطورات في البيئة التي تعمل من خلالها، فكلما كانت قادرة على التكيف كانت أكثر فعالية، لأن الجمود يؤدي إلى تضائل أهميتها، وثمة أنواع للتكيف.

- التكيف الزمني: يقصد به القدرة على الاستمرار لفترة طويلة من الزمن.

- التكيف الجيلي: ويقصد به قدرة المؤسسة على الاستمرار مع تعاقب الأجيال من الزعماء إلى قياداتها، وهو ما يضمن مرونة المؤسسة في مواجهة متطلبات التطور الاجتماعي والاقتصادي.

- التكيف الوظيفي: ويقصد به القدرة على إجراء تعديلات في أنشطتها للتكيف مع الظروف المستجدة.

ب. الاستقلال: ويقصد به، ألا تكون المؤسسة خاضعة لغيرها من المؤسسات والجماعات أو الأفراد بحيث يسهل السيطرة عليها، وتوجيه نشاطها موافقة لرؤية المسيطر، وتعتمد درجة الاستقلال على مدى تمكن مؤسسات المجتمع المدني من إيجاد مصادر مستقلة للتمويل.

ت. التعدد: ويعني، تعدد المستويات الرأسية والأفقية داخل المؤسسة أو تعدد هيئاتها التنظيمية من ناحية، ووجود مستويات ترابية داخلها وانتشارها الجغرافي على مدى أوسع من ناحية أخرى، ومع تنوع الأهداف يضمن لها القدرة على تكيف نفسها عندما تفقد أي هدف.

ث. التجانس: ويعني عدم وجود صراعات داخل المؤسسة تؤثر في ممارستها لنشاطاتها، وكلما كانت طريقة حل النزاعات والصراعات سريعة وسليمة كانت دالة على تطور المؤسسة، بمعنى أن المجتمع المدني لا يتسم بالضرورة بالتجانس، بل قد يكون ساحة للتنافس بين القوى والجماعات ويكون ذلك مؤشراً على حيوية هذا المجتمع بالمعنى الإيجابي⁽¹¹⁾.

ثالثاً: مؤسسات المجتمع المدني:

تشمل هذه المؤسسات حيزاً واسعاً من الهياكل والبنى تلك التي تتمثل في:

أ. الأحزاب السياسية: وقد تعددت التعريفات للأحزاب السياسية ونستعرض عدداً منها على النحو الآتي:

عَرَفَ (اندريه هوريو) الأحزاب السياسية بأنها هي التي تمثل تنظيماً دائماً على مستوى الدولة والمستويات المحلية، ويسعى للحصول على مساندة شعبية، ويهدف إلى الوصول للسلطة وممارستها وذلك من خلال تنفيذ سياسات معينة. وقد عرفها أيضاً (جيوفاني شارتوري) بأنها جماعات سياسية تتقدم للانتخابات وتكون قادرة على تقدم من خلال تلك الانتخابات مرشحين العامة⁽¹²⁾. كما عَرَفَهَا (ندمو ندبير) بأنها اتحاد بين مجموعة من الأفراد، غرضه العمل لتحقيق الصالح العام القومي وفقاً لمبادئ خاصة متفقين عليها جميعاً⁽¹³⁾.

إن الأحزاب السياسية، هي جماعات سياسية منظمة تسعى للوصول إلى السلطة عن طريق الانتخاب، على عكس جماعات المصالح، والنقابات العمالية التي تعبر عن رغبات أو احتياجات أو مطالب قطاعات معينة من السكان. ونشاط الأحزاب السياسية

إلى التأثير في السياسات العامة بطريقتها من خلال لعب دور مهم في الحياة السياسية، وصياغة المطالب والتعبير عن اتجاهاتها السياسية. ومن جهة أخرى تجدر الإشارة إلى أن هذه الجماعات تسعى لتحقيق مطالبها والضغط على صانعي القرار وذلك حسب ما تملكه من حجم العضوية وحجم مواردها ومدى تجانس أفرادها من الثقافة السياسية السائدة⁽¹⁸⁾. لذلك فإن السياسات القطاعية عبر آلية التمييز تعمل على إنتاج عدد من الفاعلين يختلف دورهم وحجمهم من قطاع إلى آخر. لكن عقلانية ورشادة السياسة القطاعية تقود دائماً إلى إفراز فاعلين إيجابيين غرضهم خدمة القطاع وترقية مستوى أدائه لتحقيق التنمية القطاعية.

إن مخرجات السياسات العامة في الجزائر، حققت بالفعل قدرات في التغلغل والإبداع من خلال الاستثمار في المورد البشري للقطاع، وترقية المفهوم الممارساتي لإنتاج الفواعل وتنميتهم، وهذا ما لوحظ في عدة قطاعات مهمة من بينها العدالة التي أنتجت فواعل عبر سياساتها المبرمجة والمنهجية من محامين، ومحضرين قضائيين، وكتاب عموميين... الخ أسهموا في ترقية مفهوم العدالة وتحقيقها في المجتمع.

ت. الرأي العام: بدأت الدول والمنظمات السياسية الاهتمام بالرأي العام، حين أصبحت قوة كبيرة زادت من تأثيرها سياسياً على التجمعات الإنسانية في الدولة نتيجة الأوضاع المزرية، من هنا يعرف الرأي العام على أنه مجموعة من الاتجاهات والمشاعر التي يكونها قطاع كبير من الناس في فترة معينة تحت تأثير الدعاية اتجاه قضية معينة⁽¹⁹⁾. ومن خلال ذلك فإن الدعاية لها دور كبير في بناء استراتيجية الرأي العام، ويتحدد الدور السياسي للرأي العام في المجتمع من خلال قدرة الناس على التأثير في السياسة العامة. أما قنوات التأثير فهي (قنوات) أدوات العملية السياسية كالحكومة، والنظام الحزبي، وجماعات المصلحة والتصويت، وليس هناك حكومة تفرض مطالبها على الجمهور دون دعم شعبي⁽²⁰⁾.

ث. وسائل الإعلام: بفعل التطور التكنولوجي الذي أسهم في بروز فاعلين جدد يتمثل في الإعلام والذي يلعب دوراً مهماً في الحياة السياسية. يعرف الإعلام بأنه آلية يتم بها إعلام الناس بأمور حياتهم اليومية عبر وسائل الإعلام المتعددة من أجل إطلاع أبناء المجتمع وتثقيفهم بهذه المعلومات لبناء الرأي العام الشعبي حيال العديد من القضايا التي تهم الشأن العام، فالإعلام من أجل توصيل المعلومات إلى الرأي العام يحتاج إلى وسائل وقنوات فعالة لنقل أكبر عدد ممكن من المعلومة للأفراد المنتشرين في أرجاء الدولة. بغية تشكيل رأي عام محلي ووطني مؤثر في السياسات العامة القطاعية. كما أن السلطة تستخدم الإعلام بمختلف الوسائل في صنع واتخاذ قرارات مهمة للمجتمع، انطلاقاً من اعتبار الإعلام معياراً من المعايير التي تعتمد في رسم السياسات وترشيدها وبناء جودة للحكم.

استناداً إلى التجربة الفتية للتعديدية السياسية والإعلامية في الجزائر، نلاحظ أنه كلما حصل الحديث عن حرية الرأي والتعبير في الجزائر يتفق المختصون على أن مسيرتها عرفت تحولات عميقة طبعت تاريخ الجزائر المعاصر. حرية الرأي والتعبير مرتبطة إلى حد كبير بوسائل الإعلام على اختلاف أنواعها، المكتوبة، السمعية والسمعية البصرية وهذا ما أفزرتة تفاعلات الساحة السياسية والاجتماعية في الجزائر، وهذه المعطيات تقودنا للحديث عن دور العملية الإعلامية في كل النواحي الاجتماعية ذات الصلة بما يحدد

يتركز حول محاولة الوصول إلى السلطة ومن خلال سعيه لتحقيق ذلك الهدف يقوم بنشاطات مختلفة، تعود بالفائدة على أعضائه وعلى المناطق التي يقومون فيها وفي كثير من الأحيان تعود بالنفع وتحقيق الصالح العام للمجتمع⁽¹⁴⁾.

وتتعدد أشكال وأنواع الأحزاب السياسية. وقد اختلف العلماء في تصنيفهم لهذه الأنماط، فأكثر هذه التصنيفات شيوعاً هو ذلك النمط الذي يقوم على عدد الأحزاب، فقد صنف الباحث الفرنسي) مورس ديفرجيه (الأنظمة الحزبية إلى ثلاث أنماط، وهي نظام الحزب الواحد، إذ لا يوجد في الدولة إلا نظام حزب واحد، ويتميز بالمركزية الشديدة والطاعة الكاملة وتصدر عنه السياسات العامة، وقراراته من القمة ونظام الحزبين وهو نظام ديمقراطي يقوم على التنافسية الحزبية حيث يكون الأول في السلطة والثاني مراقباً لأعماله وبرامجه، وهناك نظام تعدد الأحزاب⁽¹⁵⁾. إن النظم الحزبية نوعان: نظم تنافسية، ونظم غير تنافسية. إن النظم التنافسية تلعب فيها الأحزاب السياسية دوراً مهماً في المشاركة مع السلطة لترقية الحكم الراشد وبناء نمط جديد يخدم إنتاج معالم حضارية للدولة. أما النظم غير التنافسية فهي سائدة في دول العالم النامي الذي تسود فيه نظم الحكم الشمولية التي لا تسمح بترقية الممارسات الديمقراطية بالنظر إلى حكم الفرد وطغيانه لغياب مؤسسات للدولة.

إن فاعلية الأحزاب السياسية في الجزائر مرهونة بمدى أدائها لوظائفها بتقديم الأهداف العامة على الخاصة، أو الموازنة بينهم لتحقيق التنمية السياسية، الاجتماعية، الاقتصادية، والوصول إلى مكانة الدول المتقدمة. لذلك فمسألة الأحزاب السياسية وعلاقتها بالديمقراطية والتأثير بفاعلية في صنع القرار السياسي تحددها نوع العلاقة بين السلطة والأحزاب السياسية، فتجربة الأحزاب السياسية في الجزائر تجربة غير مكتفية بذاتها، كما أنها تعاني من الهشاشة في التصدي والواجهة، وهذا الذي ولد انشقاقات وصراعات داخلية، لذلك نلاحظ عدداً من عوامل تراجع عملية التحول الديمقراطي في الجزائر:

- أن الطبيعة العضوية للأحزاب الجزائرية تتميز في الغالب بكونها أحزاباً غير نشطة.

- التداول على القيادة في الأحزاب الجزائرية ليس طريقة ديمقراطية؛ فهو يتميز بطابع شكلي فقط ومحدودية.

- معظم الأحزاب الجزائرية ما تزال متأثرة بالأزمات التي مرت بها التجربة الجزائرية، تلك التي أثرت بدورها على متابعة الديمقراطية وتطبيقها مرتكزة في ذلك على الخلافات السياسية والتنظيمية والشخصية، إضافة إلى ذلك فهي لا تتبنى أسلوب الحوار والمشاركة، وتبنت أسلوب الإقصاء⁽¹⁶⁾.

هذه السمات التي تميز الحياة السياسية في الجزائر تضيء طابعاً خاصاً يدل على نوعية الفاعلية للشريك الثاني في المجتمع، ويحدد نوعية التنمية السياسية والاجتماعية والاقتصادية، التي ترهن المقومات الحضارية وتتحكم فيها.

ب. الفاعلون في الإقليم: هناك تنظيمات غير حكومية تمارس الضغط على السلطة، وتشارك في العمل السياسي بصورة غير مباشرة، فتؤثر في مركز القرار ولا تطمح للوصول إلى السلطة بقدر تأثيرها عليها لتحقيق مصالحها. وتعرف بجماعات الضغط التي تمارس الضغط في عملية صنع القرار السياسي بهدف الحصول على قرارات تخدم مصالح هذه الجماعة⁽¹⁷⁾. وتسعى هذه الجماعات

- فتح باب التنافس بين أكبر عدد ممكن من الشركات الذي من شأنه زيادة دخل الدولة ومنه الفرد.

- تتضمن مصادر مالية بمقدورها الاستثمار في مشاريع التنمية الاقتصادية ومنها سياسية. فتؤدي إلى التدخل في السياسة العامة للدولة لما تملكه من دخل مالي تستطيع بذلك أخذ المناصب العليا في الدولة.

- يقوم القطاع الخاص بتطوير بعض المشروعات، أي انتقال حق تشغيل أو استغلال المشروعات العامة وتطويرها إلى القطاع الخاص، ثم تؤول ملكية هذه المشاريع مرة أخرى إلى الدولة.

- كفاءة القطاع الخاص لمؤسساته الإنتاجية وخدماته الممتازة⁽²⁵⁾.

ثالثاً: أهداف القطاع الخاص:

يمكن أن نجل أهداف القطاع الخاص من خلال تعظيم الأرباح برفع الكفاءة وتحسين الأداء المالي. وخلق حوافز لجعل قوى المنافسة تدفع مستوى الأداء لأعلى. وذلك لتحقيق إنتاج ضخم وتعميمه، للارتقاء بكفاءة تشغيل المشروعات القائمة وتحقيق عوائد مالية تخفض من أعباء الدولة وتخفف من عجز ميزانيتها. ما يؤدي إلى تحقيق الاستقرار الاقتصادي وتمويل خدمات الدولة. وتعبئة الموارد المحلية لتحقيق التنمية الشاملة. وبالنظر إلى أهداف القطاع الخاص الذي أصبح ركيزة أساسية وشريكاً لا يمكن الاستغناء عنه من طرف السلطة بالنظر إلى المميزات التي تميزه عن باقي مكونات المجتمع المدني. فالرهان والتحدي اللذان طرحتهما العولمة جعل من النظام السياسي يبحث عن آليات تفعيل دوره وتحقيق الحكم الرشيد للمجتمع.

المحور الخامس: القطاع الخاص شريك داعم لأسس الحكم الرشيد في الجزائر.

إن وضعية القطاع الخاص غير معروفة بصفة دقيقة، لذا لا يمكننا إلا إعطاء بعض المؤشرات الإجمالية عنه، وعن دوره ونصيبه في التنمية من خلال مساهمته في السياسات العامة للدولة. ويمكن أن نظهر مساهمة القطاع الخاص من خلال ما يأتي:

أولاً. مساهمة القطاع الخاص في التشغيل:

لقد نصت قوانين ونصوص متصلة بالاستثمار الخاص على تشجيع وإعطاء ضمانات لهذا القطاع، وبخاصة الاستثمارات التي تسهم في التشغيل، ومن أجل معرفة التطور في قطاع الصناعة لا بد من المعرفة والبحث في التوزيع القطاعي للتشغيل من أجل المقارنة مع القطاعات الأخرى من جهة، وللمقارنة مع القطاع العام من جهة ثانية. فقد عرف التشغيل في القطاع الخاص تطوراً مستمراً إلى غاية يومنا هذا، ويرجع ذلك إلى عنصر الربح الذي يعمل من أجله القطاع الخاص ويجتهد في كل الاتجاهات لكي يعظمه، ما جعله يلجأ إلى استغلال أكثر مما هو موجود وكذا اتباع سياسة الموسمي، والتشغيل بالساعة والتشغيل في البيت. إن هذه السياسة تمكن أرباب العمل من التهرب من الضرائب المختلفة بفضل عدم الإعلان عن العمال لدى مصالح الضمان الاجتماعي.

إن الأهمية النسبية للقطاع الخاص في التشغيل في قطاعي التجارة والخدمات تبقى بدون منازع سواء بالمقارنة مع الفروع الأخرى داخل القطاع الخاص نفسه أو بالمقارنة مع القطاع العام.

دور الأفراد ومقوماتهم والذي يُحدد (أي دور الإعلام) في ضوء الاستراتيجية العامة لمواجهة مستجدات الحياة وتطوراتها حيث تصبح مهمة الإعلام أو القيادة الإعلامية تقوم بالدور المكلف بها في ترسيخ القيم والمبادئ الديمقراطية في المجتمع الجزائري.

المحور الرابع: القطاع الخاص وتحقيق الجودة السياسية

أولاً: مفهوم القطاع الخاص:

على الرغم من تعدد مفاهيم الخصخصة بتعدد كتابها إلا أنه يمكن إجمال هذه المفاهيم في نوعين. مفهوم ضيق ومفهوم واسع. فيما يخص المفهوم الضيق هو بيع أصول المشروعات العامة، أو المشروعات التابعة للقطاع العام أو أسهمها إلى أشخاص سواء كان كلياً أو جزئياً، فهذا المفهوم يقتصر على تحويل الأصول أو الخدمات من القطاع العام أو من القطاع المدعوم ضريبياً أو سياسياً إلى القطاع الخاص لرجال الأعمال.

أمّا فيما يخص المفهوم الواسع ويرتبط بقضية اقتصادية، سياسية، وهي دور الملكية في الإصلاح الاقتصادي، لأن المؤسسات العامة لا يمكنها أن تطور نفسها نحو المزيد من الكفاءات كما هو بالنسبة للمؤسسات الخاصة. ولقد عرف الباحث (ولسون وكلاجي) الخصخصة بأنها مجموعة من السياسات المتكاملة التي تهدف إلى الاعتماد الأكبر على آليات السوق ومبادرات القطاع الخاص والمنافسة من أجل تحقيق أهداف التنمية والعدالة الاجتماعية⁽²¹⁾. كما عرفها الباحث (تيكولا بالاتي) بأنها التعاقد أو بيع الخدمات أو المؤسسات التي تسيطر عليها الدولة إلى مجموعة أفراد أو مجموعة رجال الأعمال المنتمين إلى القطاع الخاص⁽²²⁾.

وتطرق الباحث (إيهاب الدسوقي) للخصخصة فرأى بأنها سياسة مرحلية من سياسات التحرير الاقتصادي، تعمل على تحويل المشاريع العامة إلى مشروعات خاصة سواء في مجال الملكية أو الإدارية باستخدام العديد من أساليب (الملكية أو الإدارة) المتاحة والملائمة⁽²³⁾. أمّا النظرة السياسية فهي تذهب إلى أن وجود قطاع خاص قوي وطاغ على الحياة السياسية، إنما هو مظهر من مظاهر وجود كتلة اقتصادية ذات مال ونفوذ وقدرة، وهي الكتلة التي تملك هذا القطاع وتتحكم فيه. ومن ثم لا بد لها من الكشف أن نشاطها الاقتصادي، بحاجة إلى جو سياسي مؤهل لها. ولا بد أن تسعى للوصول إلى السلطة، وتعمل على تسخيرها من ثم لتثبيت أقدامها ورعاية مصالحها، والمحافظة على استمراريتها وتوسيع دائرة نشاطها ونفوذها⁽²⁴⁾. ولا يكون ذلك إلا من أن تصبح شريكا في بعض القطاعات عن طريق هذه المشاريع، وهو ما يعرف بالخصخصة لتحقيق سياسات هادفة للحكومة ومنه للمصالح العام وتحقيق أهداف خاصة بهذا القطاع أي القطاع الخاص.

ثانياً: خصائص القطاع الخاص:

من خلال ما سبق نتبين عدد من الخصائص التي يتميز بها القطاع الخاص. نذكرها على النحو الآتي:

- تفعيل أدوات الرقابة والتشريع لما يصب في مصلحة المواطن باعتبارها أداة رقابية على النظام السياسي ومشاركة في العملية السياسية.

- نتبين أهمية دور الفرد المنتج في المجتمع بفتحها منا صب شغل جديدة عن طريق الإعداد المالي لاستقبال فائض البطالة.

يُعد 16.718 مؤسّسة أي 1.8 بالمائة فقط. فيما تُعدّ المؤسّسات المختلطة والأجنبية 2.216 مؤسّسة أي 0.2% وتحتل التجارة المرتبة الأولى في القطاع الخاص بـ: 508.638 مؤسّسة أي 55.6% في حين أن التجارة بالتجزئة تمثل 85% متبوعة بالصناعات المصنعة وتهيمن على الصناعات المصنعة الصناعات الغذائية التي تُعد 23.252 مؤسّسة أي 25.5% متبوعة بصناعة الملابس بـ: 11.6%، ومن جهة أظهرت نتائج الإحصاء الاقتصادي بخصوص تطور إنشاء المؤسّسات الاقتصادية حسب فترة ارتفاع في الوتيرة خلال سنوات الـ: 2000م و2013م بإنشاء 716.026 مؤسّسة أي 76.6%، من مجموع 934.250 مؤسّسة تم إحصائها⁽²⁸⁾. لا تمثل الصناعة إلا ما نسبته 10.2% من المؤسّسات التي أنشئت خلال العشرية الأخيرة حسب الديوان الوطني للإحصائيات الذي أضاف أن هذا الهيكل مماثل نوعاً ما لكل المراحل السابقة لسنة 2000م. وبخصوص السنة الفعلية لبدية النشاط. بحيث عرفت العشرية الأخيرة دخول عدد مهم في مرحلة النشاط مقارنة بالفترات السابقة، إذ كانت 731912 مؤسّسة معنية أي بنسبة 78.3%. وتشير معطيات الإحصاء الاقتصادي حول التشغيل أن عدداً مهماً من المؤسّسات يشغل أقل من 9 أشخاص بنسبة 97.8% و 932 مؤسّسة اقتصادية تشغل 260 عاملاً فأكثر. كما تُشير الإحصائيات بخصوص توزيع المؤسّسات الاقتصادية حسب رقم الأعمال إلى أن حوالي 94% لها رقم أعمال سنوي أقل من 20 مليون دج. أما المؤسّسات التي يتراوح رقم أعمالها ما بين 20 و200 مليون دج فتتمثل بـ 5.7% من العدد الإجمالي للمؤسّسات التي أُجري عليها الإحصاء، وبالتالي فإن 1% من المؤسّسات التي أُجري عليها الإحصاء حققت رقم أعمال سنوي أعلى من أو يساوي 200 مليون دج⁽²⁹⁾ (30).

من خلال الإحصائيات المذكورة، نرى أن النسيج الاقتصادي في الجزائر يغلب عليه الأشخاص الماديون بنسبة 95% (888794) أمّا الأشخاص المعنويون (المؤسّسات) فتمثل أقل من 5% مؤسّسة حسب الديوان الوطني الذي يرى أن هذه النتائج « تشير إلى أن الاقتصاد قائم أساساً على المؤسّسات الصغيرة ». ويرى أن الجزائر فقدت نسيجها الصناعي خلال العشرية الأخيرة، إذ تمكن القطاع التجاري من الهيمنة الشبه المطلقة على النشاط الاقتصادي في الجزائر، وأكد الديوان أن الإحصاء الاقتصادي الأول الذي تشير نتائجه الأولية يمكنه السماح بإعادة تصحيح المسار خلال السنوات القادمة وإعادة بعث الاقتصاد الوطني بما يتناسب مع احتياجات البلاد. إذ إنّ فروع نشاطات الخدمات الذي يتمثل في النقل 26% مقابل 18.7% لنشاط الطعام، و 2.15% لقطاع الاتصالات و 2.10% للنشاطات القانونية والمحاسبة و 45% لقطاع الصحة البشرية.

في ظل التوجهات العالمية المتزايدة نحو تفعيل نظام السوق، ووضع الأنظمة والقوانين الملائمة لذلك وإعطاء دور متزايد للقطاع الخاص، فقد بدأت العديد من دول العالم سواء المتقدمة منها أو النامية في إعادة تقسيم الأدوار بين الحكومة والسوق فيما يتصل بإدارة الشؤون الاقتصادية⁽³¹⁾. يمثل القطاع الخاص في الجزائر اليوم محور عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية من خلال تدخله وبروز دوره في عملية صنع السياسة العامة نظراً لما يتمتع به هذا القطاع من مزايا وإمكانات كبيرة تؤهله للقيام بدور ريادي في شتى المجالات الاقتصادية والاجتماعية، إذ تؤكد بعض الدراسات

لذا يمكن القول، إنّ سياسة الدولة منذ فجر الاستقلال وحتى يومنا هذا، تلك التي شجعت القطاع الخاص خاصة المستثمر في الصناعة من أجل المساهمة في حل أزمة البطالة بخلق مناصب شغل، قد حققت جزءاً كبيراً من هذا الهدف، إذ وصل متوسط التشغيل في القطاع الخاص باستثناء الفلاحة إلى نسبة 47 بالمائة⁽²⁷⁾. إن بعض النقائص مازالت موجودة إلى يومنا هذا نظراً لسياسة القطاع الخاص الهادفة إلى تعظيم الربح بشتى الطرق. ممّا يجعله يلجأ إلى توظيف نسبة كبيرة من اليد العاملة غير المؤهلة. كما يلجأ إلى عدم الإعلان عن العمال وتكثيف العمل بالنسبة لما هو موجود.

ثانياً: مساهمة القطاع الخاص في تكوين القيمة المضافة:

إن القيمة المضافة على مستوى الاقتصاد الوطني، وفقاً للنظام المحاسبي للاقتصاد الجزائري هي إجمالي الإنتاج المحلي الخام مطروحاً منه الرسم الوحيد الإجمالي والرسم الجمركية على الواردات. ويعتبر الإنتاج المحلي الخام هو مؤشر اقتصادي ذو دلالات في تقييم التنمية الاقتصادية والاجتماعية الشاملة، وعليه، نستنتج أن القيمة المضافة، هي من بين المؤشرات ذات الدلالة في التحليل في الحكم على مدى مساهمة قطاع ما أو مؤسّسة أو فرع ما في التنمية الاقتصادية والاجتماعية الشاملة التي تبقى كذلك من بين المؤشرات المهمة لقياس المدى الذي وصل إليه التطور الاقتصادي والاجتماعي فعالياً، ما يرتبط مفهوم القيمة المضافة بمستوى التطور المعيشي في الاقتصاد الوطني لأي بلد، لكن دلالة القيمة المضافة هي مرتبطة بمجموعة من الشروط، وهي:

- يجب أن يكون معدل نموها السنوي أكبر من معدل النمو السنوي للسكان في فترة زمنية محددة.

- يجب أن تقترب بثبات المستوى الأسعار نسبياً، فلا معنى إذا زادت القيمة المضافة بنسبة معينة، تكون نسبة التضخم أو الزيادة في أسعار المنتوجات خاصة ذات الاستهلاك الواسع أكبر من نسبة زيادة القيمة المضافة فهذا لا يغيّر من المستوى المعيشي للأفراد.

- يعدّ توزيع أكبر نسبة منها على أغلبية أفراد المجتمع، أي أن يستفيد منها أكبر عدد ممكن من السكان وهذا راجع إلى إعادة التوزيع للمداخيل.

بقاء القيمة المضافة مرتبطة ببعض الشروط، تعني ضرورة وجود جهاز مركزي للتخطيط ويظهر دوره في إعادة التوزيع، وكذا ضبط العلاقة القائمة بين الاستهلاك والادخار. فالقيمة المضافة قد تضاعفت بشكل كبير مقارنة بنسبة النمو، السكان، وهذا يؤدي بنا إلى القول، إن الاقتصاد الجزائري، قد حقّق هدفاً من أهداف التنمية الاقتصادية والاجتماعية الشاملة في تحسين مستوى المعيشة للسكان.

ثالثاً: الإحصائيات الاقتصادية:

يُهيمن القطاع الخاص على النسيج الاقتصادي الجزائري بـ: 915.316 مؤسّسة أي 98 بالمائة من المجموع فيما يتقاسم الباقي القطاع العمومي والمؤسّسات المختلطة والأجنبية حسب معطيات الإحصاء الاقتصادي الذي أنجزه الديوان الوطني لإحصائيات 2013م. وأوضحت المعطيات النهائية للمرحلة الأولى من الإحصاء الاقتصادي الذي سيسهم في إنجاز مجموعة من التحقيقات الاقتصادية الإحصائية الهيكلية والظرافية أن القطاع العمومي

فاعلاً في صنع السياسات العامة القطاعية الجزائرية وتقييمها. هذا ما يؤكد أن القطاع الخاص في الجزائر يلعب دوراً مهماً ومُهمناً بالنظر إلى الضعف الذي تشهده مكونات المجتمع المدني وفي مقدمتهم الأحزاب السياسية.

خاتمة:

لكل نظام سياسي مجموعة مؤسسات ومكونات سواء أكانت رسمية أم غير رسمية، وهي تقوم بصنع السياسة العامة، فالسياسات العامة من حيث الرسم والتنفيذ والتقويم هي نتاج أداء تلك المؤسسات، وأدائها هو من يظهر تباين الأنظمة السياسية في كيفية ممارسة مؤسساتها عند صنع السياسة العامة. إن تطور المؤسسات الديمقراطية، جعل من فاعل الدولة جزءاً مهماً في الحياة السياسية. إذ لا يستمر أي نظام حكم ولا تستقيم السياسات القطاعية بمعزل عنهم. وأصبح طرح مؤسسات المجتمع المدني لمطالبها وأهدافها أكثر وقعا من ذي قبل، وبعد أن كانت مجرد ملاحظات ضد السياسة العامة التي تقررها الحكومة، أصبحت أكثر تأثيراً في صنع السياسة العامة، نظراً للتطورات الحاصلة في الدول فالوعي لدى المجتمع أصبح سمة مميزة ساهمت في ترقية أداء الأنظمة السياسية وإجبارها على إيجاد شركاء فاعلين لترقية الممارسات نحو الجودة في الحكم.

الهوامش:

1. عمار عباس، العلاقة بين السلطات في الأنظمة السياسية المعاصرة وفي النظام السياسي الجزائري، (ط01، القبة: دار الخلدونية، 2010م)، ص176.
2. وصال نجيب العزاوي، مبادئ السياسة العامة، (عمان: دار أسامة للنشر والتوزيع، 2005م)، ص41.
3. عمار عباس، المرجع السابق، ص17. (3)
4. الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، الدستور الجزائري 1996م، المادة 85.
5. المرجع نفسه، ص ص46.47.
6. المرجع نفسه، المادة 138.
7. سعد الدين، المجتمع المدني والتحول الديمقراطي في البحرين، (القاهرة: دار أمين للنشر والتوزيع، 1995م)، ص19.
8. حسين توفيق، (بناء المجتمع المدني، المؤشرات الكمية والكيفية)، دراسة مقدمة لندوة، المجتمع المدني والتحول الديمقراطي، القاهرة: مركز دراسات الوحدة العربية، 1992م، ص68.
9. عبد الغفار شكل، (نشأة وتطور المجتمع المدني مكوناته وإطاره التنظيمي)، الحوار المتمدن، محور مواضيع وأبحاث سياسية، العدد 13/10/2004 م، تم الاطلاع عليه في الموقع الإلكتروني، التالي: <http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=24930>
10. محمد أحمد نايف العكش، مؤسسات المجتمع المدني والتحول الديمقراطي، (ط01، عمان: دار الحامد للنشر والتوزيع، 2012م)، ص49، 50.
11. كامل ثامر الخزرجي، النظم السياسية الحديثة والسياسة العامة، (ط02، عمان: دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، 2004م)، ص108.
12. حسين عبد الحميد أحمد رشوان، الأحزاب السياسية والجماعات المحلية،

وجود علاقة إيجابية قوية بين أنشطة القطاع الخاص والنمو الاقتصادي، وأن نمو الإنتاجية يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالاستثمارات الخاصة ومع توجه السياسات الاقتصادية في العقدين الأخيرين من القرن الماضي نحو اقتصاد السوق، فإن الاتجاه نحو الاعتماد على القطاع الخاص وتنفيذ برامج الخصخصة أدى إلى زيادة في نسبة استثمارات القطاع الخاص إلى مجمل الاستثمارات من ناحية وإلى زيادة نسبة الاستثمارات الخاصة إلى الناتج المحلي الإجمالي من ناحية أخرى⁽³²⁾. تسند البيئة الاقتصادية المستقرة والمحفزة لنمو الاستثمار الخاص على أنها تلك التي تتميز بانخفاض عجز الميزانية وتدني معدل التضخم (توازن داخلي) وانخفاض العجز في ميزان الحساب الجاري، وفي المديونية الخارجية، توازن خارجي، تعد أهم المؤشرات السياسية لتقييم مناخ الاستثمار هي:

- مؤشر النمو الاقتصادي.
- مؤشر المديونية.
- مؤشر التوازن الخارجي (العجز أو الفائض في ميزان الحساب الجاري).
- مؤشر التضخم.
- مؤشر سياسة التوازن الداخلي (العجز أو الفائض في الميزانية).

يتضح لنا من خلال دراسة الفترة (2000-2013م)، أن الجزائر نجحت إلى حد بعيد في تحقيق التوازنات الكلية للاقتصاد ولا سيما بعد تطبيق برنامج الإصلاح الاقتصادي (1994-1998م)، المدعم من طرف صندوق النقد الدولي، ولمعرفة الدور الذي يلعبه القطاع الخاص في صنع السياسات العامة لا بد من معرفة العلاقة بين رجال الأعمال والحكومة، لأن نشاط هؤلاء لا يقام من فراغ، ففي ظل غياب الشفافية يمكن أن يكون نوم بعض رجال الأعمال في سرير الحكومة مصدر الفساد والإفساد، وهذا لا يمنع من وجود رجال أعمال مخلصين وصادقين، وهذا الشيء ينطبق على كثير من أرباب السياسة الذين حرصوا على تكريس ممارسة المناقضة لتلك الممارسات القانونية لكثير من المنتخبين والمسؤولين الذين روجوا لمشروعات وهمية تمكنوا على إثرها من نهب المال العام ليظهروا في صورة شاشات التلفزيون والصحف الخاصة.

شهدت الجزائر منذ مدة تنامياً ملحوظاً لوجود رجال الأعمال أصبحوا فاعلين رئيسيين في الوساطة بين المؤسسات الرسمية والمواطن، إذ أضحي الوجود القوي لرجال الأعمال كنواب داخل البرلمان والمجالس المحلية ظاهرة لافتة، ومع اتباع الجزائر سياسات التحرر الاقتصادي والخصخصة وانقلابها على نمط الاقتصاديات المركزية المدارة من المؤسسات الرسمية وتفضيلها التدريبي للقطاع الخاص كقاطرة للنمو، بدأت الكيانات التنظيمية لأصحاب الأعمال تضطلع بأدوار مهمة في صناعة القرار التنفيذي العام المتصل بالشؤون الاقتصادية والاجتماعية، وفي هندسة البيئة القانونية الناظمة لنشاط القطاع الخاص، فرجال الأعمال في الجزائر ارتقوا إلى مصاف الشراكة المؤطرة مع نخب الحكم والممارسة بصورة دورية بغية تحديد تفضيلات الدولة صوب قضايا متنوعة، إما لسوق العمل كهيكلية الأجور وسياسة الضمان الاجتماعي والمعاشات وإعانات البطالة، رغم المعارضة التي تلقاها القطاع من طرف بعض الأحزاب السياسية ومن أهمها حزب العمال (يساري التوجه)، إلا أن دوره تطور وبقوة بوصفه شريكاً

- الإسكندرية: مركز الإسكندرية للكتاب، 2008م)، ص 27.
13. السيد عبد العاطي السيد، وآخرون، علم الاجتماع، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 2002م)، ص 346.
14. عبد الفتاح ماضي، (كيف تنتقل نظم الحكم إلى الديمقراطية) مجلة الديمقراطية للأهرام، القاهرة، العدد: 43، جويلية 2011م، ص 25.
15. حسين عبد الحميد أحمد رشوان، المرجع السابق، ص 55.
16. ناجي عبد النور، تجربة التعددية الحزبية والتحول الديمقراطي دراسة تطبيقية في الجزائر، (القاهرة: دار الكتاب الحديث، 2014م)، ص 146.
17. ياسمين محمد العيثاوي، السياسة الأمريكية بين الدستور والقوى السياسية، (عمان: دار أسامة للنشر والتوزيع، 2009م)، ص 71.
18. محمد زاهي بشير المغربي، السياسة المقارنة إطار نظري، (بنغازي: دار الكتب الوطنية، 1996م)، ص 189.
19. هشام محمود الأقداحي، معالم النظم السياسية المعاصرة، (الإسكندرية: مؤسّسة شباب الجامعة، 2009م)، ص 412.
20. صايل زكي الخطابية، مدخل إلى علم السياسة، (عمان: دار وائل للنشر، 2010م)، ص 218.
21. مرسي السيد حجازي، الخصخصة: إعادة ترتيب دور الدولة ودور القطاع الخاص، (بيروت: دار الجامعة للنشر والتوزيع، (د.س.ن.))، ص 149-.
22. مهند إبراهيم، وآخرون، النظام القانوني للتحوّل إلى القطاع الخاص «الخصخصة» دراسة مقارنة، (ط01، عمان: دار الجامعة للنشر والتوزيع، 2008م)، ص 22.
23. مرسي السيد حجازي، المرجع السابق، ص 15.
24. مهند إبراهيم، المرجع السابق، ص 21 - 23.
25. مرسي السيد حجازي، المرجع السابق، ص 18 - 23.
26. المرجع نفسه، ص 23.
27. الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، الديوان الوطني للإحصائيات، تقرير وطني، يتضمن نسبة التشغيل للقطاع الخاص الجزائري، السنة 2012م، ص 12.
28. المرجع نفسه، ص 13.
29. المرجع نفسه، ص 13. (30)
30. مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار، اقتصاديات التحوّل خلال خمسة عشر عاماً: الإنجازات والتحديات، ديسمبر 2005م، ص 68.
31. مليكة صديقي، برنامج الإصلاح الهيكلي وأزمة التحوّل في الاقتصاديات الانتقالية: حالة الجزائر، أطروحة دكتوراه دولة، (غير منشورة)، كلية العلوم الاقتصادية والتسيير، جامعة الجزائر 3، السنة 2007م، ص 198.
- 2012م.
5. عمار عباس، العلاقة بين السلطات في الأنظمة السياسية المعاصرة وفي النظام السياسي الجزائري، (ط01، القبة: دار الخلدونية، 2010م).
6. سعد الدين، المجتمع المدني والتحول الديمقراطي في البحرين، (القاهرة: دار أمين للنشر والتوزيع، 1995م).
7. السيد عبد العاطي السيد، وآخرون، علم الاجتماع، (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 2002م).
8. صايل زكي الخطابية، مدخل إلى علم السياسة، (عمان: دار وائل للنشر، 2010م).
9. كامل ثامر الخزرجي، النظم السياسية الحديثة والسياسة العامة، (ط02، عمان: دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، 2004م).
10. محمد أحمد نايف العكش، مؤسّسات المجتمع المدني والتحوّل الديمقراطي، (ط01، عمان: دار الحامد للنشر والتوزيع، 2012م).
11. محمد زاهي بشير المغربي، السياسة المقارنة إطار نظري، (بنغازي: دار الكتب الوطنية، 1996م).
12. مرسي السيد حجازي، الخصخصة: إعادة ترتيب دور الدولة ودور القطاع الخاص، (بيروت: دار الجامعة للنشر والتوزيع، (د.س.ن.))، ص 149-.
13. مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار، اقتصاديات التحوّل خلال خمسة عشر عاماً: الإنجازات والتحديات، ديسمبر 2005م.
14. مهند إبراهيم، وآخرون، النظام القانوني للتحوّل إلى القطاع الخاص «الخصخصة» دراسة مقارنة، (ط01، عمان: دار الجامعة للنشر والتوزيع، 2008م).
15. ناجي عبد النور، تجربة التعددية الحزبية والتحول الديمقراطي دراسة تطبيقية في الجزائر، (القاهرة: دار الكتاب الحديث، 2014م).
16. وصال نجيب العزاوي، مبادئ السياسة العامة، (عمان: دار أسامة للنشر والتوزيع، 2005م).
17. ياسمين محمد العيثاوي، السياسة الأمريكية بين الدستور والقوى السياسية، (عمان: دار أسامة للنشر والتوزيع، 2009م).
18. هشام محمود الأقداحي، معالم النظم السياسية المعاصرة، (الإسكندرية: مؤسّسة شباب الجامعة، 2009م).
19. مليكة صديقي، برنامج الإصلاح الهيكلي وأزمة التحوّل في الاقتصاديات الانتقالية: حالة الجزائر، أطروحة دكتوراه دولة، (غير منشورة)، كلية العلوم الاقتصادية والتسيير، جامعة الجزائر 3، السنة 2007م.
20. عبد الفتاح ماضي، (كيف تنتقل نظم الحكم إلى الديمقراطية)، مجلة الديمقراطية للأهرام، القاهرة، العدد: 43، جويلية 2011م.
21. عبد الغفار شكل، (نشأة وتطور المجتمع المدني مكوناته وإطاره التنظيمي)، الحوار المتمدن، محور مواضيع وأبحاث سياسية، العدد 13/10/2004م، تم الاطلاع عليه في الموقع الإلكتروني، التالي: <http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=24930>

المصادر والمراجع:

1. حسين توفيق، (بناء المجتمع المدني، المؤشرات الكمية والكيفية)، دراسة مقدمة لندوة، المجتمع المدني والتحوّل الديمقراطي، القاهرة: مركز دراسات الوحدة العربية، 1992م.
2. حسين عبد الحميد أحمد رشوان، الأحزاب السياسية والجماعات المحلية، (الإسكندرية: مركز الإسكندرية للكتاب، 2008م).
3. الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، الدستور الجزائري 1996م.
4. الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، الديوان الوطني للإحصائيات، تقرير وطني، يتضمن نسبة التشغيل للقطاع الخاص الجزائري، السنة

**درجة توافر معايير الجودة العالمية
في كتاب التربية الاجتماعية والوطنية المطور
للف الرابع الابتدائي في المملكة العربية السعودية
من وجهة نظر معلمي التربية الاجتماعية والوطنية
والمشرفين التربويين***

أ. عبد الرحمن البلوي
د. خالد العزي*****

* تاريخ التسليم: 2014/8/23م، تاريخ القبول: 2014/9/30م.
** مدرس / مشرف تربوي / السعودية.
*** أستاذ مشارك / جامعة اليرموك / الأردن.

were found in the means scores of sample of the study on all domains concerning the availability degree of international quality standards in the developed social and national education textbooks due to educational level , except for objectives standards and content standards, and differences were between PhD holders means scores from one hand and less than BA and MA holders on the other, in favor of and less than BA and MA holders. In light of the results reported in the study, the researcher suggested some recommendations in including conducting future studies to identify the obstacles hindering the instruction of social studies and overcoming them.

Key words: evaluation, assessment, standards, quality, social and national education textbooks.

مقدمة:

تمثل المناهج الدراسية جوهر العملية التعليمية، كما تشكل نوعية محتواها الإطار النفسي، والفلسفي، والاجتماعي والفكري فهي تعكس الفلسفة التربوية للمجتمع وتترجمها على أرض الواقع إلى أساليب وإجراءات، وهي تحتاج شأنها شأن النظم التربوية الأخرى إلى التقويم والتعديل والتطوير، وذلك بسبب التطورات، والتغيرات السريعة التي يشهدها عصرنا الحالي، وكان من ورائها التقدم العلمي والتكنولوجي الهائل.

لذا لا بد من الاهتمام بالكتاب المدرسي؛ لأنه الوعاء الذي يتضمن المحتوى المعرفي للمادة الدراسية المقررة على الطلبة، ويمثل أحد العناصر المهمة في المنهج، وقد اكتسب الكتاب أهمية كبيرة في ظل المنهج التربوي، الذي يُعد الكتاب المدرسي المصدر الأساسي في إكساب الطلبة الحقائق، والمفاهيم، والمبادئ والتعميمات بغرض إعدادهم للحياة، وأدى هذا إلى جعل الكتاب المدرسي محوراً للعملية التعليمية (أبو جلاله وعليمات، 2001).

وتقود عملية تقييم جودة الكتاب المدرسي إلى تطويره وتحسين محتواه من خلال الحذف والإضافة والتعديل، كما تفيد في فهم المحتوى، وتحسين عملية التدريس، وتحدد ما يتضمنه الكتاب من الوسائل والأنشطة، وأساليب التقويم وبالتالي تحديد نقاط القوة والضعف ومعالجتها من خلال عملية التطوير.

وتعتمد الكتب المدرسية في تقييم محتواها على معايير محددة، تستند إلى أدوات تبنى على قاعدة من الصدق والثبات، لتكون النتائج صادقة موثوقاً بها، وتشمل أدوات غالبية عناصر المحتوى، من هنا فإن كل دول العالم التي تنشأ التقدم والرقي تخضع مناهجها ممثلة بالكتب المدرسية لعمليات التقييم المستمرة، بهدف تحسينها وتطويرها (Aji boye, 2009).

ومن الأساليب المعتمدة في التقييم الأسلوب الواقعي لتقييم الكتاب المدرسي، الذي يقصد به "دراسة الكتاب المقصود لمعرفة مواطن القوة والضعف فيه، وفق المعايير والمواصفات العالمية التي وضعت للكتاب المدرسي الجيد بما يتلاءم وحاجات المجتمع، وحاجات الطلبة الذين يخصهم الكتاب" (الجبر، 2005، 885). لهذا زاد اهتمام الباحثين والمتخصصين بتقييم كتب الدراسات الاجتماعية والوطنية، وتقييمها وتطويرها بما يتناسب وطبيعة المجتمع والفئة المستهدفة.

ملخص:

هدفت هذه الدراسة إلى تعرف درجة توافر معايير الجودة العالمية في كتاب التربية الاجتماعية والوطنية المطور للصف الرابع الابتدائي من وجهة نظر المشرفين التربويين ومعلمي ومعلمات التربية الاجتماعية والوطنية في المملكة العربية السعودية. تكوّن مجتمع الدراسة من (124) معلماً ومعلمة و (30) مشرفاً ومشرفة. جرى تطوير استبانة خاصة بالدراسة تتكون من شقين: الأول يتضمن معلومات أساسية حول مجتمع الدراسة، والثاني يتضمن معايير الجودة العالمية. وخلصت الدراسة إلى أن مجالات الدراسة الأربعة قد حصلت على درجة تقديرات متوسطة في درجة التقييم، كما أظهرت نتائج الدراسة عدم وجود فروق دالة إحصائياً عند مستوى الدلالة الإحصائية ($\alpha=0.05$)، وبينت نتائج الدراسة عدم وجود فروق دالة إحصائياً عند مستوى الدلالة الإحصائية ($\alpha=0.05$)، بين متوسطات تقديرات أفراد العينة على جميع المجالات لدرجة توافر معايير الجودة العالمية في كتاب التربية الاجتماعية والوطنية المطور ككل من وجهة نظرهم تعزى لمتغير المؤهل العلمي باستثناء مجالي (معايير الأهداف، ومعايير المحتوى)، إذ كان هناك فروق دالة إحصائياً بين متوسط تقديرات ذوي المؤهل العلمي (دكتوراه) من جهة، ومتوسط تقديرات ذوي المؤهل العلمي (بكالوريوس فأقل، وماجستير) من جهة أخرى، وذلك لصالح تقديرات ذوي المؤهل العلمي (بكالوريوس فأقل، وماجستير).

الكلمات المفتاحية: تقييم، معايير، الجودة، كتاب التربية الاجتماعية والوطنية

The Extent To Which International Quality Assurance are Available in the revised Social and National education Textbooks for 4th Grade Students at Kingdom of Saudi Arabia: from the perspective of Social Studies Teachers and Educational Supervisors

Abstract:

The purpose of the current study was to investigate Availability level of international quality standards in developed social and national education textbooks for 4th grade students at Kingdom of Saudi Arabia from social and national studies teachers and educational supervisors. The population of the study consisted of (124) teachers and educational supervisors was drawn from this population. The researcher developed a 2 section questionnaire to collect data. the first section of the questionnaire included demographic information about the sample while the second section included international quality standards.

Results of the study indicated that sample of the study reported moderate levels in the estimation degree. No significant differences were found in estimation degrees. No significant differences ($\alpha=0.05$)

ومن خلال نتائج الدراسة تبين أن هناك بعض الفروق ذات الدلالة الإحصائية بين تصورات المعلمين والمعلمات الممارسات الفعلية في تدريس وتقييم كتب التربية الوطنية وبين الممارسات الفعلية التي يمارسونها في الصف المدرسي.

أما دراسة العنزي (2006) فقد تناولت تقييم كتاب الدراسات الاجتماعية للصف التاسع في دولة الكويت في ضوء المعايير المعاصرة والواجب توافرها في الكتب المدرسية، وفعاليته في إشراك الطالب وتنمية مهاراته المختلفة. تكونت عينة الدراسة من كتاب الدراسات الاجتماعية للصف التاسع، وأبرز ما توصلت إليه الدراسة: كانت الدرجة الكلية للتقديرات التقييمية لكتاب الدراسات الاجتماعية في ضوء المعايير المعاصرة المرتفعة. وجاءت مجالات الإخراج الفني، المحتوى، الوسائل التعليمية والأنشطة التعليمية، وأساليب التقويم بتقديرات مرتفعة. في حين جاءت مجالات طريقة عرض المحتوى وتنظيمه، والمقدمة، والأهداف التعليمية بتقديرات متوسطة. كما أشارت الدراسة إلى ضعف إشراكية الكتاب المدرسي للطالب من خلال طريقة عرض المادة العلمية والأنشطة والوسائل التعليمية والرسوم والصور وخلصات الفصول.

وأجرت عليّات (2006) دراسة هدفت إلى معرفة اتجاهات المعلمين نحو كتب التربية الاجتماعية والوطنية للمرحلة الأساسية في الأردن وبناء نموذج لتطويرها في ضوء المعايير العالمية للكتب المدرسية. تكونت عينة الدراسة من (366) معلماً ومعلمة وأظهرت النتائج تدنياً في اتجاهات عينة الدراسة نحو الكتاب المدرسي وبخاصة في مجالي المقدمة والأهداف، بينما أظهرت النتائج وجود اتجاهات مرتفعة لدى المعلمين في مجالي عرض المحتوى والوسائل التعليمية.

وأجرى مرأشدة (2007) دراسة هدفت إلى تقييم كتب التربية الوطنية للصف التاسع الأساسي في الأردن من خلال استطلاع آراء المعلمين الذين يدرسون الكتاب. وزعت استبانة على عينة مكونة من (102) معلم ومعلمة، وأظهرت النتائج ما يلي: كانت تقديرات المعلمين لكتب التربية الوطنية متوسطة بشكل عام، إذ جاءت المتوسطات الحسابية لمجالات المقدمة والمحتوى والأنشطة المصاحبة والصور والأشكال والخرائط والتقييم والشكل والإخراج متوسطة. بينما جاء المتوسط الحسابي لمجال المعينات على استخدام الكتاب منخفضاً. كما أظهرت النتائج عدم وجود فرق دالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha = 0.05$) في تقديرات المعلمين لكتاب التربية الوطنية تعزى لمتغيرات الجنس والتخصص والخبرة والمؤهل العلمي.

وأجرى تشيدو والعزي (2008) (Chiodo & Alazzi) دراسة بعنوان تصورات طلبة الدراسات الاجتماعية حول مفهوم الهوية الوطنية والمواطنة، وأجريت الدراسة على طلبة الأردن في الصفوف المتوسطة والثانوية، وزع الباحثان استبانة على عينة مكونة من (509) طالباً وطالبة، حيث حاولت الدراسة أن تتناول تصورات الطلبة وتقييمهم لمفهوم التربية الوطنية والمواطنة الواردة في النصوص المدرسية وتصوراتهم ومعتقداتهم حول مفهوم المواطنة الجيدة. وقد توصلت الدراسة إلى أن الطلبة يعتقدون بأنهم يلصقون صفة المواطن الجيد حول المشاركة في النشاطات التي تتناول مفهوم المواطنة الجيدة.

ينبغي أن تتوافر في المنهج، تلبية رغبات الطلبة ومطالب سوق العمل على المستوى العالمي (علي، 2005، 934).

ويعرفها الباحثان إجرائياً: مجموعة المعايير والمستويات والمؤشرات المقترحة من الباحثين والمستندة إلى المعايير العالمية المستخدمة في كثير من دول العالم المتقدمة لبناء منهاج الدراسات الاجتماعية، التي ينبغي توافرها في كتاب التربية الاجتماعية والوطنية المطور للصف الرابع الابتدائي، إذ تلبية احتياجات الطلبة ومطالبهم المعرفية والنفسية والاجتماعية، ويقاس تحققها عن طريق تحقق المستويات والمؤشرات التي تدرج تحتها.

كتاب التربية الاجتماعية والوطنية المطور: هو الكتاب الذي يشمل: التاريخ، والجغرافيا، والوطنية والمقرر للصف الرابع الابتدائي الذي أقرته وزارة التربية والتعليم السعودية في العام 2010/2011، ويدرس في جميع المدارس الحكومية والأهلية بالملكة.

الدراسات السابقة

هدفت دراسة ربيعة (1999) إلى معرفة اتجاهات المعلمين والمعلمات نحو كتب التربية الوطنية الفلسطينية للصفوف الأساسية الثلاثة (الرابع، الخامس، والسادس) وطور ربيعة استبانة تكونت من (56) فقرة موزعة على خمسة مجالات هي: أهداف الكتاب، والإخراج الفني، ومحتوى الكتاب، والوسائل التعليمية والأنشطة، والتقييم. وأظهرت النتائج أن الدرجة الكلية لاتجاهات معلمي ومعلمات الدراسات الاجتماعية نحو كتب التربية الوطنية الفلسطينية كانت مرتفعة. إذ جاءت مجالات الإخراج الفني، والأهداف، والمحتوى، ووسائل التقويم بدرجة مرتفعة من الاتجاهات. بينما جاء مجال الوسائل التعليمية والأنشطة بدرجة متوسطة من الاتجاهات. وأظهرت النتائج أيضاً وجود فرق دالة إحصائية في تقدير درجة المراعاة تعزى للمؤهل العلمي ولصالح حملة الدبلوم العالي، ولمتغير الخبرة ولصالح أصحاب الخبرة أقل من خمس سنوات.

وأجرى الأحمد (2004) دراسة بعنوان تقييم كتاب التربية الوطنية للصف الأول ثانوي من وجهة نظر المعلمين في المدينة المنورة، هدفت إلى تقييم كتب التربية الوطنية للصف الأول الثانوي من وجهة نظر المعلمين في المدينة المنورة من حيث: أهداف الكتاب، ومحتواه، وإخراجه الفني، ومقدمته، وتنظيم الخبرات والأنشطة، وتقييمه. أجريت الدراسة على عينة قوامها (237) معلماً. بينت نتائج الدراسة إن المعلمين أظهروا درجات تقدير مرتفعة نحو جميع المجالات، وأظهرت النتائج عدم وجود فروق داله في تقديرات المعلمين يمكن أن تعزى لمتغيرات الجنس والمؤهل العلمي والتفاعل بينهما.

أجرى هارمون وواندا (2004) (Wanda & Harmon) دراسة بعنوان (تصورات وممارسات المعلمين في تدريس مواد التربية الوطنية في الصفوف من الرابع حتى الثامن الابتدائي)، وقد أجريت هذه الدراسة لتعرف تصورات ومعتقدات معلمي ومعلمات التربية الوطنية في المدارس المتوسطة حول دليل المعلم الذي يتبعونه، حيث استخدمت الدراسة استبانة تقيس هذه التصورات، تكونت عينة الدراسة من (320) من معلمي ومعلمات التربية الوطنية،

مجتمع الدراسة

تكون مجتمع الدراسة من جميع معلمي التربية الاجتماعية والوطنية للصف الرابع الابتدائي، وجميع مشرفي التربية الاجتماعية والوطنية للمرحلة الابتدائية، في محافظة القريات في المملكة العربية السعودية، والبالغ عددهم (209) معلماً ومعلمة ومشرفاً تربوياً ومشرفة تربوية للتربية الاجتماعية والوطنية، منهم (182) معلماً ومعلمة، و(27) مشرفاً تربوياً ومشرفة تربوية، حسب إحصائيات إدارة التربية والتعليم في محافظة القريات للعام الدراسي (1432 - 1433هـ).

عينة الدراسة

قام الباحثان بأخذ عينة من مجتمع الدراسة تكونت من (124) معلماً ومعلمة ومشرفاً تربوياً ومشرفة تربوية للتربية الاجتماعية والوطنية، حيث تم اختيارهم بالطريقة العشوائية الطبقية. والجدول (1) يبين توزيع أفراد العينة حسب متغيرات الدراسة.

جدول (1)

توزيع أفراد عينة الدراسة حسب متغيراتها

المتغيرات	المستويات	العدد	النسبة المئوية %
المسمى الوظيفي	مشرف	30	24.19
	معلم	94	75.81
الجنس	ذكر	57	45.97
	أنثى	67	54.03
المؤهل العلمي	دكتوراه	4	3.23
	ماجستير	22	17.74
	بكالوريوس فأقل	98	79.03
الخبرة التدريسية أو الإشرافية	أقل من 5 سنوات	41	33.06
	من 5 - 10 سنوات	44	35.48
	أكثر من 10 سنوات	39	31.45
	المجموع	124	100.00 %

أداة الدراسة

قام الباحث بإعداد أداة خاصة لقياس درجة توافر معايير الجودة العالمية في كتب التربية الاجتماعية والوطنية المطور للصف الرابع الابتدائي في المملكة العربية السعودية من وجهة نظر معلمي التربية الاجتماعية والوطنية والمشرفين التربويين، وذلك من خلال الاطلاع على معايير الجودة العالمية في الأدب النظري والدراسات السابقة ذات الصلة بموضوع الدراسة، وبالإستعانة بذوي الخبرة والاختصاص، إذ جرى توزيعها على أربعة مجالات هي: مجال شكل الكتاب وتنظيمه، ومجال الأهداف، ومجال المحتوى، ومجال التقويم، علماً أن كل فقرة تمثل معياراً من معايير الجودة العالمية لتقييم كتاب التربية الاجتماعية والوطنية المطور.

وأجرت الهندي (2009) دراسة بعنوان (تحليل كتب التربية الوطنية للمرحلة الأساسية الدنيا في المنهاج الفلسطيني: دراسة نقدية)، هدفت إلى نقد وتحليل كتب التربية الوطنية الفلسطينية للصفوف الأساسية الأربعة الأولى: في ضوء معايير مقترحة، وأظهرت نتائج الدراسة لدرجة تحقيق المعايير الكلية لجميع الجوانب والصفوف الأربعة، أن المحتوى احتل المرتبة الأولى، حيث جاءت درجة تحقيقه للمعايير مرتفعة، وأن تنظيم المحتوى احتل المرتبة الثانية، وكانت درجة تحقيقه للمعايير مرتفعة أيضاً، وأن الأنشطة والأسئلة جاءت في المرتبة الثالثة، فدرجة تحقيقه جاءت متوسطة، بينما جاءت طريقة عرض المحتوى في المرتبة الرابعة والأخيرة، إذ جاءت درجة تحقيقها للمعايير، كما أظهرت نتائج الدراسة أن درجة تحقيق المعايير الكلية لجميع الجوانب ولجميع الصفوف متوسطة.

وأجرى رفاعي (2009) دراسة هدفت إلى معرفة اتجاهات الطلاب والمعلمين نحو كتب التربية الاجتماعية في المرحلة الثانية من التعليم الأساسي بمحافظة دمشق بالجمهورية العربية السورية. وقسمت أسئلة الدراسة إلى ثلاثة مجالات هي (المحتوى، وشكل الكتاب، والتقويم). وأظهرت النتائج الآتي: وجود اتجاهات سلبية لمعلمي التربية الاجتماعية في الحلقة الثانية من التعليم الأساسي نحو كتاب التربية الاجتماعية بشكل عام، حيث جاءت تقديرات المعلمين واتجاهاتهم نحو مجالات الدراسة سلبية. كما بينت نتائج الدراسة عدم وجود فرق دالة إحصائية في اتجاهات المعلمين نحو كتاب التربية الاجتماعية تبعاً لمتغيرات المؤهل العلمي والخبرة والتخصص.

وأجرى العنزي (2011) دراسة بعنوان (تقييم كتاب الدراسات الاجتماعية والوطنية المطور للصف الأول المتوسط من وجهة نظر معلمي الدراسات الاجتماعية بمحافظة القريات بالمملكة العربية السعودية). هدفت إلى التعرف على تقييم كتاب الدراسات الاجتماعية والوطنية المطور للصف الأول المتوسط من وجهة نظر معلمي الدراسات الاجتماعية في ضوء بعض المتغيرات: التخصص، والخبرة التعليمية، والمؤهل العلمي. أظهرت نتائج الدراسة وجود فروق ذات دلالة إحصائية ($\alpha = 0.05$) تعزى للمؤهل العلمي في كل من مقدمة الكتاب والأهداف والمحتوى، وجاءت الفروق لصالح الدراسات العليا، كما أظهرت نتائج الدراسة عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية ($\alpha = 0.05$) تعزى لأثر سنوات الخبرة والتخصص في جميع المجالات.

ومما لا شك فيه أن هذه الدراسة تتفق مع الدراسات السابقة من حيث أهمية الكتاب المدرسي، ومن ثم العمل على تقييمه في ضوء معايير الجودة العالمية وهذا ما يميز هذه الدراسة عن غيرها. ولم يعثر الباحثان على دراسة تناولت درجة توافر معايير الجودة العالمية في كتاب التربية الاجتماعية والوطنية المطور للصف الرابع الابتدائي في المملكة العربية السعودية.

الطريقة والإجراءات

منهجية الدراسة

استخدم الباحثان المنهج الوصفي التحليلي لغايات الدراسة، إذ يعتمد هذا المنهج على وصف الظواهر ذات العلاقة بالدراسة، ومن ثم تحليلها للخروج بالنتائج المناسبة.

صدق الأداة

الجدول (2)

قيم معاملات ثبات الإعادة والاتساق الداخلي لكل مجال من مجالات استبانة درجة الاستخدام

الرقم	المجالات	عدد الفقرات	قيم معاملات الثبات بيرسون	كرونباخ ألفا
1	مجال معايير شكل الكتاب وتنظيمه	10	0.90	0.88
2	مجال معايير الأهداف	6	0.84	0.84
3	مجال معايير المحتوى	12	0.85	0.84
4	مجال معايير التقويم	10	0.87	0.83
	الأداة ككل	38	0.92	0.90

متغيرات الدراسة

اشتملت الدراسة على المتغيرات الآتية:

أولاً: المتغيرات المستقلة

♦ المسمى الوظيفي: وله مستويان: (معلم التربية الاجتماعية والوطنية، ومشرف التربية الاجتماعية والوطنية).

♦ الجنس: وله فئتان: (ذكر، وأنثى).

♦ الخبرة التدريسية أو الاشرافية: ولها ثلاث مستويات: (أقل من 5 سنوات، من 5-10 سنوات، أكثر من 10 سنوات).

♦ المؤهل العلمي: وله ثلاث مستويات: (بكالوريوس فأقل، وماجستير، ودكتوراه).

ثانياً: المتغير التابع:

درجة توافر معايير الجودة العالمية في كتاب التربية الاجتماعية والوطنية المطور للصف الرابع الابتدائي.

إجراءات الدراسة

لتحقيق أهداف الدراسة، قام الباحثان بالإجراءات الآتية:

♦ الرجوع إلى الأدب النظري والدراسات السابقة المتعلقة بموضوع الدراسة، إذ قام الباحثان باستخلاص معايير الجودة العالمية.

♦ إعداد أداة للدراسة مكونة من (38) فقرة وعرضها على مجموعة من ذوي الاختصاص والخبرة، وطلب منهم إبداء الرأي حول صلاحية الفقرات وانتمائها للمجال الذي تدرج تحته.

♦ التحقق من ثبات الأداة من خلال تطبيق الأداة على عينة استطلاعية مكونة من (28) معلماً ومشرفاً من خارج عينة الدراسة، كما تم حساب معامل الثبات حسب معادلة كرونباخ ألفا.

♦ توزيع (140) استبانة، تم استرداد (130) منها، عند اطلاع الباحثان على الاستبانة، لاحظ أن هناك (6) استبانة غير مكتملة الإجابة فتم إسقاطها، وخضعت (124) استبانة للتحليلات الإحصائية. واستغرقت عملية توزيع الاستبانة واستردادها من أفراد العينة أسبوعين كاملين.

♦ تفرغ استجابات أفراد العينة على الاستبانة في ذاكرة الحاسوب، وإجراء التحليلات الإحصائية باستخدام البرنامج الإحصائي (SPSS) للخروج بالنتائج والتوصيات.

جرى التحقق من صدق أداة الدراسة من خلال عرضها على مجموعة من المحكمين من ذوي الاختصاص والخبرة في جامعة اليرموك، والجامعات السعودية، وبعض المشرفين التربويين، وطلب إليهم إبداء رأيهم حول مدى صلاحية كل فقرة وانتمائها للمجال الذي تدرج تحته، وسلامة صياغتها اللغوية، إذ تكونت أداة الدراسة من (38) فقرة وزعت على مجالات الأداة الأربعة، وفي ضوء اقتراحات المحكمين وآرائهم، قام الباحثان بإجراء التعديلات اللازمة على فقرات الأداة، وبذلك اعتبر الباحثان آراء المحكمين وتعديلاتهم فيما يتصل بالفقرات دلالة صدق كافية لأغراض الدراسة. إذ وزعت على أربع مجالات كالآتي:

1. مجال شكل الكتاب وتنظيمه واشتمل على (10) فقرات.

2. مجال الأهداف واشتمل على (6) فقرات.

3. مجال المحتوى واشتمل على (12) فقرة.

4. مجال التقويم واشتمل على (10) فقرات.

وجرى إعداد الأداة بحيث يتمكن المعلم أو المشرف التربوي من تحديد درجة توافر معايير الجودة العالمية في كتاب التربية الاجتماعية والوطنية المطور للصف الرابع الابتدائي من وجهة نظرهم، وذلك على مقياس ليكرت (Likert) المكون من خمس درجات للموافقة مرتبة تنازلياً على النحو الآتي: يتوافر المعيار بدرجة كبيرة جداً (5) درجات، وبدرجة كبيرة (4) درجات، وبدرجة متوسطة (3) درجات، وبدرجة قليلة (2) درجات، ولا يتوافر المعيار مطلقاً (1) درجة واحدة. وقد استخدم التدرج الإحصائي التالي لتوزيع المتوسطات الحسابية:

- أولاً: (1 - 1.49) درجة توافر معدومة.

- ثانياً: (1.50 - 2.49) درجة توافر بدرجة قليلة.

- ثالثاً: (2.50 - 3.49) درجة توافر بدرجة متوسطة.

- رابعاً: (3.50 - 4.49) درجة توافر بدرجة كبيرة.

- خامساً: (4.50 - 5.00) درجة توافر بدرجة كبيرة جداً.

ثبات الأداة

للتحقق من ثبات الأداة، قام الباحثان بحساب معاملات الثبات لها بطريقتين: الأولى طريقة التطبيق وإعادة التطبيق للاستبانة على عينة مكونة من (28) معلماً ومشرفاً، من خارج عينة الدراسة، وبفارق زمني مقداره أسبوعان بين التطبيقين الأول والثاني، وجرى حساب معاملات ارتباط بيرسون بين نتائج التطبيقين، حيث تراوحت قيم معاملات الثبات بين (0.84 - 0.90) للمجالات، و (0.92) للأداة الكلية. أما الطريقة الثانية، فقد استخدم فيها طريقة كرونباخ ألفا لتعرف اتساق الفقرات، فتراوحت قيم معاملات الثبات للمجالات بين (0.83 - 0.88)، و (0.90) للأداة الكلية. والجدول (2) يوضح قيم معاملات الثبات للمجالات بطريقة الإعادة، وبطريقة كرونباخ ألفا للاتساق الداخلي.

المعالجات الإحصائية

للإجابة عن أسئلة الدراسة، جرى استخدام المعالجات الإحصائية الآتية:

- المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لكل فقرة من فقرات أداة الدراسة ومجالاتها.
- اختبار (ت) للعينات المستقلة (Independent Samples t test)، اختبار تحليل التباين المتعدد (MANOVA)، اختبار تحليل التباين الثلاثي (Three-Way ANOVA).
- اختبار شيفيه (Scheffe) للمقارنات البعدية.

نتائج الدراسة

أولاً: النتائج المتعلقة بالسؤال الأول

◀ نص السؤال على: «ما درجة توافر معايير الجودة العالمية في كتاب التربية الاجتماعية والوطنية المطور للصف الرابع الابتدائي في المملكة العربية السعودية من وجهة نظر معلمي التربية الاجتماعية والوطنية والمُشرفين التربويين؟»

للإجابة عن هذا السؤال، جرى حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتقديرات أفراد عينة الدراسة لدرجة توافر معايير الجودة العالمية في كتب التربية الاجتماعية والوطنية المطور للصف الرابع الابتدائي في المملكة العربية السعودية من وجهة نظر معلمي التربية الاجتماعية والوطنية والمُشرفين التربويين، والجدول (3) يبين ذلك.

جدول (3)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتقديرات أفراد العينة على مجالات الدراسة مرتبة تنازلياً حسب المتوسطات الحسابية

الرتبة	الرقم	المجالات	المتوسط الحسابي*	الانحراف المعياري	درجة التوافر
1	1	مجال معايير شكل الكتاب وتنظيمه	3.51	0.34	كبيرة
2	2	مجال معايير الأهداف	3.29	0.59	متوسطة
3	3	مجال معايير المحتوى	2.65	0.36	متوسطة
4	4	مجال معايير التقويم	2.62	0.40	متوسطة
		المجالات ككل	2.97	0.26	متوسطة

* الدرجة العظمى من (5)

يبين الجدول (3) أن المجال الأول «مجال معايير شكل الكتاب وتنظيمه» قد احتل المرتبة الأولى بمتوسط حسابي (3.51) وانحراف معياري (0.34)، وجاء المجال الثاني «مجال معايير الأهداف» في المرتبة الثانية بمتوسط حسابي (3.29) وانحراف معياري (0.59)، وجاء في المرتبة الثالثة مجال (معايير المحتوى) بمتوسط حسابي (2.65)، وانحراف معياري (0.36)، بينما جاء المجال الرابع (مجال معايير التقويم) بالمرتبة الأخيرة بمتوسط حسابي (2.62) وانحراف معياري (0.40)، وقد بلغ المتوسط

الحسابي لتقديرات أفراد عينة الدراسة لدرجة توافر معايير الجودة العالمية في كتب التربية الاجتماعية والوطنية المطور للصف الرابع الابتدائي في المملكة العربية (2.97) وانحراف معياري (0.26)، وهو يقابل التقدير درجة توافر متوسطة. وقد تم حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتقديرات أفراد عينة الدراسة على فقرات مجالات الدراسة، حيث كانت على النحو الآتي:

المجال الأول: مجال معايير شكل الكتاب وتنظيمه

احتسبت المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتقديرات أفراد عينة الدراسة، على فقرات هذا المجال، حيث كانت كما هي موضحة في الجدول (4).

جدول (4)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتقديرات أفراد عينة الدراسة على مجال معايير شكل الكتاب وتنظيمه مرتبة تنازلياً

الرقم	الفقرات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة التوافر
7	المسافات بين الكلمات والسطور مناسبة	3.75	1.00	كبيرة
9	توظيف الأشكال والرسوم بشكل جيد	3.71	1.03	كبيرة
10	يرتبط تصميم الغلاف بالمحتوى العلمي للكتاب	3.69	0.96	كبيرة
6	يشمل فهرساً يوضح محتوياته	3.67	0.99	كبيرة
4	استخدام الخط المناسب لعمر الطلبة	3.56	0.90	كبيرة
5	يتصف بالاتساق في علامات الترقيم	3.53	0.91	كبيرة
1	تناسق الألوان	3.46	0.76	متوسطة
3	الجودة والمتانة	3.39	0.85	متوسطة
2	الجذب والتشويق	3.24	0.85	متوسطة
8	حجم الكتاب يتلاءم وعمر الطلبة	3.15	0.93	متوسطة
	المجال ككل	3.51	0.34	كبيرة

* الدرجة العظمى من (5)

يبين الجدول (4) أن الفقرة رقم (7) التي نصت على «المسافات بين الكلمات والسطور مناسبة» قد احتلت المرتبة الأولى بمتوسط حسابي (3.75) وانحراف معياري (1.00)، وجاءت الفقرة رقم (9) التي كان نصها «توظيف الأشكال والرسوم بشكل جيد» بالمرتبة الثانية بمتوسط حسابي (3.71) وانحراف معياري (1.03)، بينما احتلت الفقرة رقم (8) والتي نصت على «حجم الكتاب يتلاءم وعمر الطلبة» المرتبة الأخيرة بمتوسط حسابي (3.15) وانحراف معياري (0.93)، وقد بلغ المتوسط الحسابي لتقديرات أفراد العينة على هذا المجال ككل (3.51) وانحراف معياري (0.34)، وهو يقابل التقدير التقدير لدرجة توافر معايير شكل الكتاب وتنظيمه بدرجة كبيرة.

المجال الثاني: مجال معايير الأهداف

احتسبت المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية

الرقم	الفقرات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة التوافر
4	يوجه الطلبة إلى مصادر المعرفة المختلفة	2.67	0.85	متوسطة
5	ينمي مهارة التعلم الذاتي	2.65	1.00	متوسطة
6	الحدثة في الموضوعات	2.63	0.89	متوسطة
7	مناسبة اللغة المستخدمة لأعمار الطلبة	2.63	0.85	متوسطة
8	يتضمن أنشطة ووسائل تعليمية مختلفة	2.50	0.79	متوسطة
10	مناسبة الصور والأشكال والرسوم لموضوع الدرس	2.47	0.85	قليلة
11	تتابع الأفكار والمفاهيم وتماسكها	2.44	0.83	قليلة
9	يرتبط بالحياة اليومية للطلبة	2.43	0.79	قليلة
12	يراعي خبرات ومهارات الطلبة	2.39	0.96	قليلة
	المجال ككل	2.65	0.36	متوسطة

* الدرجة العظمى من (5)

يبين الجدول (6) أن الفقرة رقم (1) التي نصت على "يتضمن عناوين رئيسية وأخرى فرعية" قد احتلت المرتبة الأولى بمتوسط حسابي (3.04) وانحراف معياري (1.11)، وجاءت الفقرة رقم (3) التي كان نصها "يخلو من التكرار" بالمرتبة الثانية بمتوسط حسابي (3.02) وانحراف معياري (0.97)، بينما احتلت الفقرة رقم (12) التي نصت على "يراعي خبرات ومهارات الطلبة" المرتبة الأخيرة بمتوسط حسابي (2.39) وانحراف معياري (0.96)، وقد بلغ المتوسط الحسابي لتقديرات أفراد العينة على هذا المجال ككل (2.65) وانحراف معياري (0.36)، وهو يقابل التقدير لدرجة توافر معايير المحتوى بدرجة متوسطة.

المجال الرابع: مجال معايير التقويم

احتُسبت المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتقديرات أفراد عينة الدراسة، على فقرات هذا المجال، وكانت كما هي موضحة في الجدول (7).

جدول (7)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتقديرات أفراد عينة الدراسة على مجال معايير التقويم مرتبة تنازلياً

الرقم	الفقرات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة التوافر
1	سلامة صياغة الأسئلة ووضوحها	2.78	0.87	متوسطة
5	يرتبط بالأهداف	2.77	0.82	متوسطة
10	تنوع أساليب التقويم (مقالي، موضوعي)	2.77	0.90	متوسطة
3	التركيز على التقويم البديل	2.68	0.86	متوسطة
9	استخدام التكنولوجيا في عملية التقويم	2.65	0.78	متوسطة

لتقديرات أفراد عينة الدراسة، على فقرات هذا المجال، إذ كانت كما هي موضحة في الجدول (5).

جدول (5)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتقديرات أفراد عينة الدراسة على مجال معايير الأهداف مرتبة تنازلياً

الرقم	الفقرات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة التوافر
1	وجود أهداف بداية كل وحدة دراسية	3.69	0.88	كبيرة
2	تعكس التطور العلمي والإنجاز المعرفي	3.65	0.96	كبيرة
6	تراعي عادات المجتمع السعودي وتقاليد	3.25	1.04	متوسطة
4	شاملة لجميع المستويات (المعرفية، المهارية، الوجدانية)	3.09	0.96	متوسطة
5	مناسبة لقدرات الطلبة	3.06	1.15	متوسطة
3	واقعية يمكن تطبيقها على أرض الواقع	3.01	1.08	متوسطة
	المجال ككل	3.29	0.59	متوسطة

* الدرجة العظمى من (5)

يبين الجدول (5) أن الفقرة رقم (1) التي نصت على (وجود أهداف بداية كل وحدة دراسية) قد احتلت المرتبة الأولى بمتوسط حسابي (3.69) وانحراف معياري (0.88)، وجاءت الفقرة رقم (2) التي كان نصها "تعكس التطور العلمي والإنجاز المعرفي" بالمرتبة الثانية بمتوسط حسابي (3.65) وانحراف معياري (0.96)، بينما احتلت الفقرة رقم (3) والتي نصت على (واقعية يمكن تطبيقها على أرض الواقع) المرتبة الأخيرة بمتوسط حسابي (3.01) وانحراف معياري (1.08)، وقد بلغ المتوسط الحسابي لتقديرات أفراد العينة على هذا المجال ككل (3.29) وانحراف معياري (0.59)، وهو يقابل التقدير لدرجة توافر معايير الأهداف بدرجة متوسطة.

المجال الثالث: مجال معايير المحتوى

احتُسبت المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتقديرات أفراد عينة الدراسة، على فقرات هذا المجال، وكانت كما هي موضحة في الجدول (6).

جدول (6)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتقديرات أفراد عينة الدراسة على مجال معايير المحتوى مرتبة تنازلياً

الرقم	الفقرات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة التوافر
1	يتضمن عناوين رئيسية وأخرى فرعية	3.04	1.11	متوسطة
3	يخلو من التكرار	3.02	0.97	متوسطة
2	يخلو من الأخطاء اللغوية والمطبعية	2.91	0.91	متوسطة

الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	العدد	المسمى الوظيفي	المجال
0.39	2.59	30	مشرف تربوي	معايير المحتوى
0.35	2.66	94	معلم	
0.51	2.69	30	مشرف تربوي	معايير التقويم
0.36	2.59	94	معلم	
0.32	2.95	30	مشرف تربوي	المجالات ككل
0.24	2.97	94	معلم	

يبين الجدول (8) أن هناك فروقاً ظاهرية بين متوسطات تقديرات أفراد العينة لدرجة توافر معايير الجودة العالمية في كتب التربية الاجتماعية والوطنية المطور للصف الرابع الابتدائي، تبعاً لاختلاف متغير المسمى الوظيفي، ولتحديد مستويات الدلالة الإحصائية لتلك الفروق، جرى استخدام اختبار (ت) للعينات المستقلة، كما هو موضح في الجدول (9).

جدول (9)

نتائج اختبار (ت) للعينات المستقلة للفروق بين تقديرات أفراد العينة لدرجة توافر معايير الجودة العالمية في كتاب التربية الاجتماعية والوطنية المطور للصف الرابع الابتدائي تبعاً لاختلاف متغير المسمى الوظيفي

المجالات	المسمى الوظيفي	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجات الحرية	قيمة ت	مستوى الدلالة الإحصائية
معايير شكل الكتاب وتنظيمه	مشرف تربوي	3.52	0.45	122	0.176	0.860
	معلم	3.51	0.30			
معايير الأهداف	مشرف تربوي	3.15	0.53	122	1.524	0.131
	معلم	3.34	0.60			
معايير المحتوى	مشرف تربوي	2.59	0.39	122	0.923	0.358
	معلم	2.66	0.35			
معايير التقويم	مشرف تربوي	2.69	0.51	122	1.201	0.232
	معلم	2.59	0.36			
المجالات ككل	مشرف تربوي	2.95	0.32	122	0.403	0.687
	معلم	2.97	0.24			

يبين الجدول (9) عدم وجود فروق دالة إحصائية عند مستوى الدلالة الإحصائية ($0.05 \geq \infty$) بين متوسطات تقديرات أفراد العينة على جميع مجالات المعايير تعزى لمتغير المسمى الوظيفي.

ثالثاً: النتائج المتعلقة بالسؤال الثالث

نص السؤال الثالث على: (هل هناك فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($0.05 = \infty$))، بين استجابات أفراد عينة الدراسة لدرجة توافر معايير الجودة العالمية في كتاب التربية الاجتماعية والوطنية المطور، تعزى لمتغيرات: الجنس، والمؤهل العلمي والخبرة التدريسية أو الإشرافية؟).

الرقم	الفقرات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة التوافر
2	تقويم الجوانب المهارية والوجدانية	2.56	0.91	متوسطة
4	التركيز على التقويم الذاتي والنمو المستمر	2.52	0.78	متوسطة
6	مناسبة التقويم مستوى الطلبة وقدراتهم التعليمية	2.49	0.90	قليلة
7	شمولية التقويم لموضوع الدرس	2.48	0.82	قليلة
8	إثارة التقويم لأفكار الطلبة	2.48	0.91	قليلة
	المجال ككل	2.62	0.40	متوسطة

* الدرجة العظمى من (5)

يبين الجدول (7) أن الفقرة رقم (1) التي نصت على (سلامة صياغة الأسئلة ووضوحها) قد احتلت المرتبة الأولى بمتوسط حسابي (2.78) وانحراف معياري (0.87)، وجاءت الفقرة رقم (5) التي كان نصها "يرتبط بالأهداف" بالمرتبة الثانية بمتوسط حسابي (2.77) وانحراف معياري (0.82)، بينما احتلت الفقرة رقم (8) التي نصت على "إثارة التقويم لأفكار الطلبة" المرتبة الأخيرة بمتوسط حسابي (2.48) وانحراف معياري (0.91)، وقد بلغ المتوسط الحسابي لتقديرات أفراد العينة على هذا المجال ككل (2.62) وانحراف معياري (0.40)، وهو يقابل التقدير لدرجة توافر معايير التقويم بدرجة متوسطة.

ثانياً: النتائج المتعلقة بالسؤال الثاني

نص السؤال الثاني على: (هل هناك فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($0.05 = \infty$))، بين استجابات أفراد عينة الدراسة لدرجة توافر معايير الجودة العالمية في كتاب التربية الاجتماعية والوطنية المطور، تعزى لمتغير المسمى الوظيفي؟) للإجابة عن هذا السؤال، احتُسِبَت المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتقديرات أفراد العينة لدرجة توافر معايير الجودة العالمية في كتاب التربية الاجتماعية والوطنية المطور للصف الرابع الابتدائي، تبعاً لاختلاف متغير المسمى الوظيفي، إذ كانت كما هي موضحة في الجدول (8).

جدول (8)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتقديرات أفراد العينة لدرجة توافر معايير الجودة العالمية في كتاب التربية الاجتماعية والوطنية المطور للصف الرابع الابتدائي من وجهة نظرهم تبعاً لاختلاف متغير المسمى الوظيفي

المجال	المسمى الوظيفي	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
معايير شكل الكتاب وتنظيمه	مشرف تربوي	30	3.52	0.45
	معلم	94	3.51	0.30
معايير الأهداف	مشرف تربوي	30	3.15	0.53
	معلم	94	3.34	0.60

الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	العدد	الخبرة التدريسية أو الإشرافية	المجال
0.19	2.93	41	أقل من 5 سنوات	
0.31	2.99	44	من 5-10 سنوات	المجالات ككل
0.26	2.99	39	أكثر من 10 سنوات	

حسب متغير المؤهل العلمي

احتُسِبَت المتوسّطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتقديرات أفراد العينة لدرجة توافر معايير الجودة العالمية في كتب التربية الاجتماعية والوطنية المطور، تبعاً لاختلاف متغير المؤهل العلمي، وكانت كما هي موضحة في الجدول (12).

جدول (12)

المتوسّطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتقديرات أفراد العينة لدرجة توافر معايير الجودة العالمية في كتاب التربية الاجتماعية والوطنية المطور من وجهة نظرهم تبعاً لاختلاف متغير المؤهل العلمي

الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	العدد	المؤهل العلمي	المجال
0.52	3.45	4	دكتوراه	
0.35	3.53	22	ماجستير	معايير شكل الكتاب وتنظيمه
0.34	3.51	98	بكالوريوس فأقل	
0.39	2.78	4	دكتوراه	
0.60	3.01	22	ماجستير	معايير الأهداف
0.59	3.40	98	بكالوريوس فأقل	
0.30	2.32	4	دكتوراه	
0.39	2.41	22	ماجستير	معايير المحتوى
0.36	2.64	98	بكالوريوس فأقل	
0.25	2.58	4	دكتوراه	
0.46	2.65	22	ماجستير	معايير التقويم
0.39	2.61	98	بكالوريوس فأقل	
0.29	2.82	4	دكتوراه	
0.29	3.01	22	ماجستير	المجالات ككل
0.25	2.97	98	بكالوريوس فأقل	

تبين الجداول (10، 11، 12) أن هناك فروقاً ظاهرية بين متوسطات تقديرات أفراد العينة لدرجة توافر معايير الجودة العالمية في كتاب التربية الاجتماعية والوطنية المطور من وجهة نظرهم تبعاً لاختلاف متغيرات الجنس، والخبرة، والمؤهل العلمي، ولتحديد مستويات الدلالة الإحصائية لتلك الفروق، وجرى استخدام اختبار تحليل التباين المتعدد، كما هو موضح في الجدول (13).

جدول (10)

المتوسّطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتقديرات أفراد العينة لدرجة توافر معايير الجودة العالمية في كتاب التربية الاجتماعية والوطنية المطور من وجهة نظرهم تبعاً لاختلاف متغير الجنس

الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	العدد	الجنس	المجال
0.29	3.41	57	ذكر	معايير شكل الكتاب وتنظيمه
0.36	3.60	67	أنثى	
0.63	3.28	57	ذكر	معايير الأهداف
0.55	3.30	67	أنثى	
0.36	2.70	57	ذكر	معايير المحتوى
0.37	2.60	67	أنثى	
0.37	2.64	57	ذكر	معايير التقويم
0.43	2.60	67	أنثى	
0.24	2.96	57	ذكر	المجالات ككل
0.27	2.97	67	أنثى	

حسب متغير الخبرة التدريسية أو الإشرافية

احتُسِبَت المتوسّطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتقديرات أفراد العينة لدرجة توافر معايير الجودة العالمية في كتب التربية الاجتماعية والوطنية المطور، تبعاً لاختلاف متغير الخبرة (أقل من 5 سنوات، ومن 5-10 سنوات، و10 سنوات فأكثر)، وكانت كما هي موضحة في الجدول (11).

جدول (11)

المتوسّطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتقديرات أفراد العينة لدرجة توافر معايير الجودة العالمية في كتاب التربية الاجتماعية والوطنية المطور من وجهة نظرهم تبعاً لاختلاف متغير الخبرة التدريسية أو الإشرافية

الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	العدد	الخبرة التدريسية أو الإشرافية	المجال
0.37	3.52	41	أقل من 5 سنوات	
0.35	3.53	44	من 5-10 سنوات	معايير شكل الكتاب وتنظيمه
0.31	3.50	39	أكثر من 10 سنوات	
0.55	3.29	41	أقل من 5 سنوات	
0.62	3.28	44	من 5-10 سنوات	معايير الأهداف
0.61	3.31	39	أكثر من 10 سنوات	
0.29	2.58	41	أقل من 5 سنوات	
0.41	2.69	44	من 5-10 سنوات	معايير المحتوى
0.37	2.67	39	أكثر من 10 سنوات	
0.26	2.56	41	أقل من 5 سنوات	
0.41	2.63	44	من 5-10 سنوات	معايير التقويم
0.51	2.67	39	أكثر من 10 سنوات	

جدول (13)

نتائج اختبار تحليل التباين المتعدد للفروق بين تقديرات أفراد العينة لدرجة توافر معايير الجودة العالمية في كتاب التربية الاجتماعية والوطنية المطور من وجهة نظرهم تبعاً لاختلاف متغيرات الجنس والخبرة والمؤهل العلمي

المتغيرات	المجالات	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة ف الإحصائية	مستوى الدلالة
الجنس	معايير شكل الكتاب وتنظيمه	1.262	1	1.262	11.401	0.001
	قيمة هوتلنغ = معايير الأهداف	0.073	1	0.073	0.202	0.654
	معايير المحتوى	0.226	1	0.226	1.740	0.190
الخبرة	معايير التقييم	0.034	1	0.034	0.209	0.649
	معايير شكل الكتاب وتنظيمه	0.078	2	0.039	0.351	0.705
	معايير الأهداف	0.016	2	0.008	0.023	0.978
المؤهل العلمي	معايير الأهداف	0.343	2	0.172	1.318	0.272
	معايير المحتوى	0.288	2	0.144	0.874	0.420
	معايير التقييم	0.140	2	0.070	0.633	0.533
الخطأ	معايير شكل الكتاب وتنظيمه	0.5252	2	0.2631	3.538	*0.001
	معايير الأهداف	0.3042	2	0.1521	8.862	*0.001
	معايير المحتوى	0.037	2	0.019	0.113	0.893
معايير شكل الكتاب وتنظيمه	معايير الأهداف	13.061	118	0.111		
	معايير المحتوى	42.142	118	0.357		
	معايير التقييم	15.356	118	0.130		
معايير الأهداف	معايير التقييم	19.423	118	0.165		

* ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة الإحصائية (0.05=α)

يبين الجدول (13):

1. عدم وجود فروق دالة إحصائية عند مستوى الدلالة الإحصائية (0.05=α) بين متوسطات تقديرات أفراد العينة على جميع المجالات لدرجة توافر معايير الجودة العالمية في كتاب التربية الاجتماعية والوطنية المطور ككل من وجهة نظرهم، تعزى لمتغير الجنس، ما عدا مجال معايير شكل الكتاب وتنظيمه، حيث كانت الفروق لصالح تقديرات الإناث.

2. لا توجد فروق دالة إحصائية عند مستوى الدلالة الإحصائية (0.05=α) بين متوسطات تقديرات أفراد العينة على جميع المجالات لدرجة توافر معايير الجودة العالمية في كتاب التربية الاجتماعية والوطنية المطور ككل من وجهة نظرهم، تعزى لمتغير الخبرة.

3. لا توجد فروق دالة إحصائية عند مستوى الدلالة الإحصائية (0.05=α) بين متوسطات تقديرات أفراد العينة على جميع المجالات لدرجة توافر معايير الجودة العالمية في كتب التربية الاجتماعية والوطنية المطور ككل من وجهة نظرهم، تعزى لمتغير المؤهل العلمي، باستثناء مجالي (معايير الأهداف، ومعايير

المحتوى)، ولتحديد مصادر تلك الفروق وجرى استخدام اختبار شيفيه (Scheffe) والجدول (14) يبين ذلك.

جدول (14)

نتائج اختبار شيفيه (Scheffe) للفروق بين تقديرات أفراد العينة على مجالي (معايير الأهداف، ومعايير المحتوى) حسب متغير المؤهل العلمي

المجالات	المؤهل العلمي	دكتوراه	ماجستير	بكالوريوس فأقل
معايير الأهداف	المتوسط الحسابي	2.78	3.01	3.40
	دكتوراه	2.78	0.23	*0.62
	ماجستير	3.01	*0.39	
معايير المحتوى	بكالوريوس فأقل	3.40		
	المؤهل العلمي	المتوسط الحسابي	2.32	2.41
	دكتوراه	2.32	0.09	*0.32
معايير التقييم	ماجستير	2.41	*0.23	
	بكالوريوس فأقل	2.64		

ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (0.05=α)

يبين الجدول (14) أن هناك فروقاً ذات دلالة إحصائية بين متوسط تقديرات ذوي المؤهل العلمي (دكتوراه) من جهة، ومتوسط تقديرات ذوي المؤهل العلمي (بكالوريوس فأقل، وماجستير) من جهة ثانية، تعزى لمتغير المؤهل العلمي لصالح تقديرات ذوي المؤهل العلمي (بكالوريوس فأقل، وماجستير) عند كلا مجالي المقارنة.

كما أُجرِيَ اختبار تحليل التباين الثلاثي للفروق بين تقديرات أفراد العينة لدرجة توافر معايير الجودة العالمية في كتاب التربية الاجتماعية والوطنية المطور ككل من وجهة نظرهم تبعاً لاختلاف متغيرات الجنس، والخبرة، والمؤهل العلمي، وكانت النتائج كما هي موضحة في الجدول (15).

جدول (15)

اختبار تحليل التباين الثلاثي للفروق بين تقديرات أفراد العينة على لدرجة توافر معايير الجودة العالمية في كتاب التربية الاجتماعية والوطنية المطور ككل من وجهة نظرهم تبعاً لاختلاف متغيرات الجنس والخبرة والمؤهل العلمي

المتغيرات	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	قيمة ف الإحصائية	الدلالة الإحصائية
الجنس	0.019	1	0.019	0.288	0.593
الخبرة	0.114	2	0.057	0.848	0.431
المؤهل العلمي	0.172	2	0.086	1.284	0.281
الخطأ	7.926	118	0.067		
الكلي	1101.405	123			

* ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (0.05=α)

يبين الجدول (15) عدم وجود فروق دالة إحصائية عند

الجسمية والفكرية والعقلية، فالكتاب يجب أن يكون بمستوى يتلاءم وعمر الطلبة. واتفقت هذه النتيجة مع نتائج دراسة كل من العنزي (2006) ومراشدة (2007).

ثانياً : مجال معايير الأهداف

يتكون هذا المجال من (6) فقرات، وقد أظهرت النتائج المتعلقة بالمجال أن الفقرة رقم (1) التي تنص على " وجود أهداف بداية كل وحدة دراسية " احتلت المرتبة الأولى بمتوسط حسابي (3.69) وانحراف معياري (0.88)، أما الفقرة رقم (2) التي تنص على " تعكس التطور العلمي والانفجار المعرفي " جاءت بالمرتبة الثانية بمتوسط حسابي (3.65) وانحراف معياري (0.96). ويعزى ذلك إلى أن الطفل في هذا العمر يبدأ بتكوين شخصيته الاجتماعية التي يشعر من خلال الأعمال التي يقوم بها، مثل مساعدة الآخرين وخدمة المجتمع انه أصبح أنساناً وله وجود في المجتمع الذي يعيش فيه، ويفرح كثيراً عندما يقوم بهذه الأعمال ويجد التشجيع والمدح، فهذه الأعمال والأنشطة تنمي القدرة على التفكير عن الطفل وتساهم في اكتساب المعلومات والمفاهيم بطريقة أعمق، وبذلك تتحقق الأهداف المرجوة لكل وحدة.

أما الفقرة رقم (3) التي تنص على " واقعية يمكن تطبيقها على أرض الواقع " جاءت في المرتبة الأخيرة بمتوسط حسابي (3.01) وانحراف معياري (1.08).

ويعزو الباحثان ذلك إلى أن الحياة اليومية أكثر تأثراً بالثورة المعلوماتية والتقنية، حتى أصبح العالم قرية صغيرة، كما أن ظهور المجتمعات الافتراضية عبر الإنترنت التي تغرس أفكاراً وعادات مختلفة، وهو ما أدى إلى تحولات مهمة في المؤسسات المجتمعية المختلفة، وهذه التحولات تغير وتؤثر في كثير من نواحي الحياة التي يعيشها الإنسان كالبينة، والأخلاق والقيم والعلاقات الاجتماعية والعمل والتعليم، لذا لا بد من إطلاع الطلبة على هذه التأثيرات والتغيرات وكشف سلبياتها، وغرس المفاهيم التي تليق بواقع المجتمع والبيئة السعودية؛ ليصبح على دراية بما يجري ويتمكن من السيطرة على هذه التغييرات، وإلا فإن المفاهيم والأفكار ستغير من نمط حياته ومنظومته القيمية وعلاقاته الاجتماعية ومعتقداته.

ويعزو الباحثان ذلك أيضاً إلى أن هذه المرحلة تمتاز بسهولة محتواها؛ فالمفاهيم المطروحة لا تطرح بعمق في منهاج هذه المرحلة ولا تحتاج لتفاصيل دقيقة كما أن موضوعاتها تخاطب الطلبة من خلال مفردات البيئة السعودية المحلية. وتتفق هذه النتيجة مع دراسة الأحمدى (2004) والعنزي (2011) و (Chiodo & Alazzi, 2008)

ثالثاً : مجال معايير المحتوى

يتكون هذا المجال من (12) فقرة، حيث أظهرت النتائج أن الفقرة رقم (1) التي تنص على (يتضمن عناوين رئيسية وأخرى فرعية جاءت في المرتبة الأولى بمتوسط حسابي (3.04) وانحراف معياري (1.11)، أما الفقرة رقم (3) التي تنص على " يخلو من التكرار " جاءت في المرتبة الثانية بمتوسط حسابي (3.02) وانحراف معياري (0.97).

ويعزو الباحثان ذلك إلى الاهتمام الكبير الذي أولته وزارة التربية والتعليم لمبحث التربية الاجتماعية والوطنية، لذلك فقد

مستوى الدلالة الإحصائية ($\alpha=0.05$) بين متوسطات تقديرات أفراد العينة على الأداة الكلية لدرجة توافر معايير الجودة العالمية في كتب التربية الاجتماعية والوطنية المطور من وجهة نظرهم تبعاً لاختلاف متغيرات الجنس، والخبرة، والمؤهل العلمي.

أظهرت نتائج الدراسة أن مجالات الدراسة الأربعة قد حصلت على درجة متوسطة، وقد تراوحت المتوسطات الحسابية ما بين (2.62 - 3.51) وجاء المتوسط الحسابي النهائي للأداة (2.97) وهو يقابل التوافر بدرجة متوسطة، ويعزو الباحثان ذلك إلى أن السياسة التعليمية في المملكة العربية السعودية تسعى نحو التجديد والتطوير المستمر، إذ يسعى القائمون على المناهج إلى مواكبة المستجدات والتطورات الحديثة والتعاشي معها واستثمارها، من خلال مناهج التربية الاجتماعية والوطنية، لأنها تعد ركيزة العملية التربوية والوسيلة الفاعلة لتحقيق المفاهيم الاجتماعية والأخلاقية والقيمية التي تغرس في نفس المواطن السعودي الولاء والانتماء لدينه ووطنه وأمته، وإعداد جيل قادر على النهوض بالأمة إلى أعلى المستويات، تمشياً مع رؤى خادم الحرمين الشريفين الذي قال: (إن التعليم من أهم الواجبات التي اضطلعت بها هذه البلاد منذ عهد التأسيس إلى يومنا هذا ودعمًا لمجال التعليم فقد تم تسخير جميع الموارد والإمكانات المتاحة وبدعم غير محدود). واتفقت هذه النتيجة مع نتائج دراسة كل من ربايع (1999) والأحمدي (2004) والعنزي (2006).

وفيما يأتي مناقشة النتائج المتعلقة بفقرات كل مجال من مجالات الدراسة الفرعية، وكانت على النحو الآتي:

أولاً : مجال معايير شكل الكتاب وتنظيمه

يتكون هذا المجال من (10) فقرات، فقد أظهرت النتائج المتعلقة بهذا المجال أن الفقرة رقم (7) التي تنص على " المسافات بين الكلمات والسطور مناسبة " قد احتلت المرتبة الأولى بمتوسط حسابي (3.75) وانحراف معياري (1.00)، في حين احتلت الفقرة رقم (9) التي تنص على " توظيف الأشكال والرسوم بشكل جيد " على المرتبة الثانية بمتوسط حسابي (3.71) وانحراف معياري (1.03). ويعزو الباحثان ذلك إلى أن الطلبة الموجه إليهم هذا الكتاب هم طلبة الصف الرابع الابتدائي وهم صغار السن، لذلك كان تنظيم السطور وترك المسافات بينها أمر ضروري ليتناسب مع قدرة الطلبة على الاستيعاب والفهم، وحتى يتماشى مع مستوياتهم الفكرية، كما يعزو الباحثان ذلك إلى أن تضمين كتاب التربية الاجتماعية والوطنية الأشكال والرسوم أصبح أمراً بالغ الأهمية، تساعد الطلبة على إدراك وفهم المادة العلمية، وبخاصة أن الطلبة في هذا السن يعتمدون على صور توضيحية تساعدهم على استيعاب المفاهيم الاجتماعية، واكتسابهم الفهم العميق لهذه المفاهيم، وزيادة تحصيلهم العلمي عن طريق هذه الرسوم والأشكال، خاصة إذا تم تدريسهم باستخدام الوسائل والاستراتيجيات التعليمية الحديثة.

أما الفقرة رقم (8) التي تنص على (حجم الكتاب يتلاءم وعمر الطلبة) فقد جاءت في المرتبة الأخيرة بمتوسط حسابي (3.15) وانحراف معياري (0.93).

ويعزو الباحثان ذلك إلى أن المنهاج صمم على أسس معايير الجودة والتي اعتمدت على مراعاة ظروف الطلبة ومستوياتهم

أفراد العينة عند جميع مجالات المعايير، تعزى لمتغير المسمى الوظيفي.

ويعود سبب ذلك إلى أن كتاب التربية الاجتماعية والوطنية المطور قد اعتمد على سلاسة المعلومات، بعيداً عن حشو المعلومات، كما أن المنهاج صمم بما يتوافق مع الواقع المعاصر والإمكانات المتاحة، فهو يرتبط بواقع الحياة العملية، وبمستويات الطلبة المختلفة. كما ويعزو الباحث ذلك إلى أن معلمي التربية الاجتماعية والوطنية قد خضعوا لدورات وبرامج تدريبية حول طرائق تدريس المنهاج واستراتيجيات التقويم والقدرة على إيصال المعلومة للطلاب، كما أن خبرتهم في تدريس الكتاب مكنهم من التعرف إلى نقاط الضعف والدقة في الكتاب. واتفقت هذه النتيجة مع نتائج دراسة كل من مراشدة (2007) ورفاعي (2009). اللتين أظهرتا عدم وجود فروق دالة إحصائية تعزى لمتغير المسمى الوظيفي.

بينت نتائج الدراسة أيضاً عدم وجود فروق دالة إحصائية عند مستوى الدلالة الإحصائية ($\alpha=0.05$)، بين متوسطات تقديرات أفراد العينة على جميع المجالات لدرجة توافر معايير الجودة العالمية في كتاب التربية الاجتماعية والوطنية المطور ككل من وجهة نظرهم تعزى لمتغير الخبرة. ويعود سبب ذلك أن التدريب على كتاب التربية الاجتماعية والوطنية المطور قد شمل جميع فئات المعلمين بمن فيهم أصحاب الخبرة الطويلة، والمتوسطة، والقصيرة، كما أن أصحاب الخبرة القصيرة غالباً ما يتأثرون بأراء ووجهات نظر من سبقوهم من المعلمين لهذا لم تظهر الدراسة فروقاً بينهم. واتفقت هذه النتيجة مع نتائج دراسة كل من مراشدة (2007) ورفاعي (2009) اللتين أظهرتا عدم وجود فروق دالة إحصائية تعزى لمتغير الخبرة.

وبينت نتائج الدراسة عدم وجود فروق دالة إحصائية عند مستوى الدلالة الإحصائية ($\alpha=0.05$)، بين متوسطات تقديرات أفراد العينة على جميع المجالات لدرجة توافر معايير الجودة العالمية في كتاب التربية الاجتماعية والوطنية المطور ككل من وجهة نظرهم تعزى لمتغير المؤهل العلمي باستثناء مجالي (معايير الأهداف، ومعايير المحتوى)، حيث كان هناك فروق دالة إحصائية بين متوسط تقديرات ذوي المؤهل العلمي (دكتوراه) من جهة، ومتوسط تقديرات ذوي المؤهل العلمي (بكالوريوس فأقل، وماجستير) من جهة أخرى، لصالح تقديرات ذوي المؤهل العلمي (بكالوريوس فأقل، وماجستير). ويمكن إرجاع ذلك إلى أن المادة المعروضة هي العنصر المهم في الكتاب، بالمقارنة مع الإخراج الفني؛ لاحتوائها على الأهداف والمحتوى والأنشطة والتقويم الأمر الذي انعكس على اهتمام المعلمين بها، حرصاً منهم على أن يكون هذا المعيار أكثر المعايير قوة، وكذلك لكي يظهر المعلمون في المادة المعروضة إبداعاتهم، ولذلك جاءت تقديراتهم له ضمن المستوى الجيد. واتفقت هذه النتيجة مع نتائج دراسة كل من رفاعي (2009)، وتختلف نتائج هذه دراسة مع نتائج دراسة الحسن (2008) وربايعة (1999).

عمل القائمون على تأليف كتب التربية الاجتماعية والوطنية، وإعدادها وفق معايير جودة عالية، كما أن محتوى الكتاب يتسم بالتشويق وملائم للمرحلة العمرية للطلبة ومؤكد على القيم الوطنية والإنسانية، كما جرى عرضه ضمن مجموعة من الأنشطة المتنوعة والمتدرجة القابلة للتطبيق التي تعتمد على المتعلم في تنفيذها، وانتهت دروس هذه الكتب بمجموعة من الأسئلة التي تحث المتعلم على التفكير، وتشجعه على الاتصال والتواصل مع زملائه ومعلميه ومع المجتمع المحلي، وعلاوة على ذلك، فقد أخرجت هذه الكتب بمستوى عال جداً من المعايير الفنية والتي توجد نوعاً من الانسجام مع المحتوى التعليمي من خلال الصور والأشكال والألوان، والكتابة بخطوط واضحة ومتناسقة مع بعضها.

أما الفقرة رقم (12) التي تنص على (يراعي خبرات ومهارات الطلبة) جاءت في المرتبة الأخيرة بمتوسط حسابي (2.39) وانحراف معياري (0.96).

ويعزو الباحثان إلى أن كتاب التربية الاجتماعية والوطنية يسعى لإمداد الطالب بقدر من المعارف والمهارات والاتجاهات التي تتصل بالواقع الاجتماعي والقيمي اللازمة لإعداد الفرد للحياة اليومية التي تواجهه في بيئته ومجتمعه، وهذا يتطلب ربط المحتوى بما تعلمه الطالب في صفوف أخرى مع ما يتعلمه في هذه المرحلة وذلك لزيادة الاستيعاب. وتتفق هذه النتيجة مع دراسة الهندي (2009)، الأحمدى (2004) و مراشدة (2007). وتختلف نتائج هذه دراسة مع نتائج دراسة رفاعي (2009) والعززي (2006).

رابعاً: مجال معايير التقويم

يتكون هذا المجال من (10) فقرات، وقد أظهرت النتائج أن الفقرة رقم (1) التي تنص على " سلامة صياغة الأسئلة ووضوحها " جاءت في المرتبة الأولى بمتوسط حسابي (2.78) وانحراف معياري (0.87)، أما الفقرة رقم (5) التي تنص على (يرتبط بالأهداف) جاءت في المرتبة الثانية بمتوسط حسابي (2.77) وانحراف معياري (0.82). ويعزو الباحث ذلك إلى الجهود التي بذلت من قبل وزارة التربية والتعليم من أجل إخراج الكتاب على الوجه الأكمل، والذي يتواءم مع معايير الجودة، الأمر الذي يعطي ثقة صلاحية بدرجة جيدة ومقبولة تربوياً.

أما الفقرة رقم (8) التي تنص على (إثارة التقويم لأفكار الطلبة) جاءت في المرتبة الأخيرة بمتوسط حسابي (2.48) وانحراف معياري (0.91). ويعزو الباحثان ذلك إلى أن الاختبارات التقويمية لكتاب التربية الاجتماعية والوطنية يتسم في الغالب بالنمطية التقليدية، وغالباً لا يرتبط بحياتهم ومشكلاتهم المجتمعية، وقد ترتب على ذلك ظهور العديد من المشكلات التي تهدد تحقيق تعليم التربية الاجتماعية والوطنية لأهدافها المنشودة، ما جعل هناك ضرورة قصوى مرتبطة بتوفير نظام تربوي -تعليمي متكامل يهتم بغرس التوجهات العامة للتفاعل مع معها. واتفقت هذه النتيجة مع نتائج دراسة كل من مراشدة (2007) رفاعي (2009). وتختلف نتائج هذه دراسة مع نتائج دراسة العززي (2006) والأحمدى (2004).

بينت نتائج الدراسة عدم وجود فروق دالة إحصائية عند مستوى الدلالة الإحصائية ($\alpha=0.05$)، بين متوسطات تقديرات

ثانياً: التوصيات

في ضوء النتائج التي أسفرت عنها هذه الدراسة، فإن الباحثين يوصيان بالنقاط الآتية:

8. عليمات، عبير. (2006). اتجاهات المعلمين نحو كتب التربية الاجتماعية والوطنية للمرحلة الأساسية في الأردن وبناء نموذج لتطويرها في ضوء المعايير العالمية للكتب المدرسية. أطروحة دكتوراه غير منشورة. جامعة عمان العربية للدراسات العليا، عمان، الأردن.
9. قطاوي، محمد (2007) طرق تدريس الدراسات الاجتماعية عمان الاردن دار الفكر للنشر
10. العنزلي، فواز صالح. (2011). تقييم كتاب الدراسات الاجتماعية والوطنية المطور للصف الأول المتوسط من وجهة نظر معلمي الدراسات الاجتماعية بمحافظة القريات في المملكة العربية السعودية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة اليرموك، الأردن.
11. العنزلي، عبد الرحمن. (2006). تقييم كتاب الدراسات الاجتماعية للصف التاسع المتوسط في ضوء المعايير المعاصرة. رسالة ماجستير غير منشورة. جامعة عمان العربية للدراسات العليا، عمان، الأردن.
12. عودة، أحمد. (1998). القياس والتقييم في العملية التدريسية، ط2، عمان: دار المسيرة.
13. مراشدة، حسين. (2007). تقويم كتب التربية الوطنية للصف التاسع من مرحلة التعليم الأساسي في الأردن. مجلة جامعة دمشق للعلوم التربوية، جامعة دمشق، سورية، 23(1)، 233 - 272.
14. الهندي، سمية. (2009). تحليل كتب التربية الوطنية للمرحلة الأساسية الدنيا في المنهاج الفلسطيني: دراسة نقدية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين.

ثانياً المراجع الأجنبية:

1. Ajiboye, J. (2009). *Beyond Cognitive Evaluation in Primary Social Studies in Botswana: Issues and Challenges*. *European Journal of Social Sciences*, 7 (4), 48-
2. Alazzi, K., & Chiodo, J. (2008). *Perceptions of Social Studies Students about Citizenship: A Study of Jordanian Middle and High School Students* *Rutledge. Educational Fourm*, 72, 271-280.
3. Wanda, B., & Harmon, M. (2004). *Teachers' Beliefs and Practices of Vocabulary Instruction with Social Studies Textbooks in Grades 4-8*. *Reading Horizons*, 45, (2), 103-125

1. ضرورة ربط الطلبة أثناء دراستهم لموضوعات التربية الاجتماعية والوطنية بما يدور في العالم من قضايا ومشكلات تؤثر فيهم شخصياً أو على أوطانهم، بشكل مباشر أو غير مباشر.
2. ضرورة تطوير أساليب التقييم بصفة عامة؛ إذ تقيس مستويات عقلية عليا ومفاهيم ذات صلة بالحياة العملية ومنها مفاهيم المسؤولية الوطنية مما يجعل المعلم يستخدم أساليب تدريس تمكن المتعلم من المشاركة الفعالة في عملية التعلم واكتساب المفاهيم.
3. إعادة النظر في تصميم الغلاف، إذ يصبح أكثر ارتباطاً بمحتوى الكتاب، وأكثر تشجيعاً للطلبة على قراءته.
4. إجراء مزيد من الدراسات التي تتصل بتحليل كتب التربية الاجتماعية والوطنية للصفوف المختلفة، للكشف عن مواطن القوة والضعف بشكل يفسح المجال لمزيد من التطوير والارتقاء لصالح المجتمع والطلبة.

المصادر والمراجع:

أولاً المراجع العربية:

1. أبو جلاله، صبحي وعليمات، محمد. (2001). أساليب التدريس العامة المعاصرة، ط1، الكويت: مكتبة الفلاح.
2. الأحمدى، فراس. (2004). تقييم كتاب التربية الوطنية للصف الأول ثانوي من وجهة نظر المعلمين في المدينة المنورة، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان.
3. ربايعه، محمد. (1999). تقويم كتب التربية الوطنية للصفوف الرابع والخامس والسادس من وجهة نظر المعلمين. رسالة ماجستير غير منشورة. جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين عمان العربية للدراسات العليا، عمان، الأردن.
4. رفاعي، ماجد. (2009). اتجاهات الطلاب والمعلمين نحو كتب التربية الاجتماعية في المرحلة الثانية من التعليم الأساسي بمحافظة دمشق. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة دمشق، دمشق، سورية.
5. الجبر، جبر. (2005). دراسة تحليلية لمحتوى كتاب العلوم للصف السادس الابتدائي في المملكة العربية السعودية في ضوء معايير تدريس العلوم، المؤتمر العلمي السابع عشر للجمعية المصرية للمناهج وطرق التدريس، مناهج التعليم والمستويات المعيارية، المجلد2، جامعة
6. الطناوي، عفت مصطفى. (2005). معايير محتوى مناهج العلوم مدخل لتطوير مناهج العلوم بالمرحلة الإعدادية، المؤتمر العلمي التاسع "معوقات التربية العلمية في الوطن العربي"، الجمعية المصرية للتربية العلمية، المجلد الأول، 94-56.
7. علي، عبد الهادي. (2005). تطوير منهج مبادئ التجارة بالمدارس الثانوية التجارية في ضوء معايير الجودة الشاملة للمنهج وقياس فاعليته، المؤتمر العلمي السابع عشر (مناهج التعليم والمستويات المعيارية)، المجلد3، جامعة عين شمس، القاهرة.

”الكلمة المفتاح“ في شعر البهاء زهير ”دراسة أسلوبية“*

د. حسام محمد أيوب**

* تاريخ التسليم: 2015/2/4م، تاريخ القبول: 2016/1/17م.
** أستاذ مشارك/ جامعة طيبة/ السعودية.

ولم تقتصر هذه الثورة على التقسيم الكلاسيكي لشعرية الألفاظ، ففي بداية الخمسينيات ظهر من ينادي بتجاوز التعبير عن الذات المحطمة بالأسلوب الرومانسي، واحتضن معاناة الإنسان الكادح، وعبر عنه بلغة بسيطة مشحونة بالغضب على الواقع، فالكلمة الشعرية هي التي تعيش بيننا، لا الكلمة المدفونة في أحشاء القاموس (4).

وتلمست الدراسات الأسلوبية هذا التغير الجذري في مفهوم المعجم الشعري، وبدأ الدارسون يتحدثون عن التأثيرات الإيحائية في المستوى المعجمي للغة الشعر: كالكلمات المهجورة، والكلمات المستحدثة، والشعارات المبتدعة، والعاميات، واللهجات، والاصطلاحات الفنية، والكلمات الدخيلة (5).

ويمكن القول إن البهاء زهير (6) لم يأخذ حقه من الدراسة العلمية لمعجمه الشعري فيما أعلم، ومع ذلك فقد حظي شعره بعدد قليل من الدراسات عنيت بحياته، والحالة السياسية والاجتماعية في عصره، وأهم أغراضه الشعرية، إلا أنها لم تعن بدراسة معجمه الشعري دراسة أسلوبية (7).

ويسعى هذا البحث لتقديم إجابات عن مجموعة من التساؤلات الملحة وهي:

- ◀ ما المقصود بالمعجم الشعري؟ وهل يوجد معجم يضم المفردات التي تصلح أن ترد في الشعر؟
- ◀ هل يمكن أن يكون تكرار مفردة معينة كالحب مفتاحاً لفهم شخصية البهاء زهير؟
- ◀ وهل يمكن أن تكون تلك المفردة مؤشراً أسلوبياً لظواهر أسلوبية أخرى؟

وتهدف هذه الدراسة إلى الإجابة عن التساؤلات السابقة، وإثبات أن سر تميز شعر البهاء زهير يكمن في معجمه الشعري.

أما حدود الدراسة فهي ديوان البهاء زهير شرح وتحقيق: محمد طاهر الجبلاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، دار المعارف، سلسلة ذخائر العرب رقم 53.

وسأتبع في هذه الدراسة المنهج الأسلوبى، لأن طبيعة البحث تقتضي هذا المنهج الذي يوفر مجموعة من الإجراءات (من حيث جمع البيانات وتفسيرها) تمكن الباحث من الوصول إلى نتائج بحثية سليمة.

أما دراستي للكلمة المفتاح في شعر البهاء زهير فستتضمن ما يأتي:

- ◆ التمهيد: الأسلوبية ومستويات التحليل اللغوي
- ◆ المبحث الأول: صورة الحب
- ◆ المبحث الثاني: صورة المحب
- ◆ المبحث الثالث: صورة المحبوبة

التمهيد: الأسلوبية ومستويات التحليل اللغوي

إن التمييز بين اللغة والكلام أدى إلى نشوء علم الأسلوب، فهذه الثنائية تعنى بالسمات المميزة التي تتخذها اللغة في الاستعمال، وهذه السمات هي التي تعرف بالأسلوب، وترجع هذه الاختلافات اللغوية إلى اختلاف المواقف، كالاختلافات بين الجنسين، وفئات

ملخص:

قام هذا البحث على مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة، أما المقدمة فقد أبرزت عناصر البحث: كالعنوان، والتعريفات، والمشكلة، وأهداف البحث، وحدوده، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وتقسيماته. ودرست كون الكلمة المفتاح (حب) مؤشراً ثقافياً في شعر البهاء زهير، لذا عرضت لمفهوم الحب وصورة المحب، وصورة المحبوبة، وفي الخاتمة عرضت النتائج التي توصلت إليها.

الكلمات المفتاحية: الكلمة المفتاح، البهاء زهير، حب.

The Key Word in Al-Baha' Zuhair' s Poetry

A Stylistic Analysis

Abstract:

This research includes an introduction, three parts, and a conclusion. The introduction highlights the major areas of the research such as the title, definitions, the research problem, the research aims and objectives, the limitations of research, previous studies, the methodology, and the sections of research. I have explained that the word (love) has a cultural significance in the poetry of Al-Baha' Zuhair. Thus, I explained the notion of 'love', the image of 'the female loved one'. In the conclusion, I showed the results of the research.

Key words: Al-Baha' Zuhair, love

مقدمة:

عنوان هذا البحث هو: (الكلمة المفتاح في شعر) البهاء زهير دراسة أسلوبية». ويصنف هذا النوع من الدراسات ضمن الدراسات التي عنيت ب (المعجم الشعري) أي تلك الحصيلة اللغوية من المفردات المعجمية التي يستخدمها الشاعر في نظمه. ولكن هل مفردات هذا المعجم الشعري محددة سلفاً في الوعي الجمعي لدى الشعراء؟

ذكر ابن الأثير أنه ليس كل ما يسوغ استعماله في الكلام المنظوم يسوغ استعماله في الكلام المنثور (1) ويفهم من هذا القول، أن ثمة معجماً شعرياً يحتضن مفردات الشعر، وعليه يمكن القول: هذه اللفظة شعرية أو غير شعرية. وعمد إلى تقسيم الألفاظ في الاستعمال إلى: جزلة، ورقيقة، ولكل منهما موضع يحسن استعماله فيه. فالألفاظ الجزلة تستعمل في وصف مواقف الحروب، وفي قوارع التهديد والتخويف، أما الألفاظ الرقيقة فتستعمل في وصف الأشواق وذكر أيام البعاد، وفي استجلاب المودات وملابسات الاستعطاف (2).

وفي العصر الحديث حاول النقاد أن يلغوا ما سمي بالمعجم الشعري الذي كان يضم المفردات الشعرية التي حرصت عليها القصيدة العربية، فلم تعد هناك ألفاظ شعرية وألفاظ غير شعرية، وإنما أصبحت كل لفظة قادرة في مكانها على التعبير ما دام الشاعر يحيا بنبض عصره. (3)

وتندرج الكلمة المفتاح وهي التي يكون لها ثقل تكراري توزيعي في النص يفتح مغاليقه، ويبدد غموضه، ضمن آثار الاستدعاء، فكل كاتب لديه كلمة مفضلة تتكرر كثيرا في أسلوبه دون قصد، تكشف رغباته الخفية، وكما نكتشف عقلية شاعر علينا أن نفتش عن الكلمة التي تتردد عنده كثيرا، لأنها تستحوذ على تفكيره.

ومن المهم التنبيه إلى نقطتين رئيسيتين:

1. الفرق بين الكلمات المفتاح والكلمات الرئيسية:

- فالكلمات المفتاح هي مواد معجمية يزيد تكرارها من دلالتها فوق ما يكون لها في الوضع الطبيعي المعتاد.
- أما الكلمات الرئيسية فهي العبارات التي يستخدمها الكاتب المعين بكثرة.

2. الفرق بين الكلمات المفتاح والكلمات السياقية:

- فالكلمات المفتاح يرجع تكرارها إلى اتجاه سيكولوجي.
 - والكلمات السياقية يرجع تكرارها إلى الموضوع نفسه⁽¹⁴⁾
- وإن قراءة بضع صفحات من ديوان البهاء زهير كفيلة بتشكيل شعور لدى القارئ بشيوع مشتقات الجذر (ح ب ب) في قصائده، ومع ذلك فلن أكتفي بالالتكاء على الحس اللغوي في إثبات هذه الظاهرة الأسلوبية، لذا عملت على إجراء بحث شامل لهذه المشتقات في الديوان.

جدول رقم (1)

شيوخ مشتقات الجذر (ح ب ب) في ديوان البهاء زهير

الرقم	الكلمة	تكرارها
1	حبيب	118
2	حَبّ	62
3	أحباب - أحبّي - أحبّاء	29
4	مُحِبّ	22
5	محبّة	22
6	الفعل (أحبّ) بالصيغ الزمنية الثلاث	17
7	مُتَحَبِّب	1
8	محبوب	1
	المجموع	272

وإذا علمنا أن ديوان الشاعر يقع في 288 صفحة، فهذا يعني أن مشتقات الجذر (ح ب ب) تكاد ترد في كل صفحة من الديوان، ولا تقتصر أهمية شيوع كلمة (الحب) ومشتقاتها على الجانب الإحصائي، وإنما تمتد هذه الأهمية إلى البعدين: الدلالي والأسلوبي. فقد بث لنا الشاعر تصورات عن الحب، والمُحِبِّ، والمحبوّة، ما أسهم في إبراز ثقافته من جهة، وإبراز مجموعة من الظواهر الأسلوبية تجلت عند الحديث عن الحب من جهة أخرى، وعليه تغدو كلمة (الحب) كالعمود الفقري الذي يعتمد عليه بناء النص في مجالات شتى.

العمر، والارتباط بالمهنة، والتخصصات، والاختلافات اللغوية بين البيئات، والمناسبات الاجتماعية، والاختلاف في أنواع المخاطبات والنصوص.⁽⁸⁾

والالتفات إلى أن ثمة فروقا في استعمال اللغة لا تمس الجوهر دعا الدارسين إلى النظر في أسباب هذه الفروق بغية التوصل إلى ضوابط لغوية عامة تحددها، وإن لم تبلغ في شموليتها درجة القوانين اللغوية، واستخدموا المصطلح القديم (الأسلوب) للدلالة على أي طريقة متميزة في استعمال لغة ما.⁽⁹⁾

يشير ستيفن ألمان Uilman إلى تطوير علم اللغة العام لمفهوم جديد هو: مفهوم اللغة الخاصة Idiolect ويقصد بها: (مجموع العادات اللغوية لشخص واحد في وقت معين)، ويحتل هذا المفهوم مكانا وسطا بين قطبي: اللغة، والكلام، فاللغة عرف مشترك بين جميع أفراد المجتمع، أما الكلام فهو استعمال ذلك العرف لتسجيل رسالة معينة، ولا يهتم اللغوي باللغات الخاصة، وإنما يعنى بالمعيار المشترك الذي يضبطها جميعا⁽¹⁰⁾.

يتضح مما سبق أن اللغة هي نقطة الانطلاق في البحث الأسلوبي، فمن أجل دراسة فاعلة وشاملة للأسلوب تبحث لغة العمل الأدبي على مختلف المستويات، بحثا واعيا موضوعيا، فالواقع اللغوي بإمكانه أن يكون ذا طابع صوتي، أو عروضي، أو نحوي، أو دلالي، وقد ينسب إلى أكثر من مستوى، ويتحرك على أكثر من صعيد، لذا لا بد أن تركز الأسلوبية على علم اللغة الحديث حتى تتسم بالموضوعية، والدقة، وهذه المنهجية تحتم على الأسلوبي أن يلم بكل معارف اللغة وقواعدها: الصوتية، والعروضية، والنحوية، والدلالية، فهي تضم النواحي التي تكشف عن أسلوب الكاتب جميعا، ما يبرهن أن الواقع الأسلوبي هو في الأساس واقع لغوي، يحمل طابع كاتبه الذاتي الذي يتجلى فيه عالمه الداخلي، ورؤيته الفريدة للعالم⁽¹¹⁾.

فعلم الأسلوب تبعاً لذلك، ينبسط على رقعة اللغة كلها، وجل الظواهر اللغوية ابتداء من الأصوات حتى أبنية الجمل، يمكن أن تكشف عن خصيصة أساسية في اللغة المدروسة، وأن تشف عن لمحة في حياة الفكر، أو نبضة من الحساسية، فهو لا يدرس قسما من اللغة، بل اللغة بأكملها، منظورا إليها من زاوية خاصة.⁽¹²⁾

وإذا كانت الألفاظ تعد المصدر الأساس للتعبيرية، فإنه يمكن أن نميز من بينها:

1. الآثار الطبيعية: وترتبط بنوعية الأصوات، وبنية الألفاظ، فهناك ألفاظ معللة صوتيا حيث تكون العلاقة فيها قائمة بين الصوت والمعنى، كما أن بنية اللفظة تسهم في إعطائها قيمة أسلوبية، وهذا عائد إلى تناغمها مع معناها، ولا تخفى علاقة هذه الارتباطات بعلم الصوتيات والصرف.

2. آثار الاستدعاء: وتشكل ميدانا رقيقا للدراسة الأسلوبية، فهناك ألفاظ خاصة ببعض الصور، والأجناس، والطبقات، والفئات الاجتماعية، والأقاليم، فضلا عن الألفاظ المهجورة، والألفاظ المستحدثة، والألفاظ الدخيلة، والألفاظ العامية، والاصطلاحات الفنية، كما أن المقام قد يحدث لللفظة الحياتية أثرا بالغا، وفي بعض اللغات كالفرنسية يتم نقل النبر في اللفظة إلى موضع آخر دون أن يغير المعنى للحصول على تغير انفعالي.⁽¹³⁾

0-1 صورة الحب

1-1 التفوق على الأقران في موضوع الحب

يصرح البهاء زهير بأنه إمام في الحب:

لا تسل في (الحب) غيري أنا في (الحب) إمام⁽¹⁵⁾

وهنا يضع الشاعر نفسه في مقابلة مع الشعراء من قداماء ومحدثين، لكنها ليست مقابلة تضاد، فالعلاقة في رأيه تبعية، ويمكن أن نفهم تبعية المعاصرين له، ولكن المفارقة تتضح من خلال تبعية القداماء له، فلا قيمة لألوية الزمن، فالقيمة الحقيقية في الجودة. ولا يتناقض كلامه هذا مع كونه من الشعراء المتأخرين والدليل على ذلك قوله:

أنا في (الحب) صاحب المعجزات جئت للعاشقين بالآيات
ختم (الحب) من حديثي بمسك رب خير يجيء في الخاتمات⁽¹⁶⁾

ويلجأ البهاء زهير إلى توظيف ظواهر أسلوبية عدة لتأكيد مفارقتها، ففي البيت الثاني جاء التصدير، والجناس الاشتقائي بين (ختم - الخاتمات) لتأكيد معيار الجودة، فضلا عن كون الشطر الثاني (رب خير يجيء في الخاتمات) يمثل حكمة أكدت المعنى. ويدرك شاعرنا أن هذه الدعوى تحتاج إلى بيئة، لذا نراه يصرح بأنه صاحب مدرسة في الحب:

غير أنني لي في (الحب) طريق قد سلكته⁽¹⁷⁾

فالمتوقع أن يسلك الشاعر تلك الطريق التي مهدها السابقون، لكنه بدلا من ذلك يتحدى الأعراف الأدبية، ويرسي عرفه الخاص، ومعجمه الشعري الجديد.

ويرى بأنه ليس شاعرا مقلدا بل هو إمام ومبتكر لكثير من معاني الحب:

سرت في (الحب) سيرة لم يسرها عاشق في الوري على الإطلاق
ضربت سكة (المحبة) باسمي ودعت لي منابر العشاق⁽¹⁸⁾

ومما يلفت الانتباه أن البهاء زهير يماهي بين الشاعر والعاشق، بل يجعل الغلبة للشاعر، فكأن الصدق الفني هو الأساس في تقويم الجودة، لا الصدق الحقيقي، حتى صار إمام الغزل، ولا يكتفي بجعله الغلبة للشاعر لا العاشق، وإنما يضيف إلى ذلك إقرار العشاق وولاءهم. ويرى أن مدرسته في الحب تمتاز بأمرين:
الأمر الأول: أنه جمع بين دمائه الخلق ولطف المعاني:

أنا في (الحب) أطف الناس معني دمت الخلق ذو حواشٍ رقاق⁽¹⁹⁾

فالشعر في رأيه ليس صنعة فحسب، فالشاعر إنسان يمتاز عن بني جنسه برهافة الإحساس، أي أن الفرق يكمن في الدرجة لا النوع. الأمر الثاني: أنه يعرف كيف يتعامل مع المرأة، لذا استعطف العشاق محبوباتهم بشعره:

به تنقضي حاجات من هو طالب ويستعطف (الأحباب) من هو عاشق⁽²⁰⁾

وكأن البهاء زهير يتلمس الفروق الدقيقة بين عقل الرجل وعقل المرأة، ولا يمكن الوصول إلى قلب المرأة إلا بعد فهم طريققتها في التفكير التي تناسب تكوينها، عندها تشعر المرأة بالأمان وتفتح مغاليق فؤادها.
وها هو ذا شاعرنا يقر بأن موضوع الحب هو سر شهرته:

جزى الله عنّي (الحب) خيرا فإنه به ازداد مجدي في الأنام وعلياي⁽²¹⁾

وهو بذلك يتخذ موقفا مغايرا لمفهوم الفحولة في الشعر الذي يوجب تنوع الأغراض فضلا عن كثرة الأشعار، وعليه لا يشترط في الجودة إجادة الشاعر في باقي الأغراض الشعرية.

ولا يقبل البهاء زهير مذهباً في الحب غير مذهبه، فهو متمسك بنهجه:

ترى في (الحبِّ) رأياً غير رأبي وتسلكُ فيه فناً غيرَ فني
فإن وافقتني أهلاً وسهلاً وإلا لستُ منكَ ولستَ مني⁽²²⁾

وإذا كانت العلاقة بينه وبين الشعراء هي تبعيتهم له، فثمة علاقة أخرى تبرز وهي علاقة التضاد والمخالفة مع باقي الشعراء الذين لا يسلكون طريقته، وكأنه بذلك يتلمس اختلاف الأساليب والمذاهب الأدبية، إلا أنه لا يقبل هذا التنوع والاختلاف، وهذا أمر متوقع، فالبهاء زهير شاعر معجب بأسلوبه، وليس ناقداً أدبياً حتى نطالبه بالموضوعية.

2-1 الثقافة الذكورية في نظرتة للحب:

ذكرت أنفا دعوى البهاء زهير في مجال الحب، ولكن شيوع هذا الموضوع في شعره لا يعني بالضرورة التسليم بتلك الدعوى، فالأفكار الواردة في شعره تكشف عن ثقافة ذكورية للحب، ولا يختلف عن كثير من شعراء الغزل في الأدب العربي.

فالبهاء زهير يرى أن من كان مثله يستحق أن يكون له حبيب كل يوم:

كل من كان له مثلي (حبيبٌ) لا يلام⁽²³⁾

وكان الحبيب متاع يُبدل كل يوم، طالما أنه يمتلك المؤهلات التي تؤهله لذلك، ولا تبدو علاقة الحب متوازنة، فهي مرتكزة بشكل أساس على محور الشاعر الرجل الفرد الثابت، على حساب الطرف الآخر المحبوبة المرأة المتعددة غير الثابتة.

ويربط الحب بمرحلة عمرية معينة، وهذا يؤكد نظرتة المادية للحب:

(أحبابنا) إن المشيبَ لشارعُ سينسخُ أحكامَ الصبايةِ والصبا⁽²⁴⁾

يوظف البهاء زهير مصطلحات العلوم الشرعية مثل: (شارع، ينسخ، أحكام) لإبراز العلاقة الضدية بين المشيب من جهة، والصباية والصبا من جهة أخرى، ويمكن قبول هذه العلاقة الضدية بين المشيب والصبا، ولكن لم يربط الشاعر بين الصباية والشباب؟ إن هذا الربط يكشف عن نظرة مادية للحب.

ويلحظ أن البهاء زهير دائماً يربط بين الحب ومجموعة من القضايا هي:

1. المعاناة: فالحب في نظره معاناة وألم، بدلا من أن يكون سعادة وحبورا:

شربتُ كووس (الحبِّ) وهي مريرةٌ وذاقتُ عذابَ الشوقِ وهو أليمٌ⁽²⁵⁾

وكان البهاء زهير يماهي بين الحب والمعاناة، وإذا كانت المعاناة بسبب البعد عن المحبوبة فلم لا يتحدث عن معاناة كلا المحبوبين، طالما أن المحبوبة شريكة في هذه العلاقة.

ونتيجة لهذه المعاناة نرى شاعرنا نزقا بسبب الحب:

أقولُ لصاحب في (الحبِّ) يلحى كفاني ذا الغرامُ فلا تزدني⁽²⁶⁾
(حبيبك) قلبي لا يفيقُ صباية له أبدا هذا الغرامُ غريم⁽²⁷⁾

يربط الشاعر بين الغرام والغريم، فالجناس غير التام واقع بين اللفظتين، ولا يكتفي الشاعر بهذا التماثل الصوتي، وإنما يضيف إليه تماثلا دلاليا يكشف عن موقف غامض تجاه الحب. والأصل أن يجعل من تلك الصعوبات التي تحول بينه وبين محبوبته غريما لا الحب، إلا إذا كان الحب لا يستحق كل تلك المعاناة.

2. ضياع العقل والدين: فالحب عند شاعرنا نقيض للعقل، لأن للحب منطقا آخر، وتحكيم العقل في الحب يتنافى مع العقل:

لا تزدُ في الهوى علي إنَّ رَشَدَ (المحبِّ) غي⁽²⁸⁾
وفيكَ شربتُ كأسَ (الحبِّ) صرفا فإن تَرَنِّي سكرتُ فلا تلمني⁽²⁹⁾

ولا يقتصر الأمر على ضياع العقل، وإنما يمتد إلى ضياع الدين أيضا:

وهبتكم في (الحبِّ) عقلي راضيا ويا ليتكم أبقيتم لي ديني⁽³⁰⁾

وهو موقف سلبي من الشاعر، ولكن الأسوأ هو تصوير المحبوبة بهذه الصورة الأنانية التي تقبل سلبه عقله ودينه، وعليه فالمحب مثالي يقدم أعز ما يملك: عقله، ودينه، أما المحبوبة فإنها أنانية تقبل ذلك في سبيل الاستئثار بمحبوبها.

3. الذل والخضوع: وهو خاص بالمحب لا المحبوبة:

فيا أيها (الأحبابُ) في السخطِ والرضا
عذرتُك إن (الحبَّ) فيه حرارةٌ
سأشكر (حبًا) فيك زادَ عبادتي
على كل حالٍ أنتمُ لا عدمتُمُ⁽³¹⁾
وإن عزيزَ القومِ فيه ذليلٌ⁽³²⁾
وإن كان فيه ذلَّةٌ وخضوعٌ⁽³³⁾

وهذا الربط يكشف عن قناعة لا شعورية لدى الشاعر بأن المرأة ليست ندا له، فلا غضاضة في التذلل إليها، فلا يعاملها بالمثل، لذا هي المحبوبة في السخط والرضا، ويعلل ذلك بأن الحب فيه ذلة وخضوع، وأن عزيز القوم فيه ذليل.

4. الموت: وهي النتيجة الحتمية لكثير ممن سبقوه، لذا نراه يقول:

أنا إن متُّ بفرطِ (الحبِّ) فيه لا ألامُ⁽³⁴⁾
فإن متُّ في ذا (الحبِّ) لستُ بأولِ
فقبلِي مات العاشقون كثيرٌ⁽³⁵⁾

يقبل الشاعر الاستسلام للصعاب، ويرضى بالموت في سبيل الحب، كما مات من قبله كبار الشعراء والعشاق، ولا يحدثنا عن سعيه للتغلب على هذه الصعاب. وإذا كان الحب معاناة وضياعا للعقل والدين، وذلا وخضوعا، فمن المنطقي جدا أن يستسلم الشاعر للموت الذي هو ضريبة العشق.

0.2 صورة المحب

1.2 مثالية المحب:

وعند حديث البهاء زهير عن المحب نراه يتحدث عن نفسه، ويجتهد في رسم صورة مثالية لهذه الصورة، فهو ذو أخلاق كريمة عرف بها:

وقد كرمتُ في (الحبِّ) منِّي شمائل
ولي في (الحبِّ) أخلاقٌ كرام
ويسألُ عنِّي من أرادَ ويبحثُ⁽³⁶⁾
فسلُ من شئتُ عنِّي وامتحنِي⁽³⁷⁾

أما أهم صفة من صفات المحب التي يتم التركيز عليها فهي صفة الوفاء والإخلاص في الحب، فقد قصر حبه على محبوبة واحدة لا يعرف سواها:

جعلتكمُ خبري في (الحبِّ) مبتدأ
فيا (أحبابَ) قلبي وهو قلبُ
وكلُّ معرفةٍ لي في الهوى نكرة⁽³⁸⁾
وفي لا يمل ولا يميلُ⁽³⁹⁾

يستخدم الشاعر ظاهرتين أسلوبيتين في حديثه عن صفة الوفاء والإخلاص في الحب أولاهما: توظيف مصطلحات العلوم وعلى وجه الخصوص مصطلحات علم النحو: كالمبتدأ، والخبر، والمعرفة، والنكرة، وتشبه هذه الظاهرة إلى حد بعيد ظاهرة التورية القائمة على ذكر لفظ له معنيان: الأول قريب غير مقصود، وهو هنا المعنى الاصطلاحي الشائع للمصطلح، والثاني بعيد وهو المقصود، فحبه ابتداءً مع تلك المحبوبة، وعمد إلى نشر هذا الخبر، وأيقن أن كل ما عرفه عن الحب قبل أن يجربه نكرة لا قيمة له. والظاهرة الثانية هي: الجناس غير التام بين (يمل - يميل) وأفضى التماثل الصوتي بين اللفظين المتجانسين إلى تماثل دلالي يتلخص في التكامل، فالقلب لا يميل عن المحبوبة إلا بعد أن يملها، ولا يمل مع تراخي الزمن وإن امتدت به السنون.

وليس الغدر من شيمه حتى لو تلقى طعنات الغدر من محبوبته:

أنا (المحبُّ) الذي ما الغدرُ من شيمي
أنا الوفيُّ (لأحبابي) وإن غدروا
هيهاتَ خلقي عنه لستُ أنتقلُ
أنا المقيمُ على عهدي وإن رحلوا⁽⁴⁰⁾

ولابد من التوقف عند ملحظ ثقافي يتلخص في سعي الشاعر إلى رسم صورة مثالية له في مقابل تلك الصورة السلبية المتمثلة في غدر المحبوبة، وهو ما كشفه الطباق بين (الوفي - غدروا) و (المقيم - رحلوا)، فضلا عن تأكيد المعنى من خلال الموازنة بين العبارتين: (أنا الوفي لأحبابي وإن غدروا) و (أنا المقيم على عهدي وإن رحلوا) وهما عبارتان متشابهتان من حيث التقطيع والتركيب النحوي. وتكرار الضمير (أنا) ثلاث مرات، وابتداء الجمل به يشير إلى أن الصفات التي وقعت خبرا خاصة به، يثبتها لنفسه، وينفيها عن غيره من خلال أسلوب القصر الذي يفيد التأكيد والتخصيص، وهذا لون من ألوان التعريض بغيره، فلا حب، ولا وفاء، ولا بقاء على العهد يتمثل في غيره بهذا المستوى.

ولا تدخل الخيانة في دائرة حساباته على الرغم من كثرة الخاننين :

لم أخنُ في الودادِ قطُ (حبيبا)
غيري يخونُ (حبيبه)
وينادي عليَّ في الأسواقِ⁽⁴¹⁾
وأنا الأمينُ ولا أمينُ⁽⁴²⁾

ولا يكتفي شاعرنا بعقد تلك المقابلة بين مثاليته وسلبية المحبوبة، فالأنا لديه تزداد تضخما، ويعقد مقابلة بين مثاليته وسلبية المجتمع من خلال طباق السلب، (أمين، ولا أمين) وطباق الإيجاب (يخون، أمين)، فقد نفى الخيانة عن نفسه، وأثبتها لغيره بطريق الكناية عن نفسه، وأكد ذلك فيما بعد بإثبات الأمانة لنفسه، ونفيها عن غيره، على طريق المبالغة.

كما أنه يثق بمحبوبته ولا يصدق أقوال الوشاة:

سواي لأقوال الوشاة مصدقٌ
وغيري في عتبِ (المحبِّ) عجولٌ⁽⁴³⁾

وتطالعنا هنا ثنائية الأنا والآخر من جديد في هذه الموازنة، فصفات الأنا مغايرة لذلك الآخر (سواي وغيري) السلبى (مصدق وعجول) ويقصد المحبوبة، وهو معنى متكرر في الشعر العربي، فالمحبة تسارع إلى تصديق الوشاة، والشك في محبوبها، وفي هذا انتقاص لذكائها أي: تلك الصفة التي يتجنبها الشعراء دائما.

2.2 خضوع المحب

وعلى الرغم من كل هذه الصفات المثالية إلا أن المحب لا يدرك قيمته الحقيقية، وينظر إلى نفسه نظرة دونية عند الموازنة مع المحبوبة حتى إنه يرى عدم استحقاقه زيارة المحبوبة له:

(حبيبٌ) لأجلي قد تعنى وزارني
وما قيمتي حتى مشى وتعذبا⁽⁴⁴⁾

وهو ما يتضح من خروج الاستفهام على خلاف مقتضى الظاهر لغرض إبراز مكانة المحبوبة العالية، فزيارتها من قبيل المن لا من قبيل الوفاء والإخلاص، وهما صفتان أقرب إلى الذم في العرف الأدبي الغزلي، لأن في وفاء المرأة انتقاصا للمعيار الأخلاقي.

ولا يكتفي بتلك النظرة الدونية، وإنما يضاف إلى ذلك إقرار المحب بذنوبه:

فيا من (حبُّ) العفو إنِّي مُذنبٌ
ولا عفو إلا أن تكونَ ذنوبٌ⁽⁴⁵⁾

وتشكل هذا المعنى عبر ظواهر أسلوبية عدة وهي: الكناية عن موصوف (فيا من يحب العفو) ويقصد المحبوبة، والطباق بين (العفو- مذنب)، والترديد الذي أسهم في نمو المعنى من خلال تكرار كلمة (العفو) في الشطر الثاني.

ويطلب العفو والمغفرة من محبوبته:

فإن تفضلْ يا رسولي فقلْ له :
(محبُّك) في ضيقٍ وحلمك واسع⁽⁴⁶⁾

ويلحظ من خلال كثير من الشواهد السابقة شيوع ظاهرة الطباق مثل (ضيق - واسع)، وليس هذا من قبيل الزخارف والمحسنات بقدر ما هو لخدمة المعنى، فشاعرنا يسعى لرسم لوحيتين متضادتين تضادا يصل في كثير من الأحيان إلى درجة المفارقة عن طريق المقابلة مرة بينه والمحبوبة، وأخرى بينه والعدال.

وعليه فلا غرابة في أن يستخدم الشاعر خطابا توسليا مع المحبوبة:

مددتُ إليك يدي سائلا
أعيذك في (حبِّ) من موقفي⁽⁴⁷⁾

وقبول الشاعر بمثل هذه المشاعر المجتلبة لا يدل على أنه يعنى بقضية المشاركة والتفاعل في الحب، فليس مهما أن تحبه المحبوبة بصدق وإن كان هذا مطلبه، المهم أن تعطف عليه، وأن تمن عليه، لذا نراه يكتفي عن صفة السؤال (مددت إليك يدي)، ويستخدم الأسلوب الخبري في قوله: (أعيذك) في موضع الأسلوب الإنشائي (أعدّه يا رب)، وفي اختيار صيغة المضارع (أعيذك) بدلا من الماضي (أعازك الله) دلالة على استمرارية هذه الحماية.

ويطلب من محبوبته أقل القليل:

في (حبِّك) قد بذلتُ روعي
من وصلك بالقليل يرضى
إن كنتَ لما بذلتُ قابل
الطلُّ من (الحبيب) وابل⁽⁴⁸⁾

وتتضح المفارقة بين الموقفين (بذلت روعي - بالقليل يرضى)، ثم نراه يقيد الحكم بحرف الشرط (إن) الذي يستخدم في مواضع الشك، مما أسهم في إبراز حدة الشق الأول من المفارقة، فقبول المحبوبة لهذا العطاء المتفاني مشكوك فيه، ويعمد كذلك إلى إبراز حدة الشق الثاني من المفارقة من خلال استخدام أسلوب المثل (الطل من الحبيب وابل) فضلا عن توظيف الطباق الإيجاب بين (الطل- وابل).

وينظر إلى عيني رسوله فعهدهما من المحبوبة قريب:

ودعني أقرُّ من مقلتيك بنظرة
فعهدهما ممن (أحبُّ) قريب⁽⁴⁹⁾

وغدا الشاعر يحتال في النوم عله يلقي طيف محبوبته :

أحتال في النوم كي ألقى خيالكم (المحب) لمحتاج إلى الحيل⁽⁵⁰⁾

وفي البيت الثاني ظاهرتان أسلوبيتان أسهمتتا في تأكيد هذا المعنى وهما: التصدير بين اللفظين المتجانسين تجانسا اشتقاقيا (أحتال- الحيل)، والتذييل الذي جرى مجرى المثل (إن المحب لمحتاج إلى الحيل) فضلا عن استخدام مؤكدين (إن واللام) إنزالا للمخاطب - وهو المحبوبة- منزلة من ينكر هذا الحكم، استدرارا لعطفها.

ونراه يستدر عطف المحبوبة من خلال تقمص شخصية الضحية وإبراز معاناته النفسية:

وكم أحمّل قلبي في (محبّكم) ما ليس يحمله قلبٌ فيحتمل⁽⁵¹⁾
 (أحبابنا) حتى متى؟ وإلى متى؟ أعرض بالشكوى لكم وأصرح⁽⁵²⁾

ويوظف شاعرنا مجموعة من الظواهر الأسلوبية كالتريديد، فنراه يكرر كلمة (القلب) تطويرا للمعنى فضلا عن التصدير بين (أحمل- فيحتمل)، وفي البيت الثاني يأتي الطباق (أعرض-أصرح) بمثابة صرخة يأس بعد استفاد كل الوسائل.

حتى غدت معاناة الشاعر مثلا سائرا من الأمثال:

يا تاركى في (حبّبه) مثلا من الأمثال سائر⁽⁵³⁾

ولعل نفي الكرى عن عيني الشاعر من أبرز صور المعاناة النفسية :

يا مَنْ لعين أرقّت أوحشها من عشقت
 مذ فارقّت (أحبّابها) لها جفون ما التقت⁽⁵⁴⁾

والأبيات تعج بالإيحاءات الدلالية كالمجاز المرسل في (عين أرقّت) وعلاقته الجزئية، واختار العين تحديدا للتعبير عن الكل، لأن الأرق تظهر ملامحه في العيون، والكنائية عن الموصوف وهو المحبوبة في (من عشقت)، والكنائية عن صفة السهر في (جفون ما التقت)، ولا غرو في أن شيوع هذه الإيحاءات الدلالية يضفي على لغة البهاء زهير طابعا خاصا، يتمثل في تلقائية اللغة، وواقعيتها، والتعبير عن الأشياء بخصائصها.

وفي المقابل يتمنى الشاعر أن ترى محبوبته ما يعانیه من ضر:

فليت عين (حبيبي) في البعاد ترى حالي وما بي من ضر أقايسيه⁽⁵⁵⁾

وليس هناك أبلغ من إشراف الشاعر على الموت لاستدرار عطف المحبوبة:

لو وصلتكم (محبكم) ما الذي كان ضركم
 مات في الحب صبوّة عظم الله أجركم⁽⁵⁶⁾

ومن ملامح هذه اللغة الواقعية استخدام الشاعر جملا وتراكيب فصيحة شائعة في اللهجة العامية من قبيل (ما الذي كان ضركم) و (عظم الله أجركم)، وفي البيت مفارقة تتلخص في تعزية الميت لمحبوبته.

وبعد هذا كله يلتمس الشاعر العذر لمحبوبته في هجرها له:

إن شكا القلب هجركم مهّد (الحب) عذركم⁽⁵⁷⁾

وهذا يؤكد ما ذهب إليه سالفا من أن البهاء زهير لا يرى المرأة ندا له، فلا ضير في التذلل إليها، فهو القائل:

ومن خلقي المشهور مذ كنت أنني لغير (حبيب) قط لم أتذلا⁽⁵⁸⁾

ولا يخفى ما لتقديم الظرف (قط) على الفعل (لم أتذلل) من دلالة التأكيد.

0.3 صورة المحبوبة

1.3 الصفات المادية:

وفي مقابل صورة المحبوب المثالي تقف صورة المحبوبة بشقيها: الشق المادي، والشق المعنوي، أما الشق المادي فيركز على الصورة المثالية الفائقة، فالشاعر لا يحب من الأشياء إلا ما كان فائقا:

(أحب) من الأشياء ما كان فائقا وما الدون إلا من يميل لدون⁽⁵⁹⁾

ويجري التعامل مع المحبوبة وكأنها شيء من الأشياء، وهذه نظرة دونية للمرأة، لا تميز بينها وبين المتاع، أما الجمال الروحي

فغائب، ولا يوليه شاعرنا أدنى اهتمام، ووصل به الأمر أن يتهم من يرضى بغير ذلك.

ومحبوبته كملت أوصافها، ولا مثيل لها في الورى فهو معذور في حبها:

لي (حبيب) كملت أوصافه حُقَّ لي في (حبه) أن أعذرا
كل شيءٍ من (حبيبي) حَسَنٌ لا أرى مثلاً حبيبي في الورى⁽⁶⁰⁾

ويظهر أن سر التفوق الذي يتحدث عنه في الحسن، ولكن ماذا لو كانت حبيبته ليست فائقة الجمال؟ ألا تكون كاملة الأوصاف في عينيه؟ وألا يستحق أن يعذر في حبها؟

ويظل البهاء زهير يكرر هذا المعنى في مواضع متفرقة:

يا (حبيبي) لقد حويت من الحسن كل فن⁽⁶¹⁾
من له مثل (حبيبي) قد حوى حسناً وحسنى⁽⁶²⁾

وفي هذا المثال يكرر كلمة (الحسن) مرتين، ويجانس بين (الحسن والحسنى) مدعياً تماثلاً صوتياً ودلالياً ويزيد هذا التماثل تكرار حرف الحاء في معظم كلمات البيت.

فكل ما يتمناه الشاعر من سمات الجمال موجود في المحبوبة:

لي (حبيب) لي منه كل شيءٍ أتمنى⁽⁶³⁾

وإذا كان شاعرنا له من محبوبته كل شيء يتمناه، فهل لمحبوبته منه كل شيء يتمناه أيضاً؟ يبدو أن تلك المشاركة والتفاعلية التي كانت تطل برأسها من حين إلى آخر قد اختفت تماماً حين شرع شاعرنا برسم صورة لمحبوبته، وما عادت ضمائر المتكلمين تظهر.

والغريب أن يتباهى الشاعر باتفاق الورى على الإعجاب بمحبوبته:

فديت الذي في (حبه) اتفق الورى فلو سئلوا لم يختلف منهم اثنان⁽⁶⁴⁾

وهذا موقف لا يتفق مع غيره العربي، إلا إذا كان شاعرنا قد اتخذ قراراً بأن تلك المحبوبة لن تكون له زوجة في يوم من الأيام، وعليه فلن يضيره لو اتفق الورى على الإعجاب بها، وتحيرت الألباب والأبصار بجمالها:

أفدي (حبيبا) هو البدر المنير وقد تحيرت فيه ألباب وأبصار⁽⁶⁵⁾

وهذا الموقف لا يتناسب مع ادعاء الشاعر بأنه غيور:

على من لا أسميه السلام (حبيب) فيه قد ضج الأنام⁽⁶⁶⁾
أنا في (الحب) غيور ذاك خلقي لا عدمته⁽⁶⁷⁾
مرادي لو خباتك يا (حبيبي) مكان النور من عيني وجفني⁽⁶⁸⁾

لعل ذاك التشتت الفكري في نظرتة إلى المرأة يطل علينا من جديد، فتلك المرأة التي يتحدث الناس عن جمالها، ويتباهى هو بذلك - هي تلك المرأة التي يغار عليها، ويتمنى لو خباها في عينيه، ولكن تلك الثقافة الذكورية الضيقة هي الغالبة على مواقف البهاء زهير.

ولا يكاد الشاعر يخوض في تفاصيل مادية باستثناء الحديث عن تلفتها وعن رشاقتها:

(أحب) من الظبي الغرير تلفتاً وأهوى من الغصن النضير تفتلاً⁽⁶⁹⁾

وفيه جمع الشاعر بين جناس القلب والتصدير بين (تلفت - تفتل) حيث جعل من تلك الصفات المادية المتعددة صفات متكاملة ترسم صورة مادية مثالية لتلك المحبوبة، ووظف الاستعارة في كل شطر ليبرز مدى رشاقة المحبوبة، ففي (تلفت وتفتل) الحركة الخفيفة المشبعة بالليون، وهي لمسة جمالية توحى بنحافة المحبوبة.

2-3 الصفات المعنوية:

ولكن كيف صور لنا الشاعر الشق المعنوي؟

على الرغم من أن المحبوبة قد صرفت قلب الشاعر إلا عن محبتها، وسلبت طرفه إلا عن النظر إليها:

يا صارفي القلب إلا عن (محببتهم) وسالبي الطرف إلا عنهم نظره⁽⁷⁰⁾

إلا أنه يصرح بعد هذه الموازنة بأنه أهدى منها وأرشد:

و يا أيها (الأحباب) مالي وما لكم و إنّي بحمد الله أهدى وأرشد⁽⁷¹⁾

وهذا يؤكد ما ذهب إليه سابقا من أن البهاء زهير ينحاز لصورة المحب/الرجل على حساب صورة المحبوبة/المرأة، وكأن العلاقة بينهما هي من طرف واحد باستثناء أبيات قليلة لا تشكل ظاهرة في ديوانه.

ويمكن تلخيص هذه الصفات المعنوية بالنقاط الآتية:

1. الإعراض عن الأحباب: وهو ليس بالأمر الهين على الشاعر:

أيها المعرض عن (أحبابه) ليس إعراضك شيئا هينا⁽⁷²⁾
 (حبيبي) كل شيء منك عندي مليح ما خلا الإعراض عني⁽⁷³⁾

وربما كانت المفارقة هي الشعور السائد عند قراءة هذه الصفات، فكل ما يصدر عن المحبوبة مليح ماعدا الإعراض، أي أنه يقبل بكل التصرفات التي لا تنزله منزلته في قلبها طالما أنه قريب منها.

2. قسوة القلب: على الرغم من أنها ردت عليه السلام:

وفهمت من نفس الرسول تعبا قلب (الحبيب) علي قلب قاسي⁽⁷⁴⁾
 فإياها القوم الذين (أحبهم) أما لكم قلب علي رحيم⁽⁷⁵⁾

ويمكن أن أطلق على هذا الموقف مصطلح المازوخية المعنوية أو الخضوعية فشاعرنا يميل إلى أن يكون مظلوما، ويعرض نفسه للإهانة، وعلى الرغم من شكواه إلا أنه لا ينفك متمسكا بهذا السلوك.

3. الجفاء: إلى تلك الدرجة التي هم فيها الشاعر أن ينسى محبوبته إلا أنه آثر الصبر:

فدع يا قلب ما قد كنت فيه ألسنت ترى (حبيبك) قد جفاكا⁽⁷⁶⁾
 (حبيبي) ما هذا الجفاء الذي أرى وأين التغاضي بيننا والتعطف⁽⁷⁷⁾
 وإنّي على هذا الجفاء لصابر لعل (حبيبي) بالرّضا لي راجع⁽⁷⁸⁾

وهذا ما تحدثت عنه آنفا، فالخاضع يظل متمسكا بذلك السلوك الذي يشكو منه، لذا لم يستطع شاعرنا التحرر، وآثر الصبر (وإني على هذا الجفاء لصابر) مستخدما مؤكّداً عدة: (إن واللام والتقديم واسمية الجملة)

4. مقابلة الإحسان بالإساءة: وهو ما يثير تعجب الشاعر:

ومن العجائب فعله (بمحبّه) يصليه ناراً وهو من عباده⁽⁷⁹⁾

ولا يقتصر الأمر على التمسك بهذه السلوك، وإنما يمتد إلى تقديس تلك المحبوبة القاسية وهو ما يتضح من ترشيح الاستعارة: (وهو من عباده) بعد قوله: (يصليه ناراً).

5. التجني: فلا يعرف الشاعر الأسباب الحقيقية للعتاب، فضلا عن ذلك يتهم بالظلم:

عتب (الحبيب) فلم أجد سببا لذاك العتب حادث⁽⁸⁰⁾
 وقلتم أنت في (الحب) ظالم صدقتم كذا كان الحديث صدقتم⁽⁸¹⁾
 أخذت عليه في (المحبة) موثقا وما زال قلبي من تجنيه مشفقا⁽⁸²⁾

وبالإضافة إلى مقابلة الإحسان بالإساءة يجد البهاء زهير نفسه متهما بما لم تقترفه يداه، ويتهم بالظلم ومتهمه هو الظالم.

6. تصديق الوشاة: لذا يطلب الشاعر أن تصدق ما تراه بعينها لا ما تسمعه بأذنيها:

(حبيبي) حاشاك من هفوة تقال ومن زلة تغتفر
 فدعني مما يقول الوشاة فتلك الأقاويل فيها نظر
 ويكفيك مني ما قد رأيت فليس العيان كمثل الخبر⁽⁸³⁾

وسبقت الإشارة إلى تجنب الشعراء الحديث عن ذكاء المحبوبة، وفي الأغلب الأعم تصور كفتاة ساذجة تنظلي عليها مكائد الوشاة، لذا يطلب منها شاعرنا أن تصدق ما تراه بعينها لا ما تسمعه.

وينتج عن سلوك المحبوبة شماتة الأعداء به:

ولي (حبيب) لم يدع مسلكا يشمت الأعداء إلا سلك⁽⁸⁴⁾

وعليه فهي لا تحتاج مكائد مدروسة، وإنما تصدق كل ما يقال، ولا يجد الوشاة والحساد عنتا في ذلك.

7. الظلم: فهو لم يقترف ذنبا حتى تغيب عنه محبوبته:

أَيُّهَا الْغَائِبُ ظَلَمَا يَا (حَبِيبِي) لَكَ أَعْنِي (85)

وثمة ملحظ أسلوبية يتمثل في نداء القريب بأداة نداء البعيد (يا)، ثم يتبع ذلك بقوله (لك أعني) للدلالة على غفلة المحبوبة عن محبوبها مع أنه بدأ البيت بندااء الحبيبة بأداة نداء القريب (أي) فالغائب الظالم بعيد حتى لو كان قريبا في الحقيقة.

8. تغير المواقف وتقلب المزاج: بعد الرضا والتغاضي عن الأخطاء:

(أَحْبَابِنَا) بِاللَّهِ كَيْفَ تَغَيَّرْتُ خَلَائِقُ غُرٌّ فَيْكُمُ وَغَرَائِزُ (86)
هَاتِ بِاللَّهِ يَا (حَبِيبِي) وَقُلْ لِي أَيْنَ ذَاكَ الرَّضَا وَأَيْنَ التَّغَاضِي (87)
أُظُنُّ (حَبِيبِي) حَالَ عَمَّا عَهْدْتَهُ وَإِلَّا فَمَا عَذْرٌ عَنِ الْوَصْلِ مَانِعٌ (88)

والمزاج له ملامح سلوكية محددة منها: الحساسية وتعني سهولة الشعور بالإزعاج من خلال التغيرات، والتشتت ويعني: ميل الشخص إلى الابتعاد عن رغباته والانشغال بأمور محيطه فضلا عن عدم المداومة، والإحباط، وعدم القدرة على الاستمرار، كل هذه السلوكيات مجتمعة شكلت مزاج محبوبته.

9. العناد: وهو موقف لا يتناسب مع حب الشاعر لها:

(أَحْبُهَا) وَهِيَ لِي مَعَانِدَةٌ كَأَنَّنِي لَسْتُ مِنْ (أَحْبَاهَا) (89)

ويعد العناد حيلة دفاعية نفسية للتعويض عن مشاعر النقص التي قد تكون شعورية أو لا شعورية، ولما كانت محبوبته فائقة الحسن، فلا مجال للحديث عن نقص جسماني، وإنما هو نقص اجتماعي لشعور المرأة بتلك النظرة السلبية تجاهها.

10. الدلال: وهو موضع تساؤل لدى الشاعر أ دلال هو أم ملال :

أَتَرَى ذَاكَ دَلَالًا مِنْ (حَبِيبِي) أَوْ مَلَالًا (90)

وفي حقيقة الأمر يندرج ذلك الدلال ضمن كذب الانتباه لنيل الاهتمام، لذا تساءل شاعرنا عن كنهه بأسلوب استفهامي يندرج ضمن تجاهل العارف. وفي البيت تقفية وجناس لاحق بين (دلالا- ملالا) أوجد تناغما موسيقيا تأنس إليه الأذان، ويعلل ذلك بمعرفة المحبوبة مكانها في قلبه :

عَرَفَ (الْحَبِيبُ) مَكَانَهُ فَتَدَلَّلَا وَقَنِعْتُ مِنْهُ بِمَوْعِدِ فَتَعَلَّلَا (91)

التيه والتكبر: وهي أول صفة تبادرت إلى ذهن الشاعر حين وصف محبوبته:

وَ (حَبِيبِي) فَلَا تَسَلْ أَيُّ تَيْهِ لَهْ وَأَيُّ (92)

وبعد ذكر التيه وظف الشاعر أسلوب الاكتفاء وهو من أنواع الحذف، للدلالة على أن ما ذكر من صفة التيه يغني عن ذكر أي صفة أخرى لذا ختم البيت بالأداة (أي) ولم يذكر شيئا بعدها.

ثم يعمد إلى التورية في كلمة التيه بعد أن ذكر ما يرجح المعنى القريب في قوله:

هَلْ كُنْتُ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فِي (مَحَبَّتِهِ) حَتَّى أَطَالَ عَذَابِي مِنْهُ بِالتَّيِّهِ (93)

فكلمة التيه لها معنيان: الأول قريب، وهو الضياع، وحتى يزيد الشاعر من جمالية التورية رشح المعنى القريب من خلال ذكره لقوم موسى الذين تاهوا في الصحراء أربعين سنة، والثاني بعيد، وهو التكبر الذي قصده الشاعر، وأرى أن اختيار هذين المعنيين اختيار موفق من قبل الشاعر، فتيه المحبوبة أي: تكبرها أودى بشاعرنا إلى الضياع، وهو معنى لم يقصده الشاعر، لكنه كامن اللاشعور لديه.

11. الملل: في كل المواقف بما فيها توضيح معاناة الشاعر لها:

بِاللَّهِ عَرَفَهُ حَالِي إِنْ خَلَوْتُ بِهِ وَلَا تُطَلِّ (فَحَبِيبِي) عِنْدَهُ مَلَلٌ (94)

ويندرج هذا ضمن الحالات المزاجية التي سبقت الإشارة إليها:

12. الكذب: ويمتد هذا الكذب إلى اليمين الغموس:

حَلَفْتُ لَكُمْ يَوْمَ النَّوَى وَحَلَفْتُمْ بِكُلِّ يَمِينٍ (لِلْمَحَبِّ) غَمُوسٍ (95)

والكذب أنواع عدة، وكذب المحبوبة يندرج ضمن كذب اللذة وهو كذب لتأكيد قدرة المحبوبة على الإيقاع بالمحبوب والنيل منه. ولا أرى أن شاعرنا بريء من تهمة الكذب، فكذبه ادعائي يهدف إلى الحصول على الحب والعطف والاهتمام.

13. تضييع العهود والمواثيق: بعد أن تعاهدا على حفظها:

(أحبابنا) أين الذي كان بيننا وأين الذي أسلفتم من مواعيد⁽⁹⁶⁾

وفي هذا البيت خرج الاستفهام على خلاف مقتضى الظاهر لغرض العتاب، علما بأن البهاء زهير حافظ على هذه العهود:

أضعت ودَّ (محبِّ) ما زال يحفظ ودَّك⁽⁹⁷⁾
فكم غرست وفائي في (محبتم) فما جنيت لغرس فيكم ثمرة⁽⁹⁸⁾

وألحظ أن الطباق لدى شاعرنا يتجاوز في كثير من الأحيان الإطار اللساني للجملة، ويفضي بنا إلى الإحساس بالمفارقة بين سلوك المحب حافظ الود وسلوك المحبوبة مضيعة الود.

14. القلى والهجر: وهو ما لا يقوى الشاعر على تحمله:

هوئى وصبابةً وقلئى وهجر (حبيبي) بعض هذا كان يُغني⁽⁹⁹⁾

ويوظف الشاعر في هذا البيت أسلوب الاطراد لذا نرى الألفاظ تطرد لدى الشاعر (هوى، وصبابة، وقلئى، وهجر) لأن الأمور استعصت عليه حصرا، ولم يعد قادرا على إدارة أموره.

ومن الواضح أن البهاء زهير يعاني مع هذه المحبوبة، لذا نراه يقول:

وهو (الحبيب) فكيف أصبح قاتلي والله لو كان العدو لما عدا⁽¹⁰⁰⁾

وفي مجيء الجنس الاشتقائي (العدو-عدا) ما يفسر ماهية هذه المحبوبة التي كان على الشاعر أن يحكم عليها من خلال سلوكها، لا من خلال عواطفه ومشاعره.

لكن لماذا هو متمسك بها رغم المعاناة؟ أرى أن تمسكه بالمحبوبة مرتبط بالجانب المادي في العلاقة بين الرجل والمرأة، وليس أدل على ذلك من قوله:

لي (حبيب) عبدتة وجهه يجمع المسرة
ويح من يعبد الوثن للقلب والحنن⁽¹⁰¹⁾

ويقول أيضا:

مولاي ما أحلاك في قلب (المحب) وما أمرك⁽¹⁰²⁾

مع كونه من الشعراء المتأخرين، فهو يرى أنه صاحب مدرسة في الحب، ولم يكن شاعرا مقلدا، كما أنه يرى أن مدرسته في الحب تمتاز بأمرين: الأمر الأول: أنه جمع بين دماثة الخلق ولفظ المعاني، والأمر الثاني: أنه يعرف كيف يتعامل مع المرأة، لذا استعطف العشاق محبوباتهم بشعره، ويقر بأن موضوع الحب هو سر شهرته، ولا يقبل البهاء زهير مذهباً في الحب غير مذهبه، فهو متمسك بنهجه، وقد بث لنا تصورات عن الحب، والمحب، والمحبوبة.

4. إن شيوع هذا الموضوع في شعره لا يعني بالضرورة التسليم بتلك الدعوى، فالأفكار الواردة في شعره تكشف عن ثقافة نابعة من نظرة زكورية ضيقة للحب، ولا يختلف عن كثير من شعراء الغزل في الأدب العربي.

5. عند حديث البهاء زهير عن المحب نراه يتحدث عن نفسه، ويجتهد في رسم صورة مثالية لهذه الصورة.

6. على الرغم من كل هذه الصفات الإيجابية إلا أن المحب لا يدرك قيمته الحقيقية، وينظر إلى نفسه نظرة دونية عند المقارنة مع المحبوبة، حتى إنه يرى عدم استحقاقه زيارة المحبوبة له، ولا يكتفي بتلك النظرة الدونية، وإنما يضاف إلى ذلك إقرار المحب

ولا غرو أن استخدام الشاعر لكلمة (الوثن) يحمل دلالات عميقة، منها سلبه البعد الإنساني من هذه المحبوبة التي أقرب ما تكون إلى الدمية، كما أن الدلالة الدينية لكلمة (الوثن) تشير إلى ضياع الدنيا والآخرة، ويدرك شاعرنا مدى خطئه، لذا يذيل البيت بقوله: (ويح من يعبد الوثن) فضلا عن الطابع الخضوعي المازوخي الذي أشرت إليه في نفسية البهاء زهير، فهو يعيش الألم، ويتلذذ به، ويشكو منه، لكن لا ينفك عنه.

النتائج

1. يشيع في ديوان البهاء زهير تكرار مشتقات الجذر (ح ب ب) وهذه المشتقات هي: حبيب، حب، أحباب، أحبتي، أحباء، محب، محبة، أحب، متحِب، محبوب.
2. غالبا ما اقترن ورود هذه المشتقات بظهور مجموعة من الظواهر الأسلوبية مثل: التصدير، والجناس، والطباق، والمقابلة، والموازنة، والكناية، والترديد، والتورية، والمفارقة، والمجاز المرسل، وترشيح الاستعارة، والاكتفاء، والاطراد، والقصر، والتقييد، واستخدام الخبري في موضع الإنشائي، وخروج الاستفهام على خلاف مقتضى الظاهر.
3. يصرح البهاء زهير بأنه إمام في الحب، ولا يتناقض كلامه هذا

حظيا عنده إلى أن مات الصالح، فانقطع زهير في داره إلى أن توفي بمصر.

انظر ترجمته في:

- ابن خلكان، محمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر (ت 681هـ) 1972-م، وفيات الأعيان، تحقيق: إحسان عباس، (مطبعة صادر - بيروت) ج 2، ص 332 - 338.
- الصفدي، صلاح الدين أبو الصفاء خليل بن أبيك بن عبد الله الألبكي الفاري (ت 764هـ) 2000-م الوافي بالوفيات، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان)، ط 1 تحقيق: أحمد الأرنؤوط، وتركي مصطفى، ج 14، ص 156-163.
- اليونيني، قطب الدين (ت 726هـ) 1954-م، ذيل مرآة الزمان، (حيدرآباد، الهند) ط 1، ج 1، ص 184، 1971-1972.
- أبو الفداء، إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب (ت 732هـ) 1961-م المختصر في أخبار البشر، (دار البحار بيروت) ج 6، ص 103.
- الكتبي، ابن شاعر (ت 764هـ) 1980-م، عيون التواريخ، تحقيق: فيصل السامر، ونبيلة عبد المنعم، (مطبعة بغداد) ص 179.
- اليافعي، عبد الله بن أسعد (ت 768هـ) 1339-هـ، مرآة الجنان وعبرة اليقظان (مطبعة حيدرآباد، الهند) ط 4، ج 4، ص 138.
- ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر (ت 774هـ) 1992-م، البداية والنهاية، (مطبعة دار الغد العربي، القاهرة)، ج 7، ص 196.
- المقرئ، تقي الدين أحمد بن علي (ت 845هـ) - 1936م، السلوك لمعرفة دول الملوك - تحقيق: محمد مصطفى زيادة، (مطبعة دار الكتب المصرية للقاهرة)، ج 1، ص 413.
- العيني، بدر الدين محمود (ت 855هـ) - 1987م، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق: محمد محمد أمين (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة) ص 188-186.
- ابن تغري بردي، أبو المحاسن جمال الدين يوسف (ت 874هـ) 1938-م، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، (دار الكتب المصرية، القاهرة) ج 7، ص 62 - 63.
- ابن تغري بردي، أبو المحاسن جمال الدين يوسف (ت 874هـ) 1988-م المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، تحقيق: نبيل محمد عبد العزيز، (الهيئة العامة للكتاب، القاهرة)، ج 5، ص 369 - 377.
- ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن أحمد بن محمد بن محمد ابن العماد العسكري (ت 1089هـ) 1351-هـ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب (مطبعة القدسي، القاهرة) ج 5، ص 276.
- بالمر، هندي 1876-م ديوان الوزير بهاء الدين زهير، (طبعة كامبريدج، دار الفنون، انكلترا).
- حمزة، عبد اللطيف 1900-م، في الأدب المصري من قيام الدولة الأيوبية إلى مجيء الحملة الفرنسية، (دار القلم، القاهرة) - 136 150.
- زيدان، جرجي - 1911م، تاريخ آداب اللغة العربية، (مطبعة مصر)، ط 1، ج 3، ص 18.

بذنوبه، ويطلب العفو والمغفرة من محبوبته، وعليه فلا غرابة في أن يستخدم الشاعر خطابا توسليا مع المحبوبة، ويطلب من محبوبته أقل القليل، وينظر إلى عيني رسوله فعهدهما من المحبوبة قريب، وغدا الشاعر يحتال في النوم على يلقي طيف محبوبته، ونراه يستدر عطف المحبوبة من خلال تقمص شخصية الضحية وإبراز معاناته النفسية، حتى غدت معاناة الشاعر مثلا سائرا من الأمثال، ولعل نفي الكرى عن عيني الشاعر من أبرز صور المعاناة النفسية، وفي المقابل يتمنى الشاعر أن ترى محبوبته ما يعانیه من ضرر، وليس هناك أبلغ من إشراف الشاعر على الموت لاستدرا عطف المحبوبة، وبعد هذا كله يلتمس الشاعر العذر لمحبوبته في هجرها له، وهذا يؤكد أن البهاء زهير لا يرى المرأة ندا له، فلا ضير في التذلل إليها.

7. يقابل صورة المحبوب المثالي تقف صورة المحبوبة بشقيها: الشق المادي، والشق المعنوي، أما الشق المادي فيركز على الصورة المثالية الفائقة، فالشاعر لا يحب من الأشياء إلا ما كان فائقا.
8. تمسك البهاء زهير بالمحبوبة مرتبط بالجانب المادي في العلاقة بين الرجل والمرأة.
9. يغلب على الشق المعنوي للمحبوبة الصفات السلبية مثل: الإعراض، والقسوة، والجفاء، ومقابلة الإحسان بالإساءة، والتجني، وتصديق الوشاة، والظلم، وتغيير المواقف والمزاج، والعناد، والدلال، والتهيه والكبر، والملل، والكذب، وتضييع العهود والمواثيق، والقلبي والهجر.
10. يوصي الباحث بدراسة (نظرة المجتمع للحب في شعر البهاء زهير: دراسة ثقافية) وتتمثل في الخضوع لسلطة المجتمع، فضلا عن أنماط معارضة الحب مثل: (الحساد، والعدال، والوشاة، والرقباء).

الهوامش:

1. ابن الأثير، ضياء الدين (ت 637) - 1982، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج 4، تحقيق: أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، دار نهضة مصر، القاهرة. ج 1، ص 239.
2. ابن الأثير- المثل السائر، ج 1، ص 240.
3. السعيد الورقي 1998-م، لغة الشعر العربي الحديث مقوماتها الفنية وطاقاتها الإبداعية، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ص 161.
4. السعدني، مصطفى 1987-م، البنيات الأسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث، منشأة المعارف الاسكندرية، ص 106.
5. أولمان، ستيفن 1985-م، "اتجاهات جديدة في علم الأسلوب"، في كتاب اتجاهات البحث الأسلوبية دراسات أسلوبية اختيار، وترجمة، وإضافة، ط 1، ترجمة شكري عياد، دار العلوم للطباعة والنشر، ص 98.
6. هو زهير بن محمد بن علي المهلب العتكي، بهاء الدين: (581 - 656 هـ = 1186 - 1258 م) شاعر، كان من الكتاب، يقول الشعر ويرققه، فتعجب به العامة، وتستلمحه الخاصة. ولد بمكة، ونشأ بقوص. واتصل بخدمة الملك الصالح أيوب (بمصر)، فقربه وجعله من خواص كتابه، وظل

- الزيّات، أحمد- 1911م، تاريخ الأدب العربي، ط1، ص 355- 356
17. الديوان، ص 184
18. الديوان، ص 185
19. الديوان، ص 181
20. الديوان، ص 17
21. الديوان، ص 270
22. الديوان، ص 242
23. الديوان، ص 32
24. الديوان، ص 244
25. الديوان، ص 269
26. الديوان، ص 244
27. الديوان، ص 301
28. الديوان، ص 268
29. الديوان، ص 277
30. الديوان، ص 231
31. الديوان، ص 205
32. الديوان، ص 157
33. الديوان، ص 241
34. الديوان، ص 93
35. الديوان، ص 52
36. الديوان، ص 269
37. الديوان، ص 91
38. الديوان، ص 207
39. الديوان، ص 217
40. الديوان، ص 185
41. الديوان، ص 273
42. الديوان، ص 216
43. الديوان، ص 37
44. الديوان، ص 31
45. الديوان، ص 157
46. الديوان، ص 166
47. الديوان، ص 214، 215
48. الديوان، ص 33
49. الديوان، ص 209
50. الديوان، ص 217
51. الديوان، ص 61
52. الديوان، ص 124
53. الديوان، ص 42
54. الديوان، ص 285
7. عياد، شكري - 1982م، مدخل إلى علم الأسلوب، السعودية ص 30-28
8. عياد، شكري - 1988م، اللغة والإبداع مبادئ علم الأسلوب العربي، ط1، ص 42
9. ألمان- اتجاهات جديدة في علم الأسلوب، ص 105
10. ملك، عزة آغا - 1986، "الأسلوبية من خلال اللسانية"، الفكر العربي، عدد 38، بيروت ص 92، 93
11. بالي، شارل - 1985م، "علم الأسلوب وعلم اللغة العام"، في كتاب اتجاهات البحث الأسلوبية دراسات أسلوبية اختيار وترجمة وإضافة ط1، ترجمة شكري عياد، دار العلوم للطباعة والنشر، ص 31، 32
12. جبرو، بيير- 1991م، الأسلوبية الوصفية أو أسلوبية التعبير، ترجمة منذر عياشي، فصول، مجلد 9، العددان: 3، 4، مصر م، ص 327
13. السيد، محمد شفيع الدين - 1986م، الاتجاه الأسلوبية في النقد الأدبي، دار الفكر العربي، القاهرة، ص 169، 170
14. البهاء زهير- 1982، ديوان البهاء زهير شرح وتحقيق: محمد طاهر الجبلاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، دار المعارف، سلسلة نخائر العرب رقم 53، ص 241
15. الديوان، ص 47
16. الديوان، ص 50

93. الديوان، ص 217
 94. الديوان، ص 144
 95. الديوان، ص 84
 96. الديوان، ص 86
 97. الديوان، ص 91
 98. الديوان، ص 269
 99. الديوان، ص 70
 100. الديوان، ص 272
 101. الديوان، ص 108

المصادر والمراجع:

1. ابن الأثير، ضياء الدين (ت 637) - د.ت، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، 4م، تحقيق: أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، دار نهضة مصر، القاهرة.
2. ألمان، ستيفن 1985-م، «اتجاهات جديدة في علم الأسلوب»، في كتاب اتجاهات البحث الأسلوبي دراسات أسلوبية اختيار، وترجمة، وإضافة، ط1، ترجمة شكري عياد، دار العلوم للطباعة والنشر.
3. بالمر، هندي 1876-م، ديوان الوزير بهاء الدين زهير، (طبعة كامبريدج، دار الفنون، انكلترا).
4. بالي، شارل - 1985م، «علم الأسلوب وعلم اللغة العام»، في كتاب اتجاهات البحث الأسلوبي دراسات أسلوبية اختيار وترجمة وإضافة ط1، ترجمة شكري عياد، دار العلوم للطباعة والنشر.
5. البهاء زهير- 1982م، ديوان البهاء زهير شرح وتحقيق: محمد طاهر الجبلوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، دار المعارف، سلسلة نخائر العرب رقم 53.
6. ابن تغري بردي، أبو المحاسن جمال الدين يوسف (ت 874هـ) 1938-م، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، (دار الكتب المصرية، القاهرة).
7. ابن تغري بردي، أبو المحاسن جمال الدين يوسف (ت 874هـ) 1988-م المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، تحقيق: نبيل محمد عبد العزيز، (الهيئة العامة للكتاب، القاهرة).
8. جيرو، بيير- 1991م، الأسلوبية الوصفية أو أسلوبية التعبير، ترجمة منذر عياشي، فصول، مجلد 9، العددان: 3، 4، مصر.
9. حمزة، عبد اللطيف 1900-م، في الأدب المصري من قيام الدولة الأيوبية إلى مجيء الحملة الفرنسية، (دار القلم، القاهرة).
10. الحمود، نجيبه فايز حافظ- 1988م، البهاء زهير: حياته وشعره، رسالة جامعية (ماجستير) إشراف: د. خليل أبو رحمة، جامعة اليرموك، إربد.
11. ابن خلكان، محمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر (ت 681هـ) 1972-م، وفيات الأعيان، تحقيق: إحسان عباس، (مطبعة صادر - بيروت).
12. الزركلي، خير الدين 1980-م، الأعلام، (دار العلم للملايين، بيروت).
13. الزيّات، أحمد- 1911م، تاريخ الأدب العربي، ط1.
55. الديوان، ص 121
 56. الديوان، ص 120
 57. الديوان، ص 223
 58. الديوان، ص 277
 59. الديوان، ص 112
 60. الديوان، ص 272
 61. الديوان، ص 258
 62. الديوان، ص 258
 63. الديوان، ص 267
 64. الديوان، ص 113
 65. الديوان، ص 239
 66. الديوان، ص 50
 67. الديوان، ص 268
 68. الديوان، ص 223
 69. الديوان، ص 91
 70. الديوان، ص 85
 71. الديوان، ص 262
 72. الديوان، ص 269
 73. الديوان، ص 142
 74. الديوان، ص 245
 75. الديوان، ص 193
 76. الديوان، ص 168
 77. الديوان، ص 157
 78. الديوان، ص 68
 79. الديوان، ص 52
 80. الديوان، ص 231
 81. الديوان، ص 178
 82. الديوان، ص 126
 83. الديوان، ص 196
 84. الديوان، ص 264
 85. الديوان، ص 135
 86. الديوان، ص 148
 87. الديوان، ص 156
 88. الديوان، ص 290
 89. الديوان، ص 219
 90. الديوان، ص 224
 91. الديوان، ص 301
 92. الديوان، ص 285

14. زيدان، جرجي - 1911م، تاريخ آداب اللغة العربية، (مطبعة مصر) ، ط1.
15. السعدني، مصطفى 1987-م، البنيات الأسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث، منشأة المعارف الاسكندرية.
16. السعيد الورقي 1998-م، لغة الشعر العربي الحديث مقوماتها الفنية وطاقتها الإبداعية، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية.
17. سلام، محمد زغلول 1990-م، في الأدب في العصر الأيوبي، (دار الاسكندرية)، ط3.
18. السيد، محمد شفيع الدين -1986م، الاتجاه الأسلوبي في النقد الأدبي، دار الفكر العربي، القاهرة.
19. الشايب، أحمد -1929م، البهاء زهير: الحالة السياسية والاجتماعية، مطبعة الاسكندرية، الاسكندرية.
20. الشلبي، عبد الفتاح اسماعيل -1960م، البهاء زهير، دار المعارف.
21. الصفدي، صلاح الدين أبو الصفاء خليل بن أيبك بن عبد الله الألبكي الفاري (ت 764هـ) 2000-م الوافي بالوفيات، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان) ، ط1 تحقيق: أحمد الأرنؤوط، وتركي مصطفى.
22. ضيف، شوقي 1984-م عصر الدول والإمارات، مصر، الشام (دار المعارف، القاهرة)، ط2.
23. عبد الرزاق، مصطفى -1930م، البهاء زهير، دار الكتب المصرية، القاهرة.
24. ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري (ت 1089هـ) 1351-هـ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب (مطبعة القدسي ، القاهرة) .
25. عياد، شكري - 1988م، اللغة والإبداع مبادئ علم الأسلوب العربي، ط1
26. عياد، شكري - 1982م، مدخل إلى علم الأسلوب، السعودية
27. العيني، بدر الدين محمود (ت 855هـ) - 1987م، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق: محمد أمين (الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة)
28. الفاخوري، حنا - 1986م، الجامع في تاريخ الأدب العربي، (دار الجيل بيروت، لبنان) .
29. أبو الفداء، إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب (ت 732هـ) 1961-م المختصر في أخبار البشر، (دار البحار بيروت) .
30. الكتبي، ابن شاعر (ت 764هـ) 1980-م، عيون التواريخ، تحقيق: فيصل السامر، ونبيلة عبدالمنعم، (مطبعة بغداد) .
31. ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر (ت 774هـ) 1992-م، البداية والنهاية ، (مطبعة دار الغد العربي ، القاهرة) .
32. الكعك، عثمان 1955-م، صفي الدين الحلي وبهاء الدين زهير (جمعية الإخاء القبرواني، تونس) .
33. مصطفى، محمود 1967-م، الأدب العربي في مصر من الفتح الإسلامي حتى نهاية العصر المملوكي (دار الكاتب العربي للطباعة والنشر - القاهرة) .
34. المقرئ، تقي الدين أحمد بن علي (ت 845هـ) 1936-م، السلوك لمعرفة دول الملوك - تحقيق: محمد مصطفى زيادة، (مطبعة دار الكتب المصرية للقاهرة)
35. ملك، عزة آغا - 1986، «الأسلوبية من خلال اللسانية»، الفكر العربي، عدد 38، بيروت
36. اليافعي، عبد الله بن أسعد (ت 768هـ) 1339-هـ، مرآة الجنان وعبرة اليقظان (مطبعة حيدرآباد ، الهند) ط4.
37. اليونيني، قطب الدين (ت 726هـ) 1954-م، نيل مرآة الزمان، (حيدرآباد، الهند) ط1

التحري الجنائي في مسرح الجريمة الإلكترونية*

أ. بن فريجة رشيد**

د. ميهوب يوسف***

* تاريخ التسليم: 2015/2/9م، تاريخ القبول: 2015/12/21م.
** أستاذ باحث (مساعد أ) / جامعة عبد الحميد ابن باديس/ الجزائر.
*** أستاذ مساعد/ جامعة عبد الحميد ابن باديس/ الجزائر.

يستخدمها المجرمون للاستفادة من التكنولوجيا لتحقيق المكاسب الشخصية غير المشروعة مستفيدين مما توصلت إليه التكنولوجيا من تقدم للوصول إلى أغراضهم، فعلى سبيل المثال تقدر تكلفة الخسائر التي تتلقاها الشركات الأمريكية بسبب الاستخدام غير القانوني للكمبيوتر بما مقداره من خمسمائة مليون إلى خمسة بلايين دولار سنوياً⁽¹⁾.

التحقيق في الجرائم المعلوماتية أمر يتطلب نوع من الدهاء والخبرة التقنية والفنية فهي تختلف عن الجرائم التقليدية وإن كانت تتشابه معها في إجراءات البحث والتحري من معاينة والتفتيش في مسرح الجريمة وجمع الأدلة إلا أنها تتميز ببعض الخصوصية كونها تقع داخل الحاسب الآلي أو داخل نظامه.

كما تتميز الجرائم المعلوماتية بصعوبة اكتشافها وإثباتها وذلك يعود إلى أنها لا تخلف أثارا ظاهرة تنصب على البيانات الموجودة في النظم المعلوماتية، فالتحقيق في هذه الجرائم يستوجب استحداث الأساليب العلمية والتقنية ومواكبة التقدم التكنولوجي.

أهمية الدراسة:

إن دراسة موضوع التحري الجنائي في مسرح الجريمة الإلكترونية من الموضوعات الحديثة التي جذبت اهتمام الكثير من الباحثين في عصرنا الحالي نظرا لتطور الوسائل التكنولوجية ويتطور هذه الأخيرة أصبحت للجرائم أبعاد أخرى، إذ ظهرت جرائم تسمى بالجرائم الإلكترونية، تلك التي تعد من الجرائم التي يصعب التحقيق فيها ويجب أن تتوفر عدة وسائل بشرية أو مادية للتحقيق في مسرح الجريمة الرقمية، وبالتالي أردنا أن نسلط الضوء على طرق البحث والتحري في مثل هذا النوع من الجرائم الذي يتميز بخصوصيته بالمقارنة مع الجرائم التقليدية.

مشكلة الدراسة وتساؤلاتها:

تسعى هذه الدراسة إلى تعرف كيفية التحقيق في الجرائم المستحدثة في عصرنا الحالي، ألا وهي الجرائم المعلوماتية أو الإلكترونية، وذلك نظرا للاستعمال الواسع للحاسب الآلي، إذ إن هناك عدة صعوبات تواجه التحريات والتحقيقات في مثل هذا النوع من الجرائم، وهذا ما سنحاول توضيحه في هذا الموضوع.

أما تساؤلاتها فيمكن تلخيصها على النحو الآتي :

- ◀ ما هي أهم طرق التحري في الجرائم المعلوماتية؟
- ◀ وكيف يتم استخلاص الأدلة في مثل هذا النوع من الجرائم؟ وهل الدليل الإلكتروني كاف للكشف عن الجاني؟

منهجية وخطة الدراسة:

اعتمدنا لدراسة موضوع التحري الجنائي في مسرح الجريمة المعلوماتية على المنهج التحليلي من أجل تقديم دراسة تحليلية حول كيفية استخلاص الأدلة المعلوماتية من أجل تعقب الجناة، وللإجابة عن التساؤلات التي طرحت سابقا ارتأينا تقسيم الموضوع إلى ثلاثة مباحث، تمثل المبحث الأول في مفهوم الأدلة الإلكترونية، أما المبحث الثاني فسنتناول فيه استخلاص الأدلة الإلكترونية، أما بالنسبة للمبحث الثالث فسنتناول فيه إلى كيفية تعقب مرتكبي الجرائم الإلكترونية.

ملخص:

تعتبر الجريمة الإلكترونية من الجرائم المستحدثة في عالمنا المعاصر، ويتطور الجريمة كان لزاما على رجال البحث والتحري تطوير امكانياتهم لمكافحة هذا النوع من الجرائم، وبطبيعة الحال فإن التحقيق في أي جريمة سيكون وفق إجراءات محددة كاستخلاص الأدلة، وتعقب الجناة، وهذا ما سنحاول توضيحه في هذه الدراسة.

الكلمات المفتاحية: الجريمة الإلكترونية- التحري الجنائي-

مسرح الجريمة

The criminal Investigation in Cyber crime Scene

Abstract:

Electronic crime of modern crimes in the contemporary world, and with the evolution of the crime, there was the need for specialists in the research and investigation to develop their potential to combat this type of crime, and of course, the investigation of cyber crime will be in accordance with specific procedures for the conclusion of the evidence, track down cybercriminals.

Key words: *electronic crimes, criminal investigation, crime scene*

مقدمة:

التحقيق الجنائي لما يتضمنه من قواعد إجرائية وفنية في التعامل مع مسرح الجريمة كالانتقال والمعاينة والتفتيش، باعتباره مكان الحادث الذي شهد النشاط الإجرامي، تنبثق منه الأدلة بأنواعها المختلفة، إذ يتزود بها الباحث أو المحقق الجنائي من خلال تدوينه واستنباطه للمعلومات الضرورية، حتى يستلهم بذلك حقيقة النشاط المرتكب سواء أكان مسرحاً لجريمة تقليدية أم لجريمة مستحدثة كالمعلقة بالحاسب الآلي.

تعد الجرائم المتعلقة بالحاسب الآلي نمطا حديثا من أنماط الجريمة لم تعرفها إلا المجتمعات المعاصرة، فقد أدى الاستخدام الواسع لأجهزة الحاسب في المعاملات الحكومية المدنية والعسكرية والمعاملات التجارية إلى دفع بعض الأشخاص إلى الاستفادة غير القانونية من هذه التكنولوجيا المتقدمة، ومن الأمثلة على استخدام الحاسب أداة للجريمة سرقة الخدمات وذلك بأن يقوم مجرم الحاسب بالاستخدامات غير المشروعة للحاسب أو استخدام الحاسب قانونيا ولكن لأغراض غير مسموح بها، بما في ذلك الدخول غير المشروع على نظام الحاسبات الخاصة ويمكن استخدام المعلومات الموجودة على الحاسب لأغراض شخصية، ومن أجل تحقيق الأرباح الشخصية كما يمكن استخدام الحاسب من أجل إجراء أنواع متعددة من العمليات غير المشروعة كالدخول إلى حسابات العملاء وتحويلها إلى حساب شخصي أو سرقتها بالإضافة إلى سرقة الممتلكات عن طريق الحاسب بطريقة غير شرعية، كل ذلك من الوسائل التي

المبحث الأول: مفهوم الأدلة الإلكترونية

للأصل ولها ذات القيمة العلمية والحجية الثبوتية الشيء الذي لا يتوافر في أنواع الأدلة التقليدية، ما يشكل ضماناً شديداً للفعالية للحفاظ على الدليل ضد الفقد، والتلف، والتغيير، عن طريق عمل نسخ طبق الأصل من الدليل.

3. الأدلة الرقمية يمكن استرجاعها بعد محوها، وإصلاحها بعد اتلافها، وإظهارها بعد إخفائها، ما يؤدي إلى صعوبة التخلص منها، وتعد هذه الخاصية من أهم خصائص الدليل الرقمي، بالمقارنة مع الدليل التقليدي، فهناك العديد من البرامج الحاسوبية التي وظيفتها استعادة البيانات التي جرى حذفها أو إلغائها، سواء حصل ذلك بأمر الحذف (Delete) أو حصل بإعادة تهيئة أو تشكيل للقرص الصلب والبرامج التي تم إتلافها أو إخفائها، سواء كانت صوراً أو رسوماً أو كتابات أو غيرها، ما يعني صعوبة إخفاء الجاني لجريمته أو التخفي منها.

4. الأدلة الجنائية الرقمية ذات طبيعة ديناميكية فائقة السرعة تنتقل من مكان لآخر عبر شبكات اتصال متعددة لحدود الزمان والمكان⁽⁷⁾.

5. ويعتبر الأستاذ أمين البشري أن الدليل الرقمي لا يعتبر دليلاً مادياً بالدرجة الأولى بل يمكن في بعض الحالات تخيله في شكله وحجمه، وهذا ما يتميز عن الدليل التقليدي الذي يكون مادياً في معظم الأحيان⁽⁸⁾.

المبحث الثاني: أنواع الأدلة الإلكترونية وكيفية استخلاصها

إن التعامل مع مسرح الجريمة سواء أكان مسرحاً مادياً أم مسرحاً معلوماتياً يحتم ضرورة إتباع إجراءات التحقيق الجنائي العادي والمتفق عليها لحماية الأدلة وإبراز قيمتها الاستدلالية غير أن تعدد أساليب وطرق حفظها واستخلاصها تختلف من مسرح الجريمة المادي إلى مسرح الجريمة الإلكتروني أو الرقمي، ذلك أن التطبيقات أو البرامج والبيانات المرقمة عنصران أساسيان يتطلب على أجهزة تنفيذ القانون وخبراء الأدلة الجنائية، جمعهما واستخلاصهما.

المطلب الأول: أنواع الأدلة الإلكترونية

توجد الأدلة الإلكترونية على عدة أشكال مختلفة، بحيث يجب علينا معرفتها ما يسهل على رجال البحث والتحري الوصول إليها عند التفتيش فهي قد تكون في شكل⁽⁹⁾:

♦ الأقراص المرنة والأقراص الصلبة وهي من أهم الأدلة لأنها تحتوي على البيانات وعلى المعلومات وعلى كلمات المرور وعلى الصور وعلى التقارير وعلى خطط ارتكاب الجريمة مثلاً وغير ذلك.

♦ أشرطة تخزين المعلومات التي تستخدم عادة لحفظ النسخ الاحتياطية.

♦ أدلة ورقية مثل مخرجات الطباعة والتقارير والرسوم البيانية.

♦ أجهزة الحاسبات الآلية وتتضمن معها ملحقات الحاسب من شاشات وغير ذلك.

في أثناء عملية البحث والتحري في مسرح الجريمة الإلكترونية يجري كشف مجموعة من الأدلة تسمى بالأدلة الإلكترونية أو الرقمية، وهذا ما سنركز عليه في هذا المبحث، إذ سنقسمه إلى مطلبين؛ يتمثل المطلب الأول في تعريف الأدلة الإلكترونية، أما المطلب الثاني فتطرقنا فيه إلى خصائص الأدلة الإلكترونية وتمييزها عن الأدلة التقليدية.

المطلب الأول: تعريف الأدلة الإلكترونية

إن الدليل الإلكتروني عبارة عن معلومات يقبلها المنطق والعقل ويعتمدها العلم، ويتم الحصول عليه بإجراءات قانونية وعلمية بترجمة البيانات الحاسوبية المخزنة في أجهزة الحاسب الآلي وملحقاتها وشبكات الاتصال، ويمكن استخدامها في أي مرحلة من مراحل التحقيق أو المحاكمة لإثبات حقيقة فعل أو شيء أو شخص له علاقة بجريمة أو جان أو مجني عليه⁽²⁾.

واعتبر الفقه الجنائي الأدلة الجنائية الرقمية بأنها التي تشمل على جميع البيانات الإلكترونية أو الرقمية التي يمكن أن تثبت وجود وقوع الجريمة، أو توجد علاقة بين الجريمة المرتكبة والجاني أو توجد علاقة بين الجريمة والضحية والبيانات الرقمية هي مجموعة الأرقام التي تمثل المعلومات الرقمية المختلفة الواردة سواء أكانت رسومات ونصوص مكتوبة أم الخرائط والصوت والصورة⁽³⁾.

ويعرف الدليل الرقمي أيضاً على أنه ذلك الدليل المأخوذ من أجهزة الحاسب الآلي، ويكون في شكل مجالات أو نبضات مغناطيسية ممكن تجميعها وتحليلها باستخدام برامج وتطبيقات وتكنولوجيا خاصة، ويجري تقديمها في شكل دليل يمكن اعتماده أمام القضاء، وهو مكون رقمي لتقديم معلومات في أشكال متنوعة مثل: النصوص المكتوبة أو الصور والأصوات والأشكال والرسوم، وذلك من أجل الربط بين الجريمة والمجرم والمجني عليه، وبشكل قانوني يمكن الأخذ به أمام أجهزة إنفاذ وتطبيق القانون⁽⁴⁾.

ويعرف آخرون الدليل الإلكتروني على أنه ذلك الدليل المشتق من أو بواسطة النظم البرمجية المعلوماتية الحاسوبية، وأجهزة ومعدات وأدوات الحاسب الآلي، أو شبكات الاتصالات من خلال إجراءات قانونية وفنية، لتقديمها للقضاء بعد تحليلها علمياً أو تفسيرها في شكل نصوص مكتوبة، أو رسومات أو صور وأشكال وأصوات، لإثبات وقوع الجريمة ولتقرير البراءة أو الإدانة فيها⁽⁵⁾.

المطلب الثاني: خصائص الأدلة الإلكترونية وتمييزها عن الأدلة التقليدية

للأدلة الإلكترونية مجموعة من الخصائص تميزها عن الأدلة التقليدية وهذا ما أكده المختصين في مجال البحث الجنائي، وتتمثل هذه الخصائص فيما يأتي⁽⁶⁾:

1. الأدلة الرقمية تتكون من بيانات ومعلومات ذات هيئة إلكترونية غير ملموسة، لا تدرك بالحواس العادية، بل يتطلب إدراكها الاستعانة بأجهزة ومعدات وأدوات الحاسبات الآلية، واستخدام نظم برمجية حاسوبية.

2. يمكن استخراج نسخ من الأدلة الجنائية الرقمية مطابقة

المحقق العادي⁽¹²⁾.

الفرع الأول: الضوابط الفنية التي يجب مراعاتها أثناء جمع الأدلة الرقمية

يجب على فريق التفتيش مراعاة مجموعة من الضوابط أثناء التحري وضبط جريمة الحاسب الآلي حتى يسهل الحصول على الأدلة وتحريزها تلك التي هي كالتالي⁽¹³⁾:

◆ تحديد نوع نظام المعالجة الآلية للمعلومات - كمبيوتر معزول أو متصل بالشبكة - لأن عملية البحث والتحري والتفتيش تكون صعبة في حالة وجود محطات طرفية.

◆ حصر الطرفين وتحديد طبيعة الروابط الموجودة فيها وذلك لمعرفة الطريقة التي يتم بها نقل المعلومات من موقع لآخر - الأسطوانات، الأشرطة المغنطة، خطوط الاتصال أو أي وسيط معلوماتي - ومن المهم ما إن كانت للأجهزة حاسبات خارج نظام معالجة المعلومات وبها إمكانية الاتصال بالشبكة ثم يقوم المختصون بتعرف كل آلة وماركتها وموديلها وقدرتها على نقل المعطيات.

◆ اتخاذ الحيطة والحذر لأن الدليل في المعالجة الآلية للبيانات يمكن أن يختفي في وقت قصير.

◆ اتخاذ التدابير لمنع الجاني من التدخل من خلال وحدة طرفية لإتلاف المعلومات المخزنة في الوحدة الرئيسية للجهاز - الوحدة الأم-السيرفر.

◆ التعامل مع تيار الكهرباء بطريقة تؤدي إلى الحيلولة دون التلاعب في المعلومات أو محوها.

◆ فصل خطوط الهاتف أو نحو ذلك خشية استعمال مودم في جهاز المعالجة الآلية أو محوها.

◆ إبعاد أي شخص عن أجهزة الحاسب الآلي.

الفرع الثاني: جمع الأدلة الإلكترونية

يتطلب جمع الأدلة مجموعة من الإجراءات والتمثلة في المعاينة والتي تلعب دورا مهما في كشف غموض مسرح الجريمة، إلا أن دورها في كشف خبايا مسرح الجريمة المعلوماتية وضبط مجموعة من المعلومات التي قد تفيد إثبات ارتكابها ووقوعها، قد لا ترق إلى نفس الدرجة من الأهمية ومرد ذلك إلى الاعتبارات الآتية⁽¹⁴⁾:

◆ مشكلة إخفاء الدليل الإلكتروني بتعديله أو محوه في ثوان قليلة.

◆ إمكانية تلاعب الجاني بالبيانات عن بعد أو محوها عن طريق التدخل من خلال وحدة طرفية، لذلك أي تغيير أو تعديل في المعلومات المسجلة في ذاكرة الحاسوب أو وسائط التخزين أو بنك المعلومات أو قاعدة بيانات، قبل قيام سلطة التحقيق بإجراء المعاينة وهذا ما انتهجه القوانين الوضعية المختلفة في تشريعاتها وما يهمنها هو التشريع الجزائري، إذ نص على هذا الأمر في قانون الإجراءات الجزائية وبالضبط ما جاء في نص المادة الثالثة والأربعون منه⁽¹⁵⁾.

◆ الجرائم الإلكترونية قلما يتخلف عند ارتكابها آثارا مادية تتمثل في بيانات غير مرئية.

◆ أجهزة المودم والتي تستخدم في نقل المعلومات ويمتاز بعضها بإمكانية العمل كجهاز الرد على رسائل الهاتف Answer Machine ما يجعله دليلا محتملا بالغ الأهمية، وعند العثور على مودم يجب الاهتمام بتسجيل الكابلات المتصلة به عند ضبطه، وكيف كانت متصلة بالحاسب أو الهاتف مع التقاط وتسجيل رقم الهاتف.

◆ القطع الإلكترونية التي يمكن أن تكون أدلة مهمة كأجهزة الإرسال التي تكون في صورة قطعة إلكترونية، ولذلك يجب الاهتمام بفحصها للتأكد من طبيعتها وبخاصة في قضايا التجسس، وقد يكون الدليل الحاسم في قضية ما قطعة إلكترونية ملقاة في صندوق مهمل في أحد زوايا الغرفة ربما تكون جهاز الإرسال الذي يمكن المجرم من إرسال معلوماته إلى شريكه.

◆ الطابعات وأجهزة التصوير للمستندات: وما قد تحتويه من أوراق مطبوعة أو مصورة أو ما هو مخزن في ذاكرتها من معلومات.

◆ البرامج وهي تمثل الأدوات الرئيسية التي يستغلها المجرم في ارتكاب جريمة نظم المعلومات.

إن للأدلة المعلوماتية أهمية كبيرة؛ إذ تعدّ من وسائل الإثبات الحديثة ولها خصائص فنية مختلفة ما يؤهلها لتكون إضافة جديدة لأنواع الأدلة الجنائية، وذلك نظرا لأن⁽¹⁰⁾:

1. الأدلة الرقمية لا تعتبر أقل من الأدلة المادية فحسب، بل تصل إلى درجة التخيلية في شكلها وحجمها ومكان تواجدها غير المعين. وتتكون الأدلة الرقمية تتكون من دوائر وحقول مغناطيسية ونبضات كهربائية غير ملموسة ولا يدركها الرجل العادي بحواسه.

2. يعدّ من الصعوبة إتلاف الأدلة الجنائية الرقمية في جميع الأحوال التي يمكن استرجاعها من الحاسب الآلي بعد محوها أو القضاء عليها.

3. يمكن استخراج نسخ من الأدلة الجنائية الرقمية مطابقة للأصل ولها ذات القيمة العلمية والحجية الثبوتية للشيء الذي لا يتوفر في أنواع الأدلة الأخرى.

4. يمكن تعرّف الأدلة الرقمية المزورة بمقارنتها مع الأدلة الأصلية.

5. ليس شرطا أن تتواجد الأدلة الرقمية في مسرح الجريمة التقليدي بل يمكن تواجدها أيضا في مكان الجريمة الافتراضي أي داخل الشبكة العنكبوتية Virtual Scene of Crime.

المطلب الثاني: أساليب جمع الأدلة الرقمية وأماكن تواجدها

إن الأدلة الفنية المضبوطة في جرائم نظم المعلومات لها أهمية كبرى، وقد يكون الفصل فيها بين الإدانة والبراءة للمتهم، ويجب أن يعتني فريق التفتيش وفريق جمع الأدلة بتخزين هذه الأدلة في بيئة مناسبة حتى لا تفسد والقاعدة الذهبية هنا هي أن المكان المناسب لحفظ الأدلة هو المكان المناسب لك فإذا كان المكان مريحا لك فسيكون مناسباً للأدلة⁽¹¹⁾. من أجل التعامل مع الأدلة الرقمية لابد من تقديمها في المحكمة عن طريق الشهود الخبراء والتقنيين باستخدام أساليب الكشف عن وجودها ومحتواها وهذا ما يضعه في فئة الأدلة الكامنة، ولا يمكن تقديمه من قبل

أقوى مظاهر التعامل القانوني أو القضائي مع ظاهرة تكنولوجيا المعلومات والانترنت، فهي تؤدي دورا لا يستهان به إزاء نقص المعرفة القضائية الشخصية لظاهرة الانترنت (17).

إن عمليات الضبط والحجز والتأمين وتحليل الأدلة الرقمية المخزنة في شبكات المعلوماتية هي التحدي الذي يواجه أجهزة العدالة الجنائية في هذه المرحلة التي تعاني تلك الأجهزة من الأمية المعلوماتية.

وفي الوقت الذي جرى فيه إعداد الخبرة والمختبرات الأكاديمية الجنائية المهمة بالبحث الإلكتروني كنتيجة لانتشار تقنية المعلومات في مجال الجريمة، الشيء الذي يتطلب معاملة ومختبرات خاصة، وإعداد الموارد البشرية كخبرة تجمع بين التكوين القانوني ومهارة التحقيق الإلكتروني، وعلاوة على ذلك يتطلب لمواجهة هذه الجرائم التنسيق والتعاون بين أجهزة تنفيذ القوانين والمؤسسات التي تقوم بتقديم خدمات المعلومات (18).

الفرع الثالث: أماكن تواجد الأدلة الإلكترونية

تتواجد الأدلة الإلكترونية في عدة أماكن ولكن هناك بعض المساحات التي يقوم المختصين بالبحث فيها أكثر من غيرها، فنجدها تتواجد في (19):

أولاً: جيوب المتهم

يحمل الكثير من مستخدمي الحاسب بعض الأقراص المرنة في جيب القميص، ويكون بها عادة الكثير من المعلومات، ومع تقدم العلم فهناك الآن أقراص مرنة رخيصة تتسع لأكثر من «مائة ميغا بايت» من المعلومات ويمكن أن توضع بسهولة في جيب القميص.

ثانياً: واجهة أو شاشة الحاسب الآلي

هي الموضع المفضل للصق بعض الأوراق اللاصقة الصفراء الصغيرة التي تحمل بعض المعلومات، مثل أرقام الهاتف أو اسم الفهرس الذي يحتوي على المعلومات داخل الحاسب أو كلمات المرور، فكثير من مستخدمي الحاسب يستخدمون كلمات مرور متعددة ويقومون بتغييرها باستمرار، ولذلك فالكثير منهم يلصق ورقة صغيرة على شاشة الحاسب لتذكيره ببعض هذه الكلمات.

ثالثاً: المفكرة الإلكترونية

المفكرات الإلكترونية أصبحت من أهم الأدلة التي يجب التحفظ عليها، فهي تحتوي على أسماء وأرقام وهواتف وعناوين بريد إلكتروني، وعلى مواعيد ومذكرات مختصرة وعلى تواريخ مهمة، وغير ذلك من معلومات تكون لها فائدة كبيرة عند القيام بالتحريات اللازمة.

رابعاً: قرب الهاتف

عادة ما توجد بجوار الهاتف بعض أرقام الهاتف أو الفاكس أو بعض الرسائل المختصرة أو ملخص لمحادثة مهمة أو أسماء بعض الشركاء.

خامساً: حافظة النقود

تحتوي حافظة النقود عادة على بطاقات الائتمان وبطاقات الهاتف ومذكرات صغيرة وأسماء الشركاء، وأرقام هواتفهم وكلمات المرور، وجدول المهام المطلوب إتمامها، وربما يوجد قرص مرن في الحافظة.

♦ تردد العديد من الأشخاص على مسرح الجريمة خلال الفترة الزمنية الطويلة بين ارتكابها واكتشافها مما يفسح المجال لحدوث إتلاف أو تغيير أو عبث بالأثار المادية، ما يدخل الشك على الدليل المستمد من المعاينة.

أما من ناحية التفتيش عن الأدلة المعلوماتية في مكونات الحاسوب الذي يفيد الكشف عن حقيقتها وعن مرتكبيها وضبط الأدلة فإن الفقه الجنائي اختلف حول مدى قابلية البيانات المعلوماتية من عدمها لأن تكون موضوع التفتيش طبقاً للنصوص التقليدية. ويكون هذا وفقاً لما يمليه القانون من الإجراءات تحدد طبيعة التفتيش مراعاة لعدم المساس بحرية الأشخاص وهذا ما جاء في نص المادة 64 من قانون الإجراءات الجزائية الجزائري. (الأمر رقم 66 - 156 المؤرخ في 18 صفر 1386 الموافق لـ 8 يونيو سنة 1966 الذي يتضمن قانون الإجراءات الجزائية) على أنه: «لا يجوز تفتيش المساكن ومعاينتها وضبط الأشياء للتهمة إلا برضا صريح من الشخص الذي ستتخذ لديه هذه الإجراءات. ويجب أن يكون الرضا بتصريح مكتوب بخط يد صاحب الشأن، فإن كان لا يعرف الكتابة فبوسعه الاستعانة بشخص يختاره بنفسه، ويذكر ذلك في المحضر مع الإشارة صراحة إلى رضاه».

إلا أن المشرع قد أورد استثناءات بموجب قانون رقم (06 - 22) المعدل والمتمم لأمر رقم (66 - 155) والمتضمن قانون الإجراءات الجزائية، فجاء في تفتيش المنظومة المعلوماتية في المادة 06 من قانون رقم (09 - 04) مؤرخ في 14 شعبان عام 1430، 05 غشت 2009، الذي يتضمن القواعد الخاصة للوقاية من الجرائم المتصلة بتكنولوجيات الإعلام والاتصال ومكافحتها أنه يمكن تفتيش المنظومة المعلوماتية عن المعطيات بما يفيد الكشف عن الجريمة ومرتكبيها، وفقاً لما يقتضيه القانون فنصت المادة 06 من قانون الإجراءات الجزائية الجزائري على أنه: «عندما تكتشف السلطة التي تباشر التفتيش في منظومة معلوماتية معطيات مخزنة تكون مفيدة في الكشف عن الجرائم أو مرتكبيها وأنه ليس من الضروري حجز كل المنظومة، يتم نسخ المعطيات محل البحث وكذا المعطيات اللازمة لفهمها على دعامة تخزين إلكترونية تكون قابلة للحجز والوضع في إحران وفقاً للقواعد المقررة في قانون الإجراءات الجزائية».

يعد التفتيش من الإجراءات الخاصة بالتحقيق الابتدائي التي تمس بالحرية الشخصية وانتهاك حرمة الحياة الخاصة للأفراد، لذلك حرص المشرع الجنائي على إسنادها لجهة قضائية تكفل تلك الحريات والحقوق وتضمنها. إلا أن هذه التشريعات الجنائية لم تسر على وتيرة واحدة فيما يخص تحديد الجهة التي يعهد لها بالتحقيق الابتدائي لتكون صاحبة الاختصاص الأصلي بإجراء التفتيش (16).

إلا أنه في التشريع الجزائري فقد أخذ بنظام الفصل بين سلطتي الاتهام للنيابة العامة والتحقيق عن طريق قاضي التحقيق. فالشخص الذي يكلف بجمع الأدلة الرقمية هو الخبير المتخصص والمدرّب على معالجة جميع أنواع الأدلة الرقمية وفحصها وتحليلها وإثبات الجرائم المعلوماتية، كونها مرتبطة بمسائل فنية آية في التعقيد ومحل الجريمة فيها غير مادي، والتطور في أساليب ارتكابها سريع ومتلاحق، ولا يكشفها إلا متخصص وعلى درجة كبيرة من التميز في مجال تخصصه، فإجراء الذكاء والفن لا يكشفه ولا يفله إلا ذكاء فن مماثلين وذلك من خلال الخبرة التقنية، التي تعد

المبحث الثالث: آليات ملاحقة مرتكبي الجرائم الإلكترونية

المحترفين الذين يتسمون بالقدرة والذكاء والمهارة، ويرتكبون جرائمهم عن طريق التخطيط، حيث يقومون بأعمالهم بعد دراسة وتمعن. فنجد عندما يرتكب المجرمين الجرائم الإلكترونية يحيطون أنفسهم بتدابير أمنية واقية تزيد من صعوبة كشف سترها، وكمثال لذلك فإنهم قد يستخدمون التشفير وكلمات السر التي تمكنهم من إخفاء الأدلة التي قد تكون قائمة ضدهم، وقد يدسون تعليمات خفية بين الأدلة لتصبح كالمزج فلا يمكن لغيرهم أن يفهم مقصدها، وقد يقومون أيضا بتشفير التعليمات باستخدام طرق وبرامج تشفير البيانات المتطورة. ما يجعل الوصول إليها في منتهى الصعوبة وليس بخاف كذلك أن هؤلاء الجناة قد يستخدمون الوسائل الإلكترونية المختلفة لإعاقة الوصول إليهم، فقد يستخدمون البريد الإلكتروني في إصدار تكليفاتهم بارتكاب جرائم القتل والاعتقالات والتخريب دون أن يتمكن أحد من تحديد أماكنهم أو تسجيل هذه التكليفات على النحو الذي كان يحدث في الاتصالات بشتى أنواعها. كذلك فإن مرتكبي جرائم الإنترنت يصعب ملاحقتهم لاستحالة تحديد هويتهم سواء عند قيامهم ببث المعلومات على الشبكة أو عند تلقيهم لها، لأنهم في الغالب يستخدمون أسماء مستعارة أو يدخلون إلى الشبكة ليس عن طريق أبواب حساباتهم الآلية، وإنما عن طريق مراكز الإنترنت (22).

● خامسا: يلاحظ أن ملاحقة جرائم الإنترنت قد تتعلق ببيانات تكون مخزنة في داخل دولة أجنبية بواسطة شبكة الاتصال عن بعد، ولذلك فإنه قد يصعب ضبط مثل هذه الأدلة لأن هذا الإجراء يتعارض مع مبدأ السيادة الذي تحرص عليه كل دولة. ولعل هذا الأمر يكشف لنا عن أهمية التعاون القضائي الدولي في مجال الإنابة القضائية خاصة في مجال الجرائم العابرة للقارات والتي منها تلك الجرائم التي تقع بسبب ثورة الاتصالات عن بعد (23).

● سادسا: الدليل الإلكتروني يتميز بكونه دليل مرن يصعب التعامل معه على عكس الدليل التقليدي، فنجد أن من أهم الصعوبات التي تواجه المحققين في أثناء التحري عن الدليل الرقمي والعمل على ضبطه ما يستدعي ضرورة التمعن والدقة في البحث وهي أن: الدليل الرقمي غير مرئي لأنه عبارة كهرومغناطيسي مخزن في نظام آلي في شكل ثنائي، بالإضافة إلى أن الطابع الافتراضي للدليل الرقمي، إذ هناك إمكانية حدوث تغيير أو تلف أو تلفيق أو عبث بالآثار المادية الناجمة عن على الجريمة أو زوال بعضها (24)، وأخيرا مشكلة ارتفاع تكاليف الحصول على الدليل الرقمي (25).

سابعاً: إن للقاضي الجنائي الحرية في تقدير الأدلة المعروضة عليه وبناء اقتناعه الشخصي فيما يتعلق بالدليل الإلكتروني وتقدير قيمته الناتج عن الجرائم المستحدثة أي الجريمة المعلوماتية مما يتحتم على القاضي التعامل مع هذا النوع من الأدلة. ويعد مبدأ الاقتناع القضائي أحد المبادئ التي تقوم عليها نظرية الإثبات في المواد الجنائية، وعنه تتفرع معظم القواعد التي تحكم هذا الإثبات (26). فقد كرس المشرع الجزائري مبدأ اقتناع القاضي طبقاً للمادة (212) من قانون الإجراءات الجزائية الجزائي والتي تضمنت ما يلي: «يجوز إثبات الجرائم بأي طريق من طرق الإثبات ما عدا الأحوال التي ينص فيها القانون على غير ذلك، وللقاضي أن يصدر حكمه تبعاً لاقتناعه الخاص. ولا يسوغ للقاضي أن يبني قراره إلا على الأدلة المقدمة له في معرض المرافعات والتي حصلت

إن خطورة الجرائم الإلكترونية وصعوبة إثباتها، جعلت نسبة كبيرة من رجال الأعمال يرفضون إجراء أي عمليات تجارية من خلال شبكة الانترنت، ما دفع القائمين عليها إلى محاولة إعادة الثقة عن طريق تامين المصادر لحماية الأجهزة الأم المعروفة بالخدمات، وعدم السماح بنقل المعلومات والاطلاع عليها أو تغييرها إلا باستخدام خطوات عديدة لفك الشفرات، كما قام منتجو الإسطوانات والبرامج بوضع فيروسات داخلها تنشط حالة تعرضها للسرقة لتدمر السارق أو لص المعلومات رغم عدم مشروعية ذلك، ولكي نتطرق إلى هذا المبحث المتعلق بآليات ملاحقة مرتكبي الجرائم الإلكترونية سنقسمه إلى مطلبين سنتطرق في المطلب الأول إلى ضرورة توثيق الأدلة الإلكترونية، أما المطلب الثاني سنتناول فيه تعقب مرتكبي الجرائم الإلكترونية.

المطلب الأول: ضرورة توثيق الأدلة المعلوماتية

الأدلة الجنائية المعلوماتية أو الرقمية كغيرها من الأدلة المادية تتطلب الحفظ والتوثيق والحماية بالقدر الذي يكفل لها المصادقية، ويبعد العيوب عنها وذلك لأسباب عدة منها (20):

● أولاً: التوثيق الذي يحفظ الأدلة الرقمية في شكلها الأصلي يستعمل لعرض وتأكيد مصداقية الدليل، وعدم تعرضه لتحريف أو تعديل الصورة المسجلة بالفيديو - مثلاً - يمكن الاستعانة بها في تأكيد مدى صحة المناقشة الحية بين الطرفين عن طريق مطابقة النص الرقمي مع نص الصور على الشاشة.

● ثانياً: الأشخاص الذين يقومون بجمع الأدلة عليهم الإدلاء بشهادتهم حول مطابقة الأدلة التي قاموا بجمعها، مع تلك المقدمة أمام المحكمة. والتوثيق هو الأسلوب الوحيد الذي يمكن المحققين من القيام بهذا الدور أمام القضاء. ويعد فشل المحقق في التمييز بين أصل الدليل وصورته أمام القضاء سبباً في بطلان الدليل.

● ثالثاً: من المهم توثيق مكان ضبط الدليل الرقمي في حالة إعادة تكوين الجريمة، إذ إن تشابه أجهزة الحاسب الآلي وملحقاتها يجعل من الصعب إعادة ترتيبها، دون وجود توثيق سليم ومفصل يحدد الأجزاء والملحقات وأوضاعها الأصلية بدقة. يعتبر التوثيق جزءاً مهماً من عمليات حفظ الأدلة الرقمية حتى انتهاء إجراءات التحقيق والمحاكمة، إذ إن التحقيق يشمل تحديداً دقيقاً للجهات التي تحتفظ بالأدلة وقنوات تداولها والتي ينبغي حصرها في نطاق محدود قدر الإمكان، فعند توثيق الدليل الرقمي يجب التأكد من: أين، كيف، متى وبوساطة من تم ضبط الدليل وتأمينه؟ كما أنه من الضروري توثيق الأدلة بعدة طرق كالتصوير الفوتوغرافي، والتصوير بالفيديو وخصوصاً طباعة ونسخ من الملفات المخزنة في جهاز الحاسب الآلي أو المحفوظة في الأقراص، وعند حفظ الأدلة الرقمية على الأقراص يجب تدوين البيانات التالية: توقيع الشخص الذي قام بإعداد النسخة، نوع نظام التشغيل، اسم البرنامج المستعمل، الأوامر المستعملة لإعداد النسخ، المعلومات المضمنة في الملف المحفوظ، التاريخ والوقت (21).

● رابعاً: إن منغذي الجرائم المعلوماتية من المجرمين

مواكبة التطور السريع في مجال الحاسب الآلي وذلك لانتشار الحاسب الآلي وتنوع مجالاته وبرامجه ما يجعل من الصعب حصر أساليب الجريمة وأشكالها، وبالتالي يصعب تدريب المحققين على مواجهة حالات محددة، بالإضافة إلى أن لأجهزة التحقيق مجالات عدة ينبغي تغطيتها وغير متفرغة لجرائم الحاسب الآلي فقط، مما يؤثر على قدرة تلك الأجهزة على مواكبة التطور، وتعتبر الميزانيات المالية التي ترصد لتكوين الموارد البشرية في أجهزة التحقيق التابعة للدولة غير كافية لاستقطاب النخبة المتميزة في مجال الحاسب الآلي والذين تستقطبهم عادة مؤسسات خاصة تتميز باستقلالها المالي.

إن مهمة التحقيق في مجال جرائم الحاسب الآلي تودع لدى أصحاب الخبرة المتخصصين في المجال، كالشركات الكبرى العالمية التي حققت نجاحا في ميدان حماية الحاسب الآلي، إلا أن تخلي أجهزة العدالة عن دورها في هذا النوع من الجرائم أصبح في غاية الخطورة⁽³¹⁾. وخصوصا الجرائم المتعلقة بأمن الدولة.

ولا شك أن من متطلبات العدالة الجنائية تقتضي تحمل الأجهزة الحكومية مسؤولياتها كاملة تجاه اكتشاف كافة الجرائم وضبط الجناة فيها وتحقيق العدالة في حقهم، وعلى الأجهزة الأمنية المعنية توفير الإمكانيات التقنية اللازمة للتحقيق في جرائم الحاسب الآلي والتقنية العالية، كما عليها استقطاب أكثر الكفاءات المهنية المتخصصة في هذا المجال للاستعانة بها في التحقيق في جرائم الحاسب الآلي وغيرها من جرائم التقنية العالية⁽³²⁾.

إن الاستعانة بخبراء الحاسب الآلي في معاينة مسرح الجريمة أو القيام بعمليات التفتيش والضبط وفحص آثار الجريمة لا تشكل خلافا فنيا أو قانونيا، كما هو الحال في التحقيق مع الشهود والمتهمين، إذ إن أخذ أقوال الشهود واستجواب المتهمين يعتمد على خبرات المحققين. ويعتبر الاستجواب مناقشة المتهم مناقشة تفصيلية في التهمة المنسوبة إليه من طرف جهة التحقيق، ومطالبتة له بإبداء رأيه في الأدلة القائمة ضده إما تفنيدا أو تسليما، وذلك قصد محاولة الكشف عن الحقيقة واستظهارها بالطرق القانونية⁽³³⁾.

استجواب المتهم من طرف جهة التحقيق يخضع للإجراءات المقررة في النصوص القائمة في الإجراءات الجزائية. لذلك فإن استجواب المتهم في الجرائم الإلكترونية أو الرقمية تحكمه نفس القواعد العامة للاستجواب في أي جريمة تقليدية، إلا أنه الفرق بين الجريمتين يتمثل في ضرورة تأهيل السلطة المختصة التي تتولى إجراء الاستجواب، إذ يجب على جهات التحقيق أن تكون مؤهلة للتحقيق في الجرائم المعلوماتية حتى يمكن استيعاب واقعة التحقيق. إن طريقة توجيه الأسئلة وترتيب أولوياتها واستنتاج الحقائق من طريقة التي يتحدث بها المتهم، وقراءة لغة الجسد لديه أمور مهنية لا يوفيهها حقها إلا المحققون الذين اكتسبوا الخبرة والمعرفة العلمية. كما أنه من الممكن أن يكون بين المتهمين في جرائم الحاسب الآلي أشخاص لم يبلغوا درجة عالية من العلم والمعرفة بنظم المعلوماتية، وبالتالي يصعب عليهم إدراك مصطلحاته الفنية⁽³⁴⁾. ما يستوجب البحث على منهج خاص يحقق الترابط والانسجام بين أصحاب الخبرة الفنية والكفاءة المهنية للقيام بإجراءات التحري مع الأشخاص الذين لهم علاقة بجرائم الأنترنت.

المناقشة فيها حضوريا أمامه». يمكن القول أن الدليل الإلكتروني لا يحظى بأهمية كافية أمام القاضي الجنائي في الإثبات طبقا لما يمليه عليه ضميره واطمئنانه في تقديره للدليل فهو ليس ملزما بأن يؤسس اقتناعه على الدليل كما له أن يهدره، فالدليل الإلكتروني دليل علمي يساعد القاضي الجنائي على يقين من أجل الحد من الأخطاء التي قد ترد عن القضاء بهدف الوصول إلى الحقيقة وتحقيق العدالة.

المطلب الثاني: تعقب مرتكبي الجرائم الإلكترونية

كما تكمن صعوبة التحقيق الجنائي في جرائم المعلوماتية، وهذا يتطلب منا أن نعهد إلى بيوت خبرة متخصصة في هذا المجال، ولا سيما وأن هناك شركات عالمية حققت نجاحا في بعض الحالات لكن هذا الأمر له خطورته إذ أنه يضحى بمصلحة الأفراد والمجتمع، ويضعها تحت رحمة هذه الشركات التي ليس لها هدف سوى الكسب المادي، فضلا عن الإخلال بمبدأ سرية التحقيق، سيما لو تعلق التحقيق بجرائم تمس خصوصية الأشخاص أو أسرارهم الشخصية أو حياتهم العائلية أو تعلق الأمر كذلك بأمن الدولة⁽²⁷⁾.

يختلف مجرم المعلوماتية تماما عن المجرم العادي فيتمتع بمستوى عال من الفكر والتدريب وكذا الخبرة في مجال تكنولوجيا المعلومات. قراصنة الأنترنت لديهم القدرة على إنشاء برامج الفيروسات ونشرها عبر الأنترنت لتدمر قواعد البيانات للمؤسسات والأفراد على حد سواء، وهو شيء خطير فالجريمة المرتكبة قد تضر بلدا بأكمله⁽²⁸⁾.

إن إجراءات التحقيق مع الأشخاص الذين لهم علاقة بالجريمة المعلوماتية هي نفسها الإجراءات المقررة للتحقيق في الجريمة التقليدية، إلا أنها تختلف من حيث الجهة المختصة التي يجب أن تكون مؤهلة لهذا نوع من الإجراءات بهدف تحصيل أدلة ضد المتهمين من إثبات أو نفي.

إن من أكثر الصعوبات التي تواجه المحققين في جرائم الحاسب الآلي من رجال الشرطة والنيابة العامة والقضاة مسألة فهم الجوانب التقنية التي تحيط بجرائم المعلوماتية وتقنياتها العالية، إذ إن الغالبية العظمى من الشرطة والنيابة والقضاء لا يدركون شيئا عن الحاسب الآلي وتقنياته المتطورة ولغاته المتنوعة⁽²⁹⁾.

للعاملين في مجال الحاسب الآلي مصطلحات علمية خاصة أصبحت الطابع المميز لمحدثتهم وأساليب التفاهم معهم. ولم تقف تلك الأساليب في المصطلحات العلمية المستحدثة فحسب، بل اختصر العاملون في مجال الحاسب الآلي تلك المصطلحات والعبارات بالحروف اللاتينية الأولى لتكون لديهم لغة غريبة تعرف بلغة المختصرات Acronyms، ولغة المختصرات قائمة طويلة آخذة في التطور لتصبح لغة العاملين في المجال الحاسب الآلي Hackers يطلقون على أنفسهم صفة النخبة Elites بحجة أنهم الأكثر معرفة بأسرار الحاسب الآلي ولغاتها المتميزة. بينما تطلق تلك الفئة على رجال تنفيذ القانون من شرطة، النيابة، القضاء صفة الضعفاء أو القاصرين (Lamers 30).

لقد بدأت بعض الأجهزة التابعة للدولة سواء الأمنية منها أو القضائية في استقطاب المختصين في مجال الحاسب الآلي، كما يجري تدريب المحققين والمنخرطين في الشرطة على استخدام الحاسب الآلي، إلا أن كل ذلك لن يجعل من الأجهزة قادرة على

الخاتمة:

لمواجهة الجرائم المستحدثة، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، الطبعة الأولى، 2004، ص 56.

2. محمد الأمين البشري، التحقيق في الجرائم المستحدثة، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، الطبعة الأولى، 2004، ص 234.

3. Eoghan Casey Digital Evidence and Computer Crime London Academic Press 2000 P.260

4. عبد الناصر محمد محمود فرغلي، محمد عبيد سيف المسماري، الإثبات الجنائي بالأدلة الرقمية من الناحيتين القانونية والفنية، دراسة تطبيقية مقارنة، المؤتمر العربي الأول لعلوم الأدلة الجنائية والطب الشرعي، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، 02-04/11/1468 هجري الموافق لـ 12-14/11/2007 ميلادي، ص 13.

5. المرجع السابق، ص 13.

6. المرجع السابق، ص 14-15.

7. المرجع السابق، ص 15.

8. محمد الأمين البشري، التحقيق في الجرائم المستحدثة، المرجع السابق، ص 238.

9. حسن طاهر داود، المرجع السابق، ص 226.

10. محمد الأمين البشري، التحقيق الجنائي المتكامل، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض، 1997، ص 235.

11. حسن طاهر داود، جرائم نظم المعلومات، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض، الطبعة الأولى، 2000، ص 225.

12. Forensic computer crime investigation by Thomas A. Johansson 2005p 151

13. سامي جلال فقي حسين، التفتيش في الجرائم المعلوماتية، دار الكتب القانونية، العراق، 2011، ص 74.

14. هشام محمد فريد رستم، الجرائم المعلوماتية، أصول التحقيق الجنائي الفني وآلية التدريب التخصصي للمحققين، مجلة الأمن والقانون، السنة الرابعة، العدد الثاني، يوليو 1999، ص 59.

15. تنص المادة 43 من قانون الإجراءات الجزائية الجزائري. (الأمر رقم 66-156 المؤرخ في 18 صفر 1386 الموافق لـ 8 يونيو سنة 1966 الذي يتضمن قانون الإجراءات الجزائية، المعدل والمتمم). على: «يحظر في مكان ارتكاب جنابة على كل شخص لا صفة له، أن يقوم بإجراء أو تغيير على حالة الأماكن التي وقعت فيها الجريمة أو ينزع أي شيء منها قبل الإجراءات الأولية للتحقيق القضائي، وإلا عوقب بغرامة 200 إلى 1000 دج. غير أنه يستثنى من هذا الحظر حالة ما إذا كانت التغييرات أو نزع الأشياء للسلامة والصحة العمومية أو تستلزمها معالجة المجني عليه. وإذا كان المقصود من طمس الآثار أو نزع الأشياء هو عرقلة سير العدالة عوقب على هذا الفعل بحبس من ثلاثة أشهر إلى ثلاث سنوات وبغرامة من 1000 إلى 10000 دج».

16. قدرى عبد الفتاح الشهاوي، ضوابط التفتيش في التشريع المصري والمقارن، منشأة المعارف، الإسكندرية، 2005، ص 88.

17. عمر محمد بن يونس، الإجراءات الجنائية عبر الانترنت، المرشد الفدرالي الأمريكي لتفتيش وضبط الحواسيب وصولاً إلى الدليل الإلكتروني في التحقيقات الجنائية، بدون دار نشر، 2006، ص 1031، أشارت إليه

الجريمة المعلوماتية جريمة فنية هادئة لا عنف فيها فهي تقع من شخص يتمتع بالذكاء والخبرة الهائلة في مجال الحاسب الآلي ويعتبر أداة الجريمة، أما محل الجريمة فهو عبارة عن بيانات أو معلومات موجودة داخل النظام المستهدف، وبالتالي فالحاسب الآلي ركن أساسي في الجرائم المعلوماتية لا تقوم جريمة معلوماتية بدون هذه الميزة تميز الجرائم المعلوماتية عن الجرائم التقليدية الأخرى.

وتأسيساً على ما تقدم، يجب العمل على تحديث الوسائل العلمية والتقنية من أجل مواكبة هذا النوع من التطور التكنولوجي الذي أصبح يطبق في الجرائم الحالية، التي كان من الصعب التحري فيها والكشف عنها. ولا شك أن التحقيق في الجرائم المعلوماتية يشكل تحدي بالنسبة لرجال التحقيق نظراً لصعوبة إثباتها وهذا يعود لاستمرارية تطورها.

ومن خلال ما تطرقنا إليه في هذا الموضوع الذي تمثل في التحري الجنائي في مسرح الجريمة الإلكترونية توصلنا إلى النتائج الآتية:

1. تعدد المصطلحات حول تحديد ماهية الجريمة المعلوماتية بحيث نشهد فراغ قانوني من خلال التشريعات الدولية وكذا في التشريع الجزائري خشية حصرها في مجال ضيق نظراً لارتباطها ارتباطاً وثيقاً بالتكنولوجيا الحديثة ولمرونتها وتطورها المستمر.

2. التعامل مع الدليل الإلكتروني من حيث إجراءات المعاينة والتفتيش والعمل على تقصي الآثار المستخلصة من مسرح الجريمة المعلوماتية والمحافظة عليه وكذا الصعوبات التي تواجه الدليل من حيث أنه غير مرئي ذو طابع افتراضي ومدى حجية اقتناع القاضي بهذا الدليل.

3. صعوبة تحديد الجريمة المرتكبة عن طريق الحاسب الآلي عقب حدوثها والعمل على التبليغ عنها إلى الجهات المختصة تختلف عن الجريمة التقليدية ما يصعب إدراك عناصرها وطرق ارتكابها.

4. ومن خلال ما توصلنا إليه في خلاصة دراستنا الحالية نقدم مجموعة من التوصيات نحصرها فيما يلي:

5. ضرورة استخدام الوسائل العلمية الحديثة في التحقيق الجنائي الإلكتروني وذلك عن طريق تطوير واستحداث الأنظمة القانونية تماشياً مع تطور الجرائم وتقديم الأساليب الكشف عنها.

6. التأكيد والأخذ بمبدأ افتراض الدليل الرقمي كدليل أصلي نظراً لنقص وسائل المستخدمة في التحقيق الجنائي الإلكتروني.

7. إعداد الخبرة الفنية في مجال التحقيق الجنائي الإلكتروني وذلك بإنشاء أكاديميات فنية قضائية متخصصة من أجل تأهيل وتخريج الخبراء القضائيين في المجال الإلكتروني.

8. العمل على تبادل الخبرات بين الدول في مجال التحري عن الجرائم المعلوماتية.

الهوامش:

1. عبد الله عبد العزيز اليوسف، أساليب تطوير البرامج والمناهج التدريبية

- مواجهة الجرائم المستحدثة، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، الطبعة الأولى، 2004.
7. عبد الناصر محمد محمود فرغلي، محمد عبيد سيف المسماري، الإثبات الجنائي بالأدلة الرقمية من الناحيتين القانونية والفنية، دراسة تطبيقية مقارنة، المؤتمر العربي الأول لعلوم الأدلة الجنائية والطب الشرعي، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، 02-04/11/1468 هجري الموافق لـ 12-14/11/2007 ميلادي.
8. عمر محمد أبو بكر بن يونس، الجرائم الناشئة عن استخدام الانترنت، دار الثقافة العربية للنشر، مصر، 2004.
9. محمد الأمين البشري، التحقيق الجنائي المتكامل، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض، 1997. الرياض، 1997.
10. محمد الأمين البشري، التحقيق في الجرائم المستحدثة، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، الطبعة الأولى، 2004.
11. محمد صلاح سالم، العصر الرقمي وثورة المعلومات، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، الطبعة الأولى، 2002.
12. محمد محدة، ضمانات المتهم أثناء التحقيق، الجزء الثالث، دار الهدى للطباعة والنشر، الجزائر، الطبعة الأولى، 1991.
13. محمود نجيب حسني، شرح قانون الإجراءات الجنائية، الطبعة الثانية، دار النهضة العربية، القاهرة، 1988.
14. هشام محمد فريد رستم، الجرائم المعلوماتية، أصول التحقيق الجنائي الفني وآلية التدريب التخصصي للمحققين، مجلة الأمن والقانون، السنة الرابعة، العدد الثاني، يوليو 1999.
15. قانون الإجراءات الجزائية الجزائري. (الأمر رقم -66 156 المؤرخ في 18 صفر 1386 الموافق لـ 8 يونيو سنة 1966 الذي يتضمن قانون الإجراءات الجزائية، المعدل والمتمم).
- عائشة بن قارة مصطفى، حجية الدليل الإلكتروني في مجال الإثبات الجنائي في القانون الجزائري والقانون المصري، رسالة ماجستير، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، 2010، ص 139.
18. Rosenblatt K S High Technology Crime Investigation Cases Involving Computer, San Jose, K.S.K Publication 1999, p 21.
19. حسن طاهر داود، المرجع السابق، ص 227.
20. محمد الأمين البشري، المرجع السابق، ص 244.
21. المرجع السابق، ص 245.
22. المرجع السابق، ص 245-246.
23. المرجع السابق، ص 245-246.
24. عائشة بن قارة مصطفى، المرجع السابق، ص 252.
25. عمر محمد أبو بكر بن يونس، الجرائم الناشئة عن استخدام الانترنت، دار الثقافة العربية للنشر، مصر، 2004، ص 984.
26. محمود نجيب حسني، شرح قانون الإجراءات الجنائية، الطبعة الثانية، دار النهضة العربية، القاهرة، 1988، ص 412.
27. عبد الفتاح بيومي حجازي، نحو صياغة نظرية عامة في علم الجريمة والمجرم المعلوماتي، منشأة المعارف، الإسكندرية، الطبعة الأولى، 2009، ص 295.
28. محمد صلاح سالم، العصر الرقمي وثورة المعلومات، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، الطبعة الأولى، 2002، ص 181.
29. محمد الأمين البشري، المرجع السابق، ص 120.
30. المرجع السابق، ص 121.
31. محمد الأمين البشري، المرجع السابق، ص 122.
32. محمد محدة، ضمانات المتهم أثناء التحقيق، الجزء الثالث، دار الهدى للطباعة والنشر، الجزائر، الطبعة الأولى، 1991، ص 306.
33. محمد الأمين البشري، المرجع السابق، ص 122.

ثانياً المراجع الأجنبية:

1. Eoghan Casey, *Digital Evidence and Computer Crime*, London Academic Press, 2000.
2. *Forensic computer crime investigation by Thomas A. Johanson* 2005.
3. Peter Stephenson, *Investigation Computer Crimes*, London: C.R.C. 1999.
4. Rosenblatt. K.S, *High Technology Crime Investigation Cases Involving Computer*, San Jose, k. s. k Publications 1999.

المصادر والمراجع:

أولاً المراجع العربية:

1. حسن طاهر داود، المرجع السابق، جرائم نظم المعلومات، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض، الطبعة الأولى، 2000.
2. سامي جلال فقي حسين، التفتيش في الجرائم المعلوماتية، دار الكتب القانونية، العراق، 2011.
3. قدري عبد الفتاح الشهاوي، ضوابط التفتيش في التشريع المصري والمقارن، منشأة المعارف، الإسكندرية، 2005.
4. عائشة بن قارة مصطفى، حجية الدليل الإلكتروني في مجال الإثبات الجنائي في القانون الجزائري والقانون المصري، رسالة ماجستير، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، 2010.
5. عبد الفتاح بيومي حجازي، نحو صياغة نظرية عامة في علم الجريمة والمجرم المعلوماتي، منشأة المعارف، الإسكندرية، الطبعة الأولى، 2009.
6. عبد الله عبد العزيز اليوسف، أساليب تطوير البرامج والمناهج التدريبية

المتلقي عند عبد الله الطيب في كتابه المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها *

د. محمد موسى البلولة الزين **

* تاريخ التسليم: 2015/2/14م، تاريخ القبول: 2015/7/13م.
** أستاذ مساعد/ جامعة الجوف/ المملكة العربية السعودية.

type, and location in the literary work through the creativeness process and reception aesthetics.

After the brief definition of the receiver and its types, through the western reception theory, the researcher establishes the origin of the receiver by giving examples for it in the Arabic critical heritage. Then he studies it in Abdullah Attayb's book (*The Guide to Fathom the Arabic Poetry and How They Weave it*). Thus, the study has brought us to the following: that Abdullah Attayb had seen the creativeness process and the reception aesthetics as an integrative view that combines its components (the author, the text, and the receiver) in the literary work.

There is no traditional contextual tendency, no author death, neither an absolute authority for the receiver in the interpretation.

The opening words: The receiver, the reader, the listener, interpretation, integrative.

ملخص:

يُعدُّ المتلقي من العناصر الرئيسية المكوِّنة لجمالية التلقي، التي أكدتها نظرية التلقي التي شاعت في الحركة الأدبية، والنقدية الغربية في العصر الحديث، ثم انتقل الأهتمام بالمتلقي لاحقاً إلى النقد الأدبي العربي؛ بسبب الاحتكاك الثقافي والترجمة، وقد عني به الدارسون العرب، وبشغل اهتمامهم في العصر الحديث؛ لإثراء نتاجاتهم النقدية، ولإكسابها صفة المواكبة، والنهوض بالحركة النقدية العربية نحو العالمية، حيث يستعيدون قراءة التراث النقدي من خلال الدراسات التطبيقية، التي تقوم على النظريات والمصطلحات النقدية الحديثة.

وتهدف هذه الدراسة إلى استقصاء حضور المتلقي، عند عبد الله الطيب في كتابه (المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها)، والكشف عن أهميته ودوره ونوعه وموقعه في العمل الأدبي خلال عملية الإبداع وجماليات التلقي.

وبعد التعريف المختصر بالمتلقي وأنواعه خلال نظرية التلقي الغربية، أصلنا للمتلقي بنماذج من صورته في التراث النقدي العربي، ثم قمنا بدراسته عند عبد الله الطيب في كتابه (المرشد)، بعد أن قدمنا نبذة قصيرة عن عبد الله الطيب، وقد أوصلتنا هذه الدراسة إلى أن عبد الله الطيب، كان ينظر إلى عملية الإبداع وجمالية التلقي، نظرة تكاملية تجمع ما بين عناصرهما: (المؤلف، والنص، والمتلقي) في العمل الأدبي، فلا يوجد نزوع سبائي تقليدي، أو موت للمؤلف، أو سلطة مطلقة للمتلقي في التأويل.

الكلمات الافتتاحية: المتلقي، القارئ، السامع، التأويل، تكاملية.

The receiver in Abdullah Altayeb's book " The Guide to Understanding and Metier of Arab Poetry"

Abstract:

The receiver is considered as one of the main components of the aesthetics of reception. That is confirmed by the reception theory which was common in the western literary and critique movement in the modern era. Later, the concern of the receiver was passed to the Arabic critique because of the cultural contact and translation. Arab researchers were interested in the term in the modern era so as to enrich their critique works, to keep them updated, and to promote the Arabic critical movement towards internationality. That will be by perusing the critical heritage through the empirical studies that are based on the modern theories and modern critical terms.

This study aims to investigate the presence of the receiver in Abdullah Attayb's book (*The Guide to Fathom the Arabic Poetry and How They Weave it*). It aims also to disclose the receiver's importance, role,

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فموضوع هذه الدراسة "المتلقي عند عبد الله الطيب في كتابه (المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها)، ولا شك أن ظهور نظرية التلقي عند الغربيين في العصر الحديث، الذي يعدُّ المتلقي محوراً الأساس، كان ردة فعل على ما تناسته المذاهب الغربية السياقية، التي كانت تهتمُّ بالمؤلف والنص، وقد فتح هذا الاهتمام بالمتلقي المجال واسعاً؛ لإرساء دعائم قراءة جديدة للعمل الأدبي، وانطلاقاً من هذا المفهوم للمتلقي عند الغربيين، تأتي أهمية هذه الدراسة التي تفتح باب الآخر الغربي والأنا العربي، من منطلقات معرفية ومنهجية وموضوعية، تتناول الإنتاج الإنساني بالبحث والتحليل، من دون إذابة الذات أو الانبهار بالآخر.

وقصدنا في هذه الدراسة البحث عن المتلقي، وليس عن التلقي؛ وذلك لما في الأمر من تحديد دقيق لمجال البحث، وعملنا على تسليط الضوء على حضور المتلقي عند عبد الله الطيب في كتابه "المرشد"، ومعرفة أهميته ونوعه، وهذا ما تهدف الدراسة إلى تحقيقه، فضلاً عن خدمة اللغة العربية بكل ما يسهم في تطورها ومواكبتها.

أما خطة هذه الدراسة، فجاءت في مقدمة وثلاثة محاور وخاتمة، اتبعنا فيها المنهج الوصفي التحليلي، وكان المحور الأول عن المتلقي في نظرية التلقي الغربية، تناولنا فيه نشأة النظرية وأنواع القارئ. والمحور الثاني عنوانه "نماذج من صور المتلقي في التراث النقدي العربي"، ولم نستعرض فيه آراء كل النقاد والبلاغيين، وإنما استعرضنا فيه آراء أبرزهم وأكثرهم شهرة، التي تشكل الأساس الذي يتركز عليه في توضيح صورة المتلقي في التراث النقدي. وجاء المحور الثالث بعنوان "المتلقي عند عبد الله الطيب في كتابه "المرشد"، قدمنا فيه نبذة قصيرة عن عبد الله الطيب، ثم تناولنا المتلقي وأنواعه في كتابه (المرشد)، وأعقبنا هذه المحاور بخاتمة استعرضنا فيها خطة الدراسة استعراضاً مبسطاً،

4. القارئ الضمني: وهو عند "إيزر" بنية نصية تتوقع وجود متلقي دون أن تحده بالضرورة، وهو مفهوم يبني الدور الذي يتخذه كل متلقٍ مسبقاً، وهو ما يصدق حتى حين تعمد النصوص إلى تجاهل متلقيها المحتمل وإقصائه، لذا فالقارئ الضمني شبكة من البنى المميزة للاستجابة، ما يدفع القارئ لفهم النص، وهناك تصنيفات عديدة لأنواع القارئ أو المتلقي ذُكرت في الدراسات النقدية فمنها: القارئ الفذ، والقارئ المطلع⁽¹⁰⁾، إلا أننا قد اكتفينا بهذه الأنواع لأنها تتوافق مع دراستنا.

وقد واكب الاحتفال بالقارئ عند رواد نظرية التلقي، نظرة جديدة إلى هذا القارئ؛ نظرة تهدف إلى تجاوز سلبية التي راكمتها قرون إهماله، فغداً صاحب فعل جديد، يصل إلى حد المشاركة في صنع المعنى؛ لأن "القارئ الذي يتوقف عند مرحلة فهم المعاني اللفظية، أي العلامات اللغوية داخل أنساق يحكمها قانون التوحد بين طرفي العلامة، ليس هو القارئ الذي يتحدث عنه أصحاب نظرية التلقي؛ لأن هذا القارئ لن يكون قادراً على ملء فراغات النص، وقيام القارئ بملء فراغات النص هو جوهر التلقي"⁽¹¹⁾.

وقد انتقل الاهتمام بالمتلقي من المجتمع الغربي إلى العالم العربي، بفضل الاحتكاك والتطور العلمي والتقني وغيرهما، ما زاد من اهتمام النقاد العرب بنظرية التلقي، وأخذوا يؤصلون لها في التراث النقدي والبلاغي العربي، ويقومون الدراسات التطبيقية على التراث العربي، وبدأ المتلقي يجد حظه من الاهتمام والفاعلية في الحركة النقدية العربية.

المحور الثاني: نماذج من صور المتلقي في التراث النقدي العربي:

يعدُّ المؤلف ونصه من أهم مكونات العمل الأدبي في النقد العربي القديم، لكن هذا لا يعني إغفال المتلقي تماماً في كل الدراسات النقدية القديمة، فهناك بذور لنظرية التلقي، واهتمام بالمتلقي في تراثنا النقدي العربي، وقد اعتبر هذا مقدمات أولية لظواهر نقدية حديثة، وقد رافق مفهوم التلقي عملية النقد التي ارتبطت بالدرجة الأولى بالنص الشعري، فظهرت كتب كثيرة في النقد والبلاغة، وارتبط هذا الظهور بوجود المتلقي، وكيفية تلقي النص، وأثر النصوص في نفوس متلقيها، فأى نص مكتوباً كان أو شفهاً، يملك وسائل جذب المتلقي الذي له طريقه الخاصة في فهم النص، انطلاقاً من استعداد نفسي يختلف من متلقٍ إلى آخر.

والمتلقي حاضر في الدراسات النقدية في التراث العربي، وهو المستقبل للنص سواء أكان ناقدًا أم سامعاً أم قارئاً، ونجد أن التلقي موجود بمفاهيمه التي أفرزتها نظرية التلقي الحديثة، فالنقد في العصر الجاهلي أُعتبر بسيطاً في جوهره، إلا أن العديد من نماذج التطبيقية الشفاهية، ذات دلالة عميقة على تفاعل كل من الناقد والشاعر والجمهور مع النص، وهذا النوع من التلقي تسميه بشرى موسى بالتلقي الشفاهي، وتقول فيه⁽¹²⁾: "إن مصطلح التلقي أشد دلالة على الحال السماعية للشعر من مصطلحات أخرى كمصطلح القارئ والسامع، بوصفه مصطلحاً شاملاً تنضوي تحته أنماط التلقي الشفاهية أو السماعية، فضلاً عن القرائية". ومن هذه

ثم لخصنا فيها أهم ما توصلت إليه الدراسة من نتائج وتوصيات، وأردفنا ذلك بقائمة للمصادر والمراجع.

وحسبنا أننا اجتهدنا ما نستطيع، ونرجو أن نكون قد وفّقنا في مقصدنا، وأن يلاقي هذا الجهد قبولاً حسناً، وما توفيقنا إلا بالله.

المحور الأول: المتلقي في نظرية التلقي الغربية:

نشأت نظرية التلقي في ألمانيا في ستينيات القرن العشرين، وارتبطت بداياتها بجامعة كورنستانس⁽¹⁾، وقد أسهم في نشوئها السخط العام تجاه قوانين الأدب التقليدية، وحالة الفوضى في نظريات الأدب المعاصرة، وقد أحدث ذلك استجابة للأوضاع الجديدة، وميولاً وتوجهاً عاماً نحو المتلقي بوصفه العنصر المهم⁽²⁾. ويعدُّ ظهور نظرية التلقي تمرداً على المذاهب المنتشرة في ألمانيا، كالرمزية والبنوية والجمالية الماركسية، والشكلية الروسية وغيرها⁽³⁾، ومن أبرز رواد نظرية التلقي: "روبرت يابوس" و"فلغانغ إيزر"⁽⁴⁾.

والقارئ أو المتلقي هو المحور الذي تقوم عليه نظرية التلقي، وقد أعادت إليه الاعتبار والاهتمام الذي كان المؤلف والنص يسيطران عليه من قبل، وأصبح هو الذي يقيم النص، وهذا يعني أنه شريك للمؤلف في تشكيل المعنى؛ لأن النص لا يكتب إلا من أجله⁽⁵⁾، ويرى يابوس "أن العمل يشتمل في وقت واحد على النص بوصفه بنية معطاة، وعلى تلقيه أو على إدراكه إدراكاً حسيماً يقوم به القارئ أو المشاهد"⁽⁶⁾. ومن هنا لم يعد دور المتلقي سلبياً بل أصبح مشاركاً في صنع النص، وتشكل استجابته للنص نسيج الموقف النقدي برمته، وأن عمليات التلقي المستمر تشكل وجدان القارئ والمبدع معاً، وتنمي الإحساس بأبعاد النص العميقة، التي تظل تعطي دلالات تسمح بالتأويل في دائرة لا ينغلق فيها النص، بل يتجدد مع كل قراءة⁽⁷⁾.

ويعد الاهتمام الذي لقيه القارئ في نظرية التلقي، فقد انصبَّ جهود النقاد حول تحديد ميزات هذا القارئ، وخلص "إيزر" إلى تحديد أربعة أنماط من القراء هم⁽⁸⁾:

1. القارئ الأعلى: وهو يمثل "لريفاتير" مجموعة المخبرين الذين يلتقون دائماً عند النقط المحورية في النص، ومن ثم فإنهم يؤسسون وجود واقع أسلوبية خلال ردود أفعالهم المشتركة. "والقارئ النموذجي أو الأعلى الذي يرتضيه الإيطالي "أمبيرتو إيكو" هو ليس على طريقة "إيزر"، يكشف عن المعنى من خلال تفاعله مع النص، وإنما هو قارئ جيد نموذجي، يمتلك كفاءات ومهارات يُقبل بها على النص، وهي تتمثل في الكفاءات الموسوعية والمعجمية والأسلوبية واللغوية"⁽⁹⁾.

2. القارئ المخبر: هو الشخص الذي يتقن اللغة التي يُبنى بها النص، ويكون متمكناً من المعرفة الدلالية، وله كفاءة أدبية.

3. القارئ المقصود: هو القارئ الذي يمكن بناؤه من خلال معرفة تأثيرات النص عليه، وهو باعتباره قاطناً تخييلياً في النص، وهو واحد من بين منظورات عديدة.

النماذج احتكام امرئ القيس وعلقمة الفحل إلى أم جندب، عندما عرض عليها علقمة قوله⁽¹³⁾:

فَأَدْرَكُهُنَّ ثَانِيًا مِنْ عِنَانِهِ يَمُرُّ كَمَرِّ الرَّائِحِ الْمُتَحَلِّبِ⁽¹⁴⁾

وقال امرؤ القيس (15):

فَلِلْسَاقِ الْهُوبِ وَلِلْسَوِّطِ دِرَّةٌ وَلِلزُّجْرِ مِنْهُ وَقَعِ أَهْوَجَ مِنْعَبٍ

فغلبت أم جندب علقمة، فقال لها زوجها امرؤ القيس: بأي شيء غلبته؟ قالت: لأنك: "جهدت فرسك بصوتك، ومريته بساقك وزجرك، وأتعبته بجهدك" أما عن بيت علقمة فقالت: "فلم يضرب فرسه بسوط، ولم يمره بساق، ولم يتعبه بزجر" (16). وأم جندب في تفضيلها لعلقمة اعتمدت على التعليل المستمد من داخل النص، وهذا يؤكد دور المتلقي والنصح الذي تميز به، فأصبح يتوقع ما يجب أن يتوقع، ومقاييس الحكم عنده مبنية على معرفة ودراية وخبرة.

وكان الشعراء يحتكمون إلى النابغة الذبياني، ومنهم الأعشى ميمون بن قيس أبو بصير، الذي أنشد النابغة قصيدته التي يقول في مطلعها (17):

مَا بُكَاءَ الْكَبِيرِ بِالْأَطْلَالِ وَسُؤَالِي وَمَا تَرُدُّ سُؤَالِي

ثم أنشده حسان بن ثابت ميميته التي يقول فيها (18):

لَنَا الْجَفَنَاتُ الْغُرُّ يَلْمَعْنَ فِي الضُّحَى وَأَسْيَافُنَا يَقْطُرْنَ مِنْ نَجْدَةِ دَمَاءِ

وأنشدته الخنساء قصيدتها التي تقول فيها (19):

قَذَى بَعِينِكَ أَمْ بِالْعَيْنِ عَوَّارٌ أَمْ أَقْفَرْتُ مُذْ خَلْتِ مِنْ أَهْلِهَا الدَّارُ

فقال النابغة الذبياني: والله لولا أن أبا بصير أنشدني آنفاً لقلت: إنك أشعر الجن والإنس. فأثار هذا حفيظة حسان فقال: والله لأنا أشعر منك ومن أبيك ومن جدك. فقال النابغة: يا ابن أخي أنت شاعر ولكنك أقللت جفانك وأسيفك، وفخرت بما ولدت ولم تفخر بمن ولدك، يا ابن أخي إنك لا تحسن أن تقول مثل قولتي (20):

فَإِنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي وَإِنْ خِلْتِ الْمُنْتَأَى عَنْكَ وَاسِعِ (21)

والنابغة الذبياني هنا هو المتلقي الخبير الناقد، الذي حكم على ما سمع من قصائد، وكان حكماً موضوعياً معللاً. وفي صدر الإسلام نجد الرسول - صلى الله عليه وسلم - وهو خير المتلقين، يستمع إلى لامية كعب بن زهير الذي أهدر دمه، قبل أن يأتيه متخفياً، يقول كعب في مطلعها (22):

أَنْتَ سَعَادٌ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَتَّبُولٌ مُنِيْمٌ إِثْرَهَا لَمْ يَفِدِ مَكْبُولٌ

ويقول:

أُنْبِئْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَوْعَدَنِي مَهْلًا هَدَاكَ الَّذِي أَعْطَاكَ نَافِلَةَ الْ-

فلما فرغ من إنشاده تجاوز عنه الرسول - صلى الله عليه وسلم - ووهب له برده (23). وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يتدخل أحيانا فيثري النص الشعري بما يتوافق مع الإسلام، وقد حدث ذلك مع النابغة الجعدي حين أنشده قصيدته التي يقول فيها (24):

عَلَوْنَا السَّمَاءَ عِفَّةً وَتَكْرُمًا وَإِنَّا لِنَبْغِي فَوْقَ ذَلِكَ مَظْهَرًا

فغضب الرسول - صلى الله عليه وسلم - وقال: أين المظهر يا أبا ليلى؟ فقال النابغة الجعدي: الجنة بك يا رسول الله، فقال - صلى الله عليه وسلم -: أجل، إن شاء الله. فقضت له دعوته بالجنة، وسبب ذلك شعره (25).

وفي عصر بني أمية يطالعنا عبد الملك بن مروان بحبه للشعر والشعراء، وألمعيته في التلقي والنقد معاً، ومن مواقفه أنه عندما اجتمع في مجلسه الفرزدق والأخطل وجريير، كان بين يديه كيس فيه خمسمائة دينار، فقال: ليقبل كل واحد منكم بيتاً في مدح نفسه، فأيكم غلب فله الكيس، فقال الفرزدق (26):

أَنَا الْقَطِرَانُ وَالشُّعْرَاءُ جَرِيي وَفِي الْقَطِرَانِ لِلْجَرِيي شِفَاءُ

وقال الأخطل (27):

فَإِنْ تَكَ رُقٌّ زَامِلَةٌ فَإِنِّي أَنَا الطَّاعُونَ لَيْسَ لَهُ دَوَاءُ

وقال جريير (28):

أَنَا الْمَوْتُ الَّذِي آتَى عَلَيْكُمْ فَلَيْسَ لِهَارِبٍ مِنِّي نَجَاءُ

الحاذق، وقدرته على التأويل وصولاً إلى المعاني المضمرة في النص، وقوله: "وما لم أرد" دليل على مشاركة المتلقي في كشف خبايا النص، والغوص في معانيه، والوقوف على ما لا يخطر ببال منشئه.

والمتلقي عند الجرجاني هو الذي يكشف الستر، ويطلب المخبوء، مستدلاً بالإشارة والإيماءة، يقول (37): "ولم أزل منذ خدمت العلم أنظر فيما قاله العلماء في معنى الفصاحة، والبلاغة والبيان والبراعة، وفي بيان المغزى من هذه العبارات، وتفسير المراد بها، فأجد بعض ذلك كالرمز والإيماء، والإشارة في خفاء، وبعضه كالتنبيه على مكان الخبيء ليطلب، وموضع الدفين ليبحث عنه فيخرج".

وحازم القرطاجني وهو من المتأخرين إلا أنه استفاد من آراء السابقين، فقد كان أكثر اهتماماً بالمتلقي، وهذا ما دعانا للاستشهاد به، فنجده قد ركز على أثر الكلام أو القول في المتلقي، وجعل النفس هي المستقبل الأول لهذا الأثر، فيقول (38): "ومما تحسن به المبادئ أن يصدر بما يكون فيه تنبيه وإيقاظ لنفس السامع، أو أن يشرب ما يؤثر فيها انفعالاً، ويثير لها حالاً من تعجب أو تهويل أو تشويق أو غير ذلك"، ويقول (39): "ولهذا نجد الإنسان قد يقوم المعنى بخاطره على جهة التذكر... فإذا تلقاها في عبارة بديعة اهتز له وتحرك لمقتضاه، كما أن العين والنفس تبتهج لاجتلاء ما له شعاع ولون من الأثرية". ونلاحظ من خلال ما سبق ومن خلال اطلعنا على منهاج حازم القرطاجني أنه أكثر من استعمال المفردات الدالة على أثر الكلام في نفس السامع أو المتلقي، ومنها: "انفعال"، "تعجب"، "تهويل"، "تشويق"، "تبتهج"، ونجد أيضاً "الاستلذان"، "الايناس" وغيرهما، وهذا الإكثار من هذه المفردات يدل على ارتباط حازم الوثيق بالمتلقي، وإدراكه لأهميته في إعادة قراءة النصوص.

ومما سبق نخلص إلى أن المتلقي حاضر في التراث النقدي العربي، وللنقاد دور في إبراز صورته في النقد وتوضيحها، وتحديثها عن تفاعله مع النص، وكشفه عن المخبوء فيه من معان، وقدرته على إعادة بناء النص بصورة جديدة، إلا أنهم لم يذكروا في مؤلفاتهم كلمة (المتلقي)، ولكنهم أشاروا إليها بما يحمل معناها ودلالاتها، مثل: القارئ أو السامع، إلا أن هذه الإشارات لم تصل إلى المنهجية التي وصل إليها المحدثون حول نظرية التلقي والمتلقي، ولكنها تؤكد تعرضهم لهذه الظاهرة بالقدر الذي يتوافق مع متطلبات الحركة الأدبية والنقدية في عصورهم المختلفة.

أما المتلقي عند عبد الله الطيب في العصر الحديث، فيجعلنا نطرح العديد من الأسئلة، فمنها على سبيل المثال: هل كان للمتلقي حضور عند عبد الله الطيب في كتابه "المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها"؟ وهل كان يدرك أهميته؟ ومن أين استمد عبد الله الطيب رؤيته حول المتلقي، من التراث النقدي العربي، أم من نظرية التلقي الغربية التي عاصر ظهورها؟

المحور الثالث: المتلقي عند عبد الله الطيب في كتابه المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها:

1. مدخل: نبذة قصيرة عن عبد الله الطيب:

وقبل أن نتحدث عن المتلقي استحسناً أن نقدم نبذة قصيرة عن عبد الله الطيب، لعلنا نعرفنا بمكانته وبعض منجزاته العلمية، وهو عبد الله الطيب بن محمد بن أحمد بن محمد المجذوب، ولد بقرية

فقال عبد الملك (29): خذ الكيس فلعمري إن الموت يأتي على كل شيء.

والجاحظ في العصر العباسي يؤكد على مقصدية الخطاب وتوجهه نحو مستمع محدد، ويبين اشتراك المبدع والمتلقي في إنشاء العمل الأدبي، فيقول (30): "وكلما كان اللسان أبين كان أحمد، كما أنه كلما كان القلب أشد استبانة كان أحمد، والمفهم لك والمتفهم عنك شريكان في الفضل، إلا أن المفهم أفضل من المتفهم"، وتتضح صورة المتلقي في آراء الجاحظ عندما يقول (31): "فإن أردت أن تتكلف هذه الصناعة، وتنسب إلى هذا الأدب، فقرضت قصيدة أو حبرت خطبة أو ألقت رسالة فإياك أن تدعوك ثقتك بنفسك أو يدعوك عجبك بثمره علك إلى أن تنتحلته وتدعيه، لكن اعرضه على العلماء في عرض رسائل، أو أشعار أو خطب؛ فإن رأيت الأسماع تصغي له، والعيون تحرج إليه، ورأيت من يطلبه ويستحسنه فانتحلته... فإذا عاودت أمثال ذلك مراراً، فوجدت الأسماع عنه منصرفه، والقلوب لاهية، فخذ في غير هذه الصناعة، واجعل رائدك الذي لا يكذبك حرصهم عليه، أو زهدهم فيه".

وربط ابن قتيبة بناء القصيدة العربية بأوضاع المتلقين، والرغبة في اجتذاب نفوسهم وأسماعهم ومراعاة أذواقهم، وجعل الالتزام بها معياراً لإجادة الشاعر ونجاحه الفني، فيرى أن الشاعر يبدأ قصيدته بالغزل والنسيب ليميل نحوه القلوب، ويصرف إليه الوجوه، وليستدعي به إصغاء الأسماع إليه؛ لأن التشبيب قريب من النفوس، لا نط بالقلوب... فإذا علم أنه استوثق من الإصغاء إليه، والاستماع له، عقب بإيجاب الحقوق (32)، وبناء القصيدة على هذه المقدمات الغزلية التي ينشدها ابن قتيبة، إنما يقصد به لفت انتباه السامعين وإشراكهم في عاطفة الشاعر، وهي عاطفة سهلة المشاركة فيها؛ لأنها قريبة من النفوس. وهذه التفاتة رائعة من ابن قتيبة تجاه المتلقي، إذ يربط بين النص الجيد والمتلقي الذي يستهويه ذكر الغزل والنسيب، والنص الجيد يجعل المتلقي دائماً متلهفاً لقراءته، مقبلاً عليه غير مدبر.

وابن طباطبا يربط بين قيمة العمل الأدبي (الشعر)، وتحقيق الاستجابة والتأثير لدى المتلقي، فيقول (33): "فإذا ورد عليك الشعر اللطيف المعنى، الحلو اللفظ، التام البيان، المعتدل الوزن، مازج الروح ولأم الفهم، وكان أنفذ من نث السحر، وأخفى بديباً من الرقى، وأشد إطراباً من الغناء، فسل السخائم..."، ويحدد ابن طباطبا عيار الشعر، فيجعله متوقفاً على عنصر المتلقي فيقول في ذلك (34): "وعيار الشعر: أن يورد على الفهم الثاقب فما قبله واصطفاه فهو واف، وما مجّه ونفاه فهو ناقص".

أما البحث عن الاستجابة والتقبل وضروبهما، وأسباب توفرهما لدى المتلقي فمبعثهما حسن العبارة، وفي ذلك يقول الرماني (35): "حسن البيان في الكلام على مراتب: فأعلاهما مرتبة، ما جمع أسباب الحسن في العبارة من تعديل النظم حتى يحسن في السمع، ويسهل على اللسان، وتتقبله النفس تقبل البرد، وحتى يأتي على مقدار الحاجة فيما هو حقه من المرتبة".

و"كان أبو الطيب المتنبي إذا سُئل عن معنى قوله، أو توجيهه إعراب، حصل فيه إغراب، دل عليه، قال: "عليكم بالشيخ الأعور ابن جني (395هـ) فسوره، فإنه يقول ما أردت وما لم أرد" (36)، وتوجيه أبي الطيب لسامعيه بسؤال ابن جني، يؤكد أنه يترك مساحة للمتلقي

برأيه فيه. وتتضح أهمية المتلقي أكثر عند عبد الله الطيب في تناولنا لأنواع المتلقي من خلال اطلعنا على كتابه (المرشد):

♦ المتلقي الضمني: وهو المتلقي الذي يتوقعه عبد الله الطيب في أثناء كتابته، يخاطبه ويشاركه في عمله الأدبي بالقراءة وبالإبداع برأيه وملاحظاته، ومما يؤكد ذلك أيضاً ما قاله في كتابه المرشد مخاطباً المتلقي⁽⁴⁴⁾: "رأيت - أصلحك الله - أن تشاركني بالنظر المكرر المعاد إلى بهاء العلم، فقلت إن شاء الله"، والدعوة لمشاركة المتلقي هنا تؤكد الدور التكاملي الذي يؤمن به عبد الله الطيب بين عملية الإبداع وجمالية التلقي.

وفي ردّه على الذين يدعون إلى تنوع القوافي في القصيدة الواحدة، مراعاة لذوق السامع أو المتلقي العربي، يرى أن تغير القافية بعد بيتين شيء ممل، لا يقبله الذوق العربي، وتغير القافية بعد ثلاثة أبيات أو أربعة، قريب من ذلك في الإمثال، ويقطع تسلسل الأفكار، ويضطر الشاعر إلى أن يحول مجرى خواطره⁽⁴⁵⁾. وحينما يقول⁽⁴⁶⁾: "وأستميح القارئ عذراً من هذا الاستطراد"، وهو يعرف أن الاستطراد من عيوب الكلام، فلذلك جاء اعتذاره للمتلقي على طريقة الكبار، الذين يعرفون كيف يجمعون ما بين إشباع ذاتهم، وتحقيق مرادهم واعتبار قرائهم.

واعتذار عبد الله الطيب للقارئ الكريم، عن ما وقع في بعض ملازم الكتاب من أخطاء: في الضبط والطبع، يدل على مكانة القارئ عنده، واعتباره له في كل شاردة وواردة في هذا الكتاب، بل وحتى في شكله، وهذا لأنه يحسبه شريكاً في صنعه وخلقه⁽⁴⁷⁾. والقارئ الناقد عنده هو الذي يُعِين ويلفت ذهن المؤلف إلى ما غاب عنه من معرفة، وهو القارئ الذي يستحق أن يعتذر له، عما يقع في الكتابة من أخطاء ليست مقصودة بالطبع.

وعبد الله الطيب في خطبة الجزء الثاني لكتابه المرشد، يذكر القارئ بما قاله له في خاتمة الجزء الأول "أما بعد فقد ذكرت لك أيها القارئ الكريم في خاتمة الجزء الأول من كتابي هذا، أنني سأؤجل الحديث عن الجرس اللفظي"⁽⁴⁸⁾، وهذا يؤكد اهتمام الكاتب بالمتلقي القارئ في كتابه المرشد وفي كل أجزاءه، وحرصه على مواكبته في الكتابة.

ويلزم القارئ عبد الله الطيب فيتخيله باستمرار، ويشاطره الاطلاع، ويشاركه في الحوار، بل وكأنه يقرأ أفكار القارئ، فيسأل السؤال الذي يتوقع أن يسأل القارئ عنه، يقول⁽⁴⁹⁾: "ولعلك أيها القارئ الكريم تسأل، فلم أحرر صحة الطبع وهي أصل"، والذي أحرر صحة الطبع هو الجاحظ؟

ويرافقه المتلقي في رحلة الكتابة، وكأنه يجالسه، فيأمره ويرشده ويدله على ما يفيد، بل ويدعوه بالصلاح، يقول⁽⁵⁰⁾: "وأعلم - أصلحك الله - أن للشاعر ملكة منحها الله إياها، هي المقدرة على التعبير بالربيع والإيقاع"، ويخاطبه قائلاً⁽⁵¹⁾: "وقد مر بك قوله: من ذكر سلمى وما ذكرى الأوان لها إلا السّفاه.

ويقول عبد الله الطيب⁽⁵²⁾: "أنظر كيف يتجاوب هذا مع قوله: تضيء الظلام بالعشاء، ولا يفتك إحياء الجرس الخفي في (أمال السليط) و(مال الغبيط)". وفاعل (انظر) هو القارئ، وكاف الخطاب في (يفتك)، كلها ضمائر تشير للمتلقي أو القارئ، فالقارئ في مخيلته، يتصوره أمامه يحاوره ويأمره بالنظر إلى ما في الكلام من

التميراب، غرب مدينة الدامر شمال السودان في (25 رمضان 1339 هـ - الموافق 2 يونيو 1921م)، وتوفي - رحمة الله عليه - في (19 ربيع ثاني 1424 هـ الموافق 19 يونيو 2003م)⁽⁴⁰⁾.

تعلم بمدارس كسلا والدامر وبربر وكلية غردون التذكارية بالخرطوم، والمدارس العليا ومعهد التربية ببخت الرضا، وجامعة لندن بكلية التربية، ومعهد الدراسات الشرقية والأفريقية، نال الدكتوراه من جامعة لندن (SOAS) سنة 1950م، وعمل عبد الله الطيب بالتدريس بأمر درمان الأهلية، وكلية غردون، وبخت الرضا، وكلية الخرطوم الجامعية، وجامعة الخرطوم وغيرها، وتولى عمادة كلية الآداب بجامعة الخرطوم (1961 - 1974م)، وكان مديراً لجامعة الخرطوم (1974 - 1975م)، وهو أول مدير لجامعة جوبا (1975 - 1976م)، وأسس كلية بابيرو بكانو "نيجيريا"، وهي الآن جامعة مكتملة، وهو أول رئيس لمجمع اللغة العربية بالسودان منذ تأسيسه سنة 1990م وحتى وفاته⁽⁴¹⁾، وحصل عبد الله الطيب على جائزة الملك فيصل العالمية في الأدب عام 2000م⁽⁴²⁾.

وله العديد من دواوين الشعر وهي: أصداء النيل، اللواء الظافر، سقط الزند الجديد، أغاني الأصيل، أربع دمعات على رحاب السادات، بانات رامة، برق المدد بعدد وبلا عدد. ومن مؤلفاته: سفير التلميذ الأساسي، من حقيبة الذكريات، من نافذة القطار، الأحاجي السودانية، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، مع أبي الطيب، الطبيعة عند المتنبي، كلمات من فاس، الحماسة الصغرى، القصيدة المادحة، شرح بائنة علقمة "طحا بك قلب"، شرح عينية سويد، بين النير والنور، شرح أربع قصائد لذي الرمة، النثر الفني الحديث في السودان، نوار القطن، المعراج، حتام نحن مع الفتنة باليوت، ملتقى السبيل. ومن مسرحياته الشعرية: زواج السم، الغرام المكنون، قيام الساعة، مشروع السدرة، نكبة البرامكة. وله تفسير للقرآن الكريم مسجل في الإذاعة السودانية، ومسجل أيضاً في إذاعات تشاد ومالي وموريتانيا، ومكتبة الكونغرس الأمريكي. وله العديد من المحاضرات العامة والخاصة، وقدم للعديد من المؤلفات الفكرية والإبداعية⁽⁴³⁾.

ولابد أن نشير هنا إلى أن طبيعة الدراسة لا تسع لذكر كل نتاج عبد الله الطيب وجهوده العلمية، ونعرف أن ما قدّمناه عن سيرته فهو غيض من فيض، وهكذا يكون شأن الأعلام، إلا أننا حاولنا أن نثري الدراسة بنبذة قصيرة عن سيرته، تعيننا على البحث عن المتلقي في كتابه (المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها).

2. المتلقي عند عبد الله الطيب في كتابه المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها:

لا شك أن عملية الكتابة تفرض عملية القراءة باعتبارها ملازمة لها، فالعلاقة التكاملية بين المبدع والمتلقي هي التي تمنح الحياة للنص، علماً بأن وجود النص لا يكتمل فعلياً وجمالياً إلا من خلال تلقيه، فالنص لا يصنع المبدع فقط، فلا بد له من متلقي يستقبله، أي أن النص لا يتعدى حالته النصية إلى العمل الأدبي إلا بفعل القراءة والمتلقي، لذلك لم يكن المتلقي غائباً عند عبد الله الطيب في كتابه (المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها)، لقد كان يهتم بالمتلقي قارئاً أو مخاطباً، بل ويدرك أهميته، ولولا أنه كان يؤمن بذلك لما أعطى طه حسين كتابه (المرشد) ليطلع عليه، ويبدي

ويؤمن عبد الله الطيب بضرورة التفاعل بين المتلقي والمرسل وهو صاحب النص، وذلك من خلال حديثه عن تأثير الخطابة والشعر في المتلقي باستجاشة عاطفته، وإقناع عقله، يقول (61): "الخطابة تأثيرها باستجاشة العاطفة، وإقناع العقول، وجهازة الصوت، وجودة الأداء، والشعر تأثيره بألئك جميعاً"، وذكر أن "من أمثلة الشعر الصادر عن نشوة وفرح من نفس الشاعر، والسامع معني بالمشاركة فيه" (62). وهذا التأثير في المتلقي حزناً كان أم فرحاً، هو ما يؤكد مشاركته للمبدع بجمالية التلقي.

وكاف الخطاب في قوله (63): "ولكنك بعد أن تقرأ القصيدة كلها، لا تملك أن تحس فيها وفيما يليها من الصفات، استشعاراً لمعاني العتاب..." تعود إلى المتلقي، الذي يتأثر بالقصيدة الشعرية، ويتفاعل معها بحسه وشعوره. وللتعبير الموجز والجرس واللفظ القصير وقع وأثر في نفس المتلقي السامع، "ومهما يكن من تعبير أوجز فيه صانعه، واستوفى الغرض، إلا كان جرسه حسن الوقع في النفس، إذ النفوس يعجبها وقع اللفظ القصير، إن كان يحوي الفكرة الطويلة والمعنى الضخم" (64)، وخبرة الكاتب هنا تتضح في معرفته لما يحبه القارئ، ويجتذبه للقراءة.

ومما سبق يتضح لنا أن القارئ الذي افترضه عبد الله الطيب، ورافقه أثناء الكتابة، وكثيراً ما يشير إليه بقوله (أيها القارئ الكريم) و(أصلحك الله) و(كما ترى)، و(قد تعلم)، ويرشده أحياناً ويذكره ويراعي ذوقه وميوله، هو القارئ الضمني، الذي أشرنا إلى تعريفه في معرض حديثنا عن نظرية التلقي عند الغربيين. وأن عبد الله الطيب كان صاحب نظرة تكاملية بين عملية الإبداع وجمالية التلقي، وهذه النظرة لا تعطي المبدع الملكية الدائمة للنص، ولا تعطي المتلقي السلطة المطلقة في تأويله، ولا تعطي النص الاستقلالية التامة عن المبدع والمتلقي.

♦ المتلقي المخبر: وهو القارئ الناقد المتخصص المتمكن من اللغة وأدواتها، والعارف بتركيبتها ودلالاتها، والأديب الحافظ والمطلع على شواهدا وتحليلاتها، وهذا هو القارئ الذي يستهدفه عبد الله الطيب بكتابه "المرشد"، وهو الذي يحفظ من النصوص ما يمكنه من استحضارها عندما يطلع على ما يماثلها، مما يحفظ من نصوص أو مواقف، ويقول عندما يمر بما يشابه ما بعقله (65): "فيذكرك بقوله: "فوا عجباً من كورها المتحمل"، وقوله: "وقوفاً بها صحتي علي مطيهم"، وما سبق فيه مماثلة لقول امرئ القيس (66):

وَبَاتَ بَعَيْنِي قَائِماً غَيْرَ مُرْسَلٍ

كَمَا زَلَّتِ الصَّفْوَاءُ بِالْمَتَنَزَّلِ

والقارئ الناقد، الدقيق في تحققة، والعميق في فهمه، هو الذي يعنيه في حديثه عن ربطه الأغراض الشعرية بما يناسبها من البحور الشعرية (70)، وفي تسميته لبعض البحور الشعرية بالبحور الشهوانية، يُكثر عبد الله الطيب من الاستشهاد بالنماذج الشعرية المؤكدة إلى تسميتها بالشهوانية، وهو بذلك لا يترك حجة للقارئ، يقول (71): "ولا تقل لي: إن المثل الذي استشهدت به واحد، لا تقوم به حجة، أو تعارضني بأن هذا الكلام قد قيل في ساحة الحرب، وليس

تجاوب وتناغم وإيحاءات. ويقول (53): "ثم لا ننسى - أيها القارئ الكريم - قول أبي الطيب، لا بل حصان أبي الطيب" وعبارة (لا ننسى) تدل على اتحاد المتلقي معه، وقربه منه، إلا أنه يميزه عنه بقوله: "أيها القارئ الكريم". وحرص عبد الله الطيب على القارئ ورغبته في أن يستمر معه، وحرصه أيضاً على عدم انقطاع أفكاره، واتهامه بالتقصير، فيشير إلى أنه "سيؤجل الحديث عن جرس الألفاظ إلى حيث نتكلم عن ناحيتي اللفظ والمعنى في الصناعة الشعرية" (54).

وأهمية المتلقي تتضح في إرشاده له، وتنبهه وحثه على الاطلاع على المفيد من كتب الأدب وغيرها، وما هو يحث المتلقي إلى مراجعة ما تقدم ذكره حتى يتمكن من وصل المعرفة بعضها ببعض، فيقول (55): "وتعلم أنه قد أبدأ من طرق الشعر أموراً أتبع فيها من ذكر الديار والوقوف عليها (راجع ما تقدم)"، وهذه الإحالة للمتلقي هي إحالة عامة غير محددة بعنوان أو صفحات، إلا أنها تشير إلى ثقة المتكلم في المتلقي بتفهمه لما يعنيه من كثرة الاستشهاد بمثل هذه المعاني. ولعبد الله الطيب دور في إرشاد القارئ وتوجيهه إلى قراءة بعض المؤلفات القيمة، التي تعينه على المعرفة والتحقق، فيقول (56): "وليرجع القارئ الكريم إلى نص الخبر في الأغاني عن أخبار بشار"، والقارئ هنا المقصود به القارئ المطلع، الذي يأخذ المعرفة من مصادرها ويتحقق منها. وينبّه عبد الله الطيب القارئ إلى أهمية التكرار والتجزئة لما تقتضيه طبيعة الدرس فيقول (57): "ولن نفتأ نكرر للقارئ الكريم ما قدمناه من أن الشعر كل واحد جميع، وإنما جزئه من أجل الدرس"، ويحرص عبد الله الطيب كل الحرص في إيراد الشواهد على توجيه المتلقي، فيحيله إلى المزيد من القصائد يقول (58): "ونحيل القارئ بعد على قصائد آخر، فيها مثل هذا التسلسل أو قريب"، وأظن أن هذه الإحالة للمتلقي فيها إشارة إلى القارئ المطلع، وهي من الصفات التي يجب أن يتصف بها المتلقي.

وأهمية المتلقي عنده تتمثل في تذكيره، والطلب منه أن يطلع على ما هو مفيد من الكتب والمؤلفات العربية والغربية، فمثلاً يقول (59): "ولو نستعير ورقة من كتاب جون كيري، صاحب كتاب النقد المعاصر عن الشاعر "جون" دون ذكرنا للقارئ أن الوطاء والجماع كلاهما يجيء بمعنى المباشرة". وينبّه عبد الله الطيب القارئ قائلاً (60): "ولا يغفلن القارئ الكريم عن أهمية ما أزعمه من عنصر المفاجأة في ظهور الوزن العربي ذي البحر والقافية".

وَبَاتَ عَلَيْهِ سَرَجُهُ وَلَجَامُهُ

وفي قوله (67):

كُمَيْتٍ يَزِلُّ اللَّبْدُ عَنْ حَالِ مَتْنِهِ

وفي قوله (68): "وأخذ علينا بعض الناس أننا صدرنا في الذي نسبناه إلى البحور، من صلة بالمعاني عن تفكير ذاتي غير موضوعي"، وعبد الله الطيب يعني بكلمة "الناس" النقاد، وهم القراء، والقارئ الذي يبدي برأيه فهو القارئ أو المتلقي الناقد، ولا يخفى أن عبد الله الطيب هو القارئ لكتابات هؤلاء، والمتابع لها، والدليل على ذلك هذا التفاعل مع منتقديه، والرد عليهم (69)، بعد اطلاعه على ما كتبوه من رأي نقدي.

الطيب، ونستنتج ذلك من مخاطبته للمتلقي خلال تناوله لمفردات بيتي امرئ القيس (76) فيقول (77): "وازن بين (مرجل) وهي للذليل الذي يجر على الأرض، وبين (مكلل)، ومكان الإكليل الرأس"، وفي زائفة المتنخل الهذلي التي يقول فيها (78):

لَا دَرَّ دَرِّي إِنْ أَطَعَمْتُ زَائِرَكُمْ قِرْفَ الْحَتَّى وَعِنْدِي الْبُرُّ مَكْنُوزُ
يقول عبد الله الطيب (79): "وهي أجود ما قرأته على الزاي، وقد طال العهد بنصها، فأخشى أن أفسد روايتها إن اعتمدت على الذاكرة، وأوردت لك منها أبياتاً"، وهنا أحسب أن الرسالة التي يريد أن يوصلها عبد الله الطيب هي اعتباره للمتلقي واحترامه لعقليته، فضلاً عن دعوته إلى التزام المؤلفين والمتلقين بالأمانة العلمية والدقة في النقل، وهذا ما يحفظ دور المبدع والمتلقي بعيداً عن الدور التقليدي والسلطة المطلقة للمتلقي في التأويل. والمتلقي الذي يفترض فيه عبد الله الطيب العلم بالشيء، هو المتلقي الناقد الواعي، العالم بما هو مشهور ومتعارف عليه، فيخاطبه بعبارة (كما تعلم)، فيقول (80): "كما تعلم مقالهم: أعذب الشعر أكذبه".

يفترض عبد الله الطيب الفطنة في القارئ الناقد الذي يعنيه، وكثيراً ما يرددها في مخاطبته له يقول (81): "ولا ريب أنك فطنت - أيها القارئ الكريم - إلى ما بين هذا وبين ما زعمه "كلردج"، ووردت أيضاً في قوله (82): "ولعل القارئ الكريم قد فطن إلى ترابط أقسام هذه الميمية الثلاثة..."، والقارئ الذي يقصده عبد الله الطيب هو القارئ الفطن. وعندما يقول مخاطباً القارئ (83): "ولا ريب أن القارئ الكريم قد فطن إلى أنا متبعو أصداء هذه القصيدة"، وهذه إشارة إلى أن بعض الشعر يحتاج فهمه إلى قارئ فطن، يدرك ما به من معان خفية، وبعض كلام العرب يحتاج إلى قارئ فطن ومطلع وخبير ليفهمه، كقول تَابُطْ شَرَأْ (84):

هَزَفُ يَبْذُ النَّاجِيَاتِ الصَّوْافِنَا

ويعتقده، هو القارئ المتأمل، والتأمل من الصفات التي يرجوها عبد الله الطيب في المتلقي، وكثيراً ما يدعو للتأمل، فمثلاً "تأمل المفارقة بين احتمال قلبه حبها وذكرها وزيارة طيفه إياها" (87)، ويدعو للتأمل في أبيات من الشعر قائلاً (88): "لو تأملته إن هو إلا فواتح مقدمات، جعلت مكان النسيب لتلائم ما هو مقبل عليه من القول". والجمال عنده يحتاج إلى تأمل، فلذلك يلفت المتلقي لأن يتأمل ما في أبيات جرير من جمال، فيقول (89): "تأمل جمال قوله: (إلى الليل بعض الليل)، ويبدو أنه يشير إلى ضيق الليل عند المحبين، والأبيات هي (90):

كَطَوَّقَ الْفَتَاةَ لَمْ تُشَدِّدْ مَفَاصِلُهُ
إِلَى اللَّيْلِ بَعْضَ اللَّيْلِ أَمْ أَنْتَ عَاجِلُهُ

والقارئ المتأمل الذي ينشده حاضر معه، يسمع صوته، ويتتبعه ويتذكر ما مرَّ به سابقاً من حديث، يقول (91): "وقد مرَّ بك في معرض حديثنا عن الصلعة والفروسية". وفي قول الشاعر (92):

وَجِيدٌ كَجِيدِ الرَّئِمِ لَيْسَ بِفَاحِشٍ إِذَا هِيَ نَصَّتَهُ وَلَا بِمِعْطَلٍ

كان تكرار حرف الجيم موضعاً للتأمل، فلذلك دعا عبد الله الطيب القارئ قائلاً (93): "وتأمل جيمات و"جرة" و"جيد كجيد"، وكلمة "جرة" وردت في البيت السابق". ويدعو عبد الله الطيب المتلقي إلى التأمل في قول الشاعر (94):

وَلَمَّا التَّقِينَا غُدُوَّ طَالٍ بَيْنَنَا سَبَابٌ وَقَذْفٌ بِالْحَجَارَةِ مِطْرَحٌ (95)

في ذلك ما يدل على الشهوانية"، ولا شك في أن القارئ المفترض الذي يحاجه هو القارئ الناقد الواسع الاطلاع والمعرفة. وهنا لا بد أن نشير إلى أن كثرة الاستشهاد عنده، تدل على اهتمامه بالقارئ، وعلى ضرورة ممارسة الحجة في إقناعه، وكأنه يعرف أفق توقعات القارئ الذي يعنيه.

وثقة عبد الله الطيب في المتلقي الذي يقصده كبيرة، فيعرف أنه مطلع، ويحفظ من الشواهد ما يكفي للدلالة على منهج النسيب والرحلة، فيقول (72): "والقارئ الكريم واجد بعد في الشعر أمثلة كثيرة مما سبق على منهج النسيب فالرحلة، ومما لم يسبق على ذلك، والشاعر يتدرج من معنى إلى معنى"، وعبارة (أمثلة كثيرة)، نستنتج منها أن الكاتب يريد من المتلقي الناقد أن يحفظ الكثير من الشواهد والأمثلة؛ للاستدلال بها؛ لأنها تزيد الفكرة إيضاحاً وثباتاً، وتجعلها أكثر إقناعاً.

ويقول عبد الله الطيب (73): "ولا أحسبك تخطئ إن جعلت (مزمل) في بيت امرئ القيس (74) صفةً لأناس"، وتكرار ضمائر المخاطب: الكاف في "أحسبك"، والضمير المستتر "أنت" في قوله "تخطئ"، وتاء المخاطب في "جعلت"، تؤكد أن رفيقه هو القارئ الواعي، الخبير الذي لا تلتبس عليه الأمور، فيستطيع التمييز بينها، يقول (75): "ولا أحسب أن القارئ الكريم، سيلتبس عليه أمر هذا الذي نتحدث عنه هنا، من الامتاع والتسلي والاشتفاء بالنغم، بأمر تحدثنا عنه من قبل من أمر التعبير... بالموسيقا" الذي هو أصل مع التعبير بالبيان، الذي أيضاً هو أصل".

وإعمال العقل من الخصائص التي يجب أن تتوافر في المتلقي، وخاصة المتلقي الناقد المطلع، الذي يوازن بين معاني الكلمات؛ ليميز بينها، وهذا من صفات القارئ الناقد عند عبد الله

أَزَجٌ زَلُوجٌ هِزْرَفِيٌّ زُفَازَفٌ

فوصف عبد الله الطيب هذا البيت "بأنه من الجزل البغيض الجلف... الذي ينبغي أن يتجنب مثله، وكأنني به قد أحتاج إلى المشايخ والمعاجم في تفهيم هذا البيت، ولم يستطع أن ينكر جزالته، وأيقن أنه مما لا تفهمه العامة حين تسمعه" (85)، وهنا أيضاً نلمس حرص الكاتب على القارئ، وضرورة مراعاته في الكتابة؛ فتكون الألفاظ التي يكتب بها سهلة وواضحة. والقارئ الفطن هو - أيضاً - ما يخاطبه بقوله (86): "لعلك أيها القارئ الكريم قد فطنت إلى موضع تكرار المواقع التي دار فيها القتال".

ومن صفات المتلقي الناقد الذي يخاطبه عبد الله الطيب

فَمَا مَغْزَلُ أَدْمَاءٍ تَحْنُو لِشَادِنٍ
بِأَحْسَنٍ مِنْهَا يَوْمَ قَالَتْ: أَنَاظِرُ

مر، يتمتع العقل ويرضي القلب، ويصفي الذوق⁽¹⁰⁵⁾. ولا شك أن القارئ لكتاب المرشد الذي وصفه طه حسين هو القارئ الناقد، الذواق العاقل الذي يتأثر، ويتفق ويختلف، ويشك ويطمئن مع صاحب الكتاب.

إلا أننا وبعد استعراضنا لصفات القارئ الذي يستهدفه عبد الله الطيب بكتابه "المرشد" نوّكّد أنه القارئ المخبر أو الخبير، وذلك لأنه يحتاج إلى عدّة متنوعة تمكنه من فك رموز النص وحل شفراته، فهو المتأمل والفطن، الذي يعمل عقله، ويمتلك القدرة على الاستحضار والموازنة بين الأمور، والذي يتقن اللغة التي يبني بها النص، ويكون متمكناً من المعرفة الدلالية، وله كفاءة أدبية تزيد النص غنىً على غناه، وتعيد تشكيله من جديد.

ومما سبق يتضح لنا أن عبد الله الطيب كان يدرك أهمية المتلقي ودوره في إعادة إنتاج النص وتقويمه، والمتلقي عنده نوعان الأول: المتلقي الضمني، الذي يرافقه أثناء الكتابة، ويخاطبه ويحاوّر ويسأله، ويتحدث عن تأثره وانفعاله بما يقرأ، ويأمره ويرشده ويذكره ويعتبره، ويراعي ذوقه وميوله. والثاني هو المتلقي المخبر، الذي يتصف بالوعي والفطنة والتأمل والقدرة على أعمال العقل في الموازنات والتمييز بين الأشياء، واستحضار المختزن من المعرفة. وهنا لا بد أن نشير إلى أن عبد الله الطيب لم يستعمل في كتابه "المرشد" كلمة المتلقي، إلا أن هذا لا ينفي وجودها بطرق أخرى مثل القارئ أو السامع، وغير ذلك من المفردات الدالة على معنى المتلقي.

الخاتمة:

وفي ختام هذه الدراسة، فضلت العرض الموضوعي المبسط لخطتها، ثم ذكر أبرز النتائج التي توصلت إليها الدراسة مع التوصيات.

فقد بدأت هذه الدراسة بالحديث عن المتلقي في نظرية التلقي الغربية، وأشارت إلى أن المتلقي هو المحور الرئيس في نشأة وتطور نظرية التلقي عند الغربيين، ثم أصلت له بنماذج من صورته في التراث النقدي العربي، ثم تناولت المتلقي عند عبد الله الطيب في كتابه "المرشد" إلى فهم أشعار العرب وصناعتها. أما النتائج التي توصلت إليها الدراسة فأبرزها:

1. أن المتلقي حاضر في التراث النقدي العربي، وللنقاد دور في إبراز صورته في النقد وتوضيحها، وتحديثها عن تفاعله مع النص، وكشفه عن المخبوء فيه من معانٍ، وقدرته على إعادة بناء النص بصورة جديدة.

2. أن عبد الله الطيب لم يستعمل في كتابه (المرشد) كلمة المتلقي، إلا أن هذا لا ينفي وجودها بطرق أخرى تحمل دلالاتها ومعانيها مثل القارئ أو السامع وغير ذلك.

3. المتلقي عند عبد الله الطيب نوعان: متلقٍ ضمني وهو الذي يرافقه أثناء الكتابة، ويخاطبه ويحاوّر ويسأله، ويتحدث عن تأثره وانفعاله بما يقرأ، ويأمره ويرشده ويذكره ويعتبره، ويراعي ذوقه وميوله. والمتلقي الخبير الناقد، الذي يتصف بالوعي والفطنة، والتأمل والقدرة على أعمال العقل في الموازنات والتمييز بين الأشياء، واستحضار المختزن من المعرفة.

وقول الشاعر "لما التقينا غدوة" يشعرك بما هو آت من ودّ يصحب لحظة اللقاء، فيأتي السباب والقذف، وهذا غير مألوف وفيه من الغرابة ما يستدعي التأمل. ويدعو عبد الله الطيب المتلقي للتأمل في التضمين وما به من تشويق يجذب القارئ، يقول⁽⁹⁶⁾: "تأمل التضمين هنا فإنه مما يحسنه أن فيه عنصر التشويق"، وهنا يرشد عبد الله الطيب القارئ إلى أثر التضمين في القراء، وانتظار القارئ وترقبه من علامات التشويق، ومن الصفات التي عني بها عبد الله الطيب، فالسامع عنده ينتظر هذه الأنباء "الحق أبلج والسيوف عواري، فالسامع ينتظر ما بعد هذا التهويل المجل من تفصيل"⁽⁹⁷⁾، وعنصر التشويق فيها أنها مجملة وعامة، تحتاج إلى تفصيل يترقبه السامع أو القارئ ويزيد من تشوقه. وعندما يذكر عبد الله رفيقه القارئ بدلالات، استنتجها يحتاج إلى تأمل، وفي بيتي امرئ القيس⁽⁹⁸⁾ يقول⁽⁹⁹⁾: "تأمل قوله "كميت" بعد ذكره "السيل"، وقد تعلم حديثه عن نشوة الطير بعد مجيء الغيث"، وهنا يلفت انتباه القارئ إلى الظاهرة الطبيعية المتمثلة في حالة الانتشاء، التي تظهر على الطير عند مجيء الغيث.

وعبد الله الطيب ناقد خبير، ومبدع يتأمل النص ويتفاعل معه، فيتأثر به ويؤثر فيه، ويعمل على إعادة إنتاجه من جديد، ويتضح ذلك في رده على الذين أعابوا على أحمد شوقي استخدامه عبارة (أم المحسنين) في إحدى قصائده⁽¹⁰⁰⁾ يقول⁽¹⁰¹⁾: "وما قرأت مطلع هذه القصيدة وتأمّلت فيه، إلا تأكد عندي أن شوقياً إنما كان يتغزل في الأميرة، ولم يكن مقلداً فحسب، ورجعياً أعمى في رجعيته". وهنا نلاحظ أن عبد الله الطيب عندما يرد على منتقديه أو ينتقد غيره، أو عندما يسعى لتمكين ما تفرّد به عن غيره من رأي أو فكر، يكثر من الشواهد الداعمة لحجته وتفرّده، فلا يترك شاردة أو واردة، أي يأتيهم بما لا قبل لهم به، فهو الموسوعة التي لا يتقدم عليها قليلو الخبرة وضيئلو المعرفة ومحدودو الاطلاع.

ومما يؤكد ما ذهبنا إليه أن المتلقي الذي يقصده عبد الله الطيب هو المتلقي الناقد، أنه أرسل كتابه "المرشد" إلى طه حسين، وطه حسين معروف ومشهور في مجال الأدب والنقد وغيرهما، وقد وصف طه حسين الكتاب ونوّه به، وبين أهميته وموقعه، وأفاض في تأثيره في نفس المتلقي وقال في تقديمه لكتاب "المرشد"⁽¹⁰²⁾ وأنا سعيد بتقديم كتابه هذا إلى القراء؛ لأني أقدم إليهم طرفة أدبية نادرة حقاً، لمن يتقصّى الإعجاب بها،... ولكنها ستترك في نفوس الذين سيقرونها آثاراً باقية".

ويتكلم طه حسين عن تفاعل المتلقي الناقد مع النص قائلاً⁽¹⁰³⁾: "والمؤلف لا يكتب بهذا، ولكنه يدخل بينك وبين ما تقرأ من الشعر، دخول الأديب الناقد، الذي يحكم ذوقه الخاص، فيرضيك غالباً، ويغيظك أحياناً، ويثير في نفسك الشك أحياناً أخرى، وهو كذلك يملك عليك أمرك كله، منذ تأخذ في قراءة الكتاب، إلى أن تفرغ من هذه القراءة، فأنت منتبه لما تقرأ تنبهاً لا يعرض له الفتور، في أي لحظة من لحظات القراءة. وحسبك بهذا تفوقاً وإتقاناً"، ويكمل طه حسين⁽¹⁰⁴⁾: "وليس الكتاب هيئاً يُقرأ في أيسر الجهد، ويستعان به على قطع الوقت، ولكنه شديد الأسر، متين اللفظ، رصين الأسلوب، خصب الموضوع، قيم المعاني، يحتاج إلى أن تنفق فيه خير ما تملك من جهد ووقت وعناية، لتبلغ الغاية من الاستمتاع به"، ووصف القراء الذين يطلعون عليه بأنهم "يأخذون الأدب على أنه جد، حلو

4. إن عبد الله الطيب ينظر إلى عملية الإبداع وجمالية التلقي نظرة تكاملية تجمع ما بين عناصرهما: المؤلف، والنص، والمتلقي في العمل الأدبي، فلا يُوجد نزوع سياقي تقليدي، أو سلطة مطلقة للمتلقي في التأويل.
5. ومن خلال ما أُطلعتُ عليه من مصادر ومراجع عنيت بالمتلقي، أثناء دراستي هذه، فقد اتَّضح لي أن هناك العديد من القضايا والموضوعات تستحق أن تكون موضع بحث ودراسة، فمنها:
6. الأنا والآخِر عند عبد الله الطيب في كتابه "المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها".
7. التَّنَاصُّ عند عبد الله الطيب في كتابه "المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها".
- ### الهوامش:
1. محمد عبد الناصر حسن (2002م)، نظرية التلقي بين ياوس وإيزر، ط دار النهضة العربية، القاهرة، مصر، ص3.
2. أبو أحمد حامد (2002م)، الخطاب والقارئ، نظريات التلقي وتحليل الخطاب وما بعد الحداثة، كتاب الرياض، ع30، الرياض، المملكة العربية السعودية، ص76.
3. عبد الواحد محمود عباس (1996م)، قراءة النص وجماليات التلقي بين المذاهب الغربية الحديثة وتراثنا النقدي، ط1 دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ص15.
4. أبو حسن أحمد (1993م)، نظرية التلقي والنقد الأدبي العربي الحديث، مقال ضمن "نظرية التلقي - إشكالات و تطبيقات"، ط كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، المغرب، ص25، 26.
5. إبراهيم نبيلة (1984م)، القارئ في النص: نظرية التأثير والاتصال، مجلة فصول المصرية، مج5، ع1، ط، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ص101.
6. القعود عبد الرحمن (1997م)، في الإبداع والتلقي - الشعر بخاصة، مجلة عالم الفكر، مج2، ع4، الكويت، ص182.
7. محمد عبد الناصر حسن (2002م)، نظرية التلقي بين ياوس وإيزر، ص2.
8. إيزر فولغانغ (1995م)، فعل القراءة، نظرية جمالية التجارب في الأدب، ترجمة: حميد لحداني والجلالي الكدية، ط مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ص(24 - 30).
9. مباركية عبد الناصر (2005)، إستراتيجية القارئ في البنية النصية - الرواية نموذجاً، (أطروحة دكتوراه - جامعة قسنطينة)، الجزائر، ص32.
10. بلخماسة كريمة (د.ت)، إشكالية التلقي في أعمال كاتب ياسين، (رسالة دكتوراه)، جامعة مولود معمري تيزي وزو، كلية الآداب، الجزائر، ص(12 - 13).
11. حمودة عبد العزيز (2003م)، الخروج من التيه (دراسة في سلطة النص)، ط مطابع السياسة، سلسلة عالم المعرفة، الصفاة، الكويت، ص120.
12. الصالح بشرى موسى (2001م)، نظرية التلقي (أصول وتطبيقات)، ط1 المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ص59.
13. الأصفهاني. أبو الفرج علي بن الحسين (1935م)، كتاب الأغاني، ج8، ط1،
- دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، ص194، 195.
14. صقر السيد أحمد (1935م)، شرح ديوان علقمة الفحل، ط1 المطبعة المحمودية، القاهرة، مصر، ص3.
15. امرؤ القيس. جُنْدُج بن حُجْر (2004م)، الديوان، ط2 دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص35.
16. الأصفهاني. أبو الفرج علي بن الحسين (1935م)، كتاب الأغاني، ج8، ص194، 195.
17. الأعشى الكبير. ميمون بن قيس (د.ت)، الديوان، ط المطبعة النموذجية، القاهرة، مصر، ص2.
18. الأنصاري. حسان بن ثابت (1994م)، الديوان، ط2 دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص219.
19. الخنساء. تماضر بنت عمرو بن الحارث (2004م)، الديوان، ط2 دار المعرفة، بيروت، لبنان، ص45.
20. ابن قتيبة. أبو محمد عبد الله بن مسلم (1983م)، الشعر والشعراء، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ج1، ط دار المعارف، القاهرة، مصر، ص344.
21. النابغة الذبياني. زياد بن معاوية بن ضباب (1996م)، الديوان، ط3 دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص56.
22. المازني. كعب بن زهير (1997م)، الديوان، طدار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص60.
23. القيرواني. أبو علي الحسن بن رشيق (1981م)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ج1، ط5 دار الجيل، بيروت، لبنان، ص23، 24.
24. النابغة الجعدي. عبد الله بن قيس بن جعدة (1998م)، الديوان، تحقيق: واضح الصمد، ط1 دار صادر، بيروت، لبنان، ص71.
25. القيرواني. أبو علي الحسن ابن رشيق (1981م)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ج1، ص53.
26. الأزدي. علي بن ظافر (2007م)، بدائع البدائه، ط1 دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص16. (لم أجد هذا البيت في ديوان الفرزدق).
27. الأخطل. غياث بن غوث بن طارقة (1994م)، الديوان، ط2 دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص19.
28. الخطفي. جرير بن عطية (1986م)، الديوان، ط دار بيروت، بيروت، لبنان، ص14. ونسب هذا البيت إلى الأخطل، وورد في ديوانه، ص19. بهذه الرواية:
29. أنا الموت الذي حُدَّتْ عنه فليس لهارب منه نجاه
30. الأزدي. علي بن ظافر (2007م)، بدائع البدائه، ص16.
31. الجاحظ. أبو عثمان عمرو بن بحر (1998م)، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ج1، ط7 مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ص11.
32. المرجع السابق، ج1، ص203.
33. ابن قتيبة. أبو محمد عبد الله بن مسلم (1983م)، الشعر والشعراء، ج1، ص75.
34. ابن طباطبا. محمد أحمد العلوي (2005م)، عيار الشعر، تحقيق: عباس عبد الساتر، ج1، ط دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص22.

35. المرجع السابق، ج1، ص20.
36. الرماني. أبو الحسن علي بن عيسى(1976م)، والخطابي. أبو سليمان حَمْدُ بن محمد، والجرجاني. أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن،
37. تحقيق: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، ط3 دار المعارف، القاهرة، مصر، ص 107.
38. أبو الفتوح. عثمان بن جني(1955م)، الخصائص(مقدمة محمد علي النجار)، ج1، ط1 عالم الكتب. بيروت، لبنان. ص21.
39. الجرجاني. أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن(1984م)، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود محمد شاكر، ط مطبعة الخانجي، القاهرة، مصر، ص34.
40. القرطاجني. أبو الحسن حازم ابن محمد الأنصاري(1986م)، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، ط دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ص310.
41. المرجع السابق، ص 118.
42. الطيب. عبد الله(2004م)، مع عبد الله الطيب، ط3 دار الأصالة، الخرطوم، السودان، (الغلاف الخارجي للكتاب).
43. المصدر السابق، (الغلاف الخارجي للكتاب).
44. الطيب. عبد الله / ar.wikipedia.org/wiki
45. المصدر السابق / ar.wikipedia.org/wiki
46. الطيب. عبد الله(1989م)، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، ج2، ط3 مطبعة حكومة الكويت، الكويت، ص11.
47. المرجع السابق، ص24.
48. المرجع نفسه، ص387.
49. نفسه، ص12.
50. نفسه، ص11.
51. الطيب. عبد الله(1992م)، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، ج4، ط2 مطبعة جامعة الخرطوم، السودان، ص66.
52. المرجع السابق، ص34.
53. المرجع نفسه، ص207.
54. نفسه، ص235.
55. الطيب. عبد الله(1992م)، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، ج4، ص581.
56. الطيب. عبد الله(1989م)، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، ج1، ط3 حكومة الكويت، الكويت، ص543.
57. الطيب. عبد الله(1992م)، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، ج4، ص270.
58. المرجع السابق، ص666.
59. الطيب. عبد الله(1970م)، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، ج3، ط1 دار الفكر، بيروت، لبنان، ص238.
60. المرجع السابق، ص254.
61. المرجع نفسه، ص275.
62. نفسه، ص779.
63. الطيب. عبد الله(1992م)، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، ج4، ص6.
64. المرجع السابق، ص307.
65. المرجع نفسه، ص67.
66. الطيب. عبد الله(1989م)، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، ج2، ص41، 42.
67. الطيب. عبد الله(1992م)، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، ج4، ص217.
68. امرؤ القيس. جندج بن حجر، الديوان، ص121.
69. المصدر السابق، ص119.
70. الطيب. عبد الله(1992م)، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، ج4، ص31.
71. المرجع السابق(1989م)، ج1، ط3 الكويت، ص19، ص33، ص18 وما بعدها.
72. المرجع نفسه، ص93 وما بعدها.
73. نفسه، ص114.
74. الطيب. عبد الله (1970م)، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، ج3، ص266.
75. الطيب. عبد الله(1992م)، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، ج4، ص214.
76. البيت هو: كَأَنَّ أَبَانَا فِي أَفَانَيْنِ وَدَقَّةٍ كَبِيرُ أَنْاسٍ فِي بَجَادٍ مَزْمَلٍ
77. راجع ، امرؤ القيس، جندج بن حجر، الديوان، ص122.
78. الطيب. عبد الله(1992م)، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، ج4، ص323.
79. "المرجل" و"المكلل" وردتا في بيتي الشاعر: خَرَجْتُ بِهَا أَمْشِي تَجْرُ وَرَاءَنَا عَلَى أَثْرَيْنَا ذَيْلَ مِرْطٍ مَرْجَلٍ
80. أَصَاحَ تَرَى بَرْقًا أَرِيكَ وَمِيضَهُ كَلَمْعِ الْيَدَيْنِ فِي حَبِي مُكَلَّلٍ
81. راجع: امرؤ القيس. جندج بن حجر، الديوان، ص114، 121.
82. الطيب. عبد الله(1992م)، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، ج4، ص234.
83. الهذليون. الشعراء، ديوان الهذليين، تحقيق: أحمد الزين ومحمود أبو الوفا، القسم الثاني، ط دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، ص15.
84. الطيب. عبد الله(1989م)، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، ج1، ص75.
85. المرجع السابق، ص303.
86. المرجع نفسه، ص170.
87. نفسه، ص207.
88. نفسه، ص222.
89. تأبط شراً. ثابت بن جابر الفهمي(1984م)، الديوان، تحقيق: علي ذو

المصادر والمراجع:

أولاً- المراجع العربية:

1. إبراهيم. نبيلة(1984م)، القارئ في النص: نظرية التأثير والاتصال، مجلة فصول المصرية، مج5، ع1، ط، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة.
2. ابن طباطبا. محمد أحمد العلوي(2005م)، عيار الشعر، تحقيق: عباس عبد الساتر، ج1، ط دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
3. ابن قتيبة. أبو محمد عبد الله بن مسلم(1983م)، الشعر والشعراء، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ج1، ط دار المعارف، القاهرة، مصر.
4. أبو أحمد. حامد(2002م)، الخطاب والقارئ، نظريات التلقي وتحليل الخطاب وما بعد الحداثة، كتاب الرياض، ع30، الرياض، المملكة العربية السعودية.
5. أبو حسن. أحمد(1993م)، نظرية التلقي والنقد الأدبي العربي الحديث، مقال ضمن "نظرية التلقي - إشكالات وتطبيق"، ط كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، المغرب.
6. أبو الفتح. عثمان بن جني(1955م)، الخصائص(مقدمة محمد علي النجار)، ج1، ط1 عالم الكتب. بيروت، لبنان.
7. الأخطل. غياث بن غوث بن طارقة(1994م)، الديوان، ط2 دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
8. الأزدي. علي بن ظافر (2007م)، بدائع البدائه، ط1 دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
9. الأصفهاني. أبو الفرج علي بن الحسين(1935م)، كتاب الأغاني، ج8، ط1، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر.
10. الأعشى الكبير. ميمون بن قيس(د. ت)، الديوان، ط المطبعة النموذجية، القاهرة، مصر.
11. امرؤ القيس. جندج بن حُجر(2004م)، الديوان، ط2 دار المعرفة، بيروت، لبنان.
12. الأنصاري. حسان بن ثابت(1994م)، الديوان، ط2 دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
13. إيزر. فولفغانغ(1995م)، فعل القراءة، نظرية جمالية التجاوب في الأدب، ترجمة: حميد لحداني والجلالي الكدية، ط مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب.
14. بلخامة. كريمة(د. ت)، إشكالية التلقي في أعمال كاتب ياسين، (رسالة دكتوراه)، جامعة مولود معمري تيزي وزو، كلية الآداب، الجزائر.
15. تأبط شراً. ثابت بن جابر الفهمي(1984م)، الديوان، تحقيق: علي ذو الفقار شاكر، ط1 دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.
16. الجاحظ. أبو عثمان عمرو بن بحر(1998م)، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ج1، ط7 مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر.
17. الجرجاني. أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن(1984م)، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود محمد شاكر، ط مطبعة الخانجي، القاهرة، مصر.
18. حمودة. عبد العزيز(2003م)، الخروج من التيه (دراسة في سلطة النص)، ط مطابع السياسة، سلسلة عالم المعرفة، الصفاة، الكويت.
- الفقار شاكر، ط1 دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ص278.
90. الطيب. عبد الله(1989م)، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، ج2، ص14.
91. المرجع السابق، ص124.
92. الطيب. عبد الله(1992م)، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، ج4، ص108.
93. الطيب. عبد الله(1992م)، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، ج4، ص110.
94. المرجع السابق، ص220.
95. الخطفي. جريز بن عطية(1986م)، الديوان، ص384.
96. الطيب. عبد الله(1992م)، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، ج4، ص224.
97. امرؤ القيس. جندج بن حُجر(2004م)، الديوان، ص115.
98. الطيب. عبد الله(1992م)، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، ج4، ص233.
99. المرجع السابق، ص627.
100. النيميري. جران العود(1931م)، الديوان، ط دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، ص7.
101. الطيب. عبد الله(1992م)، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، ج4، ص800.
102. المرجع السابق، ص806.
103. البيتان هما: مَكْرٌ مَقْرٌ مُقْبِلٌ مُدْبِرٌ مَعَا كَجَلْمُودٍ صَخْرٍ حَطَهُ السَّيْلُ مِنْ عِلِّ كُمَيْتٍ يَزِلُّ اللَّبْدُ عَنْ حَالٍ مَتْنِهِ كَمَا زَلَّتِ الصَّفْوَاءُ بِالْمَتَنَزَّلِ
104. راجع: امرؤ القيس. جندج بن حجر، الديوان، ص119.
105. الطيب. عبد الله(1992م)، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، ج4، ص241.
106. القصيدة عنوانها "أم المحسنين"، والبيت الذي وردت فيه عبارة "أم المحسنين" هو:
107. اخْلَعِي الْأَلْقَابَ إِلَّا لِقَبًا عَبْرِيًّا هُوَ "أُمُّ الْمُحْسِنِينَ"
108. راجع: شوقي. أحمد(1988م)، الشوقيات، الجزء الثالث في المراثي، ط دار العودة بيروت، لبنان، ص163، 164.
109. الطيب. عبد الله(1989م)، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، ج1، ص168.
110. الطيب. عبد الله(1989م)، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، ج1، ص8.
111. المرجع السابق، ص9.
112. المرجع نفسه، ص9.
113. نفسه، ص10.

- القاهرة، مصر.
39. الهذليون. الشعراء، ديوان الهذليين، تحقيق: أحمد الزين ومحمود أبو الوفا، القسم الثاني، ط دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر.
- ثانياً الشبكة العنكبوتية:**
1. الطيب. عبد الله / ar.wikipedia.org/wiki
19. الخطفي. جرير بن عطية(1986م)، الديوان، ط دار بيروت، بيروت، لبنان.
20. الخنساء. تماضر بنت عمرو بن الحارث(2004م)، الديوان، ط 2 دار المعرفة، بيروت، لبنان.
21. الرماني. أبو الحسن علي بن عيسى(1976م)، والخطابي. أبو سليمان حمّد بن محمد، والجرجاني. أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، ط 3 دار المعارف، القاهرة، مصر.
22. شوقي. أحمد(1988م)، الشوقيات، الجزء الثالث في المراثي، ط دار العودة بيروت، لبنان.
23. الصالح. بشرى موسى(2001م)، نظرية التلقي(أصول وتطبيقات)، ط 1 المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان.
24. صقر. السيد أحمد(1935م)، شرح ديوان علقمة الفحل، ط 1 المطبعة المحمودية، القاهرة، مصر.
25. الطيب. عبد الله(1989م)، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، ج 1، ج 2، ط 3 مطبعة حكومة الكويت، الكويت.
26. (1970م)، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، ج 3، ط 1 دار الفكر، بيروت، لبنان.
27. (1992م)، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، ج 4، ط 2 مطبعة جامعة الخرطوم، السودان.
28. (2004م)، مع عبد الله الطيب، ط 3 دار الأصالة الخرطوم، السودان.
29. عبد الواحد. محمود عباس(1996م)، قراءة النص وجماليات التلقي بين المذاهب الغربية الحديثة وتراثنا النقدي، ط 1 دار الفكر العربي، القاهرة، مصر.
30. القرطاجني. أبو الحسن حازم ابن محمد الأنصاري(1986م)، منهاج البلغاء وسراج الأدياء، تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، ط دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.
31. القعود. عبد الرحمن(1997م)، في الإبداع والتلقي - الشعر بخاصة، مجلة عالم الفكر، مج 2، ع 4، الكويت.
32. القيرواني. أبو علي الحسن بن رشيق(1981م)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ج 1، ط 5 دار الجبل، بيروت، لبنان.
33. المازني. كعب بن زهير(1997م)، الديوان، ط دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
34. مباركية. عبد الناصر(2005)، إستراتيجية القارئ في البنية النصية - الرواية نموذجاً، (أطروحة دكتوراه - جامعة قسنطينة)، الجزائر.
35. محمد. عبد الناصر حسن (2002م)، نظرية التلقي بين ياوس وإيزر، ط دار النهضة العربية، القاهرة.
36. النابغة الجعدي. عبد الله بن قيس بن جعدة(1998م)، الديوان، تحقيق: واضح الصمد، ط 1 دار صادر، بيروت، لبنان.
37. النابغة الذبياني. زياد بن معاوية بن ضباب(1996م)، الديوان، ط 3 دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
38. النميري. جران العود(1931م)، الديوان، ط دار الكتب المصرية،

أثر السيولة في الاقتصاد الجزائري دراسة قياسية لدولة الجزائر *

أ. بن نافلة نصيرة **

أ. د. بن بوزيان محمد ***

* تاريخ التسليم: 2015/3/10م، تاريخ القبول: 2015/7/11م.
** أستاذ مساعد (ب) / جامعة الجيلالي الياقوت / الجزائر.
*** أستاذ دكتور / جامعة أبو بكر بلقايد / الجزائر.

cointegration between the variables, and show that there is a dynamic relationship between interest rates in the short term and explanatory variables. And that the reference was compatible with what has been imposed in the estimation of the model under consideration, and this is supported by economic theory. Since the liquidity effect represented in each of M1 and M2 money supply. And also the quality of the relationship between the dependent variable and the rest of independent variables, which explained that the inverse relationship to interest rates. And so we can say that there is the impact of liquidity and are not neutral

Key Words: *the effect of liquidity. Neutrality of money. money supply. interest rate. Vevtor autorégressive model. Alegria.*

مقدمة:

رغم اختلاف المدارس الاقتصادية بشأن دور النقود وآثارها، ما بين مدرسة تهمش دورها وتقلل من آثارها في مجريات الحياة الاقتصادية وأخرى ترى لها دورا لكن في حدود معينة وثالثة تعطي لها أعظم الأدوار وترى أن تغيراتها هي صاحبة الدور الأكبر في التأثير على المتغيرات الاقتصادية الأخرى.

رغم هذا الاختلاف تمثل النقود في تطورها ودورها وآثارها إحدى أهم الظواهر الاقتصادية.

إن يلعب تغير عرض النقود في البلد عن طريق السياسة النقدية دورا مهما في توجيه مسار الاقتصاد، فزيادة عرض النقود في الاقتصاد قد تؤدي إلى تحفيز القوة الشرائية وزيادة معدلات الاستثمار، ولكن الزيادة الكبيرة في عرض النقود بغير تخطيط ودراسة مسبقة لنتائجها يمكن أن تؤدي إلى نتائج عكسية تماما. وقد تنتهي تلك الزيادة في عرض النقود إلى زيادة كبيرة في الأسعار فقط.

يؤدي خفض عرض النقود بطريقة خاطئة أيضا إلى نتائج سلبية، التي يمكن أن يؤدي إلى ظهور حالة من الركود والتي يمكن أن تتحول إلى كساد عام.

ولهذا نجد أن السلطة النقدية في أي دولة من دول العالم تلعب دورا رئيسيا في الاستقرار النقدي والمالي اللازم لنمو الاقتصاد.

وهناك طرق كثيرة لدراسة دور النقد في الاقتصاد ولعل إحدى الحقائق المهمة للتحليل النقدي هي العلاقة بين سعر الفائدة والعرض النقدي والمتمثل في أثر السيولة والتي تعتبر جوهر دراستنا.

إشكالية البحث:

هل نمو المعروض النقدي يؤدي إلى خفض معدل الفائدة وبالتالي إلى أثر للسيولة على الاقتصاد الوطني؟

أولا: نظريات الطلب على النقود

يرتبط موضوع الطلب على النقود بصلب النظرية النقدية

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى دراسة أثر السيولة باستخدام المتغيرات الاقتصادية التالية العرض النقدي M1 و M2، معدل الفائدة المؤشر العام لأسعار المستهلك، والودائع. اعتمادا على بيانات شهرية لدولة الجزائر من ديسمبر 2001 إلى ديسمبر 2014. ولمعرفة أثر نمو العرض النقدي في معدل الفائدة قياسيا جرى استخدام نموذج الانحدار الذاتي. إذ توضح النتائج الإحصائية التي توصلنا إليها باستخدام برنامج EViews 6 أن المتغيرات المعتمدة عليها ليست مستقرة من الدرجة الصفر في حين تصبح هذه المتغيرات مستقرة عند الفرق الأول، يعني أنها متكاملة من الدرجة الأولى وذلك باستخدام اختبار ADF و PP، أعقب ذلك إخضاع المتغيرات لاختبار التكامل المشترك بطريقة أنجل جرانجر ثم اختبار استقرارية البواقي، تبين من ذلك أنها غير مستقرة أي عدم خلو البواقي من الجذور الوحدة وللتأكد من التكامل المشترك قمنا باختبار التكامل المشترك بطريقة جوهانسون، إذ تبين أنه لا يوجد تكامل مشترك بين المتغيرات. وتبين أنه يوجد علاقة ديناميكية قصيرة الأجل بين معدل الفائدة والمتغيرات التفسيرية. وأن الإشارة جاءت متوافقة مع ما فرض عندما جرى تقدير النموذج محل الدراسة وهذا ما تؤيده النظرية الاقتصادية، حيث تمثل أثر السيولة في كل من الكتلة النقدية M1 و M2. وأيضا نوعية العلاقة التي تربط بين المتغير التابع وبقية المتغيرات المستقلة وأوضحت أن العلاقة عكسية لسعر الفائدة. وبالتالي يمكن القول بأن للسيولة أثر على الاقتصاد وليست حيادية.

الكلمات المفتاحية: أثر السيولة، حيادية النقود، عرض النقود، معدل الفائدة، نموذج الانحدار الذاتي، الجزائر.

The impact of liquidity on the Algerian economy

Abstract:

The purpose of this study was to investigate the effect of liquidity in Algeria. Using the following economic variables: M1 and M2 money supply, interest rate, the general index of consumer prices, and deposits. According to the monthly data of the State of Algeria from December 2001 to December 2014. And to determine the impact of growth in money supply to interest rate model was used autoregressive record. When the statistical results show that we managed using EViews 6. As the dependent variables are not stable in the zero degree when it becomes stable when the variables is the first difference means they are part of the first class, using the ADF test and PP, and then subjecting the cointegration test variables so Angel Granger, and test the stability of residues and found that it is not stable any residual non-free unit root, and to ensure cointegration we tested for cointegration Johansson way. there is no

الشراء و بين الإنتاج والاستهلاك مما يجعل تحليلهم ساكنا أي بقاء العلاقات والظواهر الاقتصادية على حالها واستبعدوا لذلك عنصر التوقعات والميل نحو الاكتناز لدى الأفراد واستبعدوا كذلك فكرة أي دور للنقود كمخزن للقيم، مما يوحي أن كتاب القرن 19 اهتموا بعرض النقد دون الطلب عليه.

2. نظرية الطلب على النقود عند كينز:

ويرجع «كينز» دوافع الطلب على النقود (تفضيل السيولة) إلى ثلاثة أغراض:

الطلب على النقود لغرض المبادلات الطلب على النقود للاحتياط الطلب على النقود لغرض المضاربة، إذ إن النوع الأول والثاني يتحدا بمستوى الدخل أما النوع الثالث فيتحدد بسعر الفائدة، و من هنا يقدم «كينز» دالة للطلب على النقود تقرر أن الطلب على النقود يتغير طرديا مع الدخل و عكسيا مع سعر الفائدة إذ إن كينز يقصد «بتفضيل السيولة» تلك الدوافع التي تحمل الفرد (المشروع) على الاحتفاظ بالثروة في شكل سائل (نقود) ويعبر عنها بالدوافع النفسية للسيولة وهي أن رغبة الأعوان الاقتصادية في حيازة أرصدة نقدية يرجع إلى كون النقود بمثابة الأصل الأكثر سيولة، نظرا لأنها تمثل الأصل الوحيد الذي يمكن تحويله إلى أي أصل آخر دون المرور بفترة زمنية وبدون خسارة، أو الأصل الوحيد الذي لا يحتاج إلى إسالة.

يتضح من التحليل السابق أن هناك علاقة بين سعر الفائدة والطلب على النقود للاحتفاظ بها من أجل المضاربة وتذكر هذه العلاقة أنه بانخفاض سعر الفائدة يزداد الطلب على النقود

التي رافقتها التطور النابع من تطور الفكر الاقتصادي المعاصر بدءا بالفكر الكلاسيكي و مرورا بالفكر الكينزي والإضافات التي تلتها وانتهاء بمدرسة أو منهج شيكاغو الذي تزعمه الاقتصاد الأمريكي (ميلتون فريدمان)

حيث يمكن تعريف الطلب على النقود بأنه الاستعداد للحصول على الأرصدة المالية فإذا قام العون الاقتصادي باستعمال النقود فهو يقوم بالطلب على السلع والخدمات وأما إذا احتفظ بنقوده فإننا نتكلم عن الطلب على النقود.

فالأفراد لا يطلبون النقود لغرض استخدامها في التبادل فقط بل هناك طلبا عليها لذاتها، لأنها تمثل أصلا من الأصول التي تتصف بالسيولة الكاملة.

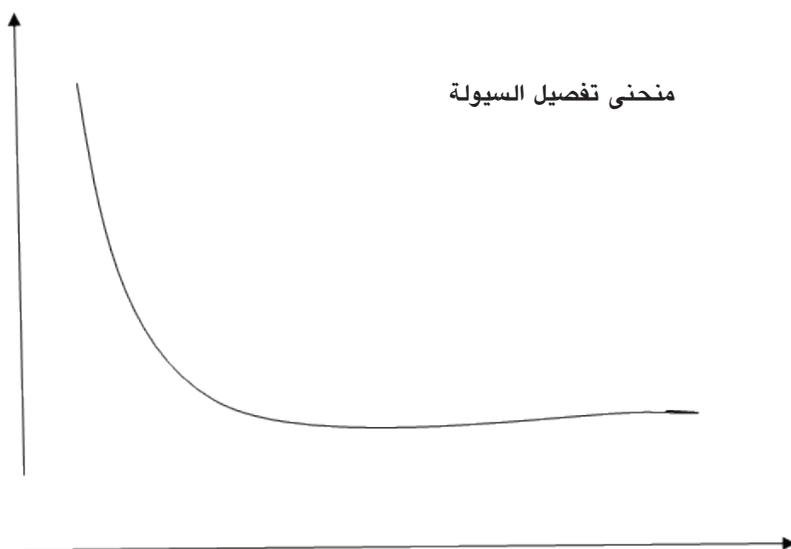
1. الطلب على النقود عند الكلاسيك:

يري الكلاسيك أن النقود لا تعد سوى وسيلة لنقل القيم المتبادلة بين الأفراد و قياس القيم الاقتصادية للسلع والخدمات وأن النقود لا تعدو أن تكون سوى ستار يخفي وراءه الظواهر الحقيقية.

و يرى علماء المدرسة الكلاسيكية أن النقود ليست لها منفعة خاصة بذاتها وإنما منفعتها مشتقة من منفعة السلع التي يمكن شراؤها بواسطة النقود كل ما يستلم من نقود يعاد إنفاقه فورا وعندما يزداد عرض الإنتاج في السوق يزداد في نفس الوقت الطلب عليه. لأن النقود لا تطلب لغرض الاكتناز وإنما لغرض شراء السلع.

إن الاحتفاظ بجزء من الدخل في شكل سيولة عمل غير عقلائي و يؤمن الكلاسيك بعدم وجود فاصل زمني بين عملية البيع و

سعر الفائدة



تحدث نتيجة الانفراد بتطبيق نظرية معينة مثلا الأزمة المالية الحالية.

ثانياً: آثار تغير العرض النقدي

يعتبر العرض النقدي من المتغيرات الاقتصادية الهامة التي يهتم واضع السياسة الاقتصادية بتتبع سلوكه ومعرفة العوامل المؤثر به وحجم هذا التأثير وطبيعته ودرجة استقراره، وتعود أهمية هذا المتغير إلى أثره المباشر على فاعلية السياسات الاقتصادية، فاستقرار العرض النقدي وإمكانية توقع التغيرات التي تطرأ عليه يمثل حجر الزاوية في عملية صياغة السياسة النقدية، كما أن حساسية هذا المتغير لسعر الفائدة سيؤثر على فاعلية السياسات الاقتصادية.

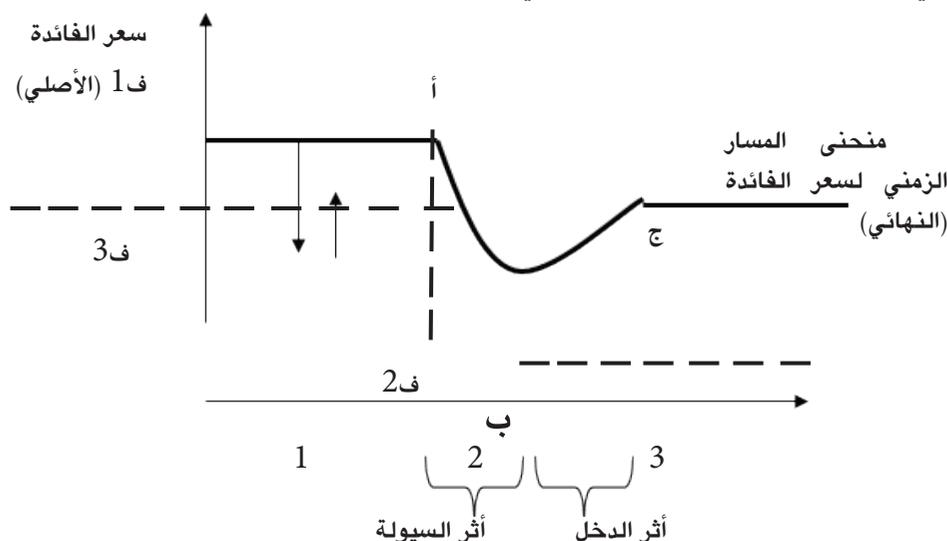
عند تحليل تغير سعر الفائدة نشير إلى أهم العوامل التي تسبب هذا التغير ولا سيما تغيرات الدخل وتغير المستوى العام للأسعار وتغيرات العرض النقدي ويسمى أثر التغير في العرض النقدي على سعر الفائدة أثر السيولة وهو أثر مباشر أما الآثار غير المباشر لتغيير العرض النقدي على سعر الفائدة تتمثل في آثار الدخل ومستوى الأسعار والتضخم المتوقع.

◀ والسؤال الذي يطرح هل يؤدي نمو العرض النقدي بمعدل مرتفع إلى انخفاض سعر الفائدة؟

للإجابة على هذا السؤال نضع الآثار الأربعة المترتبة على زيادة العرض النقدي.

فبالنسبة لأثر السيولة لزيادة العرض النقدي على سعر الفائدة السوقي، فهو أثر مباشر يعمل في الأجل القصير بمعنى أنه بمجرد زيادة العرض النقدي فإن سعر الفائدة السائد في السوق النقدي ينخفض بعد فترة قصيرة أما أثر الدخل وأثر مستوى الأسعار لزيادة العرض النقدي على سعر الفائدة فتأخذ وقتاً حتى يظهر أثرها على سعر الفائدة ومن ثم يمكن القول إن هذه الآثار هي آثار طويلة الأجل وفيما يلي عرض لبعض الاحتمالات لأثر زيادة العرض النقدي في سعر الفائدة السوقي من خلال تفاعل الأثر المباشر و الأثر غير المباشر.

◆ الاحتمال الأول: هو أن أثر السيولة (الأثر المباشر) يتغلب على الآثار الأخرى (أثر الدخل وأثر مستوى الأسعار وأثر التضخم المتوقع)، وفي هذه الحالة ينخفض سعر الفائدة، والشكل البياني التالي يوضح ذلك



وبارتفاع سعر الفائدة يقل الطلب على النقود، هذا ما يطلق عليه منحني تفضيل السيولة.

2. النظرية الكمية الحديثة :

إن تحليل "فريدمان" للطلب على النقود يتضمن أفكاراً جديدة نذكر منها ما يلي:

1. إن "فريدمان" وسع أشكال الثروة لتشمل الأصول المالية والنقدية والمادية والبشرية.

2. ولذلك فإن اختيار الأفراد لا ينحصر في المفاضلة بين النقود و السندات كأساليب للاحتفاظ بالثروة مثلما أكد عليه "كينز" وإنما الاختيار يشمل أصول جديدة مادية وبشرية، وهذا من شأنه أن يؤثر في الطلب على الأرصدة النقدية.

3. إن تكلفة الفرصة البديلة تؤثر على مستوى النقدية السائلة التي تحتفظ بها الوحدات الاقتصادية بمعنى أنه إذا زادت تكلفة الفرصة البديلة، أي إذا زادت العوائد التي تمنحها الأصول المالية والأوعية الادخارية المختلفة فإن الطلب على النقود (باعتبارها أصل نقدي) سوف ينخفض والعكس تماماً لو انخفضت أو انعدمت تكلفة الفرصة البديلة، إذ أن محدد تكلفة الفرصة البديلة هي: سعر الفائدة ومعدل العائد من الأصول المختلفة والمستوى العام للأسعار.

4. أعادت المدرسة النقدية طابع الفاعلية مرة أخرى إلى السياسة النقدية كما أنها همشت مرة أخرى خلافاً للتحليل الكينزي، من دور السياسة المالية واعتبره دوراً ثانوياً.

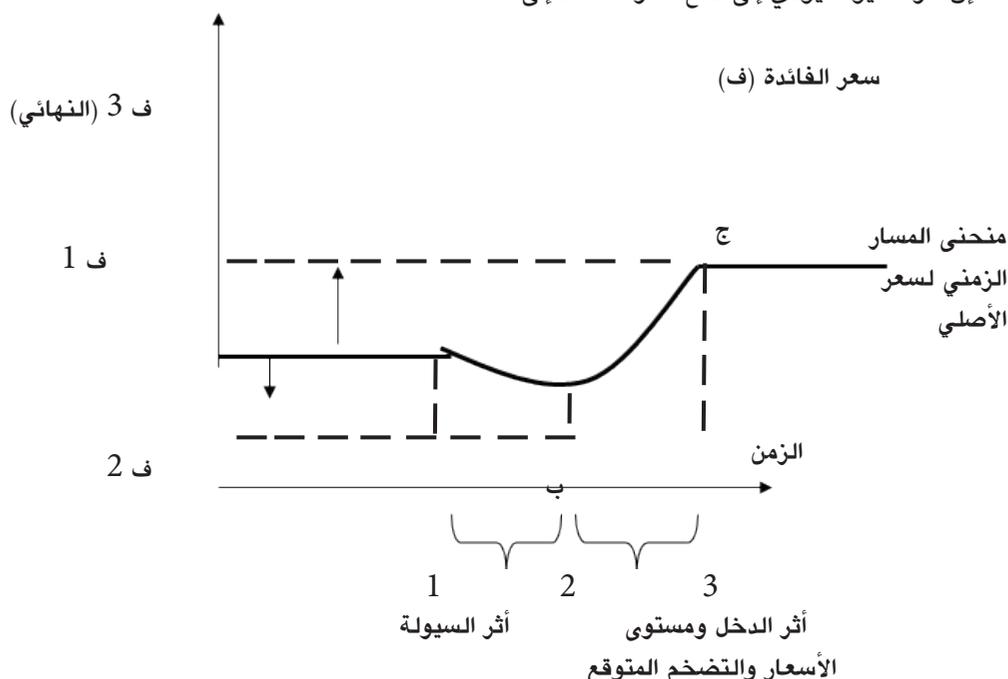
إن "فريدمان" لم يبحث عن دوافع الطلب على النقود بل كرس كل جهوده في البحث عن المتغيرات التي تحدده حيث يخضع الطلب على النقود وفقاً لـ "فريدمان" للمتغيرات التالية:

الدخل سعر السلعة وأسعار السلع الأخرى (المكملة والاحلالية) وأذواق و تفضيلات المستهلكين.

من خلال ما تقدم يمكننا القول إن النظريات النقدية حازت على اهتمام العديد من الاقتصاديين اللذين حاولوا تفسير مختلف المراحل التي يمر بها الاقتصاد مبررين ومحللين لقواعد وأسس نظرياتهم حيث لا يمكننا الجزم بأن أي نظرية لوحدها تكون صالحة لكل زمان ومكان بل هي متكاملة، والدليل على ذلك الأزمات التي

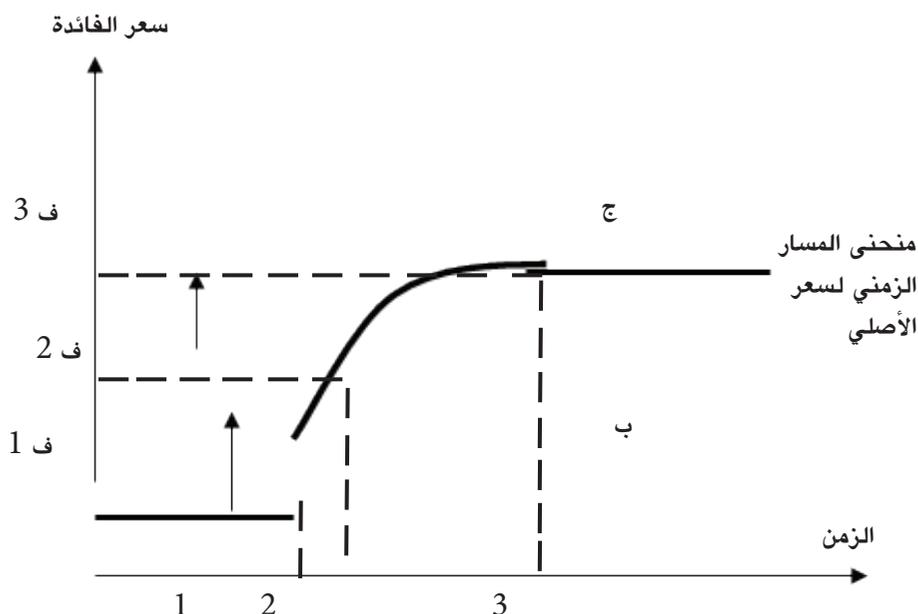
الانخفاض و بعد ذلك يبدأ أثر الدخل ومستوى الأسعار في رفع سعر الفائدة و طالما أن تلك الآثار أكبر من أثر السيولة فإن سعر الفائدة يرتفع في الأجل الطويل.

♦ الاحتمال الثاني : أن يكون أثر السيولة أقل من الآثار الأخرى ومن ثم يرتفع سعر الفائدة، و لكن أثر التضخم المتوقع يعمل ببطء لأن الأفراد يعدلون توقعاتهم بخصوص ارتفاع الأسعار ببطء و على هذا فإن أثر السيولة يؤدي إلى دفع سعر الفائدة إلى



ارتفاع الأسعار بسرعة، فيبدأ ارتفاع سعر الفائدة بمجرد أن يتم زيادة العرض النقدي.

♦ الاحتمال الثالث: أن يكون أثر السيولة أقل من أثر التضخم المتوقع الذي يعمل بسرعة لأن الأفراد يعدلون توقعاتهم بخصوص



بصورة عامة يقبل على الاحتفاظ بها بكميات كبيرة، و يقوم بإبدال أو بيع السندات المتوفرة لديهم.

وأخيرا يمكن أن نستنتج من كل ما سبق أن سعر الفائدة يمثل كلفة الاحتفاظ بالنقود ويرتبط بعلاقة عكسية ومباشرة مع عرض النقود.

وكذلك فإن زيادة العروض النقدي يدفع معدلات الفائدة نحو الانخفاض وزيادة الاستثمارات (نتيجة للعلاقة السالبة بين الاستثمارات ومعدل الفائدة) الأمر الذي يؤكد العلاقة العكسية بين عرض النقود وسعر الفائدة أي أثر السيولة.

إذ كلما قام البنك المركزي بإتباع سياسة نقدية توسعية (أي زيادة العرض النقدي) سوف يؤدي هذا إلى انخفاض سعر الفائدة لأنه في حالة ارتفاع كمية النقود المعروضة سوف تصبح كلفة الاحتفاظ بالنقود منخفضة. وهذا ما يجعل الأفراد أو المجتمع

الدراسة القياسية لأثر السيولة في الجزائر:

اختبار ADF يقوم على الفرضيتين التاليتين:

● الفرضية العدمية: $H_0: \Phi_j = 1$

● الفرضية البديلة: $H_1: |\Phi_j| < 1$

قبول الفرضية العدمية يعني وجود جذور وحيدة و عدم استقرار السلاسل الزمنية، وباستبدال طريقة المربعات الصغرى العادية لتقدير Φ_j في النماذج الثلاثة السابقة نحصل على $T\Phi_j$ أكبر من إحصائية Student الجدولية في كلا الاختبارين، فإننا نقبل الفرضية العدمية أي عدم استقرار السلسلة الزمنية:

اختبار ADF المبين في الجدول أدناه يوضح أن القيمة الجدولية لكل المتغيرات أكبر من القيم الحرجة عند مستوى 1 %، 5 %، 10 % وبالتالي نقبل الفرضية العدمية أي وجود جذور وحيدة وعدم استقرار السلاسل الزمنية

(الجدول رقم 1)

اختبار ADF للمتغيرات

المتغيرات	عدد التأخرات	القيم الحرجة لاختبار ADF		
		1 %	5 %	10 %
m1	2	-4.058619	-4.458326	-3.155161
m2	2	-4.058619	-3.458326	-3.155161
cpi	10	-4.068290	-3.462912	-3.157836
dep	3	-4.081666	-3.469235	-3.161518
f	0	-4.056461	-3.457301	-3.154562

المصدر من إعداد الطالبان باستعمال برنامج «EVIWES6».

(الجدول رقم 2)

اختبار philippes-perron للمتغيرات

المتغيرات	عدد التأخرات	القيم الحرجة لاختبار ADF		
		1 %	5 %	10 %
m1	4	-4.056461	-3.457301	-3.154562
m2	1	-4.056461	-3.457301	-3.154562
cpi	2	-4.056461	-3.457301	-3.154562
dep	8	-4.072415	-3.46486	-3.158974
f	2	-4.056461	-3.457301	-3.154562

من خلال الجدولين أعلاه نلاحظ أن قيم $T\Phi_j$

لكل المتغيرات أكبر من القيم الحرجة الجدولية عند مستوى 1 % و 5 % و 10 % في كلا الاختبارين وبالتالي نقبل الفرضية العدمية، أي وجود جذور وحيدة وبالتالي عدم استقرار هذه السلاسل الزمنية

نتنقل الآن إلى اختبار استقرار التفاضلات الأولى للمتغيرات

الهدف من هذه الدراسة القياسية هو اختبار تأثير السيولة في دولة الجزائر باستخدام نموذج شعاع الانحدار الذاتي VAR. إن مسألة كيف وعلى أي مدى يمكن أن تؤثر السياسة النقدية في الاقتصاد مسألة مهمة جدا، إذ إن الاقتصاديين واضعي السياسة يقبلون الافتراض القائل بأن على المدى القصير يمكن لتغيرات المعروض النقدي، إحداث تغيرات في أسعار الفائدة الاسمية وهذا ما يسمى بأثر السيولة كما تكمن أهمية استعمال نماذج VAR في تحليل الصدمة الذي يهدف إلى قياس أثر حدوث صدمة على المتغيرات؛ فإذا افترضنا النموذج التالي:

$$y_{2t} = \alpha_{2t} + \beta_{2t}y_{1t-1} + \phi_{2t}y_{2t-1} + e_{2t}$$

$$y_{1t} = \alpha_{1t} + \beta_{1t}y_{1t-1} + \phi_{1t}y_{2t-1} + e_{1t}$$

مثلا التغير في لحظة ما لـ e_t له آثار على y_{1t+1} ، y_{1t} ونرمز للمتغير Δy_{1t} في اللحظة t.

نشير هنا إلى أن فترة الدراسة ممتدة من الشهر 12 من سنة 2001 إلى الشهر 12 من سنة 2014، أما النتائج فقد توصلنا إليها باستخدام برنامج EViews 6

بعد الدراسة النظرية واعتمادا على الدراسات السابقة قمنا باختيار المتغيرات التالية: الكتلة النقدية M1 و M2 الودائع (DEP)، معدل الفائدة F، المؤشر العام لأسعار الاستهلاك CPI

المعطيات المستعملة هي معطيات صندوق النقد الدولي

IFS

إن استخدام نماذج VAR يتطلب السلاسل الزمنية مستقرة و لدراسة استقرارية السلاسل الزمنية نستخدم اختبار philippes-perron و Dickey Fuller Augmente (ADF) و perron للجذور الوحيدة (Unit Root)، هذا الاختبار يركز على تقدير ثلاثة نماذج الآتية:

$$\Delta X_t = \rho X_{t-1} - \sum_{j=2}^p \phi_j \Delta X_{t-j+1} + \varepsilon_t \dots \dots \dots (1)$$

$$\Delta X_t = \rho X_{t-1} - \sum_{j=2}^p \phi_j \Delta X_{t-j+1} + c + \varepsilon_t \dots \dots \dots (2)$$

$$\Delta X_t = \rho X_{t-1} - \sum_{j=2}^p \phi_j \Delta X_{t-j+1} + C + b_t + \varepsilon_t \dots \dots \dots (3)$$

P: عدد التأخرات وقد حددت في هذه الدراسة باستعمال

معامل Schwarz و Akaik

(1): نموذج الانحدار الذاتي من الدرجة الأولى

(2): نموذج الانحدار الذاتي بوجود ثابت

(3): نموذج الانحدار الذاتي مع وجود اتجاه عام

يتبين من الجدول أنه عند اختبار $r=0$ وجدنا أن λ trace أصغر من القيم الحرجة عند المستوى 5% وبالتالي نقبل الفرضية العدمية أي رتبة المصفوفة تساوي الصفر

وبالتالي لا يوجد علاقة تكامل مشترك بين المتغيرات و للقيام باختبار التكامل المتزامن لكل من Granger و Engle يمكن تقدير علاقة الانحدار الممثلة بالمعادلة التالية $F=f(M1, M2, DEP, CPI)$

والتي تظهر نتائجه في الجدول التالي:

(الجدول رقم 6)

اختبار التكامل المتزامن لـ Granger و Engle

Dependent Variable: F				
Method: Least Squares				
Included observations: 86				
	Coefficient	Std. Error	t-Statistic	Prob.
C	9.652989	1.509753	6.393755	0.0000
CPI	0.425735	0.466955	0.911727	0.3646
M1	-0.030919	0.192913	-0.160275	0.8731
M2	-0.359218	0.315381	-1.138998	0.2581
DEP	0.007107	0.007966	0.892149	0.3750
R-squared	0.611433	Mean dependent var		8.374041
Adjusted R-squared	0.592244	S.D. dependent var		0.131194
S.E. of regression	0.083775	Akaike info criterion		-2.064992
Sum squared resid	0.568473	Schwarz criterion		-1.922297
Log likelihood	93.79465	Hannan-Quinn criter		-2.007564
F-statistic	31.86453	Durbin-Watson stat		0.124371
Prob (F-statistic)	0.000000			

المصدر: من إعداد الطالبان باستعمال برنامج EVIWES6.

انطلاقا من الجدول أعلاه يتضح أن جميع المتغيرات ترتبط إيجابيا مع معدل الفائدة ما عدى الكتلة النقدية M1 و M2. للذان يرتبطان سلبيا مع معدل الفائدة وهذا ما تبينه النظرية الاقتصادية.

حسب المعادلة التالية:

$$F=9.6529+0.425735cpi-0.030919m1-0.359218m2+0.007107dep$$

(الجدول رقم 3)

إختبار ADF للتفاضلات الأولى للمتغيرات

المتغيرات	عدد التأخرات	القيم الحرجة			TΦj ADF
		10 %	5 %	1 %	
m1	8	-3.157475	-3.46229	-4.06698	-2.355162
m2	7	-3.157121	-3.46168	-4.06570	-2.412027
cpi	0	-3.154859	-3.45780	-4.05752	-9.745420
dep	0	-3.159780	-3.46624	-4.07534	-9.115238
f	0	-3.154859	-3.45780	-4.05752	-10.63527

المصدر: من إعداد الطالبان باستعمال برنامج "EVIWES6".

(الجدول رقم 4)

إختبار phillipes-perron للتفاضلات الأولى للمتغيرات

المتغيرات	عدد التأخرات	القيم الحرجة			TΦj ADF
		10 %	5 %	1 %	
m1	2	-3.154859	-3.45780	-4.05752	-10.28353
m2	5	-3.154859	-3.45780	-4.05755	-10.9338
cpi	7	-3.154859	-3.45780	-4.05752	-10.18236
dep	47	-3.159780	-3.46624	-4.07534	-15.70431
f	3	-3.154859	-3.45780	-4.05752	-10.68913

المصدر: من إعداد الطالبان باستعمال برنامج EVIWES6

من الجدولين أعلاه نلاحظ أن قيم $T\Phi_j$ أصغر من القيم الحرجة في كلا الاختبارين باستثناء M1 و M2 نجدها غير مستقرة في اختبار ADF و لكن في اختبار PP فهي مستقرة في الفروق الأولى عند جميع مستويات المعنوية.

ومنه نستنتج أن جميع المتغيرات متكاملة من الدرجة الأولى.

إختبار التكامل المتزامن:

بما أن هذه المتغيرات متكاملة، من نفس الدرجة، (I_1) فإنه يمكن اختبار وجود علاقة ما بين المتغيرات في المدى الطويل من خلال إجراء اختبار التكامل المتزامن لـ Johansen الذي تظهر نتائجه على نحو ما يوضحه الجدول الآتي:

(الجدول رقم 5)

إختبار التكامل المتزامن لـ Johansen لدولة الجزائر

رتبة المصفوفة	λ trace	5%
$r=0$	69.063	69.818

المصدر: من إعداد الطالبان باستعمال برنامج "EVIWES6".

Pairwise Granger Causality Tests			
Lags: 2			
DF does not Granger Cause DCPI		1.84090	0.1647
DM1 does not Granger Cause DF	94	0.20813	0.8125
DF does not Granger Cause DM1		1.49606	0.2296
DM2 does not Granger Cause DF	94	1.27828	0.2836
DF does not Granger Cause DM2		0.11571	0.8909
DDEP does not Granger Cause DF	94	0.23077	0.7944
DF does not Granger Cause DDEP		0.82841	0.4401
DM1 does not Granger Cause DCPI	94	0.16295	0.8499
DCPI does not Granger Cause DM1		2.57791	0.0816
DM2 does not Granger Cause DCPI	94	0.46874	0.6273
DCPI does not Granger Cause DM2		1.89922	0.1557
DDEP does not Granger Cause DCPI	94	1.15016	0.3212
DCPI does not Granger Cause DDEP		0.68067	0.5089
DM2 does not Granger Cause DM1	94	1.10524	0.3356
DM1 does not Granger Cause DM2		0.79836	0.4533
DDEP does not Granger Cause DM1	94	0.58242	0.5607
DM1 does not Granger Cause DDEP		0.26280	0.7695
DDEP does not Granger Cause DM2	94	0.25589	0.7748
DM2 does not Granger Cause DDEP		0.10920	0.8967

من الجدول أعلاه يتضح أن إحصائية فيشر المحسوبة F^* في الفرضيات العدمية أصغر من إحصائية فيشر الجدولية F عند مستوى معنوية 5% وعليه سنقبل هذه الفرضيات العدمية أي عدم وجود علاقة سببية بين التفاضلات للمتغيرات

في حين تظهر سلسلة حد الخطأ العشوائي لعلاقة الانحدار المقدر غير مستقرة عند المستوى حسب ما يظهره الجدول التالي لأن قيمة $T\Phi$ لسلسلة البواقي أكبر من القيم الحرجة الجدولية وبالتالي لا يوجد علاقة تكامل بين المتغيرات

الجدول (7)

اختبار ADF لسلسلة البواقي Résidu

Null Hypothesis: RESID04 has a unit root			
Exogenous: Constant, Linear Trend			
Lag Length: 0 (Automatic based on Modified AIC, MAXLAG=11)			
		t-Statistic	Prob.*
Augmented Dickey-Fuller test statistic		-1.745359	0.7220
Test critical values:	%1 level	-4.072415	
	%5 level	-3.464865	
	%10 level	-3.158974	
*MacKinnon (1996) one-sided p-values.			
Augmented Dickey-Fuller Test Equation			
Dependent Variable: D (RESID04)			
Method: Least Squares			
Included observations: 83 after adjustments			

المصدر: من إعداد الطالبان باستعمال برنامج EVIEWS6.

اختبار اتجاهات العلاقات السببية:

يتم اختبار اتجاه العلاقات السببية بين المتغيرات باستعمال طريقة Granger ومن شروط استعمال اختبار العلاقات السببية أن تكون المتغيرات المستعملة مستقرة لذلك سوف نستعمل في اختبارنا التفاضلات الأولى لكل المتغيرات

الجدول رقم (8)

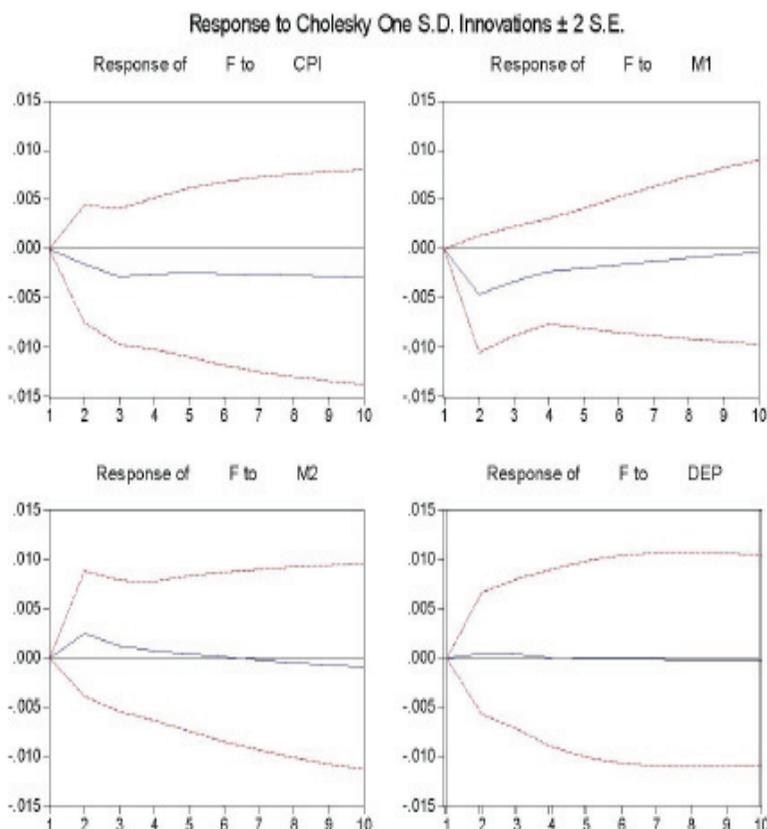
اختبار العلاقات السببية بين المتغيرات لدولة الجزائر

Pairwise Granger Causality Tests			
Lags: 2			
Null Hypothesis:	Obs	F-Statistic	Prob.
DCPI does not Granger Cause DF	94	0.13812	0.8712

تقدير دوال الدفعية: فقد أعطت النتائج الآتية:

الشكل رقم (1)

تقدير دوال الدفعية



سلبا خلال الفترات المولية حتى نهاية الفترة العاشرة

من خلال تحليل دوال الاستجابة الدفعية نجد أن أهم متغير من المتغيرات النقدية الذي كان له تأثير إيجابي في تخفيض معدل الفائدة الذي كان طوال الفترة الاستجابة بقيمة سالبة هو M1 ثم بعد ذلك الكتلة النقدية M2 بنسبة أقل أما الودائع فلم يكن لديها تقريبا أي تأثير يذكر.

نتائج البحث:

تبين أنه لا يوجد تكامل مشترك بين المتغيرات، وأنه يوجد علاقة ديناميكية قصيرة الأجل بين معدل الفائدة والمتغيرات التفسيرية. إن الإشارة جاءت متوافقة مع ما تم فرضه عندما تم تقدير النموذج محل الدراسة وهذا ما تؤيده النظرية الاقتصادية، حيث أنه تمثل أثر السيولة في كل من الكتلة النقدية M2 و M1. وأيضا نوعية العلاقة التي تربط بين المتغير التابع وبقية المتغيرات المستقلة حيث أوضحت أن العلاقة عكسية لسعر الفائدة. وبالتالي يمكن القول إن للسيولة أثرا في الإقتصاد وليست حيادية.

خاتمة:

♦ يلعب القطاع النقدي دورا هاما في نمو الإقتصاد الوطني

M1 مدى استجابة معدل الفائدة للكتلة النقدية:

من خلال الشكل أعلاه يتضح أن الكتلة النقدية M1 تؤثر سلبا في معدل الفائدة خلال الفترة الثانية ليزول هذا الأثر السلبي خلال الفترات الثالثة والرابعة حتى نهاية الفترة العاشرة وهذا ما يتفق مع النظرية الاقتصادية التي تؤكد أن أثر السيولة على سعر الفائدة يكون في الفترة القصيرة فقط.

مدى استجابة معدل الفائدة لمعدل التضخم:

إن معدل التضخم يؤثر سلبا على معدل الفائدة خلال الفترة الثانية والثالثة ليستقر هذا الأثر السلبي خلال الفترات اللاحقة حتى نهاية الفترة العاشرة

مدى استجابة معدل الفائدة للودائع:

نلاحظ أنه تقريبا لا يوجد أي تأثير للودائع على معدل الفائدة خلال جميع الفترات

M2 مدى استجابة معدل الفائدة للكتلة النقدية

نلاحظ أن الكتلة النقدية M2 تؤثر إيجابيا على معدل الفائدة خلال الفترة الثانية ثم بعد ذلك

يزول هذا الأثر الإيجابي خلال الفترة الثالثة وتصبح تؤثر

11. L. Fontagne *Macroéconomique, Prévision équilibre et politique*, Paris librairie viribert, Mars 1991.
12. L. Dupriez- *la monnaie dans l'économie*- Ed cujas 1976
13. Marc Montoussé/ *Economie monétaire et financière* 2001.
14. Michel Raw HILL/ *Macro économique. Théorie et politique* 1968
15. professeur jean christian lom beletet «cointegration» 1998 *similaire dans le cadre du cours de statistique et économétrie appliquées.*
16. P.B Ruffini- *Théorie monétaire* -Ed du seuil 1996.
17. R- Penaud -*les institutions françaises*- Ed Revue de banque 1982

حيث هناك طرق كثيرة لدراسة دور النقود في الاقتصاد. ولعل إحدى الحقائق المهمة للتحليل النقدي هي العلاقة بين سعر الفائدة والعرض النقدي. غير أن كلا من النظرية والتجربة العملية تفيد أن العلاقة ليست مستقرة. فقد يتغير عرض النقود بقدر كبير فيما قد يظل تغير معدل الفائدة ثابتاً بدون تغير يذكر أو قد يؤدي نمو العرض النقدي إلى رفع معدل الفائدة بدلاً من انخفاضها.

♦ وتثير التغيرات الناشئة في العرض النقدي اهتماماً كبيراً لدى المحللين وصانعي السياسات. فمن أجل الحصول على معدل نمو مستقر لمعدل الفائدة يتحتم على صانع القرار الاقتصادي أن يأخذ في اعتباره معدل النمو في العرض النقدي.

♦ وتعد قضية استقرار هذه العلاقة ذات أهمية خاصة في تقييم الفعالية في إدارة السياسة النقدية.

المصادر والمراجع:

أولاً- المراجع العربية:

1. د.أسامة محمد الفولي و د. مجدي محمود شهاب «مبادئ النقود والبنوك»، دار الجامعة الجديدة للنشر 1999.
2. د. أحمد هني «العملة والنقود» ديوان المطبوعات الجامعية 91-07
3. د. الطاهر لطرش «تقنيات البنوك» ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، 2003
4. د. أكرم حداد و د. مشهور هذلول «النقود والمصارف»، دار وائل للنشر الطبعة الأولى 2005.
5. د. أحمد أبو الفتوح الناقبة «نظرية النقود والبنوك والأسواق المالية» مؤسسة شباب الجامعة 1998.
6. د.إسماعيل أحمد الشناوي وعبد النعيم مبارك «اقتصاديات النقود والبنوك والأسواق المالية» الإسكندرية، الدار الجامعية 2001.
7. د.أحمد فريد مصطفى ومحمد عبد المنعم عفر «الاقتصاد النقدي والمصرفي بين النظرية و التطبيق»، مؤسسة شباب الجامعة 2000.
8. د.أحمد رمضان نعمه الله وإيمان عطية ناصف و محمد سيد عابد «النظرية الاقتصادية الكلية»، الدار الجامعية 2002/2003.

ثانياً- المراجع الفرنسية:

1. Allain pirotte «l'économétrie des origines au développement récents» édition CNRS, Paris 2004.
2. A. chaneau -*Mécanismes et politiques monétaires*. Ed PUF 1973
3. Ammour Ben Halima -*Monnaie et Régulation monétaire*-Ed Dahlab 1997.
4. Chaîneau André (1997) «Ouest ce que la monnaie» édition economica
5. David Laidler (1974) «la demande de monnaie» édition Dunod Paris
6. Enders walter «Applied econometric time serie» First édition 1995 john wiley sons Inc.
7. F.Remversey *Eléments d'analyse monétaire* Ed Dalloz 1988
8. Granger an Newbold (1974) «spurious Regression in économétrics» journal of écnometric vol 26.
9. H. Ghuitton- *Economie politique* -Ed Dalloz 1965
10. j. pierre pattat *monnaie institution financières et politique monétaires* 4 éd economica, Paris 1987.

دور المكونات التصميمية للوحة الاشهارية في إثارة انتباه المتلقين الجزائريين *

أ.د. ماضي بلقاسم **
أ. حمدان نهاد ***

* تاريخ التسليم: 2015/3/21م، تاريخ القبول: 2016/2/3م.
** أستاذ دكتور/ جامعة باجي مختار/ الجزائر.
*** طالبة دكتوراه/ جامعة باجي مختار/ الجزائر.

مقدمة:

إن ازدياد أهمية الإشهار في الجزائر بفضل ما عرفته هذه الأخيرة في المرحلة الممتدة مع نهاية الثمانينيات وبداية التسعينيات، من تغيرات بنيوية شاملة مست كافة الأصعدة والقطاعات، خاصة مع تبني الجزائر نموذج اقتصادي جديد يقوم على المنافسة وحرية المبادرة، ويعطي الفرصة للمؤسسة الاقتصادية الخاصة لتندمج في النشاط الإنتاجي، هذا ما أدى إلى تعدد أقطاب هذا الأخير بالتالي نشأة السوق التنافسية.

في خضم الظروف الآنفة، أصبحت الممارسة الإشهارية -بمختلف أنواعها- إحدى أدوات التسويق والاتصال التي تتبناها المؤسسات الجزائرية وبخاصة تلك العاملة بقطاع الاتصالات، إذ أضحت اللوحات الإشهارية إحدى الدعائم الشائعة الاستعمال نظرا لاستفادتها من إمكانات التصميم في إظهار المنتج المشهر عنه في صورة واقعية وواضحة أمام المتلقي؛ بالاعتماد على حاسة البصر إلى جانب استعمال الحركة بهدف التعبير عن مختلف الأفكار الإشهارية مهما بلغت غرابتها ومن أجل خلق انطباعات وتأثيرات مختلفة على انتباه هذا الأخير.

مشكلة الدراسة:

إن أي لوحة إشهارية تخضع لجملة من الأسس التصميمية التي تسهم بمجموعها في إنشاء علاقات تعمل على تطير الأواصر الداخلية للعناصر المكونة لذلك التصميم والتي بدورها تسهم في تحقيق الهدف من الرسالة الإشهارية وبخاصة في التأثير على المتلقي، وبذلك تتجلى مشكلة الدراسة في: ما مدى تأثير المكونات التصميمية للوحة الإشهارية في إثارة انتباه المتلقين الجزائريين؟

وعليه يمكن الاستدلال بهذه المشكلة من خلال الإجابة على الأسئلة التالية:

◀ ما العلاقة بين المكونات المرئية للوحة الإشهارية وإثارة الانتباه لدى المتلقي الجزائري؟

◀ ما العلاقة بين المكونات اللفظية للوحة الإشهارية وإثارة الانتباه لدى المتلقي الجزائري؟

أهمية الدراسة وأهدافها:

تمثل اللوحات الإشهارية أحد أهم الوسائل الإشهارية التي تعمل على خلق ذلك التواصل بين صاحب الإشهار والمستهلك، هذا ما فرض على المصممين إخراجها بشكل متقن وحامل لكل الأسس والقواعد الواجب اتباعها في عملية التصميم والإخراج لأن إحدى ميزات اللوحة أنها يتم مشاهدتها في أثناء الممارسة اليومية للحياة في الطرق ووسائل النقل؛ ما يستوجب احتواءها على عناصر تحقق الهدف من عرضها لذلك فإن أهمية هذه الدراسة تكمن في تسليط الضوء على جوانب تصميم اللوحة الإشهارية من خلال مراحل التصميم ومكوناتها وأسسها الفنية ومعرفة مدى تأثيرها على جذب انتباه المتلقين الجزائريين.

وعليه فإن هذه الدراسة تسعى لتحقيق الأهداف التالية:

1. معرفة مدى تأثير مكونات التصميم في اللوحة الإشهارية

ملخص:

يهدف هذا البحث إلى معرفة مدى تأثير المكونات التصميمية للوحة الإشهارية في إثارة انتباه المتلقين، ولتحقيق ذلك قامت الباحثة بإجراء دراسة ميدانية اعتمدت فيها على استبيان صُمم خصيصا لهذا الهدف، إذ جرى توزيعه على عينة مكونة من 800 مفردة من مجتمع الدراسة، أي جمهور المتلقين الجزائريين للوحة الإشهارية المختارة لمؤسسة الاتصالات - موبيليس الجزائر- وذلك في 5 ولايات من الشمال الشرقي الجزائري. وقد أظهرت نتائج الدراسة الإحصائية إلى أن هناك علاقة ارتباط معنوية لكل من المكونات المرئية واللفظية التي تحتوي عليها اللوحة الإشهارية وجذب الانتباه لدى المتلقين الجزائريين.

وفي الأخير طُرحت مجموعة من المقترحات والتوصيات التي من شأنها أن تساعد المؤسسات الاقتصادية والوكالات الإشهارية في زيادة وتعزيز الدور الذي تؤديه المكونات التصميمية للوحة الإشهارية في جذب انتباه المتلقين الجزائريين.

الكلمات المفتاحية: اللوحة الإشهارية، التصميم، الانتباه،

المتلقي.

Banners Design and Their Role in attracting Algerian viewers

Abstract:

The research aims to determine the main effects of designing advertising banner components, which attract the attention of viewers. And for achieving this, the researcher conducted a study in this field which was based on specified questionnaire designed for this goal.

On the other hand, in five states of the north east of Algeria a sample consisted of 800 single was distributed, which represent the study of Algerian public downstream advertising banner, which was selected and chosen to the telecommunication corporation. The statistical results of that study showed that there was significant relation between visual and verbal components, which are contained in the advertising painting for attracting the attention of Algerian viewers.

As a main point by the latter part of this article, we had found a collection of suggestions and recommendations exposed to help economic institutions and advertising agencies for the purpose of enhance and increase the role of advertising design to attract and persuade people.

Keywords: The advertising banners – Design – Attention – Viewers.

إشهار فعال" (العلاق، 2007، ص313).

● **التأثير:** ما معناه خلق حالة نفسية ناتجة عن إضافة أفكار جديدة لدى المتلقي، تجعله عند تحركه مدفوعاً بهذه الحالة النفسية ومجموعة الأفكار والمعلومات التي اكتسبها، ولهذا الأخيرة دور كبير جداً، بل أساسي في تغيير سلوك إنسان أو مجموعة من الناس لفترة معينة في اتجاه معين (الشاعر، التأثير بالآخرين والعلاقات العامة، ص4).

● **الانتباه:** هو عملية تركيز الشعور في شيء مثير سواء كان هذا المثير حسياً أو معنوياً.

● **المتلقي:** هو الشخص الذي يقوم بعملية التلقي أو كما يعرف بمجموع الاتجاهات والنشاطات التي يظهرها هذا الشخص في تلقيه للرسائل الإشهارية.

الإطار النظري للدراسة:

ماهية التصميم وأهدافه:

إن التصميم كاسم وليس كفعل، يعني شيئاً: الأول عملية ترتيب عناصر الإشهار، والثاني: الجهود الكامنة وراء هذا الترتيب، والتي تؤدي إلى إنتاج الوحدة أو الهيكل المرغوب للإشهار. أما كفعل، فإن التصميم يعني تنظيم وترتيب وعرض عناصر الإشهار بشكل ابتكاري لتحقيق غرض محدد (العلاق، 2007، ص313). في حين أن مصطلح الإخراج، وهو تقريبا مترادف مع التصميم، لكن في إطار ضيق. وكما يقول أحد خبراء الإخراج: "هو عملية ترتيب عناصر الإشهار ضمن محددات حيز معين".

ففي كلتا الحالتين، نجد أننا نتحدث عن صور ورسومات ووسائل إيضاحية مرئية تسهم في إضفاء نوع من الجمالية والشفافية والجاذبية، من خلال توليفها مع الكلمات والأشكال والخطوط والألوان والانطباعات التصويرية والمكتوبة، لإعطاء الإشهار شكله النهائي وكأنه كيان أو وحدة واحدة.

كما سبق، يمكن القول إن التصميم هو عملية ترتيب أي وضع العناصر التي يتكون منها الإشهار داخل إطار محدود من الفراغ ووفق نسق معين يجعل كل عنصر ينساب إلى العناصر الأخرى بحيث يصبح المحتوى والشكل شيئاً واحداً من شأنه أن يحقق ويزيد من فعالية الإشهار في تحقيق أهدافه (بهنسي، 2007، ص248) المنوطة به: هذه الأخيرة التي تتعد بتنوع الأفكار التصميمية للوحة الإشهارية، حيث نستعرض أهمها في:

1. **جذب الانتباه:** ونعني به تركيز الشعور وإبقائه في حالة ارتباط بموضوع معين في ظل المتغيرات الداخلية (الدوافع والاحتياجات)، والخارجية (الإشهارية وغير الإشهارية) التي تتنافس على جذب انتباه المستهلكين والسيطرة على اهتماماتهم المتعددة، وعادة ما يتميز الانتباه بصفيتين أساسيتين (بهنسي، 2007، ص172):

- أنه محدود: بمعنى أن الفرد لا يستطيع أن يركز انتباهه في وقت واحد على أشياء متعددة كما أشارت نتائج إحدى الدراسات إلى أن محاولة تشتيت انتباه الفرد بين شيئين في وقت واحد تؤدي إلى فقدان حوالي 40% من كفاءة استيعاب العملية:

- أنه دائم الحركة: بمعنى أن الانتباه لا يثبت على فكرة

من خلال الوقوف على أهم العناصر (المكونات المرئية، المكونات اللفظية) التي تعمل على إثارة انتباه المتلقين بالتطبيق على لوحة إشهارية عرض G3 لمؤسسة موبيليس كنموذج للدراسة.

2. **الخروج بنتائج وتوصيات حول المكونات الفعالة في تصميم اللوحة الإشهارية وكيفية الاستفادة منها ميدانياً من أجل تعظيم تأثيراتها على جذب الانتباه الذي يتكون في عقول وأذهان المتلقين.**

نموذج الدراسة:

يتضمن نموذج الدراسة تحديد الأثر بين كل من عناصر التصميم بوصفها متغيراً مستقلاً وإثارة انتباه المتلقين بوصفه متغيراً تابعاً.



فرضيات الدراسة:

انطلاقاً من تساؤلات المشكلة التي حددتها الباحثة، فقد صيغت الفرضيات الآتية:

الفرضية الرئيسية الأولى:

◆ **H0:** لا توجد علاقة ذات دلالة احصائية لكل من المكونات المرئية (بجميع عناصرها) وإثارة الانتباه لدى المتلقين الجزائريين.
◆ **H1:** توجد علاقة ذات دلالة احصائية لكل من المكونات المرئية (بجميع عناصرها) وإثارة الانتباه لدى المتلقين الجزائريين.

الفرضية الرئيسية الثانية:

◆ **H0:** لا توجد علاقة ذات دلالة احصائية لكل من المكونات اللفظية (بجميع عناصرها) وإثارة الانتباه الشرائي لدى المتلقين الجزائريين.

◆ **H1:** توجد علاقة ذات دلالة احصائية لكل من المكونات اللفظية (بجميع عناصرها) وإثارة الانتباه لدى المتلقين الجزائريين.

التعريفات المفاهيمية:

● **اللوحة الإشهارية:** هي كل ما يتم عرضه في الشوارع وعلى جدران المباني والطرق السريعة، ويحمل في طياته نصوص أو صور ورسوم، أو كليهما معا بهدف نقل وإيصال المعلومات حول منتج معين، حيث يتم تصميمها في عدة أحجام يغلب عليها الحجم الكبير حتى يتسنى للجماهير المستهدفة تلقيها وقراءة محتواها.

● **التصميم:** هي عملية وضع العناصر المكونة للإشهار في صورة تؤدي إلى ظهور وحدة متجانسة ومتكاملة (السيد، 2009، ص486)، حيث يقول فيليب كوتلر في هذا الصدد: "التصميم عمل ابتكاري يتمتع بميزتين رئيسيتين، الأولى: أنه يشكل جزءاً من إلهام فكر فنان مبدع، والثانية: أن هذا الخيال يتجسد على أرض الواقع من خلال مزيج بين الواقع والخيال، لينتج عنه واقع إبداعي ألا وهو

الأولى لجلب الانتباه والاهتمام نحو الإشهار إضافة إلى خلق الجو المناسب للرسالة الإشهارية وتسهيل شرح وتقديم بعض المفاهيم المجردة مثل الجمال بهدف تكبير وتعجيل الخطوات اللازمة لإجراء عمليات الاتصال بالمستهلك، إذ إن تكبير الخطوة يعني وضوحها بصورة أكبر ومن ثم فهم أكبر للرسالة الإشهارية؛ والتعجيل بالمرحلة يعني السرعة في الاتصال والحاجة إلى مساحة للإشهار. وعليه يمكن حصر هذه العناصر في:

أ. الصور والرسوم الإشهارية: تعتبر الصور والرسوم من الرموز الاتصالية الأساسية التي يعتمد عليها المصممون إما لتقديم معاني وأفكار لا يمكن التعبير عنها لفظياً أو لتدعيم معاني تم التعبير عنها بالكلمات ما يجعلها تعد من مكملات الزينة والشفافية والانطباعية.

ب. الألوان: تعتبر من الرموز الأساسية غير اللفظية في تصميمات الإشهارات الخارجية، إذ يلعب إستخدامها دوراً محورياً في نجاح هذا النوع من الإشهارات نظراً للتأثير الكبير الذي تمارسه على جذب انتباه المستهلك تجاه الصورة الإشهارية، وعلى النواحي السيكولوجية المتعلقة بالمستهلك على اعتبار أنها تمتلك وظيفة تعبيرية: حيث تعطي الألوان قليلة التشبع إحساساً شاعرياً، والألوان القوية المتنوعة إحساساً بالمرح وهكذا ... كما تستطيع الألوان أيضاً أن تضيف مزيداً من الواقعية على التصميم مما يساعد على زيادة معدلات التأثير والتذكر للرسالة الإشهارية بالتالي زيادة درجة قبول المنتج موضوع الإشهار.

وما ينبغي التنويه له إلى أن للألوان قياسات وتباينات يجب التعرض لها، حيث نوضحها على الترتيب (العربي، بدون سنة نشر، ص75):

◆ قياسات الألوان: هناك ثلاث معايير لقياس اللون هي:

- التدرج (Hue): وهو التدرج في سلم الألوان من اللون الأحمر إلى اللون البنفسجي؛

- التشبع (Saturation): وهو كمية تشبع اللون بكثافة معينة فمثلاً: 100% من الأحمر هو أحمر صافي متشبع، وتقل درجة الصفاء والتشبع بانخفاض نسبة كثافة اللون؛

- القيمة (Value): وهي كمية الضوء في اللون، فهناك الألوان الفاتحة والألوان الغامقة.

◆ تباين الألوان: إن التباين مبني على نسب توزيع اللون (Hue, Saturation, Value)، وينقسم تباين الألوان إلى نوعين هما:

- تباين متزامن (Simultaneous Contrast): وهو التباين الذي يظهر نتيجة التأثير البصري لوضع لون فوق لون آخر أو بجانبه؛

- Hsv Contrast: وهو التباين الذي يتيح نتيجة التأثير البصري لوضع لون وحوله لون آخر.

٣. الشعار المصور (Logo): يتمثل في ذلك الرمز الذي يستخدم مثيراً مرئياً يؤدي إلى إيحاءات تعطي شخصية منفردة للمنتج، وتوفر تعريف سريع له، إذ يظهر في كل إشهارات المؤسسة كما قد يكون مصاحباً للشعارات المكتوبة. ويمكن حصر الشعار المصور في فئتين رئيسيتين هما:

معينة، أو شيء محدد لفترة طويلة؛ فهو دائم الحركة والانتقال من فكرة إلى أخرى وفقاً لقدرة المثيرات الخاصة بكل فكرة على الاستثابته.

2. إثارة الاهتمام: تمثل الخطوة التي يتم فيها نقل اهتمامات المستهلك إلى التصميم الإشهاري، بمعنى أعداد المستهلك لتقبل الرسالة الإشهارية وذلك بتحويلها من الإطار الموضوعي إلى الإطار الذاتي، لذلك يجب على فريق الابتكار أن يحافظ على الاهتمام المطلوب طوال الوقت بأن تكون الرسالة الإشهارية متصلة بالتوقعات السيكولوجية للجمهور بمعنى يجب على المنتج أن يقوم بتلبية احتياجاتهم الخاصة.

ولذا نجد أن هذه الخطوة تعتبر امتداد للخطوة السابقة جذب الانتباه بمعنى آخر أن كلا الخطوتين مرتبطتان ببعضهما البعض، فالأولى تهتم بالصبغة الشكلية للإشهار الخارجي والثانية تركز على الجوانب الخاصة بالمحتوى الإشهاري.

3. استثارة الرغبة: تمثل واحدة من أصعب مراحل الكتابة الإشهارية والمرحلة الأولى في تحقيق الاستجابة الشرائية لارتباطها الوثيق بالدوافع التي تتعامل داخل الدائرة السيكولوجية للمستهلك؛ حيث يتحقق هذا الهدف من خلال سعي فريق الابتكار لخلق الدافع لدى المستهلكين من أجل تلبية احتياجاتهم الخاصة.

4. الإقناع: هي مرحلة أكثر تقدماً في اتخاذ القرار الشرائية، تعتمد في العادة على الأسلوب المنطقي المستند إلى الأدلة والحجج، إضافة إلى الأسلوب العاطفي والتداعيات الرمزية والإيحاءات سعياً إلى اعتقاد متماسك بقيمة المنتج المشهر عنه وفي كل الأحوال يجب أن يكون الإقناع خالياً من عنصر المبالغة التي قد تؤدي في النهاية إلى عدم تحققه.

5. الحث على الاستجابة (بهنسي، 2007، ص193): وهي الهدف الأساسي من العملية الإشهارية الابتكارية، حيث عادة ما يكون رد الفعال المطلوب محدد بدقة ... والذي قد يكون هدفاً شرائياً، أو تأكيداً لمزايا سلعة أو خدمة، أو زيارة معرض مؤسسة ... وهنا قد يكون نداء الفعل صريحاً أو ضمنياً وفقاً لمتغيرات الحالة الإشهارية وتصاعد المراحل السيكولوجية التي تم المرور بها من قبل.

6. التثبيت بالذاكرة: يعبر هذا الهدف على ضرورة إيجاد حالة من التذكر للرسائل الإشهارية من خلال التغلب على عادة النسيان لدى المستهلكين، إذ يجب أن يظل المنتج عالماً في ذهن على الدوام على اعتبار أن العديد من القرارات الشرائية مؤجلة، لذلك فإننا نجد أن الإشهارات الخارجية تركز على نمطين من التذكر هما: التعرف والاستدعاء، فالتعرف يعني أن الفرد يستطيع أن يتذكر شيئاً شاهده من قبل، ووضعه على قائمة الوعي العقلي لأهميته وحيويته بالنسبة له أما الاستدعاء فهو أكثر تعقيداً حيث يتطلب أن يتذكر الفرد المعلومات الموجودة في الرسالة. (بهنسي، 2007، ص193)

مكونات التصميم الفعال:

حتى تكون اللوحة الإشهارية وسيلة اتصالية متكاملة وذات فعالية قصوى يجب أن تتضمن رسالتها الإشهارية على عنصرين رئيسيين هما:

1. العناصر المرئية: هي تلك العناصر التي تستخدم بالدرجة

الإشهارية والمكمل للدور الذي تلعبه العناصر الأخرى المكونة للإشهار الخارجي في جذب انتباه القراء على اعتبار أن دوره يكمن في المحافظة على هذا الانتباه ونقل القارئ إلى الأهداف الموائية التي يسعى المصمم للوصول لها من خلال تسلسل منطقي وامتداد سيكولوجي يسمح أيضا بتحقيق العديد من الأدوار، نذكر أهمها في:

- إثارة اهتمام القارئ من خلال تبني اهتمامات واحتياجات المستهلك.

- استنارة الرغبة في شراء المنتج عن طريق إبراز ومقابلة مزاياها باحتياجات المستهلك وعرض قدرتها على إشباع هذه الاحتياجات:

- إقناع المستهلك بأهمية المنتج من خلال تقديم الأدلة، والتحدث بلغة المستهلك، وإبراز دورها في تدعيم القبول الاجتماعي.

- اقتراح الاستجابة المستهدفة من الجمهور، التي قد تتمثل في الشراء أو الاتصال هاتفيا، أو زيارة معرض، أو طلب المزيد من المعلومات.

مراحل التصميم وأسسها الفعالة:

تعتبر عملية إعداد وتحرير اللوحة الإشهارية عملية اتصالية تقوم على مجموعة من الأسس والمحددات بدءاً من عرض الإشهار وصولاً إلى استقباله من قبل المتلقين. إلا أن ضمن هذه العملية هناك مجموعة من المتغيرات الوسطية التي تتحكم في نجاح الإشهار أو فشله في تحقيق الاستجابة المتوقعة.

وتبعاً لما ذكر، فقد حدد الباحثون في الميدان مجموعة من المحددات التي لا بد من الاعتماد عليها عند تصميم اللوحة الإشهارية (شيبه، 2005، ص 102)، نوضحها في:

1. تحديد الاستراتيجية الإشهارية: تعتبر هذه المرحلة جد مهمة لضمان نجاح الإشهار في تحقيق فعاليته، إذ تعتمد عملية تحديدها على دراسة أربعة عناصر أساسية متداخلة فيما بينها تتمثل فيما يأتي:

♦ تحديد الجمهور المستهدف: وهو مجموعة من المستهلكين الذين توجه إليهم الرسالة الإشهارية؛ إذ لا بد من دراستهم دراسة معمقة وذلك من خلال ضبط معاييرهم الكمية والكيفية، إذ تتعلق الأولى (الكمية) بتحديد جنسه وسنه، أما الثانية (الكيفية) فترتبط بتحديد مستواه الثقافي والاجتماعي، وبصفة أدق محاولة تعرف خصوصية الجمهور من خلال دراسة رغباته واحتياجاته.

♦ تحديد الأهداف الإشهارية: أو بعبارة أخرى الغرض المنشود الذي يريد المشهر تحقيقه من استخدامه للإشهار كوسيلة للوصول والتأثير في الجمهور المستهدف، وعليه فإن هذه العملية تعتبر عنصر أساسي في تخطيط ونجاح الإشهار، إذ تساعد على تحقيق نقطتين هامتين هما (الحسن، 2010، ص 54):

- مساعدة المشهر في كيفية تنمية الرسالة المناسبة من حيث الفكرة التي سيدور حولها الإشهار ونقاط التركيز، واختيار المكونات الإشهارية الملائمة والأكثر قدرة على تحقيق تلك الأهداف؛

- يمكن استخدام الأهداف كمعايير يتم الاسترشاد بها والاستناد عليها في تقييم فعالية الإشهار.

♦ الشعارات المعتمدة على الحروف: حيث قد يعبر الشعار عن إعداد خاص لاسم المؤسسة، أو عن طريق استخدام الحروف الأولى لها. ومن أهم الأمثلة عن ذلك شعار Motorola الذي صممه Morton Goldsholl عام 1955، وأعاد تعديله سنة 1965 إذ ظهر على شكل حرف M محاطاً بدائرة.

♦ الشعارات المعتمدة على صور أو رسوم: هي تلك الشعارات التي تعتمد في إعدادها على الرموز المصورة سواء كانت مجردة أو وصفية للإيحاء بشخصية المؤسسة. ومن أبرز الأمثلة عن هذا النوع من الشعارات شعار مؤسسة "أبل ماكنتوش" الذي صممه Rob Janoff سنة 1977 إذ لم يعد مجرد رسم مؤثر لتفاحة مشهورة وإنما أصبح أيضا رمزا للمعرفة بشكل عام، أما الجزء المقطوع في جانب التفاحة فهو يرمز إلى المعرفة المحظورة أو المحرمة.

4. العناصر اللفظية: هي تلك العناصر التي تستعمل لشرح وتقوية وتكميل العناصر المرئية للإشهار الخارجي وهي تشتمل على كل من العناوين، والشعارات حيث يمكن توضيحها فيما يلي:

♦ العناوين: تتمثل في الكلمات المؤثرة والمركزة التي تعمل بالتكامل مع العناصر المرئية، لتحقيق هدف جذب الانتباه والتأثير السريع والمباشر على الجمهور المستهدف بمجرد رؤية وقراءة الإشهار المقصود.

وعلى اعتبار أن نجاح أو فشل الإشهار الخارجي يتوقف على سلامة العنوان وفعاليتها فإننا نجد أن العديد من الإشهارات قد تحتوي إلى جانب العنوان الرئيسي على عنوان فرعي أو أكثر لزيادة قابلية الرسالة للقراءة وتجزئة المحتوى الكبير لها، إضافة إلى إبراز العناصر المرئية للمبيعات ودعم كل من العنوان الرئيسي والشعار. وعليه يمكن القول، إن تصنيف عناوين الإشهارات الخارجية يختلف باختلاف الهدف والنتيجة المطلوب تحقيقه، إلا أن التصنيف الأكثر شيوعاً يميز العناوين إلى عناوين مباشرة وأخرى غير مباشرة⁽¹⁾.

♦ الشعارات الإشهارية (Slogans): هي كل جملة مميزة يتم تكرارها في جميع إشهارات الحملة الإشهارية من أجل زيادة إمكانية تذكرها مع مرور الزمن، ولها أن تتحول إلى وسيلة تساعد على إيجاد صورة ذهنية راسخة تعكس وضع المنتج في السوق وفي هذه الحالة تستخدم كعنوان ونص أساسي في الإشهارات الخارجية. وعليه نجد أن للشعارات الإشهارية ثلاث وظائف رئيسية هي:

- إيجاد هوية خاصة بالمؤسسة المشهورة ما يسمح لها بإعطاء انطباع جيد عنها إما بالقوة أو الأناقة أو الخبرة أو المتعة أو غيرها.

- تحقيق استمرارية للحملات الإشهارية؛

- دعم احتمالات التذكر على اعتبار أن الشعار يعد من العوامل الأساسية التي تزيد من قدرة الجمهور على تذكر اسم المؤسسة أو المنتج المشهر عنه.

♦ النص الإشهاري: يمثل المحور الإقناعي في الرسالة

(1) نبغي ملاحظة أن هذا التصنيف ليس جامعاً فمثلاً عناوين الأغاز قد تستخدم الصيغة الاستفهامية أو الإخبارية، أي أن العنوان الواحد يمكن أن يجمع سمات التصنيفين إلا أن إحداهما يمكن أن يغلب على الآخر.

الحياة الاجتماعية كالسيارات، الحلي، وغيرها.

- تحليل الموانع (الكوابح) (Joannis,1983,P200): وهي قوى بسلوكية معاكسة للدوافع، تمنع المتلقي من القيام بعملية الشراء حيث تقسم إلى نمطين:

- المكبوتات (Les inhibitions): وهي تلك التي تسببها إحدى الدوافع والتي يكون موضوعها تافه، يشعر المتلقي بأنه غير مهم لذلك لا بد عليه من مراقبة نفسه.
- المخاوف (Les peurs): وهي قوى سلبية تبين الصعوبات الحقيقية أو الخيالية من جراء شراء أو استعمال المنتج، على سبيل المثال تلك المخاوف الناتجة من جراء استهلاك المواد الغذائية التي أكدت التجارب العلمية بأنها تسبب أضراراً صحية للمستهلك.

◆ تصور النموذج الابتكاري: تمثل هذه المرحلة الثانية التي تندرج ضمن العمل الابتكاري للإشهار، إذ يرتبط هذا المفهوم بتمثيل ما هو محدد في المحور السيكلوجي بشكل ملموس ومميز وذي مصداقية، بمعنى تجسيد ما تم تحديده في المحور السيكلوجي من خلال توظيف الجماليات المتعلقة بمكونات الإشهار الخارجي.

وبعبارة أخرى، فإن عملية تصور النموذج الابتكاري هي مرحلة الابتكار والخيال التي تضم حسب Henri Joannis نوعين من التصورات هما: تصورات ابتكارية مباشرة، أي التي تصف ما هم محدد في المحور السيكلوجي بصفة مباشرة وذلك عن طريق التجسيد المباشر (الملموس) لكل الافكار الابتكارية، أما التصورات الابتكارية غير المباشرة، فهي تلك التي تستعمل الإيحاء والاستدلال (L'induction) نظراً لاحتوائها على عنصري الابتكار والخيال الواسعين (Joannis,2010,P 100-105).

3. مرحلة الإخراج النهائي للوحة الإشهارية:

تمثل عملية التصميم والإخراج النهائي مرحلة تجسيد كل ما تم دراسته وتصوره في المراحل السابقة، على اعتبار أن قوة الاتصال البصري تكمن في كونها تجذب العين المباشرة لمشاهدة ما تتضمنه الصورة الإشهارية، لذلك لا بد في هذه المرحلة خلق نوع من التوافق بين الجانب التصريحي والتضميني للإشهار الخارجي وذلك من خلال إحداث التجانس بين المكونات اللفظية من جهة والمكونات المرئية من جهة أخرى.

وبالتالي يمكن أن نلخص جوهر إعداد وتحضير الإشهار الخارجي في الأسئلة التالية:

- ◀ ماهي النتيجة التي يريد القائم بالإشهار إحداثها في ذهن الجمهور المستهدف؟ (المحور السيكلوجي).
- ◀ ما هو مضمون الصورة الإشهارية؟ (النموذج الابتكاري).
- ◀ كيف يمكن للمشهر إيصال ما قام بابتكاره كنموذج للصورة الإشهارية؟ (التصميم والإخراج).

وتبعاً لما ذكر آنفاً، فإن الشكل (1) الموالي يوضح مختلف المراحل التي تتم عبرها عملية إعداد وتحضير الإشهار الخارجي.

◆ تحديد الوعد الإشهاري (Joannis, 2010, P78): يعتبر تحديد الوعد الإشهاري المرحلة الثالثة التي تعتمد عليها عملية تحديد الاستراتيجية الإشهارية، إذ عادة ما تتعلق بمدى قدرة الرسالة الإشهارية على تحقيق الهدف أو الفائدة للجمهور المستهدف، بمعنى الفائدة التي سوف يتحصل عليها المتلقي من جراء استعماله للمنتج موضوع الإشهار لذلك لا بد على الرسالة الواحدة أن تتضمن وعد واحد حتى تضمن استجابة أكبر من طرف المتلقين.

وعليه فإن Henri Joannis يميز بين نوعين من الوعود (Joannis, 2010, P78):

- وعد ملموس (واقعي): ما يعني أن المتلقي يشبع حاجات ملموسة مثل: بياض الأسنان الناتج عن استعمال معجون أسنان معين.

- وعد غير ملموس: في هذه الحالة فإن الوعد لا يوحي بوجود تغيير مباشر في حياة المستهلك وإنما يتجسد ذلك من خلال التأثير الرمزي للمنتج الذي يعطي بُعداً إضافياً في الحياة، مثل: استعمال عطر معين يُؤد الإحساس بالأنوثة.

2. مرحلة الابتكار الإشهاري:

هي تلك المرحلة التي يسعى فيها المبتكر إلى تسخير كل طاقاته الفكرية والفنية في تصور معالم الإشهار، إذ يجب على المبتكر أن يأخذ في عين الاعتبار عنصرين مهمين يتمثلان في (Joannis, 2010, P154):

◆ تحديد المحور السيكلوجي: بمعنى الفكرة الرئيسية التي يريد القائم بالإشهار توصيلها إلى الجمهور المستهدف، لذلك فإن المحور السيكلوجي قد يكون منفعة أو دافع يبحث عنه المتلقي، كما يمكن أن يكون مانعاً يعرقل عملية الاقتناع بمنتج معين. وعليه فإنه يتوقف نجاح المحور السيكلوجي في قدرة القائم بالإشهار على تنشيط دافع من الدوافع أو تخفيض مانع من الموانع.

وما يجب الإشارة إليه إلى أنه يوجد مجموعة من الدوافع والموانع (الكوابح) التي لا بد من تحليلها لكي تجعل المحور البسيكلوجي فعال، إذ نستعرضها على النحو الآتي:

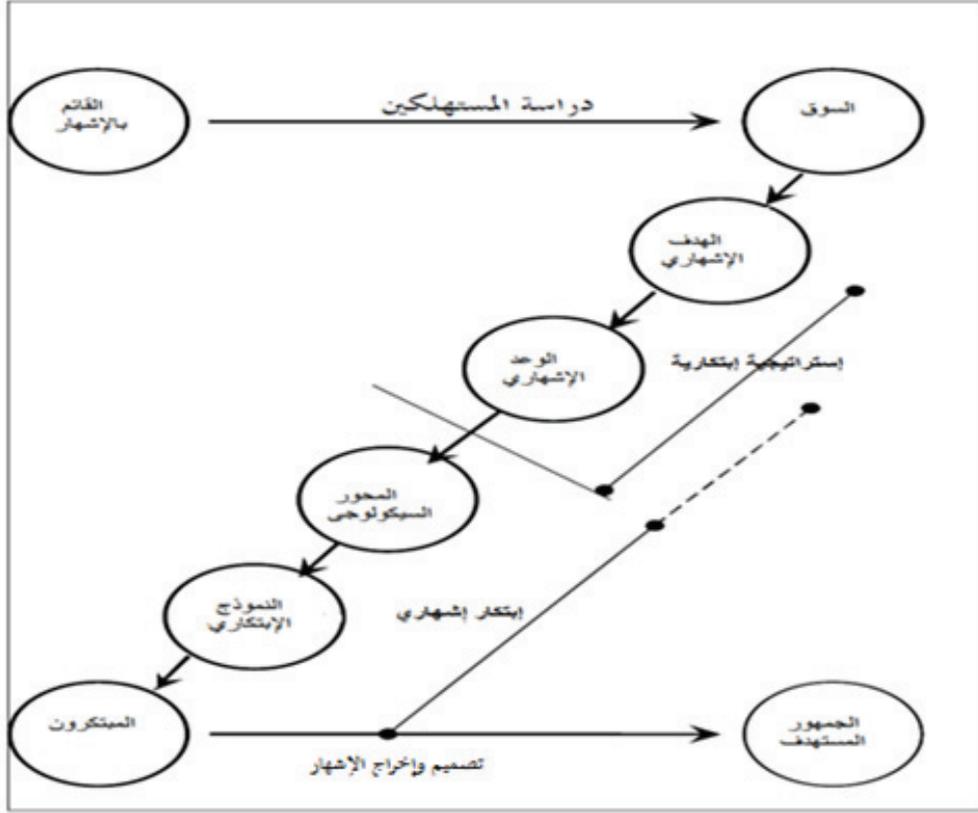
- تحليل الدوافع: تعتبر الدوافع بمثابة قوة تدفع المتلقي إلى الاستهلاك، إذ تقسم حسب Henri Joannis إلى ثلاثة أصناف هي:

- دوافع التمتع (Hédonistes): هي الدوافع التي تولد لدى المتلقي الرغبة في التمتع بالحياة وذلك من خلال البحث عن اللذة المتحصل عليها بواسطة امتلاك شيء والبحث عن الأمان.
- دوافع تكريس الذات (Oblayives): تمثل تلك الدوافع التي تدفع بالمتلقي إلى فعل الخير والقيام بالأحسن كتقديم هدية إلى أحد المقربين أو قيام ربة بيت بالتحضير وتوفير الاستقبال الجيد للضيوف.

■ دوافع التعبير عن الذات (Auto-Expression): تعبر عن تلك الدوافع التي يسعى المتلقي من خلالها إلى إثبات وتحقيق ذاته، وتكون خاصة في المنتجات التي تعكسها

الشكل (1)

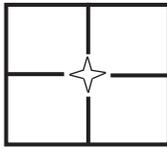
مراحل إعداد وتحرير الإشهار الخارجي (Le Z créatif).



Source : Henri Joannis : De la Stratégie Marketing à la Création Publicitaire, 3ème édition, Dunod, Paris, France, 2010, P : 85.

الشكل (2):

المركز الهندسي في الصورة الإشهارية.

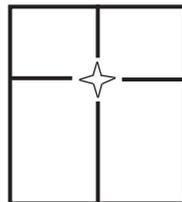


هو المركز الهندسي.

المصدر: حسن محمد خير الدين: الاتصالات التسويقية "الإعلان"، مكتبة عين شمس، القاهرة، مصر، بدون سنة نشر، ص: 213.

الشكل (3)

المركز البصري في الصورة الإشهارية.



هو المركز البصري.

المصدر: نفس المرجع السابق، ص: 214.

الأسس الفعالة للتصميم:

إن تحقيق أقصى فعالية ممكنة من الإشهارات الخارجية يقتضي على المصمم أن يأخذ بعين الاعتبار جملة من المتطلبات التي من شأنها أن تسهم في ترتيب العناصر أو المركبات التصميمية المكونة للإشهار الخارجي، حيث نذكرها في (النادي وآخرون، 2011، ص 235):

1. التوازن: أي توزيع العناصر على جوانب مركز المساحة المحددة بطريقة تجعل كل منها تحصل على نفس القدر من الاهتمام، إذ لا يشعر القارئ أو المتلقي أن هناك عنصراً أكثر أهمية أو جذباً من عنصر آخر؛ وعليه فإنه في العادة يوجد نوعين من المراكز هما: المركز الهندسي وهو النقطة التي تتوسط تماماً المساحة الإشهارية، والمركز البصري الذي يمثل النقطة الأعلى بقليل من المركز الهندسي بنسبة تجعل المساحة الإشهارية من الأعلى تمثل $8/3$ و من الأسفل $8/5$ من المساحة الإجمالية. ولمزيد من التوضيح فإنه يمكن عرض هذين المركزين من خلال التمثيلين المواليين:

كلي أو جزئي، أما التغيير فيحدث عن طريق تغيير عدد من العناصر مثل اللون، أو الحجم، أو الشكل أو المسافة، أو الفراغ، أو الموقع في التصميم بحيث يؤدي ذلك إلى درجة من درجات الاختلاف التي تكسر حاجز الرتابة، وتوجد في نفس الوقت درجات من الارتباط بين عناصر التصميم.

9. التناغم: أي جعل الصورة الإشهارية تتميز بالتوافق والاتساق وعدم التنافر بين عناصرها، إذ يتحقق ذلك بالملاءمة على اعتبار أن كل جزء من الإشهار يجب أن يكون ملائماً للكل؛ فعلى سبيل المثال إذا كانت الصورة الإشهارية تعرض الأثاث الكلاسيكي فيجب أن يكون الحرف المستخدم ملائماً، وأن تكون إضاءة الصورة كلاسيكية، والألوان المستخدمة توحى بالثراء والقيمة.

وفي إشارة، نستطيع أن نقول إلى أن التناغم هو نتاج للعديد من أسس التصميم السابقة فهو يعني الاستخدام الصحيح للتناغم والتوازن المدروس والتباين في غير إفراط.

الدراسات السابقة:

على الرغم من الندرة الحادة التي وجدناها أثناء البحث الدراسات التي اهتمت بالبحث في الآثار التي يمكن أن تخلفها العناصر التصميمية للوحة الإشهارية على انتباه المتلقين في المجتمع الجزائري، فقد وجدنا بعض الأدبيات التي تخدم دراستنا من الجانب المنهجي أو الموضوعي والتي يمكن الاستفادة منها. وعليه فإنه يمكن عرض أهمها وفقاً لترتيبها الزمني في التالي:

أولاً/ الدراسات العربية:

دراسة (موسى، 2000) بعنوان: "أثر عناصر تصميم الرسالة الإعلانية على فعالية الإعلان بالإنترنت".

هدفت هذه الدراسة إلى تحديد دور إعلانات اللافتات في الأنترنت عبر المراحل المختلفة لهيكل الاستجابات للتوصل إلى القيمة الحقيقية له قبل الضغط عليه للوصول إلى موقع المعين وذلك أيضاً في إطار دراسة مقارنة بين الشركات المصرية والأجنبية، كما سعت إلى تعرف تأثير العناصر المختلفة للرسالة الإعلانية على فعالية الإعلان في هذه الدراسة بمراحل هيكل الاستجابات كمقاييس عقلية بالإضافة إلى المقياس السلوكي المتمثل في الضغط على الشريط (معدل النفاذ). وخلصت الدراسة إلى وجود اتجاهات إيجابية من قبل كل من الشركات المصرية والصينية تجاه إعلانات الأنترنت بشكل عام، بالإضافة إلى الدور الهام الذي تلعبه إعلانات الأنترنت بالنسبة للشركات المصرية والصينية في مراحل الانتباه والاهتمام والتفضيل من هيكل الاستجابات مقارنة بالشركات الانجليزية والفرنسية والأمريكية أما بالنسبة لمرحلتى الإدراك والشراء فقد تبين عدم وجود فروق معنوية بين المجموعتين. كما أظهرت النتائج أهمية الدور الذي تلعبه الألوان في جميع مراحل هيكل الاستجابات بالنسبة لكافة الشركات.

دراسة (بوهدة، 2009) بعنوان: "فعالية الرسالة الإعلانية في التأثير على سلوك المستهلك النهائي".

سعت هذه الدراسة إلى الكشف عن تأثير الرسالة الإعلانية على السلوك الاستهلاكي للمستهلك النهائي، حيث أجريت الدراسة لحملة إعلانية على بطاقة الحظ لمؤسسة الاتصالات - موبيليس

2. التناسب: وهو يعني التناسق بين أشكال وعناصر الإشهار الخارجي من أجل تحقيق أفضل مركز بصري ممكن، فالتناسب في الألوان ضروري كما التناسب في الأشكال، والصورة الإشهارية الفعالة يجب أن تحقق تناسبا من حيث طولها وعرضها وبين الطول والعرض لكل العناصر الأخرى المكونة لهذه الأخيرة.

3. التتابع: ما يعني محاولة ابتكار طريق تتبعه العين لرؤية العناصر الإشهارية وفقاً لحركتها الطبيعية وذلك من أجل تحقيق الفعالية في جذب الانتباه وسهولة التعرض للإشهار، هذا ما يجرنا إلى ملاحظة أن اتجاه الحركة الطبيعية للعين عند التعرض للصورة الإشهارية من أعلى إلى أسفل ومن اليسار إلى اليمين أي على شكل حرف (Z) بالنسبة للدول الغربية، وعلى شكل حرف (S) بالنسبة للدول الناطقة باللغة العربية هذا ما يفرض على المصمم وضع العنصر الإشهارى المهم في نقطة بداية الإشهار، ثم يتم من خلاله توجيه البصر وفقاً للهدف الذي يريده المصمم.

4. التأكيد: بمعنى التركيز على العنصر الذي يمثل محور الصورة الإشهارية بالتالي وضعه في مركز الاهتمام إما عن طريق الكثافة اللونية أو المساحة أو الموقع من أجل السيطرة على باقي العناصر الأخرى المكونة للإشهار والتي تتحول بمجرد اتخاذ قرار الأولوية إلى عناصر داعمة تتفاعل معه من أجل إبرازه وليس منافسته.

5. الوحدة: أي جمع العناصر الإشهارية بطريقة تُكوّن علاقة ترابط، توافق، وانسجام بين هذه الأخيرة بحيث تصبح شيئاً واحداً، فالعناوين التي لا تقود إلى النصوص، والصور التي لا تتكامل مع الشعار تنتج إشهاراً منفصلاً وتفقدته؛ فالتصميم الفعال الذي يتسم بالوحدة يقود فيه كل عنصر إلى العنصر الآخر بما يؤدي إلى الشعور بالكتلة التي تستطيع التعرف عليها حين تصير كل العناصر أساسية.

6. البساطة: وهي أساس التصميم لأن العناصر الكثيرة المزدحمة وغير المنظمة تؤدي إلى تجزئة التصميم، وعموماً كلما قلت العناصر زاد تأثير المحتوى، وقاعدة الاستغناء هي القاعدة الأساسية لتحقيق البساطة، فأى عنصر لا يضيف إلى التصميم الإشهارى يجب حذفه حتى يقتصر الإشهار على العناصر الأساسية فقط القادرة على تحقيق الهدف الرئيسي دون تبديد طاقات الجمهور ومساحات الإشهار.

7. التباين: وهو ما يقصد به ذلك الاختلاف الذي يستخدم في عرض عناصر التصميم بصورة وظيفية تخدم الغرض منه إضافة إلى تحقيق هدف جذب الانتباه والتركيز على شيء محدد، ذلك أن اختلاف المساحات، والدرجات اللونية، ونسب الإضاءة، وطباعة الصورة الإشهارية بالأبيض والأسود في وسط إشهارى ملون أو العكس، واستخدام الحروف المائلة أو الحروف الأثقل وسط العادية، واستخدام الرسوم وسط الإشهارات المصورة كلها أشكال مختلفة تمثل التباين.

8. الترديد: أو كما يطلق عليه بالإيقاع وهو ذلك النوع من الحركة التي تستهدف إيجاد ارتباط خاص بين العناصر الإشهارية؛ إذ يوجد قاعدتان أساسيتان في الإيقاع هما قاعدتا التكرار والتغيير، ويحدث التكرار حين يتكرر أحد العناصر المرئية في التصميم بشكل

هدفت هذه الدراسة إلى كشف تأثير جاذبية الإعلان على اتجاهات المستهلكين نحو الإعلان واهتمامهم بعملية الشراء، حيث أجريت الدراسة على قطاع الاتصالات الخلوية، وتم اختيار خمس جامعات في شمال تايوان. وتوصلت الدراسة إلى أن الإعلان الجذاب له أثر إيجابي ومهم على اتجاهات الزبائن نحو الإعلان، وتأثير كل من الإعلان الجذاب والناطقين الإعلانيين الخبراء على كل من اتجاهات المستهلكين نحو الإعلان، وكذلك الإقبال على الشراء.

منهجية الدراسة:

منهج البحث المستخدم:

لقد تبنت الدراسة أسلوب البحث الوصفي وأسلوب البحث الميداني التحليلي.

أداة الدراسة:

صممت الباحثة استبانة متخصصة بغرض الحصول على البيانات الأولية المتعلقة بمشكلة الدراسة، وتضمنت الاستبانة 20 فقرة ضمن مقياس ليكرت الخماسي للخيارات المتعددة، الذي يحسب أوزان تلك الفقرات بطريقة خماسية، إضافة إلى البيانات الشخصية لعينة الدراسة.

صدق الأداة وثباتها:

قبل اعتماد مقياس الدراسة (الاستبيان)، وما تضمنه من أسئلة، فقد اختبرت جودة هذا المقياس الذي استخدم في جمع البيانات لملائمة لاختبار فرضيات الدراسة، لذا خضع المقياس لاختبار الصدق والثبات (Reliability & Validity) ويعرف الصدق بقدرة المقياس على قياس ما أعد لقياسه. أما الثبات فهو الدرجة التي يحقق فيها المقياس النتائج نفسها في حال تكرار الاختبار، ويقاس مدى تناسق فقرات المقياس وانسجامها (عدس، توق، 1998) وقد استخدم مقياس (كرونباخ ألفا) لقياس مدى ثبات أداة القياس، حيث بلغت قيمته $\alpha = 0.857$ ، وهي نسبة مقبولة لأغراض التحليل بحيث تجاوزت الحد الأدنى (60%) المتفق عليه للاعتمادية (Malhotra, 2007).

مجتمع وعينة الدراسة:

يتمثل مجتمع الدراسة الميدانية في جمهور المتلقين الجزائريين في 5 ولايات من الشمال الشرقي الجزائري موزعين على كل من: ولاية الطارف، عنابة، قالمة، قسنطينة، سوق أهراس، وولاية سكيكدة.

وعليه فقد تم اختيار عينة عشوائية من مجتمع الدراسة يقدر عددها بـ 800 مفردة، تم استجوابهم في الفترة الممتدة بين جهري جانفي وفيفري من سنة (2015).

إجراءات الدراسة:

وزعت الباحثة 800 استبانة على أفراد عينة الدراسة، بالاعتماد على الطريقة المباشرة وجها لوجه مع المبحوثين، وعن طريق الويب ومواقع التواصل الاجتماعي. وعليه فإن الجدول التالي يلخص نسبة الاستبانة المقبولة لغايات التحليل تطابقا مع ما تم توزيعه، استرداده وإلغاؤه.

الجزائر-، وقد خلص هذا البحث إلى أن الرسائل الاعلانية كانت فعالة في التأثير على البعدين الإدراكي والشعوري للمستهلكين النهائيين، وكانت أقل فعالية في التأثير على البعد السلوكي لدى هؤلاء، إذ كان لقوة عناصر الرسالة الإشهارية في لفت الانتباه دور مهم في إحداث هذا الأثر.

دراسة (خليل إسماعيل مجيد، 2011) بعنوان: "إشكالية الوحدة والتنوع في تصميم المطبوع (نماذج مختارة)".

سعت هذه الدراسة إلى الكشف عن سبل تحقيق الوحدة والتنوع في التصميم المطبوع وتشخيص هذه الإشكالية وتتجلى أهمية البحث في دراسة دور الوحدة والتنوع في تصميم المطبوع وتحقيقها من خلال النظام التصميمي وإمكانية تحقيقها من خلال التقنية التصميمية. وقد تحدد مجتمع البحث بالمطبوعات المتوفرة في مدينة بغداد 1999 - 2000 ولكبر مجتمع البحث وتنوعه تم اختيار عينة قصدية لنماذج مختارة اشتملت على (مطوية، تقويم جداري، دليل مطبوعات، غلاف عطر، إعلان مجلة، تقويم منضدي)، وتم أتباع المنهج الوصفي التحليلي في وصف العينة وتحليلها وفق استمارة تحديد المحاور، وعليه فقد خلصت الدراسة إلى تحقيق الوحدة التصميمية من خلال أتباع الأنظمة التصميمية المعتمدة على مخططات التوازن. بالإضافة إلى تنوع وعدم انسجام الإشكال المستخدمة في التصميم وظهورها بشكل مميز ومثير للقلق وتعدد الاتجاهات وتنوع توزيعها غير المنظم.

دراسة (الحجار، 2011) بعنوان: "أثر الاعلان التجاري على السلوك الشرائي لمستخدمي خدمات الهواتف الذكية المحمولة في مدينة عمان (دراسة ميدانية)".

هدفت هذه الدراسة إلى الكشف عن أثر الاعلان التجاري في السلوك الشرائي لمستخدمي خدمات الهواتف الذكية المحمولة في مدينة عمان. وفي ضوء ذلك قام الباحث بإجراء دراسة ميدانية على عينة مكونة من 244 مستجيبا؛ وقد أظهرت النتائج وجود أثر للإعلان التجاري من حيث وقت الإعلان ونوع الوسيلة الاعلانية المستخدمة مقارنة بكل من تصميم الاعلان ومحتوى الرسالة الاعلانية اللذان أظهرتا عدم التأثير على السلوك الشرائي للمستجيبين وذلك عند مستوى دلالة (0.05).

ثانيا/ الدراسات الأجنبية:

دراسة (Hairong & Bukovak, 1999) بعنوان: «Cognitive Impact of Banner Ad Characteristics: An Experimental Study»

هدفت هذه الدراسة إلى البحث في تأثير الرسوم المتحركة أو فعاليتها في الإعلان، إذ توصلت إلى النتائج التالية: تعطي إعلانات اللافتات التي تستخدم الرسوم المتحركة نتيجة أسرع وأفضل من الإعلانات التي لا تستخدم الرسوم المتحركة. - كلما كان حجم إعلانات اللافتات أكبر كلما زادت درجة الإدراك وكذلك الضغط عليها للوصول إلى موقع المعلن. - لا تؤثر اهتمامات مستخدم الإنترنت على استجابة المستخدم لإعلانات الإنترنت.

دراسة (Long - Yi Lin, 2011) بعنوان: «The impact of advertising appeals and advertising spokespersons on advertising attitudes and purchase intentions»

واعتمدت قيم معامل ارتباط بيرسون R بين كل متغير مستقل ومتغير تابع، إذ إن قيم P(Sig) لأي معامل ارتباط بين المتغير المستقل والمتغير التابع يقل عن مستوى الدلالة الخاص به ($P \leq 0.05$)، تعد العلاقة بينهما علاقة معنوية وذات دلالة إحصائية. كما اعتمد اختبار التباين ANOVA لحساب قيم (F) التي تقيس مستوى معنوية العلاقة بين المتغير التابع، ومجموع المتغيرات المستقلة التي تضمنها نموذج الانحدار المستخدم.

كما درست نتائج الإحصاء الوصفي فيما يتعلق بقيم الوسط الحسابي والانحراف المعياري لكل سؤال من أسئلة الاستبيان، علماً بأن متغيرات الدراسة قيست على مقياس ليكرت الخماسي لبيان درجة التأثير، وقد قسمت الدرجات إلى (5) فئات:

الدرجة (1) منخفض جداً، (2) منخفض، (3) متوسط، (4) مرتفع، (5) مرتفع جداً. وتشكل ما مجموعه 15 درجة، وبالتالي فإن المتوسط = $(5 / 15) = 3$.

وتنص القاعدة الإحصائية على قبول الفرضية العدمية في حال كان الوسط الحسابي لكل مفردة أقل من (3)، وترفض الفرضية العدمية في حال كان الوسط الحسابي لكل مفردة يزيد عن (3).
الفرضية الرئيسية الأولى:

H_0 : لا توجد علاقة ذات دلالة إحصائية لكل من المكونات المرئية (بجميع عناصرها) وإثارة انتباه المتلقين الجزائريين.

H_1 : توجد علاقة ذات دلالة إحصائية لكل من المكونات المرئية (بجميع عناصرها) وإثارة انتباه المتلقين الجزائريين.

الجدول (4)

المتوسط الحسابي والانحراف المعياري لجميع فقرات المكونات المرئية

الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	الفقرة
1.29	3.18	1 شكل الهاتف الموجود في اللوحة الإشهارية
1.20	3.13	2 نوع شريحة الهاتف النقال
1.35	3.47	3 الألوان المستعملة في اللوحة الإشهارية

بينت نتائج تحليل الإحصاء الوصفي الواردة في الجدول موافقة المستجوبين على أهمية المكونات المرئية باعتبارها مؤثراً في جذب انتباه المتلقين الجزائريين نحو اللوحة الإشهارية، وقد تراوحت المتوسطات الحسابية لمجال مكونات المكونات المرئية ما بين (3.13 و 3.47)، فكان أعلاها للفقرة رقم (3) التي تنص على الألوان المستعملة في اللوحة الإشهارية وأدناها للفقرة رقم (2) التي تبين نوع شريحة الهاتف النقال وذلك بانحراف معياري يقدر بـ: 1.20 و 1.35 على التوالي.

ومن أجل اختبار الفرضية الأولى فقد طبق تحليل الانحدار (Regression Analysis) كما هو مبين في الجدول (5).

الجدول (1)

الاستبيانات الموزعة، المستردة، والملغاة

مجتمع الدراسة	الاستبيانات الموزعة	الاستبيانات المستردة	الاستبيانات الملغاة	الاستبيانات المقبولة للبحث
الطارف	143	140	17	123
عنابة	284	279	4	275
قالمة	105	100	8	92
قسنطينة	67	64	1	63
سوق أمهراس	89	78	12	66
سكيكدة	112	103	10	93
المجموع	800	764	52	712

وصف خصائص عينة الدراسة:

الجدول (2)

توزيع عينة الدراسة تبعاً للجنس

الجنس	أنثى	ذكر	المجموع
التكرار	328	384	712
النسبة المئوية	46.1%	53.9%	100%

الجدول (3)

توزيع عينة الدراسة تبعاً للمؤهل العلمي

المؤهل العلمي	ابتدائي	متوسط	ثانوي	جامعي	دراسات عليا	المجموع
التكرار	49	43	148	371	101	712
النسبة	6.8%	6%	21%	52%	14.2%	100%

اختبار فرضيات الدراسة:

لاختبار فرضيات الدراسة اعتمد اختبار الانحدار المتعدد لحساب قيم (t) التي تقيس إمكانية وجود علاقة تأثيرية بين متغيرين مستقلين أو أكثر في المتغير التابع ذي العلاقة بالفرضية موضوع الاختبار، ويقوم هذا الاختبار على الصيغة التالية للفرضية العدمية والفرضية البديلة:

♦ لا توجد علاقة خطية بين أحد المتغيرات المستقلة والمتغير التابع

$$H_0 : B_1=B_2=.....=B_j=0$$

♦ توجد علاقة خطية بين أحد المتغيرات المستقلة على الأقل والمتغير التابع

$$H_1=At\ least\ one\ B_j\neq 0$$

وتنص القاعدة الإحصائية لهذا الاختبار على أن الفرضية العدمية H_0 ترفض في حال أن قيم P(Sig) لأي معامل ارتباط بين المتغير المستقل والمتغير التابع، يقل عن مستوى المعنوية الخاص به 0.05، تعد العلاقة بينهما وذات دلالة إحصائية:

$$\text{If } Sig \leq \alpha \rightarrow \text{Re ject } H_0, \text{ Where as } P(Sig) \leq 0.05$$

الجدول (5)

م. المستقلة	B	الخطأ.م	β	t	Sig	النتيجة
شكل الهاتف الموجود في اللوحة الإشارية	0.282	0.030	0.328	9.261	0.000	رفض الفرضية العدمية
نوع شريحة الهاتف النقال	0.141	0.032	0.125	4.373	0.000	رفض الفرضية العدمية
الألوان المستعملة في اللوحة الإشارية	0.207	0.028	0.252	7.508	0.000	رفض الفرضية العدمية

ذات دلالة احصائية عند مستوى دلالة أقل أو يساوي 0.05 (R² = 0.313)
(R = 0.098)

من خلال معطيات الجدول نلاحظ بأن كل من المتغيرات المرئية الموجودة في اللوحة الإشارية محل الدراسة تمارس تأثيرا على إثارة الانتباه لدى المتلقين الجزائريين بديل انخفاض مستويات دلالتها عن مستوى الدلالة الإحصائية 0.05 حيث سجلت ما مقداره 0.000 في جميع المتغيرات المستقلة، ما يؤدي بالضرورة إلى رفض الفرضية العدمية بالتالي فإن هناك علاقة ذات دلالة احصائية لكل من المكونات المرئية للوحة الإشارية وإثارة الانتباه لدى المتلقين الجزائريين وهذا كما تنص عليه الفرضية البديلة H₁.

الفرضية الرئيسية الثانية:

H₀: لا توجد علاقة ذات دلالة إحصائية لكل من المكونات اللفظية (بجميع عناصرها) وإثارة انتباه المتلقين الجزائريين.
H₁: توجد علاقة ذات دلالة إحصائية لكل من المكونات اللفظية (بجميع عناصرها) وإثارة انتباه المتلقين الجزائريين.

الجدول (6)

المتوسط الحسابي والانحراف المعياري لجميع فقرات المكونات اللفظية

الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
1 الشعار الإشاري: + 3g رقم واحد من حيث عدد المشتركين	3.38	1.16
2 محتوى النص الإشاري في اللوحة الإشارية	3.01	1.25

بينت نتائج تحليل الإحصاء الوصفي الواردة في الجدول موافقة المستجوبين على أهمية المكونات اللفظية باعتبارها مؤثرا في جذب انتباه المتلقين الجزائريين نحو اللوحة الإشارية، وقد تراوحت المتوسطات الحسابية لمجال مكونات المكونات اللفظية ما بين (3.01 و 3.38)، فكان أعلاها للفقرة رقم (2) التي تنص على محتوى النص الإشاري في اللوحة الإشارية وأدناها للفقرة رقم (1) التي تبين الشعار الإشاري وذلك بانحراف معياري يقدر بـ: 1.25 و 1.16 على التوالي.

ومن أجل اختبار الفرضية الأولى فقد طبق تحليل الانحدار (Regression Analysis) كما هو مبين في الجدول (7).

الجدول (7)

م. المستقلة	B	الخطأ.م	β	t	Sig	النتيجة
الشعار الإشاري: + 3g رقم واحد من حيث عدد المشتركين	0.282	0.030	0.328	9.261	0.000	رفض الفرضية العدمية
محتوى النص الإشاري في اللوحة الإشارية	0.141	0.032	0.125	4.373	0.000	رفض الفرضية العدمية

ذات دلالة احصائية عند مستوى دلالة أقل أو يساوي 0.05 (R = 0.605)
(R² = 0.366)

من خلال معطيات الجدول نلاحظ بأن كل من المتغيرات اللفظية الموجودة في اللوحة الإشارية محل الدراسة تمارس تأثيرا على إثارة الانتباه لدى المتلقين الجزائريين بديل انخفاض مستويات دلالتها عن مستوى الدلالة الإحصائية 0.05 حيث سجلت ما مقداره 0.000 في جميع المتغيرات المستقلة، ما يؤدي بالضرورة إلى رفض الفرضية العدمية بالتالي فإن هناك علاقة ذات دلالة احصائية لكل من المكونات اللفظية للوحة الإشارية وإثارة الانتباه لدى المتلقين الجزائريين وهذا كما تنص عليه الفرضية البديلة H₁.

وقد أُجري اختبار الانحدار المتعدد لمتغيرات الدراسة المستقلة، وأثرها على المتغير التابع كما هو مبين في الجدول (8).

الجدول (8)

تحليل الانحدار المتعدد لمتغيرات الدراسة.

Model	Sum of Squares	df	Mean Square	F	Sig
Regression	381.438	5	76.288	106.177	0.000
Residual	507.257	706	0.718		
Total	888.695	711			

نلاحظ من الجدول (8) أن قيمة F المحسوبة وبالبالغة 106.177 ذات دلالة إحصائية عند مستوى معنوية (0.000)، مما يدل على وجود علاقة تأثيرية بين المتغيرات المستقلة مجتمعة والمتغير التابع، وتبلغ قوة العلاقة (R=0.429).

تحليل ومناقشة نتائج الدراسة:

من خلال هذه الدراسة التي حاولنا عبر مختلف محاورها الخوض في دراسة ميدانية تتعلق بإحدى اللوحات الإشارية لمؤسسة موبيليس الجزائر، وبالاعتماد على نتائج الاختبار الإحصائي لفرضيات هذه الأخيرة من أجل معرفة مدى تأثير المكونات التصميمية للوحة الإشارية في جذب انتباه المتلقين الجزائريين؛ فإنه أمكننا التوصل إلى عدد من النتائج تسمح لنا بالإجابة عن أسئلة هذه الدراسة المنبثقة من عناصر مشكلتها. وعليه فإنه يمكن إيضاحها على النحو الآتي:

السؤال الأول: ما العلاقة بين المكونات المرئية للوحة الإشارية، وجذب الانتباه لدى المتلقين الجزائريين؟ أفادت نتائج الدراسة على أن هناك علاقة ارتباط معنوية بين المكونات المرئية

نوع من الإيحاء بالحركة داخل اللوحة الإشهارية ما يجعلها مثيرة للانتباه.

● ضرورة إيجاد الارتباط المنطقي بين العناصر اللفظية المكونة للوحة الإشهارية وذلك في إطار فكري، منطقي وقابل للتصديق، وبطريقة مختصرة أي محددة ونافذة مباشرة إلى قلب الفكرة الإشهارية باستخدام لغة بسيطة وموحية تحمل في صياغتها اللغوية نوع من الإيقاع بطريقة تجعلها فعالة في إثارة انتباه المتلقين.

● اعتماد الأساليب الحديثة في تصاميم اللوحات الإشهارية لأن الأساليب الحالية تفتقر إلى التكنولوجيا، وبالأخص التوجه نحو تصميم لوحات ثلاثية الأبعاد ما يسمح بتحقيق إثارة انتباه قصوى لدى المتلقين والتميز عن المنافسين.

وفي الأخير أقر بأن البحث في التصميم الإشهاري يعد إحدى المجالات الخصبة والغنية من الناحية المعرفية والتطبيقية، لذلك لا يمكن الادعاء بإمكانية تغطيته في بحث أو دراسة واحدة نظرا لأهميته كموضوع حديث نظري وعملي على حد سواء، وعليه انطلاقا من نتائج الدراسة يمكن عرض عدد من الاقتراحات تصلح لدراسات أخرى وتكون مكملة للبحث بين أيدينا نذكرها في:

◆ دراسة متغيرات أخرى لم يتضمنها نموذج الدراسة مثل: دعائم عرض اللوحات الإشهارية، البعد الابتكاري للإشهار، مراحل اتخاذ قرار الشراء لدى المتلقين.

◆ البحث في أنماط وملامح الوضع الراهن للوحات الإشهارية كونها أضحت إحدى الدعائم الشائعة الاستعمال في الجزائر والدول العربية بشكل عام.

◆ البحث في المكونات التصميمية لأنواع الأخرى للإشهار ودراسة مدى فعاليتها في التأثير على جمهور المتلقين.

المصادر والمراجع:

أولاً- المراجع العربية:

1. إسماعيل محمد السيد، الإعلان، (مصر، المكتب العربي الحديث، 2006)، المجلد الأول.
2. بشير عباس العلاق، علي محمد ربابعة، الترويج والإعلان التجاري، (عمان، دار اليازوري، 2007).
3. حسن محمد خير الدين، الاتصالات التسويقية-الإعلان-، (مصر، مكتبة عين شمس، بدون سنة نشر).
4. ديمة الشاعر، التأثير بالآخرين والعلاقات العامة، بحث مقدم لنيل درجة ببلوم في العلاقات العامة، انظر: http://sia-sy.net/sia/files/gradu-ation_projects/pr/Influence_others_and_Public_Relations.pdf
5. ممزي العربي، التصميم الجرافيكي، انظر: <https://dia107.files.wordpress.com/2010/04/643graphicdesign.pdf>
6. السيد بهنسي، ابتكار الأفكار الاعلانية، (مصر، عالم الكتاب، الطبعة الأولى، 2007).
7. شذوان علي شيبه، الإشهار-المدخل والنظرية -، (مصر، دار المعرفة

التي تحتوي عليها اللوحة الإشهارية لمؤسسة موبيليس وجذب الانتباه لدى المتلقين الجزائريين. حيث يتبين من نتائج تحليل الانحدار المتعدد ووفقا لمعاملات (β) و (t) أن أبعاد المتغير المستقل المتمثلة في شكل الهاتف الموجود في اللوحة الإشهارية، نوع شريحة الهاتف النقال، والألوان المستعملة في اللوحة الإشهارية تمارس أثرا على انتباه المتلقين الجزائريين بدليل ارتفاع معاملات β والتي كانت على التوالي 0.328، 0.125، 0.252 وبقيم احتمالية تقدر بـ 0.000 وهي أقل من مستوى الدلالة. كما احتل متغير المكونات المرئية اعتمادا على قيمة معامل التحديد المقدر بـ 0.313 المرتبة الثانية من حيث الأهمية النسبية مقارنة بالمكونات اللفظية.

◀ السؤال الثاني: ما العلاقة بين المكونات اللفظية للوحة الإشهارية، وجذب الانتباه لدى المتلقين الجزائريين؟ أفادت نتائج الدراسة على أن هناك علاقة ارتباط معنوية بين المكونات اللفظية التي تحتوي عليها اللوحة الإشهارية لمؤسسة موبيليس وجذب الانتباه لدى المتلقين الجزائريين. وعبیه فقد أشارت نتائج تحليل الانحدار المتعدد ووفقا لمعاملات (β) و (t) أن بُعدي المتغير المستقل المتمثلين في الشعار الإشهاري: + 3g رقم واحد من حيث عدد المشتركين ومحتوى النص الإشهاري في اللوحة الإشهارية تمارس أثرا على انتباه المتلقين الجزائريين كما هو مبين في نتائج معاملات β التي قُدرت على التوالي بـ 0.328، 0.125، 0.252 وبقيم احتمالية تقدر بـ 0.000 وهي أقل من مستوى الدلالة. حيث احتل متغير المكونات اللفظية اعتمادا على قيمة معامل التحديد المقدر بـ 0.366 المرتبة الأولى من حيث الأهمية النسبية ما يدل على فعالية هذه الأخيرة كونها تركز على الاهتمامات الشخصية للمتلقين وتعتمد في تحريرها على الاختصار في الكلمات والتركيز على توضيح السعر بحجم كبير بالتالي لفت الانتباه للمتلقين في ظل المؤثرات الأخرى التي يتعرض لها هؤلاء كون اللوحات الإشهارية تعرض في الأماكن العامة وفي الطرقات.

التوصيات العامة للدراسة:

في ضوء النتائج التي تمخض عنها البحث، فإنه يمكننا أن نقترح مجموعة من التوصيات التي من شأنها أن تساعد المؤسسة محل البحث والوكالات الإشهارية في زيادة وتعزيز الدور الذي تؤديه المكونات التصميمية للوحة الإشهارية في جذب انتباه المتلقين الجزائريين، حيث تتجلى هذه التوصيات في النقاط التالية:

● الاعتماد على خبراء ورجال متخصصين في القيام بهذه المهمة أي تصميم اللوحات الإشهارية والتي تحتاج إلى دراسة وممارسة وخبرة عالية لتحقيق النجاح المرغوب وتسهيل استيعاب المتلقين الفكرة البيعية للوحة الإشهارية مستقبلا.

● ضرورة المفاضلة بين الفكرة الإشهارية والطبيعة اللونية المراد تطبيقها في التصميم، كون استخدام الألوان المناسبة من شأنه أن يؤدي إلى خلق جو معين -للمنتج موضوع الإشهار- يسهم في جلب الانتباه وإحداث تأثيرات نفسية على المتلقي نظرا لما تحمله الألوان من دلالات ومعاني ترمز لها.

● العمل على تحقيق التباين اللوني في تصميم اللوحة الإشهارية ما يساعد كل لون على إبراز اللون الآخر بالتالي خلق

الجامعية، 2005).

8. عدس عبد الرحمن، وتوق محي الدين، المدخل في علم النفس، (عمان، دار الفكر للطباعة والنشر، 1998).
9. عيسى محمود الحسن، الترويج التجاري للسلع والخدمات، (عمان، دار زهران للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2010).
10. نور الدين أحمد النادي، الإعلان التقليدي والالكتروني، (عمان، مكتبة المجتمع العربي، الطبعة الأولى، 2011).
11. الحجار محمد بركات، أثر الاعلان التجاري على السلوك الشرائي لمستخدمي خدمات الهواتف الذكية المحمولة في مدينة عمان (دراسة ميدانية)، رسالة ماجستير في إدارة الأعمال، أنظر الموقع: <http://elibrary.medi.u.edu.my/books/2014/MEDIU5916.pdf>
12. بوهدة محمد، فعالية الرسالة الاعلانية في التأثير على سلوك المستهلك النهائي، (رسالة ماجستير في العلوم الاقتصادية، جامعة أمحمد بوقرة بومرداس، الجزائر، 2009).
13. خليل إسماعيل مجيد نادية، إشكالية الوحدة والتنوع في تصميم المطبوع، (مجلة جامعة بابل، سلسلة (أ) العلوم الإنسانية، المجلد 19، العدد 4، كانون الأول 2011).
14. موسى غادة، أثر عناصر تصميم الرسالة الاعلانية على فعالية الاعلان بالانترنت، (رسالة ماجستير، كلية التجارة، جامعة القاهرة، 2000).

ثانياً المراجع الأجنبية:

1. Hairong Li, Bukovac Janice L : *Cognitive Impact of Banner Ad Characteristics: An Experimental Study*, (Journalism & Mass Communication Quarterly, vol. 76, June 1999).
2. Henri Joannis : *De l'étude de motivation à la création publicitaire et à la promotion de ventes*, 4ème Edition, Dunod, Paris, France, 1983(4).
3. Henri Joannis : *De la Stratégie Marketing à la Création Publicitaire*, 3ème Edition, Dunod, Paris, France, 2010(6).
4. Long-Yi Lin, *The impact of advertising appeals and advertising spokespersons on advertising attitudes and purchase intentions*, (African Journal of Business Management, Vol. 5(21), September 2011) 8.
5. Naresh K.Malhotra: *Marketing Research :An applied orientatio*,(5th Edition, Prentice Hall, New Jersey, USA,2007)

العلة النحويّة بين القدماء والمحدثين *

د. جمال نمر رباح **

* تاريخ التسليم: 2015/4/12م، تاريخ القبول: 2015/6/10م.
** أستاذ مساعد/ جامعة القدس المفتوحة/ فلسطين.

ملخص:

تتناول هذه الدراسة العلة النحوية بين القدماء والمحدثين مسلطة الضوء على المفهوم اللغوي والاصطلاح للعلة، متحدثة عن العلة عند النحاة والمناطق والفقهاء، مركزة على مفهوم العلة في النحو وأبرز من تكلم فيها في القديم والحديث موضحة أنواعها مقترنة بالأمثلة والشواهد الدالة عليها، ومواقف النحاة الأقدمين والمحدثين منها.

الكلمات المفتاحية: العلة، النحوية، القدماء، المحدثين.

The Syntactic reasoning among old and modern grammarians**Abstract:**

The aim of this study is to identify the syntactic reasoning among old and modern grammarians throwing some light on the linguistic and the terminology concept and this study handled the reasons among grammarians, logic scientists and religious people concentrating on the reason in syntax and those who talked about these reasons in the past and in the present time identifying the kinds of these reasons with examples and witnesses that indicate these reasons and the grammarians positions both the old and the modern ones.

Key words: Reasoning, syntactic, old, modern

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين حمدا يليق بجلال قدره وعظيم سلطانه كما يحب ربنا ويرضى، وصلى الله على سيدنا محمد أتم بريته خلقا وفضلا، المعلم الأول وعلى آله وصحبه وسلم وبعد: فإن العرب تكلموا بلغتهم على السجية والسليقة يعون مواقع كلمهم، وتقوم في عقولهم أبنيتهم، من غير تقنين أو تعقيد أو أصول مقررة من قبل، ولما كانت اللغة هي الوسيلة الطبيعية في التعبير عما يجول في خواطرهم من أفكار وعواطف وانفعالات، ولما كانت طبيعة البشر تسأل دائما عن أساليب لغتها من حيث تفاوت درجات بلاغتها ومعاني مفرداتها من حيث ارتباطها بدلائل الإعراب، وبخاصة بعد أن وقع اللحن في كلامهم وانتشر في لهجاتهم، إلى أن وصل القرآن الكريم خطره، دفعهم ذلك إلى دراسة لغتهم واستقراء نماذجها وتقييدها فبادروا لوضع القواعد النحوية، بدأ المشوار بأبي الأسود الدؤلي، بأمر من الإمام علي كرم الله وجهه، وخلفه الخليل بن أحمد وتلميذه سيبويه وتلاميذه الآخرون من بعده، ولقد كانت العلة النحوية سارية على السنة الرعيل الأول من النحاة، وقد فتح الخليل الباب أمام النحاة واللغويين، حيث سئل عن العلة النحوية: أخذها عن العرب أم من عند نفسه؟ فقال: ((إن العرب نطقت على سجيتها وطباعها، وعرفت مواقع كلامها وقام في عقولها علله، وإن لم يُنقل ذلك عنها، واعتلت

أنا بما عندي إنه علة لما علته منه فإن أكن أصبت العلة فهو الذي التمسست، وإن تكن هناك علة له فمثلي في ذلك مثل رجل حكيم... فإن سنح لغيري علة لما علته من النحو هو أليق مما ذكرته بالمعلول فليات بها⁽¹⁾، ومع صحبتي لكتب النحو خلال دراستي الجامعية الأولى والثانية واطلاعي على قواعد العربية، وكيف تعامل معها سلفنا الصالح من النحاة الأقدمين والمحدثين؟ لفت نظري التعليل النحوي وكيف كان للتعليل دور مهم في بناء القاعدة النحوية، وكيف كان الاختلاف بين النحاة وتباين مواقفهم من التعليل بالرضا والرفض، والقبول والرد وتبعهم بذلك أساتذتنا المحدثون في التعاطي مع نظرية النحو وقوانينها وقواعدها وأسسها. كانت العلة النحوية وأثرها في نشوء الآراء الإعرابية وتعددتها حاضرة في ذهني، فما العلة النحوية؟ ومتى نشأت؟ وما أنواعها؟ وآلياتها؟ وهل معرفة العلة النحوية ضرورية لمعرفة النحو العربي؟ ألم تعدد العلة النحوية النحو وبخاصة العلة الثواني والثالث؟ وهل هي ضرورية للمتعلم؟ وعليه فقد عزم الباحث على أن يجيب على عدد من الأسئلة التي تدور في خلده وخذ الحريصين على هذه اللغة من التفكك والضياع في حدود هذا البحث تحت عنوان:

(العلة النحوية بين القدماء والمحدثين).

العلة النحوية:

قبل الحديث عن العلة النحوية بوصفها مصطلحا تناوله النحاة، لا بد من الحديث عن العلة في اللغة، ففي لسان العرب في مادة «علل» -علل- يعلل- تعليلا- علل الشيء بين علته وأثبتته بالدليل وعلل الشيء سببه، فالعلة في اللغة السبب. وهي الحدث يشغل صاحبه عن حاجته، كأن تلك العلة صارت شغلا ثانيا عن شغله الأول⁽²⁾ وهي السبب، وفي حديث عائشة رضي الله عنها: فكان عبد الرحمن يضرب رجلي بعلة الراحلة أي بسببها وهذه علته: سببه⁽³⁾.

واستخراج علة الحكم تتطلب التدبر وكثرة المعاودة، فهي مشابهة لعلمهم في إبلهم، قالوا: عللت الناقة إذا حلبتها ثم رفقت بها ساعة لتفريق، ثم حلبتها، فتلك المعاللة والعلال⁽⁴⁾.

والعلة عند أهل المناظرة والفلاسفة العلة من كل شيء سببه والجمع عللات وعلل، وعند الفلاسفة كل ما يصدر عنه أمر آخر بالاستقلال أو بواسطة انضمام غيره إليه علة لذلك الأمر والمعول له، وهي علة فاعلية، أو مادية أو صورية أو غائية، وجاء في معنى التعليل عند أهل المناظرة: تبين علة الشيء والتعليل: ما يستدل به من العلة على المعلول والفعل منه علل وجاء في معناه: علل الشيء بين علته وأثبتته بالدليل⁽⁵⁾.

أما العلة في الفقه، فيطلق اللفظ بإزاء مفهومين الأول: الحكمة الباعثة على تشريع الحكم، وهي مصلحة يطلب جلبها أو تكميلها، ومفسدة يطلب درؤها أو تقليدها، ولما كان المراد بالعلة تعريف الحكم، والمعروف لا بد أن يكون ظاهرا منضبطا، وكثير من هذه الحكم قد يكون خفيا، وقد يكون منضبطا فلا يصلح أن يكون معروفا، مست الضرورة إلى اعتبار شيء آخر للتعريف يكون وجوده مظنة لوجود تلك الحكمة وهي المفهوم الثاني لكلمة علة فتكون الوصف للظاهر المنضبط الذي يكون مظنة وجود الحكمة⁽⁶⁾.

أما في الاصطلاح، فهي دليل على الحكم النحوي بوصفها أحد

وأما العلل الجدلية النظرية، فكل ما يعتل به في باب (إن) بعد هذا، مثل أن يقال لك:

فمن أي جهة شابته هذه الحروف الأفعال؟ وبأي الأفعال شبهتموها؟ أبالماضية أم المستقبلية؟ أم الحادثة بالحال؟ وحين شبهتموها بالأفعال لأي شيء عدلتم بها إلى ما قدم مفعوله على فاعله؟ وهلا شبهتموها بما قدم فاعله على مفعوله لأنه هو الأصل وذلك الفرع؟ أي علة دعت إلى إلحاقها بالفرع

دون الأصل؟ إلى غير ذلك من الأسئلة، فكل شيء اعتل به عن هذه المسائل داخل في العلل الجدلية (14).

وبين ابن جني في كتابه (الخصائص) الفرق بين علل النحو وعلل الفقه، وذلك بأن علل النحويين أقرب إلى علل المتكلمين، منها إلى علل المتفقيين، إذ يقول: "اعلم إن علل النحويين، وأعني بذلك حذاقهم المتقنين لا أفافهم المستضعفين، أقرب إلى علل المتكلمين منها إلى علل المتفقيين وذلك أنهم إنما يحيلون على الحس، ويحتجون فيه بثقل الحال أو خفتها على النفس، وليس كذلك حديث علل الفقه؛ إنما هي أعلام وإمارات لوقوع الأحكام وكثير منها لا يظهر فيه وجه الحكمة، كالأحكام التعبدية، بخلاف النحو، فإنه كله أو غالبه مما تدرك علته وتظهر حكمته (15).

ومختصر العلة في النحو أنها كانت عند سيبويه ومن عاصره وسبقه مستمدة من روح اللغة معتمدة على كثرة الشواهد من حيث الدليل والبرهان وعلى الفطرة والحس من حيث طبيعتها، ولم تكن ذات طبيعة فلسفية، وإن كانت فكرتها في الأصل مقتبسة من التفكير الفلسفي، إن الخليل وصحبه اعتقدوا بسلامة ذوق العربي وروعة حكمته، فهجموا بظنهم على موطن العلة محاولين انتزاعها وتوضيحها وكان أسلوبهم أقرب إلى الجزم والتقريب منه إلى الجدل والتأويل، حتى جاءت طبقة أفردت للعلة كتباً خاصة بها فألف قطرب المتوفى سنة 206 هـ كتاب (العلل في النحو) وألف المازني المتوفى سنة 248 هـ (كتاب علل النحو) فلم يبلغ القرن الثالث نهايته حتى كانت علل النحو موضوعاً ذا قيمة ترمقه أنظار النحاة، ويكتبون فيه ويتخذون منه وسيلة امتحان واختبار (16).

وقد استفحل أمر العلة في القرنين الثالث والرابع الهجريين، ومما ساعد على ذلك امتزاج النحو بالمنطق آنذاك، وتبين ذلك واضحا عند الرماني من علماء القرن الرابع حتى قال أبو علي الفارسي: إن كان النحو ما يقوله الرماني فليس معنا منه شيء، وإن كان النحو ما نقوله نحن فليس معه منه شيء.

وبين الخليل والرماني يأتي الفراء الذي عني بالتعليل، ومن أعلام القرن الثالث المبرد الذي يعد العلة رديف الحكم النحوي لا تفارقه، وكان شديد الاهتمام بالتعليل يتخذ منه سلاحاً للمناقشة والبحث، أشهره في مناقشاته مع الزجاجي ومن معه من حلقة ثعلب. كما وقف في وجه سيبويه لأنه قبل قول الخليل خالياً من التعليل. واستفحلت العلة النحوية في القرن الرابع الهجري، حيث ترجم منطق أرسطو، فقد تأثر النحاة بمنطق الحسية، الذي اعتمد عليه أرسطو، إذ حاول المناطق أن يجعلوا لكل حكم أو قاعدة علة، وذلك نوع العلة وأقحمها في كل ضرب من ضروب الكلام، قال السيوطي نقلاً عن أبي عبد الله الحسن بن موسى الدينوري في كتابه (ثمار الصناعة): اعتلالات النحويين صنفان: علة تطرد على كلام العرب

أركان القياس الأربعة: الأصل والفرع والعلّة والحكم (7).

والعلّة النحوية هي الركن الثالث من أركان القياس الأربعة، ويقصد بها العلاقة الجامعة بين المقيس عليه والتي لأجلها أعطي المقيس حكم المقيس عليه، والعلّة الجامعة هي ما يراه النحاة من أشياء يستحق بها المقيس حكم المقيس عليه، وهي الصلة أو المميز التي من أجلها أعطي المقيس الحكم الذي في المقيس عليه (8). وهي في اعتقادي الجواب عن الحكم الإعرابي رفعا ونصبا وجرا وجزما. ولقد امتد التأليف في العلة النحوية منذ نشأة علم النحو على أيدي الرعيل الأول على يدي عبد الله بن أبي إسحق، وعيسى بن عمر، وأبي عمرو بن العلاء، والخليل، وبرزت في زمن سيبويه إلى قرننا هذا إلا

أن مناهج البحث فيها قد تنوعت وتنوع الحديث عنها، فبدأ التعليل عفويا فطريا مختلطا بغيره من العلوم إلى أن تثبتت جذوره في الأرض واستقل عن غيره وأصبح قائما بذاته وذلك لحاجة العرب إلى تعليم أبنائهم أصول لغتهم وقواعدها. وكان من الطبيعي أن يسأل عن السبب الذي يقف وراء كل حكم من الأحكام وكل قاعدة من القواعد وكل قياس من الأقيسة التي وضعها النحاة، وكانت العلة في بداية التعليل بسيطة تناسب مستوى التلاميذ التي يسألون عنها، إلى أن قامت المذاهب النحوية وبدأت الاختلافات والمؤاخذات النحوية تنشب بين المدرستين، وبين علماء وزعماء كل مدرسة وأخرى، وذلك لما تحتاجه كل مدرسة للدفاع عن وجهة نظرها.

ومما تقدم يمكن لنا أن نرصد ثلاثة أنواع من العلل وهي:

1. العلة المنطقية أو الكلامية: وهي علة غائية في طبيعتها يكشف بها عن تلازم عقلي بينها وبين المعلول، فهي علاقة معية ومصاحبة (9).

2. العلة الفقهية، وهي علة تعبدية تكشف عن الصالح العام أو المصالح المرسله، وتسبق في الوجود من المعلول (10).

3. العلة النحوية، فهي علة حسية تكشف عن نتيجة الاستقراء، وهي ضرورية في بعض الحالات وتلحق معلولها في الوجود (11).

أما العلة النحوية فقد ذكر لها الزجاجي في كتابه (الإيضاح في علل النحو) (12)، ثلاثة أنواع هي:

1. العلل التعليمية: وهي التي يتوصل بها إلى تعلم كلام العرب.

2. العلل القياسية: وهي الأجوبة الثانية في أحكام الإعراب والبناء وتسمى أيضا بعلّة العلة، وهي ما يسميها الدينوري (6) بالعلّة الحكمية، وكأنها علل تظهر حكمة العرب عن طرق كشف صحة أغراضهم.

3. العلل الجدلية النظرية: وهي الأجوبة الثالثة في أحكام البناء والإعراب وتسمى أيضا بعلّة علة العلة.

"كأن يقال: لم نصّب زيد ب (إن) في قوله: (إن زيدا قائم)؟ ولم وجب أن تنصب (إن) الاسم؟ والجواب في ذلك أن نقول: لأنها وأخواتها ضارعت الفعل المتعدي إلى مفعول، فحملت عليه وأعملت إعماله لما ضارعت، فالمنصوب بها مشبه بالمفعول لفظاً فهي تشبه من الأفعال ما قدم مفعوله على فاعله نحو: ضرب أخاك محمد، وما أشبه ذلك (13).

النحوية ما ذكر لها النحاة أكثر من علة فيما يعرف بالعلل الأول والثواني والثالث ما جعل الدراسات النحوية أكثر تعقيدا، وينظر إلى علم النحو نظرة مليئة بالنفور والاشمئزاز.. حتى إن الشعراء أنفسهم وجهوا كثيرا من النقد المرّ اللاذع للنحاة الذين كانوا يعترضون على أشعارهم لمخالفتها بعض أقيستهم.

فهذا الشاعر عمار الكلبى قد عيب عليه بيت من الشعر، فامتعض لذلك فقال: (البسيط)

قياس نحوهم هذا الذي ابتدعوا
بيت خلاف الذي قاسوه أو ذرعوا
وذاك خفض، وهذا ليس يرتفع
وبين قوم على إعرابهم طبعوا
ما تعرفون، وما لم تعرفوا فدعوا⁽¹⁹⁾

يحتاج إليه المتعلم أو المعلم، ونفوا النوع الآخر الذي لا صلة له بعملية التعلم والاكساب فالعلة المقبولة هي العلة الأول.

ويفسر ابن جني ما يقصده ابن السراج من (علّة العلة) إذ يروي عن الزجاج: قال أبو إسحق في رفع الفاعل ونصب المفعول: إنما فعل ذلك للفرق بينهما، ثم سأل نفسه فقال: فإن قيل فهلاً عكست الحال فكانت فرقا أيضا، قيل: الذي فعلوه أحزم، وذلك أن الفعل لا يكون له أكثر من فاعل واحد، وقد يكون له مفعولات كثيرة، فرفع الفاعل لقلته، ونصب المفعول لكثرتة وذلك ليقل في كلامهم ما يستقلون، ويكثر في كلامهم ما يستخفون، فجرى ذلك في وجوبه ووضوح أمره مجرى شكر المنعم، وذم المسيء في انطواء الأنف على، وزوال اختلافها فيه، ومجرى وجوب طاعة القديم سبحانه لما يُعقبه من إنعامه وغفرانه⁽²³⁾.

ونرى السيوطي في (الاقتراح) يذكر تقسيمين آخرين للعلل، فالأول باعتبار الشبوع، وذكر تحته قسمين:

◆ أولاً: العلة المطردة: وهي التي تقاس على كلام العرب، وتنساق إلى قانون لغتهم، وجعل تحتها أكثر من أربعة وعشرين نوعا منها: علة سماع وعلة تشبيه، وعلة توكيد، وهي العلة التعليمية.

◆ ثانياً: العلة الحكّمية: وهي التي تظهر حكمة العرب وتكشف عن صحة أغراضهم ومقاصدهم في موضوعاتهم، وهي العلة الثواني.

والثاني حسب طبيعة العلة، وتحتة ثلاثة أقسام: العلة البسيطة، والمركبة والقاصرة⁽²⁴⁾.

ثم نأتي إلى نحاة الأندلس، ويمثلهم ابن مضاء القرطبي وأبو حيان الأندلسي، فابن مضاء قسم علة العلة إلى قسمين: سمي إحداهما العلة الثانية، والأخرى العلة الثالثة، ويتبع ابن السراج في إباحة العلة الأولى، وفي رفضه للعلة الثانية أو العلة الثالثة، يقول ابن مضاء: « وذلك مثل سؤال السائل عن (زيد) من قولنا: (قام زيد)! لم رُفع؟ فيقال: لأنه فاعل، وكل فاعل مرفوع، فيقول: ولم رُفع؟ فالصواب أن يقال: كذا نطق به العرب، ثبت ذلك بالاستقراء من الكلام المتواتر، ولا فرق بين ذلك وبين من عرف أن شيئاً ما حرام بالنص، ولا يحتاج بالاستقراء من الكلام المتواتر، إلى استنباط علة

وتنساق إلى قانون لغتهم، وعلة تظهر حكمتهم، وتكشف عن صحة أغراضهم ومقاصدهم في موضوعاتهم، وهم للأولى أكثر استعمالاً وأشدّ تداولاً وهي واسعة الشعب⁽¹⁷⁾. وقد تأثرت العلة النحوية بالفقه والدراسات الأصولية، فقد روى السيوطي في الاقتراح: « إن أصحابنا انتزعوا العلة من كتب محمد بن الحسن، وجمعوها منه بالملاطفة والرفق⁽¹⁸⁾».

واستفحلت العلة النحوية وتطورت وتعددت فهناك من المسائل

ماذا لقينا من المستعربين ومن
إن قلت قافية بكرا يكون بها
قالوا: لَحْنَتْ وهذا ليس منتصبا
كم بين قوم قد احتالوا لمنطقهم
ما كل قولٍ مشروحا لكم فخذوا

لقد كان ابن جني مغرماً بالعلل يدافع عنها، ويذود عن حماها، وهو الذي قسّم العلة أقسامها المختلفة، وحاول إخضاع قواعد النحو جميعاً لها، وكتاب (الخصائص) سجل حافل لهذه العلة، ومرجع واف لكل باحث فيها، غير إن ابن جني يرى أن تسمية علة العلة إنما هو تجاوز في اللفظ أما في الحقيقة فإنه شرح وتفسير وتتميم للعلة.

لذا فإن الباحث يرى أن ابن جني يهاجم الذين عقدوا النحو ومالوا به باتجاه الفلسفة، وبخاصة عند حديثهم عن علة العلة، فقد ذكر في كتاب الخصائص أن أبا بكر (ابن السراج) ذكر في أول أصوله هذا ومثل له برفع الفاعل، قال: فإذا سألنا عن علة رفع الفاعل، قلنا: ارتفع بفعله، فإذا قيل، ولم صار الفاعل مرفوعاً؟ فهذا سؤال عن علة العلة، وهذا موضوع ينبغي أن تعلم منه أن هذا الذي سماه علة العلة هو تجوز في اللفظ، فأما في الحقيقة فإنه شرح وتفسير، وتتميم للعلة ألا ترى أنه إذا قيل له! فلم ارتفع الفاعل؟ قال: لإسناد الفعل إليه فكان مغنياً عن قوله: إنما ارتفع بفعله حتى تسأله فيما بعد عن العلة التي ارتفع لها الفاعل⁽²⁰⁾.

في حين نجد ابن جني يعقد باباً في (الخصائص) يفرق فيه بين نوعين من العلة، وهما العلة الموجبة: وهي التي تُبنى على الإيجاب كأن يكون الفاعل مرفوعاً والمفعول منصوباً، فعمل هذه الداعية إليها موجبة لها، غير مُقتَصِرٍ بها على تجويزها، أما الثانية، فهي: العلة المجوّزة: وهي التي تُبنى على سبب يكون الحكم فيه جائزاً لا واجباً، مثل أن تقع النكرة بعد المعرفة التي يتم الكلام بها وتلك النكرة هي المعرفة في المعنى، فأنت مخير إن شئت جعلتها صفة وإن شئت جعلتها حالاً، فنقول: مررت بزيد رجل صالح على الصفة ورجلاً صالحاً على الحال⁽²¹⁾.

ويرى تمام حسان أن اعتلالات النحويين على ضربين: ضرب منها هو المؤدى من كلام العرب، وضرب آخر يسمى علة العلة، مثل أن يقولوا: لم صار الفاعل مرفوعاً والمفعول به منصوباً؟ ولم إذا تحركت الياء والواو وكان قبلهما مفتوحاً قلبتاً ألفاً، وهذا لا يكسبنا كما تكلمت العرب، وإنما نستخرج منه حكمتها في الأصول التي وضعتها، ويبين فيها فضل هذه اللغة على غيرها من اللغات⁽²²⁾، فالواضح من الكلام السابق أن النحويين ارتضوا من العلة ما

لينتقل».

الكتاب ذكر العلة التي إذا أطردت وصل بها إلى كلامهم فقط، وذكر الأصول والشائعات؛ لأنه كتاب إيجاز⁽³⁰⁾.

2. أبو الحسن محمد بن عبد الله الوراق (325 هـ) حيث أفرد له كتابا سماه (علل النحو) توسع فيه وتجاوز العلل الأول إلى العلل الثواني والثالث، وقد يحشد للحكم النحوي الواحد ما بين ثلاث علل وسبع، وقد يتعدى ذلك في بعض المواضع فيصل إلى العشر أو يزيد، ويكون عنده أحيانا توليد العلل داخل الحكم الواحد فتصل إلى ست عشرة علة أو تزيد، وإمعانا في التفصيل والاسترسال لم يكتف بتعليل ما هو موجود بل علل ما استعملوه وما تجنبوه⁽³¹⁾.

3. أبو القاسم الزجاجي (337 هـ) سار على نهج الوراق في التوسع، وجمع ما استطاع من علل السابقين التعليمية منها القياسية والجدلية، ذكر في مقدمة كتاب (الإيضاح) أنه أنشأه في علل النحو خاصة والاحتجاج له، وذكر أسرارته وكشف المستغلق من لطائفه وغوامضه دون الأصول، وإنه لم يذكر من العلل التي ذكرها إلا الأجود والأسد منها، وأهم كل العلل التي تكلم عليها العلماء⁽³²⁾.

4. أبو الفتح عثمان بن جني (392 هـ) أطال الحديث عن صلتها بعلل المتكلمين والفقهاء، وذكر أمثلة كثيرة للعلل وشيئا من قصص العرب في ذلك، وتحدث عن تعارض العلل، وعلّة العلة، وقد أفاد من السابقين كابن السراج، وأورد شيئا من مسائلهم ورد على بعضها، كما ورد على من اعتقد فساد علل النحويين، ووصفه بالضعف لأحكام العلة⁽³³⁾.

5. ابن مضاء القرطبي (592 هـ) دعا ابن مضاء في كتابه (الرد على النحاة) إلى إلغاء العلل الثواني والثالث (القياسية والجدلية) وقال بوجود سقوطهما من النحو؛ لأنها لا تزيد في العلم، والجهل بها لا يضر، وقسم العلل الثواني ثلاثة أقسام: قسم مقطوع به، وقسم فيه إقناع، وقسم ثالث مقطوع بفساده⁽³⁴⁾.

6. ولعل تأثره بمذهبه الفقهي الظاهري، ورغبته في التخفيف عن المتعلمين وتخفيض النحو من التعقيد هو الذي دفعه إلى ذلك، إلا أنه مضطر للقول بالعلل الأول وبعض العلل الثواني، وهو ما سماه (المقطوع به)⁽³⁵⁾.

7. أبو حيان الأندلسي (745 هـ) مال أبو حيان إلى رأي ابن مضاء في إلغاء العلل الثواني والثالث؛ لأن علم اللغة والنحو ليس بحاجة إلى التعليل، مع علمه بالحاجة إلى العلل الأول، وقد كان مؤيدا لرأي سيبويه مدافعا عنه، منطلقا من الحق والدليل وليس متعصبا لهوى أو لمذهب، فهو يميل إلى البصريين في الأسس التي بُني عليها القياس، فلا يستعمله إلا إذا كان هناك أدلة كثيرة وشواهد عديدة، فمن ذلك رفضه القول في (حم) حمون، لأنه لم يسمع، ويمتنع، لأن القياس يأباه⁽³⁶⁾. فأبو حيان لا يشغل نفسه بالعلل العقلية التي يتلاعب بها النحاة لتدل على مقدرتهم الذهنية، وقوتهم الفكرية، والعلّة عنده أصل القياس، وهي الموجبة له، ولكنه لا يهتم بعلّة القياس أولا، وإنما يهتم بالقياس نفسه؛ لأن القياس عنده ليس أمرا عقليا يرجع إلى التفكير أو المنطق، وإنما موجب كثره الشواهد، واتساع السماع، وقد هاجم أبو حيان العلل العقلية والجدلية (الثواني والثالث) فيقول: والصواب في ذلك ما حرره بعض أصحابنا: إن التعرض لامتناع الجر من الفعل أو الجزم من الاسم ولحوق التاء الساكنة للماضي دون أخويه، وأشبه ذلك من

وفي هذه القضية يقول تمام حسان: إن ما أورده ابن السراج، والزجاجي وابن جني وابن مضاء يكشف على وجه العموم عن نظرة تعليمية غير علمية إلى المشكلة، لأن العلل التي ساقوها هي في جملتها غائية: أولها علة تعليمية تفيد حكما نحويا يقول: زيد مرفوع لأنه فاعل، والثانية علة تركيبية تقول: إن الاختلاف في الحركة بين الفاعل والمفعول إنما جاء للفرق بينهما، وهذا شبيه بقولنا: ليؤمن اللبس، وهذا شبيه أيضا بما يرد في المصطلح الحديث من الكلام عن (القيم الأخلاقية) والثالثة جدلية ليس لها جواب مقنع ولا مانع من الرد عليها بعكسها⁽²⁵⁾.

أما أبو حيان فقد مال إلى رأي ابن مضاء في إلغاء العلل الثواني والثالث؛ لأن علم اللغة والنحو ليس بحاجة إلى التعليل، يقول: وعلم العربية إنما هو من باب الوضعيات العربية ففي الحقيقة لا يحتاج فيه التعليل كما يحتاج في علم اللغة إلى التعليل⁽²⁶⁾.

فابن حيان نفر من التعاليل وطرحها، ونادى بترك ما لا فائدة فيه منها، وما لا يكسبنا علما باللغة أو النحو العربي، ويرى أن أكثر العلل تخرج عن الغاية من النحو وهي صحة النطق عند المتكلم، ويرى أن النحو ينبغي أن يبسر على الناشئة، وأن نخرج منه هذه العلل المعقدة.

آراء القدماء والمحدثين في العلة النحوية:

ولعله من المفيد في هذا المكان أن نوجز موقف بعض النحاة القدماء والمحدثين في العلة النحوية:

أولا: آراء القدماء

1. يعد عبد الله بن أبي اسحق الحضرمي، وأبو عمرو بن العلاء (154 هـ) أول من تكلم بالعلّة النحوية وكانت عنده علة بسيطة تبين سبب بعض الأحكام النحوية⁽²⁷⁾.

2. الخليل بن أحمد (170 هـ) أول من بسط القول عن العلل التي يعتل بها: أهي عن العرب أم اخترعها من نفسه؟ فقال: «إن العرب نطقت على سجيبتها وطباعها، وعرفت مواقع كلامها، وقام في عقولها علله، وإن لم ينقل ذلك عنها، واعتلت أنا بما عندي أنه علة لما علّته منه... فإن سنح لغبري علة لما علّته من النحو اليقن مما ذكرته بالمعلول فليأت به⁽²⁸⁾»

3. سيبويه (180 هـ) تلميذ الخليل، توسع في العلة وأورد في (الكتاب) عللا منثورة أخذ أكثرها عن شيخه الخليل، وقد ذكرت خديجة الحديثي أكثر من ست وخمسين علة عند سيبويه، منها علة السببية وعلّة تخصيص، وعلّة مقابلة، وعلّة إهمال، وعلّة جواز، وعلّة تغليب...⁽²⁹⁾.

ويلاحظ على تعليلات سيبويه بأنها تعليلات تعليمية هدفها تثبيت الأحكام والشرح والتفسير، ولا يتجاوز ذلك إلى العلل الجدلية التي يكتنفها التعقيد والغموض.

1. أبو بكر بن السراج (316 هـ) في كتابه (الأصول) اهتم بالعلل الأول، قال في فاتحة كتابه: «واعتلالات النحويين على ضربين: ضرب منها هو المؤدي إلى كلام العرب، كقولنا: فاعل مرفوع، وضرب آخر يسمى علة العلة... ثم قال وغرضي في هذا

ومنهم من وقف إلى جانب التعليل ودافع عنه ونقف على رأى بعض هؤلاء المحدثين:

1. شوقي ضيف: يقول في مقدمة كتاب الإيضاح في علل النحو للزجاجي: وإذا أخذنا نفحص هذه العلة التي نسقها الزجاجي في كتابه وجدنا كثرتها تخرج عن الغاية من النحو، وهي صحة النطق عند المتكلم، إلى ما يمكن أن نسميه فلسفة العلة النحوية، وهي فلسفة في جمهورها غير عملية، وليس وراءها أي طائل نحوي⁽⁴²⁾ فهو يرى أن أكثر العلة تخرج عن الغاية من النحو، وهي صحة النطق عند المتكلم، ويرى أن النحو ينبغي أن يُبسّر على الناشئة، وأن تخرج منه هذه العلة المعقدة. فهو يرى أن العلة الأولى التي تفيدنا في الأحكام الإعرابية وهي ما يحتاجه الناشئة في تعلم النحو.

2. عباس حسن، تابع عباس حسن من يدعون إلى وجوب طرح التعليل، وبأنه لا يثبت مما يعلل به النحويون إذا سلط عليه النظر إلا الفذ الفرد، بل لا يثبت منه شيء البتة، ولذلك كان المصيب منهم يقول: هكذا قالت العرب من غير زيادة على ذلك، وربما اعتذر لهم بأن علمهم، إنما ذكروها وأوردوها لتصير صناعة ورياضة ويتدرب بها المتعلم.

3. مازن المبارك: يرى أن العلة ليست أمرا لازما لنا دوما بل علينا أن نكتفي منها بما يحقق غاية النحو من تعليم وضبط للغة وأن نترك الإلحاح في السؤال عنها، وبهذا نجد يرى أن نظرة الكوفيين إلى اللغة وما يرد من شواهد غير مطابقة للقياس المصطنع نظرة فيها الكثير من الحق والساد⁽⁴³⁾.

4. عبد الستار الجوارى: وقف إلى جانب التعليل ودافع عنه، يقول: وذلك (التعليل) ضرب من إثارة التفكير لا سبيل إلى رده أو الوقوف في وجهه بل ليس من مصلحة البحث العلمي ولا من التوافق في العلم أن يُهمل أو يترك. وإذن فالبحث ليس عقيما على الإطلاق ولا هو معدوم الفائدة بحد ذاته ولكن يكون كذلك إذا انحرف عن طبيعة الدراسة اللغوية وأهمل أصولها واشتغل بالتعليل المنطقي المجرد الذي لا يرتبط بواقع اللغة ولا يستند إلى طبيعة تركيبها والتعبير عنها⁽⁴⁴⁾.

أنواع العلة:

اختلفت العلة المستخدمة عند النحاة وتنوعت فجاءت كثيرة واضحة وغير واضحة، وهذه العلة لها من الأمثلة في كتب النحو ما يؤيد استخدامها، ويعد كتاب الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، من أهم كتب الخلاف بين المدرستين البصرية والكوفية، وهو معين ثرّ لاحتجاج كل فريق لرأيه. إذ لا بد للاحتجاج من علة، ولقد رفض أغلب النحاة العلة الثانية والثالثة وقبلوا العلة الأولى مما يضعهم في زمرة المعلمين لا زمرة الباحثين، وذلك لصالح هذه العلة لقاعة الدرس، دون البحث.

ولقد جعل النحاة العلة الأولى أربعا وعشرين علة، رصدها تمام حسان في كتابه الأصول، ناقلا لها عن السيوطي في الاقتراح، وجعلوها اثني عشرة زوجا متقابلا وهي⁽⁴⁵⁾:

- | | |
|-----------------|-----------------------|
| 1. علة التشبيه | وتقابلها - علة الفرق |
| 2. علة التنظير | وتقابلها - علة النقيض |
| 3. علة المشاكلة | وتقابلها - علة التضاد |

تعليل الوضعيات والسؤال عن مبادئ اللغات، وذلك ممنوع لأنه يؤدي إلى تسلسل السؤال إذ ما من شيء إلا ويقال فيه لم كان ذلك؟ وإنما يُسأل عما كان يجب قياسا فامتنع، والذي كان يجب قياسا هنا خفض المضارع إذا أضيف إليه أسماء الزمان، نحو هذا اليوم ينفع، وجزم الأسماء التي لا تنصرف لشبهها بالفعل وعلة امتناع الثاني ما يلزم من الإجحاف لو حذفت الحركة أيضا حذف التنوين، إذ ليس في كلامهم حذف شيئين من جهة واحدة⁽³⁷⁾.

8. ابن الحاجب (646هـ)، نظر إلى العلة نظرة التقديس والإجلال سار على نهج البصريين، حمل النحو في زمانه، آمن بالعلل الأولى كأستاذة سيبويه، فمن ذلك تعقيبه على الزمخشري حينما أملى في المفصل: «المبني هو الذي سكن آخره وحركته لا بعامل، قال ابن الحاجب:» هذا الحد ليس بمستقيم لأنه أتى في الحد بواو العطف، فإن قصد الجمع لم يستقم إذ ليس شيء فيه سكن وحركة في آخره، وإن قصد معنى: (أو) كان فيه تزود لفظي في استعماله الواو، بمعنى (أو) واستعماله لفظ أو في الحد الواحد⁽³⁸⁾.

9. الرضي الاستربابادي: لم يغفل الرضي الاستربابادي العلة في شرحه لكافية ابن الحاجب ولا شرحه لشافية ابن الحاجب، ولكنه لم يفرد لها كتابا، وإنما اتخذ منها في الشرح في مواضع كثيرة، وكانت العلة وسيلة لديه لتفسير الظواهر النحوية واللغوية، وشرحها شرحا مفصلا، وقد ورد لفظ العلة في أماكن كثيرة من شرحه للكافية، وقد سجل الرضي بين حين وآخر بعض الآراء في العلة، نحو قوله في أول باب (غير المنصرف): «اعلم أولا أن قول النحاة إن الشيء الفلاني علة لكذا، لا يريدون به إنه موجب له، بل المعنى إنه شيء إذا حصل ذلك الشيء ينبغي أن يختار المتكلم ذلك الحكم لمناسبته بين ذلك الشيء وذلك الحكم، والحكم في اصطلاح الأصوليين ما توجيه العلة⁽³⁹⁾.

10. ونظر الرضي إلى العلة النحوية نظرة كلية، وأخرى جزئية، فهي لديه تامة، لكنها قد تتجزأ، عندئذ تسمى بجزء العلة، فيكون مجموع علتين فرعيتين علة تامة ولا يحصل الحكم إلا إذا كانت العلة تامة قال في الباب السابق بعد الكلام المتقدم: وتسميتهم أيضا لكل واحد في غير المنصرف سببا وعلة مجاز: لأن كل واحد منها جزء العلة، لا علة تامة إذ باجتماع اثنين منها يحصل الحكم، فالعلة التامة إذن مجموع علتين أو واحدة منها تقوم مقامهما مع حصول شرط كل واحد منها⁽⁴⁰⁾.

ورأى الرضي أن أصل العلة هو الاطراد، وقد ظهر ذلك في أبواب كثيرة منها باب المؤنث والمذكر وباب المفعول به، إذ يقول إن المفعول له هو العلة الحاملة لعامله، وليس بمعمول كما ظن بعضهم نظرا إلى ظاهر قولهم «ضربته تأديبا، وإن الضرب علة التأديب، وإنما قلنا ذلك لأنه لا يطرد في نحو: قعدت جنباً، وجعل المفعول له علة لمضمون عامله يطرد لأن التأديب علة حاملة على الضرب، ولفظ المفعول له يؤذن بكونه علة: لأن اللام في قوله: له: للتعليل، وهي تدخل على العلة لا المعلل، نحو: فعلت هذا لهذه العلة⁽⁴¹⁾.

فنجده قد تحدث عن العلة الغائية والحاملة، وما تقدم يبين أن الرضي لم يكن على بعد من العلة ومفهومها، بل إن له فيها نظرات.

ثانياً: آراء المحدثين

أما المحدثون فنجد كثيرا منهم يدعو إلى إلغاء العلة الجدلية،

والدارس للعلّة النحوية يجد العلل المستخدمة في كتب النحو، هي العلل التي جاء بها السيوطي و ذكرت عند تمام حسان فهي العلل التي تلزم الدرس النحوي الحقيقي، وهي التي تدور في فلکها غالبية العلل عند النحاة مبتعدين عن العلل التي تدور في باب الجدل أو الفلسفة، أو تدور في باب علة العلة أو باب علة علة العلة.

وفي هذا البحث لا يتسع المجال لذكر أمثلة على ما طالعنا من العلل في كتب النحو، وسأقتصر على ما يحقق الغاية ويكشف النقاب عن المستوى التعليلي الأصيل في نحونا العربي:

1. التشبيه: القول في العامل في الخبر بعد (ما) النافية الناصبة، ذهب الكوفيون إلى أنه منصوب بحذف حرف الخفض؛ لأن (ما) حرف غير مختص، وأما شبهها بليس فضعيف، وأما البصريون فذهبوا إلى أن (ما) تمل في الخبر لأنها أشبهت ليس من وجهين، أنها تدخلان على المبتدأ والخبر، وأنها تنفيان ما في الحال، ويقوي الشبهة بينهما دخول الباء في خبرها⁽⁴⁷⁾. فالعلة هنا المشابهة بين (ما) و (ليس) في المعنى، ومنه قول ابن السراج: وإنما احتمل (ضارب وقائم) وما أشبهها من أسماء الفاعلين ضمير الفاعل ورفع الأسماء التي تبني عليه لمضارعتة الفعل فأضمرها فيه كما أضمرها في الفعل⁽⁴⁸⁾.

2. الفرق: منها القول في ناصب المضارع بعد لام التعليل: ذهب الكوفيون إلى أن لام (كي) هي الناصبة للفعل من غير تقدير (أن) نحو: جئتكَ لتكرمني، وذهب البصريون إلى أن الناصب للفعل هو (أن) مقدرة بعدها، والتقدير جئتكَ لأن تكرمني، أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا: إنما هي ناصبه لأنها قامت مقام كي، ولهذا تشتمل على معنى كي، ومنهم من قال: إنما نصب الفعل لأنها تفيد معنى الشرط وأشبهت (إن) المخففة الشرطية للفرق بينها وبين إن الشرطية الجازمة⁽⁴⁹⁾ والعلتان المذكورتان (الحمل على المعنى، أو الفرق) علتان تعليميتان.

3. التنظير (النظير): من ذلك قول ابن السراج: العطف أخو التثنية، فكما لا يجوز أن ينضم فعل إلى اسم في تثنية، كذلك لا يجوز العطف⁽⁵⁰⁾.

4. النقيض: النفي بالنسبة إلى المفرد نقيض تأكيده. وقد قال النحاة: إن إعمال (لا) في النكرة إنما كان حملاً على نقيضتها (إن)⁽⁵¹⁾.

5. كثرة الاستعمال: فمن ذلك قول سيبويه في المنادى: «انتصاب المنادى عند سيبويه على إنه مفعول به، وناصبه الفعل المقدر. وأصله عنده: يا أدعو زيدا، فحذف الفعل حذفاً لازماً، لكثرة الاستعمال لدلالة حرف النداء عليه، وإفادته فائدته⁽⁵²⁾».

6. علة التقارب: نحو قول سيبويه في باب (المضمر): قال سيبويه: عسى محمول على لعل لتقاربهما معنى؛ لأنّ معناه الطمع، والإشفاق، تقول: عساك أن تفعل كذا، تحمله على لعل في اسمه فتنصبه به، ويبقى خبره مقترناً بأن⁽⁵³⁾ فالعلة التي وردت على لسان سيبويه هي علة التقارب، وبها علل حمل عسى على لعل.

7. الاختصاص: نحو قول الفراء في باب (المبتدأ والخبر) وقال الفراء: لولا، هي الرافعة للاسم الذي بعدها لاختصاصها بالأسماء كسائر العوامل⁽⁵⁴⁾ فالعلة التي ساقها الرضي الاسترابادي هنا على لسان الفراء هي علة الاختصاص، وبها علل رفع الاسم الذي يقع بعد لولا.

4. علة الوجوب
 5. علة الحمل على المعنى
 6. علة المعادلة
 7. علة التعويض
 8. علة الأصل
 9. علة التوكيد
 10. علة التغليب
 11. علة الدلالة (دالة على الحال)
 12. علة الاستثقال
- وتقابلها - علة الجواز
وتقابلها - علة القرب والمجاورة
وتقابلها - علة الأولى
وتقابلها - علة الاختصار
وتقابلها - علة السماع
وتقابلها - علة الاستغناء
وتقابلها - علة التحليل
وتقابلها - علة الإشعار
وتقابلها - علة التخفيف

ومن العلل السابقة يتضح أن معنى كل علتين متقابلتين يكاد يتسم بالتضاد، إلا الأزواج الثلاثة الأخيرة فهي تحمل معنى الترادف كالدلالة والإشعار والاستثقال والتخفيف.

ولقد أورد الدكتور محمد وجيه تكريتي في بحثه (العلّة النحوية في شرح الكافية للرضي الاسترابادي (ت 686هـ)⁽⁴⁶⁾ أن الرضي قد استخدم كما هائلاً من العلل، نذكرها للعلم بها، وهي علة التطفل والإتباع، والاستثناء، والوقاية، والأمن من الكسر، والمحافظة، والخفاء، والاتصاف، ومنع اشتراك، والتأنيث، والعدل، والعلمية، والاستغراب، وعدم استعمال، والمطابقة، والتضاد، والتخفيف، والاختصاص، وشدة الارتباط، والاتصال، والإجماع، والتبادر، والحذف، وامتناع الحذف، والاستغناء، والتخلل، والشنيعة، وعدم الاستقلال، وعدم الاتحاد، واللزوم، وعدم السماح، وقيام قرينة، والبقاء، والمنع، وعدم المنع، والتأثير، والكرهية، والتمكين، وعدم الفائدة، والاحتياج، وعدم الاحتياج، والدلالة، والفرق، والتركيب، وقوة الدلالة، والمعاقبة، والعدل، والوصف، وامتناع التخالف، والمساواة، والاطراد، وعدم الاطراد، وعدم وجود سعة في الكلام، والفرع، والأصل ومراعاته، والمزج، وعدم المزج والتناقض، والاستحالة، والاعتباط، وعدم الإحجام، والشذوذ والاحتمال، والتحالف، وزوال العمل والعارضه، والتعسر، والاعتبار، والاستبشاع، وعدم التحقق، وعدم التقدير، وعدم العراقة، ومراعاة التقدم، والتصدر واللبس، والفضلة، والاختصار، والإسناد، وعدم التغيير، والبعد، وعدم البعد، والإضمار، وعدم الإضمار، والسقوط، والطول، والتأويل، والصرف، والقلة، والخوف، والتأخير، والعرضية، الموطئة وعدم النظير، والتبعية، والإلحاق، والصرف، والتفاوت، والتوهم، والفساد، وكثرة الاستعمال، وكثرة التكرار، وكثرة الدخول، وكثرة الحذف، وكثرة التوسع، وكثرة التغير، وكثرة المشابهة، وكثرة المخالفة والخروج، وعدم الخروج، والحمل، وعدم الحمل، والتنكير، والغالبة، والمجوزة، والمشاركة وعدم الاشتراك، والجمع، والعطف، وحصول ربط، والبدل، والعموم، والشمول، والتعريف، والإجفاف، وعدم اعتبار، وعدم ثبوت في الكلام عن العرب، والعروض، والفصل، والانتفاء، والعدل، والتحول والصرورة، والظهور، والوجوب، والزوال، والاستثناء، والعمد، والأصل والقبح، والاستحسان والبناء وترك الترميم، والمقابلة، والتبيين، والتوضيح، والموافقة، واختلاف، والدخول، والاشتهار والنقل، وعدم المصاحبة، والاضطراب، والعجمة، والتكرار، والاستقرار، والإعراب، والحاجة، والإضافة والهدر، والتعذر، والتضمن، والاشتغال، والإبهام، والوعوض، والتناسب، والغائية، والموحدة، والعدم والحاملة، والتامة، والقرب.

فجعل إعرابها بالحروف كالعوض من حذف لاماتها واحترزنا بقولنا وتضمنت معنى الإضافة عن مثل يد ودم وغد وشبهها مما حذفت لامة (64). فالعلة التي ساقها ابن يعيش هي التضمين.

16. التعويض: كقول النحاة في التنوين الذي يأتي للعوض، والميم في (اللهم) عوض عن (يا) النداء، والتاء في (عدة) عوض عن الواو التي حذفت في تصريف الكلمة (65).

17. الأصل: نحو قولهم في تقديم خبر ليس عليها: إن الأصل في العمل للأفعال، وهي فعل يعمل في الأسماء المعرفة والنكرة والمظهرة والمضمرة (66).

18. السماع: هي العلة التي تخبرنا بطريقة العرب في كلامهم ممن يتقون به من العرب.

من ذلك ما احتج به الكوفيون في مسألة القول في (إن) الشرطية، هل تقع بمعنى إذ؟ أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا: إنما قلنا ذلك لأن (إن) قد جاءت كثيرا في كتاب الله تعالى وكلام العرب بمعنى إذ (67).

19. التوكيد: من ذلك دخول لام الابتداء لتأكيد الخبر وتحقيقه، والنون التي تلحق المضارع للتأكيد فيبني معها (68).

20. الاستغناء: نحو قولهم: «إذا قلت: لعمرى منطلق، أغنت اللام بتأكيدها عن إعادتك الكلام» (69).

وإذا قلت نعم الرجل رجلا زيدا، فقولك رجلا توكيد لأنه مستغنى عنه بذكر الرجل أولا (70).

بعد هذا العرض لمفهوم العلة وأنواعها وكيف تناولها القدماء والمحدثون، فإن الباحث لا يلمح تلك الحملة الشعواء من معارضي التعليل، فمن هاجم العلة قاصدا العلة الأولى أو العلة التعليمية بل عدوها عللا ضرورية، فأغلب النحاة إن لم يكن كلهم قد قبل العلة التعليمية ورأها ضرورية، فقد نظر النحاة الأوائل والمحدثون إلى العلة وأنواعها نظرة مهمة وأساسية في تعقيد النحو العربي. ولعل الأسلم في ذلك مذهب الخليل وسيبويه اللذين ركزا على العلة الأولى التي يحتاج إليها في بناء هذا العلم وتعليمه، وعدم الخوض في العلة الفلسفية والجدلية، ولا يعني هذا إهمال جهود السابقين في حديثهم عن العلة الثواني والثالث، فإنها صادرة عن عقلية فذة، وجهود مضيئة، وفلسفة محكمة.

النتائج:

خلصت الدراسة إلى النتائج الآتية:

1. الأصل في العلة النحوية القبول وعدم الرد؛ لأن الغاية منها صحة النطق عند المتكلم.
2. العلة الأولى هي العلة اللازمة لتعليل قضايا النحو ومسائله، وقد أجمع عليها النحاة المتقدمون والمتأخرون.
3. العلة الثواني والثالث لا ضرر من وجودها ولكنها لا تخدم الدرس النحوي للمتعلم والمتكلم، واستخدامها وطرحها قد يضيف إلى النحو تعقيدا وهذا ما يطلق عليه فلسفة العلة النحوية. وهي فلسفة غير عملية.
4. أخالف عباس حسن بضرورة طرح التعليل كله وأشاطره الرأي بضرورة تسهيل النحو وعدم تعقيد بالعلل الثواني والثالث.

8. الاستخفاف أو التخفيف: نحو إجازة الفراء في باب

المجرورات إضافة الاسميين اللذين ليس في أحدهما زيادة فائدة كسحط النوى، وليث أسد، فالفراء يجيز إضافة أحدهما إلى الآخر للتخفيف ومنه ما جاء في الأصول، فمتى وجدت فعلا حقه أن يكون غير مُتعد بالصفة التي ذكرت لك ووجدت العرب قد عدته، فاعلم أن ذلك اتساع في اللغة واستخفاف، وأن الأصل فيه أن يكون متعديا بحرف جر، وإنما حذفوه استخفافا نحو ما ذكرت لك من ذهب الشام، ودخلت البيت (55).

9. الضعف: من ذلك ما أورده الرضي على لسان الأخفش في باب المضارع، حيث يقول: وقال الأخفش إن الشرط مجزوم بالأداة، والجزاء مجزوم بالشرط وحده لضعف الأداة عن عمليين والشرط طالب للجزاء، فلا يستغرب عمله فيه، وأجيب باستغراب عمل الفعل الجزم (56) فالعلة التي ساقها الرضي على لسان الأخفش هي علة الضعف عن العمل، وقد علل بها ما ذهب إليه من أداة الشرط تعمل في فعل الشرط دون أن يصل عملها إلى الجزاء.

10. المجاورة: نحو قولهم في إعراب النعت في: (هذا جحر ضب خرب)، إنه معرب بالمجاورة فلما جاور المجرور لحقته الكسرة مثله ليتناسب اللفظان في الإعراب (57).

11. الاختصار: نحو قول ابن السراج: ولام الابتداء تدخل لتأكيد الخبر وتحقيقه، فإذا قلت: لعمرى منطلق، أغنت اللام بتأكيدها عن إعادتك الكلام. فلذلك احتج إلى جميع حروف المعاني لما في ذلك من الاختصار (58).

ونحو قول الرضي الاستربابادي نقلا عن الجرمي إذ يقول في باب الفاعل: واعلم إنه قد يتنازع الفعلان المتعديان إلى ثلاثة خلافا للجرمي، نحو: أعلمت وأعلمني زيد عمرا قائما، على إعمال الثاني وحذف مفاعيل الأول. وأعلمني وأعلمته إياه زيد عمرا قائما، على إعمال الأول وإضمار مفاعيل الثاني. والأولى أن يقال: أعلمته ذلك، قصدا للاختصار (59) والعلة التي ساقها ابن السراج والجرمي هي الاختصار وعدم التطويل.

12. المعادلة: نحو قولهم في جر ما لا ينصرف بالفتحة إنه إنما كان لمعادلة نصب جمع المؤنث السالم بالكسرة (60).

13. الجواز: نحو قول ابن السراج: وأصحابنا يجيزون: غلامه كان زيد يضرب، فينصبون الغلام ببيضرب ويقدمونه: لأن كل ما جاز أن يتقدم من الأخبار جاز تقديم مفعوله (61).

ومنه ما جاء به المازني حيث ذهب إلى إنابة ذلك مناب مفعولي ظن ومفعولي أعلمت الثاني والثالث تقول: ظننت ذلك، جوابا لمن قال لك: هل ظننت زيدا قائما (62). فالعلة التي ساقها ابن السراج والمازني هي الجواز.

14. الحمل على المعنى: نحو قول ابن السراج: «وقد تُخبر في هذا الباب بالنكرة عن النكرة إذا كان فيه فائدة، وذلك قولك: ما كان أحد مثلك، ليس أحد خيرا منك، وما كان رجل قائما مقامك، وإنما صلح هذا هنا لأن قولك (رجل) في موضع الجماعة إذا جعلوا رجلا رجلا، يدلك على ذلك قولك: ما كان رجلا أفضل منهما (63).

15. التضمين: ومنها ما جاء في شرح المفصل، في إعراب الأسماء الستة، نحو: وإنما أعربت هذه الأسماء بالحروف لأنها أسماء حذفت لاماتها في حال إفرادها وتضمنت معنى الإضافة

5. الملاحظ على العلل المستخدمة والمنثورة في كتب النحو هي العلل التي تلزم درس النحو الحقيقي، وهي التي تدور في فلكها العلل التعليمية عند النحاة، وابتعد النحاة في أغلبهم عن العلل التي تدور في باب الجدل أو الفلسفة، أو ما تدور في علة العلة وعلة علة العلة.
- الهوامش:**
1. الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحق (337 هـ)، الإيضاح في علل النحو/ تحقيق مازن المبارك، القاهرة، مكتبة دار العروبة، 1959 م. ط بيروت دار النفائس 1406 هـ مج: 5، ص: 66
2. ابن منظور، لسان العرب، لبنان، بيروت، دار صادر، ط: 3، 1994، مادة: علل.
3. الفيروز آبادي، المحيط، مادة: علل.
4. ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة: علل.
5. الزنيبات، باسم حسين أحمد، العلل التعليمية وتطبيقاتها على الإنصاف، بحث منشور على صفحة الانترنت، <http://www.moe.gov.jo/scool/eil/searches/search2.htm> 27/3/2008
6. بيك، محمد الخضري، أصول الفقه، مصر، المكتبة التجارية الكبرى، ط: 6، 1969، ص: 298
7. ابن الأنباري، لمع الأدلة في أصول النحو، تحقيق عطية عامر، استكهولم، 1963 م، ص: 42.
8. الزنيبات، باسم حسين أحمد، العلل التعليمية وتطبيقاتها على الإنصاف، بحث منشور على صفحة الانترنت، سبق ذكره.
9. تكريتي، محمد وجيه، العلة النحوية في شرح الكافية، بحث منشور على صفحة الانترنت.
10. حسان: تمام، الأصول، المغرب، الدار البيضاء، دار الثقافة، ط: 1، 1981، ص: 195.
11. حسان: تمام، الأصول، المغرب، الدار البيضاء، دار الثقافة، ط: 1، 1981، ص: 195.
12. الزجاجي، الإيضاح، ص: 64.
13. العلل التعليمية وتطبيقاتها على الإنصاف، بحث منشور على صفحة الانترنت، سبق ذكره.
14. حسان: تمام، الأصول، المغرب، الدار البيضاء، دار الثقافة، ط: 1، 1981، ص: 195.
15. ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، مطبعة دار الكتب، ج 1/ ص 48.
16. المبارك، مازن، العلة النحوية، نشأتها وتطورها، لبنان، بيروت: دار الفكر، ط: 3، 1974 م، ص: 69-71.
17. السيوطي، جلال الدين، الاقتراح، حيدر أباد، مطبعة دار المعارف النظامية، ط: 1، ص: 57.
18. السيوطي، جلال الدين، الاقتراح، حيدر أباد، مطبعة دار المعارف النظامية، ط: 1، ص: 86.
19. ابن جني، الخصائص، ج: 1، ص: 240.
20. ابن جني، الخصائص، ج: 1، ص: 173.
21. ابن جني، الخصائص، ج: 1، ص: 192.
22. حسان، تمام، الأصول، ص: 165.
23. ابن جني، الخصائص، ج: 1، ص: 49.
24. السيوطي، الاقتراح، ص: 256، 279، 284.
25. حسان، تمام، الأصول، ص: 198.
26. الأندلسي، أبو حيان، منهج السالك، ج: 9، ص: 230.
27. ابن جني، الخصائص، ج: 1، ص: 249.
28. الزجاجي، الإيضاح، مج: 5، ص: 66.
29. الحديثي، خديجة، دراسات في كتاب سيوييه، الكويت، وكالة المطبوعات، د. ت. ص: 208-211.
30. ابن السراج، الأصول، تحقيق عبد الحسين الفتلي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط: 3، 1996، ج: 1، ص: 35-36.
31. الوراق، محمد بن عبد الله، علل النحو، تحقيق محمود جاسم الدرويش 1420 هـ، الرياض، الرشد، ص: 85.
32. الزجاجي، الإيضاح في علل النحو، مج: 65، ص: 38، 39.
33. ابن جني، الخصائص، ج: 1، ص: 248-251.
34. القرطبي، ابن مضاء، الرد على النحاة، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، ص: 131-130.
35. المنيع، عبد العزيز بن أحمد، العلة عند النحويين، بحث منشور على الانترنت، في <http://Annales.net/files.asp2.27/1/2008>
36. مكرم، عبد العال سالم، المدرسة النحوية في مصر والشام في القرنين السابع والثامن من الهجرة، مؤسسة الرسالة، ط: 2، 1990 م، ص: 64.
37. السيوطي، جلال الدين، همع الهوامع شرح جمع الجوامع في علم العربية، القاهرة، مطبعة السعادة، ط: 1، سنة 1327 هـ، ج: 1، ص: 21.
38. مكرم، عبد العال سالم، المدرسة النحوية في مصر والشام، ص: 73.
39. الاسترادي، الرضي، شرح الكافية، ج: 1، ص: 35.
40. الاسترادي، الرضي، شرح الكافية، ج: 1، ص: 35.
41. الاسترادي، الرضي، شرح الكافية، ج: 2، ص: 164-165.
42. الزجاجي، الإيضاح في علل النحو، المقدمة.
43. العلل التعليمية وتطبيقاتها على الإنصاف، نقلا عن كتاب النحو العربي العلة النحوية، مازن المبارك، بحث منشور على الانترنت.
44. الزبيبات، باسم حسين، العلة النحوية وتطبيقاتها على الإنصاف بحث سابق منشور على الانترنت.
45. حسان، تمام، الأصول، ص: 199-200 وينظر العلل التعليمية وتطبيقاتها على الإنصاف بحث منشور على الانترنت.
46. تركي، محمد وجيه، العلة النحوية في شرح الكافية، بحث منشور على الانترنت 52-54.
47. ابن الأنباري، أبو بكر عبد الرحمن، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد القاهرة، دار الفكر، د. ت. ج: المسألة 19 ص: 167.

48. ابن السراج، الأصول، ج: 1، ص: 70.
49. ابن الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، ج: 2، المسألة 79، ص: 575.
50. ابن السراج، الأصول، ج: 1، ص: 221.
51. ابن السراج، الأصول، ج: 1، ص: 201.
52. الاستربادي، الرضي، شرح الكافية، ج: 2، ص: 20.
53. الاستربادي، الرضي، شرح الكافية، ج: 1، ص: 104.
54. الاستربادي، الرضي، شرح الكافية، ج: 1، ص: 288.
55. ابن السراج، الأصول، ج: 1، ص: 205.
56. الاستربادي، الرضي، شرح الكافية، ج: 1، ص: 82.
57. حسان، تمام، الأصول، ص: 202.
58. ابن السراج، الأصول، ج: 1، ص: 66-67.
59. الاستربادي، الرضي، شرح الكافية، ج: 1، ص: 251.
60. حسان، تمام، الأصول، ص: 202.
61. ابن السراج، الأصول، ج: 1، ص: 99.
62. سلطان، زهير عبد المحسن، المؤاخذات النحوية حتى نهاية المئة الرابعة، بنغازي، جامعة قار يونس، ط: 1، 1994، ص: 231.
63. ابن السراج، الأصول، ج: 1، ص: 95.
64. ابن يعيش، موفق الدين يعيش علي، شرح المفصل بيروت، عالم الكتب، د. ت، مج: 1، ص: 51.
65. حسان، تمام، الأصول، ص: 202.
66. ابن الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، ج: 1، ص: 163.
67. ابن الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، ج: 2، ص: 632.
68. ابن السراج، الأصول، ج: 1، ص: 66، ج: 2، ص: 208.
69. ابن السراج، الأصول، ج: 1، ص: 66.
70. ابن السراج، الأصول، ج: 1، ص: 138.
- دار الكتب، ج 1/ ص 48.
8. حسان: تمام، الأصول، المغرب، الدار البيضاء، دار الثقافة، ط: 1، 1981، ص: 195.
9. الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحق (337 هـ)، الإيضاح في علل النحو/ تحقيق مازن المبارك، القاهرة، مكتبة دار العروبة، 1959 م. ط بيروت دار النفائس 1406 هـ حج: 5، ص: 66.
10. ابن السراج، الأصول، تحقيق عبد الحسين الفتلي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط: 3، 1996، ج: 1، ص: 35-36.
11. سلطان، زهير عبد المحسن، المؤاخذات النحوية حتى نهاية المئة الرابعة، بنغازي، جامعة قار يونس، ص: 1، 1994، ص: 231.
12. السيوطي، جلال الدين، الاقتراح، حيدر أباد، مطبعة دار المعارف النظامية، ط: 1، ص: 57.
13. السيوطي، جلال الدين، همع الهوامع شرح جمع الجوامع في علم العربية، القاهرة، مطبعة السعادة، ط: 1، سنة 1327 هـ، ج: 1، ص: 21.
14. ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة: علل.
15. القرطبي، ابن مضاء أبو العباس أحمد، الرد على النحاة، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، ص: 131-130.
16. المبارك، مازن، العلة النحوية، نشأتها وتطورها، لبنان، بيروت: دار الفكر، ط: 3، 1974 م، ص: 69-71.
17. مكرم، عبد العال سالم، المدرسة النحوية في مصر والشام في القرنين السابع والثامن من الهجرة، مؤسسة الرسالة، ط: 2، 1990 م، ص: 64.
18. ابن منظور، لسان العرب، لبنان، بيروت، دار صادر، ط: 3، 1994، مادة: علل.
19. الوراق، محمد بن عبد الله، علل النحو، تحقيق محمود جاسم الدرويش 1420 هـ، الرياض، الرشد، ص: 85.
20. ابن يعيش، موفق الدين يعيش علي، شرح المفصل، بيروت، عالم الكتب، د. ت، حج: 1، ص: 51.

ثانياً. المراجع الإلكترونية:

1. الزنيات، باسم حسين احمد، العلل التعليمية وتطبيقاتها على الإنصاف، بحث منشور على صفحة الانترنت، <http://www.moe.gov.jo/scool/eil/searches/search2.htm>
2. تكريتي، محمد وجيه، العلة النحوية في شرح الكافية، بحث منشور على صفحة الانترنت.
3. المنيع، عبد العزيز بن احمد، العلة عند النحويين، بحث منشور على الانترنت، في <http://annales.net/files.asp2:27/1/2008>
4. تركي، محمد وجيه، العلة النحوية في شرح الكافية، بحث منشور على الانترنت، ص: 52-54.

المصادر والمراجع:

أولاً. المراجع العربية:

1. الاستربادي، الرضي، شرح الكافية، ج: 1، ص: 35.
2. ابن الأنباري، أبو بكر عبد الرحمن، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، تحقيق محمد محيي عبد الحميد القاهرة، دار الفكر، د. ت، ج: المسألة 19 ص: 167.
3. ابن الأنباري، لمع الأدلة في أصول النحو، تحقيق عطية عامر، استكهولم، 1963 م، ص: 42.
4. أبو حيان الأندلسي، منهج السالك، ج: 9، ص: 230.
5. بيك، محمد الخضري، أصول الفقه، مصر، المكتبة التجارية الكبرى، ط: 6، 1969، ص: 298.
6. الحديثي، خديجة، دراسات في كتاب سيبويه، الكويت، وكالة المطبوعات، د. ت، ص: 208-211.
7. ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، مطبعة

**مدى تبني عناصر المزيج التسويقي (7P's)
في المصارف التجارية العاملة في الجزائر
من وجهة نظر مديريها وموظفيها: دراسة ميدانية***

أ. أبوبكر خوالد**

أ.د. نوة ثلاثية***

* تاريخ التسليم: 2015/4/12م، تاريخ القبول: 2015/8/31م.
** أستاذ مساعد / جامعة باجي مختار / الجزائر.
*** أستاذ دكتور / جامعة باجي مختار / الجزائر.

these elements at different positive levels.

Consequently, the study arises some relevant recommendations. For instance, it is very important for the public and private Algerian banks to strengthen and support the Marketing mix in banking, as a requirement to confront the competitiveness challenges. This may have an influence on meeting the requirements of the clients and their satisfaction which is the first basis of a sustainable competitive advantage.

Key Words: Marketing mix – Commercial banks – Competitive advantage – Algeria.

مقدمة:

بالنظر إلى ما تتصف به الخدمات المصرفية من نمطية عالية في مضمونها ومحتواها، فقد كان لزاما على المصارف التجارية أن تبحث عن وسائل وأساليب حديثة تستطيع من خلالها التنافس والحصول على نتائج أفضل، فإذا كان من الصعب أن تكون الخدمة المصرفية في جوهرها أحد مجالات التنافس وإبراز الميزة التنافسية للمصرف، فإن جودة هذه الخدمة وأسلوب تقديمها يعدان أبرز أسلوب للتنافس، وهكذا يصبح التسويق أحد أبرز الأنشطة الأساسية التي ينبغي على المصارف التجارية تطبيقها، وتأديته تستلزم تبني مجموعة من الخطط والبرامج والسياسات الموجهة لتحقيق الأهداف الاستراتيجية للمصرف، والتي يتمثل أبرزها في:

◆ خصائص المنتجات والخدمات المصرفية وأنواعها، والدراسة المتأنية لدورة حياتها والاستراتيجيات الملائمة لكل مرحلة من مراحل هذه الدورة.

◆ أسعار المنتجات والخدمات المصرفية واستراتيجياتها وطرق تسعيرها.

◆ وسائل السياسة الترويجية وأدواتها، والتخطيط المحكم للحملات الترويجية.

◆ منافذ توزيع الخدمات المصرفية واستراتيجياتها.

◆ التسهيلات المادية المتوفرة لتقديم مختلف المنتجات والخدمات المصرفية.

◆ مواصفات الكادر البشري القادر على تقديم منتجات وخدمات المصرف في أحسن الظروف.

◆ السيولة المثالية لإجراءات وعمليات تقديم المنتجات والخدمات المصرفية.

إن العناصر السبعة الميينة أعلاه هي ما تسمى اليوم في علم التسويق بالمزيج التسويقي، فالمصارف التجارية الجزائرية اليوم في أمس الحاجة إلى تبني مختلف عناصر وسياسات المزيج التسويقي الفعال أو الناجح الذي يبرهن على مدى كفاءة إدارة المصرف التجاري في جمع عناصر تسويقية مختلفة وتوليفها في برنامج واحد تكون فيه جميع عناصر المزيج التسويقي السبعة المحددة أعلاه مأخوذة بعين الاعتبار ومنفذة بوصفها جزءاً من كل متماسك تتمتع أجزاءه بعلاقات تبادلية ومكاملة لبعضها

ملخص:

هدفت هذه الدراسة عموماً إلى معرفة مدى تبني المصارف التجارية العاملة في الجزائر (الحكومية والخاصة) لمختلف عناصر المزيج التسويقي السبعة: المنتج/ الخدمة، التسعير، الترويج، التوزيع، الدليل المادي، الأفراد، والعمليات.

لذا، فقد شملت هذه الدراسة استطلاع آراء عينة عشوائية مكونة من (255) مديراً وموظفاً عاملاً بالمصارف التجارية الجزائرية: (150) من المصارف الحكومية و(105) من المصارف الخاصة، وبذلك فقد استخدم الباحث أداة الاستبانة في دراسته الميدانية مصممة وفق مقياس ليكرت (Lekert) الخماسي في اختيار الإجابة الأدق، كما استخدم أساليب إحصائية متنوعة لتحليل بيانات الدراسة.

وقد توصلت هذه الدراسة إلى مجموعة من النتائج أبرزها تبني المصارف التجارية الجزائرية المبحوثة لمختلف عناصر المزيج التسويقي السبعة بنسب إيجابية متفاوتة.

وقد خلصت هذه الدراسة إلى جملة من التوصيات المهمة أبرزها: ضرورة قيام المصارف التجارية الجزائرية الحكومية والخاصة على حد سواء بتعزيز عناصر المزيج التسويقي لديها ودعمها بكل ما هو جديد ومميز من إجراءات كمطلب أساسي لمواجهة تحديات المنافسة، بما ينعكس على تلبية احتياجات ورغبات العملاء ونيل رضاهم وولائهم، وهذا ما يشكل منطلقاً حقيقياً لتحقيقها للميزة التنافسية المستدامة.

الكلمات الدالة: المزيج التسويقي – المصارف التجارية – الميزة التنافسية – الجزائر.

The extent of adoption of the marketing mix elements (7P's) by commercial banks operating in Algeria from the point of view of their directors and employees: An empirical study

Abstract:

This study aims to recognize whether commercial banks in Algeria (public and private banks) adopt the seven elements of the marketing mix (Product, Price, Promotion, Place, Physical evidence, Personnel, Process).

Hence, the study was carried upon a survey on a random sample of (255) directors and employees working in the Algerian banks: (150) of them belong in the public banks and (105) in the private ones. In this regard, the researcher's survey was built upon the (Lekert) Standard in choosing the right response. Other statistic methods have been used to analyze the data of the study.

The study concluded that banks in Algeria adopt the seven elements of marketing mix but they applied

تشكيل المزيج التسويقي المناسب ضمن الأطر والعمليات التي تؤديها المصارف التجارية الجزائرية بغية تحسين جودة خدماتها المصرفية المقدمة، ومن ثمّ المساهمة في تعزيز قدراتها التنافسية، وهذا ما يشكل منطلقاً حديثاً في تأهيل القطاع المصرفي الجزائري ككل وتفعيل مساهمته في لعب الدور المنوط به في دفع عجلة التنمية الاقتصادية للبلاد.

فتطبيق أسلوب التسويق المصرفي عموماً والمزيج التسويقي المصرفي على وجه الخصوص في المصارف التجارية الجزائرية يعتبر موضوعاً حديث النشأة، وقد بدأت بوادر الاهتمام بهذا الموضوع في الجزائر مع بداية التسعينيات وبالضبط مع صدور ما يعرف بقانون النقد والقرض (10/90)، ليبدأ في التوسع والانتشار منذ ذلك الوقت إلى يومنا هذا، ومع ذلك يبقى هذا الأسلوب مجهول المعالم في كثير من المصارف التجارية الجزائرية - خصوصاً الحكومية منها -، كما أن الدراسات السابقة التي أجراها الباحثون الجزائريون في هذا الموضوع قليلة جداً، لهذا جاءت هذه الدراسة لمواصلة جهود التحسيس بأهمية تطبيق المزيج التسويقي في المصارف التجارية الجزائرية.

ثالثاً: أهداف الدراسة

سعت هذه الدراسة إلى تحقيق جملة الأهداف التالية:

1. السعي إلى الكشف عن المفهوم الحقيقي للمزيج التسويقي، والطبيعة الخاصة التي يحظى بها في القطاع الخدمي عموماً والقطاع المصرفي على وجه الخصوص.
2. تقديم بعض التوصيات المهمة التي قد تسهم في تفعيل المزيج التسويقي المطبق في المصارف التجارية الجزائرية الحكومية والخاصة على حد سواء.
3. محاولة تحسيس مديري المصارف التجارية الجزائرية بأهمية تطبيق عناصر المزيج التسويقي المصرفي.
4. لفت انتباه الباحثين الأكاديميين والممارسين لموضوع المزيج التسويقي المصرفي للاجتهاد وإجراء بحوث ودراسات أخرى في هذا الموضوع الحديث النشأة.

رابعاً: فرضيات الدراسة

تماشياً مع موضوع وأهداف البحث، اعتمدت الدراسة الحالية على الفرضيات التالية:

● الفرضية الأولى:

- الفرضية العدمية (H0): لا تتبنى المصارف التجارية الجزائرية الحكومية والخاصة عناصر المزيج التسويقي المصرفي السبعة (7P's) من وجهة نظر عينة مديريها وموظفيها.
- الفرضية البديلة (H1): تتبنى المصارف التجارية الجزائرية الحكومية والخاصة عناصر المزيج التسويقي المصرفي السبعة (7P's) من وجهة نظر عينة مديريها وموظفيها.

● الفرضية الثانية:

- الفرضية العدمية (H0): لا يوجد اختلاف بين المصارف التجارية الجزائرية الحكومية والخاصة في تبني عناصر المزيج التسويقي المصرفي السبعة (7P's) من وجهة نظر عينة مديريها

بالشكل الذي ينعكس في تقديم أفضل وأجود المنتجات والخدمات المصرفية، بأسعار مناسبة، وترويج جذاب، وقنوات توزيع ملائمة، وبيئة مادية مناسبة، وموارد بشرية مؤهلة، وإجراءات وعمليات بسيطة وسلسة، كل ذلك حتماً سيكون له أثر كبير في زيادة رضا العملاء ولولائهم، ثم المساهمة في تمييز المصرف تنافسياً.

وبناء على ما تقدم ستتناول هذه الدراسة المحاور التالية:

◆ المحور الأول: منهجية الدراسة

◆ المحور الثاني: الدراسات السابقة ومميزات الدراسة

الحالية عنها

◆ المحور الثالث: الجانب النظري

◆ المحور الرابع: الجانب الميداني

◆ المحور الخامس: النتائج والتوصيات

المحور الأول: منهجية الدراسة

أولاً: مشكلة الدراسة

في ظل ما تشهده الساحة المصرفية الدولية والمحلية من تغيرات سريعة ومتلاحقة ناتجة أساساً عن مختلف إفرات ظاهرة العولمة المالية، فقد أصبحت الخدمات المصرفية اليوم تسوق عبر اعتماد استراتيجيات تسويقية وتفاعلات معلوماتية عن الأسواق والمستهلكين والمتعاملين فيها، وهذا ما يتطلب بالمقابل اعتماد مزيج تسويقي مناسب يتوافق مع خصوصية الخدمة المصرفية المقدمة والسوق المستهدفة، وعبر استقراء الطرف المعني بذلك وهو الزبون أو العميل، سواء أكان فرداً أم مؤسسة، ومن هنا تبرز أهمية تبني المصارف التجارية الجزائرية لمزيج تسويقي متكامل وفعال يضمن إشباع حاجات العملاء ونيل رضاهم، ويمكن هذه المصارف في نفس الوقت من تعزيز قدراتها التنافسية، لذلك يطرح هذا البحث التساؤل الرئيسي الآتي:

◀ ما مدى تبني وتطبيق عناصر المزيج التسويقي السباعي (7P's) (المنتج/ الخدمة، التسعير، الترويج، التوزيع، الدليل المادي، الأفراد، العمليات) في المصارف التجارية (الحكومية والخاصة) العاملة في الجزائر من وجهة نظر مديريها وموظفيها؟ وبخاصة في ظل المستجدات الأخيرة التي عرفتها الساحة المصرفية الجزائرية والدولية.

وللإجابة على التساؤل الرئيسي السابق ستمت الإجابة أولاً على الأسئلة الفرعية التالية:

- ◀ إلى أي مدى يتم تطبيق وتبني كل عنصر من عناصر المزيج التسويقي السبعة (7P's) في المصارف التجارية الجزائرية الحكومية والخاصة من وجهة نظر عينة مديريها وموظفيها؟
- ◀ هل يوجد اختلاف بين المصارف التجارية الجزائرية الحكومية والخاصة في تبني مختلف عناصر المزيج التسويقي السبعة (7P's) من وجهة نظر عينة مديريها وموظفيها؟

ثانياً: أهمية الدراسة

تكمن أهمية هذه الدراسة كونها تعالج مسألة حيوية ألا وهي ضرورة إدماج المفاهيم التسويقية الحديثة وفي مقدمتها

وموظفيها.

سابعاً: أداة الدراسة

للإجابة على مشكلة الدراسة والتحقق من فرضياتها فقد قام الباحث بتصميم أداة للدراسة (الاستبانة) تتضمن تشخيص مختلف عناصر المزيج التسويقي السبعة، وقد جرى تصميم هذه الاستبانة بعد الاطلاع على مختلف الدراسات السابقة التي تخص الموضوع.

وقد أُخضعت هذه الاستبانة لاختبار الموثوقية والصدق من الناحية العلمية للتأكد من مدى صلاحيتها، فقد عرضت على مجموعة من المحكمين والخبراء المتخصصين في الميدان، وقد جرى تعديل فقرات الاستبانة مرارا وفقاً لملاحظات الأساتذة المحكمين البالغ عددهم (11) محكماً من الجزائر ومن دول عربية أخرى.

وللتحقق من ثبات أداة الدراسة والاتساق الداخلي لفقرات أداة الدراسة، استخدم الباحث معامل ارتباط ألفا كرونباخ (Cronbach Alpha) الذي يشير إلى قوة الارتباط والتماسك بين فقرات الاستبانة، إضافة إلى ذلك، فإن مقدار هذا المعامل يزود بتقدير جيد للثبات، وعلى الرغم من عدم وجود قواعد قياسية بخصوص القيم لملائمة نسبة لـ (Cronbach Alpha) لكن من الناحية التطبيقية يعد (Al-0,60) مقبولاً في البحوث الإدارية والاجتماعية. (Sekaran, 2003)

والجدول أدناه يبين النتائج النهائية المتحصل عليها لـ (Cronbach Alpha):

الجدول (01)

اختبار ثبات أداة الدراسة باستخدام معامل (Cronbach Alpha)

الرقم	عناصر المزيج التسويقي المصرفي	عدد الفقرات	قيمة معامل ألفا كرونباخ (%)	ألفا كرونباخ (%)
1	المنتج	4	0,855	85,50
2	التسعير	4	0,859	85,90
3	الترويج	4	0,855	85,50
4	التوزيع	4	0,854	85,40
5	الدليل المادي	4	0,857	85,70
6	الأفراد	4	0,857	85,70
7	العمليات	4	0,851	85,10
	معامل ألفا كرونباخ الكلي	28	0,867	86,70

المصدر: من إعداد الباحث وفقاً لنتائج برنامج (SPSS-17)

وتشير النتائج النهائية الواردة في الجدول (01) إلى أن جميع معاملات الثبات المتعلقة بعناصر المزيج التسويقي المصرفي من وجهة نظر مدراء وموظفي المصارف التجارية الجزائرية بلغت (0,855, 0,859, 0,855, 0,854, 0,857, 0,851) على التوالي، ومن ثم فقد بلغ معامل ألفا كرونباخ الكلي لعينة مدراء وموظفي المصارف التجارية الجزائرية (0,867) وهي جميعها قيم عالية جداً (تفوق 0,60) وتؤكد ثبات أداة الدراسة.

أما فيما يخص تحليل نتائج الاستبانة فقد جرى الاعتماد

- الفرضية البديلة (H1): تختلف المصارف التجارية الجزائرية الحكومية والخاصة في تبني عناصر المزيج التسويقي المصرفي السبعة (7P's) من وجهة نظر عينة مديريها وموظفيها.

خامساً: التعريفات الإجرائية لمتغيرات الدراسة

تتمحور هذه الدراسة حول المتغيرات الآتية:

1. المزيج التسويقي المصرفي: «كافة العمليات والفعاليات التي تستهدف توفير الخدمات المصرفية التي تلبى حاجات العملاء الحالية والمستقبلية، بالأسلوب الذي يحقق الحد الأعلى من رضا هؤلاء العملاء ويعظم أرباح المصرف». (أبو عرابي، 2006، ص: 80)

2. سياسة المنتج المصرفي (الخدمة المصرفية): «مجموعة من الأنشطة والفعاليات الخدمية التي يقدمها المصرف لغرض تلبية حاجات ورغبات الزبائن». (الصميدعي ويوسف، 2005، ص: 240)

3. سياسة التسعير المصرفي: «ذلك الجزء من الأنشطة التسويقية المتعلقة بتحديد المقابل المادي الذي يدفعه العميل نظير حصوله على خدمات المصرف». (طه، 2007، ص: 607)

4. سياسة الترويج المصرفي: «مجموعة الوسائل والأدوات للتواصل مع العملاء الحاليين والمحتملين وتعريفهم بالمنتجات والخدمات التي يقدمها المصرف». (الجيوسي والطائي، 2010، ص: 37)

5. سياسة التوزيع المصرفي: «الاستراتيجية التي يتم من خلالها إيصال الخدمة المصرفية إلى العميل المرتقب في المكان والوقت المناسبين». (الجيوسي والطائي، 2010، ص: 37)

6. سياسة الدليل المادي: «كل الوسائل والتسهيلات المادية التي تسهل عملية تقديم الخدمات المصرفية» (الزامل وآخرون، 2012، ص: 120)

7. سياسة الأفراد: «كافة الأفراد المشتركين في تقديم الخدمة المصرفية للعميل ولهم تأثير على مدى تقبل الزبون للخدمة». (العجارمة، 2005، ص: 307)

8. سياسة العمليات: «الكيفية التي يتم من خلالها تقديم الخدمة المصرفية، والتي تضم مختلف السياسات والإجراءات المتبعة من قبل المصرف لضمان تقديم الخدمة للعملاء». (الزامل وآخرون، 2012، ص: 121)

سادساً: منهج الدراسة

لتحقيق أهداف الدراسة اعتمد الباحث بشكل أساسي على المنهج الوصفي التحليلي نظراً لملاءمته لطبيعة البحث، فمن خلال هذا المنهج وصفت الظاهرة قيد الدراسة (المزيج التسويقي المصرفي) كما هي، وتمت دراسة مدى تطبيق كل عنصر من عناصر هذه الظاهرة في المصارف التجارية الجزائرية الحكومية والخاصة، وقد تم تقسيم البحث إلى قسمين أساسيين، تضمن القسم الأول التطرق لمختلف أدبيات الموضوع وإطاره النظري، واشتمل القسم الثاني على جمع وتحليل بيانات الدراسة الميدانية من خلال أداة الدراسة (الاستبانة).

على البرنامج الإحصائي للعلوم الاجتماعية (SPSS) من خلال استخدام المؤشرات الإحصائية التالية:

- ◆ التكرارات والنسب المئوية.
- ◆ المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية.
- ◆ معامل ارتباط ألفا كرونباخ (Cronbach Alpha).
- ◆ اختبار (T) لعينة واحدة (One-Sample T test).
- ◆ اختبار (F) لتحليل التباين الأحادي (ANOVA).
- ◆ وقد تم استخدام مقياس ليكرت الخماسي (Likert Scale)

لقياس استجابة الباحثين لفقرات الاستبانة وفقا لما يوضحه الجدول الآتي:

الجدول (02)

درجة مقياس ليكرت الخماسي (Likert Scale)

الاستجابة	أنفق تماما	أنفق	محايد	لا أنفق	لا أنفق تماما
الدرجة	5	4	3	2	1

المصدر: من إعداد الباحث.

ولتحديد درجة الاتجاه حدد الباحثان ثلاث مستويات هي (مرتفع، متوسط، منخفض) وذلك بناء على المعادلة التالية: طول الفئة = الحد الأعلى للبدل - الحد الأدنى للبدل / عدد

الجدول (03)

الاستبانة المعتمدة في الدراسة الميدانية

المصارف التجارية الحكومية	CNEP	BNA	CPA	BEA	BADR	BDL
عينة مدرء وموظفي المصارف الحكومية	25	25	25	25	25	25
المصارف التجارية الخاصة	BA-A	ABC-A	SG-A	NB-A	AB-A	BNP
عينة مدرء وموظفي المصارف الخاصة	15	15	15	15	15	15
المجموع	255 استبانة					

المصدر: من إعداد الباحث.

وذلك نظرا لكونها عبارة عن فروع مصرفية صغيرة تعمل فقط في الجزائر العاصمة.

تاسعا: حدود الدراسة

لكل دراسة سواء كانت نظرية أو ميدانية حدود مكانية، زمنية، وبشرية، وعليه فقد حدد الباحث هذه الدراسة بالحدود التالية:

1. الحدود المكانية: إن الحدود المكانية لهذه الدراسة هي المؤسسات عينة الدراسة والمتضمنة المصارف التجارية العاملة في القطاع المصرفي الجزائري سواء أكانت حكومية أم خاصة، وقد اقتصرنا الدراسة الميدانية التي قام بها الباحث على (41) وكالة مصرفية تابعة لـ (13) مصرفا تجاريا منتشرة بـ (17) مدينة من مختلف أنحاء القطر الجزائري (شرق، غرب، وسط، جنوب) وهي:

الإحصائي توصلت الدراسة إلى عدة نتائج أبرزها أن عناصر المزيج التسويقي في المصارف الأهلية المبحوثة لها تأثير في تحقيق مزايا الجودة وسرعة التسليم والكلفة الأقل والإبداع على التوالي، بينما جاءت مزايا المصارف الحكومية بترتيب الإبداع والجودة والكلفة الأقل وسرعة التسليم على التوالي، كما توصلت الدراسة في الأخير إلى جملة من التوصيات أبرزها ضرورة مواكبة عينة المصارف المبحوثة لمختلف التطورات التكنولوجية الحديثة في مجال الخدمات المصرفية، ضرورة تكثيف الحملات الإعلانية والترويجية لهذه المصارف، فضلا عن تصميم برامج تهدف إلى تطوير وتأهيل العاملين من خلال التعاون المثمر مع الجامعات والمعاهد المتخصصة.

3. دراسة (أبو عويلى، 2008)

هدفت هذه الدراسة أساسا إلى تعرف مدى تبني مكونات الاستراتيجية التسويقية في المصارف الفلسطينية، وقد تمثلت هذه المكونات حسب الباحثة في: تحديد الهدف، التركيز، تخصيص الموارد، التكامل، والمزيج التسويقي، ولقياس ذلك اعتمدت الباحثة على استبانة جرى توزيعها على عينة عشوائية مكونة من (69) مسؤول من مسؤولي الإدارة العليا بالمصارف الفلسطينية (قطاع غزة والضفة الغربية)، وبعد عملية التحليل الإحصائي أظهرت النتائج تبني واضح للمصارف الفلسطينية لمكونات الاستراتيجية التسويقية لكن بمستويات إيجابية متفاوتة، فقد كان أعلى مستوى هو تبني مكونات المزيج التسويقي بينما تحصل مكون التكامل على أضعف مستوى، وقد توصلت هذه الدراسة في الأخير إلى عدة توصيات أبرزها تعزيز الاهتمام بمكونات الاستراتيجية التسويقية بشكل عام، وضرورة تحسين العمليات المصرفية.

4. دراسة (Muinde, 2009)

حاولت هذه الدراسة تسليط الضوء على مدى تطبيق المؤسسات المالية غير المصرفية (NBFIs) في كينيا لمختلف عناصر المزيج التسويقي السبعة باستثناء عنصر العمليات وذلك بغية التعرف على العوامل المؤثرة في مدى تبني المؤسسات المالية الكينية لمختلف عناصر المزيج التسويقي، وعليه فقد قامت هذه الدراسة على توزيع ما مجموعه (30) استبانة على عينة عشوائية من مديري المؤسسات المالية (غير المصرفية) في العاصمة نيروبي، وبعد عملية التحليل الإحصائي أظهرت النتائج تفوق عناصر (الأفراد، المنتج، التسعير) على التوالي من حيث تبنيها من طرف المؤسسات المالية الكينية المبحوثة، تليها عناصر (الدليل المادي، التوزيع، الترويج) على التوالي، وفي الأخير قدمت هذه الدراسة مجموعة من محاور العمل التي ينبغي التركيز عليها لتفعيل دور المزيج التسويقي في المؤسسات المالية الكينية أبرزها: التمويل الكافي، التركيز على العملاء وكيفية التعامل معهم، التكاليف التشغيلية، الربحية، نوعية الخدمات.

5. دراسة (Al Azzawi and Kaczynska, 2011)

سعت هذه الدراسة عموما إلى الحصول على فهم أفضل لطبيعة المزيج التسويقي المصرفي وكيفية استخدام مختلف عناصره الأربعة (4P's) بوصفها أداة لتجاوز الآثار السلبية الناتجة عن الأزمة المالية العالمية (2008)، وقد جاء هذا البحث في قالب

الشلف، الأغواط، باتنة، بسكرة، بشار، تبسة، الجزائر العاصمة، جيجل، سعيدة، عنابة، قالمة، قسنطينة، المدية، الطارف، سوق أهراس، ميله، غرداية.

2. الحدود الزمنية: تمثل الحدود الزمنية لهذه الدراسة الفترة التي قام فيها الباحث بإجراء المقابلات مع مديري وموظفي عينة المصارف التجارية الجزائرية المبحوثة وتوزيع الاستبانات عليهم إلى غاية فترة جمع هذه الاستبانات، وهي الفترة الممتدة من تاريخ (01 / 05 / 2014) إلى غاية تاريخ (02 / 12 / 2014) أي ما يقارب (07 أشهر).

3. الحدود البشرية: تتمثل الحدود البشرية في عينة الدراسة، وهي تتكون من مجموعة من مديري وموظفي المصارف التجارية الجزائرية المبحوثة، وقد بلغ الحجم الإجمالي للعينة (255) مديرا وموظفا مبحوثا (150 مديرا وموظفا من المصارف الحكومية و105 مديرا وموظفا من المصارف الخاصة).

المحور الثاني: الدراسات السابقة ومميزات الدراسة الحالية عنها

أولا: الدراسات السابقة

يمكن عرض أبرز وأحدث الدراسات السابقة وفقا لتسلسلها الزمني كما يلي:

1. دراسة (طاري، 2005)

سعت هذه الدراسة عموما إلى محاولة وضع إطار سليم لعملية تشكيل مزيج تسويقي مصرفي فعال في المصارف التجارية الجزائرية، وعلى هذا الأساس جاءت هذه الدراسة بطريقة وصفية استدلالية حاول فيها الباحث إسقاط مختلف عناصر المزيج التسويقي المصرفي الرباعي (4P's) على ما هو معمول به في القرض الشعبي الجزائري (CPA) الذي يعتبر واحدا من أبرز المصارف التجارية الجزائرية الحكومية كحالة دراسية، وقد توصلت هذه الدراسة إلى جملة من النتائج أبرزها: غياب وجود دوائر خاصة بالنشاط التسويقي في المصرف المبحوث وفي جل المصارف الحكومية الجزائرية الأخرى، فضلا عن القصور الواضح في تطبيق مختلف عناصر المزيج التسويقي فيها، وقد توصلت هذه الدراسة في الأخير إلى جملة من التوصيات ذات شقين: شق موجه لجميع المصارف التجارية الجزائرية الحكومية يوصي بضرورة تأهيل هذه المصارف وإدماج التسويق فيها في أقرب وقت ممكن، وشق آخر موجه إلى إدارة القرض الشعبي الجزائري (CPA) يوصي فيه بإعادة النظر في الهيكل التنظيمية لهذا المصرف عبر تخصيص مديرية خاصة بالنشاط التسويقي تضطلع بمختلف المهام ذات الطبيعة التسويقية وعلى رأسها التشكيل الفعال للمزيج التسويقي المصرفي.

2. دراسة (العتيبي، 2006)

هدفت هذه الدراسة إلى إبراز الدور الذي تلعبه عناصر المزيج التسويقي مجتمعة في تحقيق الميزة التنافسية للمصارف التجارية الحكومية والأهلية العاملة في محافظة البصرة العراقية، ولقياس ذلك اعتمدت الباحثة على استبانة جرى توزيعها على عينة عشوائية مكونة من (68) فردا من الإدارة العليا (38 منهم من المصارف الحكومية و30 من المصارف الأهلية)، وبعد عملية التحليل

المزيج ويتنوع مع مرور الزمن لكي يشمل كل ما هو جديد وحديث سواء في سوق الإيداع أو سوق الائتمان، ويضم المزيج التسويقي أربعة عناصر أساسية هي: المنتج (Product)، التسعير (Price)، الترويج (Promotion)، التوزيع أو المكان (Place)، وهي ما تعرف اختصاراً بـ (4P's). (العباسي، 2013، ص: 160)

إلا أن المزيج التسويقي التقليدي (4P's) أصبح عاجزاً على الإيفاء باحتياجات المنظمات الخدمية وذلك لعدة اعتبارات أبرزها: (أحمد، 2001، ص: 92 - 94)

1. أن هذا المزيج التسويقي قد تم تطويره أصلاً للشركات الصناعية.

2. أن ممارسي النشاط التسويقي في قطاع الخدمات يجدون أن المزيج التسويقي الموروث لا يلبي معظم احتياجاتهم.

3. أن أبعاد المزيج التسويقي التقليدي ضيقة بحيث لا تصلح تماماً في تسويق الخدمات، حيث لا يتم الأخذ بعين الاعتبار مختلف العوامل المتعلقة بمقدمي الخدمة أو البيئة المادية مثلاً.

وبذلك انطلقت اجتهادات كثيرة ومتباينة من كثير من الباحثين والمختصين في ميدان التسويق الخدمي بغية استحداث عناصر جديدة للنموذج التقليدي للمزيج التسويقي، فمنهم من اقترح خمسة عناصر ومنهم من اقترح ستة عناصر، ومنهم من اقترح سبعة عناصر، وآخرون اقترحوا ثمانية عناصر، إلا أن أغلب الباحثين اليوم يتفقون على أن المزيج التسويقي الحديث أو الموسع أو المتعدد يشمل سبعة عناصر أساسية تعرف اختصاراً بـ (7 P's) هي: المنتج (Product)، التسعير (Price)، الترويج (Promotion)، التوزيع أو المكان (Place)، الدليل المادي (Physical Evidence)، الأفراد (Personnel)، العمليات (Processes).

وفيما يخص تعريف المزيج التسويقي فقد تعددت تعريفات الكتاب والباحثين في ميدان التسويق له، ومن أبرز هذه التعريفات نجد:

◆ عرف (Kotler, 1984, P: 68) المزيج التسويقي على أنه: «مجموعة المتغيرات التسويقية التي تسيطر عليها المؤسسة وتوجهها نحو تحقيق الاستجابة المرغوبة في أسواقها المستهدفة».

◆ وضمن نفس الاتجاه عرفه كل من (Ennew and Waite, 2007, P:172) على أنه: «مصطلح يستعمل لوصف الأدوات التسويقية التي يستخدمها مدير التسويق كضوابط لاتخاذ القرارات حول هذه الأدوات المختلفة من أجل خلق مواقع تنافسية واضحة في السوق لمنتجات المؤسسة وخدماتها، لتتنجم مع طبيعة استراتيجية التسويق الشاملة»، وفي هذا التعريف الأخير ركز هذان الباحثان على نقطة مهمة جداً وهي ضرورة التوافق بين مواصفات عناصر المزيج التسويقي واستراتيجية التسويق ككل.

◆ أما (Zollinger, 1985, P: 102) فعرفت المزيج التسويقي على أنه: «مجموعة من الوسائل والأدوات التسويقية التي يستخدمها رجل التسويق لتحقيق أهدافه، وعليه إيجاد المزيج المناسب وفقاً لمتطلبات السوق، وبحكم طبيعة تكوينه فإن المزيج التسويقي لا يتخذ شكلاً ثابتاً وإنما يتغير وفقاً لتغير معطيات السوق»، ومن خلال هذا التعريف أشارت (Zollinger) إلى ضرورة اختيار أو تشكيل المزيج التسويقي المناسب، كما أشارت أيضاً إلى حتمية اختلاف

وصفي تحليلي مقارنة يستهدف وصف ودراسة الأزمة المالية العالمية وآثارها على المصارف السويدية عموماً ومزيجها التسويقي خصوصاً وكيفية استخدام هذا الأخير في كل مرحلة من مراحل هذه الأزمة مقارنة بوضعية المصارف في جمهورية استونيا، وعلى هذا الأساس قامت الباحثتان بإجراء (05) مقابلات شخصية مع مسؤولين عن المصارف السويدية، ومقابلتان عبر الهاتف مع مسؤولين عن مصرفين استونيين (نظراً لبعد المسافة)، وبعد مقارنة النتائج توصلت الدراسة في الأخير إلى أن جميع عناصر المزيج التسويقي المصرفي يمكن أن تلعب دوراً مهماً في مجابهة آثار الأزمة المالية والتغلب عليها لكن بدرجات متفاوتة، فالترويج والتوزيع يلعبان دوراً محورياً، في حين أن المنتج والتسعير يلعبان دوراً ثانوياً وفقاً للنتائج التي تحصلت عليها الباحثتان.

6. دراسة (Gupta and al, 2014)

هدفت هذه الدراسة عموماً إلى توضيح واقع عناصر المزيج التسويقي السبعة (7P's) المطبقة في أحد أعرق المصارف التجارية الهندية وهو البنك الوطني الهندي (SBI) الذي يعد أكبر مصرف هندي من حيث عدد الفروع والودائع والأرباح وعدد الموظفين، وقد جاءت هذه الدراسة بطريقة وصفية استدلالية تستهدف إسقاط مختلف عناصر المزيج التسويقي السبعة على ما هو معمول به في البنك الوطني الهندي (SBI)، وقد اعتمد الباحثون أساساً على التقارير المالية السنوية التي يصدرها المصرف المبحوث وبعض الدراسات السابقة ذات العلاقة بموضوع البحث، وقد اكتفت هذه الدراسة بتوضيح واقع كل عنصر من عناصر المزيج التسويقي السبعة المطبقة في المصرف المبحوث كأنموذج تستدل به بقية المصارف الحكومية الهندية في تطبيق المزيج التسويقي وبهذا لم يتم إدراج توصيات في نهاية هذه الدراسة.

ثانياً: مميزات الدراسة الحالية عن الدراسات السابقة

تعدّ هذه الدراسة من الدراسات القليلة جداً التي بحثت في موضوع مدى إدماج وتطبيق عناصر المزيج التسويقي في المصارف التجارية الجزائرية (الحكومية والخاصة)، فمعظم الدراسات المحلية السابقة اهتمت بموضوع التسويق المصرفي ومدى تطبيقه في القطاع المصرفي الجزائري مع وجود بعض الدراسات التي تناولت موضوع المزيج التسويقي المصرفي لكنها اكتفت بمحاولة التعرف على مدى تطبيق عناصره في مصرف أو في بعض المصارف التجارية الجزائرية، بينما شملت هذه الدراسة تقريباً كافة المصارف التجارية الحكومية والخاصة العاملة في الجزائر باستثناء بعض فروع المصارف الأجنبية الصغيرة.

كما تتميز الدراسة الحالية بنظرتها الشاملة لموضوع المزيج التسويقي المصرفي إذ أخذت بعين الاعتبار جميع عناصر المزيج التسويقي ولم تترك أي عنصر منها، وبذلك فقد تبنت الدراسة النموذج الموسع للمزيج التسويقي المصرفي (7P's) بدلاً من النموذج التقليدي (4P's) الذي تبنته كثير من الدراسات السابقة.

المحور الثالث: الجانب النظري للدراسة

أولاً: مفهوم المزيج التسويقي في المصارف

لكل مصرف تجاري مزيج تسويقي يتميز به، يتجدد هذا

يمكن ضبطها وتنظيمها والتحكم فيها والسيطرة عليها والعمل على تنميتها وتعديلها من قبل إدارة المصرف، بغية إشباع الحاجات الحالية والمستقبلية للسوق المصرفية المستهدفة وزيادة الحصص السوقية وأرباح المصرف.

ثانياً: أهمية المزيج التسويقي في المصارف

يعد المزيج التسويقي واحداً من أبرز وأهم العناصر التي تؤلف أي استراتيجية تسويقية، حيث يرى (Kotler Philip) أن المزيج التسويقي هو التسويق عينه (أحمد، 2001، ص: 91)، أو بشكل أدق فإن المزيج التسويقي يمثل على أرض الواقع الاستراتيجية التي ترسمها الإدارة العليا للمشروع.

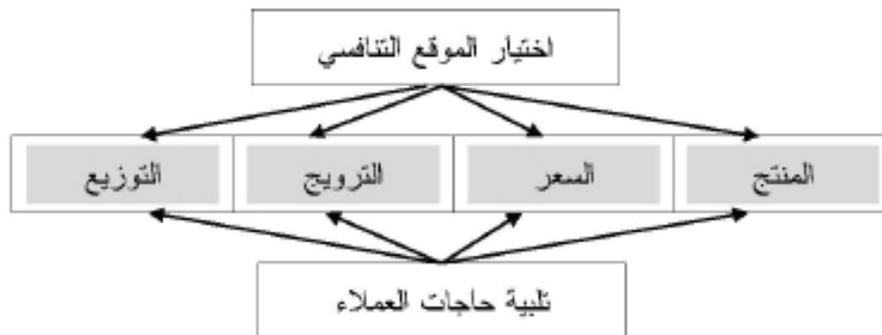
فالوصول إلى المزيج التسويقي المصرفي الأفضل يعتبر من الأمور الهامة التي تظهر مدى كفاءة إدارة التسويق المصرفي من ناحية، ومدى نجاح المصرف في الوصول إلى أهدافه من ناحية أخرى، إذ يتوقف نمو المصرف واستمراره بالدرجة الأولى على قدرته في تطوير خدماته وأعماله وتقديم الخدمات التي تعطي إضافات جديدة لخط منتجات المصرف وخدماته، بما يتناسب مع احتياجات ورغبات عملائه وظروف مجتمعه.

وإن هدف مفهوم المزيج التسويقي في المصارف معروف من طرف كل رجال التسويق داخل أي مصرف، فهو يركز على إرضاء المستهلك كهدف أساسي، ويمكن بلوغ هذا الهدف من خلال تفاعل عدد من المتغيرات، ويجب أن يكون في نفس الوقت مصاعاً بالطريقة التي تمكن من تحقيق أهداف المصرف، فالمزيج الجيد والمتوازن لهذه المكونات أو العناصر يؤدي في الأخير إلى تحقيق أعظم إرضاء للمستهلك. (ساهر، 2009، ص 18)

فإرضاء المستهلك أو الزبون يتوقف على مدى إمكانية عناصر المزيج التسويقي من تلبية احتياجاتهم ورغباتهم غير المشبعة وفقاً لما يوضحه كل من (Ennew and Waite) في الشكل أدناه:

الشكل (01)

المزيج التسويقي المصرفي وتلبية احتياجات العملاء



Source: Ennew Christine and Waite Nigel,

Op.cit, P:175.

عناصر المزيج التسويقي من مؤسسة لأخرى.

♦ في حين عرفه (الضمور، 2000، ص: 71) على أنه: «مجموعة من الأنشطة التسويقية المتكاملة والمتراصة، تلك التي تعتمد على بعضها بغرض أداء الوظيفية التسويقية على النحو المخطط له»، هذا التعريف الأخير علاوة على أنه يشير إلى أن المزيج التسويقي ليس عبارة عن وسائل فقط وإنما مجموعة من الأنشطة الشاملة، فهو يلفت الاهتمام كذلك بضرورة إحداث التكامل والانسجام بين مختلف عناصر المزيج التسويقي.

♦ وفي مجال الخدمات المصرفية فإن المزيج التسويقي لها لا يختلف من حيث مفهومه ومكوناته عن المزيج التسويقي للمؤسسات الأخرى إلا في الجوانب التي تختلف فيها الخدمات المصرفية عن السلع والخدمات الأخرى، لذا يمكن إبراز أهم التعريفات المقدمة للمزيج التسويقي المصرفي فيما يأتي:

♦ عرفت (Bitner, 1990, P: 70) المزيج التسويقي المصرفي على أنه: «مجموعة العناصر التي يستطيع المصرف السيطرة عليها لتحقيق أهداف السوق وإشباع حاجات الزبائن المستهدفين».

♦ وضمن نفس الصدد عرفه كل من (أبوركة وآخرون، 1987، ص: 17) المزيج التسويقي المصرفي على أنه: «مجموعة الأنشطة التسويقية المتكاملة والتي توجه للعميل لإشباع احتياجاته من الخدمة المصرفية والحصول على رضائه وتعامله المستمر مع المصرف»، وكلا التعريفان السابقان يركزان على الهدف الرئيسي من تصميم المزيج التسويقي وهو إشباع حاجات العملاء وكسب رضاهم.

♦ كذلك فإن (De Coussergues, 1996, P: 70) تتفق تماماً مع الباحثين السابقين، لكنها تقدم تعريفاً آخرًا موجزاً ودقيقاً للمزيج التسويقي المصرفي على أنه: «مختلف الوسائل الموضوعية تحت تصرف المصرف بغرض تحقيق أهدافه التجارية مترجمة إلى زبائن وحصص سوقية»، إن هذا التعريف الأخير ورغم أنه مقتضب جداً إلا أنه يعد تعريفاً شاملاً وصريحاً لمضمون المزيج التسويقي في المصرف ولأهدافه.

♦ وعموماً يرى الباحث أن المزيج التسويقي المصرفي يشير إلى: مجموعة من العناصر والوسائل والتقنيات المتغيرة التي

المعلومات	الخصائص	التكرار	%
المجموع		255	100
الوظيفة الحالية	مدراء	65	25.5
	موظفين	190	74.5
المجموع		255	100
الخبرة في العمل	أقل من 5 سنوات	74	29
	من 5-10 سنوات	67	26.3
	من 11-15 سنة	54	21.2
	16 سنة فما فوق	60	23.5
المجموع		255	100

المصدر: من إعداد الباحث وفقا لنتائج برنامج (SPSS-17).

وبناء على نتائج الجدول السابق يتضح ما يأتي:

1. إن أغلب مديري وموظفي المصارف التجارية الجزائرية (عينة الدراسة) هم من فئة الذكور بنسبة (54.5%) مقابل (45.5%) لفئة الإناث، وتعد هذه النسبة طبيعية جدا فتركيبه موظفي القطاع المصرفي الجزائري تشير إلى تفوق عددي لجنس الذكور على الإناث، لكن نسبة الإناث تشهد تزايدا كبيرا خلال السنوات الأخيرة.

2. إن أغلب مديري وموظفي المصارف التجارية الجزائرية (عينة الدراسة) ينتمون إلى الفئة العمرية (31 - 41 سنة) بنسبة (25.9%)، فيما حلت فئة الشباب (18 - 30 سنة) ثانية بنسبة (26.3%)، تليها الفئة العمرية (41 - 50 سنة) بنسبة (25.9%)، أما الفئة الأخيرة فهي (51 سنة فما فوق) بنسبة (9%)، وتدل النتائج السابقة على أن المصارف التجارية الجزائرية تركز على توظيف العنصر الشبابي.

3. إن الغالبية العظمى من مدراء وموظفي المصارف التجارية الجزائرية (عينة الدراسة) متزوجون بنسبة (63.9%) في حين أن (30.6%) منهم عزاب، و(3.1%) منهم مطلوقون، و(2.4%) أرامل.

4. إن الغالبية العظمى من مديري وموظفي المصارف التجارية الجزائرية (عينة الدراسة) هم من الجامعيين بنسبة (67.5%)، أما حملة الشهادة الثانوية + الدبلوم المهني فقد حلوا في المركز الثاني بنسبة (18.4%)، في حين تحصل حملة شهادات الدراسات العليا على المركز الثالث بنسبة (9%)، فيما حل أخيرا حملة شهادات الثانوية بنسبة (5.1%)، وتدل النسب السابقة الذكر على أن المصارف التجارية الجزائرية تركز على توظيف أفراد أكفاء وموهلين من حاملي الشهادات الجامعية والمهنية والعليا.

5. إن الغالبية العظمى من العينة المبحوثة هم من الموظفين بنسبة (74.5%) في حين بلغت نسبة المدراء (الإدارة العليا) (25.5%)، ويعود ذلك أساسا إلى صعوبة استجابة المديرين وصعوبة تعاونهم مع الباحثين متذرعين بكثرة انشغالاتهم ومسؤولياتهم.

6. إن أغلب مديري وموظفي المصارف التجارية الجزائرية (عينة الدراسة) لا تتجاوز عدد سنوات خبرتهم (05 سنوات) بنسبة (29%)، أما فئة المدراء والموظفين الذين تتراوح خبرتهم بين (5 - 10 سنوات) فقد حلت ثانية بنسبة (26.3%)، أما الفئة ذات الخبرة الطويلة (16 سنة فما فوق) فقد حلت الثالثة بنسبة (23.5%)

فمن وجهة نظر المصرف ليس هناك أي داع للإنفاق على أي عنصر من عناصر المزيج التسويقي إن لم يسهم في إرضاء العميل، وجعل العملية التسويقية أكثر إنتاجية، فهما اختلفت عناصر المزيج التسويقي للمصرف فإنه يتعين على رجل التسويق مزج مختلف مكوناته بالشكل الذي يحفز العميل على الإقبال عليه وهذا ما يضمن تحقيق أهداف المصرف.

كما أن تلبية حاجات العملاء والحصول على رضاهم لا يتم إلا من خلال قيام المصرف بتقديم منتجات وخدمات مصرفية ذات قيمة أعلى من توقعاتهم وانتظاراتهم، فالمزيج التسويقي هو العنصر المسؤول عن إعداد القيمة وإيصالها للعملاء وفقا لما يوضحه الشكل التالي:

الشكل (02)

دور المزيج التسويقي المصرفي في إعداد وإيصال القيمة للعملاء

إعداد القيمة	إيصال القيمة للعملاء
- تطوير وتقديم المنتجات والخدمات المصرفية	- التوزيع
- التسعير	- المزيج الترويجي

المصدر: من إعداد الباحث.

وبهذا ينبغي على المصارف تنمية وإعداد مزيج تسويقي ملائم لمقابلة متطلبات الأسواق التي تعمل فيها.

المحور الرابع: الجانب الميداني للدراسة

أولا: وصف خصائص عينة الدراسة وتشخيص متغيراتها

1- وصف خصائص عينة الدراسة

يظهر الجدول (04) وصفا لمختلف البيانات الشخصية والتعريفية لعينة مدراء وموظفي المصارف التجارية الجزائرية:

الجدول (04)

وصف عينة مدراء وموظفي المصارف التجارية الجزائرية

المعلومات	الخصائص	التكرار	%
الجنس	ذكر	139	54.5
	أنثى	116	45.5
المجموع		255	100
السن	18-30 سنة	67	26.3
	31-40 سنة	99	38.8
	41-50 سنة	66	25.9
	51 سنة فما فوق	23	9
المجموع		255	100
الحالة العائلية	متزوج	163	63.9
	أعزب	78	30.6
	مطلق	8	3.1
	أرمل	6	2.4
المجموع		255	100
المؤهل العلمي	ثانوي فأقل	13	5.1
	ثانوي + دبلوم مهني	47	18.4
	جامعي	172	67.5
	دراسات عليا	23	9

2- وصف عناصر المزيج التسويقي المطبق في المصارف التجارية الجزائرية الحكومية وتشخيصها من وجهة نظر عينة مديريها وموظفيها

يبين الجدول (05) أدناه مختلف الأوساط الحسابية والانحرافات المعيارية ونسب الاتفاق وترتيب الأهمية في إجابات عينة مديري وموظفي المصارف التجارية الجزائرية الحكومية حول أبعاد المزيج التسويقي السبعة المطبقة فيها:

الجدول (05)

وصف وتشخيص عناصر المزيج التسويقي المصرفي من وجهة نظر مديري وموظفي المصارف التجارية الجزائرية الحكومية

الترتيب الأهمية	نسبة الاتفاق (%)	الانحراف المعياري	الوسط الحسابي	الإجابات	1	2	3	4	5	البعد
الثالث	71.33	0.85	3.73	600	12	72	88	293	135	المنتج
السابع	55.83	0.89	3.51	600	29	143	93	241	94	التسعير
الثاني	68.24	0.84	3.81	600	20	82	88	259	151	الترويج
الخامس	73.16	0.96	3.69	600	34	55	72	287	152	التوزيع
الأول	77.83	0.95	3.90	600	27	38	68	301	166	الدليل المادي
الرابع	68.99	0.93	3.73	600	28	69	89	289	125	الأفراد
السادس	61.49	0.96	3.56	600	53	79	99	247	122	العمليات
-	68.12	0.73	3.64	42000	203	538	597	1917	945	المجموع

المصدر: من إعداد الباحث وفقا لنتائج برنامج (SPSS-17) ونتائج الآلة الحاسبة.

الأخيرة من حيث الاتفاق حيث تحصل على أدنى وسط حسابي بلغ (3.51) وانحراف معياري قدره (0.89) ونسبة اتفاق متوسطة بلغت (55.83%).

3- وصف وتشخيص عناصر المزيج التسويقي المطبقة في المصارف التجارية الجزائرية الخاصة من وجهة نظر عينة مديريها وموظفيها

يبين الجدول (06) أدناه مختلف الأوساط الحسابية والانحرافات المعيارية ونسب الاتفاق وترتيب الأهمية في إجابات عينة مديري وموظفي المصارف التجارية الجزائرية الخاصة حول أبعاد المزيج التسويقي السبعة المطبقة فيها:

الجدول (06)

وصف عناصر المزيج التسويقي المصرفي وتشخيصها من وجهة نظر مديري وموظفي المصارف التجارية الجزائرية الخاصة

ترتيب الأهمية	نسبة الإتفاق (%)	الانحراف المعياري	الوسط الحسابي	الإجابات	1	2	3	4	5	البعد
الرابع	81.18	0.75	3.98	420	05	39	35	223	118	المنتج
السابع	50.47	0.84	3.85	420	18	81	109	136	76	التسعير
الثاني	83.09	0.63	4.19	420	5	18	48	215	134	الترويج
الثالث	79.99	0.80	4.00	420	10	35	39	194	142	التوزيع
الأول	91.18	0.75	4.30	420	02	16	19	176	207	الدليل المادي

البيد	5	4	3	2	1	الاجابات	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	نسبة الإتفاق (%)	ترتيب الأهمية
الأفراد	103	204	86	23	04	420	3,94	0,65	73,09	السادس
العمليات	114	208	58	36	04	420	3,97	0,67	76,66	الخامس
المجموع	894	1356	394	248	48	2940	3,97	0,53	76,52	-

المصدر: من إعداد الباحث وفقا لنتائج برنامج (SPSS-17) ونتائج الآلة الحاسبة.

الجدول (07)

نتائج اختبار الفرضية الأولى

عناصر المزيج التسويقي المصرفي	(T) المحسوبة	(T) الجدولية	(T) المعنوية
المنتج	7,884	2,601	0,000
التسعير	7,285	2,601	0,000
الترويج	7,490	2,601	0,000
التوزيع	7,875	2,601	0,000
الدليل المادي	7,372	2,601	0,000
الأفراد	9,956	2,601	0,000
العمليات	10,300	2,601	0,000
المجموع	12,598	2,601	0,000

المصدر: من إعداد الباحث وفقا لنتائج برنامج (SPSS-17).

وبناء على نتائج الجدول أعلاه يتضح أن قيمة (T) المحسوبة لكل عنصر من عناصر المزيج التسويقي المصرفي السبعة هي أكبر من قيمة (T) الجدولية، إذ بلغت (T) المحسوبة الكلية لجميع عناصر المزيج التسويقي المصرفي (12,598) وهي أكبر من قيمتها الجدولية البالغة (2,601)، كما أن (T) المعنوية (0,000) أقل من مستوى الدلالة (0,01)، وبالتالي نرفض الفرضية العدمية ونقبل الفرضية البديلة، أي أن المصارف التجارية الجزائرية الحكومية والخاصة تتبنى مختلف عناصر المزيج التسويقي المصرفي السبعة (7P's) بنسب متفاوتة من وجهة نظر عينة مديريها وموظفيها.

وقد اتفقت نتائج هذه الدراسة مع دراسات كل من (العقبي، 2006)، (أبو عويلى، 2008)، و (Muinde, 2009) في تبني وتطبيق مختلف عناصر المزيج التسويقي في المصارف المبحوثة في كل دراسة، لكنها اختلفت معها في ترتيب وقوة تبني هذه العناصر.

2- اختبار الفرضية الثانية

◆ الفرضية العدمية (H0): لا يوجد اختلاف بين المصارف التجارية الجزائرية الحكومية والخاصة في تبني عناصر المزيج التسويقي المصرفي السبعة (7P's) من وجهة نظر عينة مديريها وموظفيها.

◆ الفرضية البديلة (H1): تختلف المصارف التجارية الجزائرية الحكومية والخاصة في تبني عناصر المزيج التسويقي المصرفي السبعة (7P's) من وجهة نظر عينة مديريها وموظفيها.

من أجل اختبار هذه الفرضية تم استخدام اختبار (F) لتحليل

وبناء على نتائج الجدول أعلاه يتبين أن اتجاهات العينة المبحوثة ايجابية نحو جميع عناصر المزيج التسويقي المصرفي السبعة المطبقة فيها، وذلك لأن أوساطها الحسابية جميعها تراوحت بين (3.85 - 4.30) والتي تشير إلى مستوى مرتفع لتطبيق عناصر المزيج التسويقي في عينة المصارف الخاصة المبحوثة، إذ بلغ الوسط الحسابي العام الموزون لعناصر المزيج التسويقي المصرفي مجتمعة (3,97) بانحراف معياري قدره (0,53) ونسبة اتفاق جيدة بلغت (76,52 %). كما تبين أن عنصر الدليل المادي هو من أكثر العناصر التي جرى الاتفاق عليها، إذ تحصل على أعلى وسط حسابي بلغ (4,30) وانحراف معياري قدره (0,75) ونسبة اتفاق ممتازة بلغت (91,18 %) فيما حل عنصر التسعير في المرتبة الأخيرة من حيث الاتفاق حيث تحصل على أدنى وسط حسابي بلغ (3,85) وانحراف معياري قدره (0,84) ونسبة اتفاق متوسطة بلغت (50,47 %).

وتأسيسا على الجدولين (05) و (06) يتضح أن كل من مديري وموظفي المصارف التجارية الجزائرية الحكومية والخاصة على حد سواء لديهم تصور واضح عن أهمية مختلف عناصر المزيج التسويقي المصرفي على مستوى المصارف المبحوثة، لكن تبقى نتائج عينة مديري وموظفي المصارف التجارية الجزائرية الخاصة (الأجنبية والمختلطة) أحسن بكثير من نتائج عينة مديري وموظفي المصارف التجارية الجزائرية الحكومية (العمومية)، حيث تحصلت عينة المصارف الخاصة على وسط حسابي عام بلغ (3,97) أعلى من الوسط الحسابي العام الذي تحصلت عليه عينة المصارف الحكومية والبالغ (3,64).

ثالثا: اختبار الفرضيات

1- اختبار الفرضية الأولى

◆ الفرضية العدمية (H0): لا تتبنى المصارف التجارية الجزائرية الحكومية والخاصة عناصر المزيج التسويقي المصرفي السبعة (7P's) من وجهة نظر عينة مديريها وموظفيها.

◆ الفرضية البديلة (H1): تتبنى المصارف التجارية الجزائرية الحكومية والخاصة عناصر المزيج التسويقي المصرفي السبعة (7P's) من وجهة نظر عينة مديريها وموظفيها.

من أجل اختبار هذه الفرضية تم استخدام اختبار (T) لعينة واحدة (One-Sample T test) وقد جرى التحصل على النتائج الموضحة في الجدول أدناه:

والثانية على التوالي من حيث ترتيب الأهمية وفقا لآراء عينتي مديري وموظفي المصارف التجارية الجزائرية الحكومية والخاصة كذلك.

2. احتلت عناصر (المنتج، الأفراد، التوزيع، العمليات) المراتب الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة على التوالي من حيث ترتيب الأهمية وفقا لآراء عينة مديري وموظفي المصارف التجارية الجزائرية الحكومية، فيما احتلت عناصر (التوزيع، المنتج، العمليات، الأفراد) المراتب الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة على التوالي من حيث ترتيب الأهمية وفقا لآراء عينة مدراء وموظفي المصارف التجارية الجزائرية الخاصة.

3. تحصل بعد التسعير على المرتبة السابعة والأخيرة من حيث أهميته وفقا لآراء عيني مدراء وموظفي المصارف التجارية الجزائرية الحكومية والخاصة على حد سواء.

وقد اتفقت نتائج هذه الدراسة مع دراسة (العتيبي، 2006) في التوصل إلى اختلاف وتباين المصارف التجارية المبحوثة الحكومية عن الخاصة في تبني عناصر المزيج التسويقي وكانت النتيجة لصالح المصارف الخاصة في كلا الدراستين، لكن يبقى هناك اختلاف في ترتيب عناصر تطبيق المزيج التسويقي.

المحور الخامس: النتائج والتوصيات

توصلت هذه الدراسة في الأخير إلى جملة من النتائج والتوصيات يمكن إيجازها فيما يأتي:

أولاً: نتائج الدراسة

1. نتائج الدراسة النظرية: من خلال الإطار النظري للدراسة ومراجعة مختلف الدراسات السابقة توصل الباحث إلى جملة من النتائج النظرية أبرزها:

- تباين أغلب الكتاب والباحثين في موضوع المزيج التسويقي المصرفي على تحديد عناصر هذا المزيج، فهناك من يحددها بأربعة عناصر (4P's) في إطار ما يسمى بالمزيج التسويقي التقليدي أو الأساسي، أما حالياً فإن أغلب الباحثين في ميدان التسويق يتفقون على أنها سبعة عناصر (7P's) وهي: (المنتج/ الخدمة المصرفية، التسعير، الترويج، التوزيع، الدليل المادي، الأفراد، العمليات).

- إن عملية تشكيل المزيج التسويقي المصرفي ليست مجرد عملية إدارية روتينية، وإنما هي عملية تتطلب دراسة ودراية على درجة عالية من الدقة لمختلف خصائص وأبعاد كل عناصر المزيج التسويقي المصرفي السبعة من جهة، وضرورة تناسق وتوافق جميع هذه العناصر السبعة من جهة أخرى، بالشكل الذي يجعل هذا المزيج التسويقي المصرفي متماسكا ومتكاملا وفعالاً.

- يجمع جل الكتاب والباحثين على أن المزيج التسويقي المصرفي الفعال يلعب بارزا في تحسين نوعية المنتجات والخدمات المصرفية المقدمة للعملاء والتي تعد من أبرز وأهم عناصر تحقيق الميزة التنافسية للمصارف التجارية.

2. نتائج الدراسة الميدانية: من خلال الدراسة الميدانية التي قام بها الباحث فقد توصل إلى عدة نتائج أبرزها:

التباين الأحادي (ANOVA) وقد تم التوصل إلى النتائج الموضحة في الجدول أدناه:

الجدول (08)

نتائج اختبار الفرضية الثانية

مصدر التباين	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	(F) المحسوبة	(F) الجدولية
بين المجموعات	45,282	1	45,282		
داخل المجموعات	72,184	253	0,285	158,170	6,90
الكلية	117,467	254			

المصدر: من إعداد الباحث وفقا لنتائج برنامج (SPSS-17).

وبناء على نتائج الجدول أعلاه يتضح أن قيمة (F) المحسوبة لعناصر المزيج التسويقي المصرفي السبعة هي أكبر من قيمة (F) الجدولية، إذ بلغت (F) المحسوبة الكلية (158,170) وهي أكبر من قيمتها الجدولية البالغة (6,90)، وبالتالي نرفض الفرضية العدمية ونقبل الفرضية البديلة أي أن المصارف التجارية الجزائرية الحكومية والخاصة تختلف في تبني مختلف عناصر المزيج التسويقي المصرفي السبعة (7P's) من وجهة نظر عينة مديريها وموظفيها.

ومن أجل ترتيب الأهمية للاختلاف في تبني عناصر المزيج التسويقي المصرفي السبعة من طرف المصارف التجارية الجزائرية المبحوثة استخدم الباحث الأوساط الحسابية والانحرافات المعيارية فكانت النتائج وفقا لما يوضحه الجدول أدناه:

الجدول (09)

ترتيب الأهمية للاختلاف في تبني عناصر المزيج التسويقي المصرفي من طرف المصارف التجارية الجزائرية المبحوثة الحكومية والخاصة

العنصر	عينة مدراء وموظفي المصارف التجارية الحكومية		عينة مدراء وموظفي المصارف التجارية الخاصة	
	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري
المنتج	3,73	0,85	3,98	0,75
التسعير	3,51	0,89	3,85	0,84
الترويج	3,81	0,84	4,19	0,63
التوزيع	3,69	0,96	4,00	0,80
الدليل المادي	3,90	0,95	4,30	0,75
الأفراد	3,73	0,93	3,94	0,65
العمليات	3,56	0,96	3,97	0,67
المجموع	3,64	0,73	3,97	0,53

المصدر: من إعداد الباحث وفقا لنتائج برنامج (SPSS-17).

وبناء على نتائج الجدول السابق يتضح ما يأتي:

1. احتل عنصري الدليل المادي والترويج المرتبتين الأولى

- سياسة العمليات المصرفية: ضعف توظيف مختلف تقنيات الإعلام الآلي وتكنولوجيات المعلومات والاتصالات الحديثة في تسهيل وتبسيط الإجراءات والعمليات المصرفية من جهة، وبيروقراطية الإدارة من جهة أخرى.

والعارف بخبايا القطاع المصرفي الجزائري يدرك تماما أن النتائج الإحصائية الإيجابية المتوصل إليها عبر هذه الدراسة تختلف تماما عن الواقع الميداني الذي يشوبه كثير من القصور في تطبيق عناصر الميزج التسويقي في المصارف التجارية الجزائرية الحكومية، ويمكن إرجاع هذا الاختلاف - وفقا للباحثين - إلى سببين رئيسيين، أولهما أن ما نسبته (41,18%) من المبحوثين ينتمون إلى المصارف التجارية الخاصة والأجنبية، الأمر الذي أسهم بشكل كبير في إعطاء نتائج جد ايجابية، وثانيهما تحيز عدد من المبحوثين المنتمين إلى المصارف التجارية الجزائرية الحكومية وتقديمهم لإجابات تحسن من صورة المصارف التي يعملون بها.

3. تختلف المصارف التجارية الجزائرية الحكومية والخاصة في تبني عناصر الميزج التسويقي وهذا ما تأكده قيمة (F) المحسوبة لجميع عناصر الميزج التسويقي المصرفي السبعة البالغة (158,170) وهي أكبر من قيمتها الجدولية البالغة (6,90)، وقد احتل عنصر الدليل المادي المرتبة الأولى من حيث ترتيب الأهمية فيما احتل عنصر التسعير المرتبة الأخيرة من حيث ترتيب الأهمية وفقا لآراء عينة مديري وموظفي المصارف التجارية الجزائرية الحكومية والخاصة المبحوثة.

ثانيا: توصيات الدراسة

لقد توصلت هذه الدراسة في الأخير إلى جملة من التوصيات والاقتراحات الخاصة بضرورة قيام المصارف التجارية الجزائرية الحكومية والخاصة على حد سواء بتعزيز ودعم عناصر ميزجها التسويقي المصرفي بكل ما هو جديد ومميز بالشكل الذي يجعل هذا الميزج التسويقي المقدم فعالا يساهم في تحقيق جودة المنتجات والخدمات المصرفية المقدمة، وبالتالي يحقق رضا العملاء وولائهم، وهذا ما يساهم في تحقيق الميزة التنافسية لهذه المصارف، وضمن هذا الصدد يقترح الباحث مجموعة من التوصيات الخاصة بكل عنصر من عناصر الميزج التسويقي المصرفي السبعة وذلك كما يأتي:

- سياسة المنتج/ الخدمة المصرفية: وذلك من خلال ضرورة قيام المصارف التجارية الجزائرية بتبني برامج فعالة لتطوير جودة منتجاتها وخدماتها الحالية وتقديم منتجات وخدمات مصرفية جديدة ومبتكرة، بالإضافة إلى تنوع هذه الخدمات والمنتجات قدر الإمكان.

- سياسة التسعير: ضرورة إتباع المصارف التجارية الجزائرية لطرق موضوعية في تسعير المنتجات والخدمات المصرفية، بحيث تتحدد الأسعار بناء على مدى قبول العملاء واقتناعهم بها إلى جانب ظروف السوق وأسعار المصارف المنافسة، كما يتعين على إدارة هذه المصارف أن تعمل على الحد من ارتفاع التكاليف لكي تتناسب مع الأسعار المحددة من أجل تحقيق الأرباح المطلوبة.

- سياسة الترويج: ضرورة استغلال مختلف عناصر الميزج

- تتبنى المصارف التجارية الجزائرية الحكومية والخاصة على حد سواء مختلف عناصر الميزج التسويقي السبعة (المنتج، التسعير، الترويج، التوزيع، الدليل المادي، الأفراد، العمليات) بنسب متفاوتة، وهذا ما أكدته نتائج الدراسة الميدانية حيث بلغت (T) المحسوبة الكلية لجميع عناصر الميزج التسويقي المصرفي (12,598) وهي أكبر من قيمتها الجدولية البالغة (2,601)، كما أن (T) المعنوية (0,000) أقل من مستوى الدلالة (0,01)، وهذا ما يؤكد تبني المصارف التجارية الجزائرية المبحوثة لمختلف عناصر الميزج التسويقي وفقا لآراء عينة مديريها وموظفيها، لكن رغم ذلك، فإن واقع القطاع المصرفي في الجزائر يشير إلى قصور ونقص جم في تطبيق مختلف عناصر الميزج التسويقي في المصارف التجارية الجزائرية وبالتحديد في المصارف الحكومية والتي يمكن عرضها فيما يأتي:

- سياسة المنتج/ الخدمة المصرفية: قصور الميزج الخدمي المطبق من طرف المصارف التجارية الجزائرية الحكومية، إذ أنه مازال ميزجا متخصصا في خدمة قطاعات سوقية معينة وبعيد عن التنوع رغم الطابع الشمولي الذي تتميز به هذه المصارف بموجب قانون النقد والقرض الصادر سنة (1990) من جهة، وغياب تبني برامج واضحة في تطوير وعصرنة المنتجات والخدمات المصرفية المقدمة من جهة أخرى.

- سياسة التسعير المصرفي: تواجه المصارف التجارية الجزائرية الحكومية والخاصة على حد سواء عدة عراقيل وصعوبات في تسعير منتجاتها وخدماتها، حيث أن الكثير منها يحدد من طرف بنك الجزائر (البنك المركزي الجزائري) وهذا ما أوجد ضعفا في المنافسة السعرية بين هذه المصارف من جهة، وعدم إتباع طرق ناجعة في الحد من ارتفاع التكاليف لكي تتناسب مع الأسعار من جهة أخرى.

- سياسة الترويج المصرفي: عدم تنوع عناصر الميزج الترويجي والاعتماد في الغالب على أداة الإعلان من جهة، وضعف مخصصات الترويج مع غياب الأسس السليمة لتحديد ميزانية الترويج في هذه المصارف من جهة أخرى.

- سياسة التوزيع المصرفي: الاعتماد بشكل أساسي على الوكالات المصرفية في توزيع المنتجات والخدمات، إذ يلاحظ ضعف الاعتماد على أجهزة الصراف الآلي وقنوات التوزيع الحديثة الأخرى بسبب التعطيلات المستمرة لهذه الأجهزة وبسبب ضعف الوعي المصرفي لدى العملاء في استخدام البطاقات الائتمانية، بالإضافة على غياب الدراسات العلمية الجدية في إقامة الوكالات والفروع الجديدة.

- سياسة الدليل المادي للمصرف: حتى الآن ما يزال كثير من المصارف التجارية الجزائرية الحكومية تعتمد تنظيم بنك الوقوف في تقديم منتجاتها وخدماتها، في حين نجد أن جميع المصارف الأجنبية قد تخلت عن هذا التنظيم واعتمدت تنظيم بنك الجلوس من جهة، وضعف الأجهزة والتكنولوجيات الحديثة المساعدة على تقديم المنتجات والخدمات المستخدمة في هذه المصارف من جهة أخرى.

- سياسة الأفراد: ضعف برامج تأهيل وتدريب وتحفيز الموارد البشرية المتبعة في هذه المصارف.

وفوطة سحر محمد، (2012): تسويق الخدمات المصرفية، ط1، إثراء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

7. ساهل سيدي محمد، (2009): دور التوجه التسويقي في المصرف وأهمية المزيج التسويقي في اتخاذ القرارات المصرفية، الملتقى الدولي حول: صنع القرار في المؤسسة الاقتصادية، يومي 14 و 15 أفريل، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر.

8. الصميدعي محمود جاسم ويوسف ردينة عثمان، (2005): التسويق المصرفي: مدخل استراتيجي. كمي. تحليلي، ط1، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

9. الضمور هاني حامد، (2000): تسويق الخدمات، ط1، دار وائل للشر والتوزيع، عمان، الأردن.

10. طاري محمد العربي، (2005): المزيج التسويقي للبنوك الجزائرية - حقائق وآفاق-: دراسة حالة القرض الشعبي الجزائري، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 03، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر.

11. طه طارق، (2007): إدارة البنوك في بيئة العولمة والإنترنت، الدار الجامعية الجديدة للنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر.

12. العباسي إناس، (2013)، الاستراتيجيات التسويقية المصرفية: المنهج والتطبيق بين البنوك الأجنبية والمصرية، ط1، القاهرة - مصر، دار الكتب المصرية.

13. العتيبي عباس عبد الحميد، (2006): دور استراتيجية المزيج التسويقي في تحقيق الميزة التنافسية: دراسة ميدانية في عينة من المصارف الحكومية والأهلية في محافظة البصرة، مذكرة ماجستير غير منشورة في علوم الإدارة والاقتصاد، تخصص: إدارة الأعمال، جامعة البصرة، العراق.

14. العجارمة تيسير، (2005): التسويق المصرفي، ط1، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

ثانياً المراجع الأجنبية:

1. Al Azzawi Lena and Kaczynska Monika, (2011) : Marketing mix in banking in the time of global financial crisis, master thesis in international marketing, Halmstad University, Sweden.
2. Bitner Mary Jo, (1990) : Evaluating service encounters: the effects of physical surroundings and employee responses, Journal of Marketing, vol.54, April.
3. De Coussergues Sylvie, (1996) : La banque : structure, marchés, gestion, 2ème Ed, Dalloz, Paris, France.
4. Ennew Christine and Waite Nigel, (2007) : Financial services marketing: an international guide to principals and practice, 1st Ed, Elsevier, Burlington, U.S.A.
5. Gupta Deepti, Singh Amar and Rizwan Mohd, (2014) : An analytical study of marketing mix strategies of SBI, International Journal of Research in Management, Economics and Commerce, vol.04, April.
6. Kotler Philip, (1984) : Marketing management : analysis, planning and control, 5th Ed, Prentice Hall International Inc, London, U.K.
7. Muinde Agnes, (2009) : The extent of application of the marketing mix variables by Non-Banking Financial Institution (NBFi) in Kenya, master thesis in business administration, university of Nairobi, Kenya.
8. Sekaran Uma, (2003) : Research methods for business, John Wiley And Sons, Chichester, England.
9. Zollinger Monique, (1985) : Marketing bancaire : vers une banque du troisième type, Dunod, Paris, France.

الترويجي المختلفة حتى يكون العميل على علم تام بالمصرف وبخدماته وخاصة الجديدة منها، مع زيادة مخصصات الترويج ووضع أسس سليمة لتحديد ميزانية الترويج ككل.

- سياسة التوزيع: ضرورة تطوير منافذ توزيع المنتجات والخدمات المصرفية بصورة تسمح للعملاء من تحقيق المنفعة الزمنية والمكانية، مع ضرورة تزويد جل المصارف بقنوات التوزيع الإلكترونية المختلفة (أجهزة الصراف الآلي) لما لها من دور في حل كثير من المشاكل وتخفيض الضغط على فروع المصرف.

- سياسة الدليل المادي: ضرورة تزويد المصارف التجارية الجزائرية بجميع اللوازم والتسهيلات المادية وتهيئة مبانيها بصورة أحسن من الداخل والخارج وهذا من شأنه المساعدة على تقديم أفضل الخدمات في أحسن الظروف.

- سياسة الأفراد: ضرورة الاهتمام بالأفراد العاملين في المصارف التجارية الجزائرية كون الكادر البشري للمصرف يعد مفتاح التفوق التنافسي، وذلك عبر حسن الاختيار والتوظيف للكفاءات التي تقدم الأحسن للمصرف، وكذلك عبر تبني سياسة فعالة لتكوين وتدريب موظفي هذه المصارف.

- سياسة العمليات: ضرورة العمل على تطوير كافة الجوانب المتعلقة بعمليات تقديم المنتجات والخدمات المصرفية، عبر تطوير إجراءات تقديم الخدمات حتى تكون سهلة وبسيطة وبعيدة عن التعقيد، وعبر تحسين أساليب استقبال العملاء والتعامل معهم بصورة تحقق رضاهم، وعبر حسن توظيف مختلف تقنيات الإعلام الآلي والتكنولوجيات الحديثة للإعلام والاتصال في تسهيل وتبسيط العمليات المصرفية.

ولا شك أن لتجسيد هذه التوصيات دوراً هاماً في تطوير نشاط المصارف الجزائرية وتنمية قدراتها التنافسية وتمكينها من البقاء والاستمرار في هذه السوق المصرفية التي تتغير ملامحها يوماً بعد يوم.

المصادر والمراجع:

أولاً المراجع العربية:

1. أبو ركة حسن عبد الله، مكي أحمد فاضل عباس، ومصطفى أحمد سيد، (1987): المزيج التسويقي لخدمات البنوك التجارية، ط1، مطابع جامعة الملك عبد العزيز، جدة، السعودية.
2. أبو عرابي مروان محمد، (2006): الخدمات المصرفية في البنوك الإسلامية والتقليدية، ط1، دار تسنيم للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
3. أبو عويلى غادة محمود سلامة، (2008): مدى تبني مكونات الاستراتيجية التسويقية في المصارف العاملة في فلسطين، مذكرة ماجستير غير منشورة في العلوم التجارية، تخصص: إدارة الأعمال، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين.
4. أحمد أحمد محمود (2001): تسويق الخدمات المصرفية: مدخل نظري - تطبيقي، ط1، دار البركة للنشر، عمان، الأردن.
5. الجيوسي سليمان والطائي محمد، (2010): تسويق الخدمات المالية، الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات، ط1، القاهرة، مصر.
6. الزامل أحمد محمود، جرادات ناصر محمد سعود، عريقات أحمد يوسف،

العلاقة بين مستويات استخدام الجمهور الفلسطيني للإعلام الرقمي ومستويات المعرفة بقضايا الشباب*

د. إبراهيم المصري**

د. عمرو أبو جبر***

* تاريخ التسليم: 2015/4/25م، تاريخ القبول: 2016/3/15م.
** أستاذ مساعد/ جامعة فلسطين / غزة.
*** أستاذ مساعد/ جامعة فلسطين / غزة.

unemployment issues came second with an average of 9.7%.

- ◆ The prime reason for the multiple youth problems is the Israeli occupation; the Palestinian division in 2007 came as the second reason for youth problems from the point of view of Palestinian public.

Key words: digital media, the new media, social media networks, youth issues, Palestinian Youth and the new media.

مقدمة:

يعاني الشباب من مشكلات وصراعات وأزمات حادة، نتيجة الاحتلال الإسرائيلي وممارساته الوحشية بحق الشعب الفلسطيني لاسيما الشباب، فمنذ نكبة عام 1948 التي نتج عنها طرد وتهجير جزء كبير من الشعب الفلسطيني إلى أماكن متعددة سواء في باقي الأراضي الفلسطينية التي احتلتها إسرائيل عام 1967، أو الهجرة إلى دول عربية مجاورة، ونتيجة لذلك تقلصت الأراضي الفلسطينية التي ينتفع بها السكان لاسيما الشباب؛ لأنه الطاقة العاملة والمنتجة.

وتفاقت هذه الأزمات منذ قدوم السلطة الوطنية الفلسطينية عام 1994 عقب اتفاقية أوسلو؛ وذلك لعدم وضوح الآليات والبرامج التي تقلص من هذه الأزمات، إلى جانب عدم تشجيعها للاستثمار، إذ إن المجتمع الفلسطيني مجتمع مستهلك بالدرجة الأولى⁽¹⁾. وكان لحالة الانقسام الفلسطيني عام 2007 الدور الأكبر في تفاقم مشكلات الشباب وأزماتهم، فقد أدى ذلك إلى عدم وضع برامج مشتركة بين الضفة الغربية وقطاع غزة تساعد في إيجاد الحلول التي يمكن أن تسهم في حل هذه الأزمات أو تقليصها، وقد نتج عن ذلك ارتفاع في نسبة البطالة بين الشباب الفلسطيني، إذ وصلت عام 2014 إلى 55%⁽²⁾. وتزداد معاناتهم في الشتات سواء في الوطن العربي أو خارجه فمنذ نحو ستة عقود يعيش الشباب أوضاعاً معيشية بالغة الصعوبة تتنافى مع أبسط معايير الكرامة الإنسانية، إذ يبلغ معدل الفقر في المجتمع الفلسطيني في لبنان 66% وتزيد هذه النسبة لتصل إلى 81% بين فئة الشباب بحسب آخر مسح أجرته وكالة الأونروا في لبنان⁽³⁾. ويبلغ معدل الفقر في قطاع غزة 38.8% منهم 21.1% يعانون من الفقر المدقع، وتزيد نسبة الفقر بالنسبة للشباب لتصل إلى 51% في الضفة الغربية وقطاع غزة⁽⁴⁾.

ومن هنا تأتي أهمية الإعلام الجديد (الرقمي) في تناوله لقضايا الشباب، وبخاصة أنه بفضل تكنولوجيا الاتصال أصبح من أكثر الوسائل جذباً وإبهاراً للشباب إذا ما قورن بالإعلام التقليدي من صحف، وإذاعة، وتليفزيون الأمر الذي أعطاه مكانة متميزة وأدواراً متعددة في تنشئة الشباب وتنقيفه وإرساء القيم والعادات الاجتماعية والثقافية وتغيير سلوك الأفراد إلى الأفضل عن طريق اهتمامه بنشر الوعي وتبصير الشباب بقضايا المجتمع وإبراز قيم التماسك الاجتماعي.

ويتميز الإعلام الرقمي بالقدرة في التأثير في الجمهور وزيادة مستويات معارفهم تجاه قضايا الشباب، وله القدرة على الشرح والتحليل والنقد والتفسير وإثارة القضايا ومن بينها قضايا الشباب، وأصبح يؤثر في الرأي العام المحلي وذلك عن طريق إبراز الإخفاقات وضعف إداء السلطة في الحد من أزمات الشباب، وأيضاً التأثير في الرأي العام الدولي وإبراز عدالة القضية الفلسطينية.

ملخص:

تهدف الدراسة إلى التعرف على العلاقة بين مستويات استخدام الجمهور الفلسطيني للإعلام الرقمي ومستوى المعرفة بقضايا الشباب، وتحليل مستويات المعرفة التي يحققها الإعلام الرقمي في زيادة وعي وإدراك الجمهور لقضايا الشباب، وطبقت الدراسة على عينة قوامها (168) مبحوثاً من محافظات قطاع غزة، وتشير أهم النتائج إلى أن الجمهور الفلسطيني يعتمد في الترتيب الأول على الإنترنت كمصدر في الحصول على المعلومات بوزن نسبي (6.1)، وهي نسبة تشير إلى فاعلية الإنترنت في المجتمع الفلسطيني، وأن ما نسبته 74.7% يستخدمون شبكة الفيس بوك Face Book، وأن الجمهور الفلسطيني يهتم بمتابعة قضايا الشباب الفلسطيني بنسبة وصلت إلى 84%، مما يعكس حجم اهتمام الجمهور بقضايا الشباب ومشكلاته في ظل تعددها في المجتمع الفلسطيني، وأن الإعلام الرقمي يشكل معارف الجمهور بقضايا الشباب بشكل متوسط بنسبة وصلت إلى 56%، وبشكل متعمق بنسبة 31.3%، وهي نسب تشير إلى مساهمة الإعلام الرقمي في زيادة معرفة الجمهور بقضايا الشباب، وأن قضايا الفقر جاءت في الترتيب الأول بمتوسط حسابي وصل إلى 9.9%، فيما جاءت البطالة في الترتيب الثاني بمتوسط حسابي وصل إلى 9.7%، وهي نسب تعكس ارتفاع البطالة بين الشباب خاصة خريجي الجامعات، وأن السبب الأول في تعدد مشكلات الشباب الفلسطيني هو الاحتلال الإسرائيلي، فيما جاءت حالة الانقسام الفلسطيني عام 2007 في الترتيب الثاني من حيث رؤية الجمهور بأنها سبب مباشر في تردي أوضاع الشباب.

الكلمات المفتاحية: الإعلام الرقمي، الإعلام الجديد، شبكات التواصل الاجتماعي، قضايا الشباب، الشباب الفلسطيني والإعلام الجديد.

The relationship between the levels of using digital media by Palestinian public & knowledge levels about youth issues

Abstract:

This thesis aims to recognize the relationship between the levels of using digital media by Palestinian public & knowledge levels on youth issues. The study aims also to analyze knowledge levels of public awareness of youth issues achieved by digital media.

This study was applied on a sample of 168 researchers from Gaza governorates, the most important results of this study are as follows:

- ◆ Palestinian public depends primarily on internet as a source of information with a relative weight of (6.1) , (74.7) % use Facebook.
- ◆ Palestinian public is concerned about youth issues with 84 %.
- ◆ The role of digital media in forming public knowledge on youth issues was moderately of 56% & deeply of 31.3%.
- ◆ Poverty issues came first with an average of 9.9% while

أولاً- الإطار النظري للدراسة:

المعرفة المتعمقة بموضوع معين والسؤال عن التفاصيل المرتبطة به، بينما تضيق الفجوة أو لا توجد أساساً إذا ما تم القياس بالنسبة للمعرفة العامة أو الوعي بالموضوع فقط⁽⁹⁾.

4. وقت قياس المعرفة:

تشير جازيانو Gaziano إلى أن الأساليب المنهجية المتبعة في قياس المعرفة يمكن أن تؤثر في نتائج بحوث فجوة المعرفة، فدرجة فجوة المعرفة تختلف باختلاف وقت قياس فجوة المعرفة بعد التعرض لوسائل الإعلام، فكلما كان قياس المعرفة بعد التعرض مباشرة، كانت الفجوة المعرفية أقل، وكلما كان قياس المعرفة بعد فترة كبيرة من التعرض، تظهر الفجوات المعرفية أوسع بين الأفراد الذين ينتمون إلى مستويات اجتماعية اقتصادية مختلفة⁽¹⁰⁾.

5. التأثير التكنولوجي على فجوة المعرفة:

تشير العديد من الدراسات التي حاولت اختبار فرض فجوة المعرفة إلى أن وسائل الاتصال الحديثة التي يستخدمها الأفراد بشكل فردي مثل الكمبيوتر، والانترنت، والقنوات الفضائية وغيرها، قد تؤدي إلى اتساع الفجوة المعرفية بين الأفراد، فنحن نعيش اليوم في زمن تتغير فيه المعلومات بسرعة فائقة ما يتسبب في وصول فئات من المجتمع إلى المعلومات بعد أن تكون قديمة نسبياً وتكون فئات أخرى قد اكتسبت معلومات أجد، فانتشار وسائل الاتصال الحديثة يؤدي للانتشار غير المتساوي اجتماعياً للمعرفة.

ثانياً- الإطار المنهجي للدراسة

الموضوع وأهميته:

تبرز أهمية موضوع الدراسة المتعلقة بدراسة العلاقة بين مستويات استخدام الجمهور الفلسطيني للإعلام الرقمي ومستويات المعرفة بقضايا الشباب من عدة عوامل أهمها: حجم فئة الشباب في المجتمع الفلسطيني إذ تعد هذه الفئة الشريحة الأوسع في الهرم السكاني الفلسطيني، إذ تمثل ما نسبته⁽¹¹⁾ 30% وزيادة وتعدد المشكلات التي يعاني منها الشباب في فلسطين سواء كانت اقتصادية كالبطالة والفقر وما يتولد عنها من مشكلات أخرى كالهجرة إلى الخارج، أو اجتماعية كإدمان المخدرات والتدخين وتأخر سن الزواج أو ما يعرف (بالعنوسة) وزيادة معدلات الطلاق وانتشار العنف والجريمة، أو سياسية إقصاء الشباب وحرمانه من المشاركة السياسية. وخصوصية الشباب الفلسطيني وما يتعرض له من معاناة في مخيمات اللجوء جراء الاحتلال الإسرائيلي للأراضي الفلسطينية عام 1948 وعام 1967 وما تلاها من أحداث أثرت على الشباب الفلسطيني؛ إذ يعيش قرابة 60% من الشعب الفلسطيني خارج فلسطين غالبيتهم في المخيمات في لبنان وسوريا والأردن⁽¹²⁾. وإقبال الجمهور الفلسطيني على الإعلام الجديد بشكل متزايد إذ تشير البيانات لعام 2011 أن نسبة الذين يستخدمون الحاسوب قد بلغت 67.5% في الأراضي الفلسطينية بواقع 70.4% في الضفة الغربية مقابل 62.7% في قطاع غزة⁽¹³⁾.

تعتمد الدراسة على نظرية فجوة المعرفة، إذ تقوم النظرية على فرض رئيس وهو «يؤدي تدفق المعلومات من وسائل الإعلام داخل النظام الاجتماعي إلى جعل فئات الجمهور ذي المستوى الاقتصادي الاجتماعي المرتفع يكتسبون هذه المعلومات بمعدلات أسرع من الفئات ذات المستوى الاقتصادي الاجتماعي المنخفض⁽⁵⁾، وبالتالي تتجه فجوة المعرفة بين فئات الجمهور المختلفة إلى الزيادة بدلاً من النقصان»، ويؤكد هذا الفرض أن الفئات ذات المستوى الاقتصادي الاجتماعي المنخفض لا تظل فقيرة في المعلومات بوجه عام، ولكنها تكتسب معلومات أقل نسبياً من الفئات الأعلى في المستوى الاجتماعي الاقتصادي.

وقد أيدت بحوث عديدة صحة هذه الفرضية في الولايات المتحدة، وأوروبا، وأمريكا اللاتينية، والشرق الأوسط. حين أشارت إلى أن العوامل الاقتصادية والاجتماعية هي المحدد الأساسي لاكتساب الجمهور للمعرفة⁽⁶⁾.

وتقوم النظرية على بعدين أساسيين هما:

البعد الأول: المستوى المحدود أو الفردي: Micro Level يركز هذا البعد على أن الفرد يكتسب المعرفة نتيجة للتعرض لوسائل الإعلام مع الوضع في الاعتبار المتغيرات الأخرى المرتبطة بالشخص، والتي تتضمن الفروق الفردية في القدرة المعرفية، ومهارات الاتصال، ومستويات الاهتمام وغيرها.

والبعد الثاني: المستوى الأوسع أو المجتمعي: Macro Level ويشمل البناء الاجتماعي والمتغيرات المتعلقة بالمجتمع في نطاق واسع، مثل نشر توزيع المعلومات، والنزاع الاجتماعي، والتكتل الاجتماعي، وسيطرة بعض المنظمات الإعلامية على المعلومات⁽⁷⁾.

العوامل المؤثرة في الفجوة المعرفية:

توصل بعض الباحثين من خلال سعيهم لتطوير فرض فجوة المعرفة إلى بعض العوامل التي قد تسبب في توسيع أو تضيق الفجوة المعرفية ومن هذه العوامل الآتي:

1. نوع الموضوع:

إذ تشير الدراسات إلى أن فجوة المعرفة تعتمد على تعقد أو سهولة الموضوع، حيث تضيق الفجوة المعرفية في حالة الموضوعات المحلية وقد تنحسر تماماً في حين تتسع في الأحداث القومية أو العالمية.

2. نوع الوسيلة:

أشارت بعض الدراسات إلى أنه توجد اختلافات في قدرة كل وسيلة على نقل المعلومات ونشرها، فالصحف تعمل على توزيع الفجوات في حين أن التلفزيون يقلل منها⁽⁸⁾.

3. مستوى المعرفة:

حاول بعض الباحثين تفسير حدوث فجوة المعرفة بعيداً عن المتغيرات المرتبطة بالجمهور مثل المستوى الاجتماعي الاقتصادي، وبعيداً عن نوع الوسيلة فاقترح البعض أسباباً تتعلق بنوع المعرفة التي يتم قياسها سواء كانت مجرد وعي بالحدث، أو معرفة متعمقة بالحدث. وتشير النتائج إلى اتساع فجوة المعرفة عندما يتم قياس

الإجراءات النظرية للدراسة

مشكلة الدراسة:

شهدت السنوات الأخيرة تراجعاً كبيراً في الاهتمام بالشباب الفلسطيني بحكم الممارسات الإسرائيلية العدوانية، والقوة العسكرية التي دمرت مقرات السلطة وبنيتها التحتية، والتي أدت إلى الحصار في قطاع غزة، وجدار الفصل العنصري في الضفة الغربية بالإضافة إلى حالة الانقسام السياسي التي تشهدها فلسطين، وما نتج عنها من انفصال جغرافي بين شطري الوطن، وانفصال سياسي، واجتماعي انعكس سلباً على طبيعة عمل المؤسسات الوطنية في الضفة الغربية، وقطاع غزة، الأمر الذي انعكس سلباً على أوضاع الشباب، وأدى إلى مجموعة من المشكلات، أهمها: البطالة، والفقر مما دفع الشباب الفلسطيني إلى الهجرة إلى الخارج، وإدمان المخدرات، وزاد من حالات الطلاق، ومن أعمال العنف، والجريمة، وهو ما يهدد المجتمع الفلسطيني بمشكلات جديدة تركت آثارها في الحاضر والمستقبل.

وفي ضوء ذلك تتحدد مشكلة الدراسة في الإجابة عن التساؤل الآتي:

◀ ما العلاقة بين مستويات استخدام الجمهور الفلسطيني للإعلام الرقمي ومستويات المعرفة بقضايا الشباب».

أهم الدراسات السابقة:

من خلال ما تم الاطلاع عليه من دراسات ذات صلة بالموضوع يتم عرضها وفق الآتي:

(1) دور شبكات التواصل الاجتماعي في تنمية مشاركة الشباب الفلسطيني في القضايا المجتمعية (2013) (14).

وطبقت الدراسة عينة قوامها (410) مبحوثاً من الشباب الفلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة والقدس الشريف. وتشير أهم النتائج إلى أن شبكة الفيس بوك من أكثر شبكات التواصل الاجتماعي استخداماً وتفاعلاً تلتها في المرتبة الثانية المحادثات (سكايب، والمانسجر)، ثم (جوجلبلس)، وأوضحت الدراسة أن الدور الذي تقوم به شبكات التواصل الاجتماعي من أجل تفعيل تنمية المشاركة نحو القضايا المجتمعية تمثل في: العمل على زيادة الوعي الثقافي والسياسي، وتتيح فرصة المشاركة ومناقشة القضايا المجتمعية، تعتبر قنوات اتصالية فعالة لتشكيل الرأي، ومراقبة البيئة المجتمعية بما يدور حولها من تطورات وأحداث.

(2) استخدام الشباب الجامعي الروسي لمواقع التواصل الاجتماعي (2102) (15).

وطبقت الدراسة على عينة قوامها (14) مبحوثاً من الشباب الجامعي ممن تتراوح أعمارهم من 22 - 28 سنة في مدينة سان بطرسبرج الروسية. وتشير أهم النتائج إلى أن مواقع التواصل الاجتماعي توفر العديد من مزايا الاتصال الشخصي مما يجعلها ثرية بالمعلومات مثل الاتصال السهل والمجاني بين المستخدمين، والبحث عن معلومات معينة بسهولة ويسر بالإضافة إلى الخصوصية في الاتصال وإمكانية التعبير الذاتي عن الذات، وتمثلت أسباب استخدام الشباب لمواقع التواصل في: الحصول على

المعلومات، والاتصال الشخصي مع الأهل والأصدقاء، والاستفادة من تجارب الآخرين.

(3) دور مواقع التواصل الاجتماعي في إدراك الشباب الجامعي لحرية الرأي ومشاركتهم السياسية في ثورة 25 يناير 2011 (2012) (61).

اعتمدت الباحثة على منهج المسح من خلال دراسة تحليلية لصفحة كلنا خالد سعيد والصفحات الشخصية لطلاب الجامعة على موقع الفيس بوك، ودراسة ميدانية على عينة قوامها (400) مبحوثاً من طلاب الجامعات. وتشير أهم النتائج إلى أن هناك فروق ذات دلالة إحصائية بين مرتفعي ومنخفضي استخدام المواقع الاجتماعية وإدراك حرية الرأي علي المواقع الاجتماعية، وتوجد فروق دالة إحصائية بين متوسطات درجات دوافع استخدام الشباب الجامعي للمواقع الاجتماعية على مقياس المشاركة السياسية.

(4) العلاقة بين استخدام الشباب المصري لمواقع الشبكات الاجتماعية وقيمتهم المجتمعية (2011) (17).

وطبقت الدراسة على عينة قوامها (400) طالب، وتشير أهم النتائج إلى أن وسائل الاتصال الشخصي أسهمت في تعريف طلاب الجامعة بموقع اليوتيوب يليه مواقع الإنترنت الأخرى، وأن معظم طلاب الجامعة يقضون وقتاً طويلاً على موقع الفيس بوك، يرجع ذلك إلى طبيعة الأنشطة الاتصالية والتطبيقات المتنوعة التي تمكن الطلاب من قضاء وقتاً طويلاً، كذلك يحتوي موقع الفيس بوك على العديد من السلبات أهمها: إضاعة الوقت، واشتماله على محتويات إباحية. وأن الذكور أكثر استخداماً لموقع الفيس بوك من الإناث حيث يشتركون في مجموعات النقاش وصفحات المعجبين.

أهداف الدراسة وتساؤلاتها وفروضها

أولاً- أهداف الدراسة:

- تعرف العلاقة بين مستويات استخدام الجمهور الفلسطيني للإعلام الرقمي ومستوى المعرفة بقضايا الشباب.
- تحليل مستويات المعرفة التي يحققها الإعلام الرقمي في زيادة وعي وإدراك الجمهور لقضايا الشباب.

ثانياً. تساؤلات الدراسة:

◀ ما مدى قدرة الإعلام الرقمي في زيادة مستوى معرفة الجمهور بقضايا الشباب؟.

وينبثق عن التساؤل الرئيس عدد من التساؤلات الفرعية التالية:

- ◀ أي المصادر التي يحصل الجمهور منها على معلومات خاصة بقضايا الشباب الفلسطيني؟
- ◀ ما أهم قضايا الشباب الفلسطيني المتناولة على المواقع والشبكات الالكترونية؟
- ◀ ما حدود مساهمة مواقع الإعلام الرقمي في زيادة مستويات معرفة الجمهور بقضايا الشباب الفلسطيني؟
- ◀ هل يستطيع الإعلام الرقمي التأثير على الرأي العام الفلسطيني من خلال تشكيل مواقفه وآرائه نحو قضايا الشباب؟

تحدد مجتمع الدراسة الميدانية في الجمهور الفلسطيني المقيم في قطاع غزة من عمر (18) عاماً فأكثر وبناء على ذلك اعتمدت الدراسة على عينة قوامها (168) مبحوثاً من محافظات قطاع غزة الخمس وهي: (شمال غزة، غزة، الوسطى، خان يونس، رفح) حيث تم توزيع مفردات عينة الدراسة عن طريق إعطاء حصة من المفردات بطريقة التوزيع المتساوي لمتغير النوع، والتوزيع المتناسب لمتغير الإقامة، بحيث يتناسب مع مجتمع الدراسة الأصلي، وفقاً للأرقام والإحصائيات التي يتيحها الجهاز المركزي للإحصاء للعام 2013.

اختبار الصدق والثبات:

للتأكد من صدق استمارة الاستقصاء في قياس متغيرات الدراسة جرى عرضها على مجموعة من الخبراء والمحكمين (*) لتحقق الصدق الظاهري للبيانات، وبعد إجراء التعديلات على النموذج الأولي للاستمارة أشار المحكمون إلى أن الاستمارة تقيس بالفعل ما يفترض قياسه.

لقياس الثبات تم إعادة تطبيق (10%) من صحائف الاستقصاء، أي (15) صحيفة بعد أسبوع من تطبيقها في المرة الأولى، وقد بلغت نسبة الثبات (***) العام (85%) وهذه النسبة تؤكد معدل الثبات العالي لاستمارة الاستقصاء.

المعالجة الإحصائية للبيانات:

بعد القيام بإجراء عملية ترميز لاستمارة الاستقصاء بالمقابلة، ومن خلال استخدام البرنامج الإحصائي (SPSS) والاستعانة بأحد الإحصائيين (***) تم إجراء المعالجة الإحصائية للبيانات، واستخراج الجداول البسيطة، وعمل المقاييس التجميعية لبعض متغيرات الدراسة، واستخراج المعاملات الإحصائية الملائمة لاختبار فروض الدراسة، ومن خلال ذلك اعتمد على الاختبارات الإحصائية الآتية: التكرارات والنسب المئوية (Frequencies & Percentages)، والمتوسطات لحسابية والانحرافات المعيارية (Mean & Stander Deviation)، واختبار مربع كاي (Chi-Square Test).

(*) حكم استمارة الدراسة الميدانية السادة الآتية أسماؤهم مرتبة أبجدياً وحسب الدرجة العلمية:

1. أ.د/ حسن عماد مكاي. أستاذ الإذاعة والتلفزيون وعميد كلية الإعلام- جامعة القاهرة.
 2. أ.د/ حسين أبو شنب. عميد وأستاذ الإذاعة والتلفزيون كلية الإعلام والاتصال- جامعة فلسطين/ فلسطين.
 3. أ.د/ رياض العيلة. أستاذ العلوم السياسية كلية الاقتصاد والعلوم السياسية- جامعة الأزهر/ فلسطين.
 4. د/ رفيق المصري. أستاذ مشارك ورئيس قسم علم الاجتماع كلية الآداب- جامعة الأقصى/ فلسطين.
 5. د/ ماجد تزيان. أستاذ الصحافة وتكنولوجيا الاتصالات المشارك كلية الإعلام- جامعة الأقصى/ فلسطين.
- (**) نسبة الاتفاق بين التطبيقين = عدد الإجابات المتعادلة مقسوماً على عدد الأسئلة المتعادلة.
- (***) ساعد في المعالجة الإحصائية. علي صنع الله. مركز ألفا للتحليل الإحصائية. فلسطين.

◀ ما أهم القضايا والمشكلات التي يعاني منها الشباب الفلسطيني من وجهة نظر الجمهور، وما أسباب تعدد هذه المشكلات؟
ثالثاً. فروض الدراسة:

الفرضية الأولى:

توجد علاقة ذات دلالة إحصائية عند مستوى معنوية $\alpha \leq 0.05$ بين السمات الشخصية (النوع، العمر، المستوى التعليمي، الدخل الشهري، مكان السكن) وبين مستويات المعرفة بقضايا الشباب.

الفرضية الثانية:

توجد علاقة ذات دلالة إحصائية عند مستوى معنوية $\alpha \leq 0.05$ بين معدل استخدام الجمهور الفلسطيني للإعلام الرقمي وبين مستويات المعرفة بقضايا الشباب.

نوع الدراسة ومنهجها وأدواتها

تنتمي هذه الدراسة إلى البحوث الوصفية التي تستهدف تصوير وتحليل وتقويم خصائص مجموعة معينة أو موقف معين تغلب عليه صفة التحديد⁽¹⁸⁾. وذلك لدراسة طبيعة العلاقة بين مستويات استخدام الجمهور الفلسطيني للإعلام الرقمي ومستويات المعرفة بقضايا الشباب، إلى جانب وصف خصائص الجمهور الفلسطيني الذي يستخدم الإعلام الرقمي، وتفسير العلاقة بين مستويات الاستخدام للجمهور الفلسطيني ومدى معرفتهم بقضايا الشباب.

وتعتمد الدراسة على منهج المسح الذي يسمح بتعدد تصنيفاته وأساليبه وأدواته⁽¹⁹⁾، كما يعد الطريقة المثلى لجمع المعلومات من مصادرها الأولية، وعرض هذه البيانات في صورة يمكن الاستفادة منها⁽²⁰⁾. واستخدمت الدراسة منهج المسح الذي في إطاره تم مسح جمهور وسائل الإعلام، كما جرى استخدام منهج الدراسات الارتباطية في إطار دراسة العلاقات الارتباطية.

وتعتمد الدراسة صحيفة الاستقصاء: وتعد صحيفة الاستقصاء أو الاستبيان أحد الأدوات الرئيسية لجمع البيانات في العلوم الاجتماعية، وتتخذ هذه الأداة الجمهور مفردات بحثية تستطلع رأيها أو تتعرف على مواقفها بشأن قضية وأحداث محددة، وهي أداة موضوعية تستخدم في جمع البيانات من الجمهور الفلسطيني لدراسة وتحليل وتفسير العلاقة بين مستويات استخدام الجمهور الفلسطيني للإعلام الرقمي ومستويات المعرفة بقضايا الشباب.

عينة الدراسة ومجتمعها

اعتمدت الدراسة على أسلوب العينة البسيطة المتاحة للجمهور الفلسطيني ممن يمتلكون جهاز كمبيوتر مزود بالإنترنت، وراعي الباحث مجموعة من المعايير في اختياره للجمهور إذ تقترب هذه العينة في قيمتها المنهجية من العينات العشوائية الطبقية، ويكمن الاختلاف بأن اختيار المبحوثين أو الوحدات البحثية في المجموعات الفرعية يتم بشكل غير عشوائي، أي يتم اختيار المفردات في كل حصة (فئة) بأسلوب العينة المتاحة، وليس بناء على قواعد احتمالية.

تحديد مفاهيم مصطلحات الدراسة

رابعاً النتائج العامة للدراسة الميدانية:

جدول رقم (2)

استخدام الجمهور الفلسطيني عينة الدراسة للإعلام الرقمي

استخدام الجمهور للإعلام الرقمي	ك	%
نعم	150	89.3
لا	18	10.7
المجموع	168	100

تشير بيانات الجدول السابق إلى أن ما نسبته 89.3% من الجمهور الفلسطيني موضع الدراسة يستخدمون الإعلام الرقمي، وهي نسبة تعكس الجماهيرية الواسعة لهذا النوع من الإعلام خاصة وأنه يتميز بمجموعة من الخصائص أهمها: قدرته على جذب والإبهار، وطرح الموضوعات والقضايا بشكل أوسع، وأن الجمهور له الحرية في الاختيار والتعليق على المحتويات.

بينما جاءت نسبة لا يستخدم 10.7%، ويمكن إرجاع هذه النسبة إلى أن عدداً من الجمهور الفلسطيني موضع الدراسة يهتم بمتابعة وسائل الإعلام التقليدية مثل: الراديو، والتلفزيون، والصحف، والمجلات أو أن عدداً من الجمهور لا يمتلك جهاز كمبيوتر مزود بالإنترنت وبخاصة فئة كبار السن التي لا تستطيع التعامل مع هذا النوع من الإعلام.

جدول رقم (3)

اعتماد الجمهور الفلسطيني عينة الدراسة على الإعلام الرقمي في الحصول على المعلومات

مستوى اعتماد الجمهور	ك	%
يعتمد بدرجة متوسطة	67	44.7
يعتمد بدرجة كبيرة	58	38.7
يعتمد بدرجة ضعيفة	25	16.7
المجموع	150	100

تشير بيانات الجدول السابق إلى أن ما نسبته 44.7% يعتمد بدرجة متوسطة في الحصول على المعلومات من الإعلام الرقمي، وترجع هذه النتيجة إلى حالة الانقسام الفلسطيني الذي أفرزت الإعلام الحزبي المسيس، إذ تقدم المواقع المحسوبة على الأحزاب معلومات غير دقيقة، في المقابل فإن الوسائل التقليدية أكثر صدقاً في تقديم المعلومات وبخاصة أن شكل الرقابة فيه صارماً مقارنة مع الإعلام الرقمي.

يعتمد ما نسبته 38.7% من الجمهور على الإعلام الرقمي في الحصول على المعلومات خاصة السياسية والاجتماعية وفق بيانات جدول رقم (9)، ويشكل الإنترنت المصدر الأول في الحصول على المعلومات لدى الشباب الفلسطيني، خاصة مواقع التواصل الاجتماعي، وأبرزها: الفيس بوك Face Book بنسبه 55%، ويقضي 35% من الشباب الفلسطيني من ساعة إلى أقل من ساعتين يومياً في استخدام مواقع التواصل الاجتماعي؛ ويعد التواصل مع الأصدقاء والتسليه من الأسباب الرئيسية لاستخدام

● الشباب: ويقصد بالشباب كل إنسان فلسطيني يتراوح سنه ما بين الثامنة عشر والخامسة والثلاثين عاماً⁽²¹⁾، وهي المرحلة التي تتوسط مرحلة الطفولة والشيخوخة.

● قضايا الشباب الفلسطيني:

ويقصد بها المشكلات التي تواجه الشباب الفلسطيني ويعاني منها سواء أكانت هذه القضايا والمشكلات الاجتماعية، أم اقتصادية، أم سياسية، أم ثقافية وفكرية، أم غيرها.

واهتمت الدراسة بمعالجة المشكلات والأزمات الأكثر تأثيراً على الشباب الفلسطيني في هذه المرحلة والذي أمكن حصرها من خلال البحوث الاجتماعية التي طبقت على المجتمع الفلسطيني في الآتي⁽²²⁾: البطالة، والفقر، والتدخين، وإدمان المخدرات، وتأخر سن الزواج (العنوسة)، والطلاق، والهجرة، وظاهرة العنف والجريمة⁽²³⁾.

ثالثاً نتائج الدراسة الميدانية:

جدول رقم (1)

السمات العامة لعينة الدراسة

السمات العامة	الفئات	ك	%
النوع	ذكر	88	58.7
	أنثى	62	41.3
العمر	الشباب (18 - 35)	103	68.7
	النضج (36 - 50)	34	22.7
المستوى التعليمي	كبار السن (50) فأكثر	13	8.7
	دبلوم فأقل	52	34.7
الانتماء والتوجه السياسي	بكالوريوس	83	55.3
	دراسات عليا	15	10
الدخل الشهري	أنتمي	67	44.7
	لا أنتمي	83	55.3
الانتماء والتوجه السياسي	أقل من 300\$	86	57.3
	من 301\$ إلى أقل من 600\$	32	21.3
الدخل الشهري	من 601\$ إلى أقل من 1000\$	21	14
	1000\$ فأكثر	11	7.3
مكان السكن	محافظة غزة	35	23.3
	محافظة شمال غزة	24	16
الدخل الشهري	محافظة الوسطى	35	23.3
	محافظة خانينونس	26	17.3
الدخل الشهري	محافظة رفح	30	20

تشير إلى أن هناك نسبة تعتمد على المصادر التقليدية أو الاتصال الشخصي، أو تعتمد على الأهل والأقارب والجماعات المرجعية في الحصول على المعلومات.

مواقع التواصل الاجتماعي⁽²⁴⁾.

بينما لا يعتمد على الإعلام الرقمي في الحصول على المعلومات ما نسبته 16.7% من الجمهور الفلسطيني وهي نتيجة

جدول رقم (4)

الشبكات الاجتماعية التي يستخدمها الجمهور الفلسطيني عينة الدراسة

الشبكات الاجتماعية الأكثر استخداماً	دائماً		أحياناً		لا		المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الوزن المئوي
	ك	%	ك	%	ك	%			
فيس بوك	112	74.7	24	16.0	14	9.3	2.65	0.64	88.44
يوتيوب	80	53.3	52	34.7	18	12	2.41	0.70	80.44
جوجل بلس	36	24	51	34	63	42	1.82	0.79	60.67
تويتر	34	22.7	51	34	65	43.3	1.79	0.79	59.78

جاءت فئة أقل من ساعة في الترتيب الثاني بنسبة 34.7% وهي نتيجة تشير إلى أن حوالي ثلث الجمهور موضع الدراسة استخداماتهم محدودة لهذا النوع من الإعلام؛ ربما ترجع لانشغالهم وعدم توفر وقت فراغ لديهم، أو لأنهم لا يفضلون التواصل مع الأصدقاء من خلال هذا النوع، أو يقومون بمعرفة آخر الموضوعات فقط من خلال العناوين، أو عبر فتح البريد الإلكتروني لإرسال واستقبال الرسائل.

جاءت فئة كثيفي الاستخدام في الترتيب الثالث بنسبة وصلت 26% بمعنى الذين تزيد استخداماتهم عن ثلاث ساعات يومياً، وهي نتيجة تعكس أن هناك عدداً من الجمهور يتعرض بشكل كثيف للإعلام الرقمي ويرجع تفضيله لهذا النوع من الإعلام خاصة في ظل انتشار أجهزة الهاتف الخليوي وتزويدها بالبرامج المصممة خصيصاً للتعامل مع تكنولوجيا الاتصال الحديثة، إضافة إلى سهولة اقتناء جهاز الكمبيوتر المحمول من حيث التكلفة مقارنة بالسابق.

جدول رقم (6)

أسباب استخدام ومتابعة الجمهور عينة الدراسة للإعلام الرقمي

الترتيب	ك	%	أسباب استخدام ومتابعة الإعلام الرقمي
1	95	63.8	التواصل مع الأهل والأصدقاء
2	94	63.1	الحصول على المعلومات الجارية
3	81	54.4	متابعة أفكار وآراء الآخرين
4	80	53.7	ملء وقت الفراغ والتسلية
5	68	45.6	نشر أفكار وأرائي في القضايا المطروحة
6	65	43.6	تنمية المهارات الشخصية والحياتية والتعامل مع الآخرين
6	65	43.6	متابعة التكنولوجيا
8	42	28.2	المشاركة في نشر الأخبار والصور والفيديوهات
9	40	26.8	إقامة صدقات جديدة مع أصدقاء جدد
10	32	21.5	الهروب من الواقع

تشير بيانات الجدول السابق إلى أن ما نسبته 74.7% من الجمهور الفلسطيني يستخدم شبكة الفيس بوك Face Book وبوزن مئوي 88.44% وهي نتيجة تعكس جماهيرية الشبكة خاصة وأنها تقدم مجموعة كبيرة من المزايا بكل سهولة مكنتها من تصدر الشبكات من حيث الاستخدام ولا سيما أنها تتيح المجال بتقديم الموضوعات واستقبالها، إذ لا يوجد بها ما يسمى بالمستقبل فكل المستخدمين إيجابيين يستطيعون إرسال واستقبال المعلومات مقارنة بوسائل الإعلام التقليدية.

جاءت شبكة يوتيوب YouTube في الترتيب الثاني بنسبة 53.3% وبوزن مئوي 80.44% وهي نتيجة تعكس قدرة اليوتيوب على تخزين الفيديوهات والصور واستخدامها من الجمهور بكل يسر في المجالات المختلفة.

حصلت شبكة جوجل بلس Google Plus على الترتيب الثالث بنسبة وصلت إلى 24% وبوزن مئوي 60.67%، وجاءت شبكة تويتر في الترتيب الرابع بنسبة وصلت إلى 22.7% وبوزن مئوي 59.78% وهي نتائج تشير إلى قدرة وجماهيرية هذه الشبكات خاصة وأنها توفر مجموعة من الخدمات في المجالات المختلفة.

جدول رقم (5)

عدد الساعات التي يقضيها الجمهور عينة الدراسة في استخدام الإعلام الرقمي يومياً

معدل الاستخدام	ك	%
أقل من ساعة	52	34.7
من ساعة إلى أقل من ثلاث ساعات	59	39.3
ثلاث ساعات فأكثر	39	26
المجموع	150	100

تشير بيانات الجدول السابق إلى أن ما نسبته 39.3% من الجمهور الفلسطيني يستخدم ويتابع الإعلام الرقمي بشكل متوسط بعدد ساعات يتراوح ما بين أكثر من ساعة إلى أقل من ثلاث ساعات وهي نتيجة تشير إلى تأثير هذا النوع من الإعلام وقدرته على تشكيل معارف الجمهور وتكوين اتجاهاته نحو قضايا الشباب.

الفراغ والتسلية في الترتيب الرابع بنسبة 53.7% وبخاصة أن نسبة من الجمهور تهتم بالألعاب التي توفرها شبكة الانترنت لاسيما "المزرعة السعيدة" وغيرها بالإضافة إلى متابعة الأفلام والمسلسلات على اليوتيوب وغيرها من المواد والبرامج المتنوعة.

وجاءت فئات نشر أفكار وآرائي في القضايا المطروحة، وتنمية المهارات الشخصية والحياتية والتعامل مع الآخرين، ومتابعة التكنولوجيا، والمشاركة في نشر الأخبار والصور والفيديوهات في ترتيب متوسط وصل بين 45.6% و 28.2% على التوالي وهي نتيجة تشير إلى أن نسبة من الجمهور يهتم بنشر أفكارها وآرائها في القضايا ولا سيما السياسية، إلى جانب أن نسبة تهتم بتنمية مهارتها الشخصية والتعامل مع الآخرين من خلال التعلم من التكنولوجيا والأصدقاء، بالإضافة إلى نسبة تهتم بنشر الأخبار والصور التي يلتقطونها عبر هواتفهم المحمول أو الكاميرا الخاصة بهم إبان العدوان، أو حتى المناسبات الأسرية والعائلية من أفراح وأعياد ميلاد.

الترتيب	%	ك	أسباب استخدام ومتابعة الإعلام الرقمي
11	10.7	16	الشراء من خلال الانترنت

تشير بيانات الجدول السابق إلى أن ما نسبته 63.8% من الجمهور يستخدم الإعلام الرقمي للتواصل مع الأهل والأصدقاء سواء في الداخل أو الخارج، بينما جاءت فئة الحصول على المعلومات في الترتيب الثاني بنسبة 63.1% وهي نتيجة تشير إلى قدرة هذا النوع من الإعلام في توفير كم كبير من المعلومات في المجالات المختلفة بالصورة والصوت والحركة واللون والتفاعل مع الأخبار والتعليق عليها. وهي نسبة تتفق مع بيانات جدول رقم (12) الخاص بالمصادر ودراسة عمرو أبو جبر 2013⁽²⁵⁾.

وجاءت فئة متابعة أفكار وآراء الآخرين في الترتيب الثالث بنسبة 54.4% وهي نتيجة تتفق مع خصائص الإعلام الرقمي خاصة وأنه يعد منبراً لطرح الأفكار وحرية الرأي والتعبير إذا ما قورن بوسائل الإعلام التقليدية. وجاءت فئة ملء أوقات

جدول رقم (7)

أفضل مواقع الإعلام الرقمي التي يتردد عليها الجمهور عينة الدراسة

مواقع وسائل الإعلام الجديد	دائما		أحيانا		لا		الانحراف المعياري	الوزن المؤدي
	ك	%	ك	%	ك	%		
المواقع الاجتماعية	90	60.0	43	28.7	17	11.3	0.69	82.89
المواقع السياسية	76	50.7	50	33.3	24	16.0	0.74	78.22
المواقع الدينية	61	40.7	69	46.0	20	13.3	0.68	75.78
المواقع الترفيهية	58	38.7	59	39.3	33	22.0	0.76	72.22
المواقع الرياضية	49	32.7	43	28.7	58	38.7	0.85	64.67
مواقع الدردشة	43	28.7	44	29.3	63	42.0	0.83	62.22

الفلسطينية والاحتلال، إلى جانب حالة الانقسام وأثرها السلبي على المجتمع الفلسطيني. وتتفق هذه النتيجة مع دراسات⁽²⁶⁾ أحمد هاشم (2012)، حيث يحرص الجمهور الفلسطيني أولاً على متابعة البرامج السياسية بنسبة 52.4%. ودراسة⁽²⁷⁾ أمل طومان (2010)، إذ جاءت البرامج والمواد السياسية في أولويات تفضيل الجمهور الفلسطيني.

جاءت المواقع الدينية في الترتيب الرابع بوزن مؤدي 75.78%، وهي نسبة تعكس تدين الجمهور الفلسطيني، وحرصه على معرفة تعاليم الدين الإسلامي، وحصلت المواقع الرياضية على الترتيب الخامس بوزن نسبي 64.67%، وهي نسبة غير مرتفعة نسبياً، إذ تشير إلى أن الجمهور الفلسطيني يهتم بالمواقع الجادة أكثر من البرامج الترفيهية، وجاءت مواقع الدردشة في الترتيب السادس بوزن مؤدي 62.2%، وفئة المواقع الاقتصادية في الترتيب الأخير وهي نتيجة ضعيفة لا تتفق مع الواقع الاقتصادي، خاصة وأن الاقتصاد الفلسطيني يعاني من مجموعة من الأزمات نتج عنها زيادة البطالة، وانتشار الفقر، وغيرها من القضايا.

تشير بيانات الجدول السابق إلى أن المواقع الاجتماعية جاءت في الترتيب الأول من حيث المواقع المفضلة للجمهور الفلسطيني بوزن نسبي 82.89% ولا سيما مواقع التواصل الاجتماعي Face Book حسب بيانات جدول رقم (5)، وهي نسبة تشير إلى اهتمام الجمهور الفلسطيني بالقضايا الاجتماعية لاسيما المتعلقة منها بمناقشة قضايا انتشار العنف والجريمة في ظل زيادتها في المجتمع الفلسطيني، وإدمان المخدرات، وتأخر سن الزواج، أو ما تُعرف بالعنوسة، ومعاناة تتعلق بالمسكن والحياة الكريمة في ظل مجتمع يتعرض لجملة من الانتهاكات تؤثر بشكل مباشر على المجتمع.

يحرص الجمهور الفلسطيني في الترتيب الثاني على متابعة البرامج السياسية بوزن نسبي 78.22%، ويمكن إرجاع هذه النسبة إلى طبيعة الوضع في فلسطين، وبخاصة أنها تخضع لاحتلال منذ زمن بعيد. ومن أبرز الموضوعات السياسية في فترة أخذ العينة حكومة التوافق الفلسطينية، والمصالحة الفلسطينية، وملف المفاوضات المستمرة منذ ما يزيد عن عقدين بين السلطة

وجاءت القنوات التليفزيونية في الترتيب الثاني بوزن نسبي (5.7)، ويمكن تفسير هذه النسبة إلى دور التليفزيون المتعاطف في المجتمعات والمجتمع الفلسطيني، الذي يمتلك خصائص متعددة تمكنه من تشكيل المعارف وتكوين الاتجاهات معتمداً على توظيف التكنولوجيا، خاصة فيما يتعلق بالجذب والإبهار، وبالتالي تستطيع أن تؤدي دوراً مهماً في التعبئة، والتأثير، والإقناع من خلال الاعتماد على الاستمالات العقلية من شواهد، وأدلة، وبراهين، ونتائج، إلى جانب الاستمالات العاطفية التي تعتمد على الجوانب العاطفية، والوجدانية، وغيرها. وهي نتيجة تتفق مع دراسة (29) أمل طومان (2010) حيث جاءت القنوات التليفزيونية الفلسطينية في الترتيب الأول بنسبة 26.9 % بين الوسائل الإعلامية من حيث المتابعة.

جاءت فئة الإذاعات المسموعة في الترتيب الثالث بوزن نسبي (5.5) وهي نسبة تشير إلى أن الجمهور الفلسطيني يهتم نسبياً بتعدد المصادر وتنوعها، الإذاعات المحلية والإذاعات الدولية بخاصة مثل: BBC عربي، ومونتيكارلو، ورايو سوا، وغيرها من الإذاعات التي يتابعها الجمهور الفلسطيني على موجات FM و يمكن إرجاع هذه النسبة إلى انقطاع التيار الكهربائي لساعات طويلة، خاصة في قطاع غزة، وبالتالي تكون الإذاعة هي الوسيلة الوحيدة المتاحة.

بينما جاءت فئة الصحف في الترتيب الخامس، وهي نتيجة يمكن إرجاعها إلى انخفاض مقروئية الصحف عالمياً، وجاءت فئات الأهل والأقارب، والزملاء والأصدقاء، والمؤسسات والنوادي الشبابية، والمؤتمرات والندوات في ترتيبات متأخرة، ويمكن تفسير هذه النتائج إلى تراجع دور الأهل والأقارب والزملاء والأصدقاء في تشكيل المعارف مقارنة بالوسائل الإلكترونية، وفقدان ثقة الجمهور بالمؤسسات والنوادي الشبابية والمؤتمرات والندوات في ظل حالة الانقسام الفلسطيني حيث سُبِسْتُ العديد من قضايا الشباب وفق الجهة التي تنظم الندوة أو الضيوف المتحدثين.

جدول رقم (10)

اهتمام المواقع الإلكترونية بقضايا الشباب الفلسطيني

اهتمام المواقع الإلكترونية بقضايا الشباب	ك	%
نعم	114	76
لا	36	24
المجموع	150	100

تشير بيانات الجدول السابق إلى أن ما نسبته 76 % من الجمهور الفلسطيني يرى أن المواقع الإلكترونية تهتم بقضايا الشباب، ويمكن إرجاع هذه النتيجة إلى عدد قضايا الشباب في المجالات المختلة وتردي أوضاع الشباب الفلسطيني خاصة في النواحي الاقتصادية والاجتماعية والسياسية. إن ما نسبته 24 % من الجمهور الفلسطيني لا يرى أن المواقع الإلكترونية تهتم بقضايا الشباب، ويمكن إرجاع ذلك أن جميع الفئات تعاني من المشكلات في المجتمع الفلسطيني.

جدول رقم (8)

اهتمام الجمهور عينة الدراسة بمتابعة قضايا الشباب الفلسطيني

اهتمام الجمهور بقضايا الشباب	ك	%
نعم	126	84
لا	24	16
المجموع	150	100

تشير بيانات الجدول السابق إلى أن الجمهور الفلسطيني يهتم بمتابعة قضايا الشباب الفلسطيني بنسبة وصلت إلى 84 % ما يعكس حجم اهتمام الجمهور الفلسطيني بقضايا الشباب ومشكلاته في ظل تعددها في المجتمع الفلسطيني؛ ويمكن إرجاع هذه النسبة إلى أن فئة الشباب تشكل شريحة واسعة من السكان حسب بيانات جدول رقم (1)، وبالتالي يهتم الشباب بمتابعة قضاياهم وأزماتهم المختلفة.

لم يهتم ما نسبته 16 % من الجمهور الفلسطيني بقضايا الشباب، ويمكن إرجاع هذه النسبة إلى ترددي أوضاع فئات كثيرة في المجتمع الفلسطيني، إذ ينتشر الفقر بين جميع الفئات، كما تعاني كل الفئات من مشكلات اقتصادية واجتماعية متعددة، فالمشكلات لا تنحصر في شريحة الشباب فقط، إلى جانب أن هناك عدداً من الجمهور لا يتابع بشكل كبير أوضاع المجتمع ومشكلاته.

جدول رقم (9)

المصادر التي تشكل معلومات عينة الدراسة بقضايا الشباب

الترتيب	المتوسط الحسابي	المصادر
1	6.1	الانترنت
2	5.7	القنوات التليفزيونية
3	5.5	الإذاعات المسموعة
4	5.0	الصحف
4	5.0	الأهل والأقارب
6	4.9	الزملاء والأصدقاء
7	4.6	المؤسسات والنوادي الشبابية
8	4.2	المؤتمرات والندوات

تشير بيانات الجدول السابق إلى أن الجمهور الفلسطيني يعتمد في الترتيب الأول على الانترنت كمصدر في الحصول على المعلومات بوزن نسبي (6.1) وهي نسبة تشير إلى فاعلية الانترنت في المجتمع الفلسطيني ودوره الفعال، وبخاصة أنه وسيلة اتصالية تجمع بين مجموعة من الخصائص لاسيما ذوبان الفروق بين القائم بالاتصال والمتلقي، ويعد الشباب أكثر استخداماً للانترنت والتكنولوجيا الحديثة، وقد أظهرت بيانات الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني عام 2014 أن نسبة الشباب الذين يستخدمون الحاسوب قد بلغت 71.3 % في الأراضي الفلسطينية بواقع 72.4 % في الضفة الغربية مقابل 65.7 % في قطاع غزة، مقارنة مع 47.6 % لعام 2004 على مستوى الأراضي الفلسطينية (28).

نسبة مرتفعة، إذا ما قورنت بإحصائيات أُجريت قبل عام 2000، وكانت النسبة لا تزيد عن 5% من بينهن⁽³³⁾، وتشير بيانات مسح الأسرة الفلسطيني الذي نفذه الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني عام 2010 إلى أن 22.5% من الأفراد من (18) سنة فأكثر في الأراضي الفلسطينية هم من المدخنين؛ 26.9% في الضفة الغربية مقابل 14.6% في قطاع غزة، وأشارت البيانات إلى أن نسبة المدخنين الذكور قد بلغت 37.6%، ونسبة المدخنات 2.6%⁽³⁴⁾.

وقد ازادت أعمال العنف والجريمة في المجتمع الفلسطيني وبخاصة بين شريحة الشباب في السنوات الأخيرة، فالبطالة والفقر يوفران الوطن والبيئة المناسبة التي تسمح بالجريمة⁽³⁵⁾، ومن أهم العوامل الرئيسية لانتشار الجريمة في المجتمع الفلسطيني ممارسات الاحتلال الإسرائيلي عن طريق فرض سلوك غير إنساني، وعنف المستوطنين مع المواطنين الفلسطينيين خاصة الشباب، في الوقت الذي يتراجع فيه الاقتصاد الفلسطيني⁽³⁶⁾.

جاءت فئة إدمان المخدرات في ترتيب متأخر، إذ يقدر عدد مدمني المخدرات بنحو (25) ألف شخص، فيما يبلغ عدد المتعاطين قرابة (80) ألف. والجدير بالذكر أن وزارة الصحة والجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني لا يقومان بإجراء دراسات ميدانية على مستوى الأراضي الفلسطينية تزود الدراسة بالأرقام الإحصائية الدقيقة حول ظاهرة المخدرات في المجتمع الفلسطيني⁽³⁷⁾، وينتشر في الأراضي الفلسطينية إدمان حبوب (الأترامادول)، وبينت النتائج الصحية الفلسطينية أن ما نسبته 80% من المدمنين على الأترامادول يعانون عقماً دائماً وليس له علاج.

جدول رقم (12)

مساهمة الإعلام الرقمي في زيادة مستويات معرفة الجمهور بقضايا الشباب

معرفة متوسطة	ك	%
معرفة متعمقة	84	56
معرفة سطحية	47	31.3
المجموع	19	12.7
	150	100

تشير بيانات الجدول السابق إلى أن الإعلام الرقمي يشكل معارف الجمهور الفلسطيني بقضايا الشباب بشكل متوسط بنسبة وصلت إلى 56%، وبشكل متعمق بنسبة 31.3% وهي نسب تشير إلى مساهمة الإعلام الرقمي في زيادة معرفة الجمهور بقضايا الشباب، لأنه يتميز بقدرته على شرح القضايا بشكل جذاب مستخدماً الوسائط المتعددة بكل مكوناتها من محتوى، وصور، وفيديوهات، وبيانات، وغيرها⁽³⁸⁾.

وجاءت فئة معرفة سطحية في الترتيب الأخير بنسبة وصلت إلى 12.7% وهي نسبة تشير إلى أن نسبة من الجمهور الفلسطيني تشكل وسائل الإعلام والاتصال التقليدية معارفه تجاه قضايا الشباب، وأن نسبة أخرى غير مهتمة بقضايا الشباب.

جدول رقم (11)

أهم قضايا الشباب الفلسطيني المتناولة في المواقع الإلكترونية كما حددتها عينة الدراسة

الترتيب	%	ك	قضايا الشباب الأكثر تناولاً
1	65.8	96	البطالة
2	64.4	94	الفقر
3	58.9	86	الهجرة إلى الخارج
4	43.2	63	التدخين
5	40.4	59	تأخر سن الزواج
6	37.0	54	الاستخدام السلبي للإنترنت
7	34.9	51	المسكن
8	29.5	43	سلب الحريات
9	27.4	40	إدمان المخدرات
10	26.7	39	انتشار العنف والجريمة
11	19.9	29	الطلاق
12	17.1	25	الاقصاء السياسي

تشير بيانات الجدول السابق إلى أن الجمهور الفلسطيني تابع موضوع البطالة الذي يعدّ من أكثر القضايا المتعلقة بالشباب الفلسطيني بنسبة 65.8% وهي نسبة تعكس زيادة البطالة في المجتمع الفلسطيني، إذ أكدت نتائج البحوث والدراسات التي أُجريت حول الواقع الاقتصادي للشباب الفلسطيني عام 2013⁽³⁰⁾ أن هناك ارتفاعاً في معدلات البطالة بين فئة الشباب؛ إذ يعاني أكثر من ثلث الشباب الفلسطيني من البطالة، التي نتج عنها الفقر. والجدير بالذكر أن نسبة البطالة ترتفع بين الأعلى تعليماً، إذ إن حوالي نصف الخريجين (دبلوم فأعلى) عاطلون عن العمل، ويعد حوالي ربع الشباب الفلسطيني من الفقراء، وتزيد هذه النسبة بين شباب قطاع غزة⁽³¹⁾.

وجاءت قضايا الفقر في الترتيب الثاني من حيث متابعة الجمهور لها؛ وهي نسبة طبيعية؛ لأنها مرتبطة بالبطالة، إذ تولد البطالة الفقر، وجاءت فئة الهجرة إلى الخارج في الترتيب الثالث بنسبة 58.9% ما يعني أن هناك تردياً في الأوضاع الاقتصادية، من شأنه أن يزيد من حالات الهجرة، بمعنى أن الهدف الأساسي من الهجرة البحث عن مصدر رزق. وتتفق هذه النسبة مع دراسة⁽³²⁾ حول واقع شباب فلسطين في أرقام وإحصائيات تبين أن ما نسبته 45% من الذكور و18% من الإناث من الشباب الفلسطيني موضع الدراسة يفكرون في الهجرة إلى الخارج، نظراً للوضع الاقتصادي السيء.

جاءت فئة التدخين، وتأخر سن الزواج في ترتيب متوسط بنسب بلغت 43.2% و40.4% على التوالي وهي نسب تعكس اهتمام المواقع بهذه القضايا، وقدرة توصيلها للجمهور، وبخاصة أن آخر تقرير للجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني عام 2008 بين أن هناك ارتفاعاً كبيراً في معدلات العنوسة بين الفلسطينيات، إذ أشار التقرير إلى أن 39.3% من الفلسطينيات عوانس، وهي

الترتيب	المتوسط الحسابي	القضايا والمشكلات التي يعاني منها الشباب الفلسطيني
2	9.7	البطالة
3	7.5	تأخر سن الزواج
4	7.3	الهجرة إلى الخارج
5	7.2	المسكن
6	7.1	التدخين
7	6.3	إدمان المخدرات
8	5.4	الاستخدام السلبي للإنترنت
10	4.9	الطلاق
11	4.7	الاقصاء السياسي
12	4.7	انتشار العنف والجريمة

تشير بيانات الجدول السابق إلى أن قضايا الفقر جاءت في الترتيب الأول بمتوسط حسابي وصل إلى 9.9 %، فيما جاءت البطالة في الترتيب الثاني بمتوسط حسابي وصل إلى 9.7 % وهي نسب تعكس ارتفاع البطالة بين الشباب خاصة خريجي الجامعات. وهي نتيجة تتفق مع دراسة (39) حسين أبو شنب وعمرو أبو جبر (2013)، إذ كشفت الدراسة أن الجمهور الفلسطيني يرى أن المشكلة الأولى التي يعاني منها الشباب البطالة بنسبة 80 %.

حصلت فئات متأخر سن الزواج، والهجرة إلى الخارج، والمسكن، والتدخين، وإدمان المخدرات في ترتيبات متقدمة، وهي نتائج تعكس أن هناك ارتفاعاً كبيراً في معدلات العنوسة بين الفلسطينيات بشكل خاص، وهناك أزمة في المسكن في ظل إغلاق معابر قطاع غزة، ومن ثم لا يوجد بناء وتشيد، بالإضافة إلى غلاء أسعار الشقق السكنية في الضفة الغربية وقطاع غزة، وتعد قضايا التدخين - خاصة في فئة الشباب - أمر يحتاج إلى دراسة في ظل زيادة أعدادهم المستمر وانتشار المقاهي وشرب ما يعرف (بالشيشة).

جدول رقم (15)

أسباب تعدد مشكلات الشباب الفلسطيني كما حددتها عينة الدراسة

الترتيب	المتوسط الحسابي	أسباب المشكلات
1	4.01	ممارسات الاحتلال الإسرائيلي
2	3.69	حالة الانقسام الفلسطيني
3	3.18	ضعف أداء الحكومة الفلسطينية
5	1.99	عدم الاهتمام ببناء وتنمية المؤسسات
4	2.21	عدم الاهتمام بالاقتصاد الفلسطيني
6	1.84	عدم تشجيع الشباب على بناء المشروعات الصغيرة

جدول رقم (13)

قدرة الإعلام الرقمي على تشكيل معارف الجمهور نحو قضايا الشباب

قدرة الإعلام الرقمي على تشكيل معارف الجمهور نحو قضايا الشباب	ن	%
نعم	126	84
لا	24	16
المجموع	150	100

تشير بيانات الجدول السابق إلى أن الإعلام الرقمي يستطيع بشكل كبير التأثير في الرأي العام الفلسطيني من خلال تشكيل مواقف وتكوين آرائه نحو قضايا الشباب بنسبة مرتفعة وصلت إلى 84 % وهي نسبة تؤكد قدرة الإعلام الرقمي على تشكيل معارف الجمهور، وتكوين اتجاهاته، من خلال تقديم كم هائل من الرسائل المتعلقة بموضوعات الشباب لتمكن الجمهور من المعرفة، خاصة وأن لديه قدرة في أن يؤثر تراكمياً في الجمهور ويستطيع القيام بأدوار مهمة في بناء معارف الجمهور، فهو وسيلة إعلامية جذابة تمتلك خصائص متنوعة تمكنه من أن يقدم معلومات متنوعة، فهو بذلك يوفر معلومات تساعد الفرد في أن يسلك سلوكاً ما، أو يتخذ قراراً ما، خاصة وإن كانت تتفق الفكرة التي يقدمها مع الواقع الاجتماعي والثقافي من عادات وتقاليده.

ويعد الإنترنت من أكثر وسائل الإعلام أهمية للمجتمعات في الوقت الحالي، لما له من تأثير مباشر وقوي على أفراد المجتمع كافة، ويستفيد الفرد والمجتمع بشكل كبير منه، كونها تعلمهم بما يقع من حولهم من أحداث وقضايا، بل ويستطيعون مراقبة البيئة أو التماس المعلومات من خلال توجيه سلوكهم، وإدراكهم، وتطوير المفهوم عن الذات، وبذلك فهو مصدر أساسي في تقديم المعرفة، والقدرة على تشكيل المواقف تجاه قضايا الشباب.

وحصلت فئة لا يستطيع الإنترنت - الإعلام الرقمي تشكيل آراء الجمهور وموقفه على الترتيب الثاني بنسبة وصلت إلى 16 % وهي نسبة ليست عريضة يمكن إرجاعها إلى مجموعة من العوامل أهمها: أن عدداً من الجمهور يتابع وسائل إعلامية أخرى، خاصة الراديو والتلفزيون، أو أن عدداً آخر لا يتأثر كثيراً برسائل الإعلام الرقمي بقدر اقتناعه بالاتصال الشخصي، خاصة فيما يتعلق بتغيير الاتجاهات، لا سيما وأن المواقع تتأثر معالجتها بأيدولوجيتها الحزبية، أو الجهة التي تمتلكها، بالإضافة إلى أن هناك نسبة من كبار السن لا تستهويهم فكرة هذا النوع من الإعلام.

جدول رقم (14)

القضايا والمشكلات التي يعاني منها الشباب من وجهة نظر الجمهور عينة الدراسة

الترتيب	المتوسط الحسابي	القضايا والمشكلات التي يعاني منها الشباب الفلسطيني
1	9.9	الفقر

السلطة الفلسطينية تمكن الشباب من النهوض والتنمية في المجالات المختلفة، ويمكن إضافة تفشي الفساد الذي تعاني منه المؤسسات الرسمية الفلسطينية، إضافة إلى التزام السلطة الفلسطينية باتفاقية أوسلو، خاصة وأن الاتفاقية تضمن لإسرائيل الحق في أن تتحكم بالاقتصاد الفلسطيني، إلى جانب اتفاقية باريس الاقتصادية التي تحد من دور السلطة أن تتصرف بشكل أحادي، وأن تقوم بعمليات إصلاح سياسي واقتصادي دون تدخل من الاحتلال الإسرائيلي، إلى جانب التخلف في أساليب الإنتاج.

وجاءت فئات عدم الاهتمام ببناء المشروعات، وعدم تشجيع الشباب على بناء المشروعات الصغيرة، وعدم الاهتمام بالاقتصاد الفلسطيني في الترتيب الرابع والخامس والسادس على التوالي، وهي نتائج جاءت من عدم توفر مادة في القانون الفلسطيني تفتح المجال للاستثمار أمام الشباب بشكل خاص في ظل عدم استيعاب الحكومة لأعداد الخريجين، إذ كان يجب على السلطة أن تضع مجموعة من الإعفاءات الجمركية والضريبية على المستثمرين الشباب كما تفعل كثير من الدول خاصة النامية منها، وذلك لتقليل نسب البطالة، والاستفادة من الاستثمار، فمن الضروري أن يكون هناك استثناءات محددة لشريحة الشباب، وذلك لتشجيعها، إذ إن من شأن ذلك أن يشجع على زيادة المشروعات الاقتصادية والمشروعات الصغيرة؛ وذلك للنهوض بتنمية المجتمع.

خامساً اختبار صحة فروض الدراسة:

الفرضية الأولى:

تشير بيانات الجدول السابق إلى أن السبب الأول في تعدد مشكلات الشباب الفلسطيني هو الاحتلال الإسرائيلي فمنذ أن سلبت الأراضي الفلسطينية والاحتلال يقوم بجملة من الممارسات الوحشية بحق الشعب الفلسطيني، ومن بينهم الشباب، فمنذ نكبة عام 1948 التي نتج عنها طرد وتهجير الشعب الفلسطيني إلى أماكن متعددة سواء في باقي الأراضي الفلسطينية التي عاد الاحتلال الإسرائيلي احتلالها عام 1967 أو الهجرة إلى دول عربية مجاورة، وقد دمرت العمليات العسكرية المتلاحقة جزءاً كبيراً من الهياكل الأساسية الاقتصادية؛ إذ جرى استهداف للمصانع، وإلحاق الضرر بكل مقومات الاقتصاد⁽⁴⁰⁾. وهي نتيجة تتفق مع دراسة⁽⁴¹⁾ عمرو أبو جبر (2014)، فقد كشفت الدراسة أن الاحتلال الإسرائيلي هو السبب المباشر في تعدد مشكلات الشباب الفلسطيني بنسبة 81 %، وحالة الانقسام الفلسطيني بنسبة 80 %.

وجاءت حالة الانقسام الفلسطيني عام 2007 في الترتيب الثاني من حيث رؤية الجمهور بأنها سبب مباشر وهي نتيجة تشير إلى الأثر السلبي للانقسام، حيث كان له دور بارز في تفاقم مشكلات الشباب وأزماتهم، فقد أدى ذلك إلى عدم وضع برامج مشتركة بين الضفة الغربية وقطاع غزة تساعد في إيجاد الحلول التي يمكن أن تسهم في حل هذه الأزمات أو تقليصها، وقد نتج عن ذلك ارتفاع في نسبة البطالة بين الشباب الفلسطيني، إذ وصلت عام 2014 إلى 55 %.

وجاءت فئة ضعف أداء السلطة سياسياً واقتصادياً في الترتيب الثالث وهي نتيجة تشير إلى عدم وجود استراتيجية من قبل

جدول رقم (16)

العلاقة بين النوع وبين مستويات المعرفة بقضايا الشباب

النوع	مستويات المعرفة بقضايا الشباب				القيمة الاحتمالية (Sig.)
	معرفة متعمقة	معرفة متوسطة	معرفة سطحية	كأ	
ذكر	28 %18.7	53 %35.3	7 %4.7	88 %58.7	0.109
أنثى	19 %12.7	31 %20.7	12 %8	62 %41.3	
المجموع	47 %31.3	84 %56	19 %12.7	150 %100	

يمكن استنتاج أنه لا توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين النوع وبين مستويات المعرفة بقضايا الشباب.

تشير بيانات الجدول السابق إلى أن القيمة الاحتمالية (Sig.) المقابلة لاختبار (كأ) أكبر من مستوى الدلالة $\alpha \leq 0.05$ وبذلك

جدول رقم (17)

العلاقة بين العمر وبين مستويات المعرفة بقضايا الشباب

القيمة الاحتمالية (Sig.)	كا2	المجموع	مستويات المعرفة بقضايا الشباب			العمر
			معرفة سطحية	معرفة متوسطة	معرفة متعمقة	
0.241	5.485	103	15	54	34	ك
		%68.7	%10.0	%36	%22.7	%
		34	2	20	12	ك
		%22.7	%1.3	%13.3	%8	%
		13	2	10	1	ك
		%8.7	%1.3	%6.7	%0.7	%
		150	19	84	47	ك
		%100	%12.7	%56	%31.3	%

تشير بيانات الجدول السابق إلى أن القيمة الاحتمالية (Sig.) المقابلة لاختبار "كا2" أكبر من مستوى الدلالة $\alpha \leq 0.05$ وبذلك يمكن استنتاج أنه لا توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين العمر وبين مستويات المعرفة بقضايا الشباب.

جدول رقم (18)

العلاقة بين الدخل الشهري وبين مستويات المعرفة بقضايا الشباب

القيمة الاحتمالية (Sig.)	كا2	المجموع	مستويات المعرفة بقضايا الشباب			الدخل الشهري
			معرفة سطحية	معرفة متوسطة	معرفة متعمقة	
0.172	9.034	86	14	46	26	ك
		% 57.3	% 9.3	% 30.7	%17.3	%
		32	3	23	6	ك
		% 21.3	% 2	% 15.3	% 4	%
		21	2	9	10	ك
		% 14.0	% 1.3	% 6.0	%6.7	%
		11	0	6	5	ك
		% 7.3	% 0	% 4.0	% 3.3	%
		150	19	84	47	ك
		% 100	% 12.7	% 56.0	% 31.3	%

تشير بيانات الجدول السابق إلى أن القيمة الاحتمالية (Sig.) المقابلة لاختبار (كا2) أكبر من مستوى الدلالة $\alpha \leq 0.05$ وبذلك يمكن استنتاج أنه لا توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين الدخل الشهري وبين مستويات المعرفة بقضايا الشباب.

جدول رقم (19)

العلاقة بين مكان السكن وبين مستويات المعرفة بقضايا الشباب

مكان السكن	مستويات المعرفة بقضايا الشباب			المجموع	كا2	القيمة الاحتمالية (Sig)
	معرفة متعمقة	معرفة متوسطة	معرفة سطحية			
محافظة غزة	ك	10	22	35		0.006
	%	% 6.7	% 14.7	% 23.3		
محافظة شمال غزة	ك	2	14	24		
	%	% 1.3	% 9.3	% 16		
محافظة الوسطى	ك	13	20	35	21.647	
	%	% 8.7	% 13.3	% 23.3		
محافظة خان يونس	ك	12	14	26		
	%	% 8	% 9.3	% 17.3		
محافظة رفح	ك	10	14	30		
	%	% 6.7	% 9.3	% 20		
المجموع	ك	47	84	150		
	%	% 31.3	% 56	% 100		

أعلاها في محافظة الوسطى بنسبة 8.7% تم محافظة خان يونس في الترتيب الثاني بنسبة 8% تم تساوت محافظة رفح ومحافظة غزة في الترتيب الثالث لكلا منها بنسبة 6.7% تم جاءت محافظة شمال غزة في الترتيب الأخير بنسبة 1.3%.

الفرضية الثانية:

تشير بيانات الجدول السابق إلى أن القيمة الاحتمالية (Sig) المقابلة لاختبار (كا2) أقل من مستوى الدلالة $\alpha \leq 0.05$ وبذلك يمكن استنتاج أنه توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين مكان السكن وبين مستويات المعرفة بقضايا الشباب. فاستخدام الإعلام الرقمي من الجمهور أعطى معرفة متعمقة لنسبة 31.3% جاءت

جدول رقم (20)

العلاقة بين معدل استخدام الجمهور للإعلام الرقمي وبين مستويات المعرفة بقضايا الشباب

معدل استخدام الجمهور الفلسطيني للإعلام الرقمي	مستويات المعرفة بقضايا الشباب			المجموع	كا2	القيمة الاحتمالية (Sig)
	معرفة متعمقة	معرفة متوسطة	معرفة سطحية			
أقل من ساعة	ك	10	31	52		0.039
	%	% 6.7	% 20.7	% 34.7		
من ساعة إلى أقل من ثلاث ساعات	ك	20	35	59	10.088	
	%	% 13.3	% 23.3	% 39.3		
ثلاث ساعات فأكثر	ك	17	18	39		
	%	% 11.3	% 12.0	% 26.0		
المجموع	ك	47	84	150		
	%	% 31.3	% 56.0	% 100.0		

المعرفة بقضايا الشباب، إذ تشير بيانات الجدول أن الجمهور متوسط الاستخدام بمعنى من ساعة إلى أقل من ثلاث ساعات لديه معرفة متعمقة.

تشير بيانات الجدول السابق إلى أن القيمة الاحتمالية (Sig) المقابلة لاختبار (كا2) أقل من مستوى الدلالة $\alpha \leq 0.05$ وبذلك يمكن استنتاج أنه توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين معدل استخدام الجمهور الفلسطيني للإعلام الرقمي وبين مستويات

سادساً: الخلاصة: مناقشة النتائج:

موافقه وتكوين آرائه نحو قضايا الشباب بنسبة مرتفعة وصلت إلى 84% وهي نسبة تؤكد قدرة الإعلام الرقمي على تشكيل معارف الجمهور، وتكوين اتجاهاته.

10. جاءت قضايا الفقر في الترتيب الأول بمتوسط حسابي وصل إلى 9.9%، فيما جاءت البطالة في الترتيب الثاني بمتوسط حسابي وصل إلى 9.7% وهي نسب تعكس ارتفاع البطالة بين الشباب خاصة خريجي الجامعات.

11. السبب الأول في تعدد مشكلات الشباب الفلسطيني هو الاحتلال الإسرائيلي فمنذ أن سلبت الأراضي الفلسطينية والاحتلال يقوم بجملة من الممارسات الوحشية بحق الشعب الفلسطيني، وجاءت حالة الانقسام الفلسطيني عام 2007 في الترتيب الثاني، وجاءت فئة ضعف أداء السلطة سياسياً واقتصادياً في الترتيب الثالث وهي نتيجة تشير إلى عدم وجود استراتيجية من قبل السلطة الفلسطينية تمكن الشباب من النهوض والتنمية في المجالات المختلفة، ويمكن إضافة تفشي الفساد الذي تعاني منه المؤسسات الرسمية الفلسطينية، إضافة إلى التزام السلطة الفلسطينية باتفاقية أوسلو، وبخاصة أن الاتفاقية تضمن لإسرائيل الحق في أن تتحكم بالاقتصاد الفلسطيني.

12. لا توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين النوع وبين مستويات المعرفة بقضايا الشباب، ولا توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين العمر وبين مستويات المعرفة بقضايا الشباب، لا توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين الدخل الشهري وبين مستويات المعرفة بقضايا الشباب، وتوجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين مكان السكن وبين مستويات المعرفة بقضايا الشباب، وتوجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين معدل استخدام الجمهور الفلسطيني للإعلام الرقمي وبين مستويات المعرفة بقضايا الشباب.

مقترحات الدراسة:

- توفر بعض المعلومات عن قضايا الشباب الفلسطيني ومشكلاته وطبيعة الأدوار التي يؤديها الإعلام الرقمي بتعريف المجتمع بالموضوعات والقضايا والأحداث الجارية وكيفية معالجتها.

- تسهم في معرفة قدرة الإعلام الرقمي في تشكيل معارف الجمهور الفلسطيني بقضايا الشباب وبخاصة أن هذه الدراسة تهتم بشريحة عريضة من السكان.

الهوامش:

1. محسن صالح وبشير موسى نافع. التقرير الاستراتيجي الفلسطيني لسنة 2011. (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2012) ص-184 189.
2. الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني. تقرير الربع الأول من عام 2014 حول مسح القوى العاملة الفلسطينية. (فلسطين: الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، 2014). ص16.
3. محمد شعبان وآخرون. مسح اقتصادي واجتماعي للاجئين الفلسطينيين في لبنان. تقرير منشور في الجامعة الأمريكية في لبنان. (بيروت: وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين في الشرق الأدنى - أونروا، 2013) ص2.

1. أن ما نسبته 89.3% من الجمهور الفلسطيني موضع الدراسة يستخدمون الإعلام الرقمي، وهي نسبة تعكس الجماهيرية الواسعة لهذا النوع من الإعلام، ويجمع ما نسبته 59.3% من الجمهور الفلسطيني بين الهاتف المحمول والكمبيوتر في استخداماته للإعلام الرقمي، وهي نتيجة تعكس سهولة التعامل مع هذا النوع من الإعلام.

2. أن ما نسبته 74.7% من الجمهور الفلسطيني يستخدم شبكة الفيس بوك Face Book وبوزن مئوي 88.44% وهي نتيجة تعكس جماهيرية الشبكة خاصة وأنها تقدم مجموعة كبيرة من المزايا بكل سهولة مكنتها من تصدر الشبكات من حيث الاستخدام.

3. أن ما نسبته 39.3% من الجمهور الفلسطيني يستخدم ويتابع الإعلام الرقمي بشكل متوسط بعدد ساعات يتراوح ما بين أكثر من ساعة إلى أقل من ثلاث ساعات يومياً.

4. أن ما نسبته 63.8% من الجمهور يستخدم الإعلام الرقمي للتواصل مع الأهل والأصدقاء سواء في الداخل أو الخارج، بينما جاءت فئة الحصول على المعلومات في الترتيب الثاني بنسبة 63.1% وهي نتيجة تشير إلى قدرة هذا النوع من الإعلام في توفير كم كبير من المعلومات في المجالات المختلفة.

5. إن أفضل فترات الاستخدام والمتابعة فترة المساء بنسبة وصلت إلى 29.3%، بينما فترة الصباح بنسبة 29.3%، فيما جاءت فئتا منتصف الليل والظهرية في الترتيب الأخير.

6. أن ما نسبته 53.3% من الجمهور الفلسطيني يثق بما تقدمه المواقع الإلكترونية بشكل متوسط ويمكن إرجاع هذه النسبة إلى أن أغلب المواقع تمثل جهة أو حزب معين تلتزم بسياساتها في معالجة القضايا وبالتالي ينعكس ذلك على مصداقيتها من قبل الجمهور.

7. أن الجمهور الفلسطيني يهتم بمتابعة قضايا الشباب الفلسطيني بنسبة وصلت إلى 84% ما يعكس حجم اهتمام الجمهور الفلسطيني بقضايا الشباب ومشكلاته في ظل تعددها في المجتمع الفلسطيني؛ ويمكن إرجاع هذه النسبة إلى أن فئة الشباب تشكل شريحة واسعة من السكان.

8. يعتمد الجمهور في الترتيب الأول على الانترنت مصدراً في الحصول على المعلومات بوزن نسبي (6.1) وهي نسبة تشير إلى فاعلية الانترنت في المجتمع الفلسطيني، أن ما نسبته 76% من الجمهور الفلسطيني يرى أن المواقع الإلكترونية تهتم بقضايا الشباب، ويمكن إرجاع هذه النتيجة إلى تعدد قضايا الشباب في المجالات المختلة وتردي أوضاعه في النواحي الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

9. الإعلام الرقمي يشكل معارف الجمهور الفلسطيني بقضايا الشباب بشكل متوسط بنسبة وصلت إلى 56%، وبشكل متعمق بنسبة 31.3% وهي نسب تشير إلى مساهمة الإعلام الرقمي في زيادة معرفة الجمهور بقضايا الشباب. ويستطيع الإعلام الرقمي بشكل كبير التأثير على الرأي العام الفلسطيني من خلال تشكيل

4. الإحصاء الفلسطيني يصدر بياناً صحفياً عشية اليوم العالمي للسكان، 11/07/2014. متاح على شبكة الإنترنت على العنوان التالي: <http://www.pcbs.gov.ps/site/512/default.aspx?tabID=512&lang=ar&ItemID=1166&mid=3265&wversion=Staging>.
5. حسن عماد مكاي وليلى السيد. الاتصال ونظرياته المعاصرة - ط5. (القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 2006). ص339.
6. مرفت الطرابيشي وليلى السيد. نظريات الإعلام والاتصال. (القاهرة: عالم الكتب، 2006). ص115.
7. المرجع السابق. ص161.
8. المرجع السابق. ص161.
9. حسن عماد مكاي وليلى السيد. مرجع سبق ذكره. ص340.
10. مرفت الطرابيشي وليلى السيد. مرجع سبق ذكره. ص162.
11. الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني. المرأة والرجل في فلسطين: قضايا وإحصاءات. (فلسطين: الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، 2013). ص21.
12. مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات. التقرير الاستراتيجي الفلسطيني السنوي 2011. (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2012). ص-283 288.
13. منتدى شارك الشبابي. تقرير مرحلي: رياح التغيير هل ستدرك جدران القهر. (فلسطين: منتدى شارك الشبابي، 2011). ص10.
14. أحمد يونس محمد حمودة، دور شبكات التواصل الاجتماعي في تنمية مشاركة الشباب الفلسطيني في القضايا المجتمعية، رسالة ماجستير غير منشورة (جامعة الدول العربية: معهد البحوث والدراسات العربية، قسم الدراسات الإعلامية، 2013).
15. Marina Vastly: «Use of Social Networks Sites by Young Adults in Russia» (unpublished Master's Thesis, University of Tampere "School of social Sciences and Humanities" may.2012).
16. نها نبيل محمود الأسودوي. دور مواقع التواصل الاجتماعي في إدراك الشباب الجامعي لحرية الرأي ومشاركتهم السياسية في ثورة 25 يناير. 2011 رسالة ماجستير غير منشورة. (القاهرة: كلية الإعلام، 2012).
17. عمرو محمد أسعد. العلاقة بين استخدام الشباب المصري لمواقع الشبكات الاجتماعية وقيمهم المجتمعية دراسة علي موقعي اليوتيوب Youtube والفيسبوك Face book "رسالة دكتوراه غير منشورة (جامعة القاهرة، كلية الإعلام، 2011).
18. Caroline S. Sheedy, Social Media for Social Change: A Case Study of Social Media Use in the 2011 Egyptian Revolution, (Masters of Arts in Public Communication, Faculty of School of Communication at the American University, 2011).
19. شيماء ذو الفقار زغيب. مناهج البحث والاستخدامات الإحصائية في الدراسات الإعلامية، (القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 2009)، ص109.
20. مرفت الطرابيشي. بحوث قياس الرأي العام: المناهج والأدوات. (القاهرة: دن، 2007) ص30.
21. قانون الشباب الفلسطيني رقم (2) لسنة 2011. مادة رقم (1).
22. سعدي محمد حمدان أبو طه. المشكلات الاجتماعية للشباب الفلسطيني: دراسة ميدانية على عينة من طلاب الجامعات بقطاع غزة. رسالة دكتوراه غير منشورة. (القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية، قسم البحوث والدراسات الاجتماعية، 2006).
23. الجهاز المركزي الفلسطيني للإحصاء والتعبئة. تقرير حول مشكلات الشباب الفلسطيني. 2012. ص6.
24. عمرو أبو جبر. معالجة القنوات التليفزيونية الفلسطينية لقضايا الشباب ودورها في تشكيل معارف الجمهور واتجاهاته نحوها. رسالة دكتوراه غير منشورة. (القاهرة: معهد البحوث والدراسات الإعلامية، قسم الدراسات الإعلامية، 2015). ص322.
25. حسين أبو شنب وعمرو أبو جبر. العلاقة بين مستويات التعرض للمواد الإخبارية التليفزيونية ومستويات المعرفة بقضايا الشباب لدى الجمهور الفلسطيني. دراسة منشورة. المؤتمر السنوي الثاني لكلية الإعلام والاتصال: الإذاعات الفلسطينية والهوية الوطنية. في الفترة ما بين -12 13/مايو/2013. (فلسطين: جامعة فلسطين، كلية الإعلام والاتصال، 2013). ص361.
26. أحمد محمد هاشم. المعالجة التليفزيونية الإخبارية لأداء الأحزاب الفلسطينية واتجاهات الجمهور نحوها. رسالة ماجستير غير منشورة. (القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية، قسم الدراسات الإعلامية، 2013). ص170.
27. أمل عبدالهادي أحمد طومان. وسائل الإعلام الفلسطيني وأثرها في الانقسام السياسي: -2006 2009. رسالة ماجستير غير منشورة. (فلسطين: جامعة الأزهر، كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية، قسم العلوم السياسية، 2010). ص108.
28. منتدى شارك الشبابي. ومركز التمكين الاقتصادي. التقرير السنوي حول واقع الشباب الفلسطيني 2014. (فلسطين: منتدى شارك الشبابي، 2015). ص10.
29. أمل عبدالهادي أحمد طومان. مرجع سبق ذكره. ص131.
30. الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني. تقرير الربع الأول من عام 2014 حول مسح القوى العاملة الفلسطينية. (فلسطين: الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، 2014). ص16.
31. جريدة الأيام الفلسطينية. تقرير بعنوان: أكثر من ثلث الشباب الفلسطيني يعانون البطالة ونسبتها ترتفع بين الأعلى تعليماً 40% من أفراد المجتمع يعانون من الفقر وربع الشباب من الفقراء. 2013/2-28. ص12.
32. الجهاز المركزي للإحصاء. واقع شباب فلسطين في أرقام وإحصائيات. ورشة إعلان نتائج مسح الشباب برام الله. (فلسطين: الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، 2014).
33. الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني. إحصائيات وأرقام حول معدلات العنوسة في فلسطين. (فلسطين: الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، 2009).
34. الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني ووزارة الصحة الفلسطينية. بيان صحفي بمناسبة اليوم العالمي للامتناع عن التدخين 2012-5-31.

11. أمل عبدالهادي أحمد طومان. وسائل الإعلام الفلسطيني وأثرها في الانقسام السياسي: -2006 2009. رسالة ماجستير غير منشورة. (فلسطين: جامعة الأزهر، كلية الاقتصاد والعلوم الادارية، قسم العلوم السياسية، 2010).
12. عمرو أبو جبر. معالجة القنوات التلفزيونية الفلسطينية لقضايا الشباب ودورها في تشكيل معارف الجمهور واتجاهاته نحوها. رسالة دكتوراه غير منشورة. (القاهرة: معهد البحوث والدراسات الإعلامية، قسم الدراسات الإعلامية، 2015).
13. عمرو محمد أسعد. العلاقة بين استخدام الشباب المصري لمواقع الشبكات الاجتماعية وقيمهم المجتمعية دراسة علي موقعي ال-يوتيوب *You tube* والفيسبوك *Face book* رسالة دكتوراه غير منشورة (جامعة القاهرة، كلية الإعلام، 2011).
14. سعدي محمد حمدان أبو طه. المشكلات الاجتماعية للشباب الفلسطيني: دراسة ميدانية على عينة من طلاب الجامعات بقطاع غزة. رسالة دكتوراه غير منشورة. (القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية، قسم البحوث والدراسات الاجتماعية، 2006).
15. قانون الشباب الفلسطيني رقم (2) لسنة 2011).
16. نها نبيل محمود الأسود. دور مواقع التواصل الاجتماعي في إدراك الشباب الجامعي لحرية الرأي ومشاركتهم السياسية في ثورة 25 يناير 2011 رسالة ماجستير غير منشورة. (القاهرة: كلية الإعلام، 2012).
17. حسين أبو شنب وعمرو أبو جبر. العلاقة بين مستويات التعرض للمواد الإخبارية التلفزيونية ومستويات المعرفة بقضايا الشباب لدى الجمهور الفلسطيني. دراسة منشورة. المؤتمر السنوي الثاني لكلية الإعلام والاتصال: الإذاعات الفلسطينية والهوية الوطنية. في الفترة ما بين 12-13/مايو/2013. (فلسطين: جامعة فلسطين، كلية الإعلام والاتصال، 2013).
18. عمرو أبو جبر. دور الفيلم التلفزيوني الفلسطيني في تشكيل معارف الجمهور واتجاهاته نحو قضايا الشباب. دراسة منشورة. المؤتمر السنوي الثالث لكلية الإعلام والاتصال: المسرح والسينما في فلسطين وأفاق المستقبل. في الفترة ما بين 7-6/مايو/2014. (فلسطين: جامعة فلسطين، كلية الإعلام والاتصال، 2014).
19. مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات. التقرير الاستراتيجي الفلسطيني السنوي 2011. (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2012).
20. منتدى شارك الشبابي. تقرير مرحلي: رياح التغيير هل ستدرك جدران القهر. (فلسطين: منتدى شارك الشبابي، 2011).
21. منتدى شارك الشبابي. ومركز التمكين الاقتصادي. التقرير السنوي حول واقع الشباب الفلسطيني 2014. (فلسطين: منتدى شارك الشبابي، 2015).
22. منتدى شارك الشبابي ومركز التمكين الاقتصادي. التقرير السنوي: واقع الشباب الفلسطيني 2013.
23. الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني. تقرير الربع الأول من عام 2014 حول مسح القوى العاملة الفلسطينية. (فلسطين: الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، 2014).
24. الإحصاء الفلسطيني يصدر بياناً صحفياً عشية اليوم العالمي للسكان، (فلسطين: الجهاز المركزي للإحصاء، 2012). ص 1.
35. محمد نعيم فرحات. علم الاجتماع. (فلسطين: مكتبة الجامعة، 2012). ص 52.
36. المرجع السابق. ص 52.
37. تليفزيون هنا القدس. ندوة علمية حول ظاهرة المخدرات في المجتمع الفلسطيني: واقع وتحديات. متاح على شبكة الإنترنت.
38. إبراهيم المصري. الاتصال والعلاقات العامة. (فلسطين، مكتبة جامعة فلسطين، 2014). ص 88.
39. حسين أبو شنب وعمرو أبو جبر. مرجع سبق ذكره. ص 12.
40. منتدى شارك الشبابي ومركز التمكين الاقتصادي. التقرير السنوي: واقع الشباب الفلسطيني 2013. مرجع سبق ذكره. ص 56.
41. عمرو أبو جبر. دور الفيلم التلفزيوني الفلسطيني في تشكيل معارف الجمهور واتجاهاته نحو قضايا الشباب. دراسة منشورة. المؤتمر السنوي الثالث لكلية الإعلام والاتصال: المسرح والسينما في فلسطين وأفاق المستقبل. في الفترة ما بين 7-6/مايو/2014. (فلسطين: جامعة فلسطين، كلية الإعلام والاتصال، 2014). ص ص-168 125.

المصادر والمراجع:

أولاً المراجع العربية:

1. إبراهيم المصري. الاتصال والعلاقات العامة. (فلسطين، مكتبة جامعة فلسطين، 2014).
2. حسن عماد مكايي وليلى السيد. الاتصال ونظرياته المعاصرة- ط 5. (القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 2006).
3. شيماء ذو الفقار زغيب. مناهج البحث والاستخدامات الإحصائية في الدراسات الإعلامية، (القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 2009).
4. محسن صالح وبشير موسى نافع. التقرير الاستراتيجي الفلسطيني لسنة 2011. (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2012).
5. مرفت الطرابيشي وليلى السيد. نظريات الإعلام والاتصال. (القاهرة: عالم الكتب، 2006).
6. مرفت الطرابيشي. بحوث قياس الرأي العام: المناهج والأدوات. (القاهرة: دن، 2007).
7. محمد شعبان وآخرون. مسح اقتصادي واجتماعي للاجئين الفلسطينيين في لبنان. تقرير منشور في الجامعة الأمريكية في لبنان. (بيروت: وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين في الشرق الأدنى - أونروا، 2013).
8. محمد نعيم فرحات. علم الاجتماع. (فلسطين: مكتبة الجامعة، 2012).
9. أحمد محمد هاشم. المعالجة التلفزيونية الإخبارية لأداء الأحزاب الفلسطينية واتجاهات الجمهور نحوها. رسالة ماجستير غير منشورة. (القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية، قسم الدراسات الإعلامية، 2013).
10. أحمد يونس محمد حمودة، دور شبكات التواصل الاجتماعي في تنمية مشاركة الشباب الفلسطيني في القضايا المجتمعية، رسالة ماجستير غير منشورة (جامعة الدول العربية: معهد البحوث والدراسات العربية، قسم الدراسات الإعلامية، 2013).

11/07/2014. متاح على شبكة الإنترنت على العنوان التالي:

http://www.pcbs.gov.ps/site/512/default.aspx?tabID=5 .25
12&lang=ar&ItemID=1166&mid=3265&wversion=Stagi
.ng

26. الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني. المرأة والرجل في فلسطين: قضايا وإحصاءات. (فلسطين: الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، 2013).

27. الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني. تقرير حول مشكلات الشباب الفلسطيني. 2012.

28. الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني. تقرير الربع الأول من عام 2014 حول مسح القوى العاملة الفلسطينية. (فلسطين: الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، 2014).

29. الجهاز المركزي للإحصاء. واقع شباب فلسطين في أرقام وإحصائيات. ورشة إعلان نتائج مسح الشباب برام الله. (فلسطين: الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، 2014).

30. الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني. إحصائيات وأرقام حول معدلات العنوسة في فلسطين. (فلسطين: الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، 2009).

31. الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني ووزارة الصحة الفلسطينية. بيان صحفي بمناسبة اليوم العالمي للامتناع عن التدخين 2012-5-31. (فلسطين: الجهاز المركزي للإحصاء، 2012).

32. تليفزيون هنا القدس. ندوة علمية حول ظاهرة المخدرات في المجتمع الفلسطيني: واقع وتحديات. متاح على شبكة الإنترنت.

33. جريدة الأيام الفلسطينية. تقرير بعنوان: أكثر من ثلث الشباب الفلسطيني يعانون البطالة ونسبتها ترتفع بين الأعلى تعليماً 40 % من أفراد المجتمع يعانون من الفقر وربع الشباب من الفقراء. 2013/2-28.

ثانياً المراجع الأجنبية:

1. Marina Vastly: «Use of Social Networks Sites by Young Adults in Russia» (unpublished Master's Thesis, University of Tampere "School of social Sciences and Humanities" may.2012).
2. Caroline S. Sheedy, Social Media for Social Change: A Case Study of Social Media Use in the 2011 Egyptian Revolution, (Masters of Arts in Public Communication, Faculty of School of Communication at the American University, 2011).

**الكرمة إنتاجها والحرف والصناعات القائمة عليها في فلسطين
في عصر الغزو الفرنجي
690-492 هـ / 1099-1291 م ***

د. سعيد عبد الله البيشاوي**
د. شامخ زكريا علاونه***

* تاريخ التسليم: 2015/5/6م، تاريخ القبول: 2015/9/16م.
** أستاذ دكتور / جامعة القدس المفتوحة / فلسطين.
*** أستاذ مشارك / جامعة القدس المفتوحة / فلسطين.

ملخص:

فيها فاهتموا بها، وقاموا بتطويرها وأوجدوا القوانين والضرائب الخاصة بها، لذا فقد حظيت زراعة أشجار الكرمة باهتمام الفرنجة بوجه عام واهتمام رجال الدين اللاتين بوجه خاص⁽²⁾.

وقد تنوعت أنواع الكرمة نظراً للتنوع المناخي التضاريسي في فلسطين؛ وذلك اعتماداً على المنطقة ولون التربة ودرجة الحرارة، إذ اختص ريف كل مدينة بنوع معين من العنب فنجد مثلاً العنب العيونى والدورى والعيدونى والعاصمي بألوان مختلفة كالأبيض والأصفر والأحمر والأسود، وقد تبين أن لون عصير العنب أو النبيذ كان يعتمد على لون التربة التي تزرع بها أشجار الكرمة لا على لون عناقيد العنب.

وقد اهتم الفرنجة وبخاصة رجال الدين اللاتين بالأراضي المزروعة بالكرمة؛ فضلاً عن تشجيع الفلاحين على زيادة مساحة الأراضي المزروعة بهذه الأشجار، وعملوا مفتشين على الأراضي المزروعة بالكرمة⁽³⁾، كما كانوا يرسلون الخبراء الزراعيين الذين كانوا يطوفون على الحقول لإرشاد وتوجيه المزارعين داخل مملكة بيت المقدس الفرنجية، كما وضعوا نظاماً صارماً لمن يهمل الاعتناء بكروم العنب وتهديده بسحب الأراضي منه وتأجيرها لآخر؛ لحث المزارعين الفرنجة على الاهتمام بكرومهم نظراً لحاجتهم الملحة لتوفير النبيذ المقدس في أديرتهم وكنائسهم وموائدهم.

وقد ترتبت على زراعة الكرمة حرف مختلفة، وأطلق على الفلاحين الذي كانوا يعملون في حقول العنب تسميات عدة منها: الزبار والصوال والعناب، وقامت على الكرمة صناعات عدة مثل صناعة النبيذ المقدس، وصناعة الملبن، وصناعة الدبس، وصناعة الزبيب والخل، والمربى.

وقد صُدر عنب فلسطين وبخاصة الخليلى منه إلى المناطق المجاورة كفاكهة، وكنبيذ، ولا زالت صناعة الملبن والدبس والعنب المجفف قائمة لغاية الآن وبخاصة في مدينة الخليل ونواحيها. وقد اعتمد الباحثان في دراستهم على مجموعة من الوثائق اللاتينية وما دونه المؤرخون والرحالة الأوروبيون الذين زاروا فلسطين في فترات مختلفة، إلى جانب ما ورد ذكره في المصادر العربية، فضلاً عما ورد في كتابات المؤرخين المسلمين والغربيين.

المناخ والتربة المناسبة لزراعة الكرمة: يعد المناخ من أهم العوامل الرئيسية في زراعة الكرمة، ويمتاز مناخ فلسطين بالاعتدال، فضلاً عن أن مناخ هذه الأرض وتعدد أقاليمها المناخية قد أثر إيجابياً في زراعة الكرمة.

وتتأثر فلسطين بفصل صيفي جاف يمتد نحو ستة شهور تقريباً وبفصل شتاء بارد ماطر وقصير⁽⁴⁾. وقد ساعد تعدد الأقاليم المناخية في فلسطين من إقليم بحر متوسط وصحراوي وشبه صحراوي فهذا ساعد على تنوع أشجار الكرمة التي تزرع في فلسطين، كما انعكس على فترة نضوجها،⁽⁵⁾ ففي الجزء الشرقي في منطقة الأغوار التي تعتبر ضمن الإقليم شبه الصحراوي ينضج محصول الكرمة ابتداءً من شهور (مايو/ أيار)، بينما في المناطق الجبلية يتأخر حتى نهاية شهر أيلول، وفي المناطق المرتفعة في جنوب فلسطين في منطقة جبال الخليل حتى نهاية شهر نوفمبر⁽⁶⁾.

ويعد الماء من أهم العوامل لنمو الكرمة، وتجدد كمية الانتاج، على الرغم من أن الكرمة من الأشجار التي تتحمل الجفاف نوعاً

تتناول الدراسة زراعة الكرمة والحرف والصناعات القائمة عليها في فلسطين في العصر الفرنجي، كما يتطرق البحث إلى ملاءمة التضاريس والمناخ لزراعة أشجارها، ويعالج أيضاً موضوع زراعتها في فلسطين قبيل السيطرة الفرنجية عليها من خلال أقوال الرحالة والجغرافيين العرب، وكذلك عناية الفرنجة بهذا النوع من المحاصيل الزراعية؛ لما لها أهمية في صناعة النبيذ المقدس عندهم، كما يناقش القوانين التي كانت تفرضها الكنيسة على زراعة وجباية الضرائب على محصول العنب، وبين البحث الصناعات التي نتجت عن زراعة الكرمة في فلسطين كصناعة النبيذ المقدس والملبن والدبس وتجفيف العنب (الزبيب) ومربى العنب وصناعة الخل، كما وضح البحث المصطلحات الحرفية التي كانت تطلق على من يعمل في زراعة وبيع وتصنيع ثمارها، بالإضافة إلى ذكر المناطق التي كانت تشتهر بتلك الزراعة.

الكلمات المفتاحية: الكرمة، الحرف، الصناعات، فلسطين، الغزو الفرنجي.

Vine, produced crafts and industries in Palestine in the era of the Crusades

Abstract:

This study addresses the cultivation of the vine trees, industries and crafts of them in Palestine in the Crusader era; also the conformity and the appropriateness of terrain and climate for the cultivation of the vine. The study also addresses the subject of attention Crusaders Bozoralla because of its importance in the holy wine industry, and discusses the laws that were imposed by the Church on the cultivation and collection of taxes the grape harvest, and research industries resulting from the cultivation of the vine trees in Palestine as an industry sacred wine and Almalban, molasses dried grapes (raisins) jam grape and industry vinegar, as explained Find literal terms that were fired on from working in the cultivation, sale and manufacture of such fruit, in addition to said areas that were famous for that agriculture.

Key words: vine, crafts, industries, Palestine, Crusades.

مقدمة:

اهتم الفلسطينيون بزراعة الكرمة منذ فترة مبكرة من تاريخهم⁽¹⁾ وقد اشتهرت أرياف المدن الفلسطينية بزراعتها كالخليل ونابلس وأريحا وبيت لحم والقدس، وعندما سيطر الفرنجة على فلسطين وجدوا زراعة الكرمة من بين المزروعات الموجودة

وقد اتضح أن سكان فلسطين اهتموا بزراعة الكرمة وأولوها عناية كبيرة وقد أشار الإصطخري - الذي عاش في النصف الأول من القرن الرابع الهجري/ حوالي منتصف القرن العاشر الميلادي - (20) في سياق حديثه عن فلسطين إلى وجود زراعة الكرمة ، إذ يقول: " وسائر جبال فلسطين وسهولها زيتون وجميز وعنب وسائر الفواكه أقل من ذلك (21)". ويتضح من خلال حديثه أن فلسطين كانت تشتهر بزراعة الكرمة في المناطق الساحلية والجبلية على حد سواء، على الرغم من أنه لم يحدد أسماء المناطق التي كانت تستأثر بزراعتها.

وقد بقيت فلسطين تهتم بالكرمة في القرن الرابع الهجري/ السادس الميلادي وقد أشار المقدسي البشاري (22): إلى زراعة الكرمة في فلسطين وذكر أن الخليل كانت تشتهر بالعنب الدوري والعينوني نسبة إلى قريتي دورا (23) وبيت عينون (24) وذكر أن وادي جهنم (وادي قدرون، وادي سلوان، وادي يهوشافاط) في حدود بيت المقدس، كان يشتهر بزراعة الكرمة؛ كما أضاف أثناء حديثه عن تجارة فلسطين، أنها كانت تشتهر بتصدير الزبيب العينوني والدوري إلى البلاد المجاورة، وفي ذلك إشارة واضحة إلى عناية أهل فلسطين بأشجار الكرمة وقيامهم بتصدير العنب المجفف إلى خارج البلاد (25).

وتطرق ناصر خسرو - الذي عاش في نهاية القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي إلى زراعة الكرمة في فلسطين بقوله (26): "في الثالث من رمضان غادرت الرملة إلى قرية تسمى خاتون (27) وقد غادرتها إلى قرية أخرى تسمى قرية العنب (28). وقد رأينا في الطريق كثيراً من نبات السذاب (29) الذي ينبت برياً على الجبال وفي الصحراء" (30).

وذكر الإدريسي (31) الذي زار فلسطين في حوالي منتصف القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي أن بعض قراها تزرع الكرمة حين يقول: "ومن بيت لحم إلى مسجد إبراهيم في الجنوب ثمانية عشر ميلاً، وهي قرية ممدنة وفيها مسجد إبراهيم وإسحق، وهذه المدينة جبالها كثيفة الأشجار وبها شجرة الزيتون والكروم كثيراً جداً" (32).

أما شيخ الربوة الدمشقي - الذي عاش في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي - (33) فقد أشار إلى " أرض الجرمق (34) جبل ببيعة (35) وبه قرية يقال لها الببيعة لها أمياء (36) جارية، وبها سفرجل مليح، وبه قرى كثيرة الزيتون والفواكه والكروم" (37). واشتهرت قرية بيت رأس (38) إحدى قرى القدس بزراعة الكرمة (39). وقد استمر أهالي الأراضي المقدسة بزراعة الكرمة والعناية بها، وذكر مجير الدين الحنبلي أن " بظاهر مدينة القدس الشريف من كل جهة كروم بها من أنواع الفواكهة من العنب والتين وغيره" (40).

زراعة الكرمة في فلسطين في العصر الفرنجي:

ذكر الرحالة سايلوف (41) (Saewulf) الذي زار فلسطين في بداية السيطرة الصليبية نحو (1101 - 1103) إلى شهرة بعض المدن الفلسطينية بزراعة الكرمة بقوله: إن أراضي أريحا تمتاز بالخصوبة حيث تكثر الأشجار وجميع أنواع النخيل والفاكهة (42). وقد أفاض الرحالة والحجاج الأوروبيون الذين زاروا فلسطين خلال فترة الحروب الصليبية بذكر الكرمة، وأهم المناطق التي تشتهر

ما؛ ويمكن أن تنمو تحت ظروف بيئية مختلفة (7)، إذ يسقط على فلسطين أمطار متذبذبة وتختلف من عام إلى آخر، ومن منطقة إلى أخرى، فمثلاً تحظى المناطق الساحلية بنسبة كبيرة جداً من الأمطار مقارنة بالمناطق الشرقية أو ما تعرف بمنطقة الأغوار، وتختلف كمية الأمطار الساقطة في شمال فلسطين عن جنوبها، فتبلغ بشكل عام من 100 ملم في بعض المناطق؛ بينما في مناطق أخرى قد تصل إلى 500 ملم سنوياً؛ ما دفع بالمزارع إلى تحديد نوعية شجرة الكرمة التي تحتاج إلى نسبة معينة من المياه التي تسقط في فصل الشتاء (8).

وقد أسهمت نسبة الرطوبة المرتفعة في نزوح عناقيد العنب بشكل مبكر عن المناطق التي تكون فيها نسبة الرطوبة منخفضة، إذ تشكل الحرارة والرطوبة العامل الأساس في نزوح عناقيد العنب على فترات متباعدة، وبناءً على ذلك يمكن القول، إن مناخ فلسطين المتعدد يشكل البيئة الزراعية والمناخية المناسبة لهذه الشجرة؛ كما أسهم في تطورها بشكل أفضل عن بقية البلدان المجاورة إضافة إلى نوعية التربة التي توجد في هذه البلاد (9).

وبالنسبة لتربة فلسطين، فهي متنوعة وغنية بالمواد المعدنية التي تسهم في إنتاج غالبية المزروعات التي تعرف بمنطقة البحر الأبيض المتوسط، وعلى الرغم من صغر مساحة فلسطين إلا أنها تتميز بتنوع التربة فيها، فالتنوع المناخي والنباتي والجيولوجي والتضاريسي، أسهم في أيجاد أنواع مختلفة من الترب تتفاوت في درجة خصوبتها، وتصنف التربة على أساس مناخي أو جيولوجي أو نباتي. وهناك تصنيفات أخرى تعتمد على جميع الأسس السابقة لأثرها المباشر في تكوين التربة، وبالتالي يمكن تقسيم التربة على أساس العوامل السابقة إلى مجموعتين: تربة المناطق الرطبة، إذ يسود مناخ البحر المتوسط في السهول الساحلية والمرتفعات الجبلية الداخلية، والمجموعة الثانية تربة المناطق الجافة وشبه الجافة والتي توجد في إقليم المناخ الصحراوي وشبه الصحراوي في صحراء النقب والسفوح الشرقية للمرتفعات الجبلية والأغوار ووادي عربة (10).

وتقسم التربة في فلسطين إلى تربة جرامو (11)، والتربة الحمراء والبنية (12)، والبنية الشاحبة (13)، وتربة اللويس والليثو الصحراوية (14) والتربة السوداء (15)، فهذه الأنواع من الترب صالحة لزراعة شجرة الكرمة حسب نوعيتها، وربما تأقلمت بعض أشجار الكرمة على تلك الأنواع من التربة، وليس خلاف ذلك؛ إذ جرى تكييف التربة حسب نوع الشجرة وهذا ما يميز تربة فلسطين عن بقية المناطق (16). أما التربة التي تناسب زراعة أشجار الكرمة فهي أنواع عدة ، فالعنب الأبيض تناسبه التربة التي يضرب لونها إلى السواد والحمرة (17).

زراعة الكرمة في فلسطين قبيل الغزو الفرنجي:

ازدهرت زراعة الكرمة في فلسطين على مر التاريخ، وقد اتضح ذلك من خلال المصادر التاريخية المختلفة ومن خلال اللوحات الفسيفسائية التي اكتشفت في مناطق مختلفة في أرياف القدس خاصة في الفترة الرومانية والبيزنطية (18) واستمرارها في العصر الإسلامي بسبب اعتدال مناخها، وتعدد أنواع التربة فيها وعرفت جبالها زراعة كروم العنب وبخاصة في جبال القدس (19).

يتضح مما سبق أن الفرنجة اهتموا بزراعة الكرمة اهتماماً كبيراً لدرجة أنهم وضعوا مراقبين على تلك الأراضي المزروعة بأشجار الكرمة في مستوطنة البيرة وعلى العاملين بها، فإذا أهمل أي شخص من أصحاب الأراضي المزروعة بالكرمة أرضه لأي سبب من الأسباب فإن نائب مسؤول الخزينة التابع لكنيسة القيامة ومعه بعض الشهود الموثوق بهم وعددهم ما بين أربعة أو خمسة شهود ، يأتون إليه ويبيّنون له سوء زراعته وعدم اعتنائه بأرضه، فإذا لم يبد أي اهتمام من أجل إصلاحها، فرضوا عليه في بداية الأمر غرامة مقدارها نصف مارك من الفضة، وكانوا يهدونه بأخذ أرضه المزروعة بالكرمة ومنحها لشخص آخر إذا ما استمر في إهمالها⁽⁵⁸⁾.

كما أشارت إحدى الوثائق إلى أن رئيس كنيسة القيامة كان يشرف بنفسه على زراعة الكرمة في مساحات شاسعة من الأراضي التي تعود ملكيتها للكنيسة، وتطرفت الوثيقة نفسها إلى ذكر أشجار الكرمة التي زرعت في مستوطنة راماتيس الجديدة⁽⁵⁹⁾ والتي أقطعها رجال الدين اللاتين إلى بعض مستوطنينهم من أجل تشجيعهم على الاستقرار في المستوطنة⁽⁶⁰⁾، وحصل دير القديسة مريم في وادي جهنم (قدرون، وادي يهوشافاط) على أرض وأشجار كرمية في حدود بيت المقدس قدمها باليان⁽⁶¹⁾ كندسطل يافا⁽⁶²⁾.

ويتبين مما سبق أن رجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة كانوا شديدي الحرص على زيادة الاهتمام والعناية بكل الأراضي المزروعة بأشجار الكرمة داخل المستوطنات الفرنجية لدرجة أنهم وضعوا قيوداً صارمة على المستوطنين الأوروبيين العاملين في هذه الأراضي ما نتج عنه زيادة مساحة الأراضي المزروعة بهذه الأشجار. وقد اشتهرت المستوطنات الفرنجية المجاورة للمدينة المقدسة بكروم العنب وبخاصة مستوطنات البيرة وقلندية⁽⁶³⁾ وراماتيس⁽⁶⁴⁾، فضلاً عن قرية ابو غوش والتي عرفت في العهد للإسلامي بقرية العنب؛ وذكرت في العصر الفرنجي باسم Castel-lum، ويحدها من الشمال الشرقي قرية القبيبة⁽⁶⁵⁾، ومن الجنوب الشرقي قرية صوبا⁽⁶⁶⁾، ومن الجنوب الغربي قرية بيت ميس (أم الميس)⁽⁶⁷⁾.

ويقول أحد المؤرخين الحديثين أن عنب بيت عينون Beit Ainun كان "عنب زائد الحلاوة، لذيق المذاق" ولا نبالغ إذا قلنا أن حبة العنب تعادل في حجمها حبة البلح ، وتمتاز عنقايد العنب التي تنتجها الكرمة في منطقة الخليل بكبر حجمها، إذ يصل وزن عنقود العنب في كثير من الأحيان إلى كيلو غرام أو اثنين وأنواعه كثيرة⁽⁶⁸⁾ أشهرها العنب الدوري والعيدوني والعاصمي ، كذلك يمتاز عنب الخليل بأنواعه المتعددة منها الأبيض والأصفر والأحمر والأسود⁽⁶⁹⁾.

وتركزت زراعة الكرمة في نابلس في جميع القرى والأراضي المحيطة بها، وحول سبسطية التي كانت تشتهر أيضاً بكثرة البساتين والحدائق، وكانت المناطق القريبة من البحر والواقعة شمال مدينة صيدا تشتهر بزراعة الكرمة الممتازة، التي زرعت بكثافة في هذه المنطقة. وذكر يعقوب الفيتري⁽⁷⁰⁾ Jacques de Vitry أن مقاطعة صور التي كانت تقع ضمن نفوذ مملكة بيت المقدس الفرنجية اهتمت بزراعة أشجار الكرمة، إذ كانت أراضيها غنية بكروم العنب. وكانت مدينة عكا والقرى والأراضي التابعة لها محاطة بالكرمة، التي كانت تتمتع بشهرة خاصة، وقد ذكر الرحالة

بزراعتها والعناية بها، فقد أشار الراهب دانيال الروسي⁽⁴³⁾ - الذي زار فلسطين في الفترة الواقعة بين سنتي 1106 - 1107 م، إلى وفرة الكرمة المزروعة في المناطق المحيطة ببيت المقدس، وذكر أن هذا النوع من الأشجار تكثر زراعته في المناطق القريبة من بيت لحم، وتغطي أشجاره سفوح جبال الخليل⁽⁴⁴⁾.

وتطرق الرحالة فيتلوس⁽⁴⁵⁾ Fetellus الذي زار الأراضي المقدسة نحو عام 1130م، إلى ذكر أشجار الكرمة في عين جدي "إشتهرت بزراعة أشجار الكرمة، والشهيرة بالعنب الأنجادي"⁽⁴⁶⁾. أما بنيامين التيطلي الذي زار المنطقة سنة 1165 - 1173م فقد ذكر: "أن سبسطية كثيرة الأشجار والعيون جزيلة الحدائق والرياض وكروم العنب والزيتون"⁽⁴⁷⁾. وتناول الرحالة اليوناني يوانس فوقاس⁽⁴⁸⁾ في رحلته كثرة أشجار العنب في منطقة القدس بقوله: "والجزء العلوي من الواد مزروع بكروم العنب"⁽⁴⁹⁾.

كما أشار الرحالة الألماني بورشارد⁽⁵⁰⁾ من دير جبل صهيون إلى أن محصول العنب يجمع ثلاث مرات في السنة، ويرجع ذلك إلى أن السكان يقومون بتقليم أشجار الكرمة في شهر مارس (آذار)، وذلك عن طريق قطع الفروع الزائدة خلف عنقايد العنب . وعندما تبدأ عنقايد جديدة بالنمو في شهر ابريل (نيسان) فانهم يقومون بقطع الفروع التي تنمو خلفها، وفي شهر مايو (أيار) تبدأ سيقان أشجار الكرمة بإطلاق فروع أخرى تحمل عنقايد جديدة. وهكذا فإن السكان يحصلون على ثلاث شتلات من العنب تنمو جميعها بطريقة متشابهة، ولكن الفروع التي تبدأ في شهر مارس (آذار) يتم جمع محصولها في سبتمبر (أيلول) والتي تنمو في شهر مايو يتم جمع محصولها في أكتوبر (تشرين أول) وبهذا يحصل السكان على ثلاث غلات من العنب في السنة⁽⁵¹⁾.

ويستنتج مما دونه الرحالة الأجانب أن الفرنجة أولوا عناية خاصة بزراعة الكرمة في فلسطين؛ إذ يذكر المؤرخ الفرنجي المعاصر فوشيه الشارترتي⁽⁵²⁾ Fulcher of Chartres أنهم اعتنوا بحراثة حقول الأرض المزروعة بالكرمة؛ لأنها تحتاج إلى عناية كبيرة⁽⁵³⁾، فعملية حراثة وتسميد الأرض المزروعة بالكرمة تقع بشكل متواصل، فاستخدموا الأسمدة العضوية من روث البقر والماشية والحمام⁽⁵⁴⁾، هذا إلى جانب أنهم كانوا يقومون بعمل كل ما يلزم من أجل العناية بالكرمة؛ وعلى سبيل المثال قام رجال الدين اللاتين في كنيسة القديسة مريم في وادي جهنم (قدرون، سلوان، يهوشافاط بشق قناة لري كروم العنب والأراضي التي حصلوا عليها من الملك الفرنجي بلدوين الثاني Baldwin II (1118-1131)⁽⁵⁵⁾. ويذكر المؤرخ وليم الصوري أن الفرنجة قاموا بزراعة الكرمة في أراضي عسقلان حيث أن تربتها الرملية لا تصلح للزراعة التقليدية⁽⁵⁶⁾.

وقد أبدت المؤسسات الفرنجية التي استحوذت على الأراضي الزراعية اهتماماً كبيراً بزراعة أشجار الكرمة وبخاصة في القرى التي حازتها؛ إذ إنها نظمت المجتمع الزراعي في اقطاعاتها وأراضيها تنظيمياً جيداً وتكفلت بزراعة أشجار الكرمة على نطاق واسع؛ وأولتها عناية كبيرة لدرجة أن رجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة اشترطوا على جميع المواطنين في مستوطنة البيرة أن لا يقوموا ببيع الأراضي المزروعة بالكرمة إلا بعد مشاورتهم وأخذ رأيهم. فإذا وافقوا على البيع كانوا يشترطون الحصول على نصف ثمن الأراضي المزروعة بهذا المحصول الزراعي⁽⁵⁷⁾

الخاصة . ولعل ذلك يشير إلى مدى حرص المؤسسات الكنسية على امتلاك الكثير من الأراضي المزروعة بهذه المحاصيل الزراعية⁽⁸³⁾.

وكانت القدس والمناطق المجاورة لها من ضمن الإقطاعات الكنسية التي اشتهرت بزراعة الكرمة، فقد ذكر الراهب دانيال الروسي أن أراضيها وأراضي القرى المحيطة بها كانت تمتاز بالخصوبة ووفرة الانتاج، فضلاً عن أنها أرض مستوية مليئة بالينابيع العديدة المنتشرة في كل مكان، ولذلك اشتهرت المنطقة بزراعة أشجار الكرمة الجيدة التي كانت تنتج أجود أنواع العنب في الأراضي المقدسة، هذا إلى جانب شهرتها بزراعة أشجار النخيل العالية ومعظم أشجار الفاكهة⁽⁸⁴⁾. وتعتبر قرية عين جدي⁽⁸⁵⁾ الواقعة في أقصى الجنوب الغربي من أريحا من أشهر القرى في المنطقة عناية بالكرمة وبزراعتها⁽⁸⁶⁾. فقد ذكر الرحالة بورشارد من دير جبل صهيون الذي زار المنطقة في القرن الثالث عشر الميلادي السابع الهجري أن جذوع أشجار الكرمة كانت لا تزال قائمة في قرية عين جدي في أثناء زيارته لها، وأضاف أن المسلمين الذين يعيشون في المنطقة لا يهتمون بزراعة الكرمة، ويلاحظ من حديث بورشارد أن العناية بزراعة مثل هذا المحصول في قرية عين جدي لم تعد قائمة في القرن الثالث عشر الميلادي / السابع الهجري؛ بسبب عدم اهتمام السكان بهذا النوع من الزراعة⁽⁸⁷⁾. وكانت أريحا والأراضي المحيطة بها من ضمن الأملاك والاقطاعات التي منحها الملك بلدوين الأول لكنيسة القيامة وقبل سنة 1115م قام ارنولف مالكورون بمنحها لابنة أخته لتكون مهراً لها⁽⁸⁸⁾.

ومن المرجح أن معظم الاقطاعات والأملاك التي حازتها الكنائس والأديرة في حدود مدينة نابلس وبيت المقدس وبيت لحم والخليل كانت تشتهر بزراعة أشجار الكرمة اعتماداً على شهرة المناطق سابقة الذكر بهذا النوع من الزراعة ففي سنة 1115م حاز دير القديسة مريم في وادي يهوشافاط⁽⁸⁹⁾ على أرض مزروعة بأشجار الكرمة في حدود بيت المقدس قدمها باليان كندسطل⁽⁹⁰⁾ يافا كذلك حصلت كنيسة القيامة على كرم عنب في حدود كونتية⁽⁹¹⁾ يافا وقام رجال الدين اللاتين في الكنيسة سابقة الذكر بشراء قطعة أرض مزروعة بالكرمة بمبلغ مائة وأربعين بيزنط⁽⁹²⁾ في سنة 1129م/523 هـ وبعد ذلك بفترة اشترت أرض مزروعة بالكرمة في قرية سنجل⁽⁹³⁾ وفي سنة 1152 م / 554 هـ قامت إحدى السيدات بمنح كنيسة القيامة قطعة أرض مزروعة بكرم العنب في البيرة⁽⁹⁴⁾.

وكانت المؤسسات الدينية الرئيسية في منطقة الخليل تمتلك الأراضي الزراعية وأولت زراعة الكروم اهتماماً كبيراً، حتى أصبح إقبال الفلاحين على زراعته يفوق إقبالهم عن أي محصول آخر حتى ولو كان القمح، وذلك نظراً بسبب الأرباح الطائلة التي تعود على المزارع من زراعته⁽⁹⁵⁾، وحتى بعد جلاء الفرنجة عن فلسطين ظلت كروم العنب في مدينة الخليل تحتفظ بشهرة كبيرة، إذ أفاد أهالي هذه المدينة من ظروف البيئة المناسبة المحيطة بهم، حيث أمدتنا المصادر التاريخية المتوافرة بطريقة معالجة الآفات والأمراض التي كانت تصيب شجرة الكرمة ومن ذلك أن أهالي الخليل كانوا يجلبون مادة طينية من البحر الميت ويدهنون بها جذع شجرة الكرمة وبالتالي تمنع الحشرات والديدان من أكل أوراق الشجرة وتجنّبها خطر الموت أو الجفاف⁽⁹⁶⁾.

والحجاج الأوروبيون الذين زاروا المنطقة في القرن الثالث عشر والقرنين الرابع عشر الميلاديين السابع والثامن الهجريين أن قرية الزيب (امبرت) الواقعة شمال مدينة عكا كانت تشتهر بزراعة الكرمة التي كانت تحيط بجميع أراضي القرية، والشيء نفسه عن قرية سكاناليوم⁽⁷¹⁾ Scandelium التي كانت أراضيها تشتهر بزراعة هذا المحصول وعلى الرغم من أن الكرمة كانت تزرع في المناطق الساحلية والجبلية إلا أن زراعتها في المناطق الجبلية كانت أكثر غزارة⁽⁷²⁾.

ويمكن القول، إن كروم العنب كانت موجودة تقريباً في جميع المدن الساحلية؛ أما في المناطق الجبلية فقد وجدت في منطقة الجليل حول طبرية والناصرية، وأكثر من ذلك على طول الطريق من السامرة إلى القدس وحول نابلس ورام الله والقدس وبيت لحم حتى الخليل في الجنوب⁽⁷³⁾. وكذلك وجدت كروم العنب في مدينة غزة⁽⁷⁴⁾

وقد أصبحت اقطاعية نابلس من أكثر البلاد إنتاجاً للعنب الذي كان يباع في أسواق بيت المقدس من قبل سكان الريف النابلسي هذا بالإضافة إلى أن كثيراً من كروم العنب في نابلس كانت تمنح على سبيل المنح والاقطاعات ففي يوم الاثنين الموافق السابع عشر من تشرين أول (أكتوبر) سنة 1177م الحادي والعشرين من ربيع الآخر سنة 573هـ قام الملك عموري الأول⁽⁷⁵⁾ بمنح المستشفى الألماني في بيت المقدس ثلاثة كروم عنب في سفح جبل عيبال⁽⁷⁶⁾. كما قام الملك نفسه بمنح كروم العنب في قريتين في حدود إقطاعيته إلى المشرفين على حماية برج داوود⁽⁷⁷⁾، قام باليان سيد صيدا بمنح كروم العنب الواقعة في منطقة صيدا- التي كانت ضمن حدود مملكة بيت المقدس الفرنجية - لهيئة فرسان التيوتون في يوم الجمعة الموافق الحادي عشر من شباط (فبراير) سنة 1228م، الثالث من ربيع الأول سنة 625هـ⁽⁷⁸⁾.

وكانت الاقطاعات الكنسية في بيت لحم وهي التي حازتها الكنائس والأديرة مليئة بالكرمة، فمدينة بيت لحم - التي منحها الملك بلدوين الأول⁽⁷⁹⁾ إلى كنيسة المهد كانت تشتهر بزراعة الكرمة إلى جانب المناطق المحيطة بها مثل قرية بيزك والتي ذكرها بورشارد من دير جبل صهيون أنها تبعد عن بيت لحم بحوالي نصف فرسخ، وأن جميع سكانها من المسيحيين الذين يعتنون بأشجار الكرمة، ويضعون النبيذ الممتاز. لكن بورشارد لم يحدد موقع القرية، وبالرجوع إلى كثير من المصادر الجغرافية والخرائط، فإننا لم نجد أية قرية في حدود بيت لحم تحمل اسم قرية بيزك ومن المرجح أن تكون هي قرية بيت بزّان الواقعة في الجنوب الشرقي من المدينة⁽⁸⁰⁾ - التي تبعد عنها نحو ميل ونصف - تشتهر بزراعة أجود أنواع كروم العنب، وكان جميع سكانها من المسيحيين الذين كانوا يصنعون النبيذ الممتاز من المحصول الذي تدره الكرمة المزروعة في أراضيهم، فضلاً عن أنهم كانوا يتعهدون بزراعة أشجارها في القرى المجاورة لقريتهم⁽⁸¹⁾.

وقد ذكر المؤرخ الصليبي وليم الصوري⁽⁸²⁾ William of Tyre أن خلافاً وقع بين رجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة وبين الملك بلدوين الأول حول كروم العنب الواقعة في ضواحي بيت المقدس، والتي كانت ضمن أملاك بلدوين الأول، وكان رجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة قد اتهموه بالتصرف في كروم العنب ومنحها إلى كنيسة المهد في بيت لحم، على الرغم من أن الكروم كانت من أملاكه

أن يدفع المستوطنون ضريبة العشر ونصف الإنتاج الذي تدره الكرم المزروعة منذ أمد بعيد، أما الأشجار المزروعة حديثاً ولا تنتج محصولاً كبيراً؛ فتقرر أن يدفع عنها ضريبة العشر وخمس الإنتاج⁽¹⁰²⁾. وتراوحت الضرائب المفروضة بين نصف أو ثلث أو ربع أو خمس المحاصيل التي تنتجها الأراضي الزراعية⁽¹⁰³⁾ وكانت الضرائب المفروضة على محاصيل العنب أكثر من تلك المزروعة بأشجار التين والخروب؛ وهذا يعود إلى أن محصول العنب يدر أرباحاً طائلة على المزارعين⁽¹⁰⁴⁾.

كذلك كان الفرنجة يقومون بتحويل الأراضي الزراعية، المخصصة لزراعة الحبوب وبخاصة القمح إلى كروم عنب، وقد جرى ذلك في المناطق المجاورة لمدينة صور سنة 1220/ 616هـ - 617هـ ويعلق أحد المؤرخين الحديثين على ذلك بقوله: إن الفرنجة قاموا بتحويل حقول القمح إلى كروم عنب من أجل تأمين احتياجاتهم، حيث تعود كروم العنب بالربح الوفير على أصحابها أكثر من محصول القمح وقد لاحظنا أن الكنائس والأديرة اهتمت بزراعة الكرم في الأراضي والأملاك التي حازتها على سبيل المنح والاقطاعات كما أن رجال الدين اللاتين في الكنائس والأديرة كانوا يقومون بشراء كروم العنب من الأفراد والمؤسسات في مملكة بيت المقدس الصليبية، فضلاً عن ذلك فقد زودتنا المصادر التاريخية بمعلومات عن بعض المناطق والأراضي الخاضعة لإدارة الهيئات الدينية والعسكرية والتي كانت مزروعة بالذرة إلى مزارع كروم من أجل تلبية احتياجات أفراد الهيئات الدينية العسكرية من النبيذ الذي حقق لهم أموالاً ربحية كبيرة⁽¹⁰⁵⁾.

وعلاوة على ذلك قدم كبار الأمراء وصغارهم وأفراد الطبقة البرجوازية الكثير من الأراضي المزروعة بالكرمة للكنائس والأديرة اللاتينية المختلفة المنتشرة في حدود المملكة فعلى سبيل المثال حصل دير بيتاني⁽¹⁰⁶⁾ على كروم العنب في حدود بيت المقدس قدمها بعض المستوطنين الأوروبيين الذين يعيشون في المنطقة. وعلى العموم فإن اهتمام الصليبيين بالمشتغلين بهذا الصنف من المحاصيل الزراعية فضلاً عن حاجتهم بصفة عامة ورجال الدين اللاتين بصفة خاصة وكذلك المشرفون على مخازن التموين في الكنائس والأديرة فقد أدركوا أهمية النبيذ الفلسطيني وجودته فاستفادوا من الضرائب المفروضة على الصناعات القائمة على محصوله.

ويرى الباحثان أن العبء الأكبر في زراعة الكرم وقع على عاتق الفلاحين الفلسطينيين من خلال انتزاع ملكية الأراضي منهم وجعلهم يعملون في أراضيهم مستأجرين لها، وبطبيعة الحال أفاد الفرنجة من خبرة الفلاحين الفلسطينيين في زراعة الكرم والمهن والصناعات القائمة عليها. رغم الضرائب الباهظة التي فرضت عليهم.

المهن والحرف التي كانت تقوم على محصول العنب:

زار: أطلق هذا الاسم على من يقوم بتقليم أغصان الكروم ويستأجره أصحاب كروم العنب لتقليم أطراف عروق الدوالي بمنجل صغير يعرف بالقطفة في أواخر الشتاء فيشتغل الزبار عند أحدهم كل يوم من الصباح إلى المساء بأجرة معروفة. ولكثرة كروم العنب في الأراضي المقدسة، فقد عمل بهذه الحرفة أعداد كبيرة⁽¹⁰⁷⁾.

كذلك أصبح أهالي مدينة الخليل خبراء في الاستفادة من الاختلافات الطبيعية لسطح الأرض لإطالة موسم إنضاج العنب، فكانت محاصيل المرتفعات الجنوبية يتم نضجها أولاً بسبب حرارة الشمس المرتفعة، ولذلك يتم حصادها من بين شهري يوليو (تموز) وأغسطس (آب)، أما مرتفعات بلاد الخليل الشمالية فيتأخر حصادها حتى شهر سبتمبر (أيلول) أو أكتوبر (تشرين أول)، وقد جاء ذلك على ما يبدو لإطالة فترة عرض محصول الكرم في الأسواق وتحقيق أرباح مالية بعد أن حصل تطور في عملية التسويق بعد عملية التحرير الإسلامي على يد السلطان صلاح الدين الأيوبي، إذ حرمت صناعة الخمور وأصبح فائض الإنتاج لذلك كانت عملية أطالة مدة المحصول جزء من الحل بالإضافة إلى الصناعات التي أخذت تتسع في الفترة الإسلامية كصناعة الملبن واللبس وغيرها من الصناعات البديلة لصناعة النبيذ⁽⁹⁷⁾، ومع توسع زراعة الكرم على نطاق واسع واستحواذها على فترة طويلة جداً من العمل داخل الحقول ومن أجل حل مشكلة الذهاب والإياب الطويل، أقام الفلاحون بيوتاً حجرية تسمى المناطير صغيرة الحجم غالبيتها بشكل دائري وتنتشر كذلك في قرى شمال رام الله وكان الفلاحون يقيمون فيها فترة الحراثة والتقليم وقطف ثمار الكرم⁽⁹⁸⁾.

وبناء على ذلك يمكن القول، إن المؤسسات الكنيسة اللاتينية حصلت على كثير من الأراضي المزروعة بأشجار الكرم وذلك عن طريق المنح التي كان يقدمها ملوك ونبلاء المملكة الفرنجية في القدس، إلى جانب ما كانت تشتريه المؤسسات الكنسية، هذا إلى جانب أنها نظمت المجتمع الزراعي في اقطاعاتها وأراضيها تنظيمياً جيداً وتعهدت بزراعة هذه المحاصيل بأنواعها المختلفة وأولتها عناية كبيرة لدرجة أن رجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة اشترطوا على جميع السكان في البيرة التي كانت أهم الإقطاعات المبكرة التي حصلوا عليها زمن الأمير جودفري البويوني⁽⁹⁹⁾ (1099) Godfrey of Bouillon (1100 - أن لا يقوموا ببيع الأراضي المزروعة بأشجار الكرم إلا بعد أخذ مشورتهم ورأيهم في عملية البيع وعلاوة على ذلك اشترطوا الحصول على نصف ثمن الأراضي المباعه ولعل هذا الأمر يشير إلى مدى حرص رجال الدين اللاتين على الأراضي المزروعة بأشجار الكرم ومدى اهتمامهم بها وقد وضع رجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة المراقبين على الأراضي المزروعة بالكرمة في مستوطنة البيرة وعلى المشتغلين بها فإذا أهمل أي شخص من أصحاب الأراضي المزروعة بالكرمة أرضه لأي سبب من الأسباب فإن نائب الخزانة التابع لكنيسة القيامة ومعه أربعة أو خمسة شهود موثوق بهم يأتون إليه ويظهرون له سوء زراعته وعدم اهتمامه بأرضه فإذا لم يبد أي اهتمام من أجل اصلاحها كانوا يفرضون عليها في بداية الامر غرامة قدرها نصف مارك⁽¹⁰⁰⁾ من الفضة كما أنهم كانوا يهددون بانتزاع أرضه المزروعة بالكرمة و منحها إلى شخص آخر إذا استمر في إهمالها وعدم عنايته بأرضه وكرومه⁽¹⁰¹⁾.

وقد جاء في إحدى الوثائق إلى أن رئيس كنيسة القيامة كان يقوم بنفسه بالإشراف على زراعة الكرم في مساحات واسعة من الأراضي التي تعود ملكيتها للكنيسة وتعرضت الوثيقة نفسها إلى ذكر الكرم التي زرع في مستوطنة راماتيس الجديدة والتي قام رجال الدين اللاتين بمنحها إلى بعض المستوطنين الأوروبيين من أجل تشجيعهم على الاستقرار في المستوطنة الجديدة وقد تقرر

وقد اعتنت المؤسسات الكنيسة والأديرة بصناعة النبيذ المقدس في القرى المجاورة للقدس، ولذلك توسعت في زراعة أشجار الكرمة في المستوطنات التي أقامتها بالقرب من القدس⁽¹¹⁹⁾. كذلك كان المسيحيون السريان⁽¹²⁰⁾ يهتمون بزراعة الكرمة في قرى بيت لقيا⁽¹²¹⁾ وقلنديا وبيت سوريك⁽¹²²⁾ التابعة لكنيسة القيامة في المدينة المقدسة.

إن السبب الرئيس في التوسع في زراعة الكرمة هو ازدياد الطلب على النبيذ المقدس المصنوع في فلسطين؛ وذلك من أجل زيادة الكمية المصنعة من النبيذ. وتجدر الإشارة إلى أن كميات منه كانت تمنح للكنائس والأديرة من قبل المستوطنين الأوروبيين ففي يوم الخميس الموافق الثلاثاء من تشرين أول (أكتوبر) 1186م، قدم آدم الكبير الذي يملك قرية القديس سانت جيل (قرية سنجل) وبموافقة زوجته فلورا وابنه بلودين إلى هيئة القديس لعازر⁽¹²³⁾ Saint Lazarus في القدس كمية معتبرة من النبيذ، فضلاً عن خمسين جنيهه تؤخذ سنوياً والنصف الآخر لما هو موجود في القرية والجزء الآخر لما تمتلكه من الأديرة البيضاء. كما أن الطلب على النبيذ ازداد في أثناء فترة الغزو الفرنسي لفلسطين، ولعل ذلك يعود إلى جودته فضلاً عن استخدامه في الشعائر الدينية الخاصة بالكنائس والأديرة⁽¹²⁴⁾. ويقوم سكان قرية دورا في منطقة الخليل في أيامنا هذه بزراعة العنب، ويصنعون منه الدبس⁽¹²⁵⁾.

2. صناعة الدبس الأحمر يغمر العنب بقدر وزنه من الماء، ثم يغلى حتى يجف، ثم تؤخذ المادة الطافية ويترك التفل، وتوضع المادة الطافية في الشمس حتى تجف⁽¹²⁶⁾، وتحتاج إلى تعريضه للهواء فيدرس أصحابه زبيب العنب الأحمر في مدرس ثم يضعون ذلك الدبس بأوعية كبيرة من الفخار مثقوبة من أسفلها وعلى ذلك الثقب قطعة من الليف فيضعون تلك الأوعية على سقالة من خشب بارتفاع زراع ونصف مثقوبة عند أسفل الوعاء ويضعون أيضاً بأوعية كبيرة تحت تلك الأوعية ثم يضعون الماء الصافي على ذلك الدبس ويمزجونه معه فيرشح من ذلك الثقب الموضوع عليه قطعة من الليف خواص ذلك الدبس بالوعاء الأسفل ثم يأخذونه ويطبخونه دبسا⁽¹²⁷⁾.

3. صناعة الملبن: يصنع الملبن من العنب أو من دبس العنب ويصفي بوشاح مادة الحور ويغلى حتى يصل إلى درجة اللزوجة وبعدها يصب على أكياس معدة لهذا الغرض. فتترك عرضة للهواء والشمس حتى تجف وعند ذلك يطبخ كلها فيبيعه صاحبها على من يرغب في مشتراه خصوصاً على المتعيشة المار زكهم في حرفة المتعيش وهو يصفها في أطباق من خشب تعرف بالفرش ويدور بها في مجتمعات الناس فيبيعهها على من يرغب به. وبالجملة فهي حرفة يعيش منه⁽¹²⁸⁾.

4. المربى (طببخ العنب): تعلم الصليبيون وخلال فترة حكمهم للأراضي المقدسة طبخ العنب، الذي يتم إنتاجه من خلال تفریط العناقيد وغسلها جيداً ثم وضعها على النار حتى تتماسك وخلال ذلك كان يتم فصل النوى بوساطة ملعقة كبيرة، وبعد انتهاء طبخ العنب، يترك حتى يبرد، ثم يحفظ في أوعية زجاجية ويكثر من تناوله في فصل الشتاء من أجل تزويدهم بالدفاء والطاقة في أثناء فصل الشتاء وشدة البرودة⁽¹²⁹⁾.

5. صناعة الخل: يصنع الخل المستخرج من العنب بوساطة

صوال العنب: هي حرفة مرتبطة بجامع الزبيب وتطلق على من يقطعون العنب عندما يصبح زبيباً، ويقوم الصوالون بقطع العنب. ويضعونه في مصول كبير خشب كالمعجن ويصلونه في رائق ماء القلي والزيت مدة جزئية، ثم يخرجونه من ذلك المصول، وينشرونه على أرض مستوية فينقون منه العيدان حتى تبقى الزبيبة فقط⁽¹⁰⁸⁾.

عناب: هو من يحترف نقل العنب من محله إلى البلدة زمن قطفه، فأصحاب كروم العنب أو الضمانة لها ينظرون في العنب الذي لا يصلح أن يكون زبيباً أو أن يكون ذا قيمة فيقطعونه عنبا ويوردونه فيبيعهونه. ولنقله من الكرم كيفية دقيقة بحيث لا يقدر كل واحد أن ينقله من محله إلا العنايب، إذ أصبحت حرفته الخاصة به؛ وذلك لأن العنب يحتاج إلى صف ضمن سلال مفتوحة بصورة لا يمكن غير العنايب أن يصفها أبداً وإذا تعدى أحد على تلك الحرفة دون أن يكون عنده علم بصفها فإنها لا تصل إلا وهي تالفة ولا تباع بنصف قيمتها وبإتقان صفها من قبل أربابها تصل بلاداً بعيدة كأنها كطفت ساعة وصولها فيأتي أصحاب العنب العنايب مصحوبين بدوابهم وسلالهم فيملأونها ويحملونها على دوابهم إلى بلداتهم⁽¹⁰⁹⁾. وأصناف العنب كثيرة المعروفة منها الزيني والأحمر والأسود، والدربلي، والهلواني، والبيتموني، والبرمقلي، وأصابع زينب، وقشلميش وكل صنف من تلك الأصناف جميل الشكل لذيد الطعم فالمرغوب منه في أوانه لا يتجاوز رطله الثلاثة قروش وهو الحلواني والبيتموني والدربلي. ولا يصلح من جميع هذه الأصناف للزبيب إلا الأحمر فالدربلي فالقشلميش وما عداها يباع عنباً طرياً وما كان لا يصلح للأكل من العنب ولا الزبيب يبيعه أصحابه إلى الخمارات ويعرف بالكرات ويستخرجون منه الخمر⁽¹¹⁰⁾.

الصناعات القائمة على الكرمة:

1. صناعة النبيذ المقدس: أشار الرحالة الألماني بورشارد من دير جبل صهيون إلى أن نبيذ الأرض المقدسة من النوع الجيد والمشهور، كما ذكر أن المسيحيين الشرقيين الذين كانوا يقيمون حول القدس هم الذين يتولون صناعة النبيذ، لأن المسلمين لا يشربونه ولكنهم يعتنون بالكرمة ويبيعون انتاجهم إلى المسيحيين من أجل الربح⁽¹¹¹⁾.

واشتهرت صناعة النبيذ في الأراضي المقدسة زمن الغزو الفرنسي، وذكر الرحالة فيتلوس أن النبيذ كان يصنع في قانا الجليل⁽¹¹²⁾ وكان النبيذ الفلسطيني ذا شهرة عالمية لذا وجد إقبالاً واسعاً من قبل التجار الأوروبيين⁽¹¹³⁾. وكانت صناعة النبيذ في المستوطنات الصليبية تمثل إحدى الموارد الثابتة في الدخل العام⁽¹¹⁴⁾، ويذكر أن النبيذ الفلسطيني الذي جرى إنتاجه في الأراضي المقدسة خلال الحكم الإسلامي كان من أجل تلبية احتياجات التجمعات المسيحية التي تعيش في البلاد⁽¹¹⁵⁾ هذا بالإضافة إلى أن مدينة نابلس كانت تشتهر بإنتاج الزيت والنبيذ والقمح والفاكهة بكثرة⁽¹¹⁶⁾. كما جرى العثور من خلال الحفريات الأثرية على معاصر النبيذ في القدس ونواحيها، واشتهرت بيت رأس بصناعة النبيذ الفاخر، كما عُثر على بعض الأحواض التي تم قطعها في الصخر بهدف صناعة الخمر في المنطقة الجديدة جنوب القبيبة حيث وجدت جرار كبيرة (رواقيد) لهذا الغرض⁽¹¹⁷⁾. لدرجة أن جبل بيت المقدس كان يعرف بجبل الخمر⁽¹¹⁸⁾.

المزارعين ، كما قاموا بفرض الضرائب على الأشجار المزروعة قديماً أما الأشجار التي زرعت في عهدهم فقد فرضوا عليها ضرائب أقل نظراً لمحدودية إنتاجها، إذ أنهم كانوا يحصلون على نصف أو خمس الإنتاج من محصول العنب، كما اشترطوا على المزارعين عدم بيع أراضيهم إلا بعد أخذ موافقة رجال الدين اللاتين ، وإذا تمت الموافقة فإنهم يشترطون الحصول على نصف سعر الأراضي المباعة.

ويستنتج من البحث أن سبب اهتمام الفرنجة بتطوير زراعة شجرة الكرمة كان في المقام الأول يهدف إلى توفير النبيذ المقدس في الأديرة والكنائس المسيحية، وكذلك لما يدخله من أرباح تفوق أي شجرة أخرى على المملكة والاقطاعات الفرنجية في فلسطين، وقد ظهر ذلك من خلال اهتمام رجال الدين اللاتين بزراعة هذه الشجرة في الأراضي التي كانت تابعة للكنائس والأديرة.

وتبين الدراسة أن أهالي مدينة الخليل استطاعوا نتيجة للخبرة الطويلة استخدام المبيدات الطبيعية للحشرات والأوبئة التي تصيب شجرة الكرمة، أما عن طريق دهن جذوع الأشجار بمادة طينية من منطقة البحر الميت أو محلية من البيئة ذاتها وذلك عن طريق غلي نبات (الطيون) وهي نبتة لا تأكلها الحيوانات وهي نبتة سامة تبعد الحشرات عن أشجار الكرمة، إذ لا يزال سكان جبل الخليل يستخدمونها أما بوضع هذه النبتة على أشجار الكرمة مباشرة وهي خضراء أو عن طريق غليها بالماء ومن ثم أخذ الماء بعد الغلي فتصبح رائحته كرائحة النبتة ذاتها وترش به أشجار الكرمة أكثر من مرة في السنة، وهذا يبرهن على مدى تقدم الفلاح الفلسطيني في فترة الزراعة منذ وقت مبكر.

ونتيجة للبراعة، استطاع المزارع الفلسطيني أن يجعل محصول العنب متعدد القطاف حتى امتد لفترة ستة أشهر وذلك نظراً لكثرة الإنتاج؛ بسبب تحريم صناعة النبيذ بعد تحرير فلسطين من الفرنجة واتجه كذلك للصناعات البديلة كالملبن والدبس والعنب المجفف، وبالتالي استطاع التخلص من مشكلة وفرة الإنتاج من خلال التصنيع للاستخدام طويل الأمد دون الحاجة لاستخدام مواد حافظة بتحويله إلى زبيب وملبن ودبس ومربي وغيره من الصناعات التي تقوم عليه، ولكن هذا لا يعني أن النبيذ لم يصنع في فلسطين بعد انتهاء حكم الفرنجة في فلسطين وذلك لبقاء عدد لا بأس به من الفرنجة في فلسطين على دينهم وعدم مغادرتهم الأراضي الفلسطينية فأصبح جزء بسيط من محصول العنب يذهب لصناعة النبيذ حسب حاجة المسيحيين المحليين وربما تمت صناعته بالخفاء. وذلك أن الدين الإسلامي يحرم صناعته لدى المسلمين.

الهوامش:

1. Josephus, Jewish war, London 1923, p.2;
2. البيشاوي، سعيد. الأراضي الزراعية ومنتجاتها في الخليل في العصر الفرنجي، أنظر: دراسات في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، 2003، ص 56
3. Genevive, B.B. Act NO 123, P.249.
4. الشامي، كامل خالد. جغرافية فلسطين، دراسة الأقاليم الطبيعية، 1991،

غلي العناقيد جيداً، وبعد الانتهاء من عملية الغلي، يوضع العنب في وعاء زجاجي، ويغلى بقطعة من القماش، ويترك لفترة من الزمن تتراوح بين شهر ونصف إلى شهرين في مكان متجدد الهواء، وبعد انتهاء الفترة الزمنية المحددة، تتم تنقية الخل بوساطة قطعة من الشاش، ثم يحفظ في مكان بارد⁽¹³⁰⁾.

6. تجفيف العنب (الزبيب): تتخذ عملية تجفيف العنب خطوات عدة أهمها: فرط العنب، وغسله جيداً، ويتم غلي الماء ويضاف إليه نقط من الزيت وقليل من بنزوات الصوديوم ووضع العنب فيه ويجب أن يغمره الماء المغلي وبعد ذلك يغمر العنب في الماء المغلي لفترة وجيزة لا تتجاوز ثلاث دقائق، وبعد ذلك يرفع من الماء ويترك حتى يصفى وتهدأ درجة حرارته وينثر العنب في مكان متجدد الهواء بعيداً عن الشمس حتى يجف⁽¹³¹⁾. وتجدر الإشارة إلى أن سكان قرية دورا في الخليل لازالوا يقومون بتجفيف العنب ويطلقون عليه اسم الزبيب⁽¹³²⁾.

تصدير محصول العنب والضرائب المترتبة عليه: لم تفصح رحلات المؤرخين الأجانب عن معلومات وافرة عن تصدير محصول العنب إلى المناطق المجاورة سوى شذرات بسيطة حيث أفاد بعض الرحالة أن " كان التجار الأوربيون يقبلون على شراء النبيذ المقدس، وكانوا يقومون بتصديره إلى أوروبا التي كان أهلها يفضلون استخدامه؛ لأنه نال شهرة عالمية⁽¹³³⁾، كما ورد في بعض المصادر الأخرى أن بعض شحنات النبيذ الطرابلسي على إحدى السفن الجنوبية عشرة أطنان⁽¹³⁴⁾؛ ولعل هذا يثبت جودة النبيذ المصنع في بلاد الشام وتفوقه على النبيذ الأوربي وبخاصة النبيذ العيونوني والدوري⁽¹²⁴⁾ كما يكشف عن حجم صادرات النبيذ إلى أوروبا⁽¹²⁵⁾

الضرائب المفروضة على كروم العنب: أما الضرائب التي كان يدفعها المستوطنون على كروم العنب فهي متعددة ومتنوعة، منها ضريبة العشر ونصف الإنتاج التي تنتجها الكرمة المزروعة منذ زمن بعيد، أما الأشجار التي زرعت حديثاً فتقرر أن يدفع عنها ضريبة العشر وخمس الإنتاج . ومن الملاحظ أن رجال الدين في كنيسة القيامة قد اكتسبوا خبرة في مجال زراعة أشجار الكرمة كونهم أدركوا أن الأراضي المزروعة حديثاً بأشجار الكرمة تنتج محصولاً أقل من الأراضي التي مضى على زراعتها فترة من الزمن لذلك نلاحظ أنهم فرضوا نسب مختلفة من الضرائب على الأراضي التي زرعت بأشجار الكرمة⁽¹³⁵⁾. ويرى أحد الباحثين أنه نادراً ما كان سكان القرى الزراعية يجمعون بين الزراعة التقليدية وبين زراعة الكروم وأشجار الزيتون أو الأشجار المثمرة بسبب ارتفاع الأعباء المالية من ضرائب مختلفة⁽¹³⁶⁾، بالإضافة إلى ضريبة الخراج Carragium التي تراوحت ما بين ربع وثلاث المحصول الذي تنتجه الأرض في كل مرة سيتم زراعتها، وكان الفلاحون يدفعون نسبة من إنتاج مزارع الكروم، وقد تراوحت هذه النسبة ما بين ربع ونصف الإنتاج الكلي من إنتاج مزارع الكروم⁽¹³⁷⁾

الخاتمة:

اتضح من خلال دراستنا لزراعة أشجار الكرمة أنها كانت موجودة قبيل قدوم الفرنجة إلى فلسطين تمتد إلى فترة العصور الكلاسيكية وما قبلها، وعندما استولى الفرنجة على هذه البلاد توسعوا في زراعتها بسبب أهميتها، وما تدره من دخل على

- ص33؛ سلطان، سفيان. كروم العنب، ط1، الخليل، 2005، ص 257.
5. طوطح، خليل. جغرافية فلسطين، مطبعة بيت المقدس، القدس، 1923، ص 39؛ سلطان، سفيان. كروم العنب، ط1، الخليل، 2005، ص 257.
6. السيد، علي أحمد. الخليل والحرم الإبراهيمي في عصر الحروب الصليبية، ط1، دار الفكر العربي، 1998، ص 337.
7. سلطان، سفيان. كروم العنب، ط1، الخليل، 2005، ص 412.
8. البحيري، صلاح الدين. أرض فلسطين. الأردن طبيعتها وحياتها واستعمالاتها، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، 1974، ص 22.
9. البحيري، صلاح الدين. أرض فلسطين: الأردن، ص 22.
10. الكتري، بحري أحمد. جغرافية فلسطين، ط1، عمان، دار الصفاء للتوزيع والنشر، 2014، ص 97؛ سلطان، سفيان: كروم العنب، ص 276-277.
11. تربة جرام: تعد هذه التربة قليلة الخصوبة، وتصلح جزئياً لزراعة القمح وهي حزة من الأراضي السهلية قليلة الانحدار. جغرافية فلسطين. عابد، عبد القادر، فلسطين، الموقع والموضع، بيروت، الموسوعة الفلسطينية، ق2، م1، 1990، ص 129-119.
12. وهي ذات لون أحمر وبعضها مائل إلى اللون البني تصلح لزراعة القمح والشعير وبالإضافة إلى العنب والزيتون وتوجد هذه التربة في السفوح العليا للاودية في مناطق مختلفة من فلسطين. جغرافية فلسطين، جلمعة القدس المفتوحة، 2009، ص 130.
13. تغطي هذه التربة مناطق مختلفة في فلسطين حيث توجد في مناطق مثل القدس وابو ديس والسواحة تصلح لزراعة العنب والمحاصيل الحقلية. المرجع السابق، ص 130.
14. يوجد هذا النوع من التربة في المنحدرات الجبلية المطلة على مناطق الاغوار وتتكون من الحجر الجيري والطباشيري والصخور الصوانية وتزرع بالمحاصيل الشتوية. الكتري، بحري أحمد، المرجع السابق، ص 110.
15. توجد عادة في المناطق الشهلية وممرات الأودية وهي تربة رسوبية من مناطق مختلفة متشققة في فصل الصيف جافة تصلح لزراعة المحاصيل الشتوية فقط. الكتري، بحري أحمد، المرجع السابق، ص 110.
16. الكتري، بحري أحمد، المرجع السابق، ص 110؛ سلطان، سفيان. كروم العنب، ط1، الخليل، 2005، ص 276.
17. مؤلف مجهول. مفتاح الراحة لأهل الفلاحة، تحقيق محمد عيسى صالحية وإحسان صدقي العمدة، ط1، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت 1984م، ص 208.
18. اليهودية، صلاح. معاصر العنب المكتشفة في قرية صفا في الفترتين الرومانية والبيزنطية، اللجنة الوطنية للتربية والثقافة والعلوم، 2004، ص 6.
19. لي، سترانج. فلسطين في العهد الإسلامي. ترجمة محمود عميري، ط1، وزارة الثقافة والإعلام، عمان، 1970، ص 87.
20. الأصبخري: هو ابو القاسم إبراهيم محمد الكرخي، نشأ في إصطخر ونسب إليها، عاش في النصف الأول من القرن الرابع الهجري، العاشر الميلادي، توفي سنة (340هـ/951م).
21. الأصبخري، مسالك الممالك، مطبعة بريل، ليدن 1927م، ص 58، أنظر
- أيضاً: أبو الغداء: تقويم البلدان، نشره رينو ودسلان، باريس، دار الطباعة السلطانية، 1840، ص 241، محمد كرد علي: خطط الشام، ج 4، ص 149؛ لي سترانج، فلسطين في العهد الإسلامي، ص 257.
22. المقدسي البشاري(ت 387هـ/997م) هو شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر البشاري، ولد في بيت المقدس سنة 336هـ/946م، ويعتبر المقدسي من أقدم الجغرافيين المسلمين، أنظر: الزركلي، خير الدين. الأعلام، ج3، القاهرة، 1972، ص 847؛ السيد عبد العزيز سالم، التاريخ والمؤرخون، الإسكندرية، 1981، ص 191؛ نقولا، زيادة، الجغرافية عند العرب، بيروت، 1962، ص 50.
23. دورا: وهي واقعة في الجنوب الغربي من مدينة الخليل، وقد اشتهرت بكرومها وعنبها الذي عرف بالدوري، اوقفها المعظم عيسى الأيوبي عام 612هـ/1215م على الحرم الإبراهيمي.
24. بيت عينون: تعرف في الوقت الحاضر باسم خربة بيت عينون الواقعة في منطقة الخليل، وكانت من ضمن الاقطاعات التي منحها الرسول (ص) ، إلى الصحابي الجليل تميم الداري انظر: مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج5 ، ق2 ، ص 10 ، 51 ، 55 ، 171 ، 327-322 .
25. المقدسي البشاري، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص 181-180؛ cf. also Praver j, The Latin Kingdom 363، انظر أيضاً: سعيد ابو صافي: مدينة الخليل في العصر المملوكي، ط1، مكتبة ندديس الإسلامية، الخليل، 2002، ص 87.
26. ناصر خسرو: (ت 481هـ/1088م) رحالة وشاعر وفيلسوف فارسي، له كتاب الأسفار أو السفرنامه، الذي دون فيه أخبار أسفاره في أرجاء العالم الإسلامي
27. قرية خاتون:(اللطرون): قرية على بعد 16 كيلاً من الرملة. سُراب، محمد محمد. معجم بلدان فلسطين، ص 639.
28. قرية العنب(قرية أبو غوش): تقع على بعد 13 كيلاً غرب القدس، عرفت باسم قرية أو حصن العنب في العهد الإسلامي ، وذكرت في العصر الصليبي باسم Castellum Emmaus Fontenoid. الدباغ، مصطفى مراد. مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج8 ، ق2 ، ص 113-112 Cf. also : Praver, J., The Latin Kingdom of Jerusalem , P.292
29. السذاب: نبات بري ، ويوجد منه نوعان بري وبستاني، مجهول: مفتاح الراحة لأهل الفلاحة، ص 156.
30. خسرو، ناصر. سفر نامه، ترجمة يحيى الخشاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1993، ص 66. لي، سترانج. فلسطين في العهد الإسلامي، ص 99.
31. أبو عبد الله محمد بن محمد الإدريسي الهاشمي القرشي. (ت 650هـ/1160م) : عالم مسلم وأحد كبار الجغرافيين في التاريخ ومؤسس علم الجغرافيا . <http://ar.wikipedia.org/wiki>
32. الإدريسي. نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج1، ط1، عالم الكتب بيروت، 1989، ص 364.
33. شيخ الربوة: (727.654هـ/1256-1327م) شيخ الربوة، لقب اشتهر به شمس الدين أبو عبد الله بن محمد بن أبي طالب الأنصاري، الصوفي، الدمشقي، أطلق عليه لقب شيخ الربوة. <http://www.arab-ency.com>
34. جبل الجرمق: يقع شمالي غربي صفد، حيث يبلغ ارتفاعه 1208 أمتار:

- 3963 قديماً وهو أعلى قمم البلاد خمار قسطنطين: جغرافية فلسطين المصورة، الطبعة الثانية، بيروت ص 17.
35. جبل بقيعة: يقع شمال فلسطين، تقع البقيعة بجانب جبل الجمجمة، خمار قسطنطين: جغرافية فلسطين المصورة، الطبعة الثانية، بيروت ص 17.
36. بمعنى مياه جارية.
37. شيخ الربوة، الدمشقي. نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، ط2، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1998، ص 279.
38. اسم لقريتين أحدهما في الأردن والأخرى بالقرب من بيت المقدس بها كروم كثيرة وينسب إليها الخمر الحموي، ياقوت. معجم البلدان، ج 1، ص 520.
39. لي، سترانج. فلسطين في العهد الإسلامي، ص 335.
40. الحنبلي، مجير الدين. الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ج2، منشورات وزارة الثقافة الأردنية، عمان، 2009، ص 59: أنظر أيضاً: علي السيد علي. القدس في العصر المملوكي، ط1، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، الإقهرة، 1986، ص 194.
41. سايلوف Saewulf: اسم مستعار اتخذته الرحالة بسبب رحلاته المتكررة أنظر: رحلة الحاج سايلوف لبيت المقدس والأراضي المقدسة، ص 13.
42. وصف رحلة الحاج سايلوف لبيت المقدس والأراضي المقدسة، ترجمة سعيد البيشاوي، دار الشروق، عمان، 1997، ص 41.
43. من الرحالة الأجانب الذين زاروا فلسطين في بداية الغزو الفرنجي نحو عام 1106-1107م، وكان أسقفاً في عام 1115، توفي عام 1122، وقد ترجمت رحلته إلى العديد من اللغات وبخاصة الألمانية والفرنسية واليونانية والانجليزية، أنظر: رحلة راهب دانيال في الأراضي المقدسة، 25-38.
44. دانيال الراهب: الرحلة، ص 92.
45. فيتلوس: Fetellus يكتب اسمه بطرق مختلفة منها فريتولوس ولا يوجد عنه معلومات سوى أنه كان يعمل كبيراً للشماسنة لكنيسة أنطاكية. أنظر: وصف الأرض المقدسة في فلسطين، ترجمة سعيد البيشاوي وفؤاد دويكات، ط1، دار حمادة، أريد دار الشيماء، رام الله، 2008، ص 23.
46. وصف الأرض المقدسة في فلسطين، ترجمة سعيد البيشاوي وفؤاد دويكات، دار حمادة للنشر والتوزيع، أريد، دار الشيماء، رام الله 2008 م، ص 40.
47. رحلة بنيامين، ترجمة عزرا حداد، تحقيق عبد الرحمن الشيخ، المجمع الثقافي، أبو ظبي، 2002، ص 243.
48. ولد في كريت ووالده يدعى متى، خدم في الجيش البيزنطي تحت قيادة مانويل كونين، تزوج وأنجب أبناء، قام بزيارة الأراضي المقدسة عام 1185، أنظر: يوانس، فوقاس. الرحلة، ص 102.
49. رحلة يوانس فوقاس في الأراضي المقدسة 581هـ/1185م، ترجمة سعيد البيشاوي، مجلة جامعة القدس المفتوحة، العدد 18، المجلد الأول، 2010، ص 110.
50. بورشارد من جبل صهيون: هو أحد الرحالة الألمان الذين زاروا الأراضي المقدسة في القرن الثالث عشر، ويذكر أنه أقام في دير جبل صهيون نحو عشر سنوات، ولم يرجع إلى بلاده حتى أواخر حياته: رحلة بورشارد من دير جبل صهيون، وصف الأرض المقدسة، ص 23-16.
51. بورشارد من دير جبل صهيون، وصف الأرض المقدسة، 171-170. فوشية
- الشارتري Fulcher of Chartres: ولد بمدينة شارتر بفرنسا واشترك بالحملة الصليبية الأولى ضمن قوات روبرت دوق نورمانديا وكونت فلاندرز وستيفن كونت بلوا وشارتر، وعدا عن ذلك فقد كان مرافقاً لبلدوين الأول، وحضر معه إلى بيت أنظر أيضاً: السيد الباز العريني: مؤرخو لحروب الصليبية، القاهرة 1963، ص 7. المقدس. Cf. Introduction of Fulcher of Chartres, pp.3,7-9
52. Fulcher of Chrtres, A history of The Expedition to Jerusalem, Tran: by Fransise Rita, ryan, (sisters od St, joseph), Ed, With an introduction by Harlod fing, Konuville, U.S.A. 1969
53. زكي النقاش، العلاقات الاجتماعية والثقافية بين العرب والأفرنج خلال الحروب الصليبية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1958، ص 177.
54. مؤلف مجهول، مفتاح الراحة لأهل الفلاحة، ص 209.
55. Delaborde, H.F., Chartes de Terre Sainte de Proveneni- Dame I, rovenent de I, abbaye de Josaphat, Paris 1880. Doc. No 12, pp.37-38, Rohricht, R., Regesta, Doc. No. 101, p.23
56. William of Tyre, Vol, II, P. 219. أنظر أيضاً: الطحاوي، حاتم. الاقتصاد الصليبي، ص 207.
57. مستوطنة البيرة: تعتبر أولى المستوطنات التي أنشئت شمال مملكة بيت المقدس اللاتينية، حيث كانت مستوطنة لرجال الدين اللاتين، وأطلق على هذه المستوطنة اسم Mangna Mahumeria. ثيودويش. (2003) وصف الأماكن المقدسة في فلسطين، ترجمة سعيد البيشاوي ورياض شاهين، ط1، دار الشروق، عمان، 2003، ص 124.
58. Genevieve. B.B. Acts No, 123, p250
59. راماتيس: تقع بالقرب من النبي صموئيل شمال مدينة القدس، وقد عرفت بأسماء عدة منها . Rmatah, Ramathis, Ramatti 421 Genevieve. B.B. Acts No, 123, p
60. Praver, J., The Latin Kingdom of Jerusalem , P.292
61. يرجع باليان في أصوله إلى إحدى العائلات الفرنسية في مدينة شارتر، تولى إدارة كونتية يافا بعد رحيل أميرها، cf. Genevieve, Index Nominum, p.367, William of Tyre , vol.2, pp.130-131, Mayer, H.E., p.93
62. كندسطل: هو ضابط الأمن في مملكة بيت المقدس اللاتينية. Cf. Delaborde, H.F., Doc. No. pp.29-32, Rohricht, R., Doc. No.80 . pp.18-19
63. قلندية: تقع على بعد أحد عشر كيلومتراً إلى الشمال من القدس، ورد ذكر اسم القرية في العهد الصليبي باسم Kalendria. الدباغ، مصطفى مراد. بلادنا فلسطين، ج8، ق2، ص 72.
64. اماتيس: مستوطنة صليبية أقيمت شمال غرب مدينة القدس Agricul- tural Conditions in the Crusder State. p.260. Richard. J
65. قرية القبيبة: تصغير قبة وقد أسست على أراضي قرية بيت سوريك، وهي تقع على بعد سبعة أميال من شمال غرب القدس. Benevenisti. The Crusaders In The Holy Land, Jerusalem. (1970)

- p.224
66. صوبيا: تقع على بعد عشرة أكيال غرب مدينة القدس، ترتفع (770م) عن سطح البحر. شراب، محمد محمد. معجم بلدان فلسطين، ص 491.
67. قرية بيت ميس: (أم الميس) بالقرب من القدس؛ وشيدت على أحد مرتفعات جبال القدس شراب، محمد محمد. معجم بلدان فلسطين، مكتبة اليازجي، 1987، ص 177.
68. البيشاوي، سعيد، الممتلكات الكنسية، ص 402 البيشاوي، سعيد. الممتلكات، مرجع سابق، ص 402
69. المقدسي، البشاري. أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص 181.
70. يعقوب الفيتري: ولد يعقوب في حدود عام 1180م، في بلدة فيتري في فرنسا واشتهر بعد حضوره مجمع اللاتين الكنسي، حضر إلى المشرق وعين أسقفياً لمدينة عكا عام 1216م، رافق الحملة الصليبية على مدياط عام 1218م، وعين بطريركياً على مملكة بيت المقدس اللاتينية، وتوفي عام 1240م. أنظر: محمود سعيد عمران. الحملة الصليبية الخامسة، دار المعارف، الإسكندرية، 1985، ص 290؛ عبد اللطيف عبد الهادي السيد، دراسة نقدية لمنهج الكتابة التاريخية، الإسكندرية، القاهرة، 2003، ص 179.
71. قرية سكانداليوم Scandilium: تعرف اليوم باسم خربة الإسكندرونه وهي تقع جنوبي مدينة صور، أنظر: Cf.Burchard of Mount Sion, p. 10
72. Fulcher of Chartres, A History of the Expedition to Jerusalem, p.271
73. Prawer, The Latin Kingdom of Jerusalem, P. 362
74. العمري، شهاب الدين. مسالك الأبصار في ممالك الأمصار. تحقيق دوريتا كرافو لسكي، ط 1، المركز الإسلامي للبحوث، بيروت، 1986، ص 216.
75. عموري الأول: تولى حكم مملكة بيت المقدس عندما توفي أخاه الملك بلدوين الثالث في فبراير عام 1162م/ الموافق صفر عام 557هـ. قام بتنظيم الجيش في مملكته وغزا مصر عدة مرات فمنها سنة 1163م/558هـ، وسنة 1164م/559هـ، وتوفي سنة 1174م/569هـ. Cf. William of Tyre, Vol, II, P. 395
76. جبل عيبال: هو أحد الجبلين اللذين تقع بينهما مدينة نابلس وعرف هذا الجبل قديماً باسم جبل "صلمون" أو جبل "ستي سلامة" أو الجبل "الشمالي" جورج بوست: قاموس الكتاب المقدس، ج 2، ص 127. أنظر أيضاً: Rohricht, R, Doc.No,548,p.146
77. البيشاوي، سعيد. إقطاعية نابلس، ص 188. أنظر Strehlike E.Tabulae Ordinis Theutonic, Berlin,1869,p.52
78. فرسان التيوتون: إحدى الفرق الدينية الصليبية التي تشكلت في مملكة بيت المقدس بعد معركة حطين، أنظر: حسن عبد الوهاب، حسين. تاريخ جماعة فرسان التيوتون في الأراضي المقدسة حوالي 1291-1190م/586-569هـ، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1989، ص 215-214.
79. بلدوين الأول: ملك مملكة بيت المقدس اللاتينية في الفترة الواقعة ما بين (1100-1118). Cf.Fulcher of Chartres,PP.136-137.
80. بيت بزنان: تقع إلى الجنوب من بيت لحم، وترتفع نحو 676 متراً عن سطح البحر، وتعرف اليوم باسم خربة البصة، أنظر: مصطفى، الدباغ. بلادنا
- فلسطين، ج 8، ق 2، دار الهدى، كفر قرع، 453؛ سعيد، البيشاوي. الممتلكات الكنسية، ص 190. Cf.Also, Peyer, G, Die Kreuzfahrer gebite .von Jerusalem und St. Abraham, pp. 176-190
81. البيشاوي، سعيد. الممتلكات الكنسية في مملكة بيت المقدس اللاتينية، 1990، ص 406.
82. وليم الصوري: يعد وليم من أشهر مؤرخي الحروب الصليبية على الإطلاق، وقد ولد في القدس عام 1130م من عائلة فرنسية شاركت في الحملة الصليبية الأولى، أتقن لغات عدة منها العربية واللاتينية واليونانية والفرنسية، تلقى تعليمه في أوروبا وبعد عودته عمل مريباً لبلدوين الرابع. C.f.Ernoul,pp.88-86, Eracles de Eractes,pp.38-39
83. William of Tyre,op,cit,Vol I,p.483
84. دانيال الراهب، الرحلة، ص 67.
85. قرية عين جدي: هي عين وبلدة معا وتقع على الساحل الغربي للبحر الميت بحيرة لوط وكان يقوم على بقعتها بلدة حصون تامارا الكنعانية انظر مصطفى مراد الدباغ بلادنا فلسطين ج 8 ق 2 ص 523 522 جورج بوست قاموس الكتاب المقدس ج 2 ص 121 131.
86. بورشارد من دير جبل صهيون. مصدر سابق، ص 156.
87. بورشارد من دير جبل صهيون. مصدر سابق، ص 156.
88. William of Tyre, Vol. 1, p. 489, Cf. Also, Richard, j, The Latin Kingdom OF Jerusalem, p.100
89. وادي يهوشافاط: يمتد شرقي بيت المقدس بين جبل الزيتون شرقاً وجبل موريا غرباً، وقد عرف فيما بعد فترة العصور الوسطى اسم وادي جهنم. للدباغ، مصطفى مراد. بلادنا فلسطين، ج 8، ق 2، ص 15-341 Wil-I, p.341
90. كندسطليل
91. كونتية: هذا المصطلح مأخوذ من لقب الكونت وهو لقب يطلق على النبلاء أو الشخصيات ذات الثراء والمركز الاجتماعي المرموق في البلدان الأوروبية في العصور الوسطى، ". http://ar.wikipedia.org/wiki
92. بيزنطة: هي عبارة عن عملة ذهبية بيزنطية، عرفت بهذا الاسم نسبة إلى بيزنطة والتي عرفت فيما بعد باسم القسطنطينية. وبعد الفتح العثماني لها عام 1453م دعيت اسطنبول وكانت البيزنطة تعادل ثلاثة ونصف غرام من الذهب. محمود سعيد عمران. الحملة الصليبية الخامسة، ط 2، الإسكندرية، عام 1985، ص 271.
93. قرية سنجل: كانت في العصر الصليبي تقع ضمن حدود إقطاعية نابلس، Cf.Genevive ,op,cit,Nos,159-160,Index Locorum,p.422,Deschamps, P., La Defence de Reyau-me de Jerusalem,p22.Hamilton,B,op,cit,p.94
- الدباغ، مصطفى مراد (1988) بلادنا فلسطين، ج 8، ص 279، البيشاوي، سعيد. الممتلكات الكنسية، ص 263؛ شراب، محمد محمد. معجم بلدان فلسطين، ص 457.
94. Prawer,J.Crusader Insitiutions, p.128
95. Prawer,J. The Lartin Kingdom of Jerusalem, p.106
96. ناصر خسرو. سفرنامه، ص 17: ابن حوقل. صورة الأرض، ص 169.

97. Karmon.Y.op,cit, pp71-72 .
98. Aculfus, The pilgrimage of Aculfus, Trans. By Mecbheron, J,R,In P.PTS.vol,III.london, 1893, p.15,Wright,Thomas, Early Traveles in Palestine, London, 1868, pp.6-7. / Cf.William of Tyre,vol.1pp.385-386
99. جودفري البويوني Godfrey of Bouillon: ولد في عام 1058م، وهو ابن الكونت يوستاش والدته إذا كانت تتمتع بشخصية قوية، وهي أخت دوق اللورين الذي كان بدون أولاد وتبنى ابن اخته، وبعد وفاته عرف بدوق اللورين السفلى. Prawer,J, The Latin Kingdom, p.372.
100. المارك الفضي: أصدر من ملوك مملكة بيت المقدس الصليبية عملة فضية وعلى وجه الخصوص زمن الملك بلدوين الثالث وشقيقة الملك عموري الأول. أنظر عمران، محمود سعيد: النقود في أوروبا في العصور الوسطى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية 2011م، ص 193.
101. Genevive,B.B.Act NO 123, P.249 .
102. Genevive,B.B.Act NO 123, P.252, ,Prawer,J, The Latin Kingdom, p.372 .
103. سعيد، البيشاوي. الأراضي الزراعية ومنتجاتها في الخليل في العصور الوسطى، أنظر: دراسات في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب، ص 59.
104. المرجع نفسه، ص 59.
105. Prawer,J.The Latin Kingdom , p. 363 .
106. دير بيتاني: حيث كان يطلق هذا الاسم على قرية العيزرية في الفترة الفرنجية.
107. محمد سعيد القاسمي وآخرون. قاموس الصناعات الشامية، دار طلاس للنشر، دمشق، 1988، ص 162.
108. المرجع السابق، ص 272
109. محمد سعيد القاسمي. قاموس الصناعات الشامية، ص 320.
110. جراد، علاء الدين. زراعة وانتاج العنب، ط1، دار علاء الدين، دمشق، 2003، ص 240.
111. وصف الأرض المقدسة، ترجمة سعيد البيشاوي، ط1، دار الشروق، عمان 1995م، ص 170.
112. وصف الارض المقدسة في فلسطين، ص 31، أنظر أيضاً: صفاء، عثمان محمد. مملكة بيت المقدس، ص 263-264.
113. Richard J Agricultural conditions in the crusader states, Prawer, Crusader Institutions,p. 133
114. Rey, R,E. Les Colonies Franques Du Syrie Auxfe me XIII me et Siecle Paris,1883,pp.228-230
115. Prawer,J.,The latin Kingdom of Jerusalem,p.362 .
116. دانيال الراهب، الرحلة، ص 92: أنظر: ابن منقذ، أسامة. الاعتبار، ص 74:
117. سفر نامه، ترجمة: د. يحيى الخشاب، بيروت 1970م، ص 55
118. الحنبلي، مجير الدين. الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ج2، ص 61.
119. Prawer , J. The latin Kingdom of Jerusalem, P.361
120. السريان: هي إحدى الطوائف المسيحية الشرقية، تؤمن بالطبيعة الواحدة للمسيح ويعترفون بالكنيسة الغربية ولهم بطريك خاص بهم، أنظر: سعيد البيشاوي وآخرون. دراسات في الأديان والفرق، ط1، دار الاتحاد، عمان، 1990، ص 97.
121. بيت لقيا: قرية تقع الى الغرب من مدينة رام الله. شراب، محمد محمد. معجم بلدان فلسطين، ص 202.
122. بيت سوريك: تقع الى الشمال الغربي من مدينة القدس. شراب، محمد محمد. معجم بلدان فلسطين، ص 190.
123. بدأت هيئة فرسان القديس العازر بمستشفى لعلاج المصابين بمرض الجذام، أما بالنسبة لتنظيم القديس العازر فهو نظام قديم ومنظم، والبعض يرجع تاريخ تأسيس هذا التنظيم إلى العقد الثاني من القرن الثاني عشر الميلادي. أنظر: عوض، محمد مؤنس. التنظيمات الدينية الحربية في مملكة بيت المقدس اللاتينية، ط1، دار الشروق، رام الله، 2004، ص 48.
124. محمد، امطير. الحياة الاقتصادية في بيت المقدس وجوارها في فترة الحروب الصليبية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح، 2010، ص 99-100.
125. سعيد، البيشاوي. الممتلكات، ص 161.
126. لي، سترانج. فلسطين في العهد الإسلامي، ص 36
127. القاسمي، محمد سعيد وآخرون. معجم الصناعات الشامية، ص 456، محمد كرد علي: خطط الشام، ج 4، ص 190.
128. معجم الصناعات الشامية، ص 468؛ لي، سترانج. فلسطين في العهد الإسلامي، ص 36.
129. جلال سلامة. الاستيطان الصليبي في الأراضي المقدسة 1187-1099م/583-492هـ، رسالة دكتوراة، غير منشورة، جامعة عين شمس، 2004م، ص 301؛ أنظر أيضاً: ماهر ابو السعيد: مدينة القدس تحت حكم اللاتين 1187-1099م/583-492هـ، رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة دمنهور، 2007، ص 196.
130. Karmon, y. changes in the Urban Geography of Hebron During the Ninteenth Century in: Studies on Palestine during the Ottaman period, ed, by Moshe Maoz, Jerusalem, 1975,pp,71-72
131. علي الدجوي، موسوعة الصناعات الزراعية والغذائية والبيئية، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة 2008م، ص 488-495
132. البيشاوي، سعيد. الممتلكات الكنسية، ص 161.
133. 122 بورشارد من دير جبل صهيون: المصدر السابق، 170. / cf. also, Prawer , J., Crusader Institutions , p.128 ; Richard ,J., Agricultural Conditions/ 122 , pp.260-261 ; Rey , E.G., Les Colonies,p.221 ماهر. مدينة القدس تحت الحكم اللاتين، ص 195.
134. Richard, J, Agricultural Conditions, pp.260-261 . الطحاوي، الاقتصاد الصليبي، ص 215

135. البيشاوي، سعيد. الممتلكات الكنسية في مملكة بيت المقدس الصليبية، 1991، ص 401
136. علي، علي السيد. العلاقات الاقتصادية بين المسلمين والصليبيين، ص 175.
137. Smith, J.R. The Feudal Nobility in The Latin Kingdom of Jerusalem, London, 1973, p.12. العلاقات الاقتصادية، ص 178. أنظر أيضاً: علي، علي السيد
- ### المصادر والمراجع:
- #### أولاً- المراجع العربية والمعربة:
- الإدريسي. أبو عبد الله محمد (ت561هـ/1166م): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج1، ط1، عالم الكتب بيروت، 1989.
 - الإصطخري، أبو اسحق إبراهيم بن محمد الفأوسي الكرخي (توفي في النصف الأول من القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي)، مسالك الممالك، مطبعة بريل، ليدن، 1927م.
 - بورشارد. وصف الأرض المقدسة، ترجمة سعيد البيشاوي، ط1، دار الشروق، عمان 1995م.
 - التطيلي، الأندلسي. بنيامين بن يونه (ت569هـ/1173م): رحلة بنيامين، ترجمة عزرا حداد، الطبعة الأولى، بغداد 1945م.
 - ثيودريش: وصف الأماكن المقدسة في فلسطين، ترجمة سعيد البيشاوي ورياض شاهين، ط1، دار الشروق، عمان، 2003.
 - الحموي، ياقوت. أبو عبد الله بن ياقوت (ت626هـ/1238م): معجم البلدان، ج2، دار صادر، بيروت، 1984.
 - خسرو، ناصر (ت481هـ/1088م): سفر نامة، ترجمة يحيى الخشاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1993.
 - العمري، شهاب الدين أحمد بن يحيى (ت749هـ/1349م) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق دوريتا كرافوتسكي، ط1، المركز الإسلامي للبحوث، بيروت، 1986.
 - أبو الفداء، إسماعيل بن عماد الدين. تقويم البلدان، تحقيق رينو وديسلان، دار الطباعة السلطانية، 1984.
 - فيتولوس. وصف الأرض المقدسة في فلسطين، ترجمة سعيد البيشاوي وفؤاد دويكات، ط1، دار حمادة، أربد دار الشيماء، رام الله، 2008.
 - مؤلف مجهول. مفتاح الراحة لأهل الفلاحة، تحقيق محمد عيسى صالحية واحسان صدقي العمدة، ط1، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت 1984م.
 - المقدسي البشاري، شمس الدين أبو عبد الله (القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم (مطبعة بريل، ليدن 1906م
 - فوقاس، يوانس: رحلة يوانس فوقاس في الأراضي المقدسة 581هـ/1185م، ترجمة سعيد البيشاوي، مجلة جامعة القدس المفتوحة، العدد 8، المجلد الأول، 2010.
 - أبو اليمن العليمي: عبد الرحمن بن مجير (ت972هـ/1521م): الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ج2، في مجلد، بيروت 1973م.
15. امطير، محمد، الحياة الاقتصادية في بيت المقدس وجوارها في فترة الحروب الصليبية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح، 2010.
16. البحيري، صلاح الدين. أرض فلسطين: الأردن. طبيعتها وحياتها واستعمالاتها، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، 1974م.
17. بوست، جورج: قاموس الكتاب المقدس ج 2، ب يروت-1894 1901م:.
18. البيشاوي، سعيد/ الأراضي الزراعية ومنتجاتها في الخليل في العصور الوسطى، أنظر: دراسات في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب. ط1، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، القاهرة، 2003/ الممتلكات الكنسية في مملكة بيت المقدس الصليبية، الطبعة الأولى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية 1991 م / دراسات في الأديان والفرق، ط1، دار الاتحاد، عمان، -1990/ اقطاعية نابلس في عصر الحروب الصليبية، ط2، دار الشيماء، رام الله 2014م.
19. جراد، علاء الدين: زراعة وانتاج العنب، ط1، دار علاء الدين، دمشق، 2003، ص 240.
20. حسين، حسن عبد الوهاب: تاريخ جماعة فرسان التيوتون في الأراضي المقدسة حوالي 1291-1190م/569-586هـ، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1989.
21. خمار، قسطنطين: جغرافية فلسطين المصورة، الطبعة الثانية بيروت 1967م.
22. الدباغ، مصطفى مراد: بلادنا فلسطين، ج8، ق2، دار الهدى، كفر قرع، ب.ت
23. الدجوي، علي: موسوعة الصناعات الزراعية والغذائية والبيئية، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة 2008م.
24. الزركلي، خير الدين: كتاب الأعلام، ج3، القاهرة، 1972م.
25. سالم، السيد عبد العزيز: التاريخ والمؤرخون العرب. الإسكندرية. 1981
26. سترانج، لي: فلسطين في العهد الاسلامي، ترجمة محمود عميري، منشورات وزارة الثقافة والاعلام، عمان، 1970م
27. سلامة، جلال: الاستيطان الصليبي في الأراضي المقدسة 1187-1099م/583-492هـ، رسالة دكتوراة، غير منشورة، جامعة عين شمس 2004م./ سلطان، سفيان. كروم، الطبعة الأولى، الخليل، 2005م.
28. ابو السعيد، ماهر محمد السيد: القدس تحت الحكم اللاتيني، (583-492/1187-1099م) رسالة الدكتوراة غير منشورة، 2007.
29. السيد، علي أحمد: الخليل والحرم الإبراهيمي في عصر الحروب الصليبية، ط1، دار الفكر العربي، 1998م.
30. الشامي، كامل خالد. جغرافية فلسطين. دراسة الأقاليم الطبيعية، 1991 م.
31. شراب، محمد محمد. معجم بلدان فلسطين، مكتبة اليازجي، 1987 م.
32. ابو صافي، سعيد: مدينة الخليل في العصر المملوكي. ط1، مكتبة نديس، الخليل، 2002م.

10. William of Tyre . *A Histoty of Deeds Done Beyond The Sea, Vol I, Columbia University Press 1943.*
11. Wright, Thomas. *Early Traveles in Palestine, London, 1868.*
12. Benevenisti M.,. *The Crusaders in The Holy Land,Jerusalem.1970*
13. Beyer, G, *Die Kreuzfahrer gebite von Jerusalem und St. Abraham, pp. 176-190.*
14. 61. Deschamps,P., *Les Chateaux des Croises en Terre Sainte” la Defense du Royaume de Jerusalem”,2vols. Paris1993.*
15. 62. Karmon, y. *changes in the Urban Geography of Hebron During the Ninteenth Century in: Studies on Palestine during the Ottaman period, ed, by Moshe Maoz, Jerusalem,*
16. 63.Richard J./1-*The latin Kingdom of Jerusalem,2Vols,trans. from the original by Jenay Shirly,Amsterdam1979.*
17. *In the Crusader states,in Setton,vol.5,pp.251-294. 2- Agricultural Conditions*
18. 64.Prawer,J.*TheLartinKingdomofJerusalem,Jerusalem1972.*
19. 65. Smith,J,R. *The Feudal Nobility in The Latin Kingdom of Jerusalem,*
33. الطحاوي، حاتم. *الاقتصاد الصليبي في بلاد الشام، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، 1999م.*
34. طوطح، خليل وحبيب خوري. *جغرافية فلسطين، مطبعة بيت المقدس، القدس، 1923 م.*
35. عبد اللطيف عبد الهادي السيد. *دراسة نقدية لمنهج الكتابة التاريخية، الإسكندرية، القاهرة، 2003م.*
36. العريني، السيد الباز: *مؤرخو الحروب الصليبية، القاهرة 1963م.*
37. علي، محمد كرد: *خطط الشام، ستة أجزاء في ثلاثة مجلدات، دار العلم للملايين، بيروت 1972-1969م.*
38. عمران، محمود سعيد: *الحملة الصليبية الخامسة، دار المعارف، الاسكندرية، 1985.*
39. عمران، محمود سعيد: *النقود في أوروبا في العصور الوسطى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية 2011.*
40. عوض، محمد مؤنس(محرر): *دراسات في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب، تحرير، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، 2003م./ عوض، محمد مؤنس: التنظيمات الدينية الحربية في مملكة بيت المقدس اللاتينية، ط1، دار الشروق، رام الله 2004.*
41. علي، السيد علي: *العلاقات الاقتصادية بين المسلمين والصليبيين، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، 1996.*
42. علي، السيد علي. *القدس في العصر المملوكي. ط1، دار الفكر للدراسات والتوزيع، القاهرة، 1986م.*
43. القاسمي، محمد سعيد وآخرون: *قاموس الصناعات الشامية، دار طلاس للنشر، دمشق، 1988.*
44. الكتري، بحري أحمد: *جغرافية فلسطين، ط1، عمان، دار الصفاء للتوزيع والنشر، 2014./ محمد، صفاء عثمان: مملكة بيت المقدس الصليبية في عهد الملك بلدوين، ط1، دار العالم العربي، القاهرة، 2008م.*
45. النقاش، زكي: *العلاقات الاجتماعية والثقافية بين العرب والافرنج خلال الحروب الصليبية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1958م.*
46. نقولا، زيادة: *الجغرافية عند العرب، بيروت، 1962م.*
47. اليهودية، صلاح. *معصر العنب المكتشفة في قرية صفا في الفترتين الرومانية والبيزنطية ضمن كتاب مقالات أثرية بالمناسبة العشرية. اللجنة الوطنية للتربية والثقافة والعلوم، 2004.*

ثانياً المراجع الأجنبية:

1. Delaborde,H.F., *Chartes de Terre Saintede Notre- Dame l,povenent de l, abbaye de Josaphat,Paris 1880.Doc.No12*
2. Eracles: *L' Estoire d' Eracles emperewr et de conquest de la terre d'outre-Ed.R.H.C, tomeII, Paris 1859.*
3. *Ernoul: la charonique d'Ernoul et de Bernard le Tresorier, Ed. Mas Latrie, Paris, 1871.*
4. *Fulcher of Chartres, A History of the Expedition to Jerusalem, Trans. by Frances Rita.*
5. Ryan. (*Sister of St, Joseph*), Ed, with an introduction by Harold 's Fink, Konuville, U.S.A.1969.
6. *Genevieve, B.B.,Cartulaire du Chapitre de Saint-Sepulcre de Jerusalem,Paris 1984.*
7. *Josephus, Jewish war,London1923*
8. *Rohricht.R.,Regesta Regini Hierosolimitani,Innsbruck 1893.*
9. *Sterh;ke,e., Tabuae Ordinisi Theutonici,Berlin 1869.*

تعسف الزوج في حق زوجته وأثره على استقرار الأسرة المسلمة*

د. شبلي أحمد عيسى عبيدات**

د. يوسف عبد الله الشريفين***

* تاريخ التسليم: 2015/5/9م، تاريخ القبول: 2015/12/29م.
** أستاذ مساعد/ جامعة حائل/ السعودية.
*** أستاذ مساعد/ جامعة اليرموك/ الأردن.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

عني الإسلام بالأسرة على اعتبار أنها اللبنة الأساسية في بناء المجتمع، وحدد العلاقات بين أفراد الأسرة، والتي لا بد أن تكون قائمة على المحبة والألفة والمودة والرحمة، وبين فيها حقوق كل فرد من أفراد الأسرة، والواجبات الملقاة على عاتقه، فلا يطغى حق على آخر، ولا يتجاوز فرد على آخر.

وإن تشريع هذه الحقوق والواجبات قائم على مصالح رعتها الشريعة الإسلامية، وعملت على تحقيق غاياتها ومقاصدها، فلا يجوز أن يخالف الإنسان المقصد الذي شرعت لأجله هذه الحقوق والواجبات؛ لأن الإنسان إذا خالف مقصد الشارع من تشريع هذه الحقوق، ففي هذه الحالة يكون متعسفا لمخالفته مقصد الشارع، وتسببه بالضرر لغيره من أفراد الأسرة.

مشكلة البحث:

نظراً لما تعانيه الأسرة المسلمة من زعزعة لاستقرارها، وزيادة لحالات الطلاق، الناتجة من تعسف الزوج في حق زوجته، وقلة الأبحاث الدراسة لهذا الموضوع جاء اختيار البحث الحالي.

وستحاول الدراسة الإجابة عن سؤالها الرئيس الآتي:

◀ ما ماهية تعسف الزوج في حق زوجته وأثره في استقرار الأسرة المسلمة؟

ويتفرع عنه الأسئلة الفرعية الآتية:

◀ ما مفهوم تعسف الزوج في حق زوجته وحقيقته؟

◀ ما حكم تعسف الزوج في حق زوجته؟

◀ ما أسباب تعسف الزوج في حق زوجته؟

◀ ما مظاهر تعسف الزوج في حق زوجته؟

◀ ما آثار تعسف الزوج في حق زوجته؟

◀ ما حقوق الزوجة المتعسف زوجها في حقها.

◀ ما حلول مشكلات تعسف الزوج في حق زوجته؟

أهداف البحث:

تهدف الدراسة الحالية إلى تحقيق الآتي:

1. بيان مفهوم تعسف الزوج في حق زوجته وحقيقته.
2. بيان حكم تعسف الزوج في حق زوجته.
3. توضيح أسباب تعسف الزوج في حق زوجته.
4. بيان مظاهر تعسف الزوج في حق زوجته.
5. بيان آثار تعسف الزوج في حق زوجته.
6. بيان حقوق الزوجة المتعسف زوجها في حقها.
7. بيان حلول مشكلات تعسف الزوج في حق زوجته.

ملخص:

يهدف هذا البحث الموسوم ب تعسف الزوج في حق زوجته وأثره على استقرار الأسرة المسلمة إلى بيان مفهوم تعسف الزوج في حق زوجته ومظاهره وأسبابه وآثاره والحلول المقترحة لمشكلات تعسف الزوج، وحقوق الزوجة المتعسف عليها.

وقد خلص البحث إلى أن الزوج يكون متعسفا في استعمال حقه إذا قصد الإضرار بالزوجة، أو استعمل حقه في غير المصلحة التي شرع لها، كما بين مظاهر هذا التعسف في مختلف جوانب الحياة الزوجية كتعسف الزوج في الطلاق، والتأديب، ومنع الزوجة من زيارة أهلها وذويها.

وقد حصر البحث أهم العوامل التي تدفع الزوج إلى التعسف ومنها عدم الالتزام بالضوابط الشرعية وضعف الوازع الديني، والمشاكل الأسرية، والعادات، والتقاليد، والجانب الاقتصادي، وبيّن أن الالتزام بالضوابط الشرعية هو الحل السليم لمواجهة هذه الظاهرة.

الكلمات المفتاحية: التعسف، تعسف الزوج، الزوجة، حقوق الزوجين، الأسرة المسلمة.

Arbitrariness of the husband and abusing the right of his wife and its impact The Muslim family stability

Abstract :

This research aims entitled by Arbitrariness of the husband and abusing the right of his wife and its impact The Muslim family stability statement to the concept of arbitrariness in the right pair of his wife and manifestations and causes and effects of the proposed solutions to the problems of spouse abuse, and the rights of the wife arbitrary them.

The research concluded that the husband is abusing the use of his right if intending to harm the wife or use the right of non-interest initiated her, as among the manifestations of this abuse in the various Jonb married life Ktasv spouse in a divorce and discipline and prevent the wife to visit her family and loved ones.

The research was limited to the most important factors that drive the pair of them to abuse and non-compliance with the regulations and the weak legitimacy of religious faith and family problems, customs and traditions and economic side and the controls that the commitment to legitimacy is the right solution to counter this phenomenon.

Key words: abuse, arbitrariness of the husband, wife, wife and husband rights, the Muslim family.

أهمية البحث:

◆ المبحث السابع: حلول مشكلات تعسف الزوج في حق زوجته.

◆ وخاتمة تشمل أهم النتائج والتوصيات.
هذا وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المبحث الأول

تعسف الزوج في حق زوجته، مفهومه وحقيقته

المطلب الأول: مفهوم تعسف الزوج في حق زوجته، وحقيقته، والألفاظ ذات الصلة:

الفرع الأول: مفهوم التعسف:

إن مفهوم التعسف ليس غريباً عن الفقه الإسلامي، فهو موجود في الكتب الفقهية، ولكن ليس بالمصطلح المتعارف عليه في هذا العصر، فلم يرد على لسان الفقهاء المسلمين كلمة (إساءة) أو (تعسف)، وإنما هو تعبير وفد إلينا من فقهاء القانون.

وقد ورد في كتب الأصول كلمة (الاستعمال المذموم)⁽¹⁾، كما أن الفقهاء أطلقوا لفظ (التعنت) على استعمال الحق دون منفعة، فقد كانوا يمنعون المتعنت من الإضرار بالغير، والتعدي عليه.

وأياً كان المصطلح الذي استخدمه فقهاؤنا -رحمهم الله- للدلالة على التعسف، فإن هذا المصطلح عرفته الشريعة الإسلامية، وتناوله الفقهاء المسلمون في كتاباتهم في مختلف أبواب الفقه، ولكن تحت مسميات أخرى أو ألفاظ مختلفة.

الفرع الثاني: حقيقة التعسف:

أولاً: حقيقة التعسف لغة:

التعسف لغة: من عسف، والعسف: السير بغير هداية، والأخذ على غير الطريق، والتعسف: السير على غير علم، ولا أثر، وعسف فلان فلاناً عسفاً: أي ظلمه⁽²⁾.

ثانياً: التعسف اصطلاحاً:

بذل الفقهاء المحدثون محاولات كثيرة من أجل تعريف التعسف، فقد عرفه الدكتور/ أحمد فهمي أبو سنة، بأنه: (تصرف الإنسان في حقه تصرفاً غير معتاد شرعاً)⁽³⁾.

وما يؤخذ على هذا التعريف أنه جعل مناط التعسف هو (التصرف غير المعتاد، والواقع أن التعسف لا يقتصر على التصرف غير المعتاد، بل يشمل المعتاد أيضاً، وذلك بالنظر إلى غاية الحق، ونتيجة استعماله، فقد يتصرف الإنسان في حقه تصرفاً معتاداً، ولكن تكون نتيجة هذا التصرف غير مشروعة، فيكون بذلك متعسفاً)⁽⁴⁾.

وعرفه الدكتور فتحي الدريني، بأنه: (مناقضة قصد الشارع في تصرف مأذون فيه شرعاً بحسب الأصل)⁽⁵⁾.

ونلاحظ أن هذا التعريف من أدق تعريفات التعسف، وذلك لاشتماله على القيود الآتية⁽⁶⁾:

1. أنه بين بقوله (مناقضة قصد الشارع) أن المكلف قد

تضمن أهمية هذا البحث في إلقاء الضوء على مسألة مهمة، شغلت الكثير من الناس قديماً وحديثاً، وهي (تعسف الزوج في حق زوجته وأثره في استقرار الأسرة المسلمة): لبيان مفهوم التعسف، وصوره، وأسباب ظهوره، ولما لتعسف الزوج من آثار سلبية تطال جميع أفراد الأسرة، لذلك جاءت الدراسة هذه للمساهمة في تقديم حلول عملية واقعية لهذه المشكلة.

الدراسات السابقة:

1. نظرية التعسف في استعمال الحق في الفقه الإسلامي، فتحي الدريني، وقد تناول فيه تعريف التعسف، وضوابطه، وتأصيله الشرعي، وتكييفه الفقهي، وأدلة التعسف من الكتاب والسنة، وفيما يتعلق بموضوع البحث، فقد أشار في ثنايا الكتاب إلى بعض صور التعسف - ومنها التعسف في استخدام السلطة الزوجية - بشكل مقتضب.

وعلى الرغم من أهمية كتاب التعسف في استعمال الحق في الفقه الإسلامي، للدريني، باعتباره قد أصل لنظرية التعسف في الفقه الإسلامي، إلا أنه لم يتطرق للمسائل المتعلقة بموضوع البحث، إلا على سبيل التمثيل، وفي صورة قليلة جداً، ووجود هذا الكتاب، لا يغني عن هذه الدراسة، باعتبارها متخصصة في تعسف الزوج في حق زوجته.

2. التعسف في استعمال الحق في الأحوال الشخصية، عبير القدومي، وقد تطرقت فيه بشكل تفصيلي للتعسف في مسائل الأحوال الشخصية، في الزواج والطلاق، والوصية والميراث.

وعلى الرغم من أهمية هذه الدراسة، إلا أنها لم تتطرق بشكل تفصيلي للمسائل المتعلقة بتعسف الزوج في استعمال حقوقه الزوجية، وهو ما تم التركيز عليه بشكل تفصيلي في هذا البحث، كمسائل التأديب، وعمل الزوجة، ومنعها من زيارة أهلها، وغيرها من المسائل.

منهج البحث:

1. المنهج الوصفي
2. المنهج الاستقرائي
3. المنهج الاستنباطي.

خطة البحث:

وقد جاء البحث في مقدمة وأربعة مباحث، وخاتمة:

◆ المبحث الأول: تعسف الزوج في حق زوجته، مفهومه وحقيقته.

◆ المبحث الثاني: حكم تعسف الزوج في حق زوجته.

◆ المبحث الثالث: أسباب تعسف الزوج في حق زوجته.

◆ المبحث الرابع: مظاهر تعسف الزوج في حق زوجته.

◆ المبحث الخامس: آثار تعسف الزوج في حق زوجته.

◆ المبحث السادس: حق الزوجة المتعسف زوجها في حقها.

المطلب الثاني: معايير التعسف في الشريعة الإسلامية:

إن الحق في نظر الفقه الإسلامي ذو طبيعة مزدوجة، فهو ليس فردياً محضاً، ولا اجتماعياً محضاً، بل يجمع بين الصفتين، ومن هنا كانت غاية الشريعة الإسلامية مراعاة مصلحة الفرد والجماعة، والتوفيق بينهما على ضوء القواعد العامة المحكمة المبنية على مقتضى العدل والحكمة والمنطق التشريعي السليم⁽¹³⁾.

ولأجل ذلك فقد حددت الشريعة الإسلامية معايير خاصة للتعسف، هي:

المعيار الأول: تمخض قصد الإضرار:

لا بد لنا أن ننظر في العوامل النفسية التي دفعت صاحب الحق للتعسف في حقه بقصد الإضرار بالغير، بحيث يكون مجافياً لمبادئ الأخلاق، والكشف عن هذه العوامل لا يمكن التوصل إليها إلا بالأمور الظاهرة المادية كالقرائن الدالة عليها⁽¹⁴⁾.

ولكي يتحقق قصد الإضرار بالغير، لا بد أن «يكون هو الغاية الوحيدة من تصرف صاحب الحق، بحيث يتخذ هذا الحق ذريعة للإضرار بالغير، ولا يعود عليه هذا التصرف بأي مصلحة كانت، فيكون تصرفه قرينة دالة على تعسفه في استعمال حقه»⁽¹⁵⁾.

المعيار الثاني: استعمال الحق في غير المصلحة التي شرع من أجلها:

الأصل أن يستخدم الإنسان الحق في المصلحة التي شرع من أجلها، فإن استخدمه في غير المصلحة التي من أجلها شرع يكون مناقضاً لقصد الشارع، وكل من ناقض الشريعة فعمله باطل، وعبر الإمام الشاطبي عن ذلك، بقوله: (كل من ابتغى في تكاليف الشريعة غير ما شرعت له فقد ناقض الشريعة، وكل من ناقضها فعمله في المناقضة باطل، فمن ابتغى في التكاليف ما لم تشرع له فعمله باطل)⁽¹⁶⁾.

المعيار الثالث: الاختلال في توازن المصالح أو انعدام التناسب:

نظرت الشريعة الإسلامية إلى الحقوق والمصالح نظرة شمولية، فقد أقرت معيار التوازن والتناسب بين المصالح المتعارضة، والتوفيق بينها بما يقتضيه العدل والحكمة، فلا تطفئ مصلحة على أخرى، «فاستعمال الإنسان لحقه بصورة تخل بالتوازن بين المصلحة التي يريد، وبين المفسدة التي تترتب على استعماله لحقه، يصبح استخدامه لهذا الحق غير مشروع، فلا بد أن تكون المصلحة المرجوة مساوية للضرر الذي يلحقه صاحب الحق بغيره، أو زائدة عليها، وأن تؤدي إلى ضرر عام يلحق بالمجتمع، حتى يكون الإنسان متعسفاً باستعمال حقه تبعاً لهذا المعيار»⁽¹⁷⁾.

المبحث الثاني

حكم تعسف الزوج في حق زوجته

الأصل أن يستعمل الإنسان حقه على وجه مشروع، دون الإضرار بالغير، فإن استعمل هذا الحق على وجه يضر بغيره، كان متعسفاً، ومخالفاً لمقصد الشارع في إعطائه هذا الحق، وتعسف الزوج في حق زوجته محرم شرعاً، لكونه مخالفاً لقصد الشارع في ممارسته لهذا الحق، الذي يترتب عليه الإضرار بالزوجة، والأدلة

يقصد في العمل المأذون به من قبل الشارع الإضرار بالغير، أو أن يتذرع بما ظاهره الجواز إلى تحليل ما حرم الله، أو إسقاط ما أوجبه الله عليه تحايلاً على أحكام الشريعة الإسلامية بهدف التخلص منها، وتحقيق مصالح غير مشروعة.

2. أنه بين أن التعسف محصور في التصرفات التي أذن بها الشرع، سواء كانت تصرفات قولية كالعقود، أو فعلية؛ كاستعمال حق الملكية في العقارات والأراضي، وكذلك استعمال الرخص والإباحات كتلقي السلع وإحياء الموات.

3. أنه أخرج بقوله (مأذون به شرعاً بحسب الأصل) الأفعال غير المشروعة بذاتها؛ لأن إتيان الإنسان للأفعال غير المشروعة بذاتها أو من حيث الأصل يسمى اعتداءً لا تعسفاً.

ومن ذلك يتبين لنا أن الإنسان المكلف يكون متعسفاً، إذا قصد بفعله مضادة قصد الشارع بأن يستعمل حقه على وجه يلحق الضرر بالآخرين، ويؤدي به ذلك العمل إلى مخالفة قصد الشارع.

وعليه فإن الباحثين يُعرفان تعسف الزوج في حق زوجته بأنه: (مناقضة الزوج قصد الشارع في تصرفاته المأذون فيها شرعاً، من حيث الأصل في حقوق زوجته: بغية الإضرار بها).

الفرع الثالث: الألفاظ ذات الصلة:

1. الظلم: وهو لغة: وضع الشيء في غير موضعه، وهو: الميل عن القصد، ثم كثر استعماله، حتى سُمي كل تعسف ظلماً، فيقال: عسف فلاناً عسفاً: أي ظلمه، والعسوف: الظلوم⁽⁷⁾.

واصطلاحاً: لا يخرج معنى الظلم اصطلاحاً عن معناه اللغوي، إذ جاء في كتاب التعريفات، أن الظلم هو التعدي عن الحق إلى الباطل، والتصرف في ملك الغير، ومجاوزة الحد⁽⁸⁾.

وقد عدَّ العلماء التعسف صورة من صور الظلم، كما تقدم

2. التعدي: وهو لغة: مجاوزة الشيء إلى غيره، ومنه قولهم: عديته فتعدى، أي تجاوز، وتعدى الحق: جاوزه، والتعدي: الظلم⁽⁹⁾.

واصطلاحاً: لا يخرج عن معناه اللغوي، حيث عرفه الفقهاء بأنه: مجاوزة ما ينبغي الاقتصار عليه شرعاً، أو عرفاً، أو عادة، فالتعدي عندهم يشمل الاعتداء على النفس أو المال أو الحقوق الأخرى⁽¹⁰⁾.

ومن المعلوم أن من صور التعسف ما يكون فيه اعتداء على النفس، كضرب الزوجة غير المشروع، والاعتداء على المال، بتصرف الزوج في مال زوجته بغير إذنها.

3. التعنت: وهو لغة: من العنت، ويُقصد به الجور والإثم والأذى، يُقال: تعنت فلانٌ فلاناً: إذا أدخل عليه الأذى⁽¹¹⁾.

واصطلاحاً: هو استعمال الحق دون منفعة؛ لأنه إضرار بالغير وتعدي عليه⁽¹²⁾.

ومن خلال التعريف الاصطلاحي للتعنت، تظهر الصلة بينه وبين معنى التعسف، حيث أطلقوا لفظ التعنت على استعمال الحق في غير منفعة، بقصد الإضرار بالغير، وهذا المعنى يدخل في مفهوم التعسف بمعناه الاصطلاحي.

على حرمة التعسف كثيرة، منها:

1. قوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تَمْسُوهُنَّ ضُرَارًا لَتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَانْذَرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 231].

لقد أمر الله تعالى الزوج بعد رد زوجته في الطلاق الرجعي أن يقوم بما يجب من حق لها عليه، فإن لم يفعل، فقد خرج عن حد المعروف، فيطلق عليه الحاكم؛ لأجل الضرر اللاحق بها، من البقاء معه، فقد كان الرجل قبل نزول هذه الآية، يطلق امرأته ثم يراجعها، ولا حاجة له بها، ولا يريد إمساكها، لكي يطيل العدة عليها، ويلحق الضرر بها، فمن فعل ذلك؛ فقد عرّض نفسه لعقاب الله سبحانه (18).

2. قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضَلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: 19].

فعلى الزوج معاشرته زوجته معاشرته حسنة، بأن يوفيقها حقها، من المهر والنفقة، وألا يعبس في وجهها، بغير ذنب، وألا يكون فظاً أو غليظاً، ولا يظهر الميل إلى غيرها، فهذا أمر من الله سبحانه بحسن عشرة المرأة؛ لأن ذلك أهنأ للعيش، وهو واجب على الزوج، وإذا أظهر عكسه أصبح متعسفاً في تعامله مع زوجته (19).

3. قوله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ﴾ [محمد: 22].

فكل من يتولى عن طاعة الله بالإفساد والبغي والظلم والقتل؛ كان مخالفاً لأمر الله، مستحقاً لعقابه وغضبه (20).

فكل فعل يؤدي إلى قطع الأرحام محرم شرعاً، يوجب غضب الله، وكذلك حمل الناس على قطع الأرحام؛ لأننا مأمورون بصلة أرحامنا.

4. قوله صلى الله عليه وسلم (لا ضرر ولا ضرار) (21).

فلا يحق للإنسان المسلم أن يلحق الضرر بغيره، سواء انتفع من إضراره بغيره، أم لم ينتفع، فالحاق الضرر بالغير محرم، وفيه تعسف وظلم (22).

فكل ضرر يلحقه المسلم بأخيه المسلم حرام، ويؤدي به إلى غضب الله وعقابه.

ومن المعلوم أن كثيراً من صور التعسف التي سنتطرق إليها تدخل في هذا البحث.

المبحث الثالث

أسباب تعسف الزوج في حق زوجته

تعددت أسباب تعسف الزوج ضد الزوجة، وإن الوقوف على أسباب محددة واضحة للتعسف ليس بالأمر السهل، وذلك لاختلاف الظروف الزمانية والمكانية لدى الزوج، ما يجعل الإحاطة بدراسة دقيقة لتلك الأسباب أمراً معقداً.

أضف إلى ذلك أن فصل الأسباب عن بعضها غير ممكن، فهي متداخلة لا يمكن عزلها أو تجريدتها.

وسنحاول هنا بيان أهم الأسباب التي تدفع الزوج إلى التعسف في حق زوجته، وهي كما يلي:

أولاً: الأسباب الدينية:

إن السبب الديني من أهم الأسباب، بل هو في مقدمتها، وذلك لأن الدين هو الموجه الأساسي لسلوك الزوج في التعامل مع زوجته، فقد استحل الزوج فرج زوجته بكلمة الله منذ البداية، وسار معه الدين خيراً موجه، حين أبان له حقوقه وواجباته تجاه زوجته، وبين له المقصد من تشريع كل حق من هذه الحقوق، ورسوم له طريق التفاهم والمودة مع زوجته، وعدم التزام الزوج بالأسس الشرعية التي وصفها الإسلام في بناء الأسرة المسلمة، وفي علاقته مع زوجته لتحقيق المصلحة لها ولكل أفراد الأسرة يؤدي إلى خلل واضح في بنیان الأسرة، ويخرج بها عن نطاق المودة والرحمة المرسوم لها إلى نطاق التعسف والنفرة والاختلاف.

ومن أهم العوامل التي تؤدي في النهاية إلى تعسف الزوج تجاه زوجته:-

1. عدم الالتزام بالأسس الشرعية في بناء الأسرة.

حدد الإسلام مجموعة من الأسس الشرعية لبناء الأسرة، والتي تضمن لهذه الأسرة الاستقرار والديمومة في جو من الألفة والمحبة والمودة.

ومن هذه الأسس اختيار كل من الزوجين للآخر ومعه الميزان الصحيح الذي وضعه الشرع، فقد حث الإسلام على اختيار المرأة المستقيمة في دينها وخلقها؛ لأن الدين يراعي الحقوق ويعصم النفس من الطغيان، بالإضافة إلى الخلق، بنشر المودة والمحبة، ومن ثمّ تستقيم الحياة الزوجية، وتدوم العشرة بين الزوجين.

فالمرأة المتدينة تتقي الله في تصرفاتها بحسب ما أمرها الله سبحانه (23)، وقد وجهنا رسول الله إلى ذلك بقوله «تُنكح المرأة لأربع لمالها وحسبها ولجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك» (24).

وفي هذا الحديث بين الرسول صلى الله عليه وسلم لنا أن المظاهر والصفات الزائلة التي ينشدها الرجال من النساء كلها ليست ذات أهمية، وإنما الأهم هو الدين، فاللائق بصاحب الدين، والمرءة أن يكون من أهم الصفات التي ينشدها في المرأة الدين من أجل ديمومة الحياة واستقرارها (25).

فعدم اختيار الزوج لزوجته وفق هذا الميزان الصحيح، كأن يختار زوجته لأجل مال أو جاه أو جمال قد يؤدي إلى اعتزاز الزوجة بمالها أو بنسبها أو جمالها، ثم يكون ذلك سبباً يدفع الزوج إلى تعسفه في استعماله حقوقه في تعامله مع زوجته، فيؤثر ذلك سلباً على استقرار الحياة الزوجية، وما يؤكد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: (لا تزوجوا النساء لحسنهن، فلعل حسنهن يرديهن ولا تزوجوهن لأموالهن فلعل أموالهن أن تطغيهن ولكن تزوجوهن على الدين، ولأمة سواد ذات دين أفضل) (26).

وهذا لا يمنع من أن يتزوج الرجل صاحبة الجمال والحسب والمال إذا توج ذلك كله بكونها صاحبة خلق ودين، وإنما المقصود

أن يكون الحرص على اختيار ذات الدين.

كما حث الإسلام على حسن اختيار الزوجة لزوجها من خلال اتصافه بالخلق والدين، ويدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: (إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض)⁽²⁷⁾. فإن كان الزوج يتصف بالظلم أو الفسق أو الفجور، فإن ذلك يؤدي به أن يتعسف في تعامله مع زوجته؛ لعدم اهتمامه أو معرفته بقصد الشريعة الإسلامية من تشريعه لحقوق الزوج، وبالتالي يؤثر سلباً في الحياة الأسرية.

جعل الإسلام للمرأة حريتها في اختيار من تعاشره ابتداءً، كما جعل هذا الحق للرجل، وجعله مضموناً للطرفين، بل إنه مضمون للمرأة أكثر، فلا تكره المرأة على رجل لا تريده، ولا يكره الرجل على امرأة لا يريدتها⁽²⁸⁾؛ لأن في إكراه الرجل على الزواج بامرأة لا يريدتها يدفعه إلى التعسف في استعمال حقوقه، بهدف التعبير عن عدم رغبته ورضاه بهذا الزواج، وكذلك الحال في إكراه المرأة على الزواج، فقد يؤدي ذلك إلى ظهور نفور المرأة من هذا الرجل، ما يؤدي به إلى التعسف في استعمال حقه في تأديبها أو إصلاح أمرها بحملها على فعل ما لا ترضاه؛ إثباتاً لذاته، وهذا بالتالي يؤثر سلباً في الحياة الزوجية.

2. ضعف الوازع الديني لدى الزوجين:

أراد الإسلام من الزوجين أن يكون الإيمان مصاحباً لهما في جميع أحوالهما، في أدائهما لعباداتهما، وفي تعاملهما مع بعضهما، وفي كل لحظة من لحظات حياتهما، فهما بهذا الإيمان يكونان مع الله، وتحت رعايته وحفظه سبحانه⁽²⁹⁾.

فابتعاد الإنسان عن دينه يكون سبباً من أسباب شقائه وتعاسته في حياته الأسرية، فإن لم يكن الدين هو الضابط الذي يحكم تصرفات الزوجين وسلوكهما، يؤدي ذلك إلى حدوث خلل في حياتهما الأسرية ما يؤثر سلباً عليهما⁽³⁰⁾؛ فضعف الوازع الديني لدى الزوجة يؤدي بها إلى عدم مراعاة شرع الله فيما يصدر عنها من تصرفات وأفعال؛ بحيث لا تلتزم بأداء أي حق من حقوق الزوج، وهذا التقصير يجعل الزوج يتعسف في تعامله مع زوجته، وضعف الوازع الديني لدى الزوج يجعله لا يأبه بأداء أي حق من حقوق الزوجة، ويؤدي به إلى استعمال حقوقه بشكل يخالف مقصد الشارع من تشريعه لهذه الحقوق، وهذا يؤثر سلباً في استقرار الحياة الزوجية.

فغياب الرقابة الذاتية للزوج بسبب ضعف الوازع الديني يدفعه إلى استعمال حقوقه التي شرعها الله على خلاف مقصد الشارع الكريم، أو بقصد الإضرار، أما الزوج الملتزم دينياً؛ فإنه لا يقدم على استعمال حقوقه الشرعية إلا بحسب إرادة الشارع ومقصده، وإن تعسف في استعمال هذه الحقوق، فإنه سرعان ما يعود عما فعل لمخالفة أمر الله سبحانه.

ولا أقصد هنا بالتدين الالتزام المظهري بالدين، وإنما أقصد الالتزام الحقيقي المنبثق عن الفهم الصحيح للدين، والذي يظهر في سلوك الزوج وأخلاقياته.

ثانياً: أسباب نفسية:

لا شك أن القصور في الجانب النفسي يعزز العديد من المشاكل داخل الأسرة، ومن ثم ينعكس أثر ذلك على العلاقة الأسرية بين

الزوجين، ويشكل ذلك سبباً من أسباب ظهور التعسف داخل الأسرة.

ومن أهم مظاهر المشكلات النفسية عدم فهم كل من الزوجين لنفسية وطباع الآخر ما يؤدي إلى عدم التماس الأعداء للآخر، وإقالة العثرات، ومن مظاهره أيضاً أن يتعصب كل من الزوجين في كثير من الأحيان لرأيه ويتمسك به دون مراعاة للرأي الآخر، فينفرد برأيه دون مناقشة للأمور التي تتعلق بالأسرة⁽³¹⁾.

إن عدم إشباع الحاجات النفسية للزوجين يؤدي إلى تعسف الزوج في معاملته لزوجته، فإشباع الحاجات النفسية يسهم في تكوين شخصية سوية لا تشعر بالتوتر أو النقص، ولا تسعى إلى تقويض هذا النقص بسلوكيات غير سوية⁽³²⁾.

فنلاحظ أن الجانب النفسي السيئ له دور كبير في دفع الزوج للتعسف في معاملة زوجته، فقد يقدم على ضربها أو إهانتها أو طلاقها دون سبب؛ فقط لإثبات الذات، وفي ذلك مخالفة للشرع، وإضرار بالزوجة وهدم للأسرة.

ثالثاً: أسباب اجتماعية:

إن للمحيط الاجتماعي تأثيراً واضحاً على المشكلات الأسرية في كثير من الأحيان، فالمشكلات الاجتماعية للأسر تتعلق بعلاقة الفرد بأسرته ومجتمعه، تلك التي يترتب عليها اضطراب العلاقة الزوجية لسبب أو لآخر⁽³³⁾، فالثقافة المجتمعية للزوج قد تكون من الأسباب المهمة لتعسف الزوج في استعمال حقوقه الأسرية انطلاقاً من تمسكه بثقافته وتأثره بها، دون مراعاة لحقوق الزوجة وميولها؛ لأنه من وجهة نظره الأمر النهائي في الأسرة، وهو الذي يملك سلطة اتخاذ القرار وتسيير الأسرة، وهو من الموروثات التي يحرص على المحافظة عليها مهما كانت الأسباب.

وقد أسهم التغيير الاجتماعي والتحول إلى الأسرة الحضرية وسيادة نمط الثورية في إيجاد نوع من الصراع بين أدوار كل من الزوج والزوجة، فأصبحت الزوجة تقوم بأدوار متعددة، ما جعل العلاقة الأسرية عرضة للتوتر والصراع، فالمرأة تميل إلى تحديد دورها في العلاقة الأسرية بطريقة تختلف عن الصورة التقليدية القديمة، ولا تميل إلى تقدير مركز الزوج بنفس الدرجة السابقة⁽³⁴⁾.

فهذا التغيير الاجتماعي والتحول في الأسرة، أدى إلى وجود تعسف من الزوج لإثبات الذات والسيطرة على الأسرة.

رابعاً: أسباب اقتصادية:

يعد العامل الاقتصادي سبباً من أسباب وجود الأزمات الأسرية، وعامل رئيس من عوامل التعسف في حق الزوجة.

ومن صور ذلك، ما يأتي:

1. تطلعات الزوجة المادية غير المتناسبة مع إمكانيات الزوج تؤدي إلى إثارة العديد من المشاكل، وذلك بتعرض الزوج إلى ضغوط مالية تثقل كاهله، ما تدفعه إلى معاملة الزوجة بتعسف؛ لأنه ينظر إليها أنها السبب في الضغوطات المالية التي يتعرض لها.

2. عدم قدرة الزوج على الوفاء بمتطلبات الزوجة المالية يؤدي إلى شعور الزوج بالنقص، وعدم القدرة على تحمل المسؤولية تجاه زوجته، ومن ثم تتولد انفعالات كثيرة، وممارسة السلوكيات التي تضر بالزوجة.

وكذلك يكون الزوج متعسفاً في استخدام حقه في التأديب «إذا تيقن أو ظن عدم إفادة الضرب، أو شك فيها، فلا يضربها؛ لأن هذه الوسيلة شرعت للإصلاح، وهي لا تشرع عند عدم تحقق الغاية المقصودة من تشريعها»⁽⁴²⁾.

فالحق في الشريعة الإسلامية شرع لتحقيق مصلحة معينة، فلا يجوز استعمال هذه المصلحة في غير الغاية التي شرعت من أجلها؛ لأن «ذلك يعد مناقضة لقصد الشارع، ومناقضة قصد الشارع محرمة»⁽⁴³⁾.

ثالثاً: تعسف الزوج في منع زوجته من العمل

إن الأصل في عمل المرأة أن يكون في إدارة شؤون بيتها، ورعاية أبنائها، والقيام بحقوق زوجها، ويباح لها الخروج للعمل، ولكن لا بد من أن تستأذن زوجها في ذلك؛ لأن خروجها دون إذن منه تفويت لحق الاحتباس الثابت له بعقد النكاح، وهي مستغنية عن الخروج للكسب، لكفاية الزوج لها⁽⁴⁴⁾.

ولعمل المرأة شروط لا بد لها أن تلتزم بها، إن أذن لها الزوج بذلك، كأن يكون العمل مشروعاً في ذاته، وأن تلتزم باللباس الشرعي، وأن تتأدب بأداب الإسلام، وألا يكون عملها على حساب واجباتها الأخرى، التي لا يجوز لها إهمالها، كواجبها تجاه زوجها، وأولادها، وبيتها.

فالشريعة لم تمنعها من العمل، ما دامت ملتزمة بهذه الشروط، ولا يؤدي عملها إلى الإضرار بزوجها وأبنائها⁽⁴⁵⁾.

فإن خرجت المرأة للعمل بسبب ضيق العيش، وعجز الزوج عن العمل والنفقة عليها، وكانت ملتزمة بالضوابط الشرعية التي حددتها الشريعة الإسلامية لعمل الزوجة، ثم بعد ذلك عرض للزوج منعها من الخروج للعمل وحبسها في بيتها، وترتب على ذلك المنع ضرر يلحق بها وبمن تعول، ففي هذه الحالة يكون الزوج متعسفاً في استعماله لحقه في منع زوجته من العمل؛ لأنه «استعماله لحقه بهذه الصورة أدى إلى الإضرار بالغير دونما فائدة أو مصلحة تعود عليه من ذلك، كما أنه استخدم هذا الحق لغير ما وضع له شرعاً»⁽⁴⁶⁾.

رابعاً: تعسفه في منع زوجته من زيارة أباؤها وذويها

القرار في البيت من الحقوق التي شرعها الإسلام للزوج على زوجته، فلا تخرج إلا بإذنه، هذا من حيث العموم، أما فيما يتعلق بخروج الزوجة من بيت زوجها لزيارة والديها، «فقد بين فقهاء الحنفية والمالكية أنه ليس للزوج منع زوجته من زيارة والديها، وخصوصاً عند حاجتهما لهذه الرعاية، لكبر أو مرض أو عجز أو غيره»⁽⁴⁷⁾.

وذكر فقهاء الشافعية والحنابلة أن للزوج حق منع زوجته من زيارة والديها أو حضور جنازتهما؛ لأن حق الزوج مقدم على حق الوالدين⁽⁴⁸⁾.

ومن الجدير بالذكر أن فقهاء الشافعية ذكروا أنه يكره للزوج منع زوجته من زيارة والدها، إذا أثقل، وحضور مواراته إذا مات؛ لأن ذلك سبب في نفور الزوجة وإيغار لصدورها، وتشجيع لها على العقوق⁽⁴⁹⁾.

وذكر الحنابلة أن منع الزوج زوجته من زيارة والديها

3. انخفاض المستوى الاقتصادي للأسرة لعدم كفاية الموارد المالية، قد يضطر الزوجة إلى العمل مما يؤدي إلى ضعف قوتها وتقليل اهتمامها بشؤون الأسرة، مما يتسبب في نشوء الخلافات والأزمات بين الزوجين⁽³⁵⁾.

المبحث الرابع

مظاهر تعسف الزوج في حق زوجته.

ولتعسف الزوج في حق زوجته مظاهر كثيرة، وهي كما يلي:-

أولاً: تعسف الزوج في معاشرته زوجته:

من حق الزوجة على زوجها «أن يعاشرها معاشرة حسنة، بكف الأذى عنها، وعدم مظلها حقها، وعدم إيذاؤها باللسان أو اليد، ولا يتجنب فراشها، ويمتنع عن معاشرتها معاشرة جنسية إلا للتأديب»⁽³⁶⁾.

فإن قام الزوج بالامتناع عن معاشرته زوجته، فترك وقاعها قاصداً الإضرار بها أو حملها على فعل ما لا ترضاه أو لإلحاق الأذى بها، فإنه بذلك يكون متعسفاً.

ومن «صور تعسف الزوج في حق زوجته مباشرة لزوجته مباشرة جنسية مضره بها، كأن يطأها في دبرها؛ لأن الوطء في الدبر محرّم»⁽³⁷⁾، لقوله صلى الله عليه وسلم: (إن الله لا يستحي من الحق، لا تأتوا النساء في أدبارهن)⁽³⁸⁾.

وكذلك امتناع الزوج عن وطء زوجته؛ لأن ذلك يضر بالزوجة؛ ولأن من مقاصد الزواج أن يشبع كل منهما رغبته من الآخر.

ويكون من التعسف أيضاً أن ينزع الزوج ذكره من فرج المرأة إذا فرغ من الإنزال قبل أن تفرغ الزوجة، فيكون بذلك قد أضر بها ومنعها من قضاء شهوتها⁽³⁹⁾.

ففي مثل هذه الحالات يكون الزوج متعسفاً في معاشرته لزوجته، لأنه استخدم حقه بقصد الإضرار بالغير، مخالفاً بذلك مقصد الشارع.

ثانياً: تعسف الزوج في التأديب:

إن الغاية من تأديب الزوجة هو تهذيبها، وإصلاحها بما يكفل رجوعها إلى طاعة الزوج مصداقاً، لقوله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنِ اطَّعْتِكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً كَبِيراً﴾ (سورة النساء: 34)

وإن ثبت للزوج حق تأديب زوجته، إلا أن سلطته في استخدام حقه ليست مطلقة، وإنما هي «مقيدة بوجود الأسباب الشرعية الموجبة لتأديب الزوجة؛ كالنشوز بشتى صورته من منع الزوج من إتيانها دون مانع شرعي، أو خروجها من بيته دون إذنه، أو غيرها من الأسباب التي تدعو إلى تأديبها»⁽⁴⁰⁾.

فإن انحرف الزوج عن الغاية التي شرع من أجلها التأديب، فإنه «يعد متعسفاً في استعماله لحقه كأن تكون غايته من التأديب الانتقام من زوجته أو التعبير عن كراهيته لها، أو حملها على معصية من المعاصي، أو إكراهها على إنفاق مالها في وجه لا تراه»⁽⁴¹⁾.

(55)، وذهب ابن تيمية وابن القيم إلى أن الطلاق في الحيض طلاق بدعي، لا يقع، مخالفين بذلك قول جمهور العلماء⁽⁵⁶⁾.

2. تعسف الزوج في كيفية إيقاع الطلاق:

وتتحقق هذه الصورة بأن يطلق الزوج زوجته ثلاث طلاقات بلفظ واحد أو بألفاظ متكررة في مجلس واحد، وقد أوقع جمهور العلماء من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة هذا الطلاق بهذه الصورة ثلاث طلاقات، فعندها يكون الطلاق بائناً بينونة كبرى، والطلاق المشروع هو ما كان مرة بعد مرة، وعقب كل مرة إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان⁽⁵⁷⁾.

فإن أوقعه الزوج بلفظ واحد، أو بألفاظ متكررة في مجلس واحد، كان متعسفاً في كيفية إيقاعه للطلاق.

وذهب ابن تيمية وابن القيم وبعض التابعين، إلى أن طلاق الثلاث في مجلس واحد، يقع طلاقاً واحدة رجعية، خلافاً لعامة أهل العلم⁽⁵⁸⁾.

3. تعسف الزوج في إيقاع الطلاق دون سبب معقول.

الطلاق حق من حقوق الزوج، ولكن هذا الحق مقيد بالحاجة إلى إيقاعه، فإنه لا يجوز له أن يطلق زوجته لمجرد النفرة بينهما، أو سوء سلوك الزوجة مثلاً، فلا بد أن يكون السبب معقولاً ومبرراً لإيقاع الطلاق.

فإن أقدم الزوج على الطلاق، وخالف هذا القيد وطلق زوجته دون سبب معقول، فإن طلاقه في هذه الحالة يقع، ويأثم ديانة لفعله، ويعد متعسفاً في استعمال حقه؛ لأنه قصد من إيقاع الطلاق إلحاق الضرر بالزوجة⁽⁵⁹⁾.

4. تعسف الزوج في إيقاع الطلاق، وهو في مرض الموت.

إذا طلق الزوج زوجته طلاقاً رجعياً، وهو في مرض الموت، فإنها في هذه الحالة ترث ما دامت في العدة⁽⁶⁰⁾؛ أما إذا كان الطلاق طلاقاً بائناً ثم مات فيه، فقد ذهب الحنفية إلى أنها ترث ما دامت في العدة⁽⁶¹⁾ وذهب المالكية إلى أنها ترث مطلقاً سواء مات الزوج في العدة أم بعدها، سواء تزوجت أم لم تتزوج⁽⁶²⁾.

وذهب الحنابلة إلى أنها ترث ما لم تتزوج⁽⁶³⁾. أما الشافعية فذهبوا إلى أنها لا ترث؛ لأنها بينونة قبل الموت، فقطعت الإرث⁽⁶⁴⁾.

المبحث الخامس

آثار تعسف الزوج في حق زوجته

لا شك أن لتعسف الزوج في استعمال حقوقه الزوجية آثاراً خطيرة على جميع أفراد الأسرة من الزوجين والأبناء نذكر منها:

1. انعدام الثقة بين الزوجين:

الثقة المتبادلة بين الزوجين من أساسيات العلاقة الزوجية، إذ يكون كل منهما واثقاً في الآخر، ولا يشك لحظة في صدقه وإخلاصه، وبذلك يشعر كل من الزوجين أنه عين على الآخر وذاته، وممارسة التعسف على الزوجة يؤدي إلى عدم ثقتها بزوجها؛ لأنها تعيش حالة من القلق وعدم الاستقرار والإحباط، إذ تجول في خاطرها أهام كثيرة وأفكار سوداوية، مما يخلق عندها حالة من الشك والريبة في جميع تصرفات زوجها⁽⁶⁵⁾.

وعيادتهما خلاف الأولى؛ لأن في منعها قطع للرحم، وحمل للزوجة على مخالفة زوجها، ولأن منعها ليس من المعاشرة بالمعروف التي أمر الله بها⁽⁵⁰⁾.

ومن ذلك يتبين لنا أنه من حقوق الزوج على زوجته ألا تخرج إلا بإذنه، ولكنه يصبح متعسفاً في استعمال هذا الحق إذا منع زوجته من الخروج لزيارة والديها مع حاجتهما لها من أجل رعايتهما ومساعدتهما؛ لأن في ذلك قطيعة للرحم، وتشجيعاً على مخالفة الزوجة له، وهذا مناقض لقصد الشارع من تشريع هذا الحق، وغير محقق للمصلحة التي شرع لأجلها هذا الحق، وكلاهما محرم شرعاً، ما لم يكن هناك ضرر من ذهابها إلى بيت أهلها، فإن وجد الضرر بشتى صورته؛ لا يكون الزوج متعسفاً عليها.

خامساً: تعسف الزوج في استعمال حقه في الطلاق:

الأصل في الطلاق أنه حق للزوج، جعله الله بيده⁽⁵¹⁾. ولم يجعله بيد المرأة؛ لأنه عالم بأحوال الناس وطبائعهم، وليس للمرأة حق في الطلاق إلا إذا فوضها الزوج فيه؛ لأن المرأة سريعة التأثر، فقد تثور ثائرتها، وتقدم على الطلاق لآتفه الأسباب، هذا في الغالب، فقد يوجد نساء أكثر حكمة من الرجال، وأكثر ضبطاً لأنفسهن، إلا أن الأحكام تبنى على الغالب من أحوال الناس.

والذي يجعل الرجل أكثر روية وضبطاً لنفسه، «ما يترتب على الطلاق من حقوق مالية، كمؤخر الصداق، ونفقة العدة، فلذلك لا يقدم على الطلاق إلا بعد تفكير عميق ونظر سديد»⁽⁵²⁾.

والطلاق في الإسلام «تشريع استثنائي لا يباح إلا عند الحاجة، فقد تحصل النفرة بين الزوجين، ويحدث الخلاف بينهما بحيث تصبح الحياة غير ممكنة بينهما، فعندها لا بد من الخلاص من هذه الحياة، وإلا أدى ذلك إلى تفويت الغرض المقصود من تشريع الزواج، وأصبح الاستمرار في الزواج منفذاً للشر والآثام، ومرتباً للفاحشة، وسبباً من أسباب الجريمة، فلذلك شرع الله الطلاق؛ خلاصاً للزوجين، وأملاً في أن يجد كل منهما حياة جديدة بزواج آخر، يحقق لهما السعادة والاطمئنان والسكينة»⁽⁵³⁾. فقال تعالى «وَأِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كِلَا مِنْ سَعْتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا» (النساء: 120).

وبعد أن بينا أن الزوج هو صاحب الحق في إيقاع الطلاق، وهو حق من حقوقه، يلجأ إليه عند توفر الأسباب الداعية، كذلك نجد أن بعض الأزواج يتعسفون في استعمال حقوقهم في الطلاق بقصد الإضرار بالزوجة، أو بقصد تحقيق مصلحة غير مشروعة، ومن صور هذا التعسف ما يأتي:

1. تعسف الزوج في وقت إيقاع الطلاق

وذلك بأن يتعمد الزوج إيقاع الطلاق بوقت مخصوص، إذ يلحق الضرر بالمطلقة، ويكون ذلك في فترة الحيض، وقد أجمع الفقهاء على حرمة إيقاع الطلاق في الحيض؛ لأن الطلاق في الحيض يضر بالمطلقة بتطويل عدتها، ويعد الزوج متعسفاً في إيقاع الطلاق في هذا الوقت؛ لأن الأصل أن يطلقها في طهر لم يمسه فيها⁽⁵⁴⁾.

وفي طلاقها في الحيض يتحقق عدم كمال الرغبة في المرأة؛ لأن حالة الحيض زمن نفرة الطبع عن الزوجة، ولأن الطلاق للحاجة في زمان كمال الرغبة، فلا يكون الإقدام عليه دليل الحاجة إليه

الخروج للعمل، أو زيارة أهلها وذويها.

وقد يؤدي تعسفه في معايشة زوجته، وعدم إشباع رغباتها الجنسية إلى خيانتها، لا بقصد الانتقام منه، ولكن بقصد إشباع غرائزها الجنسية، ونحن نعلم أن النساء يختلفن في قوة الرغبة الجنسية، فمن النساء من تصبر، ومنهن من لا تستطيع الصبر على عدم إشباع هذه الرغبة.

فقد أظهرت دراسة أجريت في الأردن على المسجونات في مركز الجويده، أن الجرائم الأخلاقية المرتكبة من أكثر النزيلات كانت بسبب التفكك الأسري والتعسف الذي يمارس عليهن داخل الأسرة⁽⁷¹⁾.

وقد بينت دراسة أجريت في المملكة العربية السعودية أن الحرمان العاطفي، وعدم الاستقرار الاجتماعي يدفع المرأة إلى ارتكاب أفعال جنسية محرمة، فالتعسف في التعامل مع الزوجة له أثر كبير في انحراف المرأة، وإقدامها على ارتكاب الأفعال الجنسية المنحرفة⁽⁷²⁾.

7. ارتكاب الجريمة:

للأسرة دور رئيس في الحفاظ على سلوك أفرادها، وثباتهم على الأخلاق الإسلامية الذي يجعل منه إنساناً سوياً سليماً، فإن تخلت الأسرة عن هذا الدور بسبب ما يمارس فيها من تعسف أدى ذلك إلى أن يكون أفرادها عرضة لارتكاب أنواع مختلفة من الجرائم. فتفكك الأسرة يؤدي إلى ارتكاب الأبناء كثيراً من الجرائم؛ كالسرقة، والقتل، والاعتداء، والانحراف الأخلاقي، وتعاطي المخدرات، وغيرها من الجرائم الأخرى، بهدف الحصول على المال أو تقويض العاطفة، أو إثباتاً للذات، أو انتقاماً من المجتمع بسبب ما يعانيه الأبناء من حرمان وتهميش وظلم⁽⁷³⁾.

وكذلك الحال بالنسبة للزوجين، فالتعسف يؤدي بهما إلى ارتكاب العديد من الجرائم بسبب الاضطراب النفسي وانعدام الاستقرار، أو بغية الانتقام، ومن هذه الجرائم السرقة والزنا والقتل والإيذاء البدني، وغيرها من الجرائم⁽⁷⁴⁾.

المبحث السادس

حق الزوجة المتعسف زوجها في حقها

بعد أن قمنا بدراسة مظاهر تعسف الزوج في حقوق زوجته، لا بد من بيان حق الزوجة المتعسف عليها؛ لدفع الضرر الواقع عليها جراء تعسف الزوج في حقوقها، من خلال الآتي:

1. حق الزوجة المتعسف عليها في المعاشرة:

إذا امتنع الزوج عن معايشة زوجته معايشة جنسية، ومضى أربعة أشهر، وأصر على ذلك؛ فلها رفع أمرها للقاضي؛ للضرر اللاحق بها، حماية لها، فيأمره القاضي بالرجوع عن ذلك، فإن أبى، أمره القاضي أن يطلقها، وإن لم يطلقها، طلق عليه القاضي⁽⁷⁵⁾.

ولها كذلك رفع أمرها إلى القاضي، إذا قام الزوج بإتيانها من دبرها؛ لأن ذلك يلحق الضرر بها، لينهاه عن ذلك، فإن أبى فرّق بينهما، أي أنه يثبت لها حق طلب التفريق؛ لإجبار الزوج لها على ذلك⁽⁷⁶⁾.

وكذلك الحال بالنسبة للرجل، فهو يعيش حياة غير مستقرة، فينتابه الشك والريبة في كل شيء تقدم عليه زوجته مما يفقده الاتزان ويحول حياته إلى جحيم لا يطاق.

2. إصابة المرأة بالانهزامية والأمراض النفسية:

إصابة المرأة بالانهزامية والأمراض النفسية يجعلها تعاني من اضطراب في شخصيتها بسبب الأفكار والهموم التي تنتابها وشعورها بالخوف والقلق على المستقبل، فيؤدي ذلك إلى الشعور بالنقص وفقدان الثقة بالآخرين، مما يدفعها إلى الانعزالية والانفرادية وعدم التعاون⁽⁶⁶⁾.

3. عدم توفر المناخ المناسب لتربية الأبناء:

إن عدم توفر المناخ المناسب لتربية الأبناء وتنشئتهم التنشئة الصحيحة السوية، يؤدي إلى إضاعتهم وفساد أخلاقهم لإهمالهم الدين، وانشغالهم بمشاكلهم وصراعاتهم، ما يجعلهم عرضة للأمراض النفسية والجسدية، ويؤدي إلى هبوط معنوياتهم ومعيشتهم حياة ملؤها التوتر والقلق والاضطراب، مع تعطشهم للحنان فضلاً عن الأمور المالية⁽⁶⁷⁾.

فتعسف الزوج يؤدي إلى ازدياد فرص الانحراف لدى الأطفال، فقد أكد علماء النفس أن مرحلة الطفولة من أهم مراحل حياة الإنسان؛ لأنها المرحلة التي يتحدد فيها مفهوم هذا الإنسان للحياة ونظراته لها، فإذا تعرض الإنسان فيها إلى تجارب مؤلمة وممريرة يؤدي ذلك إلى اختلال نموه النفسي والفكري، ويصبح مؤهلاً للانحراف في أي مرحلة من مراحل حياته القادمة⁽⁶⁸⁾.

4. تعثر العلاقة بين الأبناء والوالدين:

إن يؤدي التعسف إلى أن يتعمد الأولاد إلى الحد من علاقاتهم مع أهلهم خوفاً منهم، ما يؤدي إلى تعطل دور الأهل في مسيرة التربية الصحية للأبناء⁽⁶⁹⁾.

الأمر الذي يجعل الأطفال يعيشون بمعزل عن والديهم، ما يؤدي إلى صعوبة الرقابة، وجهل الأهل بأحوال أبنائهم ومشاكلهم ومعاناتهم، وذلك يؤدي إلى كره الأبناء للوالدين؛ لأنهما السبب فيما يعانونه.

5. ضعف العلاقات الزوجية واللجوء إلى الطلاق:

الأصل في العلاقات الأسرية أن تكون قائمة على المحبة والمودة والرحمة؛ لكي تعيش الأسرة في استقرار وسكينة، فإن انخرقت العلاقات بين أفراد الأسرة عن مسارها الصحيح؛ أصبحت الحياة جحيماً لا يطاق، وذلك بسبب التعسف من الزوج في استخدام حقوقه الأسرية، ما يؤدي بالمرأة إلى طلب التفريق للضرر الذي لحق بها، وخلاصاً مما تعانيه من جراء هذا التعسف، ما إلى انهيار الأسرة وضياع الأبناء⁽⁷⁰⁾.

6. انحراف الزوجة:

فقد يدفع التعسف الزوجة في بعض الأحيان إلى الانتقام من الزوج، وذلك عن طريق انتقامها منه بنفسها بخيانتها وتدنيس فراشه، ظناً منها أنها بذلك تعمل على إيذائه وكسر شوكرته وإهانته وإذلاله.

سواء كان متعسفاً في تأديبها أو معاشرتها أو منعها من

- أن تكون الزوجة أهلاً للميراث وقت الطلاق، وتستمر هذه الأهلية بموت المطلق، فإن لم تكن أهلاً للميراث وقت الطلاق، كأن كانت كتابية ثم أسلمت فلا ترثه، أو كانت مسلمة وقت الطلاق، ثم أردت فإنها لا ترثه لأن الدين مانع للميراث.

- ألا يكون الطلاق بناء على رغبة الزوجة وطلبها، فلو سألتها الطلاق أو افتدت نفسها بالمال، فلا ترث لانتهاء مظنة الفرار من الزوج.

- أن يموت وهي ما زالت في العدة.

المبحث السابع

حلول مشكلات تعسف الزوج في حق زوجته.

تتمثل الحلول المقترحة لمشكلات تعسف الزوج في حق زوجته بالآتي، وهي متفرعة بين حلول وقائية وعلاجية.

أولاً: تقوية الوازع الديني لدى الزوجين:

ذكرنا أن ضعف الوازع الديني، هو سبب من أسباب ظهور التعسف داخل الأسرة، لذلك لا بد من العمل على تقوية الوازع الديني لدى الزوجين؛ لتفادي وقوع التعسف داخل الأسرة، ويكون ذلك عن طريق الآتي:

1. الالتزام بالأسس الشرعية لاختيار كل من الزوجين للآخر، وأن يكون الاختيار على أساس الخلق والدين، كما بينا سابقاً، وألا يكون الاختيار على أساس آخر، كالمال والجاه أو الجمال أو غيره، ما هو زائل من الصفات؛ لأن ذلك له دور كبير في ظهور التعسف داخل الأسرة، والنيل من استقرارها.

2. عدم إغفال حق المرأة في اختيار زوجها، وكذلك الحال بالنسبة للزوج؛ لأن إجبار أحد الزوجين على العيش مع من لا يريد قد يؤدي إلى كثير من المشاكل، وبالتالي إلى ظهور التعسف.

3. تحصين الأسرة المسلمة ضد ما تشهده من استهداف وغزو فكري وثقافي، وذلك يكون بغرس مبادئ العقيدة السليمة، والفهم الصحيح لقيم الإسلام وتعاليمه، وغرس الأخلاق الإسلامية بين أفراد الأسرة، وإيجاد ثقافة النصح والإرشاد بين الزوجين؛ لما لذلك من أثر كبير في مساعدة الأسرة على تجاوز الكثير من المشكلات التي تواجهها، وخاصة مشكلة التعسف.

ويكون ذلك من خلال:

◆ تفعيل دور الإعلام المسموع منه والمرئي والمقروء في بيان أسباب التعسف داخل الأسر، والتحذير من آثار هذا التعسف على الأسرة، وبالتالي على المجتمع، من خلال المقالات والندوات واستضافة أصحاب الاختصاص في المجال الشرعي والتربوي والنفسي؛ لتوعية الناس بمخاطر التعسف وآثاره السلبية على الأسرة واستقرارها وسعادتها وأمنها.

◆ توعية أفراد المجتمع بأسباب ومخاطر التعسف، وذلك من خلال المناهج الدراسية في المدارس والجامعات، وخطب الجمعة والدروس الدينية والندوات والمحاضرات؛ لما لذلك من دور كبير وفعال في الحد من هذه الظاهرة داخل المجتمعات.

◆ وجود جمعيات ومؤسسات تعنى بمثل هذه المشكلات

2. حق الزوجة المتعسف عليها في التأديب:

بيننا سابقاً أن للزوج حق تأديب زوجته، إلا أن سلطته في ذلك مقيدة بوجود الأسباب الشرعية، فإن تعدى الزوج عليها، وقام بضربها ضرباً فاحشاً، فلها رفع أمرها إلى القاضي، فإن ثبت ضربه لها ببينة أو إقرار زجره القاضي، ومنعه من ذلك؛ لأن في الضرب المبرح إزالة للمودة بين الزوجين، ولها الحق في طلب التفريق، إذا لم يصلح حال الزوج؛ للضرر الواقع عليها من الضرب⁽⁷⁷⁾.

3. حق الزوجة المتعسف عليها زوجها في منعها من العمل:

إذا أعسر الزوج بالنفقة، فإن شاءت صبرت، وأنفقت على نفسها من مالها، ويجب على الزوج ألا يحبسها، بل يدعها تكتسب، ولو كانت موسرة، فإن أراد احتباسها مع عدم الإنفاق، كان لها رفع أمرها إلى القاضي، وطلب التفريق للضرر الواقع عليها، من عدم الإنفاق، ومنعها من التمسك⁽⁷⁸⁾.

4. حق الزوجة المتعسف عليها زوجها بمنعها من زيارة

أبويها:

إن للزوج منع زوجته من زيارة أبويها، إن خشي عليها ضرراً من زيارتهما، فيمنعها دفعاً للضرر، أما إن كان منعه لها من زيارة والديها دون ضرر متوقع، فعندها يكون متعسفاً في حق زوجته؛ لأن في ذلك قطعاً للرحم، وإيذاء للزوجة، وضرراً يلحق بها، فيكون من حق الزوجة رفع أمرها للقاضي؛ لينهاه، ويقضي لها بزيارتها، ولها الحق في طلب التطليق للضرر.

فمتى وجدت بينة بأصل الضرر كان لها اختيار الفراق⁽⁷⁹⁾.

5. حق الزوجة المتعسف عليها زوجها بالطلاق:

◆ تعسفه في وقت إيقاع الطلاق وكيفيته:

كتطليقها في الحيض، وهو طلاق بدعي لا يقع عند بعض الفقهاء، وكذلك الحال في تطليقه إياها ثلاثاً بلفظ واحد، أو مجلس واحد، فيقع هذا الطلاق طلقة واحدة رجعية، عند بعض الفقهاء، وقد بينا ذلك سابقاً.

فيعاقب الزوج على خلاف مقصده من الإضرار بالزوجة؛ بإيقاع الطلاق بهذا الوقت، وتلك الكيفية.

ولها الحق في المطالبة بالتعويض عن الطلاق التعسفي الذي أوقعه الزوج، وذلك لأنه بطلاقها تعسفاً قد ألحق بها الضرر والضرر يستوجب التعويض. وهذا عند من يوجب التعويض عن الطلاق التعسفي كالدكتور عبد الرحمن الصابوني والدكتور مصطفى السباعي⁽⁸⁰⁾.

◆ حق الزوجة المتعسف عليها زوجها بتطليقها في مرض

الموت:

إن الزوج إذا طلق زوجته في مرضه الذي مات فيه، بقصد حرمانها من الميراث، فإن من الفقهاء من قضى بتوريثها؛ معاملة له بنقيض قصده؛ لأنه بذلك يكون متعسفاً باستعمال حقه، ولكن إذا توافرت الشروط الآتية:⁽⁸¹⁾

- أن يكون الطلاق بائناً بعد الدخول الحقيقي، فلو كان قبل الدخول والخلو، لا يعتبر فارقاً، ولا تستحق الزوجة الميراث؛ لأن العدة لا تجب بهذا الطلاق، فإن كان الطلاق رجعياً فإنها ترثه.

2. يقصد بالتعسف: أن يناقض قصد المكلف قصد الشارع الحكيم في تصرف جائز شرعاً في الأصل.
3. يعد الإنسان متعسفاً في استعمال حقه إذا قصد الإضرار بالغير، أو الاستعمال في غير المصلحة التي شرع لها.
4. من مظاهر تعسف الزوج في حق زوجته: تعسفه في الطلاق والتأديب ومنع المرأة من العمل، ومنعها من زيارة أهلها وذويها وغير ذلك ما تم الإشارة إليها في ثنايا البحث.
5. من أهم العوامل التي تدفع الزوج للتعسف مع زوجته، عدم الالتزام بالأسس الشرعية في بناء الأسرة المسلمة، وضعف الوازع الديني.
6. إن للقصور في إشباع الجانب النفسي أثراً كبيراً في وجود المشاكل الأسرية وظهور التعسف.
7. العادات والتقاليد من الأسباب المهمة لتعسف الزوج في استعمال حقوقه، من خلال تمسكه بثقافته وتأثره بها، دون مراعاة لحقوق الزوجة وميولها.
8. إن للجانب الاقتصادي الأثر الأكبر في تعسف الزوج في تعامله مع زوجته، وبالذات إذا كان عاجزاً عن الإنفاق على الأسرة.
9. للتعسف آثار كثيرة على الأسرة المسلمة، منها النفسية والاجتماعية والأخلاقية والجنايحية، تطال جميع أفراد الأسرة وتؤثر عليهم.
10. من أهم الحلول لظاهرة التعسف تقوية الوازع الديني من خلال الالتزام بأسس بناء الأسرة وحرية الزوجين في اختيار كل منهما للآخر، والاهتمام بالجانب العقدي، وذلك من شأنه أن يحد من ظاهرة التعسف.
11. للإعلام دور كبير في توعية أفراد المجتمع بمخاطر تعسف الزوج في حق زوجته وأثره على الأسرة المسلمة، وكذلك الحال بالنسبة للمناهج الدراسية.

التوصيات:

- يوصي الباحثان -للحد من ظاهرة تعسف الزوج في تعامله مع زوجته- بالآتي:
1. إطلاق حملة وطنية لتوعية أفراد المجتمع بمخاطر التعسف وأثره على الأسرة.
 2. إنشاء مؤسسات وجمعيات تعنى بدراسة أسباب وأثار ومخاطر تعسف الزوج مع زوجته.
 3. العمل على سن قوانين رادعة للحد من ظاهرة تعسف الأزواج في تعاملهم مع زوجاتهم.
 4. ضرورة العمل على تقوية الوازع الديني عند الأزواج، وتثقيفهم بالثقافة الدينية؛ من خلال الدروس والندوات والمحاضرات والمؤتمرات التي تبين حقوق كل من الزوجين على الآخر.

الأسرية، فتقوم بدراساتها دراسة واعية؛ من حيث الأسباب والآثار، عن طريق الوسائل العلمية الحديثة، للبحث والإحصاء والاستبيان؛ لنصل في النهاية إلى تقدير صحيح لمشكلة التعسف أو أي مشكلة تطرأ على العلاقة بين الزوجين.

وذلك من خلال مجموعة من الباحثين الواعين المؤهلين لمثل هذه الدراسات، للوصول في النهاية إلى تقديم حلول واقعية ملموسة تتناسب مع الأطر النظرية لمشكلة التعسف وأثارها.

بالإضافة إلى دور مثل هذه المؤسسات والجمعيات في إعداد النشرات التوعوية ضد هذه الظاهرة الخطيرة، وعقد دورات ومحاضرات وندوات وورش عمل لتبصير الناس بمخاطر هذه الظاهرة، وأثرها على الأسرة المسلمة، ومتابعة هذه الجمعيات للحالات التي تعرضت للتعسف ميدانياً؛ لغرض حل هذه المشكلات، ومساعدة الأسر التي توجد فيها هذه الظاهرة الخطيرة.

◆ إشباع الاحتياجات النفسية المختلفة لدى الزوجين:

يشكل إشباع الاحتياجات النفسية لدى الزوجين أيسر الطرق لتحقيق الصحة النفسية، وتجنب الكثير من المشاكل الزوجية، ومنها التعسف، ومن ذلك إشباع الحاجة إلى الحب والطمأنينة والأمان؛ لما لذلك من أثر كبير في الحد من المشكلات الزوجية، وظهور التعسف داخل الأسرة.

◆ العمل على تغيير الثقافة المجتمعية السائدة لدى بعض الأزواج، والتي تقوم على التسلط والتفرد في اتخاذ القرار، دون أي مراعاة لحقوق الزوجة وميولها؛ لما لذلك من أثر كبير على الأسرة.

ثانياً: تفعيل دور الرعاية الاجتماعية والمتعلق بتوفير حياة كريمة لأفراد المجتمع في حال عجز رب الأسرة عن الإنفاق عليها.

ثالثاً: إطلاق حملة وطنية للحد من التعسف داخل الأسر المسلمة بشتى صوره وأشكاله، وتوعية أفراد المجتمع بمخاطر التعسف وأثره السيئة على جميع أفراد الأسرة والمجتمع.

رابعاً: سن القوانين والأنظمة التي تكفل حياة أسرية ملؤها السعادة والاستقرار

وذلك في جميع الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والنفسية والأمنية، إذ تمثل هذه الأنظمة والقوانين تدابير احترازية ضد وقوع هذه الظاهرة بين الأزواج، على أن تكون هذه الأنظمة والتشريعات مستمدة من الشريعة الإسلامية؛ لأن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان، ويعلم ما يصلح له من تشريع، وما يصلح به حاله، فقد جاءت الشريعة لتحقيق مصالح الناس في العاجل والآجل من خلال تطبيق مقاصدها السمة.

الخاتمة:

وفيها نجل أهم ما توصلنا إليه من نتائج، ثم التوصيات:

النتائج:

1. إن مفهوم التعسف ليس غريباً عن الفقه الإسلامي، فقد تناوله الفقهاء المسلمون في كتاباتهم في مختلف أبواب الفقه، ولكن تحت مسمى آخر أو لفظ مختلف، ومن هذه الألفاظ، كالتعنت والإساءة والاستعمال المذموم.

الهوامش:

- ، صحيح وضعيف ابن ماجه ، ج 4 / ص 359.
27. الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة. سنن الترمذي، باب ما جاء إذا من ترضون دينه فزوجوه، رقم الحديث 1085، ج 3/ص 386. وحسنه الألباني ، ينظر إرواء الغليل ، ج 6 / ص 266.
28. القليسي. أحكام الأسرة في الشريعة الإسلامية، ص 172.
29. القرضاوي، العبادة في الإسلام، ص 9.
30. عزام، العقيدة وأثرها في بناء الجيل، ص 8.
31. الكندري، علم النفس الأسري، ص 205.
32. الرشيد، سيكولوجية الأسرة والوالدية، ص 282.
33. حسن، الأسرة ومشكلاتها، ص 208.
34. مبارك، علم النفس الأسري، ص 209.
35. مبارك، علم النفس الأسري، ص 209.
36. الكاساني. بدائع الصنائع، ج 2/ص 651. البهوتي. كشف القناع، ج 5/ ص 184.
37. البهوتي. كشف القناع، ج 5/ص 188.
38. الدارمي، سنن الدارمي، كتاب الطهارة، باب من أتى امرأته في دبرها، ج 1/ ص 737. وصححه الألباني في إرواء الغليل، 7/65.
39. البهوتي. كشف القناع، ج 5/ص 194.
40. الكاساني. بدائع الصنائع، ج 4/ص 22. الشريبي. مغني المحتاج، ج 3/ ص 360. الرملي، نهاية المحتاج شرح المنهاج، ج 6/ص 383. البهوتي، كشف القناع عن متن الإقناع، ج 5، ص 197.
41. الدريني. نظرية التعسف في استعمال الحق، ص 243.
42. عليش، منح الجليل شرح مختصر خليل، ج 3، ص 545.
43. الدريني. نظرية التعسف في استعمال الحق، ص 243.
44. ابن نجيم، البحر الرائق، 4/213. السرخسي، المبسوط، 15/120. الكاساني، بدائع الصنائع، 4/17. عليش، منح الجليل، 7/467. النووي، روضة الطالبين، 5/186، الشريبي، مغني المحتاج، 3/450. المرادوي، الإنصاف، 8/361.
45. ابن نجيم، البحر الرائق، 4/213. الرعيبي، مواهب الجليل، 7/548، الشريبي، مغني المحتاج، 3/450.
46. القدومي، التعسف في استعمال الحق في الأحوال الشخصية، ص 140.
47. ابن نجيم، البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ص 212. الغرناطي، التاج والإكليل لمختصر خليل، ج 5، ص 548.
48. النووي، المجموع شرح المهذب، ج 6، ص 411. ابن قدامة. المغني، ج 7، 295.
49. النووي. المجموع، ج 6، ص 411.
50. ابن قدامة. المغني، ج 7، ص 295.
51. الشيرازي، المهذب في فقه الإمام الشافعي، ج 3/ ص 3. الميرغيباني، الهداية شرح بداية المبدئ، ج 1، ص 224.
52. القليسي، أحكام الأسرة في الشريعة الإسلامية، ج 2، ص 16. مطلوب.
- الوجيز في أحكام الأسرة الإسلامية، ص 227.
1. الزيلعي، تبين الحقائق شرح كنز الدقائق، 5/368. ابن الهمام، شرح فتح القدير، ج 8/ص 10.
2. ابن منظور، لسان العرب، حرف الفاء، فصل العين ج 9/ص 245. ابن فارس، مقاييس اللغة، مادة عسف، ج 4/ص 119.
3. أبو سنة، النظريات العامة للمعاملات في الشريعة الإسلامية، ص 100.
4. الدريني، نظرية التعسف في استعمال الحق في الفقه الإسلامي، ص 91.
5. المرجع السابق، ص 91.
6. المرجع السابق ص 92.
7. ابن منظور، لسان العرب، 9/246. الفيروز آبادي، القاموس المحيط، 1/837.
8. الجرحاني، التعريفات، 1/144.
9. ابن منظور، لسان العرب، 15/33. الزبيدي، تاج العروس، 39/8.
10. ابن عابدين، رد المحتار، 3/221. الزيلعي، تبين الحقائق، 2/249، 267. الشريبي، مغني المحتاج، 4/225-228.
11. ابن منظور، لسان العرب، 2/62.
12. الزيلعي، تبين الحقائق، 5/368.
13. الشاطبي، الموافقات، 2/256.
14. الدريني، التعسف في استعمال الحق، 232.
15. الشاطبي، الموافقات، 2/239. الدريني، نظرية التعسف في استعمال الحق في الفقه الإسلامي، ص 232. عماري، نظرية التعسف في استعمال الحق عند الإمام الشاطبي، ص 120.
16. الشاطبي، الموافقات، ج 2/ص 267، الدريني، ص 240. عماري، نظرية التعسف في استعمال الحق عند الإمام الشاطبي، ص 216.
17. الشاطبي. الموافقات، ج 3/ص 167. الدريني. التعسف في استعمال الحق، 251.
18. الجصاص، أحكام القرآن، 1/481. القرطبي، تفسير القرطبي، 3/155.
19. القرطبي، تفسير القرطبي، 5/97.
20. القرطبي، تفسير القرطبي، 16/245.
21. ابن ماجه، سنن ابن ماجه، باب من بنى في حقه فأضر جاره، حديث رقم 2341. صححه الألباني، ينظر إرواء الغليل 3/408.
22. العيني، عمدة القارئ في شرح صحيح البخاري، 9/195. السيوطي، شرح سنن ابن ماجه، 1/169.
23. القليسي. أحكام الأسرة في الشريعة الإسلامية، ص 29. مطلوب. الوجيز في أحكام الأسرة الإسلامية، ص 10.
24. البخاري، صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الأكفاء في الدين، حديث رقم 5090، ج 7، ص 7.
25. الشوكاني، نيل الأوطار، ج 6/ص 126.
26. ابن ماجه، أبو عبد الله محمد القزويني. سنن ابن ماجه، كتاب النكاح، باب تزويج ذات الدين، حديث رقم 1859، ج 1/ص 597. وضعفه الألباني

53. مطلوب. الوجيز في أحكام الأسرة الإسلامية، ص245. أبو زهرة، الأحوال الشخصية، ص28.
54. السرخسي، المبسوط، ج3، ص6. الشريبي، مغني المحتاج، ج4/4 ص497. ابن قدامة، المغني، ج7، ص364. الدسوقي، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، ج2، ص363.
55. الكاساني، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ج3، ص94.
56. ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج66/33. ابن القيم، زاد المعاد، ج4/58.
57. السرخسي، المبسوط، ج6، ص6. ابن رشد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، 2004م، ج3، ص86. الشيرازي، المهذب، ج3، ص7. ابن قدامة، المغني، ج7 ص366.
58. ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج33/67. ابن القيم، زاد المعاد، ج4/64.
59. الكاساني، بدائع الصنائع، ج3، ص218.
60. الشيرازي، المهذب، ج2، ص408. الكاساني، بدائع الصنائع، ج3، ص218. ابن رشد، بداية المجتهد، ج3، ص103. ابن قدامة، المغني، ج6، ص396. الشريبي، مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج، ج3، ص294.
61. السرخسي، المبسوط، ج6، ص160.
62. الدسوقي، حاشية الدسوقي والشرح الكبير، ج2/353. ابن رشد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، ج3، ص102.
63. ابن قدامة، المغني، ج6، ص396.
64. الشيرازي، المهذب، ج2/208.
65. منصور، الأسرة على مشارف القرن الواحد والعشرين، ص76، 177.
66. المرجع السابق، ص177.
67. البكري، الضوابط الفقهية في معالجة المشاكل الأسرية، ص381.
68. الحلبي، العنف الأسري أسبابه ومظاهره وآثاره وعلاجه، ص30.
69. المرجع السابق، ص31.
70. الشقير، الطلاق وأثره في الجريمة، ص33.
71. خربطلي، أثر المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية في جرائم النساء في الأردن، ص85.
72. مرجع سابق، ص100.
73. عبد العزيز، انحراف الأحداث، ص42.
74. خربطلي، أثر المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية في جرائم النساء في الأردن، ص31.
75. الخرشبي، شرح الخرشبي، ج238/3، الشريبي، مغني المحتاج، ج3/348، ابن قدامة، المغني، ج7/318.
76. الكاساني، بدائع الصنائع، ج5/119. الرعيني، مواهب الجليل، ج6/219. السنكي، أسنى المطالب، ج4/161. المرادوي، الإنصاف، ج8/348. البهوتي، كشف القناع، ج5/189. الدسوقي، حاشية الدسوقي، ج2/345.
77. ابن عابدين، حاشية ابن عابدين، ج4/79. الدسوقي، حاشية الدسوقي، ج2/343-345. الرملي، نهاية المحتاج، ج6/391. البهوتي، كشف القناع، ج5/210. ابن قدامة، المغني، ج7/319.
78. الدسوقي، حاشية الدسوقي، ج2/518. السنكي، أسنى المطالب، ج3/239.
- الشريبي، مغني المحتاج، ج5/176، البهوتي، كشف القناع، ج5/476.
79. المرادوي، الإنصاف، ج8/361، الدسوقي، حاشية الدسوقي، ج2/345، المواق، التاج والإكليل، ج5/548، السنكي، أسنى المطالب، ج3/239.
80. الصابوني مدى حرية الزوجين في الطلاق، ج118-100/1. السرطاوي، شرح قانون الأحوال الشخصية الأردني، ص237.
81. ابن عابدين، حاشية ابن عابدين ج3، ص387-386. الأزهر، جواهر الأكليل، ج1، ص333. ابن قدامة، المغني، ج7، ص217.

المصادر والمراجع:

1. ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس، زاد المعاد في هدي خير العباد
2. ابن تيمية، تقي الدين، مجموع الفتاوى، طبع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 1416هـ/1995م.
3. ابن رشد، محمد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، القاهرة، دار الحديث، 1425هـ/2004م.
4. أبو زهرة، محمد، الأحوال الشخصية، القاهرة، دار الفكر، 1426/2005م.
5. أبو سنة، أحمد فهمي، النظريات العامة للمعاملات في الشريعة الإسلامية، مصر، مطبعة دار التأليف، 1970م.
6. ابن قدامة، موفق الدين، القاهرة، مكتبة القاهرة، 1288هـ/1968م.
7. ابن ماجه، أبو عبد الله محمد القزويني، سنن ابن ماجه، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، د. ت.
8. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين بن مكرم. لسان العرب، بيروت، دار صادر، د. ت.
9. ابن نجيم، زين الدين، البحر الرائق شرح كنز الدقائق، دار الكتب الإسلامية، د. ت.
10. الأزهر، صالح عبد السميع الآبي، جواهر الإكليل شرح مختصر خليل، بيروت: المكتبة الثقافية، د. ت.
11. الألباني، محمد ناصر الدين إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل. ط2، بيروت، المكتب الإسلامي 1405 هـ.
12. الألباني، محمد ناصر، صحيح وضعيف ابن ماجه، مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة، الإسكندرية، مصر، د. ت.
13. البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، القاهرة، دار طوق النجار، 1422هـ.
14. البكري، ابتسام، الضوابط الفقهية في معالجة المشاكل الأسرية رسالة ماجستير، جامعة الملك خالد 1430هـ/2009م.
15. البهوتي، منصور، كشف القناع عن متن الإقناع، بيروت، دار الكتب العلمية، د. ت.
16. الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة، سنن الترمذي، مصر، مطبعة البابي الحلبي، 1395هـ/1975م.
17. الجصاص، أحمد بن علي أبو بكر أحكام القرآن، تحقيق عبد السلام شاهين، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1415هـ.
18. الجصاص، أحمد بن علي أبو بكر أحكام القرآن، تحقيق عبد السلام شاهين، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1415هـ.

19. حسن، محمود، الأسرة ومشكلاتها، بيروت، دار النهضة العربية للنشر، 1388هـ.
20. الحليبي، خالد، العنف الأسري أسبابه ومظاهره وآثاره وعلاجه، الرياض، مدار الوطن للنشر، 1430هـ/2009م.
21. خربطلي، سميرة، أثر المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية في جرائم النساء في الأردن رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية 1992م.
22. الخولي، سناء، الأسرة والحياة العائلية، بيروت، دار النهضة العربية، 1404هـ.
23. الدارمي، عبد الله، سنن الدارمي، تحقيق سليم الداراني وآخرون، السعودية، دار المغني للنشر والتوزيع، 1412هـ/2000م.
24. الدريني، فتحي، نظرية التعسف في استعمال الحق في الفقه الإسلامي، د.ت، مؤسسة الرسالة، 1429هـ/2008م.
25. الدسوقي، محمد، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، بيروت، دار الفكر، د.ت.
26. الرشدي، بشير، سيكولوجية الأسرة والوالدية، الكويت، ذات السلاسل.
27. الرعيني، شمس الدين أبو عبد الله، مواهب الجليل شرح مختصر خليل، دار الفكر، ط3، 1412هـ.
28. الرعيني، شمس الدين، مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، بيروت، دار الفكر، 1412هـ.
29. الرملي، محمد، نهاية المحتاج شرح المنهاج، بيروت، دار الفكر، 1404هـ/1984م.
30. الزيلعي، فخر الدين عثمان بن علي، تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، دار المعرفة، الطبعة الثانية، ابن الهمام، كمال الدين محمد بن عبد الواحد، شرح فتح القدير، المطبعة الكبرى، الطبعة الأولى.
31. السرخسي، محمد، المبسوط، بيروت، دار المعرفة، 1414هـ/1993م.
32. السنيكي، زكريا محمد بن زكريا، أسنى المطالب شرح روض الطالب، دار الكتب الإسلامية، د.ط، د.ت.
33. الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الغرناطي، الموافقات في أصول الشريعة، تحقيق عبد الله دراز، بيروت، مطبعة دار الكتب العلمية، د.ت.
34. الشربيني، محمد، مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج، بيروت، دار الكتب العلمية، 1415هـ/1994م.
35. الشرقاوي، زينب، أحكام المعاشرة الزوجية، دار الأندلس، 2009م.
36. الشقير، صالح، الطلاق وأثره في الجريمة رسالة ماجستير، جامعة الأمير نايف العربية للعلوم الأمنية، 1429هـ/2008م.
37. الشوكاني، محمد بن علي، نيل الأمطار، مصر، دار الحديث، 1412هـ/1992م.
38. الشيرازي، أبو إسحاق، المهذب في فقه الإمام الشافعي، دار الكتب العلمية، د.ت.
39. عبد العزيز، فتح، انحراف الأحداث، القاهرة، 1987م.
40. عزام، عبد الله، العقيدة وأثرها في بناء الجيل، عمان، مكتبة الأقصى، 1400هـ/1980م.
41. عقلة، محمد، نظام الأسرة في الإسلام، الأردن، مكتبة الرسالة الحديثة، 1409هـ/1999.
42. عليش، محمد، منح الجليل شرح مختصر خليل، بيروت، دار الفكر، 1409هـ/1989م.
43. عماري، بدر الدين أحمد، نظرية التعسف في استعمال الحق عند الإمام الشاطبي، دار ابن حزم للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، 2009.
44. الغرناطي، محمد، التاج والإكليل لمختصر خليل، بيروت، دار الكتب العلمية، 1406هـ/1994م.
45. القدومي، عبيد، التعسف في استعمال الحق في الأحوال الشخصية، دار الفكر، 1428هـ/2007م.
46. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن. تحقيق أحمد لبردوني، ج1، القاهرة: دار الكتب المصرية، 1384هـ.
47. القزويني، أحمد بن فارس بن زكريا. مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، 1970م، د.ت.
48. القليصي، علي، أحكام الأسرة في الشريعة الإسلامية، صنعاء، دار النشر للجامعات، 1425هـ/2004م.
49. الكاساني، علاء الدين، بدائع الصنائع، ترتيب الشرائع، بيروت، دار الكتب العلمية، 1406هـ/1986م.
50. الكندري، أحمد، علم النفس الأسري، الكويت، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، 1412هـ/1992م.
51. المرادوي، علاء الدين أبو الحسن، الإنصاف لمعرفة الراجح من الخلاف، دار إحياء التراث، ط2، د.ت.
52. المرغيناني، أبو الحسن، الهداية شرح بداية المبتدئ، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ت.
53. مطلوب، عبد المجيد، الوجيز في أحكام الأسرة الإسلامية، القاهرة، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، 1425هـ/2004م.
54. منصور، عبد المجيد، الأسرة على مشارف القرن الواحد والعشرين، القاهرة، دار الفكر، 1420هـ/2000م.
55. النووي، محيي الدين، المجموع شرح المهذب، بيروت: دار الفكر، د.ت.
56. الهيتمي، أحمد، تحفة المحتاج في شرح المنهاج، مصر، المطبعة التجارية الكبرى، 1257هـ/1982م.

أثر الحياة الاجتماعية في وجهة الشعر في إربل في القرن السابع الهجري*

أ. م. د. أحمد علي إبراهيم الفلاحى**

* تاريخ التسليم: 2015/5/9م، تاريخ القبول: 2015/10/21م.
** أستاذ مساعد (مشارك) / جامعة الفلوجة/ العراق.

ملخص:

لذلك فإن الأثر الأدبي لا يمكن تفسيره في كثير من الأحيان إلا في ضوء بعض العوامل ذات الصلة المباشرة بالإنسان، كما أن السياق الحضاري والفكري والاجتماعي له هو الآخر أثره في نشأة الفنون الأدبية وتطورها.

ولسنا هنا في معرض استجلاء المناهج، قدر ما نحاول بيان آثار الحياة الاجتماعية في الأدب من خلال العلاقات الاجتماعية المتكاملة، والأعراف السائدة، فضلا عن الموروث الفكري والديني، فالمنهج الاجتماعي يسعى إلى البحث عن الطرق التي يعكس بها الشعر الواقع، وعلاقته بالمجتمع الذي أنتج فيه لذلك سوف ننهج منهجاً اجتماعياً للوقوف على هذه العلاقة.

وسنحاول أن نتتبع كيف استطاع الشعر أن يُعبّر عن عالم الشاعر الداخلي، أو رؤية الشاعر للعالم الخارجي كما انعكس في نفسه، وكيف انصهرت هذه المضامين المتشعبة والمتضاربة في نفسه لخلق رؤية خاصة به يقدمها من خلال تجربته الذاتية الممزوجة بخياله وحسه؛ لأنّ الشعر يخاطب العقل والعاطفة معا، لذلك بات لكل عصر أده الذي ينسجم والذائقة الفنية لمجتمعه فضلا عن وجهته الاجتماعية.

ومما لا ريب فيه أننا لا نستطيع تذوق الأدب وفهمه مالم نستوعب سمات عصره، وحالة الشاعر المعيشة ضمن محيطه ذلك أنّ (الفنان يصدر عن إحساس عميق بمشكلات بيئته ينتخب منها ما يشاء بوساطة إدراكه الذكي الذي يعيد تنظيم تلك المشكلات في صورة فنية، محاولاً وضع حلول نظرية لها إذا شاء، وهو في كل ذلك يستخدم كل ما أوتي من طلاقة ومرونة وأصالة)⁽¹⁾.

والشعر ينبثق من بيئات اجتماعية وفكرية، وشخصية متباينة، فإذا ما تجاوزنا الوعاء الفكري للشعر إلى الوعاء الاجتماعي، وجدنا أن تعدد بيئاته، وتغير نمط حياة الشعراء كان له الأثر الواضح فيه.

لذلك كان الشعر صورة عن البيئة الاجتماعية في إربل، لا يختلف عنها كثيراً، مهما تنوعت معطياته، وتعددت فنونه، فقد تساوى في خصائص متعددة علمية واجتماعية وفنية مقلدة ومبتكرة. فكانت موضوعات الشعر في تلك الحقبة صدى لمظاهر البيئة حين عبر عن الشخصية الإقليمية لأدب ذلك العصر، ولا يمكن لباحث منصف أن يصف شعر ذلك القرن بصفة واحدة، كما لا يستطيع أن يحكم عليه حكماً واحداً، إذ يمكن أن نواجه نتاج شرائح انفردت بميزات اجتماعية أو فكرية خاصة.

ولم يكن لإربل - أو أربيل كما تسمى اليوم - أي شأن قبل الفتح الإسلامي خلا ما جاء من ذكر لها في الكتابات البابلية والأشورية، من أنها مدينة عريقة منذ أقدم العصور⁽²⁾.

اشتهرت كثيراً في القرنين السادس والسابع الهجريين، وعدت مركزاً مهماً من مراكز العلم والأدب، وذلك للدور الكبير لأمرائها في دفع مسيرة الثقافة العربية إلى مراتب الرقي، ولاسيما أسرة (ال بكتكين) التي حكمت إربل أواخر القرن السادس ومطلع القرن السابع للهجرة، حين اهتمت بالعلوم والآداب، وبناء المدارس، فكان من نتائج هذا الاهتمام الكثير من رجالات العلم والأدب والكتابة والشعراء المشهورين⁽³⁾.

لا تكمن غاية البحث لإخضاع النص الشعري للدرس النقدي الحديث قدر ما تسعى لدراسة المنتج للمنهج الاجتماعي، وبيان أثره في وجهة الشعر في إربل في تلك الحقبة، وإخضاع عالم الشاعر الداخلي لمؤثرات الحياة الاجتماعية، فضلاً عن بيان رؤية الشاعر وتأثره بعالمه المحيط لاسيما في بيان شكوى الشعراء من نكبات الزمان، والمثل العامة الطارئة على المجتمع آنذاك وأثر المجالس الاجتماعية في شعرهم، والتي غابت عنها - تقريباً - أقلام النقاد ودارسي تاريخ الأدب واهتمت بدراسة الأغراض الشعرية عند بعض الشعراء على وفق المناهج الحديثة.

الكلمات المفتاحية: الحياة الاجتماعية، الشعر، إربل، القرن السابع الهجري.

The influence of social life on the course of the poetry at Erbil in the 7th century A.H

Abstract:

NO one can understand literature without understanding the life surrounding it. Therefore, the process of explaining the literary influence needs a lot of factors relevant to the human directly. Besides the ideological and cultural sequence has extremely affected on the establishing and developing of literary arts. This study have traced the ability of establishing the internal world of the poet or the poet vision to the external world as it reflected in inside him: and how these ramose and conflicting contents have participated in creating his special vision through his self - experience mixed with his imagination and feeling

Key words: social life, poetry, Erbil, 7th century A.H

مقدمة

لا يمكن فهم الأدب فهماً كاملاً وعميقاً بعيداً عن الحياة المحيطة به، فعلى الرغم من تحرره من بعض المقاييس الاجتماعية من الناحية النظرية، إلا أنه في واقع الأمر يبقى مقيداً بها ولا ينفك منها نهائياً، ولاسيما حين يقيم الأثر الأدبي بمدى ارتباطه بمصير الأديب والمجتمع، ذلك أنّ الأدب مرآة تعكس صور الحياة فتكشف عن علاقة الشاعر أو الأديب بيئته وتفاعله معها.

ويستمد الفرد - بصوره عامة - من الوسط الذي يعيش فيه منظومة أفكاره وقيمه، وأنماطه السلوكية الإيجابية والسلبية، لما للبيئة من دور كبير في تشكيل شخصية الإنسان وترك بصماتها على سلوكه وفكره وأخلاقه. فالبيئة الاجتماعية تعد من العوامل المهمة التي تؤثر في الفنان بشكل أو بآخر في تعزيز مدركاته الحسية، لأنها تشكل مصدراً ملهماً للكثير من الأعمال الفنية.

وسنسلط القول على الأغراض الشعرية حسب سعة تأثيرها بمعطيات البيئة الاجتماعية آنذاك.

الشكوى والتحسر:

إن وقوع الشاعر تحت ضغط اجتماعي، شخصي أو عام حري بأن يترك بصماته على نتاجه الأدبي.

فلبينة أثرها في الوجة الفنية والذوقية للأديب من خلال بيان بعض العادات والتقاليد السائدة، إذ إن أدب كل أمة هو صورة منتزعة من واقعها. حين يستلهم الأديب تجاربهم من الأحداث وما قد تحدثه من انطباعات وأفكار في النفس ما يجعله تمثيلاً صادقاً لكنونة الأمة وذاتها، ولذلك تولد القصيدة - عادة - في عالم متغير وظروف متنوعة تستسقي قوانينها (عن معنى الأدب من جبرية غامضة تكمن في اللاوعي، ومن تنظيم صناعي تام الوعي)⁽⁴⁾.

وانطلاقاً من الفرضية التي رسمناها وانطلقت منها دراستنا حول شفافية النفس العربية، ورقتها، نجد الشعراء يأنون من ألم الفراق ولا سيما بعد الخلان والأصدقاء كقول أبي إسحاق بن أبي العز المستوفي الإربلي (كان حياً سنة 654هـ) يشكو الفراق: (الطويل)

إلى الله أشكو من هموم تواصلت	أما تغلط الدنيا لنا بصديق
لقد خانني لما هجرتم مواصلي	وقد صد عني معشري وفريقي
فواحرِباً كم تضرمون بصدكم	وإعراضكم في القلب نار حريق
أقاسي هموماً من أناس فعالمهم	قذى لعيون أو شجى لحلق ⁽⁵⁾

وقد ألفت الحياة السياسية المتدهورة آنذاك، فضلاً عن سعة التهديدات الخارجية، بضلالها الثقيلة على المجتمع في إربل، حتى أصيبت الأوضاع الاجتماعية بالتدهور، ولحقها ما لحق الحياة السياسية من فساد واضطراب وتناحر، لصلة الجانب الاجتماعي بانعكاسات الحوادث السياسية، وربما دفعت سوء الأقدار بالشعراء إلى بث شكواهم وبؤسهم، فضلاً عن الفقر الذي دفع البعض منهم إلى الاستجداء، ويعكس بعض الشعراء طبيعة حياته حين يشكو لمرؤسه قلة نفقته على عياله، وسوء أحواله، كما في قول عمر بن إبراهيم أبو حفص الإربلي (كان حياً سنة 654هـ): (الخفيف)

يامليكي اسمع شكايه عبد	من بني الشيخ معلّم الطرفين
ماله ملتجأ سوى بابك المحرو	س في المشرقين والمغربين
نهبتة الخيل العتاق وأفنت	ما حواه من كل جنس وعين
كل يوم لهم وللبيت يا مولا	ي موت يزيّد عن دانقين
ويزيد الغلام مني إذا سام	ح نقداً في الشهر دينارين ⁽⁶⁾

ولكن ذلك لم يشكل ظاهرة شائعة على الرغم من شدة حاجة الناس آنذاك، إذ حاول الشعراء مواجهة الحياة وقسوتها عن طريق مخاطبة النفس ودعوتها إلى التجميل بلباس الصبر، طلباً للراحة، وربما نلمس في تلك الدعوات بعض آثار اليأس حين يسلم الشاعر نفسه للأقدار، بعدما وجد أن إذلال بعض الشعراء لأنفسهم لم يجد نفعاً أو أثراً في نفوس غيرهم، فيقول غرس الدين الإربلي (679هـ): (الكامل)

صبراً عسى يا نفس تلقي راحة	بعد الأيأس وتذهب الآلام
فالصبر خير من توجع شامت	يبيد التأوه ما به إيلام
لا تسأل الأيام دفع ملمة	أن الشدائد ما لهن دوام ⁽⁷⁾

حين غدا الاستجداء وسيلة من وسائل التكسب عندهم، ولا شك في أن الاختلال الكبير في التوازن الاجتماعي الذي نشأ بسبب سوء توزيع الثروات فضلاً عن تدهور الوضع السياسي والاجتماعي والاقتصادي كان وراء هذا النمط من السلوك الذي نجد آثاره في قول ابن الظهير الإربلي (677هـ) وهو يستجدي من ممدوحه فروة: (مجزوء الكامل)

البرد قد وافى يجز	ر نيل تيه واعتدا
وجيوشه قد أقبلت	فاستوعبت كلّ الفضا
والصبر منذ رأى بقا	ء البرد أذن بالفنا
فانعم عليّ بفروة	تعدي على برد الشتا ⁽⁸⁾

ولأن الشاعر إنسان متمرّد بطبعه نجده يتأرجح بين مهاجر مغترب، أو معاند ثائر، يدفعه عناده فضلاً عن سوء الأقدار السياسية والاجتماعية إلى القبوع في السجون لحقبة طويلة، وذلك ما عاناه الكثير من شعراء إربل بسبب اعتراضهم على السياسات القائمة وقتئذ، أو الوشائيات الكاذبة التي تدفع بالقائمين إلى سجن هؤلاء الشعراء، لذلك بدا السجن يمثل حالة من حالات الحرمان الحسي، وغدت تنطلق مخزونات الباطن لتصور العزلة التي يحققها العيش بين الجدران والأصفاة، فالشاعر السجين (يعيش في حالة الحرمان الحسي من الداخل

ويعالجها معالجة ذاتية لا يحسها إلا من كان ضحية السجون، ومن النتائج التي تظهر في سلوك السجين ميله إلى الاكتئاب ومعه القلق والتطير⁽⁹⁾.

وتظهر صورة الجزع والتوتر النفسي اللاهب عند الشاعر بوساطة تلك الصيحات التي يطلقها مستجيراً بمن يرى فيه الأمل المنشود كقول الحاجري (632-هـ) مترجماً أمير إربل أن يطلق سراحه: (الوافر)

يسعني عنك ذا التأخرُ يامن جُعِلتُ فِداهُ أسبابٌ وعُذْرُ
بُلِيْتُ بكاشح ما منه بدُّ وربيع فيه سجانٌ وأسْرُ
كأنِّي يونسُ والرَّبْعُ حوتُ ومن حولي -وقيت الشنر- بحر⁽¹⁰⁾

وتتنامي مشاعر الحزن والقلق بين جوانحه، حين تضيق نفسه بالمكان المفروض، فيطرق كل الجنبات ليستدر عطفها، ويثير مشاعرها، فلا يجد صدى لأناته، فتقلب تلك الصرخات اليائسة إلى ثورة نفسه ممزوجة باللوم والعتاب، إذ إن الانقياد جبراً لقيود السجن يفرض عليه حالة نفسية موحشة تنبث معالمها وسط نبرات الحزن والحسرات والألم والفرق، التي تعكس عمق مأساة الشاعر السجين واضطرابه النفسي، ولا سيما حين يفقد تلك الأواصر الاجتماعية وتنقطع معها سبل التواصل مع الأهل والأحبة، فيشعر بعجز يفقده إحساسه بوجوده في هذه الحياة.

فشكوى السجين من الاضطهاد، والقسوة، والهوان قد تنصب على الزمان والمكان لإفراغ تلك المأساة عن نفسه، وهما مأساة السجن وظلامه ومأساة الانفصال عن الأحبة والبعد عنهم، وذلك الشعور نلمسه في قول الحاجري: (المجتث)

تبا لدهر أصابت لشمنا فيه عين
سجنٌ وقيدٌ لعمري هل للحوادث دينٌ؟
السجنُ لا غيرُ صعبٌ فكيف سجنٌ وبين⁽¹¹⁾

وقد يستعين الشاعر السجين بأقرب الموجود من أجزاء المحيط الذي كان يتعامل معه قبل سجنه، حسياً أو معنوياً فيتعامل معه ويعده رمزاً متبقياً من رموز الحرية المنشودة⁽¹²⁾ يستذكره بألم حاد، كقول علي بن شماس الإربلي (622هـ) يعاتب من سجنه: (الطويل)

ونهجِرُ أوطانَ البلى ومنازلاً غبوقي أحزانٌ بها وصبوحُ
ونعدمُ أثقالَ القيود وتذهبُ ال جروحُ بأقــــدام لنا وقروحُ
إلى الله يشكو قسوة الدهر عاجزُ ذليلٌ على فرش الهوان طريح⁽¹³⁾

وفي الوقت الذي تلطف فيه زفرات الألم، وحسرات حارة تعج بالأسى، والحزن، والوحدة صوب الذات وأحلامها المنكسرة فد(الإحساس بالظلم والغبن لدى السجين يسبب حالة وجدانية يرى من خلالها أنه في عالم غير عالمه فقد تحول عنه أصدقاء الأمل وربما الأهل إلى غرباء مقصرين فهو بالنسبة لهم منبوذ)⁽¹⁴⁾ وذلك حس لمسناه في قول إسحاق بن معالي بن شماس الإربلي: (الوافر)

جوى بين الضلوع له ضرام وصبُّ لا يُزائله الغرامُ
وأجفانٌ تسحُّ دمًا ودمعًا مُسَهِّدَةٌ إذا هجع النيامُ

ثم يستذكر ليالي الصبا فيقول:

ديارُ رقِّ ثوبِ العيش فيها وطابت لي بساحتها المدامُ
قطعتُ بها ليليات قصارًا على تلك الليلات السلامُ

ويتضح في القصيدة نفسها ذلك الاضطراب النفسي والقلق الذي يدفع النفس إلى فقدان التوازن والاستقرار حين يشكو سجنه قائلاً:

وكيف ينامُ صبُّ مُستهامٌ له في السجن عامٌ ثم عامٌ
بلا جرمٍ تقدّم منه لكن له في المجد بيتٌ لا يرام⁽¹⁵⁾

ونلمس في قول الشاعر وغيره إشارة إلى الوشاية التي لعبت دوراً في تفسخ العلاقات الاجتماعية، حين وجدت صدى وأذناً صاغية لها، فالعلاقات الاجتماعية القائمة بين الناس تحكمها الضوابط الاجتماعية، والخروج من هذه الضوابط يشكل خطراً داهماً على تلك العلاقات. لذلك فإن بيئة الشاعر الزمانية والمكانية من خلال سوء الحياة الاجتماعية، وعدم الاستقرار والقلق، وانعدام الشعور بالأمن، فضلاً عن التهديدات الخارجية كانت سبباً في تنامي عاطفة الحزن والمرارة والميل إلى اليأس والكآبة، وتلك مشاعر المحرومين الحزاني. لكن الشاعر يحاول البحث عن عالم بديل يهيم في فيافيه مؤقتاً لأنّ (الفنان يحاول بعمله الفني أن يصل إلى الامتلاء وأن يتجاوز

الحدود التي يفرضها عليه الاستلاب الاجتماعي⁽¹⁶⁾

فوسط هذا التحول النفسي عند الشاعر حين راح يسترسل في شكواه، تغدو الحكمة مطلباً تبحث عنه النفس لإثارة السكينة والقناعة، لكنّها لا تعبر بالضرورة عن موقف فلسفي للشاعر يعكس نظرتّه إلى الحياة وأقدارها، إذ هي في حقيقة الأمر لا تغدو أن تكون خطرات ذهنية وقناعات مؤقتة فرضتها عليه حوادث الزمن المحيطة به، لذلك نجد الشاعر هنا بعد أن استيقظ من حلمه بجدوى شكواه يُقنع النفس بتبدل أحوال الدهر، وفي ذلك يرسم أملاً خفياً أمام نفسه، تستسلم فيه النفس المتعالية أمام قضاء الله وقدره، إذ يقول: (البيسيط)

وَالسَّجْنُ لِلَّهِ وَالْإِفْرَاجُ مِنْهُ فَمَا
وَالدَّهْرُ وَاللَّهُ لَا يُبْقِي عَلَى أَحَدٍ
يُغْنِي أَحْتِيَالٌ لِمَنْ رَأَى وَمُحْتَالٌ
وَلَا تَرَى حَالَهُ تَبْقَى عَلَى حَالٍ⁽¹⁷⁾

إذ إنَّ محاوله تهدئة النفس من فعل الأيام قد تتأتى من العبرة والموعظة، ولاسيما حين تُصير نفس الشاعر حسها إلى فلسفة الوعظ والصبر والتأمل. ومما لا شك فيه أنَّ الشعر قائم على غرض إنساني، وهو التلاؤم بين الشاعر وواقعه الروحي والسياسي والاجتماعي، أو تنافرها، إذ يعقب ذلك شعور بالانتماء والرضا، أو السخط والتحسر.

فالشعر العربي عبّر عن صدق التجارب النفسية والعاطفية والحياتية للفرد، لأنّه صياغة فنية لتجربة بشرية، حين يعمل الشاعر على تحويل الانفعالات الداخلية إلى عمل فني رائع، بوساطة الوعي الكامل بالصراع القائم بينه وبين ذاته من جهة، وبينه وبين البيئة المحيطة من جهة أخرى وبدرجات متفاوتة.

و يستلهم الشاعر أحداث الواقع ويخرجها في صور فنية- بعد استيعابها- تشف عن واقع الحياة وما فيها بعد أن يضيء عليها شيئاً من إحساسه ومشاعره، فتأتي صورته واقعية في تعبيره الشعوري الذي يعتمد ملكة الخيال في تشكيلها.

وقد تدفع الحاجة بالشاعر إلى سلوكيات معينة يبتعد فيها عن بعض القيم السائدة، ذلك أنّ القيم هي إحدى أنواع الحاجات، أي أنّها (قوى ذاتية تؤدي إلى بعض الميول العامة، أما القيم فهي المقاييس التي تحدد نوع الفعل أو العمل الذي بواسطته يحاول المرء بلوغ غايته أو إشباع حاجته)⁽¹⁸⁾.

ذلك أنّ المعادلة الجدلية القائمة على ضدية النظرة لم تنبثق من رؤية فردية خاصة، وإنما تُجسد الوعي الجمعي العام، لأنها تنطلق من نظرة إنسانية تمثل تجربة الإنسان في هذا الكون وفي ظل تقلبات الزمن⁽¹⁹⁾، وخشية غوائل الفقر الذي يمثل انتكاسة نفسية محبطة أمام مطامح الفرد المنشودة، وأمام تجليات الواقع المتصارع بين طرفي المعادلة المادية، التي عكس مؤثراتها في النفس ابن البورياني الخطيب (كان حيا سنة 654هـ) حين كتب إلى صديق له يستمد منه الشفاعة في حاجة عرضت له، إذ يقول: (البيسيط)

شكوتُ دهري إلى خلّ فأرشدني
وقال: لا تلح دهرًا فيه سيده
فقلت: من ذاك قل لي ناصحي وحزّت
فقال: واعجبا من ذي نهى ندس
إلى لمعيّ الذي ما خاب مُنتجع
إلى كريم يُزيلُ همّ والكربا
فذا أقام منارَ الدّين والأدبا
شكراً أضمنه الأوراق والكتبا
عداه فضلُ سديد الدّين واعجبا
جناته من حوى من برّه نشبا⁽²⁰⁾

وقد يلقي بعض الشعراء بمسببات سوء الأوضاع وانعكاساتها في نفسه إلى ما آل إليه الزمان في علاقاته الاجتماعية، في ظل الفوضى والاضطرابات التي عمت إربل في تلك الحقبة، من تهديدات خارجية وانعكاساتها على الوضع في داخل إربل، فالزمان صنو المصائب عند ابن الظهير الإربلي حين حملّه كل تلك الهموم والأحزان؛ لأنّه لثيم صد عن الكرام وأقبل بوجهه إلى غيرهم، إذ يقول: (الخفيف)

أجل الفكر في الزمان واهلي
ودني علا به الجد حتى
لا تغرنك الوجوه فما كل
كيف ترجو الوفاء من أهل دهر
ه اعتباراً فالكون جمّ عجابه
أوطأت هامة الثريا ركابه
سحاب يروق يرجى ذهابه
قد تساوت أبناؤه وذبابه⁽²¹⁾

وتبقى الشكوى سمة طبيعية ملازمة لقسوة الحياة، وتنكيل الزمان، وتبدل الأحوال وجفاء الأهل والأحبة، إذ واجه الشعراء تلك الحقيقة بمستويات مختلفة من النظر والرؤية، إلى عدل الزمان وجوره، فيقول سليمان بن جبرائيل بن ابي القاسم العقيلي الإربلي (كان حيا سنة 654هـ) بعد ما يئس من عدل الزمان: (الرمّل)

لاتسل عن ذلك الربيع وسل
لعبّ البين بهم فافترقوا
أين أرباب قود كالأسل
أه من جور زمان ما عدل⁽²²⁾

ومما يرتبط بشكوى الزمان أثر الشيب في النفس، كونه يشكل مظهرًا من مظاهر فاعلية الزمن بالإنسان، وإذا كان الشيب نتاجًا من

الزمن فإنَّ الوعي الإنساني القلق يدرك أنَّ الزمن (لا يسير إلا في اتجاه واحد، ولا يقبل الإعادة بأي حال من الأحوال وربما كان أقسى ألم يعانيه الإنسان هو ذلك الألم المنبعث من استحالة عودة الماضي، وعجز الإنسان في الوقت نفسه عن إيقاف سير الزمان)⁽²³⁾، وإزاء ذلك يدخل الإنسان مرحلة جديدة من المعاناة والفقْد، وتلك مشاعر عاناها الشعراء على مر العصور، ولم يختص بها شعراء إربل وتواصل الشعراء في تفاصيلها واعتصار معانيها، لذا فلن نطيل الوقوف هنا كونها مؤثرات عمّت كل العصور. ولا بد لكل شاعر مهما تطاول عليه - الشيب - أن يغدو في النهاية إلى قناعة مؤلمة يرحب فيها به ويهاب مفارقتها، كقول مجد الدين النشابي (657هـ): (الكامل)

وخشيتُ من وقع المشيب فعندما وافي خشيتُ بأن يكون مُفارقِي
لو كان ينفعني البكاء على الصبا لبيكُ من شوقٍ له بشقائق⁽²⁴⁾

كما أيقن بهاء الدين الإربلي (692هـ) باستحالة عودة الشباب والصبا في الخضاب والحناء حين استسلم للأحزان والجزع، إذ يقول:

فطلابي رجوع مافات من عصا ر الصبا والشباب عين المحال⁽²⁵⁾

العادات والمثل العامة

لا شك أنَّ البيئة الطبيعية، والنظم الاجتماعية، تسهمان في تشكيل الوعي الإنساني والتأثير فيه، وإصباغ بعض السمات الفسيولوجية والنفسية التي تميزه من البيئات الأخرى.

فالمجتمع في كل البيئات الإسلامية يقوم على مجموعة من القيم الأخلاقية التي عززها الإسلام، وتحكمها العلاقات الاجتماعية بين الأفراد، فغدت منهجاً يخضع لضوابط ذاتية منبعها الضوابط الاجتماعية العامة، فالصدق، والوفاء، والحلم، والعدل، تمثل قيماً تترجأها الطبيعة الإنسانية، لكن أي خرق يصيب هذه القيم والمثل يؤدي إلى تفكك حلقات التواصل الاجتماعي، فتطفح بوادر الاستنكار والرفض. ذلك أنَّ التجربة الأدبية منبعها النفس وباعثها الانفعال الصادق، في ترجمة فنية لما تجيش به النفس من مشاعر وعواطف نحو رفض الواقع وإعادة تشكيله.

ونجد الشعراء يأتون من ضياع سمة الوفاء حين تغلب المصلحة الخاصة على الصدق والوفاء، وذلك أكثر ما يحزن الشاعر يوسف بن أبي المعالي المرلي (638هـ) حين جفاه الأصدقاء بعدما أنفق كل قوته في صحبتهم إذ يقول: (الكامل)

ولقد سمحتُ بكل ما ملكت يدي للأصدقاء فمسنني الإعسار
فتكدرُوا بعد الصفاء كأنهم ما كان لي فيهم يدٌ ويسار⁽²⁶⁾

ويتأسف حين يجد الصدق والوفاء مرتبطين باليسر، ويهرع الصديق لخيانتته عند أول عسر يصيبه، فيقول: (الكامل)

حالي وحادثَةُ الزمان كلاهما عجبٌ وذا أمرٌ عليَّ يهون
إن ألق يسيراً فالعدوُّ له وفا أو ألق عسيراً فالصديقُ يخون⁽²⁷⁾

لذلك نجد إسحاق بن المعالي الإربلي (617هـ) يرفض قومه ويعدمهم شراً أضاعوا كل القيم المتوارثة، فيعمد إلى تشبيهه طريف يشير إلى ضياعهم حين يشبههم بالخمير وهو شر بأكملة، لكنه معتصر من فاكهة كريمة وهي العنب فيقول: (الطويل)

ألا إنَّما قومي حلالٌ أبوهُم ولكنَّهم كالخمير والدُّها العنبُ
فجاؤا حراماً من حلالٍ وإنهم لشُرُّ بنين ينسبون لخير أب⁽²⁸⁾

وما ذلك إلا سلوك الجاهل الذي أضاع عزاً بجهل طغى على بصيرته، وهو حمق لا يدعو إلى العجب لذلك يقول محمد بن أبي محمد الإربلي (697هـ): (السريع)

لا تعجبوا من جاهلٍ أحمق بدّل ذلاً دائماً عزُّه
إن كان قد صدره عجزه دهرًا فقد أخره عجزه⁽²⁹⁾

وقد تضيق نفس الإنسان فتلقي بتلك الهموم على الزمن ومحنه حين تجد في الليل زمناً نفسياً تعبر من خلاله عن واقعها المتأزم، الذي يورقها بالهموم والأحزان ولاسيما حين تغدر الليالي بالصادق الوفي، إذ يقول أحمد بن الحسين الضرير المعروف بابن الخباز (639هـ): (البيسط)

فلا تثق بالليالي طالما غدرت بني الوفاء ولو أعطته ميثاقا⁽³⁰⁾

فالزمان كثير الكرى، صنو المصائب، جافى الكرماء، وصاحب اللئيم، حين علا به، إذ يقول محمد بن أبي محمد الإربلي: (الخفيف)

قد دُفَعْنَا إِلَى زَمَانٍ لئِيمٍ لم نَنَلْ مِنْهُ غَيْرَ غَلِّ الصُّدُورِ
وَمُنِينَا مِنَ الْوَرَى بِأَنَاسٍ تَرَكْتَهُمْ أَعْجَازُهُمْ فِي الصُّدُورِ⁽³¹⁾

في حين لم يضطر شعراء آخرون إلى ذم الزمن، وصب غضبهم عليه، لأنهم يعلمون أن أهله أو حكامه في الدنيا، هم من أسوأ، إذ لعبت الظروف السياسية - آنذاك - وما تبعها من تداعيات سلبية دوراً بارزاً في إثارة حس الشعراء نحو صراع نفسي متأرجح بين المتطلبات الموضوعية التي توجب تفاعله مع تلك الأحداث، وبين الرغبة الذاتية نحو الشعور بالاستقرار، والأمن، وهو شعور يظل يحن إليه الإنسان طوال حياته مهما فرضت عليه من نظم موضوعية⁽³²⁾، إذ نجد بعض الشعراء يوجهون نقدهم وهجاءهم للرؤساء والموظفين مشيرين إلى ضياع هذه القيم لديهم، ومتجاوزين نعتهم بالعورات والعيوب الأخرى، لأن أبلغ الهجاء (أن يسلب الإنسان الفضائل النفسية، وما تركب من بعضها مع بعض، فأما ما كان في الخلقة الجسمية من المعايير، فالهجاء به دون ما تقدم)⁽³³⁾، فضلاً عن الأساليب البسيطة السهلة التي تقترب من لغة العامة وطرقها في التعبير، كقول عثمان بن إبراهيم الإربلي (632هـ) في ذم رؤساء الناس في إربل: (السريع)

يا رؤساء الناس في إربل ما أغرب الخير بناديكم
لو جمعت حساب كل الورى أعياهم عد مسأويكم
لأنيلكم يرجى ولا جاركم يحمى ولا يخشى معاديكم
منكم أنا لكن طباعي أبت أني على اللوم أداجيكم⁽³⁴⁾

كما حاول الشعراء الإشادة بالمثل والعادات الكريمة، التي تحلى بها الممدوحون من خلال استحضار الماضي، فكانت ثقافة الشاعر عاملاً أساسياً في تمكنه من إدراك الأشياء عن طريق أفكاره وتصوراته وما ينتج عنها من قيم فنية، فثقافته تكتسب ديمومتها بوساطة الصلة الوثيقة التي ترتبط بكل مظاهر المجتمع وظواهره، ولثقافة الأثر الكبير في تعبير الفنان (لكونها من الأسس الرئيسية للتطور الاجتماعي وانعكاسها يكون من خلال المتغيرات في النزاعات والميول الخيالية التي تسببها في الاتجاهات الخطية الماثلة في تطور الأساليب الفنية)⁽³⁵⁾.

لذلك نجد الشعراء يركزون في مدحهم على المعاني التي تجسد القيم الخلقية في سلوك الممدوح، فضلاً في تمسكه بكتاب الله - سبحانه - وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، ولاسيما صفة الكرم المتأصلة في النفس، والتي تغنى بها الشعراء كثيراً، إذ يبدو أن (العادات والتقاليد الاجتماعية بأي صورة هي مجموعة الأفعال والممارسات العفوية التي تعارفها الناس حتى صارت ملزمة)⁽³⁶⁾.

لذلك نجد يونس بن أبي الخير الإربلي (634هـ) يستحضر شخوص التاريخ عند مدح سمة الكرم عند شرف الدين بن أبي البركات، إذ يقول: (الوافر)

أيا مولاي يامن لا يضاهاى بحاتم في السَّمَّاحِ ولا بمَعْنِ
ويامن جوده للناس طراً مع الأوقات في خوف وأمن
بقيت الدهر للراجين حتى تعم بجودك العافي وتغنى⁽³⁷⁾

وربما يغدو سوء الوضع الاقتصادي للشاعر، إلى المبالغة في الإطراء، ووصف سمة الكرم عند الممدوح، كقول أبي الربيع الإربلي في مدح صاحب شرف الدين: (الكامل)

يا أيها المولى الوزير وماجد في كفه البيضاء خمسة أبحر
ورضيع در المكرمات ومن له جود كمنهل السحاب الممطر
فاق الأنام بهمة مشكورة وعزيمة قرنت بسعد المشتري⁽³⁸⁾

ويبقى الكرم من السمات الاجتماعية المصاحبة للممدوح حين يشيد الشعراء بها، لأنها فضيلة يعتز بها العرب كثيراً، فالمدح بها (يجانس البأس والنجدة، ويدخل في باب شدة البطش والبسالة، فإن أضيف إلى ذلك المدح، والجود والسماحة، والبذل والعطية، كان المدح حسناً والنعت تاماً).⁽³⁹⁾

المجانس الاجتماعية:

1. مجالس اللهو والشراب: اعتاد الشعراء هذه المجالس منذ العصر العباسي، يتناشدون الأشعار بجنب الخمرة واحتسائها، حتى غدت تلك المجالس جزءاً من حياة أغلب الشعراء. وربما كان الغزل بالسقاة والغلمان في تلك الحقبة مجازياً، بقصد التسلية أو التنفيس عن هموم الشعراء، أو مجازاة الأقدمين، ولاسيما حين يصدر من شعراء عرفوا بوازعهم الديني على أن لا ننسى أثر العناصر الدخيلة التي اختلطت بالعرب من أتراك وروم وتتر، فضلاً عن انتشار تلك المجالس، وسوء الحالة الاقتصادية، التي أدت إلى تفكك المجتمع، وتعتيم النظرة إلى

القيم والأخلاق، وكذلك محاوله مجاراة الأقدمين في وصف تلك المجالس إذ نجد الحاجري يصف تلك المجالس وما فيها من شراب وغلمان وسقاة في قصيدة حاول فيها أن يحاكي، معلقة أمرئ القيس في الوزن والقافية والأسلوب وتوظيف المفردات القديمة، إذ يقول: (الطويل)

لأطيب (من ذكرى حبيب ومنزل
وصهباء كالمصباح في يد شادن
يطوف بها كالخيزرانة ساحر ال
فما العيش إلا بين حان وحانة
بسقط اللوى) دارُ بشرقي إربل
رقيق حواشي الخد عذب المُقبل
جُفون متى يلحظ بعينه يقتل
مع الراح لا(بين الدخول فحومل)⁽⁴⁰⁾

وكثيراً ما يحن الشعراء لتلك المجالس ولياليها ويشتاقون لذكرها، إذ نجد أبا الثناء بن أبي الوفاء الإربلي (كان حيا سنة 634هـ) يصف حنينه إلى تلك الليالي حين يعمد إلى ذكرها، وذكر صاحبها المسمى نيسان، فيقول: (الطويل)

ولما نزلنا عمكاباذ شاقنا
ذكرنا بها ليالات لهو حميدة
فياضيعة الأعمار إن كنت بعدها
زيارة نيسان وحانته الكبرى
تقضت مع الأحباب أكثرها شكرا
أعد زماني كله أبدا عمرا⁽⁴¹⁾

فهو يجد روح المرح والسرور والأنس في تلك المجالس .

2. مجالس الغناء والموسيقى: ارتبطت نشأة الشعر بالغناء والإيقاع، وقد شاعت مجالس الغناء منذ العصر العباسي، في طبقات المجتمع المختلفة . وعلى الرغم من صعوبة الحياة في تلك الحقبة، وحالة عدم الاستقرار التي عانى منها الشعراء، بسبب سوء الأوضاع الاقتصادية وكثرة التهديدات الخارجية التي ربما تدفع الناس إلى البحث عن وسائل ترويح لأنفسهم إلا أننا نجد أن هذا اللون من الشعر لم يشع كثيراً في تلك الحقبة، إذ انحسرت الأشعار في وصف المغنين والملحنين عند عدد من الشعراء، كقول عبد الله بن عمر الإربلي (643هـ-هـ) في وصف عواد أحسن في لحنه: (السريع)

ومُطرب تفهم أوتاره
كأنها رعدٌ ومن فوقها
الأسماع ما لا يفهم النطق
كفاه في تحريكها برق⁽⁴²⁾

إذ حاول أن يوظف مظاهر الطبيعة في مقطوعته، في إشارة إلى شدة صوت ذلك العود

ممارسات اجتماعية:

1. المراسلات: حاول الشعراء أن يعبروا عن شوقهم وحبهم لأصحابهم من خلال شعر المراسلات، تثبيتها لأواصر المحبة بينهم، ولما لهذه المراسلات من مكانة في نفس المرسل إليه، وتعكس عمق الصلة الحميمة بين الشعراء، ومن ذلك ما كتبه أبو الثناء بن أبي الوفاء الإربلي إلى عز الدين: (الطويل)

تحية من بالود منك كفيل
يُكَلِّفُ خَفَاقًا بِحَمَلِ سَلامه
مُقيمٌ بحفظ العهد ليس يحول
عملتُ ببحر الشوق حين يقول⁽⁴³⁾

2. التهاني: شاع هذا اللون في العصر العباسي والعصور التي سبقتة، إذ نجد الشعراء يتهافون على تهنئة الأصحاب أو تعزيتهم في رزية أمت بهم، وهذا السلوك نقي من شوائب الحياة لأنه يعكس شعوراً صادقاً تجاه الأحباب، كقول محمد بن أبي محمد الكفرعزي الإربلي (654هـ-هـ)، في صاحب له قد مرض ثم شفي، فحاول أن يعكس ثقافته التراثية في هذه القصيدة من خلال تضمينها شطراً للمتنبي، يهنئ به صاحبه بالشفاء وداعياً على أعدائه بالألم، فيقول: (البسيط)

الجود عوفي لَمَّا أن شفيت من ال
وعمم منك جميع الأولياء فدي
ألم والمجد والعلياء والكرم
والفضل والحلم والإحسان والنعم
وزال عنك إلى أعدائك الألم⁽⁴⁴⁾
فلا مرضت ولا زارتك حادثة

3. التعازي: وفيه يحاول الشاعر أن يهيئ نفسه لاستقبال الزخم النفسي المحمل باللوعة والفراق، حين يذرف الدموع المعبرة عن الألم والشجون، ولا سيما عند فقد الأحباب من الأقرباء والأصحاب، فتتشاكل ألفاظ الرحيل والبين والحزن مع إحساس الشاعر، وتتفاوت عاطفة الحزن حسب صلة الفقيد، حين يحاول الشاعر أن يخلع صور الحزن على شخصه من أعماق روحه.

وتتعاضم أحران الشعراء بفقدان الأصدقاء، فيبكي الشاعر نفسه مجسداً جزعه، وحزنه، على فقدان الصديق والخل الذي يؤنس وحشته، ولا سيما حين يترادف فقد الأصدقاء، إذ يعزي الشاعر بهاء الدين الإربلي نفسه حين رأى رحيل صديقيه عز الدين عبد العزيز بن جعفر، والخوaja نصير الدين الطوسي، ويحن إلى لقاءهما فيقول والأسى يعلو نفسه: (الطويل)

ولما قضى عبد العزيز بن جعفر وأردفه رزء النصير محمد
جزعتُ لفقدان الأخلاء وانبرت شؤوني كمرفض الجمان المبدد
وجاشت إلي النفس حزناً ولوعة فقلت: تعزى واصبري فكأن قد⁽⁴⁵⁾

ويقف ابن الخباز مذهولاً أمام فعل المنايا وهي تسخر من أمانى الناس بأن يعمروا، ويجد أن أحزانه بفقدان الأصدقاء لا تنقطع حين تنقطع أوصال الفكر حزناً وألماً بفقدهم، يقول: (الطويل)

تمنى بنو الدنيا بها أن يعمروا وإن المنايا من مناهم لتسخر
تدوركووس الموت في كل ليلة ويوم وتسقاها برغم فتكسر
أما في فناء الأصدقاء وفقدهم موارد أحزان لها الفكر مصدر⁽⁴⁶⁾

و نلمس في هذه الأبيات نسيجاً عاطفياً مؤلماً يجسد مواقف الحياة وآلامها، إذ حاول الشاعر أن يبث ما تنفته خلجات النفس بما تفسح جنباتها تعبيراً عن ألمها وحزنها تجاه الموت وجبروته.

الأعياد والمناسبات: سمت المعاني والقيم الأخلاقية والدينية في البلاد الإسلامية، بفعل التسامح والألفة التي لمسها المسلمون في الدين الحنيف، والأعياد الدينية تتميز بطابعها الخاص، ولاسيما عيد الأضحى المبارك، وعيد الفطر اللذان ارتبطا بسرور المسلمين وفرحتهم بعد أداء فريضة مهمة .

ولم يقتصر العيد عند الشعراء على النحر والفرحة، إنما اتخذ مناسبة للتهنئة والمدح والثناء للأمرء والوزراء والولاة، كقول أبي حامد الإربلي (654هـ) يمدح قاضي القضاة حجة الدين ، ويهنئه بعيد النحر : (الوافر)

لنا عيدان عيد حيث وافى قدومك للإله به سلام
وعيد النحر فأنحر للأعادي فحشو جسومهم خوفا يدوم⁽⁴⁷⁾

وبذلك غدت مناسبة العيد مسوغاً للشاعر لأن يشدق قريحته للمدح والولاء ووسيلة يحاول فيها أن يستدر عطاء الممدوح عن طريق الثناء عليه والإشارة إلى كرمه في هذا اليوم المبارك، كقول يونس بن سعيد الخراط يهنئ صاحب الوزير شرف الدين أبي البركات المستوفي الإربلي بالعيد : (الوافر)

بأيمن طالع عيئت يامن بطلعته يهنأ كل عيد
ولا زالت لك الأيام عوناً مساعفة على رغم الحسود
ولا برحت صلاتك واصلات تعم بها القريب مع البعيد
تعود كفك المعروف حتى غدا وعطاؤه فوق المزيد
إذا نحر العدا نعمة وشاء فضح ضحى بشأنك الحسود⁽⁴⁸⁾

ويشير شعر المناسبات إلى استجابة الشاعر لإحداث عصره عن طريق رصدها للتعبير فيها عن مشاعره، لكنها لم تكن عميقة المعاني ولم يحاول فيها الشعراء استلهاهم المعاني الإسلامية وحث الممدوح إلى الالتزام بها، إنما غدت وسيلة للمدح والتكسب عن طريق الثناء على الممدوح، والإشادة بكرمه وعطائه لذلك فقدت الكثير من قيمتها .

الدعابة والهزل والإلغاز : غدت البيئة سبباً مباشراً في شيوع هذا الفن في إربل في تلك الحقبة، حين أمست السخرية والدعابة والخلط بين الجد والهزل ضرباً من الشعر قد يعمد فيه الشاعر إلى العبث بشخص ما وإظهاره بصورة هزلية قصد التندر والظرافة، وقد وظف بعض الشعراء هذا اللون من الشعر من أجل التكسب حين مزج بين الجد والدعابة، ولاسيما قول سليمان بن مظفر الإربلي المؤدب، حين كتب إلى سعد الدين متنقلاً بين الجد والهزل، ومتأثراً بيئة الموصل الزاهية التي قضي فيها حقبة من الزمن حيث الطبيعة الزاهية ومجالس اللهو والشراب : (الطويل)

إلا قل لسعد الدين أسعده الله وحيأه من بين الأنام وأحيأه
وسلمه من كل خطب يسوؤه وأعطاه من دنياه ما يتمناه
عبيدك يامولاي قد جد جدّه وقد عضه الدهر الخؤون وعاداه
فجد بالذي يرجوه منك ولا ترق بردك يامولاي ماءً محيأه⁽⁴⁹⁾

إذ نلاحظ ميل الشعراء في هذا الفن إلى الأسلوب الطريف، والمفردة الشعبية القريبة من اللغة العامة، حتى تجد قريباً في نفس متلقيها. وربما تأثر بعض الشعراء بصناعته (فالمجتمع له تأثيره في نوع الاستجابة للفكاهة أو لموضوعها، مما يؤكد العلاقة الوثيقة بين الفكاهة

ومختلف الظواهر الاجتماعية) (50).

وتتفاوت استجابات الشعراء للفكاهة حسب الظواهر والتقاليد الاجتماعية السائدة مثل أبي البر الإربلي (608-هـ) الذي كان يصنع الألحان ويخترعها، فتأثر بهذه الصنعة ونظم شعراً طريفاً خفيفاً، إذ يقول: (مخلع البسيط)

ما لجنوني عليك راقبي قد بلغت روعي التراقي
وعيل صبري لطول هجري فليت شعري متى التلاقي؟
يامرضي بالصدود مهلاً فليس لي طاقة الفراق
أما ترى زفرتي وناري عليك في الحب واحترقي؟
فاطف لهيبي برشف فيك الـ عذب اللمى البارد المذاق
حسبك أني أفنيت كلّي وأن وجدي عليك باقي (51)

وهذه الأشعار تشير إلى أن روح الخفة والطرافة كانت سائدة في ذلك العصر، على الرغم من كثرة المحن والشدائد، إذ ربما يجد الشاعر في هذا اللون من الشعر متنفساً يذيق فيه بعض همومه كما أنه يعكس خفة روحه.

ويضاف إلى هذا اللون من الشعر شعر الألغاز والأحاجي، والذي يُنظم بحثاً عن الطرافة، وإضافة شيء من المرح في المجالس الاجتماعية، من ذلك قول أحمد الفقيه الحنفي الكفرعزي الإربلي (637-هـ) في الديك: (الطويل)

وما قائم في ليله مُتهجِّدٌ ويزني نهاراً والخلائق تشهدُ
ولاعقر في ذا الوطاء والحدّ ساقطٌ ولا غسل فيه كيف ذا الأمر يوجدُ
يبرُّ إذا ما كان طفلاً بأمه وتحنو عليه الأمُّ خوفاً وترعدُ
إذا ما أتى حولاً عليه يكن لها عقوقاً ويجفوها ملالاً ويحدُّ (52)

وتشير مثل هذه الأشعار إلى خفة دم هؤلاء الشعراء، ولاسيما أنها تنظم من فقيه عُرف بورعه وتقواه. ومثله قول ابن الخباز حين يلغز في اللحية: (الطويل)

وصاحبة مصحوبها لايملها إلى الموت يكسي جسمها ثوبي الدهر
يخاف إذا ما صارمته وأنه يرى هجر بعض إن أحب أبا بكر
تصاب بغسل إن أصيب ولم تكن لتغشى ويحيا الطهر إن كان ذا طهر (53)

وللشاعر إشعار كثيرة يلغز فيها الديك والدجاجة وغيرهما، وتشير سيرته إلى أنه سكن الموصل إلى حين وفاته، ولا يمكن أن نتجاهل أثر بيئة الموصل في شعره ومذهبه، لما عرف من ميل أهلها إلى مجالس المرح واللغو كما أشرنا سابقاً.

الشوق والحنين: قد تكمن أهمية الشعر في دلالاته الاجتماعية إذا ما تجاوزنا دلالاته الفنية، حين تتفاوت مستوياتها، ويصاحب الشوق والحنين بكاء الشاعر وأنيته، ولاسيما حين يهاجر عن وطنه ومرتع حبه فتزداد وطأه اليأس باللقاء، ومن ثم تزداد نغمات الحنين والشوق، ويشير د. إحسان عباس إلى أن كثرة أسماء الأماكن عند هؤلاء الشعراء تعبر عن القلق الذي يهزم نحو الاستقرار ونحو المكان أو الموطن الذي أحبه (54) كقول طه بن إبراهيم الإربلي حين سافر إلى الشام: (الكامل)

أذكرني الأوطان إن لذكرها أرجبا يشوق إلى الديار نفوسا
ذكرتنيها فاجتلبت بلابلي ونشرت من داء الغرام رسيسا
هي ما علمت منازل من الصبا تجلو البُودر بها علي شُموسا (55)

وقد يحن الشاعر لأيام الصبا، ويحن إلى أيام اللهو وتلك أمنية غير متحققة، أدرك حقيقتها في لحظات الجزع والحزن، كقول بهاء الدين الإربلي حين يحن لأيام الشباب: (الخفيف)

فطلابي رجوع ما فات من عصم سر الصبا والشباب عين المحال (56)

فأدرك هنا تلاشي الشباب، وذلك إحساس يؤذيه، فهذا الحنين إلى الماضي ما هو إلا محاولة للانعتاق من وطأه الحاضر.

كما أن الغزل لم يسلم من نزعة اليأس، والإحساس بالمرارة والمعاناة، التي قد تدفع الشاعر إلى الشعور بالوحدة النفسية وذلك لما في الغزل (من الاستبطان النفسي قدر ما كان فيه من فن الأداء والتعبير، وكان فيه من ترصد المشاعر الذاتية ما يؤكد أن الشاعر لم يكن فكراً ولا بسيطاً) (57) إذ إن استرواح العذاب، واستحلاء الألم أمر تنشده سعادة العاشق، فتظل تائفة إليه، إذ صور الشعراء الفراق والوداع والرحيل، وما يدور فيه وما يولده من شوق وحنين من خلال الإشارة إلى بكاء الحمام ومظاهر الطبيعة الحزينة وغيرها من الأمور التي وظفها الشاعر للتعبير عن نفسه، وبعض مواقف الحياة، ولا داعي لسردها فهي وفيرة أغنانا الباحثون عن ذكرها (58)

النصح والإرشاد:

إنَّ لظروف الحياة الاجتماعية والاقتصادية القاسية، فضلاً عن ميل الناس عامة لاحترام الزهاد وتوقيرهم والنظر إليهم بإكبار وإجلال⁽⁵⁹⁾، أثراً ساعد على اتساع موجة الزهد بين الشعراء، إذ وجد بعض الشعراء أنفسهم - وهم الذين عرفوا برهافة الحس ورقة الشعور- في عالم كئيب حين بدأوا يشكون هذا الواقع الأليم، فازدادت موجة الزهد، وزحف الوعظ والشعر الديني إلى أماكن لم يعرفها من قبل، ولست استبعد أن يكون بعض الحنين والألم في شعرهم مرده إلى الوعظ الصوفي، فضلاً عن طبيعة الإنسان العراقي الميالة إلى الحزن والطرب في الغناء الحزين الذي يثير شعوراً نحو أمل ضائع، أو حبيب ليس إلى لقاءه من سبيل .

لذلك نجد أن بعض الشعراء اخذ يتزياً بزبي الصوفية ويحاكي شعره الحب الإلهي بعد ما عُرف عنه من مجون وخلاعة، كالحاجري الذي دفعته مأساة السجن إلى السعي في طريق الصوفية، وأخذ يحن في شعره إلى الديار الحجازية ومدح الرسول صلى الله عليه وسلم، كما استوطنت الحكمة نفسه وجعل شعره مواعظ يقنع النفس بها، إذ يقول في سجنه: (البيسط)

من شيممة الدهر إعراض وإقبال
وكل شيء وإن اعياء له أجل
بيننا تكون منون الخطب نازلة
للشامتين بنا يوم نصول به
فما يدوم على حالاته الحال
يُقضَى عليه كما للناس آجال
تلقى الرجال، تراها وهي فُقال
عليهم بالأمانى مثل ما صالوا⁽⁶⁰⁾

في حين يتأثر غير بصنعتة، إذ نجد (سليمان بن المظفر الإربلي) المعلم يلتزم الحكمة والموعظة في شعره، لأنه كان مؤدباً للصبيان ، إذ يقول (البيسط)

قالوا المشيبُ نذير الموت قلت لهم
وكم رأينا فتى السن قد علقت
كم من صغير قضى نحباً وما شابا
به شعوبٌ، وشيخاً عاش أحقاباً⁽⁶¹⁾

وفي قوله هذا دعوة إلى مخافة الله والتزام أوامره في كل وقت وحين، لذلك يدعو الشعراء إلى الوعظ وطلب المغفرة، والسعي إلى العمل الصالح وأخذ العبرة من الشيب والزمن، إذ يقول يوسف الكفر عزي الإربلي: (البيسط)

ياراكباً في بحار الظلم ملتحفاً
افعالك السود ناسبت الشباب بها
غى الشباب وقد غمّت غياهبه
وابيض فودك فافعل ما يناسبه
إن النظارة قد ولت نظائرها
وأقبل الشيب تغزونا كتائبه⁽⁶²⁾

وعلت دعوات النصح والإرشاد، ودعوة الناس إلى أخذ العبرة وتجاهل السفهاء، لتجنب أثرهم في سلوك ذوي الحجى، إذ يقول علي بن أبي القاسم المحرزي الإربلي (621-هـ): (الكامل)

احذر مصاحبة السفيه فإنها
ما ينفع الجرباء قرب صحيحة
تعدى كما يعدي الصحيح الأجر
منها ولكن الصحيحة تجرب⁽⁶³⁾

إنَّ توظيف بعض المصطلحات المقتبسة من الواقع الاجتماعي، تعكس اهتمام الشعراء وتأثرهم بالظاهرة الاجتماعية التي تحمل عمق كيانهم، ذلك أن الفنان يستمد قيمه من تراثه والواقع الذي يعيش فيه، كونهما منبع الإلهام الفني الذي بنى الشاعر منه واقعه بعد أن وظف الأصل ليحقق منه عملاً فنياً يعبر عن غاية مثالية خيالية، تعتمد رؤية الشاعر الخاصة بالإبداع، بوصفه استجابة ذاتية لحافز موضوعي أو تراثاً مخزوناً في ذاكرته.

لذلك نجد أن الشاعر المحرزي الإربلي اقترب من هموم مجتمعه مما يؤكد انتمائه الطبقي الذي يحدد رؤيته للأزمة التي يعيشها الناس، مؤكداً على التأثير المتبادل بين الواقع والأدب، فتنوعت مفاهيم الشعراء حسب استجابتهم للواقع وانتماءهم الطبقي، وتعددت مناظيرهم لمعالجة مشاكل المجتمع، حسب تأثرهم بالواقع الاجتماعي، فكان الفرق بينهم في رؤية كل منهم لصورة إربل والواقع الاجتماعي في ذلك القرن.

الهوامش:

1. فن المقامات بين المشرق والغرب، د- يوسف نور عوض ، منشورات مكتبة الطالب الجامعي ، مكة المكرمة ، ط 2 ، 1406 هـ - 1986 م ، ص 18 .
2. ينظر إربل في العهد الأتابكي - محسن محمد حسين - مطبعة أسعد - بغداد ، 1976 م ، ص 7 وما بعدها .
3. ينظر الشعر في إربل في ظل الأسرة البكتكية، د- ناظم رشيد مجلة آداب الرافدين - كلية الآداب - جامعة الموصل - العدد 9 ، 1978 م ، ص 385 ، وللمزيد عن إربل ينظر تاريخ إربل المسمى نباهة البلد الخامل بمن ورد من الأمثال - تأليف شرف الدين الإربلي بن المستوفي ص 52-20.

4. الشعر كيف نفهمه ونتذوقه - اليزابيث دور ترجمة محمد إبراهيم الشوش، مطبعة عيناني الجديدة - بيروت، ص 25.
5. قلائد الجمان - لابن الشعار الموصلي - تحقيق كامل سليمان الجبوري. دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 2005م، مج 1، ج 1، ص 150، والشاعر هو إبراهيم بن المظفر أبو إسحاق بن أبي العز المستوفي الإربلي ولد سنة 591هـ من بيت جليل في إربل في الرناسة، حفظ القرآن، ويحفظ الشعر، تولى التصرف لأمرأه إربل، ينظر المصدر نفسه ص 152-150.
6. ديوان ابن الظهر الإربلي - تحقيق د- عبد الرازق الحويزي، مكتبة الآداب - القاهرة، ط 1، 2006م، ص 65، والشاعر هو محمد بن أحمد بن عمر الإربلي الملقب بمجد الدين من إعلام الفكر العربي، كان ديناً فاضلاً له يد طولى في الأدب والنحو، ولد سنة 602هـ، هاجر إلى دمشق وتوفي فيها سنة 677هـ، ينظر م. ن ص 2014.
7. قلائد الجمان مج 4 / ج 5 ص 255، والشاعر هو عمر بن إبراهيم أبو حفص الإربلي ينعت بالخال ولد سنة 590هـ خدم جندياً للأمرأه، يلحن في انشاد الشعر، أشعاره مطبوعة خفيفة غير متكلفة.
8. تالي كتاب وفيات الأعيان - فضل الله بن أبي الفخري الصقاعي، تحقيق جاكليين سويله - دمشق 1/127
9. نقد الشعر في المنظور - النفسي، د. ريكان إبراهيم، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1988، ص 136.
10. ديوان الحاجري، دراسة وتحقيق صاحب شنون الزبيدي (رسالة ماجستير) كلية الآداب - جامعة بغداد 1988م، ص 363 والشاعر هو حسام الدين عيسى بن سنجر بن جبريل الإربلي ولد سنة 582هـ في إربل، تلقى علوم القرآن واللغة والأدب ثم رحل إلى الموصل ثم عاد إلى إربل توفي في سنة 632هـ، ينظر المصدر نفسه ص 30-25.
11. المصدر نفسه: ص 373-374 وينظر ص 367، 369، 376، 378.
12. ينظر نقد الشعر في المنظور النفسي ص 138.
13. قلائد الجمان مج 3، ج 4 ص 288، والشاعر هو علي بن شماس بن هبة الله بن أبي الفضل الإربلي المولد والمنشأ، له رتبة ومكانة رفيعة، سجن حتى مات محبوساً سنة 622هـ، ينظر م. ن ص 288.
14. شعر السجون في العصر العباسي حتى نهاية القرن الرابع الهجري هادي سدخ أصغير، رسالة ماجستير - كلية الآداب - الجامعة المستنصرية، 1996م، ص 230.
15. قلائد الجمان مج 1، ج 1، ص 361، والشاعر هو إسحاق بن معالي بن شماس بن هبة الله الإربلي عالم بأيام العرب، سجن ومات في السجن سنة 617هـ، ينظر المصدر نفسه ص 160 - 162.
16. القلق والاعتراب في الشعر العربي قبل الإسلام، عمر محمد الطالب، دار عكاظ المغرب، 1988م، ص 98.
17. قلائد الجمان مج 1 / ج 1 ص 362.
18. الأنثروبولوجيا النفسية، د- قيس النوري - دار الحكمة للطباعة والنشر - جامعة بغداد، 199، ص 292.
19. ينظر الاعتراب في الشعر الجاهلي - أحمد صالح الزعبي، أطروحة دكتوراه كلية الآداب - الجامعة المستنصرية 2004م، ص 71.
20. قلائد الجمان مج 1، ج 1، ص 131، الندس: الفهم الكيس، والشاعر هو إبراهيم بن عمر أبو إسحاق المعروف بابن البورياني الخطيب، تولى
- الخطابة في قرية شهر كرد، ذو قريحه سليمة في الشعر من حفظة القرآن، ينظر م ن ص 130.
21. ديوان ابن الظهير الإربلي ص 82-77، وينظر ديوان الحاجري ص 63.
22. قلائد الجمان مج 2 / ج 3 ص 75، والشاعر هو سليمان بن جبرائيل بن عاصم أبو حامد العقيلي الإربلي الفقيه الملقب بالجعل؛ لأنه كان شديد سمرة اللون، سافر إلى خراسان ثم عاد إلى إربل وصار مدرساً للشافعية فيها، ينظر م. ن ص 74 - 75.
23. مشكلة الإنسان - زكريا إبراهيم - مكتبة مصر، القاهرة، 1970م، ص 76.
24. ديوان النشابي - دراسة وتحقيق عبد الله محمود طه، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الموصل، 1985، ص 326، الشاعر هو أسعد بن إبراهيم أبو المجد مجد الدين النشابي الإربلي توفي سن 657هـ.
25. ديوان صاحب بهاء الدين الإربلي، تحقيق كامل سلمان الجبوري، مجلة الذخائر، ع 6، 7، 2001، ص 57، والشاعر هو بهاء الدين عيسى الإربلي من الصدور الأمائل تولى كتابة الإنشاء وناظر أوقاف بغداد، له مؤلفات كثيرة توفي سنة (692هـ) ينظر فوات الوفيات محمد بن شاکر الكتبي، فوات الوفيات، تحقيق د- إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1974م 59 / 3/57.
26. قلائد الجمان مج 8، ج 10 ص 306، والشاعر هو يوسف بن نفيس بن أبي الفضل بن أبي المعالي المرلي، من أهل إربل ولد سنة 586هـ، كان ينظم في الهزل والعامية وينظم ما يشاء من غير فكر ولا روية رحل إلى الموصل، توفي سنة 638هـ.
27. المصدر نفسه ص 306.
28. المصدر نفسه مج 1 / ج 1 ص 362، والشاعر هو إسحاق بن المعالي بن شماس أبو إبراهيم الإربلي، كان عالماً بأيام العرب وأشعارها، خبيراً بلغتها وأخبارها، توفي في السجن سنة 617هـ.
29. المصدر نفسه مج 6 / ج 7 ص 57، والشاعر هو محمد بن أحمد عمر أبو عبد الله الإربلي الكفر حري ولد بإربل سنة 602هـ، من فتيان إربل اعتنى بقول الشعر، يجيد معانيه في الهجاء توفي سنة 697هـ.
30. المصدر نفسه مج 1، ج 1، ص 157، وينظر الحوادث الجامعة لابن الفوطي ص 415.
31. المصدر نفسه مج 6 / ج 7 ص 57، ينظر مج 3، ج 4 ص 11.
32. ينظر مشكلة الحياة -: زكريا إبراهيم - دار مكتبة مصر للطباعة، الفجالة، ص 133.
33. العمدة - لابن رشيقي القيرواني - تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد مطبعة السعادة - مصر، ط 3، 1963، 2 / 174.
34. قلائد الجمان مج 3 / ج 4 ص 214، وينظر مج 2 / ج 3 ص 126 والشاعر هو عثمان بن إبراهيم بن علي الرصاصي الإربلي، كان مداحاً وهجاءً تنقل بين المدن، وعاد إلى إربل ينقش سكك الدنانير إلى أن توفي سنة 632هـ.
35. الفكر طبيعته وتطوره - نوري جعفر، منشورات مكتبة التحرير - بغداد، ط 1، 1977م، ص 255.
36. دراسات في الشعر الجاهلي، نوري حمودي القيسي - جامعة بغداد، 1972م، ص 113.

37. قلائد الجمال مج 8 / ج 10 ، ص 325 - 326 ، والشاعر هو يونس بن سعيد بن عيسى ابن أبي الخير الخراط الإربلي ، كان من أهل القرآن والفضل، رجلاً خيراً متديناً استشهد بإربل سنة 634 هـ .
38. المصدر نفسه مج 2 / ج 3، ص 68. وينظر فوات الوفيات 4 / 181.
39. نقد الشعر- قدامه بن جعفر، تحقيق د-محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية - بيروت، د. ط. د. ت، ص 109.
40. ديوان الحاجري 313-314.
41. قلائد الجمال مج 1 / ج 1 ص 275، والشاعر هو احمد بن قرطايا، أبو الثناء بن أبي الوفاء الإربلي ولد سنة 598 هـ كان جيد القول حسن الحظ يعرف علم النجوم ، سافر نحو حلب ثم عاد إلى بغداد إذ عمل ديوان المستنصر وأكرمه غاية الإكرام.
42. المصدر نفسه مج 2 / ج 3 ص 225، والشاعر هو عبد الله بن عمر بن صالح أبو محمد الإربلي، ولد سنة 576 هـ، من أبناء المتصرفين والحساب والمساحة توفي بإربل سنة 634 هـ، ينظر م. ن ص 223 - 225.
43. المصدر نفسه مج 1 / ج 1 ص 274، والشاعر هو محمد بن جعفر بن محمد بن هبة الله الكفرعزي الإربلي ولد سنة 584 هـ، تولى كتابة الإنشاء لدولة الملك كوكبوري بن بكتكين سنة 629 هـ .
44. المصدر نفسه مج 6 / ج 7 ص 69.
45. ديوان الصاحب بهاء الدين الإربلي ص 53.
46. قلائد الجمال مج 1 / ج 1 ص 262، والشاعر هو أحمد بن الحسين بن أبي المعالي المعروف بابن الخبان، حفظ القرآن وتردد إلى علماء الموصل، شاعر جيد توفي سنة 639 هـ ينظر المصدر نفسه ص 253.
47. المصدر نفسه مج 2 / ج 3 ص 304، والشاعر هو عبد الرحمن بن محمود بن بختيار أبو حامد الكاتب الإربلي، تفقه على مذهب الإمام الشافعي نشأ في الموصل هاجر إلى حلب.
48. المصدر نفسه مج 8 / ج 10 ص 325 وينظر، فوات الوفيات 5 / 79.
49. المصدر نفسه مج 2 / ج 3 ص 79، وينظر ص 39.
50. الفكاكة الأندلسية، د-حسين خرويش، منشورات جامعة اليرموك - الأردن ، 1982 ، ص 8 .
51. قلائد الجمال مج 2 / ج 3 ص 125 وينظر ص 127، والشاعر هو صدقة بن محمد بن علي الملحق أبو البر الإربلي، كان يصنع الألحان ويخترعها، ويصنع أقوالاً يأخذها عنه أهل الطرب ويغني، بها توفي سنة 608 هـ، ينظر م. ن ص 25 - 126.
52. المصدر نفسه مج 1 / ج 1 ص 293 ، عُقر : صدق ، والشاعر هو أحمد عمر بن أحمد الحنفي الكفرعزي، سمع الحديث والفقه بإربل، ثم درس فيها ولد سنة 567 هـ وتوفي سنة 637 هـ .
53. المصدر نفسه مج 1 / ج 1 ص 262 وينظر ص 263 ، 265 ، مج 4 / ج 5 ص 253.
54. ينظر ديوان القتال الكلابي ص 26.
55. قلائد الجمال مج 2 / ج 3 ص 166.
56. فوات الوفيات 3 / 57.
57. آثار التجربة الحياتية في الإبداع الأدبي - عبد الكريم غلاب، مجلة الأكاديمية - العدد 9 ، 1992 م، ص 104.
58. ينظر مثلاً كتاب الاغتراب في الشعر العربي في القرن السابع الهجري ص 118 وديوان الحاجري ص 246 ، 157 ، 217، فوات الوفيات 2 / 58.
59. ينظر تلبيس إبليس - لأبي الفرج ابن الجوزي - مطبعة النهضة، مصر 1970 ص 166.
60. ديوان الحاجري ص 368 ، ينظر ص 265 ، 476 .
61. قلائد الجمال مج 2 / ج 3 ص 79.
62. المصدر نفسه مج 8 / ج 10 ص 309.
63. المصدر نفسه مج 4 / ج 5 ص 104.

المصادر والمراجع:

أولاً- المراجع العربية:

1. ابن رشيقي القيرواني (456-هـ) العمدة، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، ط 3 ، 1963 م.
2. ابن الشعار الموصلية (654-هـ) - قلائد الجمال ، تحقيق كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1 ، 2005 م .
3. ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، صححه وعلق عليه مصطفى جواد، مطبعة الفرات ، بغداد 1351 هـ .
4. أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي (597- هـ) تلبيس إبليس، مطبعة النهضة، مصر، 1925 م.
5. أحمد علي إبراهيم الفلاح (الدكتور)، الاغتراب في الشعر العربي في القرن السابع الهجري - دراسة اجتماعية نفسية، دار غيداء للطباعة والنشر، عمان، الأردن 2013 م.
6. اليزابيث دور، الشعر كيف نفهمه ونتذوقه، ترجمة محمد إبراهيم الشوش، مطبعة عيناني الجديدة، بيروت ، 1961 م .
7. حسين خرويش (الدكتور)، الفكاكة الأندلسية، منشورات جامعة اليرموك، الأردن، 1982 م .
8. ابن الظهير الإربلي (ديوان)، تحقيق، د. عبد الرازق الحويزي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط 1 ، 2006 م.
9. القتال الكلابي (ديوان)، دار صادر، بيروت، د. ط. د. ت.
10. ريكان إبراهيم (الدكتور)، نقد الشعر في المنظور النفسي، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1988 م .
11. زكريا إبراهيم، مشكلة الإنسان، مكتبة مصر، القاهرة ، 1970 م.
12. زكريا إبراهيم، مشكلة الحياة، دار مكتبة مصر للطباعة، الفجالة، د. ت. د. ط .
13. شرف الدين الإربلي بن المستوفي -تاريخ إربل المسمى نباهة البلد الخامل بمن ورد من الأمثال، تحقيق سامي بن السيد سامي الصقار، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1980.
14. عمر محمد الطالبي، القلق والاغتراب في الشعر العربي قبل الإسلام، دار عكاظ، المغرب 1988 م.
15. فضل الله بن أبي الفخري الصقاعي، تالي كتاب وفيات الأعيان، تحقيق جاكليين سوبله، دمشق 1974
16. قدامه بن جعفر، نقد الشعر، تحقيق د. محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب

العلمية، بيروت. د. ط. د. ت.

17. قيس النوري (الدكتور) الأنثروبولوجيا النفسية، دار الحكمة للطباعة والنشر، جامعة بغداد، 1990م
18. محسن محمد حسين، إربل في العهد الأتابكي، مطبعة أسعد، بغداد، 1976م
19. محمد بن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، تحقيق د-إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1974م.
20. نوري جعفر، الفكر طبيعته وتطوره، منشورات مكتبة التحرير، بغداد. ط1، 1977م
21. نوري حمودي القيسي، دراسات في الشعر الجاهلي، جامعه بغداد، 1972م
22. يوسف نور عوض (الدكتور)، فن المقامات بين المشرق والمغرب، منشورات مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، ط2، 1406هـ-1986م.

ثانياً الرسائل والأطاريح:

1. أحمد صالح الزغبى - الاغتراب في الشعر الجاهلي - أطروحة دكتوراه - كلية الآداب - الجامعة المستنصرية 2004م .
2. الحاجري (ديوان) - تحقيق صاحب شئون الزبيدي، رسالة ماجستير - كلية الآداب - جامعة بغداد، 1988م.
3. النشابي (ديوان) - دراسة وتحقيق عبد الله محمود طه، رسالة ماجستير - كلية الآداب. جامعة الموصل 1985م.
4. هادي سدخ أصغير، شعر السجون في العصر العباسي حتى نهاية القرن الرابع هجري، رسالة ماجستير، كلية الآداب - الجامعة المستنصرية 1996م.

ثالثاً الدوريات:

1. صاحب بهاء الدين الإربلي (ديوان)، تحقيق كامل سلمان الجبوري، مجلة الذخائر، العدد (6،7)، 2001م.
2. عبد الكريم غلاب. آثار التجربة الحياتية في الإبداع الأدبي، مجلة الأكاديمية - بغداد، ال عدد9، 1992.
3. ناظم رشيد (الدكتور)، الشعر في إربل في ظل الأسرة البكتكية، مجلة آداب الرافدين، كلية الآداب جامعة الموصل، العدد 9، 1978م .

نداءات يوم القيامة في ضوء القرآن الكريم*

أ. حمزة عبد الله سعادة شواهنة**

terrifying and intimidation images of this day and the reports of how much the issue is great. There is no doubt that the society in makkah is in need for this more than the society in Madina because most people in those days were denying of resurrection after death.

And through the study of calls of the day of judgment through the Quran we feel the main aim of Koran mentioning these calls is to encourage to multiply good deeds and get ready to Hereafter, and hold accountable ourselves before we are made accountable in the Doomsday.

Key words: Quran, explaining, objective explaining, call, resurrection

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين، وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد....

فإنه مما لا شك فيه أن كل مسلم تتوق نفسه إلى أن يبحث في الكتاب العزيز، وأن يكتشف ولو جزءاً يسيراً من كنوزه المخبوءة في ثنايا موضوعات القرآن الكريم المتعددة.

ومن المعلوم أن موضوعات القرآن الكريم كلها بالغة الأهمية، وهي كفيلة بتحقيق السعادة للإنسان في الدنيا والآخرة؛ وذلك أن القرآن الكريم إنما جاء ليكون دستوراً ومنهاجاً للإنسان.

ومن بين هذه الموضوعات القرآنية الجليلة (مصطلح النداء) ، ولا ريب في أن موضوع النداء القرآني ذو أهمية بالغة، ولأهمية أسلوب النداء وجلالة شأنه فقد اهتم به القرآن المجيد اهتماماً واضحاً، حتى إن القارئ في كتاب الله لا يكاد يمر على بعض الصفحات دون أن يجد نوعاً من أنواع النداءات الإلهية؛ ليأمر عباده بما ينفعهم، وينهاهم عما يضرهم؛ ذلك أن النداء الإلهي جدير بأن يجذب الانتباه؛ قال عبد الله بن مسعود: «إذا سمعت الله يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، (1) فَأَرَعَهَا سَمْعَكَ؛ فَإِنَّهُ خَيْرٌ يَأْمُرُ بِهِ، أَوْ شَرٌّ يَنْهَى عَنْهُ» (2).

ومن النداءات الربانية في القرآن الكريم التي لها مكانة بارزة: نداءات يوم القيامة، والحديث عن يوم القيامة ذو أهمية بالغة؛ إذ الإيمان به أحد أركان الإيمان، لا يتم إيمان عبد إلا به، قال عز وجل: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ (3)، ومما يزيد أهمية الحديث عن القيامة في الوقت الحاضر؛ أن كثيراً من المسلمين ابتلوا بطغيان المادة على حياتهم، وإيثار الدنيا على الآخرة، والغفلة عن عبادة مولاهم، قال الله تعالى: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ (4) مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿لَاهِيَةً قُلُوبِهِمْ﴾ (4) ولذا فإنه قد كثر في القرآن الكريم تحذير الخلق من الساعة، والأمر بالاستعداد لها بالإيمان والتقوى، قال الله تعالى: ﴿وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْأَنْزَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطْمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ (5).

وقد سمى الله تعالى يوم القيامة بيوم التناد، حيث قال الله تعالى حاكياً نصيحة مؤمن آل فرعون لقومه: ﴿وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ

ملخص

يقوم هذا البحث على دراسة نداءات يوم القيامة في القرآن الكريم، وذلك من خلال استقراء الآيات التي تضمنت صيغ النداء الواقع يوم القيامة وتحليلها وفق منهجية التفسير الموضوعي.

ومن المعلوم أن للنداء القرآني أهمية بالغة، لذلك أخذ حيزاً كبيراً من القرآن الكريم، ومما يميز هذا البحث أنه عرض موضوعاً من موضوعات النداء القرآني التي لم يكتب فيها بشكل مستقل سواء على شكل رسالة جامعة أم على شكل كتاب مطبوع، ومن ثم فقد أسهم هذا البحث بإضافة ما هو جديد وهام إلى ساحة الدراسات القرآنية الموضوعية.

وقد تبين للباحث أن أكثر السور التي وردت فيها نداءات يوم القيامة هي سور مكية، حيث وردت مشتقات هذا الموضوع في سبع سور مكية وسورة مدنية واحدة، ولعل الحكمة من ذلك ما يحتويه ذلك النداء من الترهيب بتلك المشاهد المفزعة، والإنباء عن عظم الخطب، ولا ريب أن المجتمع المكي أحوج إلى ذلك من المجتمع المدني؛ وذلك لأن جُل الناس يومئذ كانوا منكرين لقضية البعث بعد الموت.

ومن خلال دراسة نداءات يوم القيامة في ضوء القرآن الكريم، فإننا نلمس أن الغرض الأكبر من ذكر القرآن الكريم لها هو الحث على الإكثار من الأعمال الصالحة، والاستعداد للقدوم على الدار الآخرة، ومحاسبة أنفسنا قبل أن نحاسب في يوم الحساب.

الكلمات المفتاحية: القرآن، التفسير، التفسير الموضوعي، النداء، القيامة.

«Calls of Judgment Day in the light of Holy Quran»

Abstract

This research based on studying the calls of the day of Resurrection in the Quran through extrapolation of verses which include one of forms of appeals of the day of judgment and analyze them based on the objective explaining method.

It is known that the Quran call has a big importance. So it occupies a huge part the Holy Quran. However, what distinguished this research is that it explains one form of the different kinds of the Quran call, which was not discussed before independently or being tackled in a research or being the topic of a book. This research contributed in adding a new topic to the Quranic objective studies.

The researcher shows that most surahs of the Quran which include the calls of the Day of Judgment are makkyah surahs and the derivation of this topic in seven makkyah surahs and one Madanyah surah. The reason for this may be what the call contains of

المطلب الثاني: تسمية يوم القيامة بيوم التناد:

قال الله تعالى حاكياً نصيحة مؤمن آل فرعون قومه: ﴿وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ﴾ (32) ﴿14﴾ وأجمع المفسرون على أن يوم التناد يوم القيامة. (15)

وقد قرأ ابن كثير وورش (التنادي) بإثبات الياء في الوصل، وابن كثير أثبتها في الوقف، وحذفها الباقون في الحالين. (16)

ويقول الطبري: «والصواب من القراءة في ذلك عندنا ما عليه قرء الأمصار، وهو تخفيف الدال وبغير إثبات الياء، وذلك أن ذلك هو القراءة التي عليها الحجة مجمعة من قرء الأمصار، وغير جائز خلافها فيما جاءت به نقلاً. فإذا كان ذلك هو الصواب، فمعني الكلام: ويا قوم إني أخاف عليكم يوم ينادي الناس بعضهم بعضاً، إمّا من هول ما قد عاينوا من عظيم سلطان الله، وفظاعة ما غشيه من كرب ذلك اليوم، وإمّا لتذكير بعضهم بعضاً بإنجاز الله إياهم الوعد الذي وعدهم في الدنيا، واستغاثة من بعضهم ببعض، مما لقي من عظيم البلاء فيه». (17)

ويترجح أن كلا القراءتين متواترة وصحيحة.

وسمي يوم القيامة بيوم التناد؛ لكثرة النداءات والصرخات فيه، ويبين صاحب الظلال سرّ التعبير القرآني عن يوم القيامة بيوم التناد بقوله: «وتسميته «يوم التناد» تلقى عليه ظل التصايح وتناوح الأصوات من هنا ومن هناك، وتصوير يوم زحام وخصام. وتتفق كذلك مع قول الرجل المؤمن: ﴿يَوْمَ تُولُونُ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾ (18)، (19)

ومن تلك الوجوه التي وردت في سبب تسمية يوم القيامة بهذا الاسم: (20)

◆ الأول: أن أهل النار ينادون أهل الجنة، وأهل الجنة ينادون أهل النار، كما ذكر الله تعالى عنهم في سورة الأعراف، (21) وهذا قول قتادة، وعليه فهذا النداء الوحيد المشترك بين الفريقين يوم القيامة في القرآن الكريم.

◆ الثاني: قال الزجاج: لا يبعد أن يكون السبب فيه قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾.

◆ الثالث: أنه ينادي بعض الظالمين بعضاً بالويل والثبور فيقولون: ﴿يَا وَيْلَنَا﴾. (22)

◆ الرابع: ينادون إلى المحشر، أي: يُدعون.

◆ الخامس: ينادي المؤمن: ﴿هَآؤُمْ أَقْرَأُوا كِتَابِيَهٗ﴾. (23)

◆ السادس: ينادى باللعنة على الظالمين. (24)

◆ السابع: يجاء بالموت على صورة كبش أملح، ثم يُذبح وينادى: (يا أهل القيامة لا موت)، فيزداد أهل الجنة فرحاً على فرحهم، وأهل النار حزناً على حزنهم.

ويرى ابن عطية: أنه يحتمل أن يراد التذكير بكل نداء في القيامة فيه مشقة على الكفار والعصاة. (25)

والراجح أنه لا مانع من الحمل على جميع هذه المعاني السابقة، وعليه فإن تلك النداءات كلها ستقع في ذلك اليوم العظيم، ومن اختار هذا القول البغوي، (26) والشوكاني، (27) وغيرهم، ويؤكد

عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ (32) ﴿6﴾ وقد سمي بذلك؛ لكثرة النداءات التي تحصل فيه، ولا شك في أن تلك النداءات تهزّ الجبال الراسيات، فكيف بقلب المؤمن؟! ومن تلك النداءات: نداء خلق الله، ونداء أصحاب الجنة أصحاب النار، ونداء أصحاب النار أصحاب الجنة، ونداء أصحاب الأعراف على كلا الفريقين وغير ذلك، قال ابن عاشور: «سُمي يوم التناد؛ لأن الخلق يتنادون يومئذ: فمن مستشفع ومن متضرع ومن مسلم ومهنئ ومن موبخ ومن معتذر ومن أمر ومن مُعلن بالطاعة». (7)

وفي هذا البحث سأستعرض نداءات يوم القيامة، وذلك من خلال استقراء الآيات التي تضمنت إحدى صيغ النداء الذي يقع يوم القيامة وتحليلها.

وقد ارتأيت أن أقسم هذا البحث إلى ثلاثة مباحث، ففي المبحث الأول: كان الكلام عن معنى النداء، ثم بينت في المبحث الثاني نداءات يوم القيامة في السياق القرآني، ثم ختمت هذا البحث باستعراض نداءات يوم القيامة في القرآن الكريم.

وأساله جل جلاله أن يجعلنا ممن ينادى يوم القيامة من بين أهل السعادة، إنه سميع قريب مجيب.

المبحث الأول

المقصود بندااء يوم القيامة وصيغته

سأبين في هذا المبحث المقصود من النداء يوم القيامة، من خلال تأصيل المعنى اللغوي والاصطلاحي لهذا المصطلح، ثم سأعرج على سبب تسمية يوم القيامة بيوم التناد، وأختم بذكر الصيغ التي ورد بها هذا النداء.

المطلب الأول: معنى النداء

أولاً: النداء في اللغة والاصطلاح

«النداء: مصدر ناديته مناداةً ونداءً... والنداء: نداء الصوّت، وهو بُعد مداه». (8)

وعرّف أبو حيّان النداء بأنه: «دعاء الشخص باسمه العلم أو بنوعه أو بوصفه». (9)

ويقول صاحب (الكليات): «النداء هو: إحضار الغائب، وتنبيه الحاضر، وتوجيه المعرض، وتفريغ المشغول، وتهييج الفارغ. وهو في الصناعة: تصويتك بمن تريد إقباله عليك لتخاطبه». (10)

ثانياً: معنى القيامة

القيامة في اللغة «أصله مصدر قام الخلق من قبورهم قيامة» (11) ودخلها التأنيث للمبالغة على عادة العرب، وسُميت بذلك؛ لما يقوم فيها من الأمور العظام التي بينتها النصوص، ومن ذلك قيام الناس لرب العالمين. (12)

ويوم القيامة معروف وهو: يوم بعث الخلائق للحساب، وقامت قيامته: مات. (13)

ثالثاً: معنى نداء يوم القيامة

والمقصود بندااءات يوم القيامة في هذا البحث تلك الآيات التي تضمنت الحديث عن النداءات التي تحصل في ذلك اليوم العصيب، واشتملت على إحدى صيغ لفظ النداء.

النداء قوله تعالى: ﴿فَأَذِّنْ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (33)، (34) والمعنى: نادى منادٍ وسطهم نداءً يُسمع الفريقين. (35)

ونُكر المؤذّن: لأن معرفته غير مقصودة بل المقصود الإعلام بما يكون يوم القيامة من الأحكام، (36) وبالتالي يحتمل أن يكون هذا المؤذّن مالك - خازن النار - أو ملك آخر غيره. (37)

ثالثاً: الدعاء

وردت كلمة (الدعاء) في القرآن الكريم في القرآن الكريم على اختلاف صيغها واشتقاقاتها مائتين وعشر مرات، (38) ومن تلك المعاني النداء، ومن النصوص القرآنية التي ورد فيها لفظ (الدعاء) بمعنى النداء قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُّكِرٍ﴾، (39) يقول الزحيلي: «يوم يدع الداع: يوم ينادي إسرافيل». (40)

المبحث الثاني

نداءات يوم القيامة في السياق القرآني

أولاً: عرض (نداءات يوم القيامة) في القرآن الكريم

وردت نداءات يوم القيامة في القرآن الكريم على اختلاف الصيغ والاشتقاقات ست عشرة مرة، وفيما يأتي عرض لهذه النداءات، مرتبة حسب ترتيب التلاوة، بالإضافة إلى بيان اسم السورة، وكونها مكّية أو مدنيّة، مع ذكر المنادي والمنادى، وذلك على النحو الآتي: (41)

هذا العموم ابن عاشور فيقول: «سُمي يوم التناد: لأن الخلق يتنادون يومئذ: فمن مستشفع ومن متضرع ومن مسلم ومهنىء ومن موبخ ومن معتذر ومن أمر ومن معلن بالطاعة». (28)

المطلب الثالث: صيغ نداءات يوم القيامة في القرآن الكريم

من خلال تتبعي للألفاظ التي وردت في كتاب الله الكريم، وتحمل في طياتها معنى نداءات يوم القيامة، تبين أنها ثلاثة ألفاظ هي:

أولاً: الصراخ

ورد الصراخ بمعنى النداء مرتين في القرآن الكريم، ومنها قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِّخُونَ فِيهَا رَبِّنا أَخْرِجْنا نَعْمَلْ صالِحاً غَيْرَ الَّذِي كُنّا نَعْمَلُ﴾، (29) وقوله: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِّخُونَ فِيها﴾ أي: (ينادون فيها، يجأرون إلى الله عز وجل بأصواتهم: رَبِّنا أَخْرِجْنا نَعْمَلْ صالِحاً غَيْرَ الَّذِي كُنّا نَعْمَلُ). (30) قال مقاتل: «يعني يستغيثون فيها، والاستغاثة: أنهم ينادون فيها: رَبِّنا أَخْرِجْنا نَعْمَلْ صالِحاً غَيْرَ الَّذِي كُنّا نَعْمَلُ مِنَ الشُّرْكِ». (31)

ثانياً: الأذان

وقد تكرر لفظ (الأذان) في القرآن الكريم بمعنى النداء خمس مرات، (32) ومن الشواهد القرآنية التي ورد فيها لفظ (الأذان) بمعنى

المفردة	عدد مرات ورودها	الرقم	الشاهد	السورة	بيان المكّي والمدني من السور	المنادي	المنادى
نودوا	مرة	1	وَنُودُوا أَنْ تُلَكُمُ الْجَنَّةَ أَوْرَثْتُمُوهَا بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ	الأعراف	مكية	الرب أو الملائكة	أهل الجنة
نادى		2	وَنادى أَصْحابُ الْجَنَّةِ أَصْحابُ النارِ أَنْ قدْ وَجَدْنَا ما وَعَدْنَا رَبِّنا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ ما وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قالوا نَعَمْ	الأعراف	مكية	أصحاب الجنة	أصحاب النار
		3	وَنادى أَصْحابُ الأعرافِ رجالاً يَعْرِفُونَهُمْ بِسِمائِهِمْ قالوا ما أَغْنى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وما كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ	الأعراف	مكية	أصحاب الأعراف	رؤساء أهل الضلالة
		4	وَنادى أَصْحابُ النارِ أَصْحابُ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنا مِنَ الماءِ أوْ مِمّا رَزَقْناكُمُ اللهُ	الأعراف	مكية	أصحاب النار	أصحاب الجنة
نادوا	مرتان	5	وَنادوا أَصْحابُ الْجَنَّةِ أَنْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ	الأعراف	مكية	بعض أصحاب الأعراف	أصحاب الجنة
		6	وَنادوا يا مالِكِ ليقُضِ عَلَيْنا رَبُّكَ قالَ إِنَّكُمْ ما كُنْتُمْ	الزخرف	مكية	الكفار	مالك خازن النار
نادوا		7	وَيَوْمَ يَقُولُ نادوا شُرْكايايَ الَّذينَ رَعِمْتُمْ	الكهف	مكية	الله أو الملائكة	المشركون
يناديهم	أربع مرات	8	وَيَوْمَ يناديهِمْ فيقولُ أينَ شُرْكايايَ الَّذينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ	القصص	مكية	الله أو الملائكة	المشركون
		9	وَيَوْمَ يناديهِمْ فيقولُ ماذا أَجَبْتُمُ المرسلينَ	القصص	مكية	الله أو الملائكة	الكفار
		10	وَيَوْمَ يناديهِمْ فيقولُ أينَ شُرْكايايَ الَّذينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ	القصص	مكية	الله أو الملائكة	المشركون
		11	وَيَوْمَ يناديهِمْ أينَ شُرْكايايَ قالوا أَذْناكُ ما مِنّا مِنْ شَهِيدٍ	فصلت	مكية	الله أو الملائكة	المشركون الكفار
ينادون	مرتان	12	إِنَّ الَّذينَ كَفَرُوا ينادونَ لَمَقَّتْ اللهُ أَكْبَرُ مِنْ مَقَّتِكُمْ أَنفُسَكُمْ	غافر	مكية	خزنة جهنم	(مشركو مكة)

المفردة	عدد مرات ورودها	الرقم	الشاهد	السورة	بيان المكي والمدني من السور	المنادي	المنادي
التناد	مرة	13	وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ	غافر	مكية	مؤمن آل فرعون	آل فرعون
يناد	مرة	14	وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ	ق	مكية	ملك	أهل المحشر
المناد	مرة	15	وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ	ق	مكية	ملك	أهل المحشر
ينادونهم	مرة	16	يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى	الحديد	مدنية	المنافقون والمنافقات	المؤمنون والمؤمنات

أولاً: نداء أصحاب الجنة لأصحاب النار:

ينادي أصحاب الجنة أصحاب النار يوم القيامة، فيقولون: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (42)

(وهذا النداء إنما يكون بعد استقرار أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار، وعبر بالماضي عن المستقبل؛ لتحقيق وقوعه أي: ينادي أهل الجنة أهل النار يقولون: إننا قد وجدنا ما وعدنا ربنا على السنة رسله من النعيم والكرامة حقاً، فهل وجدتم ما وعدكم ربكم من الخزي والهوان والعذاب حقاً؟ قال أهل النار مجيبين: نعم وجدناه حقاً). (43)

ويلحظ من خلال تأمل نداء أصحاب الجنة أهل النار يوم القيامة ما يأتي:

1. الإخبار عن هذا الحوار بين الفريقين في القرآن الكريم دليل على صدق توقعات المؤمنين، واعتراف الكافرين في الدار الآخرة بذلك. (44)

2. الحوار بين الفريقين يدل على وجود الحرية وحق الدفاع عن وجهات النظر في ساحات المحاكمة التي يكون قاضيها رب العالمين. (45)

3. القصد من النداء والسؤال الصادر من أهل الجنة لأهل النار هو توبيخ الكافرين والتهكم بهم وزيادة حسرتهم، إضافة إلى بيان كرامة المؤمنين عند ربهم. قال الزمخشري: (وإنما قالوا لهم ذلك اغتباطاً بحالهم، وشماتة بأصحاب النار، وزيادة في غمهم؛ لتكون حكايته لطفاً لمن سمعها) (46). ويؤكد صاحب (مفاتيح الغيب) هذا المعنى بقوله: (والغرض من هذا السؤال إظهار أنه وصل إلى السعادات الكاملة، وإيقاع الحزن في قلب العدو). (47)

4. الظاهر أن نداء أصحاب الجنة لأصحاب النار يقع في بداية دخول كل فريق إلى مثواه الأخير، ثم ينقطع التنادي والاتصال بين الفريقين.

ثانياً: نداء بعض أصحاب الأعراف

تنوعت نداءات أصحاب الأعراف يوم القيامة، فتارة ينادون أهل الجنة، وأخرى ينادون أهل النار، وذلك على النحو الآتي:

1. نداء تحية أصحاب الأعراف أهل الجنة:

يحكي القرآن الكريم خبر نداء أصحاب الأعراف أهل الجنة

ثانياً: الملحوظات العامة حول ورود (نداءات يوم القيامة) في القرآن الكريم:

1. عدد ورود (نداءات يوم القيامة) في القرآن الكريم على اختلاف صيغها واشتقاقاتها ست عشرة مرة مع التكرار، وعشرة مرات من غير تكرار؛ وذلك في ثماني سور من القرآن الكريم.

2. أكثر السور التي وردت فيها نداءات يوم القيامة هي سور مكية، حيث وردت مشتقات هذا المصطلح في سبع سور مكية وسورة مدنية واحدة، ولعل الحكمة من ذلك ما يحتويه ذلك النداء من الترهيب والإنشاء عن عظم الخطب، ولا ريب أن المجتمع المكي أحوج إلى ذلك من المجتمع المدني؛ وذلك لأن جُل الناس يومئذ كانوا منكرين لقضية البعث بعد الموت، وأيضاً الحديث عن القيامة له علاقة بالعقيدة الإسلامية، ومعلوم أن القرآن المكي يركز على قضايا العقيدة، بينما القرآن المدني يركز على التشريعات.

3. أكثر السور القرآنية إيراداً لنداءات يوم القيامة هي سورة الأعراف، حيث وردت فيها تلك النداءات خمس مرات، ولعل الحكمة من ذلك أن المجتمع المكي أحوج إلى التأثير فيه بتلك المشاهد المفزعة من المجتمع المدني.

4. الغرض الأساس من نداءات يوم القيامة في الكتاب العزيز هو: حث الإنسان على الاستعداد لذلك اليوم العصيب؛ وذلك بفعل الطاعات، واجتناب الخطيئات.

5. ورود التعبير بالماضي عن المستقبل في نداءات يوم القيامة في القرآن الكريم؛ حيث بلغ سبع مرات، مرة بصيغة (وَنُودُوا)، ومرة بصيغة (نَادُوا)، ومرتين بصيغة (وَيُنَادُوا)، وثلاث مرات بصيغة (وَنَادَى)، ولعل الحكمة من ذلك تحقق وقوع أهوال يوم القيامة.

المبحث الرابع:

النداءات الحاصلة يوم القيامة في القرآن الكريم.

من خلال استقراء نداءات يوم القيامة في القرآن الكريم ظهر أنها تندرج في أربعة موضوعات، وهي على النحو الآتي:

المطلب الأول: نداءات المؤمنين يوم القيامة

تنوعت نداءات المؤمنين يوم القيامة، فتارة ينادي أصحاب الجنة أصحاب النار، وثانية ينادي بعض أصحاب الأعراف أهل الجنة نداء تحية، وثالثة ينادي بعض أصحاب الأعراف رؤوس الكفر، وذلك على النحو الآتي:

أولاً: نداء المجرمين مالكا القضاء عليهم:

قال الله تعالى في سورة الزخرف: ﴿وَنَادُوا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَأْكُوثُونَ (77) لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنْ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ (58)

حكى عز وجل بعض أقوال أهل النار بعد نزول العذاب بهم فقال: ﴿وَنَادُوا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾. والمراد بذلك سؤال مالك خازن النار، واللام في قوله: (لِيَقْضِ) لام الدعاء. (59) أي: وبعد أن طال العذاب على هؤلاء الكافرين، نادوا في ذلة واستجداء قائلين لخازن النار: يا مالك ادع لنا ربك كي يقضي علينا، بأن يميتنا حتى نستريح من هذا العذاب. فالمراد بالقضاء هنا: الإهلاك والإماتة، ونظيره قوله تعالى: ﴿فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ﴾ (60) أي: فأهلكه. (61)

وقولهم: ﴿يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ على التمني، أو الاستغاثة والأفهم عالمون بأنه لا خلاص لهم عن ذلك العقاب، ولا يبعد أن يقال: إنهم لشدة ما هم فيه من العذاب نسوا تلك المسألة فذكروه على وجه الطلب. ثم سكت عنهم مالك ما شاء الله أن يسكت، ولا يمتنع أن تؤخر الإجابة: استخفافاً بهم وزيادة في غمهم. (62)

«والظاهر أن المعنى أن مرادهم بذلك سؤال مالك - خازن النار - أن يدعو الله لهم بالموت». (63)

وفي هذا النداء ما فيه من الكرب والضيق والذل، حتى إن المجرمين ليطمنون الموت: كي يستريحوا مما هم فيه من عذاب. (64)

ثانياً: استغاثة أهل النار بأهل الجنة:

ينادي أصحاب النار أصحاب الجنة، مستغيثين من شدة العطش، وعضة الجوع، وحرارة النار، فقال تعالى: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (56)

يقول عز وجل مخبراً عن أصحاب النار وأصحاب الجنة ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ﴾: وذلك لشدة عطشهم ﴿أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ أي: من الطعام؛ وذلك لشدة جوعهم فيقال لهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ حَرَمَهُمَا﴾ أي: شراب الجنة وطعامها ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ فلا ينالوهما بحال من الأحوال، وهذا الجواب يفيد الحرمان. (66)

ويلحظ من خلال تأمل نداء أهل النار أصحاب الجنة يوم القيامة ما يأتي:

1. يدل نداء أهل النار أصحاب الجنة يوم القيامة على مدى استجدائهم وذلكهم.
2. قوله: (أَفِيضُوا) فيه دليل على أن الجنة فوق النار. (67)
3. الماء نعمة عظيمة، لذا فإن الصدقة به من أعظم الصدقات، قال القرطبي: (هذه الآية دليل على أن سقي الماء أفضل الأعمال). (68)

4. يظهر أن السبب في نداء أهل النار هو علمهم بأن أهل الجنة يسمعون نداءهم، وهذا ما تشعر به لفظة النداء، وكأنهم يظنون أن أصحاب الجنة قادرين على نجدتهم، فيطلبون منهم أن يغثوهم بشيء من الطعام والشراب؛ طمعاً في الفرج، وأملًا في النجاة. (69)

وهم مقبلون عليهم مهتئين، فيقول تعالى: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادُوا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ (48)

قال أبو جعفر: «يقول تعالى ذكره: وعلى الأعراف رجال يعرفون أهل الجنة بسيماهم، وذلك بياض وجوههم، ونضرة النعيم عليها، ويعرفون أهل النار كذلك بسيماهم، وذلك سواد وجوههم، وورقة أعينهم، فإذا رأوا أهل الجنة نادوهم: سلام عليكم». (49)

ونادوهم أهل الجنة بالسلام يؤذن بأنهم في اتصال بعيد من أهل الجنة، فجعل الله ذلك أمانة لهم بحسن عاقبتهم ترتاح لها نفوسهم، ويعلمون أنهم صائمون إلى الجنة. (50)

ويستفاد من هذا النداء ما يأتي:

- تقرير مبدأ وهو ثقل الحسنات ينجي وخفتها تُردي، ومن تساوت حسناته وسيئاته ينجو آخر من ينجو من دخول النار. (51)

- «بيان أن الجزاء على قدر الأعمال، وأن التقدم والتأخر على حسنهما، وأن أحداً لا يسبق عند الله إلا بسبقه في العمل، ولا يتخلف عنده إلا بتخلفه فيه، وليرغب السامعون في حال السابقين ويحرصوا على إحراز قبضتهم، وليتصوروا أن كل أحد يعرف ذلك اليوم بسيماها التي استوجب أن يوسم بها من أهل الخير والشر، فيرتدع المسيء عن إساءته، ويزيد المحسن في إحسانه. وليعلم أن العصاة يوبخهم كل أحد حتى أقصر الناس عملاً». (52)

- إن الجنة درجات وأهلها متفاوتون.

2. نداء بعض أصحاب الأعراف لرؤوس الكفر:

يخبر رب العزة عن نداء بعض أصحاب الأعراف بعض المستكبرين يوم القيامة فيقول:

﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تُسْتَكْبِرُونَ﴾ (53)

ولفظ النداء يؤذن ببعيد المخاطب، فيظهر أن أهل الأعراف لمّا تطلعوا بأبصارهم إلى النار عرفوا رجالاً، أو قبل ذلك لمّا مر عليهم بأهل النار عرفوا رجالاً كانوا جبارين في الدنيا. (54)

والمعنى: ونادى أصحاب الأعراف رجالاً من أهل النار وكانوا أصحاب وجهة وغنى في الدنيا، فيقولون لهم على سبيل التوبيخ والتفريع: ما أغنى عنكم جمعكم وكثرتكم واستكباركم في الأرض بغير الحق. فقد صرتم في الآخرة بسبب كفركم وعنادكم إلى هذا الوضع المهين. وقد كثر عز وجل ذكر أصحاب الأعراف مع قرب العهد بهم، فلم يقل (ونادوا رجالاً): لزيادة التقرير. (55) ويعلل ابن عاشر هذا التكرار أيضاً بقوله: «والتعبير عنهم هنا بأصحاب الأعراف إظهار في مقام الإضمار... إلا أنه لما تعدد في الآية السابقة ما يصلح لعود الضمائر إليه وقع الإظهار في مقام الإضمار؛ دفعا للالتباس». (56)

فالمقصود بهذه الآية الكريمة ذكر بعض مشاهد الآخرة، التي تتضمن نذارة وموعظة لجبابرة المشركين من العرب الذين كانوا يحقرون المستضعفين من المؤمنين. (57)

المطلب الثاني: نداءات الكافرين يوم القيامة:

تنوعت نداءات الكافرين يوم القيامة، وذلك على النحو الآتي:

هذا اليوم هو يوم الخروج من القبور.

ثُمَّ لَخَّصَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ أَوَّلِ السُّورَةِ إِلَى هُنَا فَقَالَ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ﴾ أَي: إِنَّا نَحْنُ نَحْيِي فِي الدُّنْيَا وَنُمِيتُ فِيهَا حِينَ انْقِضَاءِ الْأَجَالِ، وَإِلَيْنَا الرَّجُوعُ لِلْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ فِي الْآخِرَةِ. (79)

ثانياً: نداء خزنة جهنم الكفار على جهة التوبيخ:

يخبر ربُّ العزة تعالى عن أحوال الكفرة يوم القيامة وهم في جهنم فيقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لِمَقْتِ اللَّهِ أَكْبَرَ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ﴾. (80)

والمعنى كما يقول ابن كثير: «أنهم ينادون يوم القيامة وهم في غمرات النيران يتلظنون، وذلك عندما باشروا من عذاب الله ما لا قبل لأحد به، فمقتوا عند ذلك أنفسهم وأبغضوها غاية البغض، بسبب ما أسلفوا من الأعمال السيئة، التي كانت سبب دخولهم إلى النار، فأخبرتهم الملائكة عند ذلك إخباراً عالياً، نادوهم به نداء بأن مقت الله لهم في الدنيا حين كان يُعرض عليهم الإيمان، فيكفرون، أشد من مقتكم أيها المعذبون أنفسكم (81) اليوم في هذه الحالة». (82)

والمقت أشد البغض مع خزني وصغار، وذلك في حق الله تعالى محال، فالمراد منه أبلغ الإنكار والزجر والتوبيخ. (83)

ثالثاً: نداء إثبات النبوات:

ينادي الله تعالى (84) المشركين يوم القيامة، ويسألهم -بعد سؤالهم عن معبودهم- عما أجابوا به الرسل عليهم الصلاة والسلام، حيث يقول لهم: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ (65) فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ. (85)

«وقوله: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾... فيه إثبات النبوات: ماذا كان جوابكم للمرسلين إليكم؟ وكيف كان حالكم معهم؟ وهذا كما يسأل العيد في قبره: من ربك؟ ومن نبيك؟ وما دينك؟ فأما المؤمن فيشهد أنه لا إله إلا الله، وأن محمداً عبد الله ورسوله. وأما الكافر فيقول: هاه.. هاه.. لا أدري؛ ولهذا لا جواب له يوم القيامة غير السكوت؛ لأن من كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً، ولهذا قال تعالى: ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ﴾. وقال مجاهد: فعميت عليهم الحجج، فهم لا يتساءلون بالأنساب. وقوله: ﴿فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ أَي: فِي الدُّنْيَا، ﴿فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾ أَي: يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَ (عسى) من الله موجبة، فَإِنَّ هَذَا وَقَعَ بِفَضْلِ اللَّهِ وَمَنَّهُ لَا مَحَالَةَ. (86)

والظاهر أن المراد من سؤال الكافرين هنا هو توبيخهم وتقريعهم وتبكيتهم، «والاستفهام بـ (ماذا) صوري، مقصود منه إظهار بلبتتهم». (87)

والمقصود بالمرسلين هو رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم، ونظيره قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمٌ لُوطَ الْمُرْسَلِينَ﴾، (88) ويوضح ابن عاشور السر في هذا التعبير بقوله: «والذي اقتضى صيغة الجمع أن جميع المكذبين إنما كذبوا رسلهم بعلّة استحالة رسالة البشر إلى البشر فهم إنما كذبوا بجنس المرسلين، ولام الجنس إذا دخلت على (جميع) أبطلت منه معنى الجمعية». (89)

وقيل: إنما سألوها ذلك مع انقطاع أملهم من الإجابة: (لأن المتحري ينطق بما يفيد وبما لا يفيد). (70)

ثالثاً: نداء استغاثة المنافقين بالمؤمنين:

تحكي هذه الآيات جانباً مما يدور بين أهل النفاق -أهل الظلمات- وأهل الإيمان -أهل الأنوار- يوم القيامة من محاورات فتقول: ﴿يُنَادُوهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾. (71)

يقول الطبري: «وقوله: ﴿يُنَادُوهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ﴾ يقول تعالى ذكره: ينادي المنافقون المؤمنين حين حُجِرَ بينهم بالسور، فبقوا في الظلمة والعذاب، وصار المؤمنون في الجنة، ألم نكن معكم في الدنيا نصلي ونصوم، ونناكحكم ونوارثكم؟ قالوا: بلى، يقول: قال المؤمنون: بلى، بل كنتم كذلك، ولكنكم فتنتم أنفسكم، فنافقتم، وفتنتهم أنفسهم في هذا الموضوع كانت النفاق». (72)

وهذا النداء من أهل النفاق يقطر بالحصرة والندامة والتذلل والاستنجاد.

المطلب الثالث: نداءات رب العزة يوم القيامة:

تنوعت نداءات رب العزة يوم القيامة، سواء كان النداء بذاته العلية أم بوساطة من الملائكة عليهم السلام، فتارة ينادي أهل المحشر، وثانية ينادي أصحاب الجنة على سبيل التشريف، وثالثة ينادي أهل النار، ورابعة ينادي المشركين عما أجابوا به الرسل عليهم الصلاة والسلام من جهة، وعن التوحيد أيضاً من جهة أخرى، وذلك على النحو الآتي:

● أولاً: النداء للمحشر:

قال الله تعالى: ﴿وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادُ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾ (41) يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ (42) إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ. (73)

والمنادي هو: إسرافيل، ويدل عليه تعريف المنادي، (74) وقيل هو: «إسرافيل أو جبريل»، (75) وقيل: إسرافيل ينفخ، وجبريل ينادي أهل المحشر. (76)

وقوله ﴿وَاسْتَمِعْ﴾ أَي: أَصْحَحَ أَيُّهَا الرَّسُولُ لِمَا أَخْبَرَكَ بِهِ مِنْ أَهْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ. (77)

وفي ورود الأمر بالاستماع مطلقاً، ثم توضيحه بما بعده، تهويل وتعظيم للمخبر به؛ لما في الإبهام ثم التفسير من التهويل والتفخيم لشأن المخبر به. (78)

ثم بين ذلك الخبر وزمانه بقوله: ﴿يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادُ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾ أَي: يَوْمَ يَنَادِي الْمُنَادِي مِنْ مَوْضِعٍ قَرِيبٍ فَيَصِلُ نِدَاؤُهُ إِلَى الْكُلِّ عَلَى السَّوَاءِ، وَيَقُولُ: ﴿هَلِّمُوا إِلَى الْحِسَابِ﴾، فَيُخْرِجُونَ مِنْ قُبُورِهِمْ وَيَقْبَلُونَ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ.

ثم زاد الأمر تفصيلاً فقال: ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ﴾ أَي: يَوْمَ يَسْمَعُونَ النَّفْخَةَ الثَّانِيَةَ مُنْذِرَةً بِالْبَعْثِ وَالْجَزَاءِ عَلَى مَا قَدَّمُوا مِنَ الْأَعْمَالِ.

ثم ذكر ما يقال لهم حينئذ فقال: ﴿ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾ أَي:

رابعاً: نداء التشريف:

ومعلوم أنّ الأبناء يقتسمون تركة أبيهم إن كانوا مسلمين، وكذلك فإنّ الجنة خلقها الله تعالى لآدم عليه السلام، فهي موطنه الأول، وإنما نزل على الأرض ليعمل أبناؤه ليقتسموا ميراث أبيهم بحسب أعمالهم.

والإشارة إلى الجنة بـ ﴿تَلَكُمُ﴾ الذي حقّه أن يستعمل في المشار إليه البعيد، مع أنّ الجنة حاضرة بين يديهم؛ وذلك لقصد رفعة شأنها، وتعظيم المنّة بها. (97)

ونلمح من خلال هذا النداء أنّ العبرة يوم القيامة بالإيمان والعمل الصالح، بعد توفيق الله ورحمته، وفي هذا حث على التسابق إلى الخيرات.

ونخلص من استعراض نداءات رب العزة على المؤمنين والكافرين يوم القيامة التقابل التام بين الفريقين، فإذا كان أصحاب النار ينادون بالتوبيخ على رؤوس الأشهاد يوم القيامة، ومن ذلك قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسِكُمْ﴾، (98) فإن أصحاب الجنة ينادون بالتشريف، ومن ذلك قوله: ﴿وَنُودُوا أَنْ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾. (99)

خامساً: نداءات تقرير المشركين يوم القيامة بالأسئلة عن التوحيد:

ومن خلال استقراء نداءات يوم القيامة في القرآن الكريم نجد أنه تكرر سؤال المشركين عن التوحيد أربع مرات في أربع آيات من القرآن الكريم، كما هو موضح في الجدول الآتي:

ينادي الله تعالى على الذين آمنوا وعملوا الصالحات يوم القيامة على سبيل التشريف، فيقول: ﴿وَنُودُوا أَنْ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾. (90)

قال ابن كثير في تفسير هذا النداء: «ولهذا لما أُوْرثوا مقاعد أهل النار من الجنة نودوا: ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، أي: بسبب أعمالكم نالتكم الرحمة فدخلتم الجنة، وتبوأت منازلكم بحسب أعمالكم». (91) وإنما وجب الحمل على هذا؛ لما ثبت في الحديث النبوي: ﴿قَارِبُوا وَسَدُّوا، وَعَلِمُوا أَنَّهُ لَنْ يَنْجُو أَحَدٌ مِنْكُمْ بِعَمَلِهِ﴾ قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْتَ؟ قَالَ: «وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَّعِدَّنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ». (92)

وهذا أصح الآراء عندي في الجمع بين الآية -موضع البحث- وهذا الحديث الصحيح.

ويعجني قول بعض السلف: «أهل الجنة نجوا من النار بعفو الله، وأدخلوا الجنة برحمة الله، واقتسموا المنازل وورثوها بالأعمال الصالحة وهي من رحمته، بل من أعلى أنواع رحمته». (93)

وهذا «النداء من قبل الله» (94) ولذلك بُني فعله إلى المجهول؛ لظهور المقصود». (95)

وعبر بقوله تعالى: ﴿أُورِثْتُمُوهَا﴾؛ للإشعار بأنها قد صارت إليهم بفضل محض من الله، كما يصير الميراث إلى الوارث. (96)

1 الكهف ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا﴾

2 القصص ﴿وَيَوْمَ يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون (62) قال الذين حق عليهم القول ربنا هؤلاء الذين أغويانا أغويانا هم كما غويانا تبرأنا إليك ما كانوا إيانا يعبدون﴾

3 القصص ﴿وَيَوْمَ يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون﴾

4 فصلت ﴿وَيَوْمَ يناديهم أين شركائي قالوا أدناك ما منا من شهيد﴾

بقوله: «وإنما يُسمعهم الله ذلك الخطاب من غير واسطة؛ مبالغة في توبيخهم وتعذيبهم، ولذلك أدخل فيه همزة الاستفهام ونسب الشركاء تعالى إلى نفسه على زعمهم». (102)

- والثاني: أن يكون من الملائكة؛ «لأن الله تعالى لا يكلم الكفار؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَكْلِمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾» (103) لكنه تعالى يأمر من يوبّخهم ويبيكتهم، ويقيم الحجة عليهم في مقام الحساب». (104)

ويترجح أن المراد بنفي التكليم في الآية السابقة كلام خير، أمّا التوبيخ فقد يقع؛ ذلك لأن الله تعالى أخبر أنه يكلمهم كما في قوله: ﴿قال أحسنوا فيها ولا تكلمون﴾ (105)؛ (106)

1. يعتبر نداء إهانة الكافرين وتحقيرهم لونا من ألوان العذاب النفسي لهم، وهو لا يقل عن العذاب الجسدي بل يزيد.

2. السر في تكرير نداء توبيخ المشركين هو اختلاف الحالتين، ينادون مرة فيقال لهم: ﴿أين شركائي الذين كنتم تزعمون﴾ فيدعون الأصنام فلا يستجيبون، فتظهر حيرتهم، ثم

وسأكتفي بالتعليق على نموذج واحد من هذه النداءات وهي آية الكهف: خشية الإطالة والتكرار.

ففي آية الكهف ينادي الجبار جل جلاله هؤلاء المشركين على رؤوس الأشهاد على معنى التوبيخ والتقرير فيقول: ﴿نادوا شركائي الذين زعمتم﴾ أي: في دار الدنيا، ادعهم اليوم، ينقدونكم مما أنتم فيه، ونظير الآية: قوله تعالى: ﴿وقيل ادعوا شركاءكم فدعواهم فلم يستجيبوا لهم وראوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون﴾ (100). (101)

ويلحظ من خلال تأمل نداءات يوم القيامة في القرآن الكريم عن تقرير التوحيد ما يأتي:

1. المقصود بهذا الاستفهام والنداء توبيخ المشركين على إشراكهم، وفضحهم، والاستهزاء بهم، وكشف عجز آلهتهم الباطلة أمام الناس.

2. نداء الله تعالى المشركين يحتمل أمرين:

- الأول: أن يكون النداء من الله تعالى. ويعمل السيوطي ذلك

اختلاف صيغها واشتقاقاتها ست عشرة مرة مع التكرار، وعشرة مرات من غير تكرار؛ وذلك في ثماني سور من القرآن الكريم.

4. أكثر السور التي وردت فيها نداءات يوم القيامة هي سور مكية، حيث وردت مشتقات هذا المصطلح في سبع سور مكية وسورة مدنية واحدة، ولعل الحكمة من ذلك ما يحتويه ذلك النداء من التهيب والإنباء عن عظم الخطب، ولا ريب أن المجتمع المكي أحوج إلى ذلك من المجتمع المدني؛ وذلك لأنَّ جُلَّ الناس يومئذ كانوا منكربين لقضية البعث بعد الموت، إضافة إلى تركيز القرآن المكي على قضايا العقيدة.

5. أكثر السور القرآنية إيراداً لنداءات يوم القيامة هي سورة الأعراف، حيث وردت فيها تلك النداءات خمس مرات، ولعل الحكمة من ذلك أنَّ المجتمع المكي أحوج إلى التأثير فيه بتلك المشاهد المفزعة من المجتمع المدني.

6. ورود التعبير بالماضي عن المستقبل في نداءات يوم القيامة في القرآن الكريم؛ حيث بلغ سبع مرات بصيغ متنوعة، ولعل الحكمة من ذلك تحقق وقوع أهوال يوم القيامة.

7. ظهور التقابل التام بين المؤمنين والكافرين يوم القيامة، وذلك من خلال نداءات رب العزة على كلا الفريقين، فإذا كان أصحاب النار ينادون بالتوبيخ على رؤوس الأشهاد يوم القيامة، فإنَّ أصحاب الجنة ينادون بالتشريف.

8. تكرير سؤال المشركين عن التوحيد أربع مرات في أربع آيات من القرآن الكريم، وفي ذلك بيان أهمية التوحيد وإثباته، وزجر عن الكفر والشرك.

وبعد؛ فهذا ما يسرَّ الله عز وجل لي الوصول إليه في هذا البحث المتواضع، واسأله تعالى أن يجعلنا ممن يقال لنا يوم القيامة ﴿أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ﴾ (118)، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين.

الهوامش

1. [البقرة: 104]
2. ابن أبي حاتم: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي (ت: 327هـ)؛ تفسير القرآن العظيم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، (المملكة العربية السعودية، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط، 3 - 1419هـ)، (1/ 196)، قال أحمد شاكر: «إسناده جيد، إلا أنَّ فيه انقطاعاً بين معن وعوف وبين ابن مسعود». شاكر، أحمد محمد: عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير، (مصر، دار الوفاء، ط، 2 - 1426هـ - 2005م)، (1/619).
3. [البقرة: 177]
4. [الأنبياء: 31]
5. [غافر: 18]
6. [غافر: 32]
7. ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر (ت: 1393هـ)؛ التحرير والتنوير، (تونس، دار التونسية للنشر، 1984هـ)، (24/ 136).
8. ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن (ت: 321)؛ جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، (بيروت، دار العلم للملايين، ط، 1 - 1987م)، مادة (ندي)

ينادون مرة أخرى فيسكتون، وفي هذا التكرير أيضاً تفرغ بعد تفرغ، وتوبيخ بعد توبيخ، (107) ويؤكد صاحب (الظلال) هذا المعنى بقوله: «وتصوير يوم النداء، وما فيه من سؤال عن الشركاء، قد سبق في جولة ماضية، فهو يعاد هنا لتوكيده وتثبيتته بمناسبة المشهد الجديد الذي يُعرض هنا». (108)

3. تكرير جملة (وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ) أربع مرات؛ (109) «لأن التكرار من مقتضيات مقام الموعظة». (110)

4. إضافة الشركاء إلى ضمير المخاطبين؛ لأنهم الذين ادَّعوا لهم الشركة كما في قوله تعالى: (الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ) (111)، (112) «والاستفهام بكلمة (أين) ظاهره استفهام عن المكان الذي يوجد فيه الشركاء، ولكنه مستعمل كناية عن انتفاء وجود الشركاء المزعومين يومئذ، فالاستفهام مستعمل في الانتفاء». (113)

5. هذا النداء من قبل رب العزة كناية عن الخطاب العلني كقوله: ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ﴾ (114). (115) وبالتالي ففي هذا النداء العلني فضيحة لمن عبد مع الله إلهاً آخر على رؤوس الأشهاد يوم القيامة.

6. التعبير عن كل ما عبد من دون الله برضاه بـ ﴿الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ في موضعين، وبـ ﴿الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ في موضع واحد دون ﴿زعمهم شركاء﴾؛ وذلك - كما يقول الألوسي - «لإخراج مثل عيسى وعزير والملائكة عليهم السلام؛ لشمول الشركاء على ما سُمعت له». (116)

7. نداء الله تعالى للمشركين يقع في بداية دخولهم إلى جهنم، ثم لا يكلمهم الله تعالى أبداً.

ودلت الآيات السابقة فيما دلت عليه على ما يأتي:

◆ بيان أهمية التوحيد وإثباته.

◆ الزجر عن الكفر والشرك، ولا أدل على ذلك من تكرير نداء توبيخ المشركين لاتخاذهم للأنداد، فقد (كرَّر التوبيخ لاتخاذ الشركاء؛ ليؤدِّن أن لا شيء أوجب لغضب الله من الإشراك به كما لا شيء أدخل في مرضاته من توحيده). (117)

◆ بيان أهوال يوم القيامة، بذكر بعض نداءات الكافرين واستغاثاتهم.

الخاتمة:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فإنه بعد الجولة العطرة مع ثنايا موضوع (نداءات يوم القيامة في ضوء القرآن الكريم)، من خلال استقراء الآيات القرآنية وتفسيرها، يمكن أن أجمل أهم النتائج التي توصلت إليها في النقاط الآتية:

1. أهمية الإيمان بالغيب في الإسلام؛ إذ هو صفة المتقين.
2. البحث في مشاهد القيامة ودراساتها وتعلمها وتعليمها من أهم الموضوعات في الوقت الحاضر؛ وذلك أنه ابتلي كثير من المسلمين بطغيان المادة، وإيثار الدنيا على الآخرة، والغفلة عن عبادة مولاها.
3. عدد ورود مادة نداءات يوم القيامة في القرآن الكريم على

28. ابن عاشور: التحرير والتنوير، (24/136).
29. [فاطر: 37]
30. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر دمشقي (ت: 774هـ): تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، (دار طبية للنشر والتوزيع، ط 2 - 1420هـ - 1999م)، (6/552).
31. البلخي، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي (ت: 150هـ): تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، (بيروت، دار إحياء التراث، ط 1 - 1423هـ)، (3/559)، وانظر، أبو السعود، محمد بن محمد العمادي (ت: 982هـ): إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (بيروت، دار إحياء التراث العربي)، (7/154).
32. تصريحات لفظة (الأذان) في القرآن الكريم هي: أذُن، أذُن، مُؤذِن، انظر، مادة (أذن) عند عبد الباقي: المعجم المفهرس، (32-31).
33. [الأعراف: 44]
34. انظر، ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن (ت: 597): نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، (بيروت، لبنان، مؤسسة الرسالة، ط 1 - 1404هـ - 1984م)، (88-87).
35. انظر، السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد (ت: 373هـ): بحر العلوم، (بلا معلومات نشر)، (1/517)، والشوكاني: فتح القدير، (2/207).
36. انظر، الرازي: مفاتيح الغيب، (15/393)، وطنطاوي، محمد السيد: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، (القاهرة، الفجالة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1 - 1998م)، (5/276).
37. انظر، الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود (ت: 333هـ): تأويلات أهل السنة، تحقيق: د. مجدي باسلوم، (بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ط 1، 1426هـ - 2005م)، (4/428)، والزحيلي، أ. د. وهبة بن مصطفى: التفسير الوسيط، (دمشق، دار الفكر المعاصر، ط 1 - 1422هـ)، (1/664).
38. انظر، عبد الباقي، محمد فؤاد (ت: 1388هـ): المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، (القاهرة، دار الحديث، 1422هـ - 2001م)، مادة (دعو) (320-316).
39. [القمر: 6]
40. الزحيلي، أ. د. وهبة بن مصطفى: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، (دمشق، دار الفكر المعاصر، ط 2 - 1418هـ)، (27/146)، وانظر، المراغي، أحمد بن مصطفى (ت: 1371هـ): تفسير المراغي، (مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط 1 - 1365هـ - 1946م)، (27/80).
41. انظر، عبد الباقي: المعجم المفهرس، مادة (ن د م - ن ذ ر)، (786).
42. [الأعراف: 44]
43. الصابوني، محمد علي: صفوة التفاسير، (القاهرة، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، 1417هـ - 1997م)، (1/414).
44. انظر، الزحيلي: التفسير الوسيط، (1/663).
45. انظر، المرجع السابق، (1/663).
46. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر (ت: 538): الكشف عن حقائق
- ، (2/1061).
9. أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي (ت: 745هـ): البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد جميل، (بيروت، دار الفكر، 1420هـ)، (5/28).
10. الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني القريمي (ت: 1094هـ): الكليات، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، (بيروت، مؤسسة الرسالة)، (906).
11. ابن منظور، محمد بن مكرم الأفرقي المصري (ت: 711): لسان العرب، (بيروت، دار صادر، ط 1)، مادة (قوم)، (12/506).
12. انظر، الأشقر، عمر بن سليمان بن عبد الله العتيبي: القيامة الكبرى، (الأردن، دار النفائس للنشر والتوزيع، ط 6، 1415هـ - 1995م)، (19).
13. انظر، عمر، د. أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت: 1424هـ): معجم اللغة العربية المعاصرة، (عالم الكتب، ط 1، 1429هـ - 2008م)، مادة (ق و م)، (3/1878).
14. [غافر: 32]
15. ونقل هذا الإجماع الرازي. انظر، الرازي، أبو عبد الله فخر الدين محمد بن عمر (ت: 606هـ): مفاتيح الغيب، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط 3 - 1420هـ)، (27/512).
16. انظر، ابن زنجلة، عبد الرحمن بن محمد، (ت: حوالي 403هـ): حجة القراءات، تحقيق وتعليق: سعيد الأفغاني، (دار الرسالة)، (627).
17. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت: 310هـ): جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: محمود محمد شاكر، وتخرّيج: أحمد محمد شاكر، (مؤسسة الرسالة، ط 1 - 1420هـ - 2000م)، (21/381) - (21/382).
18. [غافر: 33]
19. قطب، سيد إبراهيم حسين الشاربي (ت: 1385هـ): في ظلال القرآن، (القاهرة، بيروت، دار الشروق، ط 17 - 1412هـ)، (5/3080).
20. انظر، الرازي: مفاتيح الغيب، (27/512)، وابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن (ت: 597): زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (بيروت، دار الكتاب العربي، ط 1 - 1422هـ)، (4/36) - (4/37).
21. كما سيأتي بيانه.
22. كما أخبر المولى بنداء الكافرين بقوله: (قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا) [يس: 52].
23. [الحاقة: 25]
24. فيه إشارة إلى قوله تعالى: (أَنْ لَّعَنَهُ اللَّهُ عَلَى الظَّالِمِينَ) [الأعراف: 44].
25. انظر، ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي المحاربي (ت: 542هـ): المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1 - 1422هـ)، (4/558).
26. انظر، البيهقي، الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء (ت: 516هـ): معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط 1 - 1420هـ)، (4/112).
27. انظر، الشوكاني، محمد بن علي بن محمد (ت: 1250هـ): فتح القدير، (دمشق، بيروت، دار ابن كثير، ودار الكلم الطيب، ط 1 - 1414هـ)، (4/563).

- الطيب، ط1 - 1419 هـ - 1998 م، (1/ 571).
71. [الحديد: 12 - 14]
72. الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (23/ 184).
73. [ق: 41 - 43]
74. انظر، السمرقندي: بحر العلوم، (3/ 339)، والسمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار (ت: 489 هـ): تفسير القرآن، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس بن غنيم، (السعودية، الرياض، دار الوطن، ط1 - 1418 هـ - 1997 م)، (5/ 248)، وطنطاوي: التفسير الوسيط، (13/ 353).
75. أبو السعود: إرشاد العقل السليم، (8/ 134)، والشوكاني: فتح القدير، (5/ 96).
76. انظر، أبو السعود: إرشاد العقل السليم، (8/ 134).
77. انظر، المراغي: تفسير المراغي، (26/ 170).
78. انظر، أبو السعود: إرشاد العقل السليم، (8/ 134)، وطنطاوي: التفسير الوسيط، (13/ 353).
79. انظر تفسير هذه الآيات في: المراغي: تفسير المراغي، (26/ 170) - (26/ 171).
80. [غافر: 10 - 12]
81. وبمقت الكفرة أيضاً قرناءهم في الدنيا، قال الله تعالى: (يَوْمَ تَقْلُبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ (66) وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا (67) رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَهُمْ لَعْنَا كَبِيرًا) [الأحزاب: 66 - 68].
82. ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، (7/ 132).
83. انظر، الزمخشري: الكشاف (4/ 154)، والرازي: مفاتيح الغيب، (27/ 494).
84. يحتمل أن يكون النداء بواسطة من الملائكة، أو بغير واسطة. انظر، أبو حيان: البحر المحيط، (8/ 318).
85. [القصص: 65 - 67]
86. ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، (6/ 250) - (6/ 251).
87. ابن عاشور: التحرير والتنوير، (20/ 162).
88. [الشعراء: 160]
89. ابن عاشور: التحرير والتنوير، (20/ 162).
90. [الأعراف: 43]
91. ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، (3/ 416).
92. انظر، البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي (ت: 256): الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، (بيروت، اليمامة، دار ابن كثير، ط3 - 1407 هـ - 1987 م)، كتاب الرقاق، باب القصد والمداومة على العمل، حديث رقم (6463)، (8/ 98)، ومسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: 261 هـ): المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت، دار إحياء التراث العربي)، كتاب صفة القيامة
- التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل، تخريج: الإمام الزيلعي، (بيروت، دار الكتاب العربي، ط3 - 1407 هـ)، (2/ 106).
47. الرازي: مفاتيح الغيب، (14/ 245).
48. [الأعراف: 46]
49. الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (12/ 461).
50. انظر، ابن عاشور: التحرير والتنوير، (8ب/ 143).
51. انظر، الجزائري، أبو بكر جابر بن موسى: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، (المملكة العربية السعودية، المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، ط5 - 1424 هـ - 2003 م)، (2/ 177).
52. الزمخشري: الكشاف (2/ 107).
53. [الأعراف: 48]
54. انظر، ابن عاشور: التحرير والتنوير، (8ب/ 145).
55. انظر، طنطاوي: التفسير الوسيط، (5/ 279).
56. ابن عاشور: التحرير والتنوير، (8ب/ 144).
57. انظر، المرجع السابق، (8ب/ 145).
58. [الزخرف: 77 - 78]
59. انظر، ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن العقياتي الهمداني المصري (ت: 769 هـ): شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (دار التراث - القاهرة، دار مصر للطباعة، سعيد جودة السحار وشركاه ط- 1400 20 هـ - 1980 م)، (4/ 26).
60. [القصص: 15]
61. انظر، طنطاوي: التفسير الوسيط، (13/ 100) - (13/ 101).
62. انظر، الرازي: مفاتيح الغيب، (27/ 644).
63. الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر (ت: 1393 هـ): أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، (لبنان، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1415 هـ - 1995 م)، (7/ 146).
64. انظر، السمرقندي: بحر العلوم، (3/ 264)، وطنطاوي: التفسير الوسيط، (13/ 101).
65. [سورة الأعراف: 50]
66. انظر، الخازن، علاء الدين علي بن محمد (ت: 741 هـ): لباب التأويل في معاني التنزيل، تحقيق: محمد علي شاهين، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1 - 1415 هـ)، (2/ 205)، والجزائري: أيسر التفاسير، (2/ 178).
67. انظر، البيضاوي، أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (ت: 685 هـ): أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط1 - 1418 هـ)، (3/ 15).
68. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت: 671 هـ): الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، (القاهرة، دار الكتب المصرية، ط2 - 1384 هـ - 1964 م)، (7/ 215).
69. انظر، الزحيلي: التفسير الوسيط، (1/ 668).
70. النَّسْفِي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود (ت: 710 هـ): مدارك التنزيل وحقائق التأويل، تحقيق: يوسف علي بديوي، (بيروت، دار الكلم

- والجنة والنار، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله بل برحمة الله تعالى، حديث رقم (2816)، (4/ 2170). واللفظ له.
93. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله (ت: 1376هـ) : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويح، مؤسسة الرسالة، ط1- 1420هـ - 2000م)، (289).
94. لم يُذكر المنادى هنا، وعليه فيحتمل أنه من وحي الله تعالى في نفوسهم، أو من الملائكة عليهم السلام.
95. ابن عاشور: التحرير والتنوير، (8ب/ 134).
96. انظر، طنطاوي: التفسير الوسيط، (13/ 100).
97. انظر، ابن عاشور: التحرير والتنوير، (8ب/ 134).
98. [غافر: 10]
99. [الأعراف: 43]
100. [القصص: 64]
101. انظر، ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، (5/ 170)
102. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت: 911هـ) : معترك الأقران في إعجاز القرآن، (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ط-1 1408هـ - 1988م)، (3/ 343).
103. [البقرة 2/ 174]
104. القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، (13/ 309).
105. [المؤمنون: 108]
106. وإلى هذا الرأي ذهب الطبري وغيره. انظر، الطبري: جامع البيان، (3/ 330).
107. انظر، القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، (13/ 309) ، والشوكاني: فتح القدير، (4/ 213).
108. قطب: في ظلال القرآن، (5/ 2709).
109. الآيات هي: [القصص: 62]، [القصص: 65]، [القصص: 74]، [فصلت: 47].
110. ابن عاشور: التحرير والتنوير، (20/ 162)
111. [الأنعام: 94]
112. انظر، ابن عاشور: التحرير والتنوير، (20/ 160).
113. المرجع السابق، (20/ 156).
114. [الحديد: 14]
115. انظر، ابن عاشور: التحرير والتنوير، (25/ 7).
116. محمود بن عبد الله الحسيني الألويسي (ت: 1270هـ) : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1415هـ)، ط1، ج: 10، ص: 307.
117. النَّسْفِيّ: مدارك التنزيل، (2/ 656) ، وانظر، الزمخشري: الكشاف، (3/ 429).
118. [الحجر: 46]

دور الذكاء التنافسي في التقليل من المخاطر في الصناعة الدوائية*

أ. فرحات سميرة**

أ.د. عيسى خليفي***

* تاريخ التسليم: 2015/5/30م، تاريخ القبول: 2015/9/16م.
** مدرس / جامعة محمد خيضر بسكرة/ الجزائر.
*** أستاذ دكتور / جامعة محمد خيضر بسكرة/ الجزائر.

making. These problems and risks hinder the progress and growth of the institution, and therefore we want in this study to demonstrate one of the most important processes in the organization, which is intelligence competitive process, its status and the positive impacts in the detection of risks and minimize them as much as possible, thus stating the problem of the study expressed and exposing the fundamental question Next: What is the role of competitive intelligence in the detection of risks? And how you can turn those risks into opportunities to increase the strength of the institution? The study relied on a specimen supposedly included two variables, which is the first independent competitive intelligence and the second a continued risk. The study included the theoretical coverage of the problem where we used axes involved in the provision of all the information from the literature on the subject and accumulation of knowledge in this area, the survey found a range of results, including: that the intelligence competitive it has become the most important and the most powerful ways today to protect the institutions of intense competition and risks in order to survive the biggest period of growth possible in an ever-changing environment, From where it can reduce the problems and risks that may be exposed to the institution of the external environment.

Accordingly, and in light of the rapid developments today, the application of the competitive intelligence plays an important role in global institutions, particularly the Arab institutions given its immense importance in shaping strategies, taking effective decisions. The Arabic institutions suffer more from other institutions in terms of competitiveness due to the free trade imposed by developed countries on the Arabic countries and the negative results caused on the local products and the various kinds of products whether they are drugs or else given their important value in the Arabic world.

Key words: intelligence, competitiveness, competitive intelligence, risk, risk assessment, the pharmaceutical industry.

مقدمة:

تخضع البيئة الصناعية الى تغيرات سريعة ومستمرة في السنوات الأخيرة، وهذا راجع إلى الثورة الإعلامية، وسرعة التكنولوجيا، وظهور العديد من الأدوات التي كان لها الأثر الإيجابي في استقرار المؤسسات وبقائها في السوق، ومن بين هذه الأدوات؛ الذكاء التنافسي الذي أصبح اليوم محل اهتمام في المؤسسات الصناعية في العالم، وهذا لخصائصه المميزة، فهو أداة تسمح بالكشف عن الفرص والتهديدات في البيئة الخارجية للمؤسسة التي

ملخص:

نسعى من خلال هذه الدراسة إلى توظيف المتاح من المعارف حول الذكاء التنافسي باعتباره أداة مهمة تستخدمها أكبر المؤسسات الصناعية، ولا سيما الدوائية، فهو يلعب دوراً كبيراً في حل الكثير من المشاكل التي تواجه متخذي القرار، نخصّ منها المشاكل الناتجة عن البيئة الخارجية بمختلف أنواعها ما يجعل هذه المشاكل والمخاطر عائقاً يحول دون تقدم المؤسسة، لذا أردنا في هذه الدراسة توضيح عملية من أهم العمليات في المؤسسة، وهي عملية الذكاء التنافسي، ومكانتها وأثارها الإيجابية في الكشف عن المخاطر والتقليل منها قدر الإمكان، وقد انطلقت الدراسة من مشكلة عبّر عنها في التساؤل الجوهري التالي: ما هو الدور الذي يلعبه الذكاء التنافسي في الكشف عن المخاطر؟ وكيف يمكن تحويل تلك المخاطر الى فرص تزيد من قوة المؤسسة؟ وقد اعتمدت الدراسة على نموذج فرضي تضمن متغيرين، الأول مستقل وهو الذكاء التنافسي، والثاني تابع وهو المخاطر.

كما تضمنت محاور الدراسة التغطية النظرية للمشكلة استعنا فيها على توفير كل المعلومات من أدبيات الموضوع، والتراكم المعرفي في هذا المجال، وتوصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها:

أن الذكاء التنافسي أصبح من أهم وأقوى الوسائل اليوم لحماية المؤسسات من التنافس الشديد ومخاطره لأجل البقاء والنمو أكبر فترة ممكنة في بيئة دائمة التغير، إذ يمكنه الحد من المشاكل والمخاطر التي قد تتعرض لها المؤسسة من بيئتها الخارجية.

ومن أهم التوصيات نذكر: أهمية تشجيع تطبيق الذكاء التنافسي داخل المؤسسات وبخاصة العربية كعملية أساسية فيها، لما له من دور مهم في صياغة الاستراتيجية، واتخاذ القرارات الفعالة، فالمؤسسات العربية تعاني أكثر من غيرها من مشاكل التنافس الشديد، خاصة الخارجي منه، بسبب الحرية التجارية التي تفرضها الدول المتقدمة على بلداننا العربية، وما تسببه من آثار سلبية على المنتجات المحلية، بمختلف أنواعها سواء كانت دوائية أو غيرها من المنتجات التي تتميز وتتفوق بها بلداننا العربية.

الكلمات الدالة: الذكاء، التنافسية، الذكاء التنافسي، المخاطر، تقييم المخاطر، الصناعات الدوائية.

Competitive intelligence role in reducing risks in the pharmaceutical industry

Abstract :

We seek through this study to employ the availability of knowledge regarding intelligence competitive as an important tool used by the largest industrial enterprises, particularly the pharmaceutical as it plays a big role in solving many of the problems faced by decision makers, particularly the problems resulting from the external environment of various kinds

قد تتعرض لها في مسيرتها نحو النمو والتطور.

أهداف الدراسة:

- ◆ محاولة التطرق لعملية الذكاء التنافسي بكل تفاصيلها، ليتمكن الباحثين، وذو الاهتمام من مديرين، وغيرهم للاستفادة من هذه العملية.
- ◆ تحديد أهمية الذكاء التنافسي ودوره في المؤسسات الصناعية بعامة والصناعات الدوائية بخاصة.
- ◆ تسليط الضوء على المخاطر التي تتعرض لها المؤسسات الصناعية الدوائية وكيفية تقييمها.
- ◆ محاولة إبراز أهمية موضوع الدراسة في ظل المنافسة العالمية الراهنة.

فرضية الدراسة:

للذكاء التنافسي الأثر الإيجابي في الكشف عن المخاطر والتقليل منها في مؤسسات الصناعات الدوائية.

منهج الدراسة:

نعتمد في دراستنا على استخدام المنهج الوصفي التحليلي ومحاولة دراسة وتحليل دور الذكاء التنافسي في اكتشاف المخاطر في الصناعات الدوائية العالمية.

حدود الدراسة:

لقد جرت هذه الدراسة ضمن الحدود التالية:

- ◆ الحدود الزمانية: تم تطبيق هذه الدراسة خلال الفترة الزمانية 2004 و2013، وجرى فيها المقارنة بين شدة التنافس العالمي للمؤسسات الدوائية، وتوضيح ترتيب إيراداتها، كما بيّنا المخاطر التي قد تتعرض لها هذه الصناعة، وكيفية الوقاية منها من خلال عملية الذكاء التنافسي.

◆ الحدود المكانية: طُبِّقَتْ

- هذه الدراسة على المؤسسات الرائدة في الصناعة الدوائية العالمية.
- ◆ الحدود الموضوعية: اقتصرنا هذه الدراسة على دور عملية الذكاء التنافسي في الكشف عن المخاطر والتقليل منها في المؤسسات الدوائية.

ويركز الذكاء التنافسي على عناصر البيئة التنافسية والاستفادة من الأحداث الماضية والتنبؤ بالمستقبل لتقليل مخاطر عدم اليقين والمخاطر الخارجية التي يمكن حدوثها من جراء ظهور منتجات جديدة، أو ابتكارات جديدة، أو تحالفات استراتيجية منافسة، أو تغيير لأذواق المستهلكين... الخ، فأساس تقويم المخاطر في المؤسسة يقوم على توفير المعلومات اللازمة من قبل خبراء الذكاء التنافسي، إذ إن هذه المعلومات تفيد في صنع القرارات المناسبة، وحل المشكلات التي تواجهها المؤسسة في الآونة الأخيرة، فبيئة المؤسسة كما هو معروف هي بيئة سريعة التغيير، بحيث تتأثر بمجموعة من التغييرات سواء أكانت تغييرات اقتصادية؛ كظاهرة التضخم، أم تغييرات تكنولوجية مثل: ظهور تقنيات جديدة من شأنها أن تؤثر في الإنتاج وأساليب الإنتاج والمنتجات في حد ذاتها، وهذا ما يجعل القرارات المتخذة تدرس بدقة لأن أي خلل ينتج عنه خطر على المؤسسة.

مشكلة البحث:

تزايد الاهتمام في الوقت الحالي بعملية الذكاء التنافسي، نتيجة لآثاره الإيجابية على مستوى المؤسسة، ومساهمته في التقليل من المخاطر التي قد تتعرض لها المؤسسات خاصة في بيئة تنافسية كثيرة التغيير ومن ثم جاء تساؤلنا على الشكل التالي :

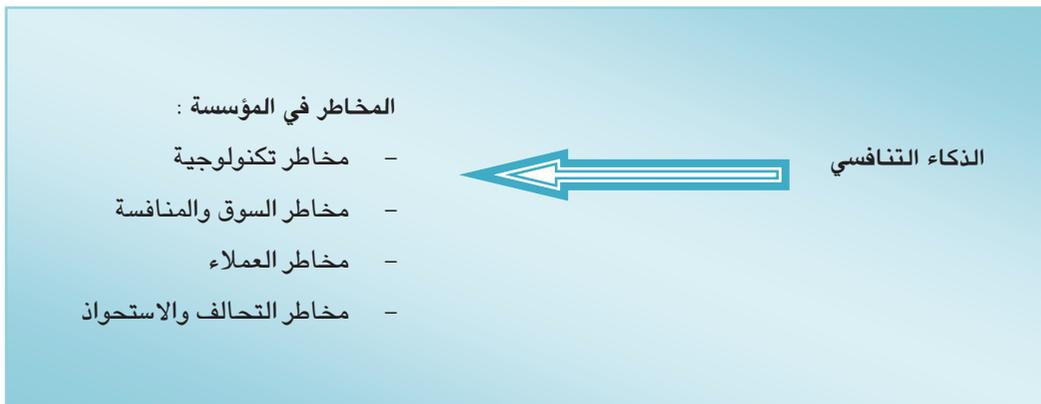
◀ ما مدى مساهمة الذكاء التنافسي في التقليل من المخاطر في مؤسسات الصناعات الدوائية؟

أهمية الدراسة:

تتضح أهمية هذه الدراسة في الكشف عن الدور الفعال الذي يلعبه الذكاء التنافسي في رصد المخاطر التي تواجه مؤسسات الصناعات الدوائية، والتقليل من حدتها أو اجتنابها.

كذلك توضيح الدور الفعال الذي يلعبه الذكاء التنافسي في المؤسسات ومدى كشفه للفرص والتحديات التي قد تتعرض لها المؤسسة في مسيرة حياتها.

أنموذج الدراسة:



الدراسات السابقة:

لقد أشارت الباحثة في هذه الدراسة إلى الدور الفعال الذي تلعبه تكنولوجيا المعلومات في دعم عملية الذكاء التنافسي، وبالتالي إنجاز الأهداف الاستراتيجية المخطط لها من قبل صانعي القرار في المؤسسة، كما قدمت إضافة جيدة فيما يخص توجيه المؤسسات نحو استغلال الأدوات الجديدة والحديثة في عملياتها للحصول على نتائج أكثر جودة للرفع من مستوى الأداء العام. وفي المقابل أكدت الباحثة إلى إن هذه الدراسة تعاني من نقائص عدة منها:

- عدم وجود اختبارات تجريبية مفصلة عن أدوات المعلومات من أجل بناء عملية الذكاء التنافسي
- ينبغي إجراء مقابلات معمقة مع مختصين في تكنولوجيا المعلومات والاتصالات ومع المدراء للحصول على مزيد من المعلومات حول تفضيلات المستخدمين ومتطلبات بناء الذكاء التنافسي.

■ دراسة: (فواز حموي، محمد العبد الله، 2012) بعنوان:

(الذكاء التنافسي للمؤسسات المصرفية في بيئة التجارة الإلكترونية)

لقد قدم الباحثان في هذه الدراسة دور شبكة الانترنت في توليد الذكاء التنافسي عن طريق الكم الهائل من المعلومات المتوفرة على الشبكة، مع الإشارة إلى كيفية استفادة المصارف من هذه العملية، وبخاصة ونحن في عصر التطور والتغيير السريع للتكنولوجيات المستخدمة التي تتطلب أفراداً ذوي كفاءة، وفطنة، لكي تتأقلم المؤسسة مع هذا التطور، وتحافظ على مكانتها في السوق.

لقد توصل الباحثان إلى أن الحصول على المعلومات الذكية بالجودة العالية يتطلب قيام المؤسسات المصرفية بتنظيم نشاط الذكاء التنافسي لديها وإتباع أسس علمية وعملية متطورة في عملية توليد المعلومات الذكية اللازمة لاتخاذ القرارات السليمة والهادفة.

المبحث الأول: الذكاء التنافسي وتقليل المخاطر في بيئة المؤسسة الصناعية**- مفهوم الذكاء التنافسي:**

1. الذكاء في المؤسسة: يعد الفيلسوف الروماني (شيشرون) أول من أطلق مصطلح (Intelligentia) والتي تعني باللاتينية الذهن أو العقل ولكن الفيلسوف الإنجليزي (هربرت، سبنسر) عدّ أول من عدّل هذا المصطلح فأسماه الذكاء (Intelligence). وكلمة الذكاء تعني (القدرة على التعلم والفهم والتفكير بطريقة منطقية حول الأشياء)، ولقد توالت النظريات في مجال الذكاء، ومنها نظرية (ستيرنبرغ Sternberg) التي توصلت إلى أن هناك ثلاثة مظاهر أساسية للذكاء ينبغي أن تقوم عليها النظرية المكتملة للذكاء، وهي: الذكاء الأكاديمي، والذكاء العملي، والذكاء الإبداعي، وبناءً على تلك النظريات عرّف المعجم الوسيط الذكاء بأنه: (القدرة على التحليل

حظي موضوع الذكاء التنافسي باهتمام الكثير من الباحثين والدارسين، وبخاصة في الآونة الأخيرة التي شهدت تطورات كبيرة وهائلة في مختلف الميادين، منها الصناعية التي أصبحت تبحث عن كل ما هو جديد لتطبيقه لضمان السيطرة والتفوق أمام منافسيها الحاليين والمحتملين، وبالتالي كانت جل الدراسات حول أهمية الذكاء التنافسي بوصفه عملية تطبق حديثاً في المؤسسات رغم جذورها التاريخية القديمة، لكن بالنسبة لموضوع العلاقة بين الذكاء التنافسي والمخاطر في المؤسسة، فهو موضوع غير مدروس بصفة مباشرة، فالدراسات الحالية معظمها تصب حول: دور الذكاء التنافسي في زيادة الربحية، دور الذكاء التنافسي في خلق المزايا التنافسية، أثر الذكاء التنافسي على زيادة التحالفات الاستراتيجية... الخ، ويمكن توضيح بعض هذه الدراسات كالتالي:

■ دراسة: (Aliakbar Shahra Mejarshina، 2013) بعنوان:

Competitive intelligence، Competitive advantage in the success business organizations

أجريت هذه الدراسة لتوضيح كل جوانب عملية الذكاء التنافسي التي تؤدي إلى خلق المزايا التنافسية، خاصة من خلال الابتكارات التكنولوجية سواء من جانب المنتجات أو الأساليب، وقد هدفت هذه الدراسة إلى بيان أن عملية الذكاء التنافسي في المؤسسات أصبحت سلاحاً قوياً يؤدي إلى تحقيق المزايا التنافسية، وبالتالي السيطرة والتفوق على المنافسين، وتوصلت الدراسة في النهاية إلى أن عملية الذكاء التنافسي هي عملية تؤدي إلى الحفاظ على المؤسسات وإعدادهم لمواجهة التحديات، إذا ما طبقت بشكل صحيح وفعال.

■ دراسة (Jay Paap، 2007) بعنوان:

Using Competitive Technical Intelligence to Stimulate Innovation

لقد حاول الباحث في هذه الدراسة توضيح أثر الذكاء التنافسي على مستوى الأداء، وكذا الابتكارات بمختلف أنواعها، كذلك بين جانباً مهماً في عملية الذكاء التنافسي وهو الجانب الأخلاقي في جمع المعلومات، والابتعاد عما يسمى بالتجسس الصناعي، لأنه طريق غير مشروع وغير قانوني، وبالتالي كان الهدف من هذه الدراسة إظهار أهمية الذكاء التنافسي في المؤسسة في كيفية الرفع من مستوى أدائها وبالتالي تحقيق الأهداف المخطط لها والتي من بينها: الربحية، الكفاءة الإنتاجية، التقدم التقني، الذي ركز عليه الباحث في هذه الدراسة لما له من أهمية في تقوية دور المؤسسة.

■ دراسة: (Celina M. Olszak، 2014) بعنوان:

An Overview of Information Tools and Technologies for Competitive Intelligence Building: Theoretical Approach

التحسين المستمر للأوضاع الحالية بما يحقق المردودية الإيجابية سواء من الناحية الاقتصادية، عن طريق التوصل إلى معدلات نمو مرتفعة تزيد من الرفاهية الاجتماعية، أو من الناحية الصناعية عن طريق معالجة الأوضاع الداخلية والخارجية للمؤسسة بما يحقق لها التميز والتأقلم مع كل المستجدات واستغلالها الاستغلال الأمثل.

مؤشرات تقييم الوضع التنافسي:

وللإشارة هنا فإن المحللين الاقتصاديين يعتمدون في تقييمهم للوضع التنافسي لكل مؤسسة على عدد من المؤشرات أهمها: (عدنان، 2003، ص 11)

♦ **الربحية:** يعد مؤشر الربحية مؤشراً هاماً لكي تحقق المؤسسة قوة تنافسية في السوق تمتد لفترة زمنية طويلة.

♦ **تكلفة الصنع:** إن تكلفة الصنع المتوسطة، بالقياس إلى تكلفة المنافسين تمثل مؤشراً كافياً عن التنافسية في أي نشاط ذي إنتاج متجانس ما لم يكن ضعف التكلفة على حساب الربحية المستقبلية للمشروع، ويمكن لتكلفة وحدة العمل أن تمثل بديلاً جيداً عن تكلفة الصنع المتوسطة عندما تكون تكلفة اليد العاملة تشكل النسبة الأكبر من التكلفة الإجمالية.

♦ **الإنتاجية الكلية للعوامل:** إن الإنتاجية الكلية للعوامل، تقيس الفاعلية التي يحول المشروع فيها مجموعة عوامل الإنتاج إلى منتجات، ولكن هذا المفهوم لا يوضح مزايا ومساوي تكلفة عناصر الإنتاج، كما أنه إذا كان الإنتاج يقاس بالوحدات الفيزيائية مثل أطنان من الورق أو أعداد من التلفزيونات، فإن الإنتاجية الإجمالية للعوامل لا توضح شيئاً حول جاذبية المنتجات المعروضة من جانب المشروع.

♦ **الحصة السوقية:** ترمز الحصة السوقية إلى نصيب المؤسسة أو نسبة مبيعاتها إلى المبيعات الإجمالية للصناعة، ويساعد تحليل الحصة السوقية إلى تعرف موقف مبيعات المؤسسة بالنسبة للمبيعات الخاصة بالصناعة ودرجة التغير فيها بصرف النظر عن الثبات أو الزيادة أو النقصان في مبيعات هذه المؤسسة، إذ يمكن أن تنخفض مبيعات المؤسسة، ولكن حصتها السوقية قد تكون ثابتة أو في زيادة أو انخفاض والعكس صحيح، وبشكل عام يمكن القول، إنه إذا ارتفع نصيب المنظمة من السوق فمعنى ذلك أنها تحقق كسباً و تفوقاً ملموساً في مواجهة منافسيها أما إذا انخفض نصيب المنظمة من السوق فإن ذلك يعني أنها تخسر جزءاً من نصيبها في السوق إلى المنافسين. (دخان، 2010، ص 4).

- مفهوم الذكاء التنافسي (Competitive Intelligence):

فيما يتعلق بالذكاء التنافسي فقد وردت العديد من التعاريف منها:

♦ **الذكاء التنافسي هو:** «المعرفة المسبقة عن بيئة التشغيل الخارجية، والهدف في النهاية من هذه العملية هو تسهيل اتخاذ

والتركيب والتمييز والاختيار، وعلى التكيف إزاء المواقف الجديدة والمستحدثة». (القميزي، 2011)

أما فريمان فقد قسم تعاريف الذكاء إلى أربعة أنواع: (المنتدى السعودي للتربية الخاصة):

- النوع الأول: يهتم فيه التعريف بتكيف الفرد أو توافقه، مع البيئة الكلية التي تحيط به، ومن أمثلة هذا تعريف (بينتر pintner) للذكاء بأنه قدرة الفرد على التكيف بنجاح مع ما يستجد في الحياة من علاقات.

- النوع الثاني: يؤكد أن الذكاء هو القدرة على التعلم، ووفقاً لهذا التعريف يصبح ذكاء الفرد مرهوناً بمدى قابليته للتعلم ومن أمثلة هذا النوع تعريف (ديربون، Dearborn) للذكاء بأنه القدرة على اكتساب الخبرة والإفادة منها.

- النوع الثالث: يعرف الذكاء بأنه القدرة على التفكير المجرد وهذا هو التعريف الذي قدمه لنا لويس ترممان، غير أن هناك بعض الاعتراضات على هذا التعريف إذ يتضمن أن الذكاء لا يمكن أن يظهر في المستوى العياني أو الحسي.

- النوع الرابع: هذا النوع من التعريفات أكثر اتساعاً في نظرتهم من الأنواع السابقة ومن أمثلته تعريف (ويكسلر) للذكاء بأنه (القدرة الكلية لدى الفرد على التصرف الهادف والتفكير المنطقي والتعامل المجدي مع البيئة). (الكواز وآخرون، 2012، ص 180).

إن الذكاء في المؤسسة يساعد في تدعيم صناعة القرارات المهمة والاستراتيجية، ويعمل على معالجة المعلومات، من خلال البيانات الخام قبل تفسيرها إلى معلومات مفهومة ومفيدة (قاسم، 2011، ص 11).

- التنافسية (Competitive):

في حقيقة الأمر من الصعب إيجاد مفهوم دقيق للتنافسية، وهذا لإحاطتها بنوع من الغموض وعدم الدقة، لاختلاف وجهات النظر حول مفاهيمها، لكننا سنحاول انتقاء أكثر المفاهيم وضوحاً كما يلي:

التنافسية هي (قدرة مؤسسات القطاع الصناعي في دولة ما على تحقيق النجاح المستمر في الأسواق الدولية دون الاعتماد على الدعم والحماية الحكومية). (وزارة التخطيط الأردنية، 2001، ص 4) كذلك هي (قدرة المؤسسة على المنافسة من ناحية الجودة والكفاءة الداخلية في استخدام مواردها حتى تضمن بقاء وتحقيق مردودية اقتصادية). (رزيق، ص 5)

هناك من عرفها بأنها (مقدرة الاقتصاد الوطني على التوصل إلى معدلات مستدامة من النمو الاقتصادي محسوبة بمعدلات التغيير السنوي لدخل الفرد). (خضري، 2003، ص 5)

وبالتالي نستطيع القول، إن مفهوم التنافسية جله يركز حول

الحيوية، إذ تقدر فيها تكاليف تطوير الأدوية حسب نوع الدواء المراد تطويره.

◆ يساعد الذكاء التنافسي المؤسسة في مراحل عملية الإنتاج، من خلال فهم هياكل التسعير للمنافسين، وفهم عملية التصنيع وتأثيرها في تكاليف الإنتاج التي تمكن المؤسسة من وضع التسعير الأمثل وبخاصة عند الاستعداد لإطلاق منتج جديد.

◆ يعمل الذكاء التنافسي على الرصد المستمر للسوق الذي يتميز بالتغيير الدائم، فيعمل على توفير المعلومات التالية:

- لجدول الزمنية التنظيمية
- التجارب الجارية من المنتجات التنافسية الحالية والمستقبلية

- مبيعات المنافسين واستراتيجية التسويق
- استراتيجيات عرض المنتجات الجديدة ذات الخصائص الأكثر فعالية

- أنشطة المنافسين في الترويج للمنتج في وسائل الاعلام المرئية وغير مرئية، ومدى تأثيراتها على أفكار وتوجهات المستهلكين.

- كما أنه: (حموي، العبد الله، 2012، ص 892)

- يساعد الذكاء التنافسي المدراء التنفيذيين على تقييم المنافسين وهذا بدوره يترجم إلى مفاجآت تنافسية أقل.

- يحدد الفرص السوقية، فيحمي ضد التهديدات المحتملة للمنافسين.

- يُعلمنا عن التكنولوجيات الجديدة التي يمكن أن تؤثر على المؤسسة.

- يُعلمنا كيف يمكن للتشريعات الحكومية أن تؤثر على المنافسة.

- يعزز من جاهزية المؤسسة لاتخاذ القرارات وزيادة قدرتها على الاستجابة بشكل مبكر.

- ولقد أشار (Selon Jonesen، 2001) إلى الدور الفعال والقيمة المضافة التي يضيفها الذكاء التنافسي لتطوير المؤسسات، حيث حددها في النقاط الآتية: (Berner، 2001، ص 3)

- التخطيط للحصول على حصة سوقية عالية، مع المحافظة عليها.

- توقع ردود أفعال المنافسين، والتصدي لها.

- الذكاء التنافسي هو جهاز للإدارة الاستراتيجية وواحد من مجالات الأعمال التجارية التي توفر نمواً سريعاً وتحسناً في المؤسسات. (Aliakbaar، 2013، ص 406)

القرارات التي تؤدي إلى العمل». (Global Intelligence alliance، ص 2، 2004)

◆ الذكاء التنافسي هو: فن تحديد وجمع وتحليل وتوزيع المعلومات حول المنتجات والعملاء والمنافسين، والأفراد، وكذا المعلومات والأفكار أو البيانات لدعم المديرين التنفيذيين في اتخاذ القرارات الاستراتيجية.

◆ الذكاء التنافسي هو: جمع المعلومات في الوقت المناسب وعلى أساس الواقع مع استخدام تلك المعلومات في اتخاذ القرارات الاستراتيجية، إذ جرى ذلك من خلال تحليل الصناعة، وهو ما يعني فهم اللاعبين في الصناعة وتحليل التنافسية، التي تعني فهم نقاط القوة والضعف للمنافسين، وقياس أي تحليل للعمليات التجارية الفردية من قبل المنافسين. (Global Intelligence alliance، 2004، ص 2)

◆ الذكاء التنافسي هو: عملية تحليل تكتيكية عن الأسواق والمنافسين والصناعات، للسماح باتخاذ القرارات في المدى القصير والطويل، أي الاستفادة من التغيرات الموجودة في السوق، مع استغلال نقاط القوة والضعف الخاصة بالمنافسين وجعلها لصالح المؤسسة.

يستهدف الذكاء التنافسي جميع مستويات صنع القرار أي الاستراتيجية، والتكتيكية، والتشغيلية في الوقت نفسه، وينبغي التأكيد على أن الهدف الرئيسي من الذكاء التنافسي هو تسهيل المزيد من الخطط الاستراتيجية لزيادة فعاليتها، باعتباره أحد الأدوات الاستراتيجية التي تمتلكها الإدارة والأكثر أهمية في الوقت الحالي، إذ يعتبر شريان الحياة الاستراتيجية، ويؤكد تايلور فيول ذلك سنة 1994 حين يرى أن تحويل المعلومات إلى ذكاءات يسهل تفسيرها وتحليلها واستخدامها، كما يسهل التوقعات والآراء حول المستقبل بدلا من الملاحظات حول الحالات الماضية والحاضرة، أي التفكير بشكل مختلف عن النظرة التقليدية، بمعنى ليس التفكير حول ما حدث ولكن عن ما الذي سيحدث.

2. أهمية الذكاء التنافسي في المؤسسة:

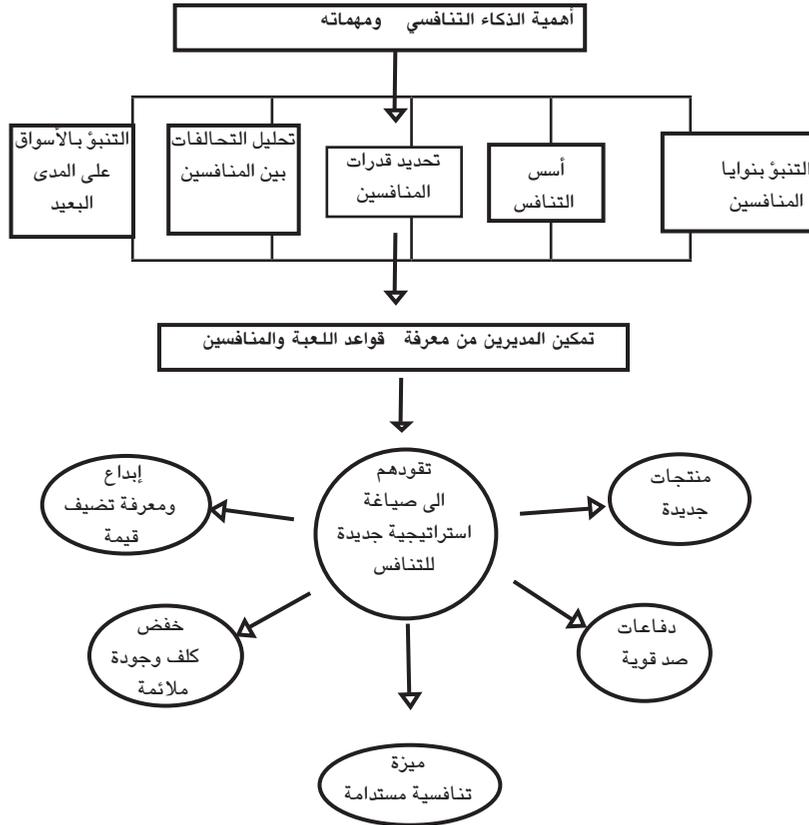
تتبلور أهمية الذكاء التنافسي في الصناعة كما يلي: (Lim- acher، 2014)

◆ الذكاء التنافسي هو عملية فعالة في جميع أنحاء المؤسسة، من خلال دعم عملية صنع القرار على جميع المستويات ولمجموعة متنوعة من الأغراض بما في ذلك البحث والتطوير، كذلك تطوير الأعمال التسويقية، التخطيط الاستراتيجي.

◆ للذكاء التنافسي القدرة على تخصيص الموارد للمؤسسات حسب أحجامها، وبخاصة تلك الموجودة في الصناعة التكنولوجية

الشكل (1) :

المهام الأساسية للذكاء التنافسي



المصدر: علي صالح، أحمد، وآخرون، (2010)، الإدارة بالذكاءات: منهج التميز الاستراتيجي والاجتماعي للمنظمات، الطبعة الأولى، عمان، الأردن، دار وائل للنشر و التوزيع، ص 332.

3. دورة حياة الذكاء التنافسي:

تمر دورة حياة الذكاء التنافسي بمجموعة من المراحل، وسنتناولها، بشيء من الإيجاز وفق الآتي:
(فواز حموي، محمد العبد الله، 2012، ص 892)

♦ **مرحلة التخطيط والتوجيه:** تتباين المؤسسات في بنائها لعملية الذكاء التنافسي، إذ تعتمد اللبنة الأساسية لذلك البناء على التركيز الذي توليه المؤسسة لعملية الذكاء التنافسي بشكل خاص، وكذلك على الصناعة التي تعمل ضمنها المؤسسة. وعملية الذكاء التنافسي ليست مجرد عملية جمع الكثير من البيانات والمعلومات التي يُعتقد أن المدراء بحاجة إليها، وإنما التركيز على القضايا ذات الأهمية المرتفعة للإدارة التنفيذية.

والاجابة على الاسئلة التالية: (Aliakbaar، 2013، ص 409)

◀ لماذا الذكاء التنافسي ضروري؟

◀ ماهي المفاهيم والبيانات التكتيكية والاستراتيجية؟

◀ ماهي أول الاهتمامات للمؤسسة؟

فتساعد هذه المعرفة في تحسين الأداء والاستراتيجيات التي تقوم على الموارد المتاحة والوقت المناسب وتحديد الميزانية.

♦ **مرحلة التجميع:** لا بد من التركيز في هذه المرحلة على مصدر المعلومات واستخدامها، ولا بد من التركيز كذلك على

المبادئ القانونية عند جمع المعلومات كجزء من عملية الذكاء التنافسي، ولعل من المهام الصعبة جداً والتي تواجه فريق الذكاء التنافسي هي جمع المعلومات المرتبطة بالإنذار المبكر لتحركات المنافسين الوشيكة الوقوع، لأنه في الأعمال كما في الحرب لا يمكننا تقريباً تجنب المباغته رغم كل الجهود المضادة. ويعد التحذير المبكر لتهديدات المنافسين غالباً الشيء الوحيد الذي يقف بين النجاح التنافسي والمباغته التنظيمية، نظراً لارتباطه بنية المنافس المستقبلية، وغالباً ما تكون المؤشرات المتعلقة بالنية غامضة، ومن غير المحتمل أن ننجح بحل رموزها في غياب المراقبة والتحليل المستمر. فالمهمة الأساسية للذكاء التنافسي في هذا السياق تكمن في محاولة تحديد المؤشرات المتعلقة بالنية بشكل مبكر وكافي لتحديد ما الذي تعنيه وما الذي نحتاج القيام به للاستجابة للحدث الوشيك.

♦ **مرحلة التحليل:** هي خطوة أساسية تتضمن تحليل البيانات التي تجمع لتحديد أنماط وعلاقات النشاط الحالي، والتي نن شأنها تحسين التخطيط وصنع القرار. (Dollatabady, and Hus- 942 ص 2011، sein)

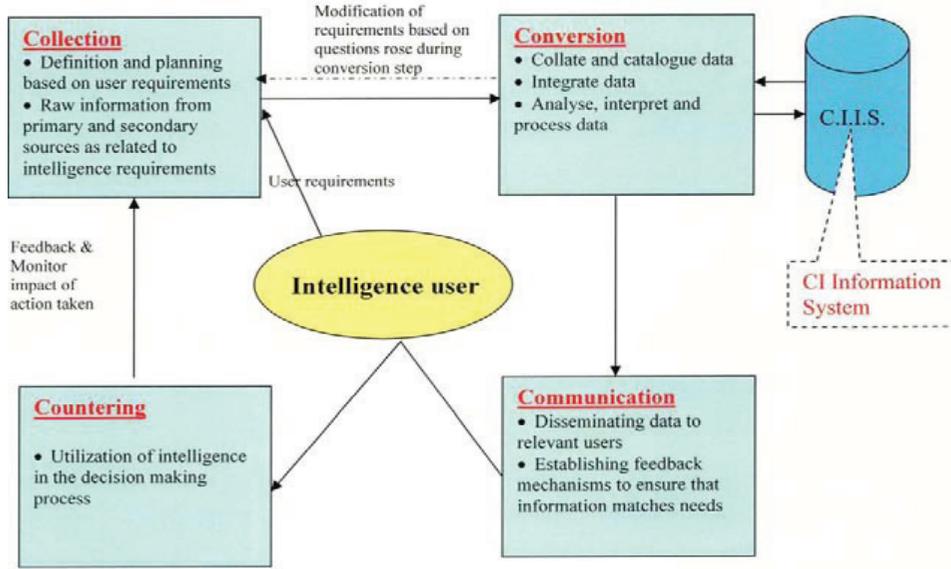
♦ **مرحلة النشر:** هي عملية نقل النتائج المتحصل عليها من الذكاء التنافسي إلى الأطراف ذوي السلطة والمسؤولية للعمل بناء على هذه النتائج، ويجب تقديم هذه النتائج بالشكل المناسب والتوقيت الملائم. (فواز حموي، محمد العبد الله، 2012، ص 892)

ولتدعيم دورة عملية الذكاء التنافسي أشار Arthur Weiss «شريك مؤسسة (Aware) التي تحظى بسمعة دولية داخل المنظمة (SCIP) نقطة مهمة تتمثل في أن هناك أربع مراحل لرصد ومراقبة المنافسين يقوم بها خبراء الذكاء التنافسي وهذه المراحل ممثلة في الشكل رقم (2) كالتالي:

وآخر مرحلة في عملية الذكاء التنافسي هي مرحلة تقييم المراحل السابقة، وتشمل كل الحويلة من المعلومات التي تم جمعها وتحليلها ونشرها، بالتالي تعكس وجهات نظر كل الأطراف من محللين وخبراء الذين استخدموا في هذه العملية لتحسينها. (Rezaie Dollatabady, Hussein, 2011, ص 942)

الشكل (2)

مراحل مراقبة المنافسين



Source: Felicia Albescu, Irina Pugna, Dorel Paraschiv, Business Competitive Intelligence–The Ultimate USE of .Information Technologies in Strategic Management , the Bucharest Academy of Economic Studies, P3

الجدول (1)

مصادر المعلومات لعملية الذكاء التنافسي

مصادر سرية	مصادر مباشرة	مصادر عبر الإنترنت
-	- التسعير وقوائم السعر	- موقع المؤسسة
-	- الحملات الإعلانية	- التقارير السنوية
- توظيف الموظفين السابقين ذوي الخبرة	- العروض الترويجية الخاصة	- البيانات والمقالات الصحفية
- التحدث مع الباعة	- الكتابات ومجموعات المبيعات	- تقارير المحللين
- مقابلات الزبائن	- شراء منتجات المؤسسة	- التقارير الحكومية
- حضور المناسبات الاجتماعية	- منافسة	- عروض على الإنترنت
-	- معارض تجارية	- طلبات براءة الاختراع

Source : Erica Olsen, SWOT Analysis : Gathering : Competitive Intelligence, Quoting Site

<http://www.dummies.com/how-to/content/swot-analysis-gathering-competitive-intelligence.html>

إن الهدف من هذه المرحلة؛ تحديد أهم نقاط الاهتمام لدى المنافسين من أجل اتخاذ القرار المناسب والهادف، لذا فإن عملية البحث تحتاج إلى أن تكون مركزة، ودقيقة، ومخطط لها، وتهدف إلى الإجابة عن مختلف تساؤلات خبراء الذكاء. (Felicia Albescu, Irina Pugna, Dorel Paraschiv, ص4)

إن منهج مراقبة المنافسين يطلق عليه اسم (War- Like)، وقد أخذ هذا المصطلح من المجال العسكري، إذ إن كل الاتجاهات تتواجد من أجل نفس الموارد وتشغل نفس السوق (المنطقة)، إذن فهي تشبه الحرب إذ يجب على المؤسسة أن تفهم العدو، رؤيته، قوته، كيف يكمن الحذر منه، ومتى يكون الوقت مناسب للهجوم عليه. (Felicia Albescu, Irina Pugna, Dorel Paraschiv, ص3)

فحسب الشكل السابق يكون هناك أربعة مراحل لمراقبة المنافسين يتم شرحها كما يلي:

■ مرحلة جمع المعلومات عن المنافسين: ويعتمد القرار التمهيدي (الأولي) لخبراء الذكاء التنافسي على وضع تخطيط شامل عن المعلومات الواجب البحث عنها، والتي تخص المنتجات الجديدة، التكنولوجيا الجديدة معتمدة من المنافسين.

وفي هذا الصدد تتحصل المؤسسة على المعلومات من مصادر مختلفة، إذ يمكن تقسيم هذه المصادر إلى ثلاث مجموعات: مصادر عبر الإنترنت، مصادر مباشرة، مصادر سرية، كما هو موضح في الجدول الآتي:

المستقبل بدرجة من الاحتمالات) (قاسم نايف علوان، 2009)
- المخاطر: هي (أي تهديد لعملية تحقيق أهداف المؤسسة.
إنها احتمالية الأثر السلبي لأي ظاهرة أو فعل مستقبلي) (عبد
الستار حسين يوسف، 2007، ص2)

حسب التعريفات السابقة، فإن المخاطر في المؤسسة تتركز
على مبدأ الاحتمالية بالحدوث التي يلفها الغموض ونسبية التحديد
بالاعتماد على التخمين والتقدير الكمي، إن كل مؤسسة اقتصادية
أو صناعية اليوم مهما كانت قوتها تعمل في بيئة تتضمن نسبة
محددة من المخاطرة تعتمد على نوع النشاط الاقتصادي وقوة
وكفاءة منظومات المؤسسة وفعاليتها إدارتها، وبذلك فإن المخاطرة
قائمة ومستمرة مادام النشاط الاقتصادي قائماً ولا توجد مؤسسة
في معزل عن ذلك وخاصة في بيئتنا المعولمة الآن. (عبد الستار
حسين يوسف، 2007)

- أنواع المخاطر في المؤسسة :

نظرا للتغيرات المستمرة في البيئة التنافسية الصناعية تنشأ
أنواع عديدة من المخاطر التي قد تكون قوية إلى حد التأثير في بقاء
المؤسسة واستمراريتها في السوق، ويمكن ذكر هذه الأنواع على
النحو الآتي:

◆ مخاطر تكنولوجية: تتمثل المخاطر التكنولوجية بالنسبة
للمؤسسات الصناعية في مستوى التقدم الحاصل واستخدامه
لتطوير المنتجات والعمليات من طرف المنافسين، أي حصولهم على
مزايا تنافسية قوية يسيطرون بها على الأسواق المحلية والدولية.

◆ مخاطر المنافسة والسوق: من المؤكد أن المؤسسة تنشط
في بيئة كثيرة التغيير، وهذا قد يؤثر عليها من خلال ما تنتجه،
فمستوى الأسعار المتذبذب، ومعدلات الفائدة ومعدلات الصرف
(حسين يوسف، 2007، ص3) قد تكون عائقاً أو خطراً يهدد مستوى
الأرباح المخطط لها، وفي المقابل يستغل المنافس هذه الفرصة
لإلحاق الضرر بمنافسته عن طريق التخفيض المباغت للأسعار،
وبالتالي يؤثر ذلك سلباً في المؤسسات التي لاتضع هذا الاحتمال
ضمن قراراتها.

◆ مخاطر العملاء: في هذه الحالة قد يكون العملاء مصدر
خطر إذا كان هناك تغيير في أذواقهم بحيث لا يتطابق ومنتجات
المؤسسة، فيؤدي ذلك إلى انسحابهم واللجوء إلى منتجات المؤسسات
المنافسة وبذلك تتحمل المؤسسة خسائر كبيرة هي في غنى عنها.

◆ مخاطر التحالفات والاستحواذ: قد تتحالف مجموعة من
المؤسسات المنافسة أو تندمج أو يستحوذ بعضها على بعض، فإذا
كانت تلك المؤسسة ضعيفة أو لا تستطيع التصدي لهذا الخطر فإنها
ستنسحب من السوق وتزول.

كذلك من بين أهم أنواع المخاطر التي تواجه المؤسسة نذكر:

- مخاطر مفاجأة: وهي المخاطر التي تأتي في ظروف
غامضة وغير محسوبة، ولا يمكن التنبؤ بها مثل التغييرات المفاجأة
في القوانين العامة، كذلك التغييرات المناخية الغير مسبوقة، تغيير
أذواق المستهلكين...الخ.

- مخاطر التفوق: وتركز على وضع المؤسسة الجيد في
السوق وزيادة نشاطاتها، وأعمالها من تطوير للمنتجات الجديدة،

■ تحويل المعلومات إلى ذكاء: في هذه المرحلة للأسف فإن
العديد من البيانات المتحصل عليها إما زائدة عن الحاجة، أو منتهية
الصلاحية، أو غير دقيقة، أو غير تامة، أو حتى خاطئة، فالخبير
يعمل جاهدا للحصول على معلومات ذات فائدة، يمكن الاستفادة
منها وبحكم الخبرة فإنه يقوم بجمع ما يلزم من معلومات التي
يراهما تساعده للوصول إلى أهدافه، وبالاعتماد على نموذج المراحل
الأربعة فإنه يقوم بتحويل تلك المعلومات إلى ذكاء، فعملية تحويل
المعلومات إلى ذكاء هي عملية تحتوي بدورها على ثلاث خطوات
هي:

- جمع المعلومات ووضعها في ملف (Catalogne).

- دمج هذه المعلومات مع بعضها.

- تحليل وترجمة هذه المعلومات إلى معرفة قابلة
للاستخدام.

كل هذه الخطوات مطلوبة في عملية تحويل المعلومات إلى
ذكاء.

■ ذكاء الاتصال: بعد جمع المعلومات المختلفة يتم تحويلها
إلى معلومات ذكية، والتواصل مع الإدارة العليا فيما يخص النتائج
المتحصل إليها من أجل اتخاذ القرارات الاستراتيجية المناسبة، إذ
قد تكون السبب في؛ زيادة الحصة السوقية للمؤسسة، خلق منتجات
جديدة، الهجوم على المؤسسات المنافسة وإخراجها من السوق...الخ.
فتعمل المؤسسة على اتخاذ الإجراءات التالية: (Erica، SWOT
Analysis : Gathering Competitive Intelligence)

- تحديد المنتج أو الخدمة والعملاء مع التركيز حول ما إذا
كان للمؤسسة المنافسة نفس المنتج أو الخدمة أو العملاء لاتخاذ
الاجراءات المناسبة.

- تعمل المؤسسة على تضييق حيز السوق، بحيث تحدد أكبر
المنافسين من حيث القوة.

- تحديد نقاط القوة والضعف للمنافسين، أي استخدام
المعلومات التي جمعت حول: خدمة العملاء، التسعير، الجودة،
المبيعات، العمليات، الموارد، الأفراد، فيسمح هذا للمؤسسة من فهم
ومعرفة خطط المنافسين المحتملين في المستقبل القريب.

■ مواجهة الإجراءات السلبية من قبل المنافسين والاستفادة
من البيانات التي تم جمعها.

المبحث الثاني: نظرة عامة للمخاطر في المؤسسة

- مفهوم المخاطر:

لقد تناول العديد من الباحثين مفهوم المخاطر نذكر منها:

- المخاطر: هي (إمكانية الأذى أو الخسارة لأي برمجيات،
معلومات، معدات، كل ما هو إداري، كل ما هو مادي، الاتصالات، أو
الموارد البشرية ضمن نظام معلومات أو نشاط معين) (عبد الستار
حسين يوسف، 2007، ص2)

- المخاطر: هي (حالة عدم التأكد يمكن قياس درجته)
(حمزة عبد الكريم محمد حامد، 2008)

- المخاطر: هي (الحالات التي لا يمكن التنبؤ بها في

تقوم بإرشاد العاملين إلى إدراك ما هو محتمل صعوداً (إيجابياً) أو نزولاً (سلبياً) من العناصر البيئية التي تؤثر على المؤسسة. (حسن يوسف، 2007، ص5) ومن التعاريف الشائعة ما يلي: (حسن يوسف، 2007، ص5)

إدارة المخاطر: هي عملية مستمرة لتقدير المخاطر المحتملة لمؤسسة ما، وتحديد مستوى الأمان المناسب عن طريق تحليل التهديد المحتمل، وإمكانية حصول الضرر وافتقاد طرق السيطرة المناسبة وبالكلفة الفاعلة لصفات مستوى مقبول من الخطر.

- تقويم المخاطر في المؤسسة

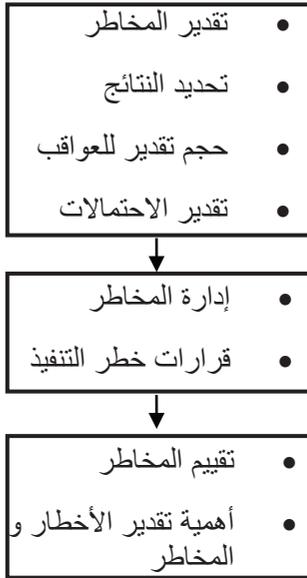
أ. الهدف من تقويم المخاطر في المؤسسة:

على مستوى المؤسسة، تظهر عملية تقويم المخاطر طرق تحليلية لعدم التأكد، ويكون هدف تقويم المخاطر في المؤسسة، توفير معلومات عن أي القرارات يمكن أن تتخذ بالنسبة للإجراءات المقترحة وكيفية مراقبة المخاطر، وما التحسينات اللازم إدخالها.

ويمكن توضيح الطريقة التسلسلية لتقويم المخاطر في المؤسسة في الشكل كما يلي:

الشكل رقم (3)

عملية تقويم المخاطر



المصدر: جليزون، وآخرون (2007)، إدارة المخاطر - الأمور الحرجة للنجاح والبقاء على قيد الحياة في القرن الحادي والعشرين، تعريب سرور علي إبراهيم سرور، المملكة العربية السعودية، دار المريخ للنشر. ص 67.

من خلال الشكل نستطيع معرفة الطريقة التسلسلية لإدراك المخاطر في المؤسسة ووضع الحلول المناسبة لها عن طريق اتخاذ القرارات السليمة والرشيده وهذه الطريقة تبدأ بتقدير المخاطر أي تحديد النتائج المتوصل لها ثم تقدير مقدار العواقب إذا ما وصلت المؤسسة بتحديد الأهداف المخطط لها وبالتالي يمكنها: تقدير احتمالات النجاح والفشل بعد هذه العملية، تقييم المخاطر بوضع مجمل الأخطار التي قد تتعرض لها المؤسسة، وتصنيف الأخطار الأكثر خطورة ومن ثم الأقل، بعدها تأتي مرحلة إدارة هذه المخاطر أي معرفة نوع القرارات التي يجب أن تتخذ في حالة وجود مجموعة

والدخول إلى أسواق جديدة، والاستحواذ على مؤسسات جديدة، هذا ما يجعل المؤسسة تعاني من مخاطر التنافس الشديد، لإضعاف قدرتها التنافسية في بيئة متغيرة ومتقلبة.

- تحليل المخاطر

تعريف المخاطر

يهدف تعريف المخاطر إلى تحديد تعرض الشركة لعدم التأكد، وهذا يتطلب معرفة جوهرية بالمؤسسة، والسوق التي تشارك فيه، والبيئة القانونية والاجتماعية والسياسية والثقافية التي تتواجد ضمنها ويتطلب كذلك الفهم السليم لأهداف المؤسسة الاستراتيجية والتشغيلية، ويشمل ذلك العوامل الحيوية لضمان نجاح المؤسسة والفرص والتهديدات المرتبطة بتحقيق تلك الأهداف، ويجب أن تكون عملية تعريف المخاطر بأسلوب منهجي لضمان تعريف جميع الأنشطة الهامة للمؤسسة، وكذلك تعريف جميع الأخطار الناجمة عن تلك الأنشطة، كذلك يجب تحديد التغييرات المصاحبة لتلك الأنشطة وتصنيفها حسب أهميتها. (كردي، 2007)

ويمكن تصنيف أنشطة المؤسسة إلى عدة أنواع من ضمنها:

(كردي، 2007)

- استراتيجية: تهتم بالأهداف الاستراتيجية طويلة الأجل للمؤسسة. ويمكن أن تتأثر بعدة عوامل منها: مدي توافر رأس المال والمخاطر السياسية والسيادية، والتغيرات القانونية والتشريعية، والسمعة، وتغيرات البيئة الطبيعية.

- تشغيلية: تهتم بنواحي النشاط اليومي التي تواجهها المؤسسة خلال سعيها نحو تحقيق الأهداف الاستراتيجية. - مالية: تهتم بالإدارة الفعالة والرقابة علي النواحي المالية للمؤسسة وتأثير العوامل الخارجية مثل مدي توافر الائتمان، وأسعار الصرف، وتحركات أسعار الفائدة..الخ.

- الإدارة المعرفية: تهتم بالإدارة الفعالة والرقابة على مصادر المعرفة، الإنتاج وغيرهما من عوامل الحماية والاتصالات. وقد تتضمن العوامل الخارجية الاستخدام غير المسموح به أو سوء الاستخدام للملكية الفكرية، وانقطاع الطاقة، والمنافسة التكنولوجية. وقد تتضمن العوامل الداخلية فشل النظم الإدارية أو فقدان أهم عناصر القوي البشرية.

- التوافق مع القوانين: يهتم بنواحي مثل الصحة والسلامة، والبيئة، والمواصفات التجارية، وحماية المستهلك، وحماية نظم المعلومات، والتوظيف والنواحي القانونية.

وعلى الرغم من أنه يمكن تنفيذ أنشطة تعريف المخاطر بواسطة مستشارين من خارج المؤسسة، إلا أنه قد يكون أكثر فاعلية لو تم تنفيذها داخليا بالمؤسسة مع توافر أدوات وأنشطة ذات تنسيق واتصال جيد بينها إذ تعدّ الملكية الداخلية لأنشطة إدارة المخاطر ضرورية.

- إدارة المخاطر:

إن إدارة المخاطر هي جزء مركزي من أي إدارة استراتيجية في مؤسسات الأعمال، إن تركيز إدارة المخاطر ينصب على تشخيص ومعالجة المخاطر التي يمكن أن تواجه تلك المؤسسات وتهدف إلى تعظيم القيمة المتوقعة لكافة أنشطة المؤسسة الاقتصادية، إنها

من الحلول.

ب. طرق وإجراءات تقويم المخاطر:

◀ ما الذي يمكن القيام به لخفض أو القضاء على المخاطر؟

◀ هل مستوى المخاطر مقبول؟

◀ هل يمكن السيطرة على المخاطر الجديدة وهل كان توقعها

صحيحاً؟

◀ ماهي المخاطر والتهديدات المفترضة؟

◀ ما هي درجات الخطر من المنافسين الحاليين والمحتملين؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة يقوم خبراء الذكاء التنافسي بالسيطرة على المخاطر والعمل على رصد ومراقبة البيئة الخارجية وجمع المعلومات وتحويلها إلى معرفة قابلة للتطبيق على الشكل التالي:

◆ تعريف حدود ما يتم تقويمه؛

◆ التعرف على مختلف أنواع المخاطر وتجنبها؛

◆ تعريف المجازفات والتهديدات، ووصفها؛

◆ تحليل تأثيرات المجازفة، وتوابعها، وتقدير ترجيحات الحدوث، والنواتج غير المرغوب فيها أي تحديد إمكانية الخطر؛

◆ تحويل التهديدات إلى فرص، مثل عمليات التحالفات الاستراتيجية فالمنافس أصبح حليف (تجمعهم نفس الاهداف).

فالذكاء التنافسي يوفر المعلومات الاستراتيجية التي يكون لها تأثير مباشر وغير مباشر على مسيرة وتطلعات المؤسسة فيعمل على بلورة تلك المعلومات وتحويلها إلى ذكاءات تستخدم كسلاح أمام القوى التنافسية، ومن بين هذه المعلومات نذكر: (De- and loach، thompson، 2012، ص 3)

- معرفة المنتجات المقدمة، والخيارات أو البدائل المتاحة.
- معرفة المنافسين، ونسب حصصهم السوقية واستراتيجيات التطوير الجديدة.
- جمع المعلومات حول العملاء، الموردين، الموزعين.
- معرفة التغيرات الاجتماعية والديمغرافية والتكنولوجية والابتكارات الجديدة والمخاطر الموجودة.
- معرفة اتجاهات الاقتصاد الكلي والتطورات والتوقعات الاقتصادية العامة.

2. استراتيجية الذكاء التنافسي لتقليل من المخاطر:

يعمل خبراء الذكاء التنافسي على تحليل البيئة الخارجية للمؤسسة من كل جوانبها، للكشف عن الفرص المتاحة، وتحديد التهديدات المحتملة التي قد تتعرض لها المؤسسة في بيئة كثيرة التغير، ويمكن تفصيل عملية الذكاء التنافسي حسب تصنيفاته كما يأتي:

◆ ذكاء السوق: يقوم خبراء الذكاء التنافسي بدور هام لكي تستفيد المؤسسة قدر الإمكان من المعلومات المقدمة حول القوى التنافسية واتجاهات الأسواق الكبيرة والناشئة. (and Deloach، thompson، 2012، ص 3) وتعتمد المؤسسات في هذا النوع من الذكاء للحصول على المعرفة اللازمة لصياغة الخطط المستقبلية المتعلقة بمصالحها الاستراتيجية ازاء السوق والبيئة ككل، وتعزيز

هناك طريقتان واسعتان لتقويم المخاطر وهي: (جليزون، وآخرون، 2007، ص 65)

◆ الطريقة التجريبية: تشمل على بعض الصيغ الكيفية، مثل «عالية»، «متوسطة»، «منخفضة»

فهي كيفية وشخصية بصفة عامة وتعتمد على الحكم الجماعي للأفراد.

◆ الطريقة العلمية التي تستخدم النماذج الكمية: تتطلب هذه الطريقة بصفة عامة تدريباً نظامياً في الرياضيات المستخدمة بحيث يتميز الأفراد بمهارات عالية في الجانب الرياضي.

تدعم تقدير المخاطر عملية اتخاذ القرار بالإجراءات الفعالة لإدارة المخاطر أي تجنب المخاطر، وإزالتها، وتقليلها، وتحسينها، ومراقبتها بصفة عامة، إذ يمكن إجراء تقديرات المخاطر على مستويات تنظيمية مختلفة، تتراوح من الاستراتيجية العريضة على مستوى المؤسسة إلى أنشطة التشغيل التفصيلية، ويمكن أن توجد حاجة إلى تقديم مخاطر ابتدائية تقريبية بفرض تحديد أوليات المخاطر حتى يمكن أن يستمر التطوير والتخطيط الاستراتيجي على أساس رشيد، ويمكن أن يتبع ذلك بتقويمات مخاطر تفصيلية أكثر كجزء من عملية اتخاذ القرار وتشمل اختيار الاستجابات العملية وتنفيذها.

المبحث الثالث: دور الذكاء التنافسي في الكشف عن المخاطر في المؤسسات الصناعية

تتألف عملية تقييم المخاطر من تحديد المخاطر وتحليلها، إذ تبدأ عمليات تقييم المخاطر النوعية مع وصف للمشكلة التي تكون واضحة المعالم، والتي تجمع أنواع المعلومات التي من شأنها معالجة مسألة الخطر، الذي يمكن التعرف عليه بكل سهولة. (Rockville,MD، 2006، ص 5)

وتحديد المخاطر في المؤسسة هو الاستخدام المستمر للمعلومات لتحديد المخاطر والإشارة لها بوصف المشكلة، إذ يمكن أن تشمل المعلومات والبيانات التاريخية والتحليل النظري للأداء ذكية تستفيد منها المؤسسة لحل المشكلة أو الخطر، ويعمل خبراء الذكاء التنافسي في هذه الحالة على تحديد المشكلة وإيجاد حل لها عن طريق ما جمع من المعلومات التي تمس كل الجوانب وبالتالي تحديدها. (Rockville,MD، 2006، ص 5)

1. إجراءات الذكاء التنافسي لدعم عملية تقييم المخاطر:

تسعى عملية تقييم المخاطر إلى البحث عن إجابات للكثير من الأسئلة والتي من بينها:

◀ ما طبيعة المجازفات وقسوة وترجيح التوابع غير المرغوب فيها؟

◀ ما هي أنواع المخاطر الممكنة الحدوث؟

◀ هل جهود مراقبتنا للمخاطر الحالية فعالة؟

◀ ما درجة المخاطر وكم يبلغ حجمها؟

جدول (2)

ترتيب شركات الأدوية الكبرى حسب الإيرادات لسنة 2004

الإيرادات من قطاع المستحضرات الصيدلانية، مليون دولار أمريكي	البلد	المؤسسة
46133	الولايات المتحدة	فايزر
31434	المملكة المتحدة	جلاكسو سميث كلاين
22190	الولايات المتحدة	جونسون آند جونسون
21494	الولايات المتحدة	ميرك
21426	المملكة المتحدة	استرازينيكا
18497	سويسرا	نوفارتيس
17861	فرنسا	سانوفي أفنتيس
17460	سويسرا	روش
15482	الولايات المتحدة	بريستول-مايرز سكويب
13964	الولايات المتحدة	وايث
13600	الولايات المتحدة	ابوت
13059	الولايات المتحدة	إيلي ليلي
8648	اليابان	تاكيدا
6417	الولايات المتحدة	شيرينغ بلاو
5458	ألمانيا	باير للرعاية الصحية

المصدر: لاري ديفيدسون، صناعة الدوائية في الاقتصاد العالمي، 2005
<http://kelley.iu.edu/davidso/lifesciences/lresearchpapers/pharmaceuticalindustryug12.doc>

وفي الجدول (3) نوضح ترتيب المؤسسات الدوائية، من حيث الإيرادات والنفقات للبحث والتطوير وفقا لتقرير 2013 كما يأتي:

الجدول (3)

قائمة من أكبر المؤسسات الدوائية العالمية

نفقات R&D مليون دولار أمريكي	مجموع الإيرادات مليون دولار أمريكي	البلد	المؤسسة
2411	71300	أمريكا	جونسون
6678	51600	أمريكا	فايزر
9678	52100	سويسرا	روش
3929	45400	المملكة المتحدة	جلاكسو سميث كلاين
9600	57900	سويسرا	نوفارتيس
1685	44600	فرنسا	سانوفي
4269	25700	المملكة المتحدة	استرازينيكا
1452	21800	أمريكا	مختبرات ابوت
7503	44000	أمريكا	ميرك وشركاه

مكانتها وأدائها في السوق، وذلك من خلال توفير تحليلات للمديرين التنفيذيين عن المؤسسة ومنافسيها وأسواقها عبر إجراء تحليل المنافسة. (علي صالح، وآخرون، 2010، ص 336)

◆ **ذكاء المنافس**: يعمل ذكاء المنافس على توفير معلومات دقيقة حول السوق والمنافسين كمعرفة سياسة التكاملات والتحالفات الاستراتيجية القائمة في الأسواق، للتقليل من مخاطرها، كذلك رصد المنتجات الجديدة والمبتكرة المقدم والتي تؤدي إلى زيادة حدة التنافس، خاصة أن التطورات المستمرة للتقنيات الجديدة تجعل المنتجات الحالية في وضع مقارنة مقابل المنتجات المستحدثة، وهذا ناتج عن دورة حياة التقنية القصيرة والسريعة، مما يشكل حرجا على المؤسسات، خاصة التي لا تملك التمويل اللازم لتدعيم نشاط البحث والتطوير، وبالتالي سرعة تطوير المنتجات يمكن أن تكون ميزة تنافسية قوية للمؤسسة المنافسة، بحيث تزداد أرباحها وحصتها السوقية. (Badir and Founou، 2005، ص 254)

◆ **الذكاء التكنولوجي**: يقوم الذكاء التكنولوجي بدعم أعمال المؤسسة وقرارات الاستثمار، ويساعد صناع القرار في تقدير نقاط القوة في المؤسسة، ويركز على عمليات البحث والتطوير، التي يمكن أن تشمل أنشطة اكتساب التكنولوجيا، والاستثمار في التكنولوجيا والمعدات من أجل تطوير المنتجات والعمليات. إن معظم البحوث والدراسات التي يقوم بها خبراء الذكاء التكنولوجي تشير إلى التكنولوجيا الذكية التي تقدم لتحسين الأداء وتطوير التكنولوجيات المصحوبة بالابتكار، عن طريق تحديد الخيارات المحتملة الجديدة، والحد من إمكانية الفشل والوقاية من المخاطر. (Hadi، 2014، ص 208)

◆ **ذكاء التحالف الاستراتيجي**: يعمل خبراء الذكاء على رصد عمليات التحالف الاستراتيجي، الذي يقوم بها المنافسين، ومعرفة عمليات الدمج والاستحواذ الجارية في البيئة الخارجية، (Karanja, Gakure, Hilda، 2012، ص 15) لتقليل من مخاطر التحالفات والعمل على إيجاد فرص للاستحواذ أو التحالف لصالح المؤسسة عن طريق:

- معرفة ورصد المؤسسات الضعيفة التي لا تقوى على المنافسة والاستحواذ عليها قبل المنافسين.

- العمل على جمع المعلومات حول أقوى المنافسين والتحالف معهم حسب المسلحة المشتركة بينهم، كتقليل خطر التكاليف المرتفعة في التصنيع، خاصة تكاليف البحث والتطوير وفي المقابل الاستفادة من خبرات المؤسسة في مجالات عديدة.

المبحث الرابع: دور الذكاء التنافسي في تقليل من المخاطر في الصناعة الدوائية

تتميز صناعة الدوائية بمستوى عال من التركيز من قبل عدد من الشركات متعددة الجنسيات والتي تسيطر على القطاع، والجدول (2) يحتوي على ترتيب أكبر المؤسسات الدوائية حسب الإيرادات، والتي يجري فرزها حسب ترتيب الإيرادات لعام 2004 من مبيعات المنتجات الصيدلانية، الأرقام الواردة في هذا الجدول تشمل إيرادات أكبر المؤسسات الدوائية التي يتم تصنيفها في التقارير السنوية للمؤسسات ذات الصلة، وعائدات هذه المؤسسات بالدولار الأمريكي.

- المؤسسات تتنافس فيما بينها في مجال البحث والتطوير، وأن جميع مؤسسات الصناعة الدوائية الرائدة تغطي جميع قطاعات السوق الصيدلانية، وكلها تقريبا من هم ينشطون في R & D وإنتاج الأدوية مثل علاج المعدية، والقلب والأوعية الدموية، وأمراض نفسية أو أمراض السرطان.

- مؤسسات الأدوية الجينية، عكس المؤسسات ذات التوجه البحثي الصيدلانية، التي تستثمر موارد مالية كبيرة والوقت لتطوير أدوية جديدة، مصنعي الأدوية الجينية ينفقون الحد الأدنى من الموارد على R & D وبخاصة بعد انتهاء براءة الاختراع الخاصة بالمؤسسات المبتكرة، إن عملية التقليد وفرت للمؤسسات المتنافسة تكاليف البحث والتطوير والاختراع، حيث أن الاعتماد على التقليد يوفر الإنتاج بأقل تكلفة من المنتج الأصلي وبأسعار تنافسية، لأن المنتج المقلد أو الجينيس لا يقل عن الأصلي من حيث النوعية والجودة، ولذلك حماية براءات الاختراع هي أحد الشروط الأساسية اللازمة توفرها.

يمكن أن تتدارك المؤسسات الدوائية الحفاظ على براءات اختراعها عن طريق الاستحواذ على مؤسسات الأبحاث أصغر أو براءات الاختراع من المنافسين، ولكن في أي من هذه الحالات المؤسسة سوف تضطر لدفع سعر أعلى، وبالتالي تقليل أرباحها.

إن الشكل (4) يوضح لنا تصنيف أبرز مجموعتين في الصناعة الدوائية العالمي والتي كانت مسيطرة على السوق الدوائي في السنوات الماضية.

المؤسسة	البلد	مجموع الإيرادات مليون دولار أمريكي	نفقات R&D مليون دولار أمريكي
باير للرعاية الصحية	المانيا	54200	4306
إيلي ليلي	امريكا	23100	5531

المصدر: نقلا عن الموقع: بتاريخ 2015/01/25 http://en.wikipedia.org/wiki/List_of_pharmaceutical_companies

من خلال المقارنة بين الجدولين، وحسب ترتيب المؤسسات الدوائية نرى أن ترتيب المؤسسات حسب الإيرادات يختلف تماما من 2004 إلى 2013 وهذا ناتج عن شدة التنافس بين هذه المؤسسات الدوائية العملاقة، فعلى سبيل المثال كانت فايزر تحتل المرتبة الأولى من حيث الإيرادات سنة 2004 وأصبحت في المرتبة الثانية سنة 2013، بينما كانت مؤسسة جونسن في المرتبة الثالثة سنة 2004 أصبحت في المرتبة الأولى سنة 2013 كما هو واضح، وهذا دليل على شدة التنافس الحاصل في هذه الصناعة.

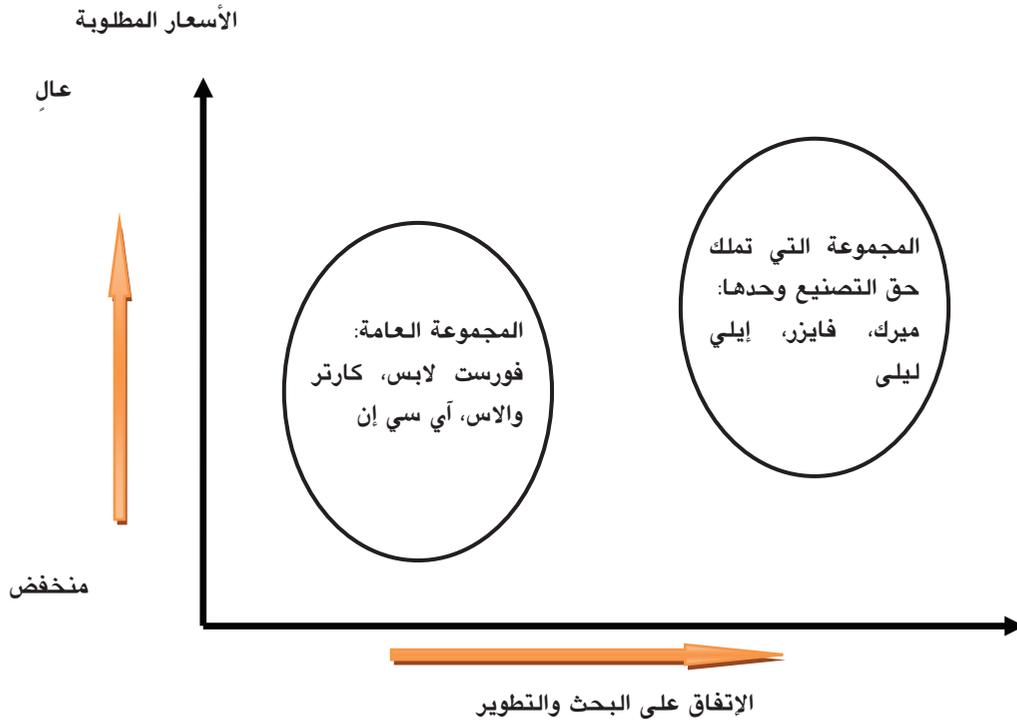
2. أثر الذكاء التنافسي في التقليل من المخاطر في الصناعة الدوائية:

1. التنافسية والمخاطر في الصناعة الدوائية:

تمثل الصناعة الدوائية حاليا بيئة تنافسية عالية، يمكن أن نميز بين أنواع مختلفة من المؤسسات التنافسية: (ديفيدسون، 2005)

الشكل (4)

المجموعة الاستراتيجية في الصناعة الدوائية



المصدر: عبد المتعال، محمد سيد أحمد، وعلي بسويوني، إسماعيل، (2008)، الإدارة الاستراتيجية مدخل متكامل، الرياض، المملكة العربية السعودية، دار المريخ للنشر،

- تحديد الوضع النسبي لمؤسسات الأدوية في مجال الصناعات الدوائية العالمية، وكذلك للكشف عن فرص لمزيد من تعزيز مواقعهم؛

- يتعامل خبراء الذكاء التنافسي مع المنافسة من الداخل والخارج، وعلى سبيل المثال الكشف عن التحالفات القائمة اليوم في الصناعة الدوائية، والتي تشكل خطر يهدد بقاء بعض المؤسسات وبخاصة الفتية.

- يعمل الذكاء التنافسي كأداة للرقابة على أسعار الأدوية في الأسواق المحلية والدولية.

- الذكاء التنافسي أداة لمعرفة لانتهاكات في براءات الاختراع والبحث عن الحماية القانونية في أسواق عالمية جديدة ومتنامية.

وأخيرا، فيمكن القول، إن الذكاء التنافسي يعمل على متابعة البيئة التنافسية بكل تفاصيلها بما يتيح تحديد الفرص والمخاطر واتباع الاجراءات المناسبة من المديرين التنفيذيين لاتخاذ القرارات السليمة سواء في المدى القصير أو المتوسط أو الطويل.

الخاتمة:

تعمل الصناعات الدوائية للحفاظ على القدرة التنافسية باستخدام الذكاء التنافسي لمراقبة المنافسة عن قرب، فالمؤسسة (المديرين التنفيذيين) بحاجة الى الذكاء التنافسي في الصناعة الدوائية لمواكبة إعلانات المنافسين، والتغيرات التنظيمية، والضغوط السياسية التي تؤثر في الصناعة، فجانبا للبحث والتطوير يحتاج لوحده مجهودات كبيرة ومعلومات عالية الجودة لتطوير المنتجات والخدمات مقارنة بالمنافسين، كذلك تستخدم المؤسسة الذكاء التنافسي لمعرفة عروض المنافسين والمنتجات المطروحة في السوق مقارنة بمنتجاتها، وقوائم العملاء، ومستوى الأسعار... الخ، لغرض اتخاذ القرارات السليمة والاستراتيجية.

وبالتالي حاولنا في هذا الموضوع توضيح نوع العلاقة الموجودة بين الذكاء التنافسي وعملية تقويم المخاطر في الصناعة بصفة عامة والصناعة الدوائية بصفة خاصة ووضحنا المكانة الكبيرة للذكاء التنافسي، وأثره في نمو واستقرار المؤسسات، بإيجاز. ومن خلال ما سبق ذكره.

ويمكن توضيح بعض النتائج والتوصيات على النحو الآتي:

النتائج:

من خلال هذه الدراسة تمكنا من التوصل إلى مجموعة من النتائج التي يمكن للمؤسسة الاعتماد عليها لتفادي الأنواع المختلفة من المخاطر:

- إن الذكاء التنافسي أداة مهمة وضرورية لممارسة الأنشطة المختلفة في المؤسسة، ليس فقط في حل المشكلات ومعالجة التحديات واكتشاف المخاطر التي قد تنتج بل في تقرير مصير المؤسسة ومستقبلها عن طريق اتخاذ القرار الاستراتيجي الأمثل.

- تحليل المعلومات والبيانات بشكل أكثر دقة يمكن المؤسسات الدوائية والمؤسسات الصناعية بمختلف أنواعها من

من خلال الشكل نجد أن: (عبد المتعال، بسيوني، 2008، ص، 132) المجموعة الاستراتيجية الأولى، والتي تضم مؤسسات مثل (ميرك) و (فايزر)، (إيلي ليلي)، تتصف بموضع للتنافس يعتمد على الإنفاق الكبير على البحث والتطوير، والتركيز على تطوير عقاقير جديدة تمتلك وحدها حق تصنيع المنتجات الجديدة، فهنا يلعب الإبداع الدور الكبير في المؤسسة، إذ يجعلها تطور منتجاتها وأساليبها العملية بطريقة يصعب على المنافسين تقليدها، وهنا تنتهج استراتيجيات عالية المخاطر وعالية العائد، فتكون عالية المخاطر؛ لأن البحث الأساسي للعقاقير صعب ومكلف، وطرح عقار جديد في السوق، قد تصل تكلفته الى 500 مليون دولار فيما يخص البحث والتطوير، وقد يستغرق عقدا كاملا في التجارب، والمخاطر هنا تكون عالية؛ لأن معدل الفشل في تطوير عقاقير جديدة عالي جدا، إذ إن عقارا واحدا فقط في كل عشر عقاقير تمت عليها التجارب تجري الموافقة عليها من إدارة العقاقير الأمريكية، ومع ذلك تعتبر الاستراتيجية عالية العائد لأن عقارا واحدا ناجحا يمكن أن يسجل براءة اختراع ويصنف ضمن المنتجات المبتكرة لفترة طويلة والتي حددت بـ 20 عاما، فلا يمكن إنتاج هذا المنتج الجديد من المؤسسات الأخرى إلا بعد مضي الفترة المحددة لظهور هذا الاختراع، ما يتيح للمؤسسات المنتجة إنتاجه وبيعه، وبذلك يتيح لتلك المؤسسات صاحبة حق التصنيع أن تفرض أسعارا مرتفعة للأدوية المسجلة، ما يحقق لها فرصة الحصول على الملايين إن لم يكن البلايين من الدولارات طوال فترة الحماية.

أما المجموعة الاستراتيجية الثانية فتتسم بأنها مجموعة العقاقير العامة، إذ تضم المؤسسات (فورست لابس) و (آي سي إن) و (كارتر والاس)، وهذه المجموعة تركز على تصنيع العقاقير العامة أي نماذج منخفضة التكلفة من العقاقير التي سبق للمجموعة الأولى إنتاجها، أي تعتمد على عنصر التقليد (صنع أدوية جنيسة)، وهذا بعد انتهاء مدة الحماية اللازمة الخاصة بهذه المنتجات، ويتميز بذلك الوضع التنافسي للمؤسسات في هذه المجموعة بالإنفاق المنخفض على البحوث والتطوير والتركيز هنا على الاسعار المنخفضة، أي أن هذه المجموعة تتبنى استراتيجية منخفضة المخاطر، ومنخفضة العائد، وهي منخفضة المخاطر لأنها لا تستثمر المال الكبير في البحث والتطوير لاعتمادها على التقليد، كما أنها منخفضة العائد لأنها لا تستطيع فرض أسعار عالية في السوق.

2. عملية الذكاء التنافسي والتقليل من المخاطر في

الصناعة الدوائية:

كما توضح سابقا فإن الذكاء التنافسي استخدم من المؤسسات الصناعية كأحد أنواع الأسلحة القوية بغية السيطرة على الأسواق، والكشف عن التهديدات في الوقت المناسب، للتقليل من المخاطر.

إن الأهداف الرئيسية للذكاء التنافسي في الصناعة الدوائية تتلخص فيما يلي: (لاري ديفيدسون، 2005)

- تحليل الوضع الراهن والتحديات الكبرى وآفاق صناعة الأدوية؛

- تحديد اللاعبين الرئيسيين في صناعة الأدوية العالمية وإجراء تحليل مقارنة لممارساتها التجارية والنتائج المالية؛

إبراهيم سرور، المملكة العربية السعودية، دار المريخ
حامد، حمزة عبد الكريم محمد (2008)، مخاطر الاستثمار في المصارف
الإسلامية، الأردن، دار النفائس للنشر والتوزيع.

3. حرب، قاسم سعاد (2011)، أثر الذكاء الاستراتيجي على عملية اتخاذ
القرارات - دراسة تطبيقية على المدراء في مكتب غزة الإقليمي التابع
للأونروا، مذكرة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين.

4. حسين يوسف، عبد الستار (18 أبريل 2007)، تقدير المخاطرة في ظل
تحليل (SWOT) في المؤسسات الصناعية "دراسة تحليلية"، المؤتمر
العلمي الدولي السنوي السابع: إدارة المخاطر واقتصاد المعرفة، جامعة
الزيتونة، الأردن.

5. خضري، محمد، أثر اقتصاد المعرفة في تحسين قدرة تنافسية للاقتصاديات
العربية (27-25 نيسان 2005)، المؤتمر العلمي الدولي السنوي الخامس،
اقتصاد المعرفة والتنمية الاقتصادية، جامعة الزيتونة، الأردن.

6. دخان، اسامة (2010)، الحصص السوقية ودورها في قياس أداء المنظمة -
دراسة ميدانية شركات الوساطة المالية في سوق دمشق للأوراق المالية -،
مذكرة ماجستير في الأسواق المالية، - جامعة حلب، سوريا.

7. رزيق، كمال، وبزعرور، عمار، التنافسية الصناعية للمؤسسة الاقتصادية
الجزائرية، الجمعية العلمية بدون تاريخ.

8. علي صالح، احمد، وآخرون، (2010)، الإدارة بالذكاءات : منهج التميز
الاستراتيجي والاجتماعي للمنظمات، الطبعة الأولى، عمان، الاردن، دار
وائل للنشر والتوزيع.

9. القمزي، وبن عبد الله حمد، نظرية الذكاءات المتعددة/ تصفح بتاريخ
http://almarefh.net/show_content_sub 11/01/2011

10. الكواز، سعد محمود وآخرون (26-23، افريل، 2012)، إسهام المعرفة
الاستراتيجية في تعزيز الذكاء الاستراتيجي - دراسة حالة في شركة آسيا
سيل للاتصالات في العراق، المؤتمر العلمي السنوي الحادي عشر ذكاء
الأعمال واقتصاد المعرفة، جامعة الزيتونة الأردنية.

11. كردي، احمد السيد، ادارة المخاطر/ تصفح بتاريخ <http:// 25/12/2007>
kenanaonline.com/users/ahmedkordy/posts/129853

12. علوان، قاسم نايف (2009)، إدارة الاستثمار بين النظرية والتطبيق،
عمان/ الاردن، دار الثقافة للنشر والتوزيع.

13. جليذون، وآخرون (2007)، إدارة المخاطر- الأمور الحرجة للنجاح
والبقاء على قيد الحياة في القرن الحادي والعشرين، تعريب سرور علي
إبراهيم سرور، المملكة العربية السعودية، دار المريخ للنشر.

14. وديع، محمد عدنان (ديسمبر 2003)، القدرة التنافسية، سلسلة دورة تعنى
بقضايا التنمية في الأقطار العربية، العدد الرابع والعشرون.

15. ماهو الذكاء/المنتدئ السعودي للتربية الخاصة، تصفح بتاريخ 21-06
<http://www.khass.net/vb/showthread.php?t=12710 2006>

16. ديفيدسون، لاري، صناعة الدوائية في الاقتصاد العالمي، 2005
<http:// kelley.iu.edu/davidso/lifesciences/lisresearchpapers/ pharmaceutical industryaug12.doc>

ثانياً المراجع الأجنبية:

1. Yuosre badir and remi founou (2005) , An approachfor
managing the integration of new product development

اكتشاف المخاطر المفاجئة، فالذكاء التنافسي يدعم أنظمة
المعلومات الأخرى على مستوى المؤسسة، من أجل تحقيق الأهداف
طويلة الأجل، ويعزز جودة صنع القرار الاستراتيجي.

- الاعتماد على التكنولوجيات الحديثة في جمع المعلومات
وتحليلها، يؤدي إلى مزايا عديدة منها تقليل الوقت، والدقة في
المعلومة، خاصة ان المؤسسات الدوائية بحاجة الى تقليل وقت
طرح منتجاتها للتسويق، ما ينعكس على وضع المؤسسات للرد على
المنافسين، وإظهار مزايا تنافسية جديدة.

- الاعتماد على الأساليب والعمليات الحديثة لتقويم
المخاطر في المؤسسة، كعملية الذكاء التنافسي يؤدي الى تحويل
تلك المخاطر الى فرص جديدة (التحالفات الاستراتيجية)

- ضرورة توافر المرونة الذهنية التي تكفل الإلمام
بالعناصر الملموسة وغير الملموسة أي توفير المعلومات اللازمة
والمؤثرة على القرارات المتخذة وانعكاساتها.

- التركيز على الجوانب العملية والإجراءات القابلة للتطبيق
ليتسنى إدراك المخاطر بدقة معالجتها دون المساس بمصالح
المؤسسة.

- أخذ التجارب السابقة في عين الاعتبار سواء التي حدثت
في المؤسسة ذاتها أو التي وقعت للمؤسسات المنافسة ليتسنى
للمؤسسة اجتناب المخاطر التي قد تقع لها والتي قد تؤدي إلى
الزوال (خطر الانسحاب من السوق).

التوصيات:

يمكن تثبيت الرؤية المستقبلية لعملية الذكاء التنافسي في
التقليل من المخاطر وتحقيق التطور وتفوق للمؤسسات دوائية
بصفة خاصة والمؤسسات الصناعية الصفة عامة كالتالي:

- السعي الدائم للحصول على المعلومات الحديثة فيما
يخص البيئة الخارجية التي تشكل تهديدا للمؤسسات.

- يتوجب على المؤسسات الدوائية العالمية والوطنية، اليوم
الإهتمام بالذكاء التنافسي، لأنه السبيل لبقائها ولتعزيز قدرتها
الإبداعية لخلق ميزة تنافسية لمنتجاتها في الأسواق المحلية
والدولية.

- العمل على وضع ركائز متينة لعملية الذكاء التنافسي
في مؤسساتنا الوطنية، باعتباره أداة تحصل من خلالها المؤسسة
على المزايا التنافسية، ويمنع تعرضها للعوائق المفاجئة، فهو سلاح
يستخدم للكشف عن الفرص والتهديدات في بيئة العمل.

- العمل على الإفادة من تجارب المؤسسات العالمية التي
تستخدم بشكل كبير الذكاء التنافسي. - اللجوء إلى المؤسسات
المتخصصة إذا لزم الأمر للاستفادة من الذكاء التنافسي (التي تقدم
خدمات الذكاء عن طريق خبراء تستخدمهم لذلك الغرض).

المصادر والمراجع:

أولاً المراجع العربية:

1. جليذون، وآخرون (2007)، إدارة المخاطر- الأمور الحرجة للنجاح
والبقاء على قيد الحياة في القرن الحادي والعشرين، تعريب سرور علي

- process in biotech start – U.P.S management of technologie huy success factors for innovation and sustainable developement selected papers from the twelfth international conference on management of technology university of florida, U.S.A.*
2. Fatemeh Hadi (2014). *InvestigatIng the Relationship Between Technology Intelligence and Business. Performance Singaporean ,Journal of business Economics, and management Studies Vol.2, No.11.*
 3. Rezaie Dollatabady, Hussein (2011) , *Analyzing the impact of competitive intelligence on innovation at scientific research centers In Isfahan science and technology town, university of Isfahan Iran.*
 4. Felicia Albescu, Irina Pugna, Dorel Paraschiv, *Business Competitive Intelligence–The Ultimate USE of Information Technologies in Strategic Management, The Bucharest Academy of Economic Studies.*
 5. Sam Berner (2001) , *Rôle et fonction de l'Intelligence Economique à acqérir un avantage concurrentiel, d'American Airlines.*
 6. *Global Intelligence alliance (2004) , Introduction to Competitive Intelligence,GIA,white paper.*
 7. Marc Limacher ,*The Importance of Competitive Intelligence in the Biotech Industry,11/06/2014*
<http://web.freepint.com/go/blog/71433>
 8. Jim Deloach, Jay thompson, 1/03/2012
<http://erm.ncsu.edu/library/article/competitive-intelligence-managing-industry-dissonance-risk>
 9. Aliakbaar Shahri Mejarshina (2013) , *Competitive Intelligence, Comptitive Advantage in the Success Business organizations, publited RRAMT france lid, vol 38 (2) .*

**الزيتون والصناعات القائمة عليه
في نيابة بيت المقدس خلال العصر المملوكي
(658-922 هـ / 1260-1516 م) ***

د. عبد الرحمن محمد حامد مغربي**

* تاريخ التسليم: 2015/4/6م، تاريخ القبول: 2015/8/4م.
** أستاذ مشارك/ جامعة القدس المفتوحة/ فلسطين.

ملخص:

هي: صفد، وغزة، والقدس⁽¹⁾، وفي حين انصب الاهتمام والتركيز في العصر المملوكي على النواحي الدينية والمعمارية، بقي الوضع الاقتصادي سيئاً كبقية بلاد الشام، وبخاصة في مجال الزراعة التي كانت الحرفة الأولى والمورد الرئيس الذي اعتمد عليه معظم السكان في معيشتهم.

كانت نيابة بيت المقدس في العهد المملوكي ممراً للقوافل التجارية، سواء أكانت بين جناحي الدولة المملوكية في مصر وبلاد الشام، أم بين الشرق وأوروبا، والمكان الذي سعى إليه الحجاج والعلماء من أتباع مختلف الديانات السماوية، وعلى أرضها وجبالها تكاثرت أشجار الزيتون ونباتات أخرى عديدة، وقد عرف الإنسان الفلسطيني هذه الشجرة واستخدمها في الغذاء منذ أيام الكنعانيين، وعلى أخشابها تدفأ الفلسطينني وطهى طعامه، واستمرت تنمو وتتكاثر أيام الرومان الذين أولوها عناية خاصة، وورد ذكرها في الكتاب المقدس⁽²⁾، وترُفع أغصانها شارة للسلام⁽³⁾، وعدها المسلمون شجرة مباركة وأحاطوها بهالة من القدسية. قال تعالى ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾⁽⁴⁾.

وفي أواخر الفترة المملوكية تدهورت زراعة أشجار الزيتون والصناعات القائمة عليها في نيابة بيت المقدس نتيجة عوامل عدة منها: عوامل بشرية، تمثلت في تدهور النظم الإقطاعية باختلاف أنواعها، وتعدد الضرائب وتنوعها، وأعمال السخرة التي طالت الفلاحين بشكل رئيس، وكثرة الحروب والغارات والتجاريد العسكرية، وتعسف السلاطين والأمراء وتجبرهم بالفلاحين واستيلائهم على الأراضي، وحملات التجنيد الإجباري، والهجرات القسرية؛ وعوامل طبيعية مثل: القحط، والجفاف، وتذبذب هطول الأمطار وغزو أسراب الجراد، وقد أسهمت هذه العوامل مجتمعة في تشتيت اليد العاملة المنتجة في الريف، وأسهمت كذلك في تذبذب الإنتاج الزراعي وتدهوره بشكل واضح.

وتناولت هذه الدراسة في قسمها الأول، زراعة الزيتون وإنتاجه في نيابة بيت المقدس خلال العصر المملوكي، في حين عالج القسم الثاني تقنية استخراج الزيت والصناعات القائمة عليه، وبخاصة صناعة الصابون، وفي القسم الثالث تطرق الباحث إلى موضوع الأسعار، والضرائب، والعوامل المؤثرة في الإنتاج، والتي تركت بصمات واضحة على الإنتاج الزراعي.

وهدفت الدراسة إلى توضيح الأهمية الاقتصادية لزيت الزيتون خلال تلك الفترة، ودراسة الصناعات القائمة عليه وتوثيقها مثل صناعة الصابون، حيث شكل الزيت والصابون روافد مهمة من روافد التجارة الداخلية والخارجية، وسلعة أساسية للتصدير، كما هدفت الدراسة إلى البحث في أسباب تدهور إنتاج الزيتون باعتباره عنصراً رئيساً من عناصر الإنتاج الاقتصادي خلال فترة الحكم المملوكي.

والواقع إن البحث في المصادر التاريخية حول هذا الموضوع لا يغطي الصورة من جوانبها المختلفة كافة، ولذلك كان ضرورياً البحث في المصادر الوثائقية، وبخاصة وثائق الحرم الشريف

تناولت هذه الدراسة الزيتون؛ إنتاجه وتصنيعه في نيابة بيت المقدس خلال العصر المملوكي، حيث شكلت هذه الشجرة أحد الأعمدة المهمة للإنتاج الزراعي خلال تلك الحقبة، وجاءت الدراسة في ثلاثة أقسام، بحث القسم الأول منها في الزيتون ومناطق زراعته في نيابة بيت المقدس التي امتدت من ناحية الجغرافيا التاريخية لتلك الفترة في: « بيت المقدس وما جاورها، وولايات نابلس والخليل والرملة»، في حين عالج القسم الثاني: تقنية استخراج الزيت وتصنيعه وبخاصة الصابون وتجارته، أما القسم الثالث فقد ناقش موضوع الأسعار، والضرائب، والعوامل المؤثرة في الإنتاج، وخلال هذه الدراسة اعتمد الباحث على المصادر الوثائقية والرقوم الحجرية، والزيارات الميدانية، إضافة إلى المصادر التاريخية المعاصرة لأحداث تلك الفترة.

الكلمات المفتاحية: الزيتون، الصناعات، نيابة، بيت المقدس، العصر المملوكي.

Olives and Olive-Based Industries in Jerusalem District during the Mamluk Era from 1260 to 1516 (658-922 AH)

Abstract:

This study dealt with olive production and processing in Jerusalem District during the Mamluk Era. Olive trees formed one of the important pillars of the agricultural production during that era. This study is divided into three parts.

The First Part is about olive trees and the areas where they are planted in Jerusalem District; those areas stretched from Jerusalem to the districts of Nablus, Hebron and Ramla. The Second Part discussed the technique of oil production and manufacturing, especially soap manufacturing and trading. The Third Part discussed the prices, taxes and the factors which affected the production. In this study, the researcher depended on the documentary references, stone manuscripts and field visits, in addition to contemporary historical references about the events of that era.

Key words: olives, industries, Jerusalem district, Mamluk era

المقدمة

لم تكن فلسطين خلال العصر المملوكي وحدة جيوسياسية واحدة، وإنما كانت مكونة من ثلاث وحدات مستقلة إدارياً عرفت كل واحدة منها باسم « نيابة»، وهي منطقة يتولى فيها النائب ممارسة الحكم باعتباره ممثلاً للسلطان ونائباً عنه، وهذه النيابات

وتكاثرت في مرتفعات وسط فلسطين حيث البيئة المناسبة لنموها، وقد جرى استنباتها بواسطة الفسائل، ويتحدث التمرتاشي الذي توفي في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي عن زراعة شجرة الزيتون فيقول: «غرس الزيتون أصول فيها عروق، أو أغصان محذوفة في استواء... ويأتي الرجل ويحفر الحفائر، ويقطع لها الأرض، ويصب الماء ثم يغرسها ويردم التراب، ويكس التراب برجله حول الغرس كبساً خفيفاً يسويه ويمسكه، ثم يسقيه ثاني يوم، ثم يستمر السقي لمدة حتى يشتد عودها...»⁽²²⁾، وتستغرق الشجرة ما بين (10 - 15) عاماً حتى تطرح إنتاجها بشكل اقتصادي جيد⁽²³⁾. وقد استخدمت مادة الحمر⁽²⁴⁾ من أجل العناية بأشجار الزيتون لتتمكن من مقاومة الآفات والطفيليات التي تهاجمها⁽²⁵⁾.

وكانت أشجار الزيتون البري تُطعم بأنواع جيدة الثمر تُعطي كمية مناسبة من الزيت⁽²⁶⁾، وقد نمت هذه الأشجار في مناخ اتسم بالاعتدال في فصل الشتاء، وهطول الأمطار التي بلغت نسبتها بين (400 - 600) ملم في السنة، والحرارة المرتفعة نسبياً في فصل الصيف، وهذه هي الظروف الملائمة لنموها بشكل واسع⁽²⁷⁾.

وعرفت مناطق بيت المقدس الزيتون قبل الفتح الإسلامي، فعلى جبل الزيتون نمت أشجار الزيتون بكثافة⁽²⁸⁾، وغطت عدداً من المرتفعات⁽²⁹⁾ على الطريق إلى بيت لحم⁽³⁰⁾ والخليل⁽³¹⁾، ومنطقة بني زيد شمال غرب القدس⁽³²⁾، وتحوي دفاتر سجلات الأراضي التي تعود للقرن التاسع الهجري/ السادس عشر الميلادي أعداداً ضخمة من قطع الأراضي التي صنفت على أنها كروم لغراس الزيتون، وأوقف كثير منها على المؤسسات الدينية والتعليمية في النيابة⁽³³⁾.

وكان زيت الزيتون مادة أساسية في السلة الغذائية خلال فترات التاريخ الإسلامي المتعاقبة، ولأهميته جرى تحصيل ضريبة الخراج في فلسطين زيتاً وحنطة، ومن خلال جداول هذه الضريبة في العهد الأموي تبين أن ما قدمته فلسطين كضريبة وصل إلى ثلاثمائة ألف رطل من الزيت في السنة، وفي العهد العباسي الأول كان يصل بغداد الكمية نفسها من زيت فلسطين⁽³⁴⁾.

وفي بيت المقدس امتلك الأغنياء مساحات واسعة من الأراضي المخصصة لزراعة أشجار الزيتون، وكانت هذه الأراضي تنتج كميات وافرة من الزيت بلغت خمسين ألف «مناً»⁽³⁵⁾، وجرى تخزينه في آبار خاصة محفورة في الأرض، ومطلية بالجص خوفاً من أن يرشح الزيت الموجود داخلها⁽³⁶⁾، ومُنحت بعض كروم الزيتون قرب بيت المقدس في الفترة الصليبية، إقطاعات للكنيسة وللفرق الرهبانية في مملكة بيت المقدس⁽³⁷⁾..

وتحدثت الوثائق المملوكية التي أعيد تسجيلها ضمن سجلات المحكمة الشرعية بالقدس خلال الفترة العثمانية عن كروم الزيتون في مناطق عدة ضمن النطاق الزراعي لهذه المدينة، وبخاصة في منطقة البقعة⁽³⁸⁾، وفي قرى يبرود⁽³⁹⁾، وعين يبرود⁽⁴⁰⁾، وكفر ناثا⁽⁴¹⁾ وغيرها⁽⁴²⁾.

وفي نابلس التي سُميت دمشق الصغرى⁽⁴³⁾، كان محصول الزيتون مميّزاً في القرى التابعة لها، وكانت من أكثر مناطق بلاد الشام إنتاجاً له⁽⁴⁴⁾، وتحدث شيخ الربوة الدمشقي عنها، فقال: «مدينة خصبة نزهة بين جبلين... كأنها قصر في بستان،

المملوكية، وتطلب الأمر كذلك اللجوء إلى الدراسات التي اهتمت بتوثيق الرقوم الخطية، وأهمها Corpus Inscriptionum Arabi-carum Palaestinae، وعدد من الدراسات الأخرى⁽⁵⁾، وزيارات المسوح الميدانية التي قام بها الباحث، لكل ذلك اختار الباحث ثمار الزيتون إنتاجها وتصنيعها لتكون هدفاً لهذه الدراسة.

أولاً: الزيتون ومناطق زراعته في نيابة بيت المقدس

1 نيابة بيت المقدس

لبيت المقدس أهمية خاصة في التاريخ الإسلامي، فهي المكان الوحيد الذي زاره الرسول صلى الله عليه وسلم خارج شبه الجزيرة العربية بعد البعثة، وهي أولى القبلتين، وثالث الحرمين الشريفين، ومسرى الرسول الكريم ومعراجة إلى السموات العلاء⁽⁶⁾، وأصبحت في قلب الحدث خلال فترة الحروب الصليبية، ورافق الاستيلاء عليها عام 492هـ/1099م مجازر وحشية عنيفة⁽⁷⁾، وصاحب تحريرها عام 583هـ/1187م رنة فرح عظيمة عمت العالم الإسلامي بأسره⁽⁸⁾.

وكان لأهميتها الدينية، وموقعها المهم على الطريق بين جناحي الدولة المملوكية في بلاد الشام ومصر، وتعرضها لعدد من الغزوات الخارجية مثل الصليبيين والمغول، أثر في منحها وضعية إدارية خاصة، تمثلت في جعلها مقراً لنيابة (مملكة) مستقلة منذ عام 682هـ/1283م، وهو أقدم تاريخ تحدثت فيه المصادر عن نيابة بيت المقدس⁽⁹⁾، ويجري الحديث عن هذا التاريخ في ظل تضارب الروايات حول تاريخ استحداثها بين المؤرخين المعاصرين والمحدثين على حد سواء⁽¹⁰⁾.

وبعد تأسيس النيابة اتسعت لتشمل المنطقة المحيطة ببيت المقدس من نهر الأردن إلى الرملة طولاً، ومن البحر المتوسط إلى البحر الميت عرضاً، وغالب أراضيها جبال وأودية⁽¹¹⁾، وفيها ثلاث ولايات، هي: ولاية الخليل، وولاية نابلس، وولاية الرملة⁽¹²⁾، واشتملت على نطاق ريفي واسع، حيث بلغ عدد القرى التابعة لمدينة بيت المقدس مائة وأربع قرى، فيما اشتملت ولاية نابلس على تسعين قرية في الفترة الصليبية⁽¹³⁾، ارتفع عددها في العهد المملوكي ليصل إلى ثلاثمائة قرية⁽¹⁴⁾، ومع نهاية العهد المملوكي بلغ عدد قرى ولاية الرملة (81) قرية⁽¹⁵⁾، والخليل (40) قرية وعدد من المزارع⁽¹⁶⁾.

وكان عدد سكان هذه القرى متواضعاً؛ إذ كان يقطن القرية الصغيرة ما بين (15 - 45) شخصاً، وما بين (70 - 350) شخصاً للقرى الكبيرة، وشكلت الأراضي الزراعية في النيابة النطاق الذي مارس فيه المماليك النظام الإقطاعي⁽¹⁷⁾، وكانت المدن، وأحيائها ومتاجرها المكان الذي يختص بتصنيع المنتجات الزراعية وتسويقها⁽¹⁸⁾.

2. الزيتون ومناطق زراعته

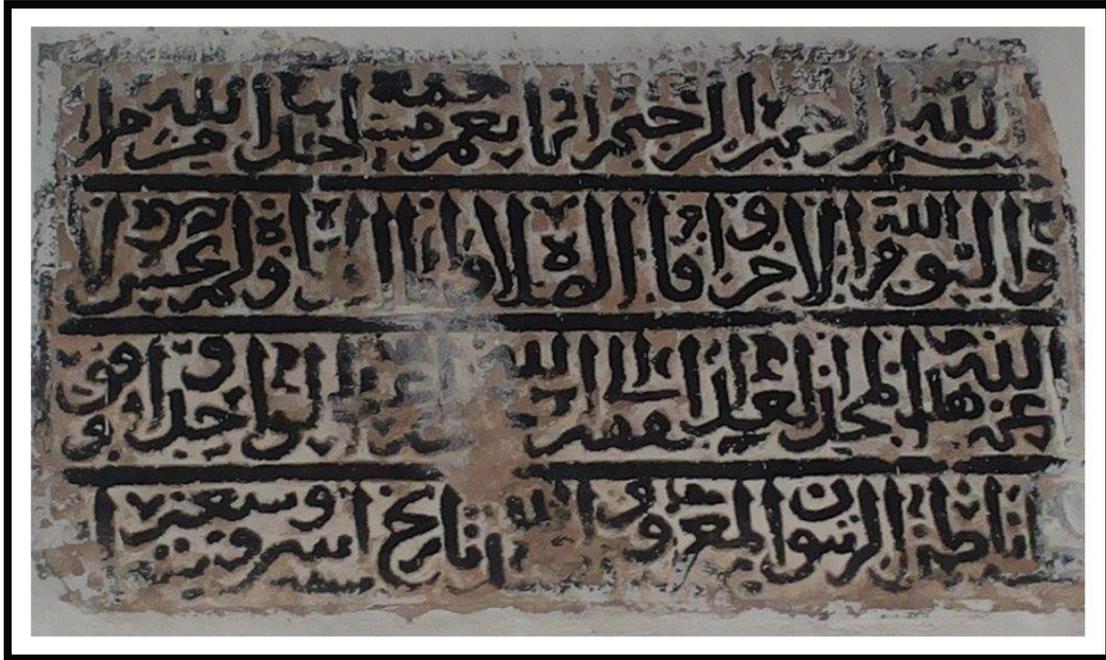
شجرة الزيتون من الأشجار المثمرة التي غطت مساحات واسعة من جبال الريف الفلسطيني، ويطلق السكان على الأشجار الضخمة والمعمره منها اسم الزيتون الرومي⁽¹⁹⁾؛ لأنها كانت محط اهتمام الرومان ورعايتهم⁽²⁰⁾ حيث لقبوها «ملكة الأشجار»⁽²¹⁾.

كان يتولاها لم يتم التطرق لها سابقاً في أي من المصادر التاريخية لتلك الفترة.

ويبدو من خلال استقراء المصادر التي عُنيت بالأوضاع الإدارية في فترة المماليك، أنه كان موظفاً رسمياً من قبل الدولة يشرف على الزيتون وإنتاجه وحصة الدولة من هذا الإنتاج، ومما لا شك فيه أن هذا الناظر كان على درجة كبيرة من الجاه والثروة مكنته من تعمير هذا الجامع ووقف الأوقاف عليه، والحقيقة أننا لا نملك معطيات عن مساحة المنطقة التي أشرف عليها ناظر الزيتون وحدودها، ولكن يمكننا القول إن كل ولاية من ولايات نيابة بيت المقدس كان عليها «ناظرٌ للزيتون»، إضافة إلى مساعدين له في القرى الفلسطينية، وأنه عادة ما يكون «موظفاً محلياً» من سكان المنطقة نفسها، ويمتلك من القوة والإمكانات ما يمكنه من التنقل والحركة خلال موسم القطاف.

شكل (1)

الرقم التأسيسي لجامع الولي بقرية رافات (تصوير الباحث)



ثانياً : تقنية استخراج الزيت وتصنيعه وتجارته

1. استخراج الزيت

تبدأ تقنية إنتاج الزيت بعد قطاف ثمار الزيتون من قبل الفلاحين الذين عرفوا بالجدادين⁽⁵⁸⁾، ثم يُجمع عن الأرض بوساطة اللقطين⁽⁵⁹⁾، وكان يتم استئجارهم أحياناً للعمل في قطاف هذه الثمار⁽⁶⁰⁾، بعدها تُحمل الثمار على الدواب إلى معصرة الزيت التي أُطلق عليها اسم «البد»⁽⁶¹⁾، ويشرف عليها شخص عُرف بالمعصراني أو «البداد»⁽⁶²⁾، وفي المعصرة يتم هرس ثمار الزيتون في حوض خاص أُطلق عليه اسم «القصة»، بوساطة حجر اسطواني قائم على حافة يصل عرضها ما بين (40 - 60) سم، وقطره يصل إلى (180) سم تقريباً، ويزن ما بين (3 - 4) طن، وفي وسطه فتحة

واعتمدت الرملة بشكل رئيس على الزراعة، واشتملت كرومها على نوعين من الزيتون هما: الزيتون «الروماني والإسلامي»⁽⁵⁴⁾، كما ازدهرت زراعة الزيتون في النطاق الريفي لمدينة الخليل⁽⁵⁵⁾، وامتدت كرومه على الطريق بينها وبين بيت المقدس، وعلى المنحدرات المرتفعة في الريف⁽⁵⁶⁾، وفي هذه المدينة جرى تقديم الخبز والزيتون والعدس المطبوخ بزيت الزيتون لأهالي البلدة والواردين إليها على سبيل الضيافة في سماط سيدنا إبراهيم ^(عليه السلام) حيث رصد المماليك أوقافاً مخصصة للإنفاق على خدمات هذا السماط⁽⁵⁷⁾.

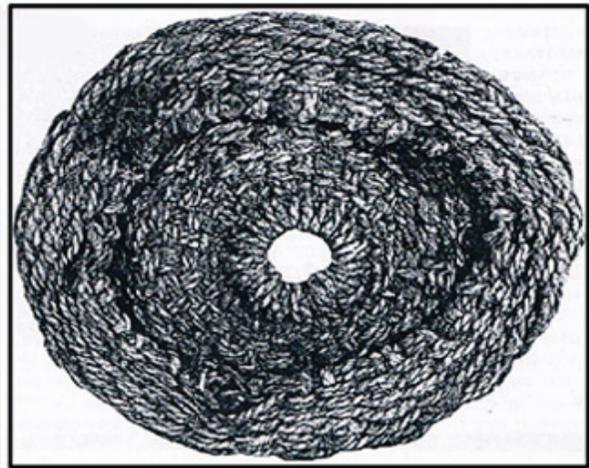
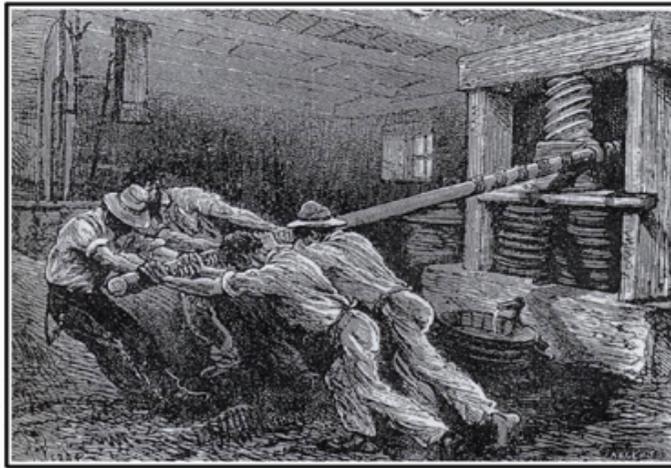
وبناء على ما تقدم نلاحظ انتشاراً واسعاً لأشجار الزيتون في نيابة بيت المقدس، الأمر الذي أوجد عدداً من التقنيات للاستفادة من هذه الشجرة في مجال استخلاص ثمارها وتصنيعها لتكوّن عنصراً من عناصر المائدة الفلسطينية، أو في مجال استخراج الزيت الذي جرى استخدامه في الطعام على نطاق واسع، أو في إنتاج بعض الصناعات المحلية وعلى رأسها صناعة الصابون.

الجار إلى الحوض⁽⁶⁴⁾، حيث يطفو الزيت ويعبأ في أوعية خاصة، ويحصل صاحب المعصرة على جزء منه لقاء عمله، وما تبقى في القفف بعد عصرها يعرف بالجفت⁽⁶⁵⁾، الذي استخدم كوقود للتدفئة والطهي، وما يزيد عن الحاجة يباع لأصحاب الأفران لاستخدامه في إنتاج الخبز⁽⁶⁶⁾.

مثبت فيها عمود خشبي، يعمل على تحريك الحجر بشكل دائري بوساطة الدواب، وبعد أن تتحول ثمار الزيتون إلى مزيج متماسك، يعبأ المزيج في قفف من القش أو الحلفاء، فيها ثقب داخلي من الوسط، وتصف فوق بعضها، على مكبس خشبي لولبي في وسطه محور، وتكبس بوساطة خشبة خاصة⁽⁶³⁾ ليخرج منها العصير، ويسير في قنوات حجرية لتصل إلى حوض الزيت، ثم يضاف الماء

شكل (2)

القفّة والمكبس الخشبي (67)



وكانت هناك خمس معاصر في منطقة الرملة⁽⁸⁵⁾.

2. استخدامات الزيت وتجارته

شكل زيت الزيتون مصدراً حيوياً للغذاء وطعاماً رئيساً في كثير من الوجبات اليومية وفي الطهي، واشتهر زيت الزيتون بطعمه المميز ورائحته الزكية، وقيمته الغذائية العالية⁽⁸⁶⁾ ولذلك عرف بالزيت الطيب⁽⁸⁷⁾ والزيت الحلو⁽⁸⁸⁾. ومنه أضاء الإنسان ليله فاستخدم القناديل والأسرجة التي تُشعل بزيت الزيتون على نطاق واسع، وكانت هذه القناديل والأسرجة مستخدمة في الفترة المملوكية والفترات السابقة واللاحقة حتى اكتشاف البترول حديثاً. وقد أدخل الإنسان تحسينات واضحة على أدوات الإضاءة بالزيت، فكانت المشكاة⁽⁸⁹⁾ التي استخدمت على نطاق واسع في العهد المملوكي، وقد تفنن الزجاجون في العصر المملوكي في صنعها، ولا تزال واحدة منها في المتحف الإسلامي بالقدس، وكانت هذه المشكاة تُضاء في الحرم الإبراهيمي بين عامي 740-712هـ/1340-1312م⁽⁹⁰⁾، وهي مصنوعة بإتقان ومغطاة بكاملها بزخارف نباتية وكتابية غاية في الجمال والدقة؛ وهناك أيضاً قنديل مقام سارة - رضي الله عنها- الذي تم تصنيعه واستخدامه في الحرم الإبراهيمي الشريف خلال الفترة المملوكية⁽⁹¹⁾.

وأحياناً استخدمت تقنية بسيطة في الريف الفلسطيني لإنتاج الزيت عندما يكون الفلاح قد استنفد مخزونه من الزيت والموسم الجديد لم يبدأ بعد، فكان يجمع كمية من الثمار ويدقها في جرن صغير، ويصب الماء الحار عليها، ويتم عصره باليد حتى يخرج الزيت منه، ويعرف الزيت المستخرج بهذه الطريقة بزيت الطفاح⁽⁶⁸⁾.

وانتشرت معاصر الزيت في غالبية القرى التي يزرع فيها الزيتون بالقرب من بيت المقدس⁽⁶⁹⁾، وكشفت التنقيبات الأثرية عن أعداد كبيرة من معاصر الزيت التي تعود للفترة الصليبية والمملوكية. منها: معصرة في بلدة البيرة⁽⁷⁰⁾، وأخرى في بلدة الرام⁽⁷¹⁾، إضافة إلى معصرة في قرية لفتا⁽⁷²⁾، وفي القبيبة⁽⁷³⁾، ومعصرة في خربة العرنوطية⁽⁷⁴⁾، وفي بيتونيا⁽⁷⁵⁾، وبيت سوريك⁽⁷⁶⁾، وفي خربة الكبوش⁽⁷⁷⁾، ومعصرتين في الكفيرة⁽⁷⁸⁾، وواحدة أخرى في جفنا⁽⁷⁹⁾ بالقرب من رام الله⁽⁸⁰⁾، كما عثر في بقايا هذه المعاصر على بكرات دائرية خاصة بمعاصر الزيت، وأحواض كبيرة لتجميع السائل⁽⁸¹⁾.

كما وجد في مدينة بيت المقدس مع نهاية الفترة المملوكية وبداية الفترة العثمانية المبكرة (15) معصرة⁽⁸²⁾، والعدد نفسه تقريباً في مدينة نابلس⁽⁸³⁾، إضافة إلى المعاصر المنتشرة في معظم القرى المحيطة بها، منها المعصرة التي كانت قائمة في قرية زواتا، والتي تحدثت وثيقة مملوكية عن مكوناتها بالتفصيل⁽⁸⁴⁾.

شكل (3)

مشكاة متحف الحرم القدسي الشريف، رقم الحفظ: أ/ز/11 (تصوير الباحث)

ومن ناحية أخرى حضت الأحاديث النبوية الشريفة على إهداء



زيت الزيتون المادة الرئيسية لصناعة الصابون مضافاً إليه القلي الذي عُرف برماد الصابون⁽¹¹⁰⁾، وعمل في جمعه قطاع واسع من البدو لبيعه في أسواق القدس ونابلس وغزة والرملة⁽¹¹¹⁾، ويكوّن الزيت والقلي إضافة إلى الجير والماء العناصر الرئيسية لهذه الصناعة، حيث حوّت المصابن قدوراً نحاسية لغلي المزيج، وصهاريج لحفظ الزيت، وبئراً للمياه، وبيتاً للنار، ومفرشاً لفرد المزيج عليه بعد طبخه⁽¹¹²⁾، ويمكن التعرف إلى طريقة تصنيع الصابون من خلال النص الآتي: (... وأجوده المعمول بالزيت الخالص والقلي النقي، والجير الطيب... وصنعته: أن يؤخذ من القلي جزء، ومن الجير نصف جزء، فيحكّم سحقهما، ويجعلان في حوض، ويصب عليهما من الماء قدرهما خمس مرات، ثم يؤخذ من الزيت الخالص قدر الماء عشر مرات، ويحرك القدر ساعتين، ويجعل على النار... حتى يصير كالعجين، فيغرف على الحصير حتى يجف بعض الجفاف، فيقطع...)⁽¹¹³⁾.

وجرى تخزين الصابون في مخازن باردة يدخلها الهواء حفاظاً على جودته⁽¹¹⁴⁾، كما صنع أهالي نيابة بيت المقدس وبخاصة منطقة نابلس الصابون باحتراف حيث حقق شهرة عالمية واسعة بسبب جودة تصنيعه وخلوه من الغش⁽¹¹⁵⁾؛ وعملت النساء على إنتاجه في الريف ضمن نطاق بيتي⁽¹¹⁶⁾، كما استعانت بعض مصابن مدينة بيت المقدس بحرفيين من الرملة ذوي خبرة في هذه الصناعة⁽¹¹⁷⁾.

وكانت صناعة الصابون من الصناعات الرائجة في هذه النيابة، وفي سوق الفخر غربي منطقة الحرم الشريف تجمعت معظم مصابن مدينة القدس⁽¹¹⁸⁾، منها مصبنة الشيخ محمد بن إبراهيم بن أبي شريف⁽¹¹⁹⁾، والمصبنة الجارية في وقف المدرسة الدودارية⁽¹²⁰⁾ التي ذكرها نقش الوقف المسجل على مدخل المدرسة⁽¹²¹⁾، والمصبنتان الجاريتان في وقف المدرسة الفخرية الواقعة غرب الحرم القدسي الشريف⁽¹²²⁾.

ومع نهاية الفترة المملوكية وبداية الفترة العثمانية، سجلت دفاتر التحرير العثمانية الممتلكات المنقولة وغير المنقولة لأغراض ضريبية، وأحصت هذه الدفاتر (9) مصابن في القدس⁽¹²³⁾، و (5) مصابن في الرملة، ومصبنة في اللد⁽¹²⁴⁾، وأما نابلس التي تحدث عن جودة صابونها شيخ الربوة الدمشقي (ت 727 هـ / 1327 م) فقال: «... ويعمل فيه الصابون الرقي [الراقي]...» فكان فيها (17) مصبنة⁽¹²⁵⁾.

وتحوي وثائق الحرم القدسي إشارات عن عقود لبيع الصابون بين تجار المدينة والنطاق الريفي التابع لها⁽¹²⁶⁾، كما جرى تصديره إلى مناطق عدة في الشام⁽¹²⁷⁾، وصُدر كذلك إلى أوروبا⁽¹²⁸⁾، كما صُدر صابون بيت المقدس إلى يافا⁽¹²⁹⁾ التي كانت بها تجارة رائجة للصابون، ومنها إلى مصر والبلاد المجاورة⁽¹³⁰⁾.

وهناك استخدامات أخرى للزيتون وزيتته، حيث أظهرت وثائق الحرم الشريف المملوكية استخدام زيت الزيتون في صناعة بعض مواد البناء⁽¹³¹⁾، واستخدم على نطاق واسع في العلاج البيتي وعند العطارين، كما استخدم خشب الزيتون في صناعة لوحات وتحف،

الزيت للحرم القدسي الشريف لإضاءة قناديله⁽⁹²⁾، وكانت هناك أوقاف من الزيتون المخصص زيتاً للإضاءة في الحرم القدسي وفي الجوامع الأخرى⁽⁹³⁾، وفي الحرم القدسي الشريف جرى تخزين الزيت الوارد إليه⁽⁹⁴⁾ في صهاريج خاصة، واستخدمت إحدى غرف القبّة النحوية⁽⁹⁵⁾ مخزناً للزيت خلال الفترة الأيوبية، وهناك زيت كان يُشترى من فلاحى القدس لتغطية النقص في بعض السنوات⁽⁹⁶⁾ كما تحوي وثائق الحرم القدسي الشريف المملوكية إشارات لعقود بيع زيت الزيتون بين تجار المدينة والنطاق الريفي التابع لها⁽⁹⁷⁾، وفي كنيسة القيامة خُصصت بركة لتخزين زيت الإضاءة لقناديل القبر المقدس التي تبقى مشتعلة طوال اليوم⁽⁹⁸⁾.

وفي العصر المملوكي كان في المسجد الأقصى (750) قنديلاً، وفي قبة الصخرة (450) قنديلاً، وفي ليلة منتصف شهر شعبان أشعل في المسجد الأقصى وقبة الصخرة (20 ألف) قنديل⁽⁹⁹⁾، قد أنيطت مهمة الإشراف على الإضاءة وتوفير الزيت اللازم لها بناظر الحرمين الشريفين⁽¹⁰⁰⁾ في بيت المقدس⁽¹⁰¹⁾، وقد أفادت وثائق القدس المملوكية أن ناظر الحرمين الشريفين اشترى زيتاً لمصلحة الحرم بمبلغ (5000) درهم من زيت بيت عينيا⁽¹⁰²⁾ عام 706 هـ / 1306 م⁽¹⁰³⁾، وفي العام نفسه اشترى أيضاً أربعة قناطير من زيت عين يبرود⁽¹⁰⁴⁾ بحوالي (1400) درهم فضي⁽¹⁰⁵⁾.

وشكل الزيت مادة رئيسة للتصدير، وأطلق عليه اسم الزيت الركابي، لأنه كان يحمل على ظهور الأبل، وجرى تصديره إلى أوروبا عن طريق البحر⁽¹⁰⁶⁾، وقد وجد زيت القدس طريقه إلى أسواق مصر وسوريا والجزيرة العربية والعراق اليمن⁽¹⁰⁷⁾، ومحلياً كان الزيت من التجارات الرائجة في الأسواق في سوق خان الزيت بالقدس⁽¹⁰⁸⁾ مقابل باب الناظر⁽¹⁰⁹⁾ غربي الحرم الشريف، وكان هذا السوق هو التجمع الرئيس لتجار الزيت لبيع ما لديهم من الزيت أو شراء الزيت المتحصل من جبال نابلس والقدس والريف التابع لهما.

3. تصنيعه

صُبط الزيت النابلسي من قبل مشرفي السلطة الحاكمة، ورمي على أصحاب مصانع الصابون فقط في بيت المقدس والرملة، لكل منهم حصته المقررة عليه وبالسعر الذي فُرض عليه كذلك، وكان يحضر أمير من المماليك ومساعدون له إلى نابلس لضبط الزيت وبيعه وقبض ثمنه، واستمر الوضع كذلك حتى عام 896هـ/1410م.

بعد عام 890هـ/
1485م.

صدر مرسوم الأمير "أقبردي الدوادر الكبير" (140) القاضي برمي الزيت المتحصل من جبل نابلس، على سكان بيت المقدس جميعاً دون استثناء، بموجب قوائم بأسمائهم بثمن قدره (15) ديناراً ذهبياً للقنطار، وطلب من كل شخص شراء كمية معينة من الزيت، ورافق هذه الحملة ظلم وإكراه للناس وتعذيب، واشترى الناس قنطار الزيت بخمسة عشر ديناراً ذهبياً وباعوه بمائتين وخمسين درهماً فضياً فقط، فكانت الخسارة نحو الثلثين، وشملت الحملة كلاً من سكان بيت المقدس والخليل، وجمع فيها ما يقارب (20) ألف دينار (141).

مرسوم آخر للأمير نفسه أمر برمي الزيت المتحصل من نابلس بسعر (15) ديناراً للقنطار الواحد على أصحاب المصاين، ثم على الناس عامة مسلمين ومسيحيين ويهود، وبلغ مجمل ما طُرح في بيت المقدس والخليل (1500) قنطار، وكان نصيب الخليل منها (160) قنطاراً، ثم امتدت الحملة إلى الرملة، ورافقها عنف وظلم وضرب (142).

898هـ/1492-
1493م

مرسوم شهري رجب وشعبان، طُرح فيه (900) قنطار من زيت جبل نابلس على عامة الأهالي في بيت المقدس والخليل، و (200) قنطار على أهالي الرملة، بسعر (15) ديناراً للقنطار، وكانت كلفة القنطار ديناراً واحداً، وباعه الناس بتسعة دنانير وأقل من ذلك، وكانت الخسارة تقارب النصف.

900هـ/1494-
1495م

مرسوم شهر شوال وفيه جرى رمي الزيت مرة ثانية على أهالي بيت المقدس والرملة، حين صدر الأمر برمي (300) قنطار بنفس السعر السابق (143).

ومناظر خشبية، ورموز دينية، وألعاب أطفال، وأدوات للزينة متقنة، لاقت رواجاً في مواسم الأعياد والحجاج المسيحيين، حيث تدفقت أعداد كبيرة منهم إلى بيت المقدس في هذه المناسبات، وقد استهوت هذه التحف الزوار المسيحيين بشكل كبير، وجرى الإقبال على شرائها كتذكارات وهدايا (132).

ثالثاً: الأسعار، والضرائب، والعوامل المؤثرة في الإنتاج

1. الأسعار

اختلفت أسعار السلع الغذائية بما فيها زيت الزيتون من فترة لأخرى ومن منطقة لأخرى، وتحكمت فيها عوامل طبيعية عدة منها: القحط والجراد والكوارث الطبيعية، وعوامل أخرى بشرية أهمها: استغلال موظفي السلطنة المملوكية، الذين مارسوه عبر ظواهر عدة منها: الطرح والرمي، والتحكير، فالطرح والرمي «البيع القسري» عبارة عن إجبار التجار، أو العامة على شراء سلع تملكها، أو تُصنعها، أو تستوردها الدولة بسعر يزيد عن سعر السوق، ويخالف رغبة المشتري، أما التحكير، فهو إجبار التجار على بيع سلعهم في مكان معين يسمى الحكر، مثل: حكر الزيت بخان الزيت في بيت المقدس.

وجرت العادة أن يحتكر بعض السلاطين وأمراء المماليك في فترات معينة، عدداً من السلع التجارية، منها: زيت الزيتون الذين أشرفوا على تحصيله وتسويقه، وتحديد سعره، فانتشرت المظالم، والاعتداءات والتعدييات، ورافق ذلك تذبذب في أسعاره من سنة إلى أخرى تبعاً لتشدد الدولة في تحصيله، وقد حاول بعض الحكام التخفيف من حدة هذه الإجراءات عبر مراسيم مكتوبة، منها النقش الذي يحوي أمراً بإبطال مظالم الزيت في نابلس عام 713هـ/1313م (133)، ونقوش أخرى في الخليل لإبطال المظالم (134)، ولكن يبدو أن هذا إجراء مؤقت ينتهي بانتهاك حكم من كان مسؤولاً عن كتابته (135).

والحقيقة أن المصادر لا تعطينا صورة واضحة عن أسعار الزيت أو الزيتون خلال تلك الفترة، ولكنها سجلت بعض النماذج المحدودة في الأوضاع الطبيعية التي لم تتدخل فيها السلطات، منها عام 706هـ/1306م إذ بيع قنطار الزيت بحوالي (350) درهماً فضياً، وبهذا يكون سعر الرطل (5، 3) درهم فضي (136)، ووصل سعره عام 748هـ/1347م إلى أربعة دراهم ونصف (137)، وبيعت ثمار الزيتون بسعر ستة دراهم للكليجة (138) الواحدة عام 789هـ/1387م (139)، هذا وقد شهد تاريخ النياحة عدة مناسبات لاحتكار الزيت ورمي المتحصل منه، الأمر الذي أثر على أسعاره وعلى حياة السكان، وكانت هذه المناسبات كالاتي:

قبل عام 890هـ/1485م
كان الزيت النابلسي يرد إلى بيت المقدس والرملة، ويباع بسعره الطبيعي، دون تدخل من قبل السلطات.

وفي مصر تأثرت أسعار الزيت الشامي بما فيه زيت بيت المقدس بحوادث عدة، منها: الحريق الذي شب في فندق طرنطاي (144) بالقاهرة عام 721هـ/1321م، فأحرق الزيت القادم من الشام، وكانت قيمة الضريبة المفروضة عليه (20) ألف درهم، وعموماً فقد وصل سعر الزيت بمصر خلال القرن التاسع الهجري/الخامس عشر للميلادي إلى خمسمائة وخمسين درهماً للقنطار الواحد (145)، وكذلك الصابون الذي تعرضت أسعاره للتذبذب تبعاً للأزمات الاقتصادية، ففي أواسط عام 805هـ/1402م وصل سعر الصابون الشامي إلى (500) درهم للقنطار الواحد في الأسواق المصرية، ليرتفع إلى (700) درهم في نهاية العام بسبب القحط والجفاف، وللسبب نفسه ارتفع إلى (900) درهم في العام التالي (146).

2. الضرائب والعوامل المؤثرة في الإنتاج

السيطرة قد يتدخل بعض السلاطين المماليك للإعفاء منها، ولكن هذه الإعفاءات لم تعمر طويلاً⁽¹⁵⁸⁾.

إضافة إلى ذلك فرضت أتوات عرفت باسم (الخواوة)⁽¹⁵⁹⁾، وأرهقتهم كذلك حملات التجنيد الإجباري التي عملت على إفراغ الريف من الفلاحين، وأشهرها حملة عام 886هـ/1481م، الأمر الذي أحدث ثورة في بيت المقدس وهجوماً من قبل أهالي القرى للإفراج عن المجندين، ورافق هذه الحملات جباية غير محددة من الفلاحين، منها المال - (124) ألف دينار - الذي قرره النائب على ولاية نابلس عام 920هـ/1514م⁽¹⁶⁰⁾، وزاد الطين بلة غارات البدو على القرى التي حولت الرملة ونابلس إلى أطلال في نهاية الفترة المملوكية⁽¹⁶¹⁾.

وهناك أيضاً الغارات والتجاريد، وهي عبارة عن حملات عسكرية جرى تشكيلها لمواجهة التهديد العثماني، وتوجب على العامة الإسهام في أعبائها المادية والعسكرية، وكان أهل جبل نابلس الأكثر استهدافاً لها نظراً لحركات التمرد العديدة التي كانوا يقومون بها⁽¹⁶²⁾.

كما أثرت العوامل الطبيعية سلباً في الإنتاج مثل (القحط والجفاف والجراد)، وفيما يأتي جدول بأهم المؤثرات الطبيعية التي تعرضت لها نيابة بيت المقدس خلال العهد المملوكي :

تاريخ الكارثة	المناطق التي أصابتها الكارثة
1295هـ/695م	قحط وغلاء في مختلف بلاد الشام ولا سيما بيت المقدس ونابلس ⁽¹⁶³⁾ .
1296هـ/696م	قحط وجفاف عم بلاد بيت المقدس ⁽¹⁶⁴⁾ .
704هـ/1304م	قحط وجفاف عم الشام من الغور إلى العريش ⁽¹⁶⁵⁾ .
742هـ/1343م	جراد عم بلاد الشام واستمر في العام الذي يليه ⁽¹⁶⁶⁾ .
782هـ/1380م	قحط أصاب عامة بلاد الشام، ومنها بيت المقدس ⁽¹⁶⁷⁾ .
803هـ/1401م	جراد ما بين غزة والفرات ⁽¹⁶⁸⁾ .
813هـ/1410م	جراد في الرملة والساحل ⁽¹⁶⁹⁾ .
825هـ/1422م	قحط أصاب حوران والكرك وبيت المقدس والرملة وغزة ⁽¹⁷⁰⁾ .
873هـ/1468م	قحط في بيت المقدس، ووقع الغلاء في الأرز والزيت والبلص وغيرها حتى في الخضراوات ⁽¹⁷¹⁾ .
889هـ/1484م	جراد في دمشق امتد إلى بيت المقدس ⁽¹⁷²⁾ .
891هـ/1486م	قحط واحتباس مطر وغلاء، واستمر كذلك لمدة عامين قادمين ⁽¹⁷³⁾ .

ويتحدث مؤرخ معاصر لنهايات الفترة المملوكية، فيقول عن السلطان الأشرف قانصوه الغوري⁽¹⁷⁴⁾ : (... كان يولي النواب على أعمال الجهات الشامية والحلبية، ويقرر عليهم الأموال الجزيلة في كل سنة بقدر معلوم، فيأخذونه بالظلم والعسف، فكان كل واحد منهم يتمنى الرحيل من بلاده إلى غيرها من عظم الظلم الذي يصيبهم من النواب، ولا سيما ما حصل لعربان جبل نابلس بسبب المال الذي أفرده عليهم لأجل المشاة عند خروج التجريدة)⁽¹⁷⁵⁾.

ويصور هذه الحال المؤرخ المقرئ المقيزي (845هـ/1441م)، فيقول : (... فلما دهي أهل الريف بكثرة المغارم، وتنوع المظالم،

عرفت المدن المملوكية نوعاً من التخصص في الأسواق، ففي بيت المقدس كان هناك مكان مخصص لتجارة الزيت، ويبدو أن هناك أسواقاً مشابهة في مدن النياحة الأخرى، وفي خان الزيت المقدسي تجمع التجار حيث قبان الزيت، والحقيقة أننا لا نملك معلومات عن هذا الخان أو طريقة عمله خلال الفترة المملوكية، إضافة إلى عدم توفر معطيات رقمية حول كميات إنتاج الزيتون ومشتقاته والصناعات القائمة عليه كذلك في فترة المماليك.

ولكن المصادر العثمانية المبكرة تحدثت عن هذا السوق الذي تجمع فيه الزيت في أوعية خاصة عرفت باسم (ظروف الزيت)، ويوزن بوساطة وعاء خاص يعرف باسم «طاسة الزيت»، وفرض على كل جرة زيت كبيرة ضريبة مقدارها أقجة⁽¹⁴⁷⁾ واحدة رسوماً للسوق، وبلغت عائدات هذا القبان عام 932هـ/1525م حوالي (15000) أقجة⁽¹⁴⁸⁾.

وأما الصابون فقد اختص به المتجر السلطاني⁽¹⁴⁹⁾ الذي عرف بخان السلطان⁽¹⁵⁰⁾ في مدينة بيت المقدس، حيث باعت المصابن إنتاجها له وبالسعر الذي يحدده المشرفون عليه، ويبدو أن هذا الإجراء كان امتداداً للإجراءات الصليبية، إذ أشرف ملك بيت المقدس على المصابن الواقعة ضمن نطاق سيطرته، والتي كانت تدفع له مبلغاً معيناً من المال مقابل تصريح خاص بممارسة هذه المهنة⁽¹⁵¹⁾.

وكان الريف هدفاً لاستغلال الأمير الإقطاعي كذلك، كما كانت المدينة هدفاً لاستغلال النواب والولاة، وموظفي الدولة، وفيهما فرضت ضرائب عدة منها :

1. ضريبة الخراج: تراوحت بين النصف والثمن تبعاً لخصوبة الأرض، وطريقة الري، ويُعدها عن الخطر والاعتداءات، وكانت كروم الزيتون تؤدي خراجها زيتاً، والضريبة فيها تخضع لنظام المحاصصة وبموجبها تجري مقاسمة الفلاح مع الأمير المقطع للأرض، وتزيد أحياناً عن نصف المحصول⁽¹⁵²⁾.

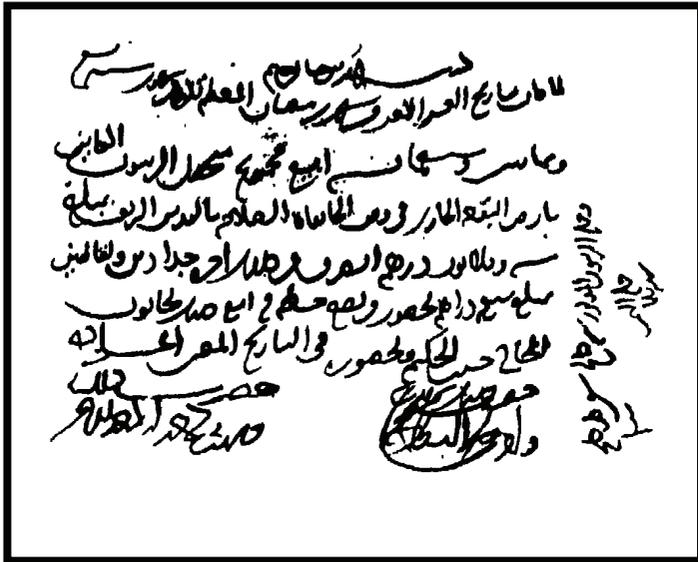
2. ضريبة العشر: كانت تستقطع من حصة الفلاح، وتبلغ عشر المحصول، وأحياناً كانت تُحصّل بأكثر من العشر، وأُغفيت منها الأراضي الوقفية أحياناً، وأراضي أهل الذمة، على اعتبار أنهم يدفعون الجزية، ويتبع هذه الضريبة عددٌ من الهدايا والاستضافات لموظفي الدولة⁽¹⁵³⁾.

3. ضريبة عداد الأشجار: تصل إلى (50) % من الإنتاج للزيتون الروماني⁽¹⁵⁴⁾، أما الزيتون الإسلامي فجرى احتساب ضريبة كل شجرتين أقجة واحدة، إضافة إلى ضريبة خاصة فرضها نائب بيت المقدس بلغ مجموعها عام 824هـ/1421م أربعة آلاف دينار تجبي من الفلاحين⁽¹⁵⁵⁾، وفي أحيان كثيرة كان لا يكتفي بضريبته المقررة على الفلاحين وأهالي المدينة، بل يجبرون على دفع ضرائب جديدة⁽¹⁵⁶⁾، الأمر الذي نتج عنه ارتفاع باهظ في الأسعار⁽¹⁵⁷⁾.

وقد عانى فلاحو القرى في الريف من ظواهر سلبية أثرت على الإنتاج بشكل مباشر منها «السخرة»، هذه الآفة ابتدعتها القوى الصليبية في الشرق، وبقيت محل ممارسة من قبل الإقطاعيين المماليك في الريف، وعند استفحاله أو خروجها على نطاق

خلف الورقة:

إشهاد الزيتون وقف على الخانقاه الصلاحية (180).
خريطة نيابة بيت المقدس في العهد المملوكي (181)



فاختلفت أحوالهم، وتمزقوا كل ممزق، وجلوا عن أوطانهم، فقلت مجابي البلاد ومتحصلا لقلّة ما يزرع بها...» (176)، ومع نهايات الفترة المملوكية، تحولت القرى المأهولة في القرن التاسع الهجري/ السادس عشر الميلادي إلى مجرد خرب غير مأهولة بالسكان، ووصف عدداً من القرى في بداية الفترة العثمانية بأنها «خرب وخلايل (177)» غير منتجة (178).

الخلاصة:

يساعد فهم الأوضاع الاقتصادية السائدة في كل فترة، على فهم التطورات والتغيرات التي تصيب النظم السياسية والاجتماعية بشكل عام، وعموماً فقد ألفت الأوضاع الاقتصادية بظلالها على مناحي الحياة في العصر المملوكي كافة، ويبدو واضحاً أن هناك ملاحظات عدة على الأوضاع الاقتصادية وتحديداً في مجال إنتاج زيت الزيتون وتصنيعه في بيت المقدس خلال العصر المملوكي، منها:

♦ أولاً: كانت مناطق نيابة بيت المقدس وبخاصة ريف نابلس من أكثر المناطق في فلسطين إنتاجاً لزيت الزيتون، وتصنيعه في تلك الفترة.

♦ ثانياً: هناك أساس قوي للزراعة قائم على أساس تنوع الإنتاج الزراعي، وتصنيع المنتجات الزراعية باحتراف، وإمكانية واسعة لتصدير هذه المنتجات، ولكن عوامل عدة أسهمت في تراجعها، ويمكن الحديث عنها على النحو الآتي:

1. الكوارث الطبيعية كالقحط، والجفاف، والجراد، وغيرها، تأثير سلبي في زراعة الزيتون، وتصنيعه.

2. ممارسات بعض السلاطين والأمراء المماليك في تدهور الإنتاج الزراعي، وكان لها دور كبير في تذبذب الأسعار، وذلك من خلال ممارسات ضرائبية سلبية كالاحتكار والطرح والرمي.

وقد أدت هذه الظروف والسياسات مجتمعة إلى تدهور الإنتاج الزراعي بشكل واضح، وأسهمت في إفقار الريف والمدينة، وهجرة واسعة أفرغت الريف من سكانه تقريباً.

الملحق

وجه الورقة:

بسم الله الرحمن الرحيم

لما كان تاريخ العشر الآخر من شهر رمضان المعظم قدره من شهور سنة تسع وثمانين وسبعماية لبيع مجموع متحصل الزيتون الكاين بأرض البقعة الجاري في وقف الخانقاه الصلاحية بالقدس الشريف (179) بمبلغ ستة وثلاثون درهماً انصرف من ذلك أجرة جدادين ولقاطين، بمبلغ سبعة دراهم بحضور من يضع خطه فيه لبيع ذلك بحانوت حسين بن الحكيم، وبحضوره في التاريخ المعين أعلاه

حضرت ذلك...البسطامي حضرت ذلك وشهدت به كتبه أحمد بن محمد

الجانب الأيمن لوجه الورقة

وجملة الزيتون ستة كيالج سعر كل كيلجة ستة جملة الثمن ست وثلاثون.

الهوامش

14. Benvenisti , The Crusaders in the Holy Land, Jerusalem, P. 214.
15. الظاهري، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، ص48.
16. البخيت، الرملة في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، ص189.
17. Hutteroth, Historical Geography of Palestine, Trans Jordan and Southern Syria, P.123-124
18. في العصر المملوكي استمر نظام الإقطاع كما كان في العصر الأيوبي، وجرى تقسيم الأراضي بين السلطان والقادة وكبار الجند إقطاع تملك، وهو الإقطاع الذي يتم توريثه، ثم جرى تحويله إلى إقطاع استغلال لا يورث منذ الروك الناصري، الذي تم فيه مسح الأراضي زمن السلطان الناصر محمد بن قلاوون عام 713هـ/ 1313م، وكان إيداناً بوقف إقطاع التملك. حول الإقطاعات المملوكية في فلسطين. راجع: المقرئ، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج1، ق2، ص 530 534؛ الربيدي، الزراعة والغذاء في بلاد الشام في العصر المملوكي (922-648هـ/ 1250-1516م)، ص 56-40.
19. ثثامنة، فلسطين في العهدين الأيوبي والمملوكي، ص363 365-؛ Hut-teroth, Historical Geography of Palestine, Trans Jordan and Southern Syria, P.25.
20. تحدثت الوثائق الإسلامية عن نوعين من الزيتون هما: الزيتون القديم الذي عرف بالزيتون الروماني، والزيتون الذي غرس بالفترة الإسلامية، و عرف بالزيتون الإسلامي. انظر على سبيل المثال: وثائق الحرم القدسي الشريف المملوكية، وثيقة رقم (333)، عام754هـ/1353م؛ سجل ولايات صفد، نابلس، غزة، قضاء الرملة حسب الدفتر رقم (312)، عام964/1556م، ص60؛ وافية آل البسطامي - نابلس عام 963هـ/1555م.
22. Anderson, The Impact of Rome in the Periphery, P.458
23. Frankel, Ancient oil Mills and Presses in the Land of Israel, P. 21
24. التمرتاشي، طبيغا الجركلمشي، مخطوط الفلاحة المنتخبة، دار الكتب المصرية ” زراعة 48“، نقلاً عن النهار، الزراعة والثروة المائية في بلاد الشام (-648 923هـ/ 1517-1250م)، ص20.
25. النابلسي، علم الملاحه في علم الفلاحة، ص79؛ السيد، القدس في العصر المملوكي، ص194.
26. الحمري: عرف كذلك بالقطران أو القار، وكان يستخرج من البحر الميت، واستخدم في مكافحة آفات النباتات. ناصر خسرو، سفر نامه، ص53؛ Fetellus, Description of Jerusalem and the Holy Land, Vol.5 P.12, P.P. 1-58
27. السيد، الخليل والحرم الإبراهيمي في عصر الحروب الصليبية، ص338.
28. ورد في رسالة بولس إلى أهل رومية: «... وقد كنت أنت زيتونة برية قطعتم فيها، فصرت شريكاً في أصل الزيتون ودمها...». راجع الرسالة 11/18.
29. Frankel, Ancient oil Mills and Presses in the Land of Israel, P.23-24
30. جبل الزيتون : (طور زيتا) شرق مدينة القدس، ويفصله عنها قدرون أو وادي جهنم، وتميز منذ القدم بكثرة أشجار الزيتون. الحنبلي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ج2، ص60 61؛ بورشارد وصف الأرض المقدسة، بتاريخ القدس والخليل، ج2، ص60 61؛ بورشارد وصف الأرض المقدسة، ص58.
1. إضافة إلى كون النائب ممثلاً للسلطان في النيابة كانت له إدارة خاصة وخاتم خاص، وكانت النيابة بمثابة سلطنة مصغرة في معظم الشؤون الداخلية الخاصة بها. للمزيد عن النيابة. راجع: القلقشندي، صلح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج4، ص198.
2. سفر التكوين: 8/11؛ 20/ 24؛ الخروج : 23/11؛ القضاة: 15/5؛ رسالة بولس إلى أهل رومية 11/17 - 24.
3. في عهد سيدنا نوح عليه السلام كان في السفينة هو ومن معه من المؤمنين، وكانت الأرض مملوءة بالمياه فأرسل الحمامة لكي تستكشف، وفي إحدى المرات أرسل عليه السلام الحمامة وعادت ومعها ورقة زيتون خضراء، ومنذ ذلك الحين صارت الحمامة وغصن الزيتون رمزاً وشعاراً للسلام. سفر التكوين 8: 10-12
4. Frankel, Ancient oil Mills and Presses in the Land of Israel, P.8
5. سورة النور: آية 35.
6. راجع على سبيل المثال: عمرو، رقوم المسجد الإبراهيمي الشريف في خليل الرحمن: العسلي، نقوش من نابلس والخليل، حوليات دائرة الآثار الأردنية، (36)، 1412هـ/ 1992م، ص370-400؛ علاونة، نقوش محافظة نابلس “ دراسة أثرية تاريخية؛ ص115؛ Jaussen, «Inscriptions arabes de Naplouse, bulletin de l'institut français d'archéologie orientale “ 27, (1927) : 91-110
7. ﴿سَبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.سورة الإسراء:آية(1) .
8. ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص222؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج2-8405 406؛ أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، ج2، ص28؛ الحنبلي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ج1، ص447. راجع كذلك : سلامة، التهجير القسري لسكان فلسطين في العهد الصليبي، ص204، 206.
9. العماد الأصفهاني، الفتح القسي في الفتح القدسي، ص131-130؛ الحنبلي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ج1، ص328 332.
10. ذكرت باسم «مملكة بيت المقدس» في الهدنة التي وقعها السلطان المنصور قلاوون مع مملكة بيت المقدس الصليبية ومركزها عكا، عام 682هـ/1227م. ابن عبد الظاهر، تشریف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، ص36.
11. للاطلاع على روايات تأسيس نيابة مستقلة في بيت المقدس. راجع : القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج4، ص206.205-؛ المقرئ، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج3، ق2، ص813؛ الحنبلي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ج2، ص282؛ غوانمة، تاريخ نيابة بيت المقدس في العصر المملوكي، ص13 20-؛ عثمانة، فلسطين في العهدين الأيوبي والمملوكي، ص323 330-؛ السيد، القدس في العصر المملوكي، ص35-34.
12. الحمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار (دولة المماليك الأولى)، ص209.
13. القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج4، ص205؛ غوانمة، نيابة بيت المقدس في العصر المملوكي، ص58.

48. شيخ الربوة الدمشقي، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، ص 267؛ عن كثرة الزيتون في نابلس راجع كذلك: ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ج 1، ص 80؛ النابلسي، الحضرة الأنسية في الرحلة بيت المقدسية، ص 74.
49. عسكر: قرية على بعد (2) كم شمال شرق مدينة نابلس. الدباغ، بلادنا فلسطين، ج 2، ص 282؛ البيشاوي، الممتلكات الكنسية في مملكة بيت المقدس الصليبية، ص 413.
50. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 4، ص 123.
51. سبسطية: بلدة فلسطينية واقعة على بعد (10) كم شمال غرب مدينة نابلس، تشتهر بآثارها الرومانية وزيتونها. للمزيد راجع: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 3، ص 184؛ بنيامين التيطلي، رحلة بنيامين التيطلي، ص 96.
52. زواتا: قرية على بعد (5) شمال غرب نابلس. الدباغ، بلادنا فلسطين، ج 2، ص 389؛ عراف، المواقع الجغرافية في فلسطين، ص 446.
53. راجع: وقفية آل البسطامي - نابلس عام 963هـ/1555م.
54. كفر صور: من القرى الجنوبية لمحافظة طولكرم، وتبعد حوالي (10) كم على الطريق بين مدينة طولكرم وقلقيلية، وكانت تتبع ولاية نابلس في العهد المملوكي، وقد أوقف منها (16) حصة من «زيتون مغارة كفر صور» على مصالح الحرم الإبراهيمي الشريف. عمرو، رقوم المسجد الإبراهيمي الشريف في خليل الرحمن، ص 403.
55. رافات: قرية تقع جنوب غرب من مدينة نابلس وعلى بعد (38) كم في منتصف المسافة بين قرية الزاوية ودير بلوط، وحالياً تتبع إدارياً لبلدية سلفيت. الدباغ، بلادنا فلسطين، ج 2، ص 562-559؛ شراب، معجم بلدان فلسطين، ص 406-405.
56. البخيت، الرملة في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، ص 197.
57. ناصر خسرو، سفرنامه، ص 70، 73؛ أبو صالح، الخليل مدينة الآباء والأجداد، ص 36.
58. Praver, The Latin Kingdom of Jerusalem, P.361.
59. سماط الخليل: طعام تقدمه تكية سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام الواقعة بجوار المسجد الجاولي قرب الحرم الإبراهيمي الشريف، و سُمي كذلك «مائدة الخليل»، وكان يقدم الوجبات المجانية لزوار الحرم الإبراهيمي أو للمجاورين فيه، أو للمسافرين المارين من أمامه أو لفقراء الخليل، ولا تزال هذه التكية تقدم الطعام لمن يطلبه لا فرق بين غني وفقير وخصوصاً خلال شهر رمضان المبارك، وذكر مجير الدين الحنبلي (ت 927هـ/1520م) أن الطعام كان يُوزع ثلاث مرات يومياً، وفي كل مرة كانت تدق الطبول فيحضر الناس، وكانت هذه العادة تقليد لما كان يفعله سيدنا إبراهيم عليه السلام عندما يأتيه الضيوف، وقد أوقف السلطان المملوكي الظاهر برقوق (ت 801هـ/1399م) قرية دير استيا الواقعة على بعد (7) كم شمال غرب مدينة سلفيت، وكانت تابعة لولاية نابلس في العهد المملوكي على مصالح سماط الخليل عام 792هـ/1389م، ونص الوقفية مثبت على حجر رخامي فوق باب المصلى الرئيس من الجهة الشرقية في الحرم الإبراهيمي. الحنبلي، الأُنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ج 1، ص 26، 63؛ عمرو، رقوم المسجد الإبراهيمي الشريف في خليل الرحمن، ص 407-411. للمزيد راجع: ناصر خسرو، سفرنامه، ص 73؛ الخالدي، أهل العلم والحكم في ريف فلسطين، ص 128.
60. الجدادين: وهم الذين يقومون بضرب ثمار الزيتون العالية بالعصي حتى تسقط. Frankel, Ancient oil Mills and Presses in the Land of.
- Von Suchem, Description of the Holy Land, Vol. 27: XII, P.P.112-113; Phocas, The Pilgrimage of Joannes Phocas in the Holy Land in., Vol. IV, P.20.
31. ثيودريش، وصف الأماكن المقدسة في فلسطين، ص 56؛ الراهب، رحلة الحاج دانيال الراهب في الديار المقدسة، ص 68.
32. بيت لحم: مدينة فلسطينية على بعد (10) كم جنوبي القدس، بها كنيسة المهد حيث ولد السيد المسيح. للمزيد راجع: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 1، ص 522-521؛ شراب، معجم بلدان فلسطين، ص 200.
33. الإدريسي، كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج 1، ص 363.
34. Cohen, Economic Life in Ottoman Jerusalem, P.78.
35. أوقاف وأملاك المسلمين في فلسطين، ص 48، 88؛ سجل ولايات صفد، نابلس، غزة، قضاء الرملة حسب الدفتر رقم (312) عام 964/1556م، ص 179، 181؛ سجل أراضي ولاية القدس حسب الدفتر (342)، عام 970هـ/1562م، ص 83، 87، 108.
36. عثمانة، فلسطين في خمسة قرون، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ص 291، 290؛ Heyd, Histoire du Commerce du Levant Au Moyen Age, Tome II, P.189.
37. المن: المن الشرعي في بلاد الشام يعادل (819) غم حالياً، وبذلك تبلغ الكمية المذكورة (40950) كغم من الزيت. هنتس، المكاييل والأوزان الإسلامية، ص 58. راجع كذلك: الفهواتي، من خدمات إدارة الأوقاف في القدس، ص 486 «هـ 14»؛ زيادة، الجغرافية والرحلات عند العرب، ص 154.
38. ناصر خسرو، سفرنامه، ص 56-55؛ غوانمة، تاريخ نيابة بيت المقدس، ص 77.
39. Rohricht, Regesta Regni Hierosolimitana Doc. No.80, P.P.18-19; Delaborde, Chartes De Terre Sainte Provenant de la, Abbaye de Notre- Dame de Josaphat, Doc.No.6, P.P 29-32.
40. البقعة: أحد الأحياء الواقعة في جنوب غرب مدينة القدس. الحنبلي، الأُنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ج 2، ص 59؛ أبو فردة، القدس مدنها وقراتها، ص 33.
41. يبرود: قرية فلسطينية على بعد (7) كم شمال شرق رام الله. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 5، ص 427؛ الدباغ، بلادنا فلسطين، ج 8، ص 323.
42. عين يبرود: قرية على بعد (7) كم شمال شرق رام الله بجوار قرية يبرود. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 5، ص 427؛ العسلي، وثائق مقدسية تاريخية، ج 2، ص 99.
43. كفر ناثا: خربة قرب عين يبرود. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 5، ص 427؛ الدباغ، بلادنا فلسطين، ج 8، ص 337.
44. سجلات المحكمة الشرعية: القدس، سجل 134 (1054هـ/1644م)، ص 655 - 661. راجع كذلك: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 5، ص 427.
45. البشاري المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص 149.
46. الحنبلي، الأُنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ج 2، ص 75؛ ثيودريش، وصف الأماكن المقدسة في فلسطين، ص 126.
47. القنطار الشامي: يساوي مائة رطل، والرطل يقدر بحوالي (2,5) كغم. هنتس، المكاييل والأوزان الإسلامية ص 32، 40.

8. ص324؛ شراب، بلدان فلسطين، ص260. Israel, P.23-24.
61. اللقطين: يقومون بجمع الثمار عن الأرض بعد سقوطها بواسطة الجدادين. المرجع السابق، ص 24.
62. راجع الملحق في نهاية الدراسة.
63. العزة، نابلس في العصر المملوكي، ص 124.
64. المعصراني: صاحب، أو ضامن المعصرة والمشرف عليها، وأحياناً يستأجر عمالاً ليقوموا بعملية العصر. القاسمي، قاموس الصناعات الشامية، ج2، ص457.
65. وقفية آل البسطامي - نابلس عام 963هـ/1555م.
66. من المكونات الأساسية للمعصرة، حجرة خاصة للماء الساخن، ويتم تسخين الماء بها بعد سحبه من بئر خاص بالمعصرة. وقفية آل البسطامي - نابلس عام 963هـ/1555م.
67. الحسن، التقانة في فلسطين في القرنين الثاني والثالث عشر للميلاد، ص530-560. ص541: العزة، نابلس في العصر المملوكي، ص124.
68. القاسمي، قاموس الصناعات الشامية، ج2، ص457.
69. Frankel, Ancient oil Mills and Presses in the Land of Israel, P.67.
70. الحسن، التقانة في فلسطين في القرنين الثاني والثالث عشر للميلاد، ص541: الطاهر، شجرة الزيتون، ص572.
71. *Prawer, The Latin Kingdom of Jerusalem, P.361.*
72. البيرة: مدينة تتصل بمدينة رام الله، وتبعد (16) كم شمال القدس. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص526؛ شوامرة، البيرة في الفترة الصليبية، ص6.
73. الرام: بلدة فلسطينية على بعد (6) كم شمال القدس. الدباغ، بلادنا فلسطين، ج8، ص70: أبو حجر، موسوعة المدن والقرى الفلسطينية، ج2، ص851.
74. لفتا: قرية فلسطينية مهجرة تبعد (1) كم شمال غرب مدينة القدس. الدباغ، بلادنا فلسطين، ج8، ص102: الخالدي، كي لا ننسى، ص651-654.
75. القبيبة: قرية على بعد (8) كم في شمال غرب القدس، شراب، معجم بلدان فلسطين، ص594؛ شوامرة، البيرة في الفترة المملوكية، ص6، 46، 70.
76. العرنوطية: خربة على بعد (1.5) كم من قرية دورا القرع في محافظة رام الله. الدباغ، بلادنا فلسطين، ج8، ص336.
77. بيتونيا: بلدة على بعد (3) كم جنوب غرب رام الله، وتمر منها طريق رام الله غزة. الخالدي، أهل العلم والحكم في ريف فلسطين، ص96؛ شراب، معجم بلدان فلسطين، ص207.
78. بيت سوريك: قرية فلسطينية تبعد (10) كم شمال غرب القدس. الدباغ، بلادنا فلسطين، ج8، ص106: أبو فردة، بيت المقدس مدنها وقراها، ص81.
79. خربة الكبوش: خربة غير مأهولة تقع على بعد (2) كم غرب القبيبة. الدباغ، بلادنا فلسطين، ج8، ص100: Genevieve, Le Cartulaire du Chapitre du Saint Sepulcre de Jerusalem, P.420.
80. الكفيرة: قرية على بعد (3,5) كم شمال غرب القدس. الدباغ، بلادنا فلسطين، ج8، ص200: عراف، المواقع الجغرافية في فلسطين، ص279.
81. جفنا: بلدة فلسطينية تبعد (10) شمال رام الله. الدباغ، بلادنا فلسطين، ج
82. Ellenblum, Settlement in the Latin Kingdom of Jerusalem, P.135.
83. Ellenblum, Settlement in the Latin Kingdom of Jerusalem, P.91.
84. سجل أراضي ولاية القدس حسب الدفتر (342)، عام 970هـ/1562م، ص41.
85. مطاوع، ولاية نابلس في القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين/السادس والسابع عشر الميلاديين، ص83.
86. وقفية آل البسطامي - نابلس عام 963هـ/1555م.
87. البخيت، الرملة في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، ص186، 215، ص197.
88. Prawer, The Latin Kingdom of Jerusalem, P.361.
89. المقرئ، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج3، ق3، ص1173: ابن الصيرفي، نزهة الأبدان في تواريخ الزمان، ج3، ص70.
90. القهواتي، من خدمات إدارة الأوقاف في القدس، م3، ص489.
91. المشكاة: ورد ذكرها في القرآن الكريم، وكانت تستخدم كمصباح كامل، أو الزجاج التي كان يوضع فيها المصباح لتحفظ ناره من هبات الهواء وتحولها إلى ضوء ينتشر بهدوء في أرجاء المكان، ولها ثلاثة مقابض تُشد بها سلاسل معدنية تجمع بكرة أو بشكل بيضاوي، وتعلق بوساطتها بالسقف. سورة النور: آية 35: بهنسي، عفيف، جمالية الفن العربي، ص163: عمرو، رقوم المسجد الإبراهيمي الشريف، ص726.
92. تعود هذه المشكاة إلى أيام الأمير تنكز الحسامي، نائب الشام في الفترة 741-712هـ/1340-1312، والذي توفي عام 744هـ/1343م. اليوسفي، نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر، ص113: الصفدي، الوافي بالوفيات، ج10، ص432.
93. القنديل لم يتضمن اسم الصانع أو تاريخ صناعته، ولكن مكتوب عليه نص في قسمه السفلي كالتالي: «عزُّ لمولانا السلطان الملك الصالح عماد الدنيا والدين اسماعيل»، ويبدو أن المقصود بذلك السلطان المملوكي الملك الصالح اسماعيل بن محمد بن قلاوون. راجع: عمرو، رقوم المسجد الإبراهيمي الشريف، ص756-752.
94. عن ميمونة مولاة النبي صلى الله عليه وسلم أنها قالت: (يا رسول الله! أفتنا في بيت المقدس؟ فقال: أئتوه فصلوا فيه - وكانت البلاد إذ ذاك حرباً - فإن لم تأتوه وتصلوا فيه فابعثوا بزيت يُسرج في قناديله). راجع: السجستاني، سنن إبي داود، ج1، ص315: المقدسي، فضائل بيت المقدس، ص51.
95. سجلات المحكمة الشرعية في القدس، سجل رقم (72) 1000هـ/1591م، ص427: سجل رقم (207) 1124-1123هـ/1711-1712م، ص121-120، 345.344: غنائم، وقف النقود في القدس في القرنين العاشر والحادي عشر للهجري/السادس عشر والسابع عشر الميلاديين، م3، ص128-131: Sharon, Corpus Inscriptionum Arabi-carum Palaestinae, Vol.4, P.66.
96. خلال القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، كانت حصة الحرم من الزيت تصل إلى مئة قسط، (وهو مكيل سعته 2,106 لتر). لإضاءة (1600) قنديل بالمسجد الأقصى، و (300) قنديل في قبة الصخرة. ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ص96-97: البشاري المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص147: عن القسط. راجع: هنتس، المكييل والأوزان الإسلامية، ص65-66.

97. القبة النحوية: إحدى مدارس الحرم القدسي، أسسها المعظم عيسى عام 604هـ/1207م، وكان لها دور ملموس في الحركة الفكرية في الفترة الأيوبية. الحنبلي، الأسن الجليل بتاريخ القدس والخليل، ج2، ص34: العسلي، معاهد العلم في بيت المقدس، ص62.
98. وثائق الحرم القدسي الشريف، وثيقة رقم (346) عام 706هـ/1306م: العسلي، وثائق مقدسية تاريخية، ج2، ص99-100.
99. وثائق الحرم القدسي الشريف، وثيقة رقم (92) عام 784هـ/1382م: وثيقة رقم (692) عام 787هـ/1385م.
100. Frankel, Oil and Olives in the Land of Israel, P.60.
101. الحنبلي، الأسن الجليل بتاريخ القدس والخليل، ج2، ص33.
102. ناظر الحرمين الشريفين: وظيفة دينية زمن المماليك تعطى لمن يتولّى الإشراف على المسجد الأقصى والمسجد الإبراهيمي في الخليل. الحنبلي، الأسن الجليل بتاريخ القدس والخليل، ج2، ص269، 271: غوانمة، الإدارة في فلسطين في العصر المملوكي، ص411.
103. القهوةاتي، من خدمات إدارة الأوقاف في القدس، م3، ص485.
104. بيت عينيا: بلدة العيزرية الواقعة على بعد (2) كيلومتر شرقي القدس. الدباغ، بلادنا فلسطين، ج8، ص143-142: الخالدي، أهل العلم والحكم في ريف فلسطين، ص176.
105. اشترى ناظر الحرمين الشريفين علم الدين سنجر السيفي جميع الزيت المتحصل من زيتون بيت عينيا، بمبلغ (5000) درهم عام 706هـ/1306م. راجع: وثائق الحرم القدسي الشريف المملوكية، رقم (320)، 706هـ/1306م.
106. عين ببرود: قرية فلسطينية على بعد (7) كم من رام الله شمال شرق مدينة القدس. النابلسي، الحضرة الأنسية، ص94: اليعقوب، ناحية القدس الشريف في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، ص60.
107. اشترى ناظر الحرمين الشريفين علم الدين سنجر السيفي (4) قناطير من زيت عين ببرود الواقعة على بعد على بعد (7) كم من رام الله شمال شرق مدينة القدس، بمبلغ (1400) درهم فضي لمصلحة الحرم الشريف. وثائق الحرم القدسي الشريف، وثيقة رقم (346) عام 706هـ/1306م: العسلي، وثائق مقدسية تاريخية، ج2، ص99-100.
108. عثمانة، فلسطين في خمسة قرون، ص291.
109. شيخ الربوة الدمشقي، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، ص267: ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ج1، ص80: القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج4، ص90: خليل، التجارة الداخلية في دولة المماليك الثانية، ص211.
110. وثائق الحرم القدسي الشريف المملوكية، وثيقة رقم (190) عام 784هـ/1382م: الحنبلي، الأسن الجليل بتاريخ القدس والخليل، ج2، ص54.
111. باب الناظر: يقع في الحائط الغربي من الحرم القدسي باتجاه الشمال، وعرف بأسماء أخرى هي: باب الحبس، باب المجلس، باب ميكائيل، باب علاء الدين البصيري، باب الرباط المنصوري. الحنبلي، الأسن الجليل بتاريخ القدس والخليل، ج2، ص30: نجم، كنوز القدس، ص118.
112. القلي: هو رماد نبات الأشنان المتوفر في بادية الشام وصحراء النقب، ويحوي كربونات البوتاسيوم وكربونات الصودا اللازمة لتصنيع
- الصابون. الحسن، التقانة في فلسطين في القرنين الثاني والثالث عشر للميلاد، ص542: Abu Mustafa, "The Trade Routes in Palestine During The Mamluk Period", P.15
113. السيد، القدس في العصر المملوكي، ص200: Abu Mustafa, "The Trade Routes in Palestine During The Mamluk Period", P.15
114. مطاوع، ولاية نابلس في القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين/ السادس والسابع عشر الميلاديين، ص85.
115. الأنطاكي، تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجاب، ج2، ص221.
116. الدمشقي، الإشارة إلى محاسن التجارة وغشوش المدلسين فيها، ص25.
117. شيخ الربوة الدمشقي، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، ص267: راجع كذلك: ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ج1، ص80: Benvenisti, The Crusaders in the Holy Land, P.389.
118. السيد، القدس في العصر المملوكي، ص199.
119. رحلة العطار الشامي من دمشق إلى القدس. نقلاً عن السيد، القدس في العصر المملوكي، ص200.
120. الحنبلي، الأسن الجليل بتاريخ القدس والخليل، ج2، ص54.
121. الغزي، الكواكب السائرة في أعيان المئة العاشرة، ج1، ص103.
122. المدرسة الدودارية: أو الخانقاه الدودارية، أسسها علم الدين سنجر الدوادار عام 695هـ/1295م غربي الحرم القدسي الشريف. الحنبلي، الأسن الجليل بتاريخ القدس والخليل، ج2، ص39: نجم، كنوز القدس، ص155.
123. للمزيد عن هذا النقش. راجع: Burgoyne, Mamluk Jerusalem, P.155
124. المدرسة الفخرية تقع في أقصى جنوب غرب الحرم القدسي الشريف، أوقفها القاضي فخر الدين محمد بن عبد الله عام 730هـ/1329-1330م، سجلات المحكمة الشرعية: القدس، سجل (57) 984هـ/1577م) ص231.
125. سجل أراضي ولاية بيت المقدس حسب الدفتر 342، عام 970هـ/1562م، ص41 42.
126. البخيت، الرملة في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، ص186 215.
127. مطاوع، ولاية نابلس في القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين/ السادس والسابع عشر الميلاديين، ص80 81.
128. وثائق الحرم القدسي الشريف المملوكية: وثيقة رقم (292) 784هـ/1382م: وثيقة رقم (692) 787هـ/1385م.
129. شيخ الربوة الدمشقي، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، ص267: Boas, Jerusalem in the Time of Crusades Society, Landscape and art in the Holy City Under Frankish Rule, P.244
130. شيخ الربوة الدمشقي، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، ص267: سجلات المحكمة الشرعية في القدس، سجل (31)، 963هـ/1555م، ص610: العزة، نابلس في العصر المملوكي، ص124 - 125: Co-hen, Population and Revenue the Towns of Palestine in the Sixteenth Century, P.63

131. يافا: مدينة فلسطينية على الشاطئ الشرقي للبحر المتوسط، على بعد (7) كم جنوب مصب نهر العوجا، واسمها تحريف لكلمة "يافي" الكنعانية بمعنى الجميلة، ويمتاز السهل الساحلي الذي تقوم يافا في وسطه بانبساط أرضه وتوافر مياهه واعتدال مناخه، وتعتبر تربتها من أخصب التربة في فلسطين، وهي صالحة لزراعة جميع أنواع المحاصيل الزراعية بصفة عامة، والحمضيات بصفة خاصة. للمزيد راجع: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص426: شراب، معجم بلدان فلسطين، ص726.
132. السيد، القدس في العصر المملوكي، ص200.
133. وثائق الحرم القدسي الشريف المملوكية، وثيقة رقم (773 أ)، عام 795 هـ/1392م.
134. العارف، المفصل في تاريخ القدس، ص465: Pero Tafur, Travels and Adventures (1435-1439), P.55
135. للمزيد عن هذا النقش. راجع: كلبونة، المساجد الأثرية في مدينة نابلس، ص55.
136. راجع: نقش الرواق الشرقي في الحرم الإبراهيمي الذي يعود لعهد الملك الظاهر برقوق عام 796هـ/1393م، ونقش الملك الأشرف قايتباي على الباب الشرقي في عام 881هـ/1476م، وكلاهما يدعوان إلى إبطال المظالم في القدس والخليل. عمرو، رقوم المسجد الإبراهيمي الشريف، ص484-488.556-559.
137. أشتور، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق المتوسط في العصور الوسطى، ص412: لايبديوس، مدن الشام في العصر المملوكي، ص102: للمزيد راجع: خليل، التجارة الداخلية في دولة المماليك الثانية، ص165-175.
138. وثائق الحرم القدسي الشريف، وثيقة رقم (346) عام 706هـ/1306م؛ العسلي، وثائق مقدسية تاريخية، ج2، ص100-99.
139. ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص235.
140. الكيلجة: جمعها كيالج، وتعادل الكيلجة «الجالون» صاعاً ونصف أي ما يعادل (6.3) لتر. البشاري المقدسي، التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص156: لي سترانج، فلسطين في العهد الإسلامي، ص65، هنتس، المكايل والأوزان الإسلامية، ص72.
141. راجع الملحق في نهاية الدراسة.
142. الدوادر الكبير: وظيفة في العصر المملوكي تعني صاحب الدواة أو الموكل بها، وكان يقوم بالإشراف على الشؤون الكتابية للسلطان، ويشترك مع كاتب السر في تقديم البريد، وعرض المكاتبات الرسمية عليه لتوقيعها. السبكي، معيد النعم ومبيد النقم، ص25.
143. الحنبلي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ج2، ص356-358.
144. المصدر السابق، ج2، ص365-366.
145. المصدر السابق، ج2، ص373-374.
146. حسام الدين طرنطاي: نائب السلطان في عهد الأشرف خليل بن قلاوون، توفي عام 689هـ/1290م، وفندقه الآن مندثر ويقع في القاهرة خارج باب البحر. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج5، ص277: المقرزي، الخطط المقرزية، ج2، ص94.
147. المقرزي، إغانة الأمة بكشف الغمة، ص117.
148. ابن الصيرفي، نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، ج2، ص162، 169، 178.
149. الأجة: عملة فضية ضربت في العهد العثماني ومعناها القطعة البيضاء، وهي ذات قيمة عالية حيث اتخذت راتباً يومياً لجندي واحد؛ وبلغت نسبة الفضة فيها خلال عهد السلطان العثماني أورخان (90 %) ثم تناقصت في عهد محمد الرابع إلى (50%) فقط. Bowen, AKce,El2,Vol.1,P.P.317-318.
150. سجل أراضي ولاية القدس حسب الدفتر (342)، عام 970هـ/1562م، ص83: اليعقوب، ناحية القدس الشريف في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، ص188.
151. يبدو أن إجراءات تحكير المصابن، ورماية الصابون على التجار بالسوق كان إجراءً عاماً في كل المدن المملوكية، وكان السلطان المملوكي قايتباي (ت عام 901هـ/1496م) قد أبطلها أثناء رحلته إلى بلاد الشام عام 882هـ/1477م المعروفة باسم «القول المستظرف في سفر مولانا الملك الأشرف» محاولة منه لاكتساب الأهالي في صراعه الذي بات وشيكاً مع العثمانيين. ابن الجيعان، القول المستظرف في سفر مولانا الملك الأشرف، ص70.
152. خان السلطان: يقع في قلب المركز التجاري للمدينة بالقرب من الطرف الغربي لطريق باب السلصلة، جدد عمارته السلطان برقوق مام 788هـ/1386م. نجم، كنوز القدس، ص261: Cohen, Eco-nomic Life in Ottoman Jerusalem, P.78.
153. السيد، الخليل والحرم الإبراهيمي في عصر الحروب الصليبية، ص346: أمطير، الحياة الاقتصادية في بيت المقدس في فترة الحروب الصليبية، ص98.
154. عثمانة، فلسطين في العهدين الأيوبي والمملوكي، ص376، 378.
155. لحنبلي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ج2، ص330: Hut-teroth, Historical Geography of Palestine, Trans Jordan and Southern Syria, p.1
156. سجلات المحكمة الشرعية في القدس، سجل (31)، عام 963هـ/1555م، ص22-230.
157. ابن إياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج2، ص72.
158. فرض نائب بيت المقدس عام 807هـ/1404م، ضريبة إضافية على سكان القدس، وطالبهم بالمال، فلما رفضوا استغل وقت الصلاة وأغلق عليهم الأبواب، واشتبك معهم ووقع قتلى من الطرفين. المقرزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج3، ق3، ص1154.
159. ابن إياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور ج1، ق2، ص713: بني حمد، العوامل المؤثرة في تذبذب أسعار المواد الغذائية في بلاد الشام، ص95.
160. المصدر السابق، ج1، ق2، ص444.
161. الحنبلي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ج2، ص346.
162. ابن إياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج4، ص408، 468، ج5، ص90: عثمانة، فلسطين في العهدين الأيوبي والمملوكي، ص371 - 374.
163. السيد، القدس في العصر المملوكي، ص197.
164. الحنبلي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ج2، ص335، 348: ابن إياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج3، ص32، 54، 230، 321، ج4، ص51، 59، 116، 448: ابن الحمصي، حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران، ج1، ص346 - 347: ج2، ص173.

165. الجزري القرشي، تاريخ حوادث الزمان وأبنائه ووفيات الأكابر والأعيان، ج1، ص280.
166. المقرزي، إغاثة الأمة بكشف الغمة، ص70.
167. بني حمد، أثر الكوارث الطبيعية على الحياة الاقتصادية في بلاد الشام في العصر المملوكي، ص84.
168. المقرزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج2، ق3، ص622 623.
169. ابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ، ج2، ص15.
170. المقرزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج3، ق3، ص1064 - 1065.
171. ابن إياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج1، ق2، ص803.
172. ابن قاضي شهبة، تاريخ ابن قاضي شهبة، ج3، ص581 - 582.
173. الحنبلي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ج2، ص285.
174. المصدر السابق، ج2، ص331.
175. المصدر السابق، ج2، ص337، 339.
176. الأشرف قانصوه الغوري : سلطان مملوكي حكم بين عامي (907 922هـ/1501-1516م)، انتصر عليه العثمانيون بقيادة السلطان سليم الأول في معركة مرج دابق شمال حلب عام 922هـ/1516م، ومات في هذه المعركة. ابن طولون، مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، ج1، ص221 - 384: السيد الباز العريني، المماليك، ص263.
177. ابن إياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج5، ص90.
178. المقرزي، إغاثة الأمة بكشف الغمة، ص81.
179. الخربة: هي المكان المعمور من قرية أو مدينة، وتعتلت منفعتها، الخلايل، ومفردها حلة، وهو المكان شبه المقفر. أنيس، المعجم الوسيط، ص223.
180. Hutteroth, Historical Geography of Palestine, Trans Jordan and Southern Syria, P 26.
181. الخانقاه الصلاحية: أسسها السلطان صلاح الدين الأيوبي بعد تحرير القدس عام 587هـ/ 1187م قرب كنيسة القيامة في حارة النصرى، وكان لها دور ملموس في الحركة الفكرية في القدس خلال العهدين الأيوبي والمملوكي، وأقام لها شيخها برهان الدين بن غانم منذنة عام 840هـ/ 1417م. الأصفهاني، الفتح القسي في الفتح القدسي، ص145: 148: العارف، المفصل في تاريخ القدس، ص501.
182. وثائق الحرم القدسي الشريف، وثيقة رقم (573) عام 789هـ/1387م: العسلي، وثائق مقدسية تاريخية، ج2، ص164.
183. غوانمة، الإدارة في فلسطين في العصر المملوكي، ص432.
- قائمة المصادر والمراجع:**
- أولاً. الوثائق والسجلات:**
1. وثائق الحرم القدسي الشريف المملوكية: وثيقة رقم (190)، عام 784هـ/1382؛ وثيقة رقم (292) عام 784هـ/1382م؛ وثيقة رقم (320)، 706هـ/1306م؛ وثيقة رقم (333)، 754هـ/1353م؛ وثيقة رقم (346) عام 706هـ/1306م؛ وثيقة رقم (573) عام 789هـ/1387م؛ وثيقة رقم (692) عام 787هـ/1385م؛ وثيقة رقم (773) عام 795هـ/1392م.
2. وثيقة وقفية آل البسطامي - نابلس/ ملكية خاصة لآل البسطامي في
- نابلس، بتاريخ 909هـ/1503م، وأعيد تسجيلها في سجلات المحكمة الشرعية بنابلس عام 963هـ/1555م.
3. سجلات المحكمة الشرعية في القدس، سجل رقم (31) 963هـ/1555م، ص610؛ سجل 57 (984هـ/1577م) ص231؛ سجل رقم (72) 1000هـ/1591م، ص427؛ سجل رقم (134) 1054هـ/1644م، ص655 - 661؛ سجل رقم (207) 1123 - 1124هـ/1711 - 1712م، ص120 - 121.
4. ثانياً- المصادر المطبوعة:
5. ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم (ت630هـ/1232م)، الكامل في التاريخ، ج12، دار صادر، بيروت، 1402هـ/1982م.
6. الإدريسي، محمد بن محمد بن عبد الله، (ت560هـ/1165م)، كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج2، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1409هـ/1989م.
7. الأنطاكي، داود بن عمر (ت1008هـ/1599م)، تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجائب، المكتبة الثقافية، ج5، بيروت، د.ت.
8. أوقاف وأملاك المسلمين في فلسطين» في ولايات غزة، القدس الشريف، صفد، نابلس، عجلون «، حسب الدفتر رقم (522) من دفاتر التحرير العثمانية المدونة في القرن العاشر الهجري/السادس عشر للميلاد، تحقيق: محمد أبشري، ومحمد داود التميمي، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، استانبول، 1982/1402م.
9. ابن إياس، محمد بن أحمد (ت930هـ/1523م)، بدائع الزهور في وقائع الدهور، 5 مجلدات، تحقيق مصطفى زيادة، ط3، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1403-1404هـ/1983-1984م.
10. البشاري المقدسي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، (ت390هـ/1000م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق محمد مخزوم، ط2، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1407هـ/1987م.
11. ابن بطوطة، محمد بن عبد الله (ت779هـ/1377م)، رحلة ابن بطوطة، ج2، تحقيق علي المنتصر الكتاني، مؤسسة الرسالة، ط4، بيروت، 1405هـ/1985م.
12. ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت874هـ/1469م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، 16 ج، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1412هـ/1992م.
13. الجزري القرشي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم (ت783هـ/1337م) تاريخ حوادث الزمان وأبنائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه» تاريخ ابن الجزري»، ج3، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، ط1، المكتبة العصرية، بيروت، 1418هـ/1998م.
14. ابن الجيعان، بدر الدين أبو القضاء محمد بن يحيى (ت902هـ/1496م)، القول المستظرف في سفر مولانا الملك الأشرف، تحقيق عمر تدمري، ط، جرس برس، بيروت، 1404هـ/1984.
15. ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين (ت852هـ/1448م)، أنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ، ج4، ط2، بيروت، دار الكتب العلمية، 1406هـ/1986م.
16. ابن الحمصي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر (ت934هـ/1527م) حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران، ج3، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، ط1، المكتبة العصرية، بيروت، 1419هـ/1999م.
17. الحنبلي، مجير الدين عبد الرحمن بن محمد (ت927هـ/1520م)، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ج2، مكتبة النهضة، 1415هـ/1995م.

18. الدمشقي، جعفر بن علي (كتب كتابه عام 570هـ/1174م)، الإشارة إلى محاسن التجارة وغشوش المدلسين فيها، تحقيق محمود الأرنؤوط، ط 1، دار صادر، بيروت، 1419هـ/1999م.
19. السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن علي (ت 771هـ/1370م)، معيد النعم ومبيد النقم، تحقيق محمد علي النجار ورفاقه، ط 1، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1367هـ/1948م.
20. السجستاني، الإمام أبو داود سليمان بن الأشعث (ت 275هـ/898م) سنن أبي داود، إعداد وتعليق عزت عبيد الدعاس، ط 1، حمص، 1388هـ/1969م.
21. سجل أراضي ولاية القدس حسب الدفتر «342»، عام 970هـ/1562م، المحفوظ في أرشيف رئاسة الوزراء باستانبول، تحقيق محمد عيسى صالحية، عمان، 1423هـ/2002م.
22. سجل ولايات صفد، نابلس، غزة، قضاء الرملة حسب الدفتر رقم (312) تاريخه (964هـ/1556م)، تحقيق محمد عيسى صالحية، ط 1، عمان، 1420هـ/1999م.
23. ابن شاهين الظاهري، غرس الدين خليل (ت 873هـ/1496م)، كتاب زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، تصحيح بولس راويس، المطبعة الجمهورية، باريس، 1311هـ/1894م.
24. ابن شاهين الملطي، عبد الباسط بن خليل (ت 920هـ/1514م)، نزهة الأساطين فيمن ولي مصر من السلاطين، تحقيق محمد كمال عز الدين علي، ط 1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1407هـ/1987م.
25. شيخ الربوة الدمشقي، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي طالب الأنصاري المعروف (ت 727هـ/1328م)، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، ط 1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1408هـ/1988م.
26. الصفدي، صلاح الدين خليل بن أبيك (ت 764هـ/1362م)، الوافي بالوفيات، ج 22، تحقيق أيمن فؤاد السيد ورفاقه، دار النشر فرانز شتاينر شتوتغارت، 1411هـ/1991م.
27. ابن الصيرفي، علي بن داود (ت 900هـ/1492م)، نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، ج 3، تحقيق حسن حبشي، ط 1، مطبعة دار الكتب، 1389هـ/1970م.
28. ابن طولون، شمس الدين محمد (ت 935هـ/1546م)، مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، تحقيق محمد مصطفى، ج 2، دار أحياء الكتب العربية، القاهرة، 1381هـ/1962م.
29. ابن عبد الظاهر، محيي الدين (ت 692هـ/1292م)، تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، تحقيق مراد كامل، ط 1، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، 1380هـ/1961م.
30. العماد الأصفهاني، عماد الدين محمد بن محمد (ت 597هـ/1200م)، الفتح القسي في الفتح القدسي، تحقيق محمد صبح، دار القومية للنشر، القاهرة، 1383هـ/1964م.
31. العمري، أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري (ت 749هـ/1349م)، التعريف بالمصطلح الشريف، تحقيق محمد حسين شمس الدين، ط 1، دار الكتب العلمية، 1408هـ/1988م.
32. مسالك الأبصار في ممالك الأمصار (دولة المماليك الأولى)، تحقيق رذورتيا كرافولسكي، ط 1، المركز الإسلامي للبحوث، بيروت، 1406هـ/1986م.
33. الغزي، نجم الدين محمد بن محمد (ت 1061هـ/1651م)، الكواكب السائرة في أعيان المئة العاشرة، ج 3، وضع حواشيه خليل منصور، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418هـ/1997م.
34. ابن الفقيه الهمداني، أبو بكر أحمد بن محمد (ت 340هـ/952-951م)، مختصر كتاب البلدان، دار إحياء التراث العربي، ط 1، بيروت، 1408هـ/1988م.
35. ابن قاضي شهبة، تقي الدين (ت 851هـ/1448م)، تاريخ ابن قاضي شهبة، (الجزء الثالث)، تحقيق عدنان درويش، دمشق، المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية، 1397هـ/1977م.
36. ابن القلانسي، أبو يعلى حمزة بن أسد بن محمد (ت 555هـ/1160م)، تاريخ دمشق، تحقيق سهيل زكار، دار حسان للطباعة والنشر، دمشق، 1983م.
37. القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد (ت 821هـ/1418م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تحقيق محمد حسين شمس الدين، ج 15، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1407هـ/1987م.
38. ابن كثير، عماد الدين اسماعيل، (ت 774هـ/1372م)، البداية والنهاية، ج 14، تحقيق: أحمد أبو ملحم وآخرون، ط 1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1985م.
39. المقدسي، ضياء الدين محمد بن عبد الواحد (ت 643هـ/1245م)، فضائل بيت المقدس، تحقيق مطيع الحافظ، دار الفكر، دمشق، 1402هـ/1982م.
40. المقرئ، أبو العباس أحمد بن علي (ت 845هـ/1441م)، إغاثة الأمة بكشف الغمة « تاريخ المجاعات في مصر » مؤسسة ناصر، بيروت، 1400هـ/1980م.
41. =، الخطط المقرئية « كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار »، ج 2، دار صادر، بيروت، د.ت.
42. =، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج 2، ق: تحقيق محمد زيادة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، (1375-1377هـ/1956-1958م)، ج 4:5-3، ق: تحقيق سعيد عاشور، دن، القاهرة، (1389-1391هـ/1970-1972م).
43. النابلسي، عبد الغني بن إسماعيل (ت 1143هـ/1731م)، الحضرة الأنسية في الرحلة بيت المقدسية، تحقيق أكرم حسن العلي، دار المصادر، ط 1، بيروت، 1410هـ/1990م.
44. =، علم الملاحة في علم الفلاحة، ط 1، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1399هـ/1979م.
45. ناصر خسرو، أبو معين ناصر خسرو بن حارث القبادياني البلخي (ت 481هـ/1088م)، كتاب سفر نامه، ترجمة: يحيى خشاب، دار الكتاب الجديد، بيروت، 1403هـ/1983م.
46. اليوسفي، موسى بن محمد بن يحيى (ت 759هـ/1358م)، نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر، تحقيق أحمد حطيط، عالم الكتب، ط 1، 1406هـ/1986م.
47. ياقوت الحموي، شهاب الدين بن عبد الله (ت 626هـ/1228م)، معجم البلدان، ج 5، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت.

ثالثاً المصادر العربية:

1. بورشارد من دير جبل صهيون، وصف الأرض المقدسة، ترجمة سعيد البيشاوي، ط 1، دار الشروق، عمان، 1415هـ/1995م.
2. التطيلي، بنيامين، رحلة بنيامين التطيلي، ترجمة عزرا حداد، بغداد، 1364هـ/1945م.
3. ثيودريش، وصف الأماكن المقدسة في فلسطين، ترجمة سعيد البيشاوي ورفيقه، ط 1، دار الشروق، رام الله، 1423هـ/2003م.

4. الراهب، دانيال، رحلة الحاج الروسي دانيال الراهب في الديار المقدسة "1106. 1107م"، ترجمة سعيد البيشاوي ورفيقه، ط1، دن، عمان، 1412هـ/ 1992م.
- رابعاً المراجع العربية والمعرّبة:**
1. أشتور، أ. (E.Ashtor)، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق المتوسط في العصور الوسطى، ترجمة: عبد الهادي عيلة، دار قتيبة، دمشق، 1405هـ/ 1985م.
2. أمطير، محمد سامي، الحياة الاقتصادية في بيت المقدس وجوارها في فترة الحروب الصليبية (583-492هـ/ 1187-1099م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، 1431هـ/ 2010م.
3. أنيس، إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، ج2، دن، ط1، دت.
4. الباز العريني، السيد، الممالك، دار النهضة العربية، بيروت، 1386هـ/ 1967م.
5. البدور، سليمان، فلسطين في العهد الأموي، وزارة الثقافة، عمان، 1424هـ/ 2004م.
6. البيشاوي، سعيد، الممتلكات الكنسية في مملكة بيت المقدس الصليبية، 1099-1291م/ 492-690هـ، ط1، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1409هـ/ 1989م.
7. بهنسي، عفيف، جمالية الفن العربي، عالم المعرفة، 1399هـ/ 1979م.
8. أبو حجر، آمنة، موسوعة المدن والقرى الفلسطينية، ج2، ط1، دار أسامة للنشر والتوزيع، 2003م.
9. الخالدي، أحمد سامح، أهل العلم والحكم في ريف فلسطين، دار الثقافة والفنون، عمان، 1968م.
10. الخالدي، وليد، كي لا ننسى، ترجمة حسني زينة، ط3، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، 2001م.
11. خليل، سعيد، التجارة الداخلية في دولة المماليك الثانية (784.922هـ/ 1382.1516م)، رسالة دكتوراه غير منشورة، الجامعة الأردنية، 1412هـ/ 1992م.
12. الدباغ، مصطفى مراد، بلادنا فلسطين، دار الهدى، كفر قرع، 1411هـ/ 1991م.
13. الدومنيكي، مرمجي، بلدانية فلسطين العربية، منشورات المجمع الثقافي، أبو ظبي بالتعاون مع وزارة الثقافة الفلسطينية، أبو ظبي، 1417هـ/ 1997م.
14. زيادة، نقولا، الجغرافية والرحلات عند العرب، ط3، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 1402هـ/ 1982م.
15. السيد، علي أحمد، الخليل والحرم الإبراهيمي في عصر الحروب الصليبية، 1099-1187/ 492-583هـ، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة، 1418هـ/ 1998م.
16. شراب، محمد، معجم بلدان فلسطين، دار المأمون للتراث، دمشق، 1407هـ/ 1987م.
17. شوامرة، عوني محمد، البيرة في الفترة المملوكية، دراسة أثرية معمارية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بيت المقدس، 1421هـ/ 2001م.
18. أبو صالح، محمد زياب، الخليل مدينة الآباء والأجداد، ندوة الخليل مهد الآباء والأجداد، جامعة النجاح، نابلس، 1417هـ/ 1997م.
19. الطاهر، علي نصوح، شجرة الزيتون «تاريخها- زراعتها- أمراضها-
- صناعتها، مكتبة الطاهر، يافا، 1366هـ/ 1947م.
20. العارف عارف، المفصل في تاريخ القدس، ط4، مكتبة الأندلس، القدس، 1416هـ/ 1996م.
21. عبد المهدي، عبد الجليل، بيت المقدس في أدب الحروب الصليبية، ط2، دار البشير للنشر والتوزيع، عمان، 1415هـ/ 1995م.
22. عثمانة، خليل، فلسطين في خمسة قرون، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط1، بيروت، 1420هـ/ 2000م.
23. =، فلسطين في العهدين الأيوبي والمملوكي، ط1، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، 1426هـ/ 2006م.
24. عراف، شكري، المواقع الجغرافية في فلسطين "الأسماء العربية والتسميات العبرية"، ط1، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، 1429هـ/ 2004م.
25. العزة، رئيسة، نابلس في العصر المملوكي، دار الفاروق، نابلس، 1419هـ/ 1999م.
26. العسلي، كامل، معاهد العلم في بيت المقدس، عمان، 1401هـ/ 1981م.
27. =، وثائق مقدسية تاريخية، ج3، مؤسسة عبد الحميد شومان، عمان، 1405هـ/ 1985م.
28. علي، علي السيد، القدس في العصر المملوكي، ط1، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، 1406هـ/ 1986م.
29. علاونة، شامخ، نقوش محافظة نابلس "دراسة أثرية تاريخية: وسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القدس، 1418هـ/ 1998م.
30. عمرو، يونس، أبو سارة، نجاح، رقوم المسجد الإبراهيمي الشريف في خليل الرحمن، مركز البحث العلمي، جامعة الخليل، 1409هـ/ 1989م.
31. الغوانمة، يوسف درويش، تاريخ نيابة بيت المقدس في العصر المملوكي، ط1، دار الحياة للنشر والتوزيع، عمان، 1402هـ/ 1982م.
32. أبو فردة، فائز، القدس مدنها وقراها، ط1، دار الجليل للنشر، عمان، 1411هـ/ 1991م.
33. القاسمي، محمد سعيد، وآخرون، قاموس الصناعات الشامية، ج2، تحقيق ظافر القاسمي، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، 1408هـ/ 1988م.
34. لابيدوس، ايرا مارفين (Ira Marvin Lapidus)، مدن الشام في العصر المملوكي، ترجمة: سهيل زكار، ط1، دار حسان، دمشق، 1405هـ/ 1985م.
35. لي سترايج. جي (Guy Le Strange)، فلسطين في العهد الإسلامي، ترجمة محمود عمارة، ط1، وزارة الثقافة والإعلام، عمان، 1389هـ/ 1970م.
36. مطاوع، ختام محمد، ولاية نابلس في القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين/السادس والسابع عشر الميلاديين، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، 1418هـ/ 1998م.
37. نجم، رائف، عبد الجليل عبد المهدي، يوسف الننتشة، بسام الحلاق، كنوز القدس، ط1، المجمع العلمي لبحوث الحضارة الإسلامية، آل البيت، عمان، 1402هـ/ 1982م.
38. هنتس، فالتر، المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة كامل العسلي، ط1، منشورات الجامعة الأردنية، عمان، 1389هـ/ 1970م.

- Case of Palestine – Roman Period (63BCE- 324 CE) , in the the Archaeology of Society in the Holy Land, Ed. y Tomas Levy,Leicester University Press,London,1998.
- Benvenisti.M , The Crusaders in the Holy Land, Jerusalem, 1980.
3. Boas.A.,Jerusalem in the Time of Crusades Society, Landscape and art in the Holy City Under Frankish rule,0 London,2001.
- Bowen. H, AKce,EI2,Vol.I,P.P.317-318.
- Burgoyne, M., Mamluk Jerusalem, The British School of Archaeology in Jerusalem & Word of Islam Festival Trast ,London, 1987.
- Cohen,A., Economic Life in Ottoman Jerusalem, Cambridge university Press,1989.
- Cohen.A,& B.Lewis, Population and Revenue the Towns of Palestine in the Sixteenth Century, Princeton University Press,1978,P.63.
- Delaborde. H.F.,Chartes De Terre Sainte Provenant de l, Abbaye de Notre- Dame de Josaphat ,Paris ,1880.
- Ellenblum.R, Settlement in the Latin Kingdom of Jerusalem, Cambridge,1988.
- Frankel. R, Ancient oil Mills and Presses in the Land of Israel, in “ History and Technology of Olive Oil in the Holy Land, Ed..by Etan Ayalon, Erretz Israel Museum,Tel Aviv,1994.
- Fetellus, Description of Jerusalem and the Holy Land 1130 A.D,P.P.T.S. Vol.V,London,1896.
- Genevieve, Le Cartulaire du Chapitre du Saint Sepulcre de Jerusalem, Paris, 1984.
- Heyd.W, Histoire du Commerce du Levant Au Moyen Age ,II Tome Paris,1936.
- Hutteroth.W., & K.Abdulfattah, Historical Geography of Palestine,Trans Jordan and Southern Syria in the Late 16 Century, Erlangen,1977.
- Jaussen, J. A.. «Inscriptions arabes de Naplouse, bulletin de l’institut français d’archéologie orientale “ 27, (1927) :91-110. - Pero Tafur, Travels and Adventures (1435-1439) , translated and edited with an introduction by Malcolm Letts (New York, London: Harper & brothers 1926.
- Phocas.J, The Pilgrimage of Joannes Phocas in the Holy Land in the year 1185A.D.,Tr.byA.Stewart, P.P.T.S. Vol. IV,London,1896.
- Prawer,J., The Latin Kingdom of Jerusalem , London ,1972.
- Riley-Smith,J.,The Atlas of the Crusades, Times Books,London,1991.
- Rohricht.R.,Regesta Regni Hierosolimitana, Innsbruk ,1893.
- Von Suchem.L, Description of the Holy Land ,Tr. By A. Stewart, P.P.T.S. Vol.XII,London,1895.
39. اليعقوب، محمد أحمد، ناحية القدس الشريف في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية،1407هـ/1986م.
- خامساً المقالات العربية:**
1. البخيت، محمد عدنان، الرملة في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، مجلة دراسات، الجامعة الأردنية، م (17 أ) عدد 2، 1990هـ/1400 م، (ص 186— 215) .
2. الحسن، أحمد يوسف، التقانة في فلسطين في القرنين الثاني والثالث عشر للميلاد، الصراع الإسلامي، الفرنجي على فلسطين في القرون الوسطى، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط1، بيروت،1414هـ/1994م (ص 530-579) .
3. بني حمد، فيصل، أثر الكوارث الطبيعية على الحياة الاقتصادية في بلاد الشام في العصر المملوكي (1250 648م / 922هـ/1516م)، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة الكويت (الرسالة 272) حولية 28، 1429هـ/2008م، (ص 11 124) .
4. =، العوامل المؤثرة في تذبذب أسعار المواد الغذائية في بلاد الشام خلال العصرين المملوكين الأول (784-648هـ/1381-1250م) والثاني (922-784هـ/1517-1381م)، مجلة المنارة، المجلد 14، العدد 2، 1428هـ/2008م (ص 287 340) .
5. الربيدي، فاطمة، الزراعة والغذاء في بلاد الشام في العصر المملوكي (922-648هـ/1516-1250م)، المؤتمر الدولي التاسع لتاريخ بلاد الشام، الجامعة الأردنية، عمان، 1433 هـ / 2012م، (ص 56-40) .
6. سلامة، جلال، التهجير القسري لسكان فلسطين في العهد الصليبي في الفترة الواقعة بين 492-551هـ/1099-1156م، مجلة جامعة القدس المفتوحة للدراسات والأبحاث، رام الله، عدد 13،1428هـ/2008م، (ص199-230) .
7. العسلي، كامل، ” نقوش من نابلس والخليل“، حوليات دائرة الآثار الأردنية،(36)،1412هـ /1992م، (ص 370 - 400) .
8. غنايم، زهير، ومحمود الأشقر، وقف النقود في القدس في القرنين العاشر والحادي عشر للهجري/السادس عشر والسابع عشر الميلاديين ”970هـ/1562م“، المؤتمر الدولي السابع لتاريخ بلاد الشام، الجامعة الأردنية، عمان، 1428هـ/2008م، (ص -143 121) .
9. غوانمة، يوسف، الإدارة في فلسطين في العصر المملوكي، الصراع الإسلامي الفرنجي على فلسطين في القرون الوسطى، تحرير هادية شكيل ورفيقتها، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط1، بيروت،1414هـ/1994م، (ص 434-394) .
10. قهواتي، حسين، من خدمات إدارة الأوقاف في القدس إنارة الحرم القدسي «أنموذجاً»، 1940-1955م، المؤتمر الدولي السابع لتاريخ بلاد الشام، الجامعة الأردنية، عمان، 1428هـ/2008م، (ص -519 483) .
11. النهار، عمار، الزراعة والثروة المائية في بلاد الشام (648 923هـ/ 1517-1250م) المؤتمر الدولي التاسع لتاريخ بلاد الشام، الجامعة الأردنية، عمان، 1433 هـ / 2012م، (ص 20 - 35) .
- سادساً المصادر والمراجع باللغات غير العربية:**
1. Abu Mustafa,A., “The Trade Routes in Palestine During The Mamluk Period”, Birzeit University,2005.
2. Anderson.J., The Impact of Rome in the Periphery: The

**فاعلية التربية الإعلامية لدى طلبة الدعوة والإعلام
الإسلامي في جامعة اليرموك
(دراسة ميدانية)***

د. إبراهيم خلف سليمان الخالدي**
د. محمد احمد حسن ربابعة***

* تاريخ التسليم: 2015/7/5م، تاريخ القبول: 2016/4/26م.
** أستاذ مساعد/ جامعة اليرموك/ الأردن.
*** أستاذ مساعد/ جامعة اليرموك/ الأردن.

(3.61 - 3.79), the field of "methods of achieving media education" scored the first rank with the highest mean of (3.79), while the field of "reasons for activating media education" scored the least rank with a mean of (3.61), the mean for the instrument as a whole was (3.69), the results showed that there are no statistical differences ($\alpha = 0.05$) for the impact of the educational year in all fields and in the instrument as a whole, except in the field of "reasons for activating media education" for the favor of third year students. There are no statistical differences ($\alpha = 0.05$) for the impact of gender in all fields and in the instrument as a whole.

Key words: education, media, students, Islamic Da'wah and Media, Yarmouk University

مقدمة:

تكمن الخطورة البالغة هذه في وسائل الإعلام بما تبثه من رسائل قد تسهم في فساد العقيدة، وهدم القيم والأخلاق، وتغيير الحقائق، والكسل والتراخي، وضعف الإنتاجية، ولذلك لا بد من إعادة النظر في التربية الإعلامية بما يتناسب مع هذا العصر وما امتاز به من التدفق الهائل للمعلومات والإقبال على وسائل الإعلام المختلفة لاسيما أن الطلبة أكثر عرضة للمادة الإعلامية والثقافة الأجنبية والتأثر بها مما أدى إلى التفاعل مع التيارات الثقافية والمذهبية والسياسية، دون النظر إلى الظروف التي رافقت إنتاج مثل هذه البرامج فكانت الحاجة ملحة إلى التربية الإعلامية لتنوير الفكر، وتوجيه وتعديل السلوك، وتوفير المعلومات الكافية للمجتمع والطلبة عن وسائل الإعلام.

تعد المؤسسات التربوية من المؤسسات التي تهتم في تنشئة وإعداد الأجيال للمستقبل، فمن المؤكد أن تتحكم في التدفق المعلوماتي لمجالات الحياة المختلفة لتتمكن من مواكبة مستجدات هذا العصر، والتأقلم والتكيف معه. ويعد الإعلام من أقوى الوسائل التي تسهم في تأكيد هوية المجتمعات وقيمها ومبادئها وتحقيق التنمية، فلم تعد المؤسسات التربوية بشكل عام قادرة على النهوض بالتنمية الشاملة للمجتمع والفرد دون أن تستعين بوسائل الإعلام المختلفة، ولا سيما إنهما متكاملان بالهدف والمصدر وهو تحقيق العبودية لله سبحانه وتعالى، والاستخلاف في الأرض من خلال الإعداد المتكامل للفرد والمجتمع، ولا سيما أن الإنسان هو المستهدف في رسالة الإعلام والتربية، ومصدرهما هو كتاب الله سبحانه وتعالى، وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم.

وقد لا نغالي إذا قلنا إننا نعيش اليوم مرحلة الدولة الإعلامية الواحدة، التي ألغت الحدود وأزالت السدود، واختصرت المسافات والأزمان، واختصرت التاريخ، وتكاد تلغي الجغرافيا، حتى بات الإنسان يرى العالم ويسمعه من مقعده، ولم يقتصر الأمر على اختصار الحدود السياسية، والسدود الأمنية، بل إلغاء الحدود الثقافية، والتداخل في الخصائص النفسية. ولا يرى الخبراء تسمية لهذا القرن إلا قرن المعلومات والاتصالات والإعلام، فقد شهد تقدما في الوسائل السمعية والبصرية ووسائل الإعلام والنشر فأصبحت تعبر الحدود من غير حواجز وقيود.

ملخص:

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على فاعلية التربية الإعلامية لدى طلبة الدعوة والإعلام الإسلامي في جامعة اليرموك. تكونت عينة الدراسة من (209) طلاب من تخصص الدعوة للإعلام الإسلامي، اختيروا من السنتين الثالثة والرابعة وفقا للطريقة العشوائية الطبقية، وقام الباحث بإعداد استبانة فاعلية التربية الإعلامية لدى طلبة الدعوة والإعلام الإسلامي في جامعة اليرموك. تكونت الاستبانة بصورتها النهائية من (31) فقرة تمثل (3) أبعاد هي: مبررات تفعيل التربية الإعلامية، محتوى التربية الإعلامية، طرق تحقيق التربية الإعلامية. واستخرجت دلالات الصدق والثبات لها. واستخدمت المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية واختبار t للاجابة على أسئلة الدراسة، حيث أشارت النتائج الى أن مستوى فاعلية التربية الإعلامية لدى طلبة الدعوة والإعلام الإسلامي في جامعة اليرموك جاءت بمتوسطات تراوحت ما بين (3.61 - 3.79)، حيث جاء مجال طرق تحقيق التربية الإعلامية في المرتبة الأولى بأعلى متوسط حسابي بلغ (3.79)، بينما جاء مجال مبررات تفعيل التربية العملية في المرتبة الأخيرة وبمتوسط حسابي بلغ (3.61)، وبلغ المتوسط الحسابي للأداة ككل (3.69)، وأشارت النتائج الى عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية ($\alpha = 0.05$) تعزى لأثر السنة الدراسية في جميع المجالات وفي الأداة ككل باستثناء مجال مبررات تفعيل التربية العملية وجاءت الفروق لصالح السنة الثالثة. وعدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية ($\alpha = 0.05$) تعزى لأثر الجنس في جميع المجالات وفي الأداة ككل.

الكلمات المفتاحية: التربية، الإعلامية، طلبة، الدعوة والإعلام الإسلامي، جامعة اليرموك

The effectiveness of Media on Students of Islamic Da'wah and Media at Yarmouk University (Case study)

Abstract:

This study aimed to identify the effectiveness of Media Education on students of Islamic Da'wah and Media at Yarmouk University, study sample consisted of (209) students, of the specialty of Islamic Da'wah and Media, in which they were chosen from third and fourth years according to simple random sampling method, the researcher conducted a questionnaire consisted of (31) items, representing (3) dimensions: reasons for activating media education, content of Media Education, and methods of achieving media education. Validity and reliability indicators were extracted; means, standard deviations, and T-test were used to answer the questions of the study, findings of the study showed that the level of media education effectiveness for students of Islamic Da'wah and Media in Yarmouk University ranged between

وهذا هو ما تسعى الدراسة إلى تحقيقه في ضوء الوقوف على فاعلية التربية الإعلامية لدى طلبة الدعوة والإعلام الإسلامي، ومن المؤمل أن تقدم نتائج هذه الدراسة عوناً للمعنيين في جميع الجامعات والوزارات المعنية في إطار التخطيط لتنفيذ ممارسات التربية الإعلامية بشكل مناسب، وتحديدًا يمكن لهذه الدراسة أن تسهم بما يلي:

1. توفير معلومات عن مستوى فاعلية التربية الإعلامية لدى طلبة تخصص الدعوة والإعلام الإسلامي في الجامعات.
2. توفير وتطوير برامج توعوية وتدريبية وتأهيلية لإعداد وتأهيل العاملين مع طلبة الدعوة والإعلام الإسلامي وذلك ضمن احتياجاتهم الفعلية.

أهداف الدراسة:

هنالك العديد من أهداف الدراسة وهي:

1. التعرف على مستوى فاعلية التربية الإعلامية لدى طلبة الدعوة والإعلام الإسلامي في جامعة اليرموك.
2. التعرف على الفروقات في مستوى فاعلية التربية الإسلامية لدى طلبة الدعوة والإعلام الإسلامي في جامعة اليرموك تعزى لمتغير السنة الدراسية و متغير الجنس و متغير مكان السكن.

حدود الدراسة:

تحدد الدراسة بالمحددات التالية:

- ◆ الحدود الزمانية: طبقت هذه الدراسة على عينة من طلبة تخصص الدعوة والإعلام الإسلامي للفصل الدراسي الثاني للعام الجامعي 2014 / 2015.
- ◆ الحدود المكانية: طبقت هذه الدراسة على طلبة تخصص الدعوة والإعلام الإسلامي في كلية الشريعة في جامعة اليرموك.
- ◆ الحدود الموضوعية: اقتصرت الدراسة على معرفة فاعلية التربية الإعلامية لدى طلبة الدعوة والإعلام الإسلامي في جامعة اليرموك.

التعريفات الإجرائية:

- ◆ التربية الإعلامية: إعطاء الطالب قدراً من المعارف والمفاهيم التربوية الخاصة بالتعامل مع الإعلام وكيفية الاستفادة من المعارف المتوافرة.
- ◆ تخصص الدعوة والإعلام الإسلامي: من التخصصات التي تتبع قسم الدراسات الإسلامية في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية في جامعة اليرموك، وأنشئ بقرار مجلس العمداء في جلسته رقم 1/ 2000 بتاريخ 8/1/2001 ليضم ثلاثة تخصصات، هي: التربية الإسلامية، الدعوة والإعلام الإسلامي، الدراسات الأسرية، وجاء فتح هذه التخصصات الجديدة تلبية للحاجة الماسة إليها محلياً وعربياً وعالمياً، وتطبيقاً لهذا يمنح القسم درجة البكالوريوس في الدراسات الإسلامية في ثلاثة مسارات هي: التربية الإسلامية، والدراسات الأسرية، والدعوة والإعلام الإسلامي.

ورغم الإيجابيات الكثيرة لوسائل الإعلام إلا أن آثارها السلبية ومخاطرها شكلت أكبر التحديات أمام التربية في العالم كله، بما تميزت به من التشويق والجاذبية والإثارة والتنوع في الثقافة والمعرفة، بل أنها تفوقت على الأسرة والمؤسسات التعليمية، ولاسيما أن الفرد يقضي ساعات طويلة أمام هذه الوسائل.

وما دامت التربية الإعلامية تنعكس على معارف وسلوك الأفراد؛ لا بد من الوقوف على واقع التربية الإعلامية في مؤسساتنا التعليمية، والتوجيه نحو التربية الإعلامية الإيجابية عند الذكور والاناث، في المدن والقرى، كما أنه لا بد من بناء برامج إعلامية تسهم في توعية وتدريب وتأهيل طلبة الإعلام بشكل عام، والإعلام الإسلامي بشكل خاص.

مشكلة الدراسة:

تعد التربية الإعلامية من الأسس التي يمكن أن تبنى عليها خطط تطوير وتفعيل التربية بشكل عام لدى طلبة الجامعات والإعلامية منها بشكل خاص في الأردن. إن الإجابة عن أسئلة الدراسة تقدم بيانات ومعلومات حيوية للقائمين على تعليم طلبة الجامعات بشكل عام، وطلبة تخصص الدعوة والإعلام الإسلامي بشكل خاص، ومتخذي القرار، والمهتمين من القطاعين العام والخاص بالتركيز على التربية الإعلامية؛ لذا فإن مشكلة الدراسة الحالية تتلخص في محاولتها التعرف على فاعلية التربية الإعلامية لدى طلبة الدعوة والإعلام الإسلامي في جامعة اليرموك في الأردن، وتحديدًا يمكن لهذه الدراسة أن تسهم في توفير معلومات عن مستوى فاعلية التربية الإعلامية لدى طلبة تخصص الدعوة والإعلام الإسلامي في الجامعات، وتوفير وتطوير برامج توعوية وتدريبية وتأهيلية لإعداد وتأهيل العاملين مع طلبة الدعوة والإعلام الإسلامي، وذلك ضمن احتياجاتهم الفعلية.

أسئلة الدراسة:

جاءت هذه الدراسة للإجابة على الأسئلة التالية:

- ◀ ما مستوى فاعلية التربية الإعلامية لدى طلبة الدعوة والإعلام الإسلامي في جامعة اليرموك؟
- ◀ هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha = 0.05$) في مستوى فاعلية التربية الإسلامية لدى طلبة الدعوة والإعلام الإسلامي في جامعة اليرموك تعزى لمتغير السنة الدراسية؟
- ◀ هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha = 0.05$) في مستوى فاعلية التربية الإسلامية لدى طلبة الدعوة والإعلام الإسلامي في جامعة اليرموك تعزى لمتغير الجنس؟
- ◀ هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha = 0.05$) في مستوى فاعلية التربية الإسلامية لدى طلبة الدعوة والإعلام الإسلامي في جامعة اليرموك تعزى لمتغير مكان السكن؟

أهمية الدراسة

تكتسب هذه الدراسة أهميتها من كونها تشكل الأساس الذي يمكن أن تبنى عليه خطط تطوير وتفعيل التربية الإعلامية لدى طلبة الجامعات بشكل عام في الأردن، وذلك لأن أي خطة تطوير فعالة لا بد أن تستند إلى وصف دقيق للواقع القائم من جميع جوانبه،

الإطار النظري والدراسات السابقة

مفهوم التربية الإعلامية

يرجع ظهور مصطلح التربية الإعلامية في العالم إلى أواخر الستينات من خلال استخدام وسائل الإعلام وأدوات الاتصال كوسيلة تعليمية (الشميمري، 2010)، ففي هذه الفترة بدأ الترويج لأهمية تدريس الإعلام في المدارس والجامعات، من خلال تدريس مهارات الاتصال. (الدسوقي، 2010) ويتكون هذا المصطلح من كلمتين، هما: التربية والإعلام ويشير دلالة المصطلح المركب إلى الترجمة للكلمة الانجليزية (MediaEducation) أي التربية الإعلامية أو التعليم الإعلامي، وهو المصطلح الأكثر استخداماً في إنجلترا وكثير من الدول الأوروبية (الدسوقي، 2010) ظهرت تعريفات عدة للتربية الإعلامية ذات مضمون متشابه، ورؤية واحدة إجمالاً منها مهارة التعامل مع الإعلام (الشميمري، 2010). وعرفت على أنها إعداد الإعلاميين لأداء العملية التربوية (دولة، 2008: 23). وتعرف على أنها إعطاء الطالب قدراً من المعرف والمفاهيم التربوية الخاصة بالتعامل مع الإعلام وكيفية الاستفادة الإفادة من المعارف المتوفرة فيه (الغلايني، 2007). ويعد التعريف الذي ورد في توصيات مؤتمر فينيا عام 1999م، الذي عقد برعاية اليونسكو، شارك فيه 41 خبيراً من 33 دولة في العالم من أفضل التعريفات التي عرفت التربية الإعلامية بأنها: التربية التي تختص في التعامل مع كل وسائل الإعلام الاتصالي، وتشمل الكلمات، والرسوم المطبوعة، والصوت، والصورة الساكنة، والمتحركة التي يتم تقديمها عن طريق أي نوع من أنواع التقنيات (الدليمي، 2013). وتمكن التربية الإعلامية الأفراد في المجتمع من الوصول إلى فهم لوسائل الإعلام الاتصالية التي تستخدم في مجتمعهم، والطريقة التي تعمل بها هذه الوسائل، ليتمكن الأفراد من اكتساب المهارات في استخدام وسائل الإعلام للتفاهم مع الآخرين. وبذلك تضمن التربية الإعلامية تعلم أفراد المجتمع لمصادر النصوص الإعلامية والسياق الذي وردت فيه، وأهدافها السياسية، والاجتماعية، والثقافية والتجارية، وتحليل وتكوين الآراء الانتقادية حول المواد الإعلامية، وإنتاج الإعلام الخاص بهم مع الفهم والتفسير للرسائل والقيم التي تقدم من خلال الإعلام، وبالتالي الوصول إلى الإعلام، أو المطالبة بالوصول إليه، بهدف التلقي والإنتاج مع اختيار الوسائل الإعلامية المناسبة التي تمكن الشباب من إيصال رسائلهم الإعلامية وقصصهم إلى الجمهور (الشميمري، 2010).

وهنا لا بد من الإشارة إلى أن هنالك خلطاً لدى بعض الباحثين بين مفهوم التربية الإعلامية والإعلام التربوي، على الرغم من أن الاختلاف بينهما على الرغم من أن كل مفهوم يمثل وجهاً مختلفاً للعلاقة ما بين الإعلام والتربية.

فالإعلام التربوي: هو المحاولة الجادة للإفادة من تقنيات الاتصال وعلومه من أجل تحقيق أهداف التربية من غير تفريط في جدية التربية وأصالتها، أو إفراط في سيطرة فنون الاتصال وإثارتها عليها (الدليمي، 2011: 78)، أي تجسيد التربية في المجالات الإعلامية (يالجن، 2008: 200) عن طريق نقل المعلومات والمشاهد بالكلمة المكتوبة أو المسموعة أو المجسمة أو التخيلية من مكان وزمان إلى آخر لتحقيق الأهداف التربوية (الضبع، 2009:

16). ومن أوجه الاتفاق بين المفهومين، أن كليهما يمثل جانباً من جوانب العلاقة بين الإعلام والتربية وينطلقان من المؤسسات التربوية (المليص، 2007: 3). وهناك من يرى أن زمن الإعلام التربوي قد انتهى وجاء عصر التربية الإعلامية (الحيزان، 2007: 144) ويختلفان في أن الإعلام التربوي يستخدم الإعلام كوسيلة لتحقيق الأهداف التربوية من خلال الوظيفة الإعلامية في المحيط التربوي، بينما تستخدم التربية الإعلامية الإعلام موضوعاً للتعليم وميداناً للتربية من خلال إعداد الطلبة ليكونوا قادرين على التفاعل الواعي مع وسائل الإعلام ومضامينه (الخيري، 2009: 110).

نشأة التربية الإعلامية:

يلاحظ على هذا العصر التسارع في تطور مفهوم الإعلام وعمله، وكيفية التعامل والتفاعل مع الرسائل الإعلامية، ولذلك فإن الفهم السائد للتربية الإعلامية في الخمسينات والستينات أن عقل المشاهد كاللوح الأملس، فكانت الأجندة التعليمية هي التطعيم، وجعل المشاهد يميز ما بين الإعلام الجيد والإعلام الفاسد والتقدير الجمالي للإعلام الجيد (الدليمي، 2013: 32). وفي أواخر الستينات ظهر مفهوم الإعلام التربوي كوسيلة تعليمية مساندة للعمل التدريسي من خلال استخدام أدوات الاتصال لتحقيق منافع ملموسة (الجار الله، 2007: 7). وتطور مفهوم التربية الإعلامية في السبعينات والثمانينات من القرن العشرين إلى توجيه أسئلة (إيديولوجية) للإعلام بدلاً من الأسئلة الجمالية (الدليمي، 2013: 7). وتطور مفهوم التربية الإعلامية في السنوات الأخيرة، فسعى إلى إعداد الشباب لفهم الثقافة الإعلامية المحيطة بهم، والتعامل معها والمشاركة فيها بصورة فعالة ومؤثرة، فأصبحت التربية الإعلامية مشروع تمكين لا دفاع (الشميمري، 2010: 23). ولقد اختلفت وتباينت دول العالم في تعاملها مع التوجيهات الحديثة للتربية الإعلامية على النحو التالي:

◆ الدول المتقدمة التي وضعت أسساً للتربية الإعلامية وموجهاتها ومناهجها. وتم إعداد المعلمين وتدريبهم، وتوفير المصادر التربوية اللازمة لتعليم التربية الإعلامية، ومن هذه الدول: كندا وبريطانيا واسكتلندا وأستراليا.

◆ الدول التي يتوافر فيها مدرسون ومهتمون بالتربية الإعلامية بطريقة غير منتظمة فلا يوجد فيها إطار منهجي أو سياسي للتدريس كإيطاليا، والهند (ثومان، 2006: 5)

◆ الدول التي لا تزال التربية الإعلامية فيها في مرتبة التعليم غير المدرسي، إذ تقدم برامج للشباب، والجماعات النسائية، ودور العبادة كالولايات المتحدة الأمريكية، والدول العربية. ومن بين الدول العربية التي تقوم بتدريس التربية الإعلامية في المدارس هي لبنان بواقع خمس حصص للصف الأول المتوسط ضمن مادة التربية الوطنية والتنشئة الاجتماعية، وأربع حصص للصف الثالث الثانوي في مادة الإعلام والرأي العام (الشميمري، 2010).

ويعد إعلان جرنوالد للتربية الإعلامية عام 1982م الحجر الأساسي في بلورة مفهوم التربية الإعلامية الحديث، ثم جاء مؤتمر "الاتجاهات الحديثة في التربية الإعلامية" الذي عقد في جامعة تولوز بفرنسا عام 1990م استكمالاً لإعلان جرنوالد، حيث فرق بين التربية الإعلامية التي تستخدم الإعلام موضوعاً للتعليم والتربية،

المسلم لمواجهة التحدي الإعلامي، وبث روح التسامح والتعايش الإيجابي في المجتمع بمختلف أطيافه، والسعي إلى تحقيق التكامل بين المؤسسات الإعلامية والتربوية (الخيرى، 2007: 137).

2. فهم أفراد المجتمع لوسائل الإعلام الاتصالية المستخدمة في مجتمعهم، وطريقة عملها واكتساب المهارات في استخدامها في التفاهم مع الآخرين (الدليمي، 2013: 33).

3. مساعدة الأفراد على النقد والتقويم ليكونوا أفراداً مسؤولين وفاعلين في المجتمع (بيرسيغال، 2007: 32).

4. زيادة الوعي لدى أفراد المجتمع بأشكال الرسائل الإعلامية التي توجههم في أثناء حياتهم العملية، وتمكينهم من حل مشاكلهم بالتفكير النقدي والمهارات الإبداعية ليتمكنوا من إنتاج الإعلام (زاشيتي، 2007: 35).

أساليب تفعيل التربية الإعلامية:

ظهرت وجهات نظر عدة حول طرق تفعيل التربية الإعلامية واستراتيجياتها في المؤسسات التربوية كما يلي:

◆ أن يتعلم الطلبة مهارات التربية الإعلامية من خلال مادة خاصة بالتربية الإعلامية.

◆ دمج المادة المقررة للتربية الإعلامية بالمنهج كونها كفاية وليست مقرر.

◆ تدريس مهارة التفكير الناقد عن طريق توظيف النموذج الاستقرائي ودمج التربية الإعلامية مع تقديم مقرر كامل لها (الصالح، 2007: 6).

◆ دمج مهارات ومفاهيم التربية الإعلامية ضمن النشاطات التعليمية في المحتوى.

◆ التكامل ما بين المسجد والمؤسسات التربوية والمؤسسات الإعلامية والأسرة في تفعيل التربية الإعلامية (يحيى، 2007: 19).

الدراسات السابقة:

باستعراض الأدب النظري ذي الصلة بفاعلية التربية الإعلامية، نجد أن هنالك عدداً قليلاً جداً من الدراسات، ولذلك قام الباحث بمسح الأدب المرتبط بموضوع البحث، وخلص إلى مجموعة من الدراسات وهي كما يلي:

قام الخالدي، إبراهيم (2015) بدراسة بعنوان الدور التربوي لوسائل الإعلام الإسلامي من وجهة نظر طلبة جامعة آل البيت في الأردن، دراسة ميدانية هدفت للتعرف إلى الدور التربوي الذي تلعبه وسائل الإعلام الإسلامي في المجتمع الأردني، وبيان درجة انتشارها في الأردن، ومستوى قيام وسائل الإعلام الإسلامي بدورها التربوي من وجهة نظر أفراد العينة، وتكونت عينة الدراسة من 1000 طالب وطالبة من طلبة جامعة آل البيت تم اختيارهم بطريقة عشوائية طبقية، وكانت منهجية الدراسة مسحية وصفية، وبينت الدراسة أن قراءة الكتب والكتيبات الإسلامية لها تأثير تربوي من خلال وسائل الإعلام الإسلامي في مقابل الوسائل الأخرى، ووجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (0.05) لأثر النوع لصالح الإناث، وعدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (0.05) للتخصص.

واستخدام الإعلام لتحقيق أهداف التربية كالتقنيات التعليمية والإعلام التربوي. وفي عام 1999 عقد في فيينا مؤتمر "التربية من أجل عصر الإعلام والتقنية الرقمية" الذي جاء استكمالاً للجهود السابقة في بلورة مفهوم التربية الإعلامية. وفي عام 2002 عقد سيمنار في مدينة إشبيلية بعنوان (التربية الإعلامية للشباب) لتحديد المفهوم العملي الإجرائي للتربية الإعلامية، وما يتضمنه من التحليل الانتقادي والإنتاج الإبداعي للإعلام. وفي عام 2007 عقد في الرياض مؤتمر (التربية الإعلامية ووعي ومهارة اختيار) الذي سعى لبيان أهمية العناية بالوعي الإعلامي في التفكير النقدي التأملي، وتكوين المواطن المستنير، والمشاركة الفعالة في المجتمع. ومن أهم توصياته عمل فريق مشترك من الخبراء الأكاديميين والمهنيين لتحقيق التكامل بين مخرجات المؤسسات التعليمية ومضامين المؤسسات الإعلامية، وبناء خطط وبرامج متخصصة في التربية الإعلامية، واعتماد مقرر التربية الإعلامية في مراحل التعليم الجامعية، وإعداد برامج تدريبية في مهارات التربية الإعلامية للمعلمين والطلاب (الخيرى، 2009).

أهمية التربية الإعلامية وأهدافها:

أصبحت الحاجة إلى الوعي الإعلامي في الوقت الحاضر أمراً ضرورياً وهاماً وملحاً؛ لأن هذا العصر هو عصر المعلومات والاتصالات والإعلام، في حين كان تأثير الإعلام قديماً محدوداً، لأنه كان محلياً (الشميمري، 2010). ونجد في هذا العصر ظهور كثير من القيم والأيدولوجيات ولم يعد هنالك مجال للخصوصيات (الخيرى، 2009). كما أن المؤسسات التربوية قد تأثرت بوسائل الإعلام المختلفة وبشكل خاص في فكر ووجدان الشباب (المغامسي، 2004). وتعد وسائل الإعلام المرئية الركيزة الأساسية في نقل الثقافة والمعرفة والعلوم (العياضي، 2004: 7). وتكمن أهمية التربية الإعلامية في:

1. الوصول أفراد المجتمع إلى فهم مشترك للحدوث والتطورات في مختلف الجوانب لا سيما في ضوء التطورات السريعة في العصر الحديث.

2. إيجاد شباب واع ومثقف ومؤهل لمواجهة الأفكار المنحرفة والشائعات والالتزام بتعاليم الدين الحنيف.

3. إكساب الطلبة الثقة الاجتماعية وامتلاكهم مهارات النقد والتقويم والتحليل ومعالجة مشاكلهم النفسية والثقافية والاجتماعية (الخطيب، 2007: 1).

4. تعد التربية الإعلامية جزءاً من الحقوق الأساسية لكل فرد من أفراد المجتمع بسبب سلطة الإعلام المؤثر في المجتمعات المعاصرة.

5. تساعد التربية الإعلامية على نشر ثقافة الحوار في المجتمع، وتشجيع المتعلمين على الإيجابية والفاعلية في تنمية المجتمع وتقديمه وبناءه، مما يساهم في إنتاج المضامين الإعلامية، ونشرها وبثها بما يعبر عن وطنيتهم وثقافتهم وحضارتهم (الشميمري، 2012: 25).

ومن الأهداف التي تسعى التربية الإعلامية إلى تحقيقها:

1. تنمية القيم والمبادئ الإسلامية الصحيحة لدى الشباب

مستوى الدلالة (0,05) بين آراء الطالبات حول العبارات التي تقيس واقع مساهمة معلمات الصف الأول الثانوي في التربية الإعلامية من وجهة نظر الطالبات والمشرفات التربويات بمدينة مكة المكرمة لصالح غرب وجنوب مكة المكرمة.

وأعدت دولة (2008) دراسة بعنوان «التربية الإعلامية في المجتمع العربي المعاصر: مفهوماً، مجالاتها، تاريخها» وهي دراسة وصفية مسحية، هدفت بيان الصعوبات التي تواجه الإعلام العربي في ظل الظروف التي فرضتها العولمة، وبيان صيغ التعامل للبلد الفضائي، ومؤسسات التربية الإعلامية؛ وتوصلت الدراسة إلى انه لا بد من تغيير جذري في السياسة الإعلامية العربية، وان يكون هناك تنسيق مابين المؤسسات الإعلامية والتربوية لبيان مدى التأثير الإعلامي على المجتمع والفرد، وأن التربية الإعلامية ليست عملية تعليمية عن طريق وسائل الإعلام بل ترتبط التربية الإعلامية بالتعليم والتعلم من الإعلام عن طريق وسائله المختلفة.

تقوم (Lee Rother 2001) بدراسة بعنوان (-Media Educa tion and At-risk Adolescents in Canada) سعت هذه الدراسة إلى بيان تأثيرات التربية الإعلامية على سلوكيات طلبة التعليم المهني البديل ومدى فهمهم للإعلام بأشكاله المختلفة، وتراوحت أعمار الطلبة ما بين 16 - 19 سنة، واتبعت الدراسة المنهج الوصفي التبعي بدراسة حالة امتدت لست سنوات من عام 1991 - 1997، ومن أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة؛ تمكين الطلبة من قراءة النصوص الإعلامية وفهمها وتفسيرها، وبيان المعنى الخفي في نصوصها، وتمكين الطلبة من معرفة الإيديولوجيات الكامنة في النص الإعلامي واكتشافها وربطها بتجاربه الخاصة ليحكموا عليها.

من خلال العرض السابق للبحوث والدراسات السابقة التي تناولت فاعلية التربية الإعلامية يتضح الفرق بين الدراسة الحالية والدراسات السابقة، حيث ركز معظمها على دور وسائل الاعلام التربوية، كما ركزت ايضا على التعليم المدرسي بشكل أكبر من التعليم الجامعي، وكيفية تفعيل التربية الإعلامية بشكل مناسب، في حين أن الدراسة الحالية هدفت إلى بيان فاعلية التربية الإعلامية لدى طلبة الدعوة والإعلام الإسلامي في جامعة اليرموك من وجهة نظر الطلبة، وتناولت متغيرات جديدة لم تتناولها الدراسات السابقة، كما تتميز الدراسة الحالية عن غيرها بأنها الدراسة الوحيدة في الأردن - حسب علم الباحث - التي تناولت موضوع فاعلية التربية الإعلامية لدى طلبة الدعوة والإعلام الإسلامي في جامعة اليرموك.

الطريقة والإجراءات:

يقدم هذا الجزء وصفاً لأفراد الدراسة وأداة الدراسة، وإجراءات التطبيق الذي اتبعه الباحث والمعالجة الإحصائية للبيانات.

مجتمع الدراسة وعينتها:

تكون مجتمع الدراسة من جميع طلبة تخصص الدعوة والاعلام الاسلامي في جامعة اليرموك، وذلك في مستوى السنة الثالثة والرابعة والبالغ عددهم (420) طالباً. أما عينة الدراسة فتم اختيار (209) طلاب من تخصص الدعوة والاعلام الاسلامي أي بنسبة (50 %) من مجتمع الدراسة تقريبا، واختيروا من السنتين

قامت الشديفات والخصاونة (2012) بدراسة بعنوان «واقع التربية الإعلامية والعوامل المؤثرة بها في المدارس الخاصة في المملكة الأردنية الهاشمية من وجهة نظر طلابها» هدفت هذه الدراسة لمعرفة واقع التربية الإعلامية والعوامل المؤثرة فيها من وجهة نظر طلبة المدارس الخاصة في المملكة الأردنية الهاشمية، وكانت منهجية الدراسة مسحية، تم مسحها من خلال عينة تكونت من 100 طالب من طلبة المدارس الخاصة في عمان. وبينت هذه الدراسة أن مستوى التربية الإعلامية مرتفع في المدارس الخاصة، وان أركان العملية التعليمية هي أكثر العوامل المؤثرة في التربية الإعلامية.

قام الخيري (2009) بإجراء دراسة بعنوان (تفعيل التربية الإعلامية في المرحلة الجامعية من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس في الجامعات السعودية). سعت لبيان مفهوم التربية الإعلامية، وأهميتها ومدى تفعيلها من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس في الجامعات السعودية، والعلاقة التي تربط الإعلام بالتربية، وكانت منهجية الدراسة وصفية مسحية، وتكونت عينة الدراسة من أعضاء هيئة التدريس في كليات وأقسام التربية في الجامعات السعودية والبالغ عددهم 1154، ومن 112 عضو هيئة تدريس في كليات وأقسام الإعلام. وتوصلت الدراسة إلى أن العلاقة ما بين الإعلام والتربية هي علاقة تكاملية، وبناء عليه لا بد من إعداد الأجيال لمواجهة هذا التحدي من خلال تفعيل التربية الإعلامية عن طريق تكوين القدرة لدى الطلبة في قراءة الرسالة الإعلامية، وتحليلها ونقدتها وتقويمها والمشاركة في إنتاجها بما يتناسب مع القيم الإسلامية، ولا سيما أن فلسفتها تقوم على النقد للمضامين الإعلامية ببيان موضوعية الإعلام، وليس استخدامه وسيلة، وبينت الدراسة أهمية تفعيل التربية الإعلامية في المرحلة الجامعية كموضوعات ضمن الأنشطة العامة التي تطرحها الجامعة وليس مقرراً مستقلاً، وان هنالك فروق ذات دلالة إحصائية في درجة أهمية تفعيل التربية الإعلامية لصالح تخصص التربية، وعدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية لمتغير الدرجة العلمية والخبرة.

قامت العمودي (2009) بإجراء دراسة بعنوان «واقع مساهمة معلمات الصف الأول الثانوي في التربية الإعلامية من وجهة نظر الطالبات والمشرفات التربويات بمدينة مكة المكرمة» وهي دراسة ميدانية تصف واقع مساهمة المعلمات في التربية الإعلامية، وبينت من خلالها وجهة نظر الطالبات والمشرفات في مكة المكرمة في مساهمة معلمات الصف الأول الثانوي بالتربية الإعلامية، وتوصلت الدراسة إلى أن درجة استجابة عينة الطالبات حول العبارات التي تقيس واقع مساهمة معلمات الصف الأول الثانوي للتربية الإعلامية كانت بدرجة أبدأ، وبالنسبة للمشرفات أحياناً، وتوجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (0,05) بين آراء المشرفات والطالبات حول العبارات التي تقيس واقع مساهمة معلمات الصف الأول الثانوي في التربية الإعلامية من وجهة نظر الطالبات والمشرفات التربويات في مدينة مكة المكرمة لصالح الطالبات. وتوجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (0,05) بين آراء المشرفات حول العبارات التي تقيس واقع مساهمة معلمات الصف الأول الثانوي في التربية الإعلامية من وجهة نظر الطالبات والمشرفات التربويات في مدينة مكة المكرمة لصالح الطالبات لصالح التخصص الأدبي، ووجود فروق ذات دلالة إحصائية عند

درجاته الخمس (وافق بشدة، أوافق، متردد، لا أوافق، لا أوافق بشدة) وهي تمثل رقمياً (5، 4، 3، 2، 1) على الترتيب، وقد تم اعتماد المتوسطات التالية لأغراض تحليل النتائج: من (1 - 2.33) ليمثل مستوى منخفضة، و من (2.34 - 3.67) ليمثل مستوى متوسط، و من (3.68 - 5) ليمثل مستوى مرتفع.

صدق وثبات الأداة:

تم التأكد من صدق الأداة بعرضها على مجموعة من المحكمين ذوي الخبرة في المجال، وأفاد المحكمون بأن الاستبانة صادقة، كما تم التوصل لدلالات ثبات الأداة من خلال استخراج قيم الثبات للمقياس بطريقة الاتساق الداخلي بواسطة معادلة كرونباخ ألفا حيث بلغت معدلات الثبات (0,93). والجدول يبين ذلك (2).

جدول (2)

معامل الاتساق الداخلي كرونباخ ألفا وثبات الإعادة للمجالات والدرجة الكلية

المجال	ثبات الإعادة	الاتساق الداخلي
مبررات تفعيل التربية العملية	0.89	0.90
محتوى التربية العملية	0.91	0.85
طرق تحقيق التربية الإعلامية	0.87	0.92
الإداة ككل	0.90	0.93

إجراءات الدراسة:

بعد الانتهاء من بناء استبانة الدراسة بصورتها النهائية، قام الباحث بالإجراءات التالية:

1. بناء الاستبانة بصورتها الأولية بعد الرجوع الى الادب النظري.
2. تحكيم الاستبانة واستخراج دلالات الصدق والثبات لها.
3. تحديد مجتمع وعينة الدراسة من الطلبة في تخصص الدعوة والاعلام الإسلامي، من خلال الرجوع إلى دائرة القبول والتسجيل والحصول على أعداد الطلبة في التخصص ومكان قاعات الدرس للطلبة.
4. قام الباحث بالتواصل مع أفراد عينة الدراسة و تحديد المكان والزمان.
5. توزيع المقياس على أفراد الدراسة لتعبئته.
6. جمع وتفريغ البيانات وعددها (225)، استبعدت (16) لعدم اكتمال إجاباتها ليصبح العدد الكلي (209).
7. إدخال البيانات على الحاسوب لإجراء المعالجات الإحصائية، واستخراج النتائج.

التحليل الإحصائي:

الدراسة الحالية هي دراسة مسحية، اي مسح جمهور وسائل الاعلام حيث يعتمد على المنهج المسحي لمستوى التربية الإعلامية لطلبة تخصص الدعوة والاعلام الاسلامي في جامعة اليرموك. وللإجابة على سؤال الدراسة الأول تم حساب المتوسطات والانحرافات المعيارية لكل فقرة من فقرات الاستبانة.

الثالثة والرابعة وفقاً للطريقة العشوائية الطبقيّة. والجدول رقم (1) يبين ذلك.

جدول (1)

توزيع أفراد عينة الدراسة حسب متغيرات الدراسة

السنة	الجنس	مكان السنة
الثالثة	ذكر	مدينة
الرابعة	أنثى	قرية
المجموع (209)		

أدوات الدراسة:

للإجابة على أسئلة الدراسة قام الباحث بتطوير استبانة، بهدف التعرف على فاعلية التربية الإعلامية لدى طلبة الدعوة والاعلام الإسلامي في جامعة اليرموك، حيث قام الباحث بوضع واستخدام الأدوات والوسائل الملائمة لطبيعة الدراسة في جمع المعلومات اللازمة والتي شملت على:

◆ استبانة فاعلية التربية الإعلامية لدى طلبة الدعوة والاعلام الإسلامي في جامعة اليرموك. حيث تكونت الاستبانة بصورتها النهائية من (31) فقرة تمثل (3) أبعاد هي:

- مبررات تفعيل التربية الإعلامية
- محتوى التربية الإعلامية
- طرق تحقيق التربية الإعلامية.

وقد تم تطوير أداة الدراسة وفق الخطوات التالية :

◆ الاطلاع على الأدب السابق المرتبط بموضوع الدراسة الحالية من أجل اشتقاق الفقرات المعبرة عن فاعلية التربية الإعلامية الواجب توفيرها وذلك من خلال :

◆ مراجعة الأدب التربوي والدراسات السابقة المتعلقة بفاعلية التربية الإعلامية.

◆ استطلاع آراء مجموعة من طلبة الدعوة والاعلام حول أهمية التربية الإعلامية بالنسبة لهم.

◆ تحليل ما جمع من آراء ومعلومات ذات صلة بموضوع الدراسة.

بناء على الأدب السابق المرتبط بموضوع الدراسة و على آراء الطلبة في تخصص الدعوة والاعلام الإسلامي، تمكن الباحث من تطوير أداة الدراسة وهي عبارة عن استبانة مكونة من (31) فقرة موزعة على (3) أبعاد، تناولت فاعلية التربية الإعلامية لدى طلبة الدعوة والاعلام الإسلامي في جامعة اليرموك. وتم عرضها على ستة محكمين من أصحاب الخبرة في المجال لإبداء رأيهم في مدى ملائمة هذه الفقرات، وقد أوصى المحكمون بحذف جزء من هذه الفقرات، وقد حذفت الفقرات التي اتفق على حذفها 80% من المحكمين، لأنها لا تنتمي ولا تقيس فاعلية التربية الإعلامية، وقد مثلت من خلال فقرات أخرى، وبذلك تم التوصل إلى الصورة النهائية من هذا الجزء من الاستبانة التي تضمنت بصورتها النهائية (31) فقرة تمثل التربية الإعلامية، واعتمد سلم ليكرت الخماسي لتصحيح أدوات الدراسة، بإعطاء كل فقرة من فقراته درجة واحدة من بين

الرتبة	الرقم	المجال	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الدرجة
		الأداة ككل	3.69	0.621	مرتفعة

يبين الجدول (3) أن المتوسطات الحسابية قد تراوحت ما بين (3.61 - 3.79)، وجاء مجال طرق تحقيق التربية الإعلامية في المرتبة الأولى بأعلى متوسط حسابي بلغ (3.79)، بينما جاء مجال مبررات تفعيل التربية العملية في المرتبة الأخيرة وبمتوسط حسابي بلغ (3.61)، وبلغ المتوسط الحسابي للأداة ككل (3.69).

السؤال الثاني: هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha = 0.05$) في مستوى فاعلية التربية الإعلامية لدى طلبة الدعوة والإعلام الإسلامي في جامعة اليرموك تعزى لمتغير السنة الدراسية؟

للإجابة عن هذا السؤال استخرجت المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لمستوى فاعلية التربية الإسلامية لدى طلبة الدعوة والإعلام الإسلامي في جامعة اليرموك حسب متغير السنة الدراسية، ولبيان الفروق الإحصائية بين المتوسطات الحسابية تم استخدام اختبار «ت»، والجدول أدناه توضح ذلك.

جدول (4)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية واختبار «ت» لأثر السنة الدراسية على مستوى فاعلية التربية الإسلامية لدى طلبة الدعوة والإعلام الإسلامي في جامعة اليرموك

الرتبة	الرقم	المجال	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة "ت"	درجات الحرية	الدلالة الإحصائية
مبررات تفعيل التربية العملية	3	طرق تحقيق التربية الإعلامية	3.79	0.926	2.020	207	0.045
	2	محتوى التربية العملية	3.69	0.686			
محتوى التربية العملية	2	محتوى التربية العملية	3.69	0.686	0.787	207	0.432
	1	مبررات تفعيل التربية العملية	3.61	0.679			
طرق تحقيق التربية الإعلامية	3	طرق تحقيق التربية الإعلامية	3.61	0.679	1.259	207	0.209
	2	محتوى التربية العملية	3.69	0.686			
الأداة ككل	3	طرق تحقيق التربية الإعلامية	3.71	0.668	1.754	207	0.081
	2	محتوى التربية العملية	3.52	0.680			
الأداة ككل	3	طرق تحقيق التربية الإعلامية	3.76	0.632	0.603	207	0.081
	2	محتوى التربية العملية	3.61	0.603			

لمتغير الجنس؟

للإجابة عن هذا السؤال استخرجت المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لمستوى فاعلية التربية الإسلامية لدى طلبة الدعوة والإعلام الإسلامي في جامعة اليرموك حسب متغير الجنس، ولبيان الفروق الإحصائية بين المتوسطات الحسابية تم استخدام اختبار «ت»، والجدول أدناه يوضح ذلك.

وللإجابة على سؤال الدراسة الثاني والثالث، فقد تم استخدام اختبار (t-test).

نتائج الدراسة:

السؤال الأول: ما مستوى فاعلية التربية الإعلامية لدى طلبة الدعوة والإعلام الإسلامي في جامعة اليرموك؟

للإجابة عن هذا السؤال تم استخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لمستوى فاعلية التربية الإسلامية لدى طلبة الدعوة والإعلام الإسلامي في جامعة اليرموك والجدول أدناه يوضح ذلك.

جدول (3)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لمستوى فاعلية التربية الإسلامية لدى طلبة الدعوة والإعلام الإسلامي في جامعة اليرموك مرتبة تنازلياً حسب المتوسطات الحسابية

الرتبة	الرقم	المجال	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الدرجة
1	3	طرق تحقيق التربية الإعلامية	3.79	0.926	مرتفعة
2	2	محتوى التربية العملية	3.69	0.686	مرتفعة
3	1	مبررات تفعيل التربية العملية	3.61	0.679	متوسطة

يتبين من الجدول (4) عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية تعزى لأثر السنة الدراسية في جميع المجالات وفي الأداة ككل باستثناء مجال مبررات تفعيل التربية العملية، وجاءت الفروق لصالح السنة الثالثة.

السؤال الثالث: هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha = 0.05$) في مستوى فاعلية التربية الإعلامية لدى طلبة الدعوة والإعلام الإسلامي في جامعة اليرموك تعزى

جدول (5)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية واختبار "ت" لأثر الجنس على مستوى فاعلية التربية الإسلامية لدى طلبة الدعوة والإعلام الإسلامي في جامعة اليرموك

الجنس	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة "ت"	درجات الحرية	الدلالة الإحصائية
ذكر	69	3.60	0.684	-0.200	207	0.842
انثى	140	3.62	0.679			
مهررات تفعيل التربية العملية						
ذكر	69	3.72	0.643	0.499	207	0.618
انثى	140	3.67	0.708			
محتوى التربية العملية						
ذكر	69	3.90	0.797	1.138	207	0.256
انثى	140	3.74	0.982			
طرق تحقيق التربية الإعلامية						
ذكر	69	3.72	0.598	0.560	207	0.576
انثى	140	3.67	0.633			
الإداة ككل						

للإجابة عن هذا السؤال استخرجت المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لمستوى فاعلية التربية الإسلامية لدى طلبة الدعوة والإعلام الإسلامي في جامعة اليرموك حسب متغير مكان السكن، ولبيان الفروق الإحصائية بين المتوسطات الحسابية تم استخدام اختبار «ت»، والجداول أدناه يوضح ذلك.

يتبين من الجدول (5) عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية ($a = 0.05$) تعزى لأثر الجنس في المجالات جميعاً، وفي الأداة ككل.

السؤال الرابع: هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($a = 0.05$) في مستوى فاعلية التربية الإعلامية لدى طلبة الدعوة والإعلام الإسلامي في جامعة اليرموك تعزى لمنغير مكان السكن؟

جدول (6)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية واختبار "ت" لأثر مكان السكن على مستوى فاعلية التربية الإسلامية لدى طلبة الدعوة والإعلام الإسلامي في جامعة اليرموك

مكان السكن	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة "ت"	درجات الحرية	الدلالة الإحصائية
مدينة	115	3.69	0.708	1.874	207	0.062
قرية	94	3.52	0.633			
مهررات تفعيل التربية العملية						
مدينة	115	3.77	0.728	1.941	207	0.054
قرية	94	3.59	0.620			
محتوى التربية العملية						
مدينة	115	3.78	0.951	-0.232	207	0.816
قرية	94	3.81	0.898			
طرق تحقيق التربية الإعلامية						
مدينة	115	3.74	0.667	1.350	207	0.179
قرية	94	3.62	0.556			
الإداة ككل						

السؤال الأول: ما مستوى فاعلية التربية الإعلامية لدى طلبة الدعوة والإعلام الإسلامي في جامعة اليرموك:

أشارت النتائج فيما يتعلق بمستوى فاعلية التربية الإعلامية لدى طلبة الدعوة والإعلام الإسلامي في جامعة اليرموك إلى أن المتوسطات الحسابية قد تراوحت ما بين (3.61 - 3.79)، وجاء مجال طرق تحقيق التربية الإعلامية في المرتبة الأولى بأعلى متوسط حسابي بلغ (3.79)، بينما جاء مجال مبررات تفعيل التربية العملية في المرتبة الأخيرة وبمتوسط حسابي بلغ (3.61)، وبلغ المتوسط الحسابي للأداة ككل (3.69) بمستوى فاعلية مرتفع.

يتبين من الجدول (6) عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية ($a = 0.05$) تعزى لأثر مكان السكن في المجالات جميعاً، وفي الأداة ككل.

مناقشة النتائج والتوصيات:

يتناول هذا الجزء مناقشة النتائج التي تم الحصول عليها من خلال ربط النتائج الكمية للبيانات عن فاعلية التربية الإعلامية لدى طلبة الدعوة والإعلام الإسلامي في جامعة اليرموك بأداة الدراسة.

نتائج الدراسة الحالية.

السؤال الرابع: هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha = 0.05$) في مستوى فاعلية التربية الإعلامية لدى طلبة الدعوة والإعلام الإسلامي في جامعة اليرموك تعزى لمتغير مكان السكن؟

أشارت النتائج فيما يتعلق بمتغير مكان السكن الى عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية ($\alpha = 0.05$) تعزى لأثر مكان السكن في المجالات جميعا، وفي الأداة ككل. ويعزو الباحث ذلك إلى أن الطلبة في تخصص الدعوة والإعلام الإسلامي سواء كانوا يسكنون في المدينة أو في القرية يتوافر لديهم الظروف المعيشية ذاتها من تكنولوجيا، ومواصلات وغيرها، والوقت الحالي في القرية يستطيع أن يستخدم الطالب ما يستخدمه، أو يحتاجه الطالب في المدينة رغم وجود عدد من الفوارق التي تختص بها القرية نحو وجود علاقات اجتماعية بين الافراد بشكل اكبر، وغيرها من الفوارق إلا أنها لم تؤثر على نتائج توقعات الطلبة حول فاعلية التربية الإعلامية، وهذا يتفق مع نتائج دراسة الشديفات والخصاونة (2012)، والخيري (2009).

التوصيات :

1. إجراء المزيد من الدراسات التي تتناول التربية الإعلامية باستخدامات متغيرات أخرى جديدة.
2. قيام الجامعات الاردنية بإعداد برامج وأنشطة في التربية الإعلامية مناسبة للطلبة الجامعيين بشكل عام وطلبة تخصص الدعوة والإعلام الإسلامي بشكل خاص.
3. تضمين خطط وبرامج الطلبة في كلية الشريعة وكلية الاعلام في الجامعات الاردنية بمساق للتربية الإعلامية.

المصادر والمراجع:

أولاً- المراجع العربية:

1. بيرسيفال، جوزية، تعرض المعلمين لوسائل الإعلام، مجلة التربية الإعلامية، عدد صفر، 2007.
2. الجار الله، عبد العزيز جار الله، المقدمة، مجلة المعرفة، العدد 140، 2007.
3. الحيزان، محمد، وجهة نظر، مجلة المعرفة، العدد 145، 2007.
4. الخالدي، إبراهيم، الدور التربوي لوسائل الاعلام الإسلامي من وجهة نظر طلبة جامعة ال البيت في الاردن دراسة ميدانية، مقبول للنشر، جامعة القدس المفتوحة، القدس، 2015.
5. الخطيب، محمد شحات، دور المدرسة في التربية الإعلامية، ورقة عمل مقدمة إلى المؤتمر الدولي الأول للتربية الإعلامية، الرياض، 2007.
6. الخيري، طلال بن عقيل عطاس، تفعيل التربية الإعلامية في المرحلة الجامعية من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس في الجامعات السعودية، 2009، مكة المكرمة.
7. الدسوقي، سماح محمد (2010) التربية الإعلامية بالتعليم الأساسي في عصر العولمة، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية.
8. الدليمي، محمد (2013) الإعلام الإسلامي، دار المسيرة، عمان.

ويعزو الباحث حصول طرق تحقيق التربية الإعلامية لأعلى متوسط إلى ضرورة وأهمية وجود صياغة واضحة لأهداف التربية الإعلامية تتفق مع أهداف مرحلة التعليم الجامعي، وضرورة تشجيع الطلبة على إجراء الدراسات في مجال التربية الإعلامية، والافادة من أصحاب الخبرة والاختصاص الاعلامي لوضع برامج اعلامية في الجامعة، وفتح قنوات إعلامية داخل الجامعة يعبر من خلالها الطلبة عن رأيهم، وضرورة توفير المستلزمات المادية اللازمة للتربية الإعلامية في الجامعة لتنفيذ ندوات ولقاءات داخل وخارج الجامعة لتأهيل الطلبة على قراءة ونقد الرسائل الاعلامية، وتتفق نتائج هذه الدراسة مع نتائج دراسة الشديفات والخصاونة (2012) التي اشارت الى أن مستوى التربية الإعلامية مرتفع في المؤسسات التعليمية، ودراسة الخيري (2009) التي اشارت الى أهمية تفعيل التربية الإعلامية في المرحلة الجامعية كموضوعات ضمن الأنشطة العامة التي تطرحها الجامعة، وتختلف نتائجها مع نتائج دراسة دولة (2008) التي اشارت الى ان التربية الإعلامية ليست عملية تعليمية عن طريق وسائل الإعلام، بل ترتبط التربية الإعلامية بالتعليم والتعلم من الإعلام عن طريق وسائله المختلفة.

السؤال الثاني: هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha = 0.05$) في مستوى فاعلية التربية الإعلامية لدى طلبة الدعوة والإعلام الإسلامي في جامعة اليرموك تعزى لمتغير السنة الدراسية؟

أشارت النتائج فيما يتعلق بفاعلية التربية الإعلامية لدى طلبة الدعوة والإعلام الإسلامي في جامعة اليرموك الى عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية ($\alpha = 0.05$) تعزى لأثر السنة الدراسية في المجالات جميعا، وفي الأداة ككل باستثناء مجال مبررات تفعيل التربية الإعلامية، وجاءت الفروق لصالح السنة الثالثة. ويعزو الباحث ذلك الى التقارب ما بين طلبة السنة الثالثة والرابعة في التفكير واختلاطهم مع بعضهم بعضا من خلال دراسة المواد نفسها، الا ان طلبة السنة الثالثة يرون ضرورة العمل على تفعيل التربية الإعلامية من خلال تنمية الثقافة الإعلامية لدى الطلبة، وتنمية القيم الإسلامية لدى الطلبة لمواجهة التحديات الإعلامية، وتنمية المعرفة والمهارة اللازمة لدى الطلبة للتعاطي مع وسائل الاعلام، وتقبل الاخرين والتعايش معهم بشكل صحيح، وهذا يتفق مع نتائج دراسة الخيري (2009) و الخالدي (2015)، ولا يوجد دراسات تختلف نتائجها مع نتائج الدراسة الحالية.

السؤال الثالث: هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha = 0.05$) في مستوى فاعلية التربية الإعلامية لدى طلبة الدعوة والإعلام الإسلامي في جامعة اليرموك تعزى لمتغير الجنس؟

أشارت النتائج فيما يتعلق بمتغير الجنس الى عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية ($\alpha = 0.05$) تعزى لأثر الجنس في جميع المجالات وفي الأداة ككل. ويعزو الباحث ذلك الى ان الطلبة في تخصص الدعوة والاعلام الإسلامي أغلبهم من بيئة واحدة عاشوا الظروف الدراسية ذاتها، وتعلموا عند المدرسين أنفسهم، كما أن وضوح الحاجة الى وجود تربية إعلامية، ومدى انعكاس فوائد التربية الإعلامية بات أمرا واضحا بالنسبة لطلبة تخصص الدعوة والاعلام الإسلامي، ولا يوجد دراسات تتفق أو تختلف نتائجها مع

ثانياً المراجع الأجنبية:

9. الدليمي، محمد (2011) وسائل الإعلام والطفل، دار المسيرة، عمان.
10. دولة، عبد الجبار (2009) أبعاد غائبة التربية الإعلامية في المجتمع الغربي المعاصر، مفهومها، نتائجها، مجالاتها، مركز الناقد الثقافي، بريطانيا.
11. زاشيتي، مايتو، الاستراتيجيات الدولية للتربية الإعلامية، مجلة التربية الإعلامية، عدد صفر، 2007.
12. الزحيلي، وهبة (1990) القيم الانسانية في القرآن الكريم، دار المكتبي، دمشق.
13. السرور، ناديا هائل (2000) مدخل الى تربية المتميزين والموهوبين، دار الفكر، عمان.
14. سفر، محمود (1980) الاعلام موقف، الكتاب العربي السعودي، جدة.
15. سيرسون، سو (2004) ادوات للمواطنة والحياة، ترجمة مدارس الظهران الاهلية، دار الكتاب العربي، الدمام.
16. الشديفات، اشجان والخصاونة. واقع التربية الإعلامية والعوامل المؤثرة بها في المدارس الخاصة في المملكة الأردنية الهاشمية من وجهة نظر طلابها، المجلة الدولية التربوية المتخصصة، المجلد الاول، العدد السادس، 2012.
17. الشميمري، فهد (2010). التربية الإعلامية، دار الثقافة: الرياض.
18. الصالح، بدر (2007) مدخل دمج تقنية المعلومات في التعليم للتربية الاعلامية، ورقة عمل مقدمة لمؤتمر التربية الاعلامية، الرياض.
19. الصمدي، خالد (2007) ادماج القيم الإعلامية في المناهج الدراسية، بحث مقدم للمؤتمر السنوي السادس للمعلمات: التربية الإعلامية ضرورة عصر الانفتاح الإعلامي، الكويت.
20. الضبع، رفعت (2009) الاعلام التربوي تأصيله وتحصيله، دار الفكر: عمان.
21. العبد الكريم، راشد (2008) المناهج الدراسية وتنمية ملكات النقد لوسائل الاعلام، ورقة عمل مقدمة لمؤتمر التربية الإعلامية، الرياض.
22. العمودي، هناء (2009) واقع مساهمة معلمات الصف الأول الثانوي في التربية الإعلامية من وجهة نظر الطالبات والمشرفات التربويات بمدينة مكة المكرمة، جامعة ام القرى، مكة المكرمة.
23. العياضي، نصر الدين (2004) وسائل الاعلام والمجتمع (ظلال واضواء) دار الكتاب الجامعي، العين.
24. الغلابيني، أروى كيف يتم التفاعل مع وسائل الاعلام، مجلة المعرفة، العدد 145، 2007.
25. اللقاني، احمد والجمال علي (1999) معجم المصطلحات التربوية المعرفة في المناهج وطرق التدريس، القاهرة: عالم الكتب.
26. المغامسي، عبد الله (2004) الفكر التربوي وعوامل التأثير في المؤسسات التعليمية، عالم الكتاب: الدمام.
27. يالجن، مقدار (2008) منهج أصول التربية الإسلامية المطور، دار عام الكتاب، الرياض.
28. يحيى، حسن (2007) رؤى حول التربية والاعلام وادوار المناهج لتنمية التفكير في مضامين الاعلام لتحقيق التربية الاعلامية، ورقة عمل مقدمة لمؤتمر التربية الاعلامية، الرياض.

**أثر توظيف الرسوم المتحركة والرحلة
في تدريس نظام معالجة المياه العادمة لوحدة الأنظمة
من كتاب التكنولوجيا للصف العاشر الأساسي ***

د. أدهم حسن البعلوجي **

* تاريخ التسليم: 2015/7/6م، تاريخ القبول: 2016/3/2م.
** أستاذ مساعد/ الجامعة الإسلامية/ غزة.

as controller group which taught by the traditional approach, (39 students) as a computerized group, and the second experimental group consisted of (46 students) and taught by the educational journey method to European hospital station for water desalination. The researcher developed a pre-test and post-test to measure the level of achievement for students. The results are as follows:

- There are statistically significant differences at the level of ($\alpha \leq 0.05$) between the average achievements of students in the control group studied (by traditional method) and the experimental group (which studied by animation drawing program in favor of the experimental group).

- There are also statistically significant differences at the level of ($\alpha \leq 0.05$) between the average achievement of students in the control group studied by (the traditional method) and the experimental group (which studied by educational journey), in favor of the experimental group.

- However, there was no statistically significant differences at the level of ($\alpha \leq 0.05$) between the average achievement of students in the experimental group (which studied by the animation program) and the experimental group (which studied by the educational journey).

- The study recommended using both methods the method of animation as well as educational journey in teaching technology because of its impact and effectiveness in teaching as well as its motivation to students towards learning.

Keywords: Animations, Educational journey, Wastewater treatment system, Technology book.

خلفية الدراسة:

في ظل العالم المتغير من حولنا أصبح لزاماً على المعلم أن يغير طريقة تقديم المادة الدراسية للطلبة ليواكب التطور الحادث في عصر المعلوماتية، لاسيما أن التعليم هو العملية التي من خلالها نستطيع أن نغير في سلوك الطلبة نحو الأفضل، ولكن هذا يتطلب منا - نحن التربويين - أن نقدم المعلومة للطلبة بالطريقة الممتعة والشائقة التي تتناسب مع خصائصهم وحاجاتهم، وهذا بدوره يشكل تحدياً كبيراً للمؤسسة التربوية والمعلم.

«وفي ظل هذا التغيير والتطوير المتزايد كان لا بد لأي حركة تربوية تسعى للتغيير أن تكون منظمة تنطلق من تشخيص موضوعي دقيق للواقع، وذلك للوقوف على جوانب القوة والضعف بهدف تعزيز وتدعيم جوانب الضعف للمعالجة أو إيجاد بدائل تمكننا من الخروج بأشكال وتحسينات جديدة تواكب الطموحات وتحقق الآمال.» (عسقول، 2003: 77).

وكذلك يجب على المعلم أن يراعي اختلاف مكونات كل مادة دراسية عن الأخرى من حيث مكوناتها وتسلسلها، والذي يتطلب منه

ملخص:

هدفت الدراسة إلى التعرف على أثر توظيف الرسوم المتحركة والرحلة في تدريس نظام معالجة المياه العادمة لوحدة الأنظمة من كتاب التكنولوجيا على تحصيل طالبات الصف العاشر الأساسي، وقد استخدم الباحث المنهج البنائي والتجريبي وذلك لقياس الفروق في مستوى التحصيل لدى عينة الدراسة التي تكونت من (130 طالبة) موزعة على النحو التالي: (45 طالبة) عينة ضابطة درست بالطريقة الاعتيادية، (39 طالبة) مجموعة تجريبية درست باستخدام البرنامج المحوسب المعد باستخدام الرسوم المتحركة ثلاثية الأبعاد، أما المجموعة التجريبية الثانية التي درست باستخدام طريقة الرحلة التعليمية إلى محطة المستشفى الأوروبي لتحلية المياه كان عددها (46 طالبة)، وقد استخدم الباحث لقياس مستوى التحصيل لدى الطالبات اختباراً قبلياً وبعدياً، وقد جاءت النتائج على النحو التالي:

- وجدت فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى $\alpha \leq 0.05$ بين متوسط تحصيل الطلبة في المجموعة الضابطة التي درست (بالطريقة الاعتيادية) والمجموعة التجريبية (التي درست بواسطة برنامج الرسوم المتحركة) لصالح المجموعة التجريبية.

- هنالك فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى $\alpha \leq 0.05$ بين متوسط تحصيل الطلبة في المجموعة الضابطة التي درست (بالطريقة الاعتيادية) والمجموعة التجريبية (التي درست بواسطة الرحلة التعليمية) لصالح المجموعة التجريبية.

- لكنها لم توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى $\alpha \leq 0.05$ بين متوسط تحصيل الطلبة في المجموعة الضابطة التي درست (بالطريقة الاعتيادية) والمجموعة التجريبية (التي درست بواسطة الرحلة التعليمية) لصالح المجموعة التجريبية.

وقد أوصت الدراسة باستخدام طريقتي الرسوم المتحركة وكذلك الرحلات التعليمية في تدريس التكنولوجيا لما لها من أثر وفعالية في التدريس وكذلك دافعتها لدى الطلبة نحو التعلم.

الكلمات المفتاحية: الرسوم المتحركة، الرحلة في التدريس، نظام معالجة المياه العادمة، كتاب التكنولوجيا.

The Impact of Employing Animation and field trips in the Teaching of Wastewater Treatment System in Systems Unit on the Achievement Level of Tenth Grade Students

Abstract:

This study aimed at identifying the impact of employing animation and field trips in the teaching of technology on the level achievement of tenth grade students. The researcher used constructional and the experimental methods to measure the differences in achievement of the study sample, which consisted of (130 students), distributed as follows: (45 students)

العديد من الدراسات مثل دراسة (أبو خرمة، 2013)، التي تنمي قدرات عقلية عليا لدى الطالب مما تؤهله لفتح آفاق جديدة من التفكير وزيادة التحصيل لديه.

وعطفا على ما تقدم فإن الرحلة توفر للطالب مهمات تتيح استخدام مهارات التفكير العليا في بناء المعرفة وتحصيلها، وتمنح للطلاب إمكانية البحث في نقاط محددة بشكل عميق ومدروس (حمادنة والقطيش، 2014: 23)، فينبغي علينا أن نستثمر تلك الطريقة من أجل تعميق تعلم الطلبة، وجعله تعلماً ذا معنى يوفر للطلاب البيئة المناسبة التي تجسر الهوة بين التعلم النظري والتعلم العملي من خلال استكشاف المعلومات بطريقة التعلم الذاتي من خلال الزيارة الميدانية التي توفر له الواقع المناسب، إذ إننا وبالنظر إلى طريقة تدريس مادة التكنولوجيا وخاصة وحدة الأنظمة نجد أنها تدرس بطريقة نظرية بعيدة عن الواقع مما يؤدي إلى حفظ الطلبة للمعلومات الواردة في الكتاب المدرسي دون تصور أو استيعاب لكيفية عمل تلك الأنظمة وخاصة نظام تكرير المياه العادمة، ومن هنا نبعت مشكلة الدراسة المتمثلة بالتالي:

مشكلة الدراسة:

تنحصر مشكلة الدراسة في السؤال الرئيس التالي :

◀ ما أثر توظيف الرسوم المتحركة والرحلة التعليمية في تدريس نظام معالجة المياه العادمة لوحدة الأنظمة من كتاب التكنولوجيا للصف العاشر الأساسي؟

ويتفرع من السؤال الرئيس الأسئلة الفرعية التالية :-

◀ ما البرنامج المقترح للرسوم المتحركة والرحلة التعليمية لتدريس نظام معالجة المياه العادمة للصف العاشر الأساسي؟

◀ هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى $\alpha \leq 0.05$ بين متوسط تحصيل الطلبة في المجموعة الضابطة التي درست (بالطريقة الاعتيادية) والمجموعة التجريبية (التي درست بواسطة البرنامج المقترح بالرسوم المتحركة) ؟

◀ هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى $\alpha \leq 0.05$ بين متوسط تحصيل الطلبة في المجموعة الضابطة التي درست (بالطريقة الاعتيادية) والمجموعة التجريبية (التي درست بواسطة الرحلة التعليمية) ؟

◀ هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى $\alpha \leq 0.05$ بين متوسط تحصيل الطلبة في المجموعة التجريبية (التي درست بواسطة البرنامج المقترح بالرسوم المتحركة) وبين المجموعة التجريبية (التي درست بالرحلة التعليمية) ؟

فروضيات الدراسة :

1. لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى $\alpha \leq 0.05$ بين متوسط تحصيل الطلبة في المجموعة الضابطة التي درست (بالطريقة الاعتيادية) والمجموعة التجريبية (التي درست بواسطة البرنامج المقترح بالرسوم المتحركة) .

2. لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى $\alpha \leq 0.05$ بين متوسط تحصيل الطلبة في المجموعة الضابطة التي درست (بالطريقة الاعتيادية) والمجموعة التجريبية (التي درست

أن يراعي طريقة تقديم كل موضوع بطريقة تختلف عن الأخرى.

ولما كان الطالب يعيش في ظلال الألفية الثالثة المتمسمة بالانفجار المعرفي في شتى جوانب الحياة، فقد فرضت عليه التفكير الواعي المدروس بمجريات أحداثها؛ إذ أضحت مصادر التعلم تحتل مركزاً مرموقاً في العملية التربوية بشكل عام وبخاصة إذا ما سلمنا بافتراض مفاده: أن الطالب هو محور العملية التعليمية-التعلمية، وأن دوره لم يقتصر على تلقي المعلومة فقط، بل هو باحث مستقص لها، ولما كانت شبكة الانترنت تفرض نفسها كوسيلة أو أداة قادرة على تنمية قدرات التفكير العليا كان لزاماً على المربين على اختلاف مستوياتهم العمل على تبني استراتيجيات تمكن الطالب من البحث والتقصي بمنهجية علمية واضحة (الحيلة ونوفل، 2008: 207) .

◀ وقد تساءل (المومني ودولات والشلول، 2011: 650) عن بعض المواضيع العلمية التي يصعب على الطالب معرفة وإدراك المفاهيم العلمية بشكل كاف بطرق الشرح التقليدية، وهل يمكن إيصال هذه الأفكار إليهم من خلال تقديمها بصورة رسوم متحركة، ويكون لها أثر إيجابي في استيعابها وإدراكها لدى الطالب؟

ومن هنا يرى الباحث أن اعتماد استخدام طريقة الرسوم المتحركة المحوسبة وكذلك الرحلة التعليمية قد يفيدان في تقديم مادة التكنولوجيا بشكل يوفر استيعاب أفضل للطلبة لمكونات هذه المادة.

وباستعراض سريع للرسوم المتحركة نجد أنها سبقت التصوير الفوتوغرافي الذي تم اكتشافه عام 1835م، في حين أن الرسوم كانت تتحرك على أقراص منذ عام 1832م، وتم تنظيم أول عرض للرسوم المتحركة في أكسفورد استريت عام 1896م، متزامناً مع أول عرض سينمائي شهده العالم في فرنسا في ”الجراند كافيه“، أما بالنسبة لمنطقتنا العربية والإسلامية فقد بدأت الرسوم المتحركة فيها مع مطلع القرن العشرين، ثم تطورت بظهور التلفزيون في مصر عام 1960م، ثم تطور هذا الفن تطوراً هائلاً، إلا أن كثيراً منه لا يزال واقعاً في أسر الإنتاج المستورد، خاصة من أمريكا. (العريفي، 2010: 20)

ويعد فن الرسوم المتحركة هو فن تحليل الحركة اعتماداً على نظرية بقاء الرؤية على شبكية العين لمدة 1/10 من الثانية بعد زوال الصورة الفعلي، وهي النظرية العلمية نفسها التي بنيت عليها صناعة الفيلم السينمائي، وإن كان فن التحريك يسبق صناعة السينما بمعناها التقني بحوالي قرنين من الزمان (الحوالي، 2004: 222) .

وقد استخدمنا في هذه الدراسة نوعاً من أنواع الرسوم المتحركة ألا وهو تحريك النقط Pixilation.

وقد أوضح (النعمي، 2000: 31) أن للرسوم المتحركة أثراً كبيراً في شخصية الطفل باعتبارها من أهم العناصر البيئية المنظمة التي تنقل المعلومات والمفاهيم والقيم بصورة متسلسلة وقصصية، علماً بأن تلك الأفلام كلما كانت قصيرة كان تأثيرها أشد وأقوى.

ومن الطرق الفاعلة في اكتساب المفاهيم وكذلك زيادة دافعية الطالب نحو المادة التعليمية هي الرحلة التعليمية، كما أظهرت ذلك

البرنامج

تبني الباحث التعريف الإجرائي التالي:

«هو مجموعة من الخبرات التربوية التي تتضمن المقاطع المحوسبة على هيئة رسوم متحركة لتدريس نظام معالجة المياه العادمة لوحدة الأنظمة من كتاب التكنولوجيا للصف العاشر الأساسي في المدارس الفلسطينية».

الرسوم المتحركة Animation:

يقصد بها تحريك الأشكال لفترة زمنية. ويفسر الزمن في العالم الرقمي على أنه لقطات، وبوساطة عرض اللقطات الثابتة بمعدل سريع يمكن إنشاء صورة خادعة من الرسوم المتحركة، إن ذلك يعد مبدأً وأساساً لما وراء عرض الرسوم المتحركة التقليدي، وأيضاً المبدأ الذي يمكننا من مشاهدة الأفلام. (بيرتسون، 1999: 4).

وقد تبني الباحث التعريف الإجرائي التالي للرسوم المتحركة:

هي رسومات ثلاثية الأبعاد منشأة على الحاسوب الذي يفاد من إمكانياته لتكرار تلك الرسومات ووضع مؤثرات نستطيع من خلالها تحريك تلك الرسومات بسرعة معينة لا تقل عن 12 صورة في الثانية مع إرفاق الأصوات المناسبة لها، وذلك لإيهام المشاهد بأن تلك الرسومات تتحرك.

الرحلات الميدانية:

هي طريقة تهتم بالتعليم في المواقع الحقيقية خارج غرفة الصف. وهي تعبر عن نشاط تعليمي / تعليمي منظم ومخطط له يقوم به الطلبة بإشراف المعلم أو المرشد؛ لتحقيق أهداف تعليمية محددة مسبقاً.

التحصيل:

هو مقدار ما يحصل عليه الطالب من معارف ومفاهيم ومعلومات يُعبر عنها بدرجات الاختبار الذي يعد بطريقة يمكن من خلالها قياس المستويات المحددة مسبقاً.

الإطار النظري:

انتهى القرن العشرون وهو يحمل بين طياته الكثير من التغيرات العلمية والتكنولوجية المتلاحقة، فقد كان هذا القرن عصر سيادة العلوم الفيزيائية، وما نجم عنها من تطبيقات تكنولوجية غيرت شكل الحياة البشرية على سطح الكرة الأرضية، وأصبحت هذه التكنولوجيا متسارعة متلاحقة تطال جوانب الحياة العصرية جميعها. وامتدت لتصل القرى النائية في معظم دول العالم سواء أكانت المتقدمة أم النامية أم المتخلفة، مما أدى إلى ظهور مصطلح التربية التكنولوجية المتصلة بما صنعه، إذ أطلق على التربية التكنولوجية كلمة المهنية أو التمهينية تعريفاً لها على أنها خطة لتنفيذ أوامر المجتمع ومتطلباته، بداية من التدريب على مهارات التفكير ومروراً بعملية تطوير المهارات المطلوبة لقوة العمل، وانتهاء بتحقيق أهداف تنمية الفرد والمجتمع على اعتبار أن التربية التكنولوجية وسيلة اقتصادية للفرد والمجتمع، وأنها مسئولية الجامعات والمؤسسات التربوية لمواجهة متطلبات التربية البشرية.

بواسطة الرحلة التعليمية).

3. لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى $\alpha \leq 0.05$ بين متوسط تحصيل الطلبة في المجموعة التجريبية (التي درست بواسطة البرنامج المقترح بالرسوم المتحركة) وبين المجموعة التجريبية (التي درست بالرحلة التعليمية).

أهداف الدراسة :

تسعى الدراسة لتحقيق الأهداف التالية :

1. تصميم برنامج محوسب بالرسوم المتحركة لتدريس نظام معالجة المياه العادمة في وحدة الأنظمة من كتاب التكنولوجيا للصف العاشر الأساسي.
2. معرفة أثر البرنامج المقترح بالرسوم المتحركة على تحصيل طالبات الصف العاشر الأساسي في مساق التكنولوجيا.
3. معرفة أثر الرحلة التعليمية في تحصيل طالبات الصف العاشر الأساسي في مساق التكنولوجيا.
4. المقارنة بين طريقة الرسوم المتحركة والرحلة التعليمية في تحصيل طالبات الصف العاشر الأساسي في مساق التكنولوجيا.

أهمية الدراسة:

تقدم الدراسة نتائج قد تفيد أصحاب القرار في المؤسسات التعليمية للانتباه لطريقة الرسوم المتحركة المحوسبة في تدريس مادة التكنولوجيا، إذ إن من الواضح من نتائج الدراسة وكذلك الدراسات السابقة التي تناولت الموضوع بأن لها أثراً كبيراً في التحصيل وتنمية القدرات لدى الأطفال، وتقدم نتائج ملموسة لتفعيل الرحلات التعليمية للأماكن التي تقرب المفاهيم النظرية إلى واقع عملي خاصة وإن كان من بيئة المتعلم لتحديث الموائمة في التعليم، وتجعل الطالب يخرج من البيئة الضيقة إلى فضاء المعرفة والاستقصاء لتنمية تفكيره والتعمق كثيراً في الجزئيات الخاصة بالأهداف التعليمية والتربوية مما يكون له الأثر الكبير في تنمية قدرات الطلبة.

حدود الدراسة:

تقتصر هذه الدراسة على تصميم برنامج محوسب بالرسوم المتحركة لشرح نظام معالجة المياه العادمة في وحدة الأنظمة من كتاب التكنولوجيا للصف العاشر الأساسي، وكذلك على إعداد رحلة تعليمية إلى محطة الأوروبي لمعالجة المياه العادمة لاكتساب الخبرة المباشرة على أرض الواقع، وذلك في الفصل الدراسي الثاني (2013 - 2014).

مصطلحات الدراسة:

مقرر التكنولوجيا

هو المقرر للصف العاشر الأساسي الذي يتضمن وحدات عدة، مثل (الخوارزميات وبرمجة الحاسوب، الإلكترونيات، الأنظمة، الحزم البرمجية) التي يكتسب الطالب من خلالها العديد من المهارات المختلفة.

(الفرجاني، 1997: 8).

التلاميذ.

7. تُنمى خبرات يصعب الحصول عليها بطرق أخرى، وتسهم في جعل ما يتعلمه التلاميذ أكثر كفاءة وعمقاً وتنوعاً.

استخدامات الوسائط المتعددة :

إن الحاسوب ليس مجرد وسيط تعليمي مثل أي وسيط تعليمي آخر، ولكنه وسيط يمكن أن يشتمل على وسائط أخرى مجتمعة سوياً، وعليه يمكن أن يقوم الحاسوب بالعديد من الوظائف التي تؤديها الوسائط الأخرى - بالإضافة إلى القيام بوظائف جديدة - قد يصعب تحقيقها بأي أسلوب آخر.

ترتبط الوسائط المتعددة بالحاسوب بأشكال عدة، ومنها:
(صالح، 2002: -47 48).

1. التحكم عن بُعد: يمكن ربط أكثر من حاسوب بواسطة شبكة وذلك بإضافة كروت Network مع نظام ويندوز، وأما إذا كانت المسافات بين الأجهزة بعيدة فيربط بينها بطريق كارتات الفاكس مودم Modem، بالإضافة إلى إمكانية المشاركة في آلات الطباعة، والتحكم عن بعد مما يساعد على سهولة ربط المعلومات في أثناء التعلم سواء كانت المعلومات داخل المدرسة أو خارجها، فضلاً عن إنتاج المواد التعليمية (مطبوعات أو شفافيات،...الخ) من أي مكان فيه التعلم، وبالتالي فإن سهولة الاتصال بهذا الشكل يمكن أن يؤدي إلى طفرة في العملية التعليمية بما يحقق معظم أهدافنا التعليمية.

2. الصوتيات والحاسوب: تُضاف (سماعات) تمكن من سماع الصوت من خلال الحاسوب، وتُسمع النبرات الصوتية للشخص المتكلم كما يفعل المسجل العادي.

3. الرسومات المتحركة: يمكن عمل رسوم متحركة، وتحويل صورة إلى صورة أخرى، ويسمى بـ Morph، وذلك بواسطة استخدام بعض البرامج مثل 3D-Studio فضلاً عن استخدام إمكانيات الفيديو، والعرض الجماعي على شاشة كبيرة ليفيد منها عدد كبير من الطلاب في المواقف التعليمية التي تستلزم ذلك.

ومن هنا نلاحظ أن الرسوم المتحركة هي من أهم تطبيقات الوسائط المتعددة التي تعدّ من الأنماط التعليمية المحببة لدى المتعلم، والتي يجب على التربويين الانتباه إليها وتشجيع استخدام تلك الطريقة بأشكالها كافة.

معايير تصميم وعرض الرسوم المتحركة: (زين الدين، 2010: 29)

1. أن يتاح للطالب التحكم في عرض الرسوم.
2. أن تحقق الصورة المتحركة الوضوح بمساحة تخزينية قليلة.
3. عدم جمع لقطتي فيديو للرسوم في الوقت نفسه على الشاشة.
4. ألا تثير الرسوم المتحركة انتباه المتعلم نحو الشكل دون المضمون.
5. تجنب التصوير من منظور غير مألوف.
6. استخدام السرعة الطبيعية في عرض اللقطات إلا إذا لزم

وأصبحت الضرورة ملحة علينا -نحن التربويين- إلى ابتكار آليات جديدة مستفيدة من ذلك التطور التقني وخاصة الحاسوبي للنهوض بالعملية التعليمية وتبسيطها وجعلها أكثر تشويقاً وتفاعلاً مع المتعلم. وكان من أهم تلك التطبيقات الوسائط المتعددة، التي يعرفها (عفانة وأبو ملوح، 2005: 87) على أنها استخدام جملة من وسائط الاتصال، مثل الصوت (Audio)، والصورة (Visual)، أو فيلم فيديو بصورة مدمجة ومتكاملة من أجل تحقيق الفاعلية في عملية التدريس والتعليم، وهذا الاندماج بين كافة عناصر التقنية أو بصورة أوضح للبرامج التي تجمع بين الصوت والصورة والفيديو والرسم والنص لجودة عالية. وبكلمة أخرى فإن الوسائط المتعددة هي ”مجموعة من الوسائط التي تشتمل على الصورة الثابتة والصورة المتحركة والصوت والنص وتعمل جميعها تحت تحكم الحاسب الآلي في وقت واحد يضاف إليها توافر البيئة التفاعلية، حيث يعد التفاعل العنصر الأساس في تقنية الوسائط المتعددة وتتسم تطبيقات الوسائط المتعددة بالتفاعل، فتسري المعلومات في اتجاهين، من البرنامج إلى المستخدم ومن المستخدم إلى البرنامج، لذلك تعتبر برامج الوسائط المتعددة أقوى وسيلة لكتابة البرامج التعليمية بصورة تمكن من استعراض وتبادل الأفكار. (الموسى، 2002: 87).

كما يعرفها (عيادات، 2004: 206-207) على أنها: (دمج ما بين الحاسوب والوسائط لإنتاج بيئة تشعبية تفاعلية، وهذه البيئة تحتوي على النص والصور والرسومات والصوت والفيديو والتي ترتبط فيما بينها بشكل تشعبي من خلال الرسومات).

وبذلك نرى أن الوسائط المتعددة هي إنشاء بيئة تفاعلية ما بين الحاسوب والإنسان، تحتوي على الصوت والصورة والحركة والنصوص؛ لتقديمها بشكل شائق وتفاعلي للإنسان، يضمن التفاعل في الاتجاهين من الحاسوب للإنسان والعكس.

أهمية استخدام الوسائط التعليمية المتعددة :

ولتحقيق الفائدة القصوى من الوسائط التعليمية المتعددة، فإن ذلك يتطلب زيادة وتقوية المهارات الموجودة مسبقاً بصورة أكبر من أجل تطوير قدرات جديدة (فتح الرحمن والصدیق، 2008: 9)؛ لذلك لا بد من الانتباه إلى العديد من الفوائد لاستثمارها جيداً عند تصميم البرامج المعتمدة على الوسائط المتعددة مثل الرسوم المتحركة.

وأهم الفوائد التي يمكن أن يوفرها توظيف واستخدام الوسائط التعليمية المتعددة هي: (إبراهيم، 2002: 57-59)

1. تُقدم أساساً مادياً للتفكير الإدراكي الحسي، وتقلل من استخدام التلاميذ لألفاظ لا يفهمون معناها
2. تُثير اهتمام التلاميذ
3. تُرسخ المعلومات في أذهان التلاميذ.
4. تُوفر خبرات واقعية وحيوية تدفع التلاميذ إلى النشاط الذاتي.
5. تزيد من ترابط الأفكار في ذهن التلاميذ.
6. تُساعد على نمو المعاني وعلى زيادة الثروة اللغوية عند

الاستطلاع، والمنافسة والمسابقة، واكتشاف ما هو جديد مع كل مشاهدة وتعامل مع الرسوم المتحركة، فتجعله يطمح للنجاح والفوز (عبد الجواد، 2006: 121).

6. الجانب الترفيهي: لا ننسى ضحكة الأطفال التي لا تضاهيها ضحكة وهم يشاهدون فيلم الرسوم المتحركة، فهي أحب متعة لدى الأطفال في كل بلاد العالم، وهي المنشط لخيالهم، وهي تفرغ الشحنة المدخرة لديهم، وإن فيلم الرسوم المتحركة يسهم في بناء وتعليم وترفيه أطفالنا (حنفي، 1982: 20).

7. إكساب الطفل اللغة العربية الفصيحة التي يفقدها في محيطه الأسري مما يساعده على النطق السليم، وبما أن اللغة هي الأداة الأولى للنمو المعرفي فيمكن القول إن الرسوم المتحركة تسهم في ذلك. (الشهري، 2011: 89)

8. تنمي خيال الطفل، وتغذي قدراته إن تنتقل به إلى عوالم جديدة لم تكن تخطر ببال، وتجعله يتسلق الجبال ويصعد الفضاء، ويقتمح الأحراش، ويسامر الوحوش، كما تعرّفه بأساليب مبتكرة متعددة في التفكير والسلوك (مينا، 1994: 2).

ومن الوسائل التعليمية التي نعتقد أن لها أثراً في إثراء العملية التعليمية الرحلات التعليمية الميدانية التي تعد من أقوى الوسائل التعليمية تأثيراً في حياة الطلاب، فهي تنقلهم من جو الأسلوب الرمزي المجرد إلى مشاهدة الحقائق على طبيعتها، فتقوي فيهم عملية الإدراك، وتثبت عناصرها فيهم بشكل يعجز عنه الكلام والشرح، كما أن في الرحلات تغييراً للجو المدرسي من حيث الانطلاق والمرح اللذان يسيطران على جوها، ومما يصادفه الطالب من أمور جديدة في الرحلة، كالاتماد على النفس، ومساعدة غيره من الطلاب، الأمر الذي ينمي شخصيته ويخلق عنده الشعور بالمسؤولية.

الرحلة المدرسية التعليمية:

وتُعرف بأنها خروج الطلاب من المدرسة بشكل جماعي منظم لتحقيق هدف تعليمي مرتبط بالمنهج الدراسي المقرر ومخطط له من قبل، ومن خلال التعريف السابق نخلص إلى أن: الرحلة التعليمية الميدانية يجب أن تبنى على هدف تعليمي وتحقق أبعاده المختلفة، وهي بذلك تختلف عن الرحلة المدرسية التي يقصد بها الترويح والمتعة واللهو البريء. وللإفادة التعليمية المرجوة من الرحلات التعليمية يجب أن تستهدف كل رحلة غرضاً محدداً يربطها بالمنهج الدراسية، كما هو واضح من التعريف السابق، على أن يكون رائدها تحقيق الدراسة العلمية للبيئة، وأن توضع لها النظم الدقيقة الكفيلة بالإفادة التعليمية القصوى لكل مشترك. www.drmosad.com (بتاريخ 7-7-2007).

حثّ النبي - صلى الله عليه وسلم - أمته على طلب العلم وبين لها مكانة طالب العلم. وحثّ على الرحلات التعليمية القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرْنَا مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (التوبة: 122).

وقد ذكر القرآن الكريم بعض المواقف من الرحلات التعليمية وهي:

الأمر لتأثيرات خاصة.

7. عدم استخدام المرشحات اللونية: لأنها تغير من الدرجات الطبيعية للألوان.

8. استخدام الصيغ القياسية لملفات الرسوم المتحركة مثل gif.

فالملاحظ أنه (تتوجه أفلام الرسوم المتحركة إلى خيال الطفل وتدابح حبه للألوان والحركة والمفارقات المدهشة، فهي له عالمٌ سحريٌّ يجعله في آفاق رائعة وممتعة، وتقدم الرسوم المتحركة الأكثر شهرة مثل: رسوم " والت ديزني" وسواها للطفل في دول العالم النامي قيم المجتمعات الغربية التي تركز على التفوق والإنجاز الفردي على حساب قيمة الجماعة، كما أنها تقدم مجتمعات مثالية لتقوم على منطق الاستهلاك، فالبطل دائماً فردي في أفلام الرسوم المتحركة) (خليل، 1996: 42).

إيجابيات الرسوم المتحركة :

الرسوم المتحركة تسهم في تكوين وبناء شخصية الأطفال، لأنها تقدم للمتعلم المعلومات على شكل قصص جذابة، أو حكايات مثيرة تجري أحداثها في الأماكن التي كان يتطلع إليها، وتأتي جاذبية الرسوم المتحركة من حركتها الحية التي تستمد عناصرها من واقع الإنسان والحيوان والنبات، و تتميز بحرية التعبير. (المومني ودولات والشلول، 2011: 651)

وتعد الرسوم المتحركة قريبة إلى قلب الطفل لما فيها من خيال وتحريك لكل ما هو جامد وثابت، ويمكننا من خلالها تقديم كل ما هو قيم بالنسبة للطفل، فتقدم مثلاً:

1. القيم والمفاهيم الدينية: فقد بينت (بالعبيد، 2015: 75) أنه من الضروري الاعتماد على القصص الإسلامية والتاريخ الإسلامي عند تصميم الرسوم المتحركة للأطفال من أجل غرس القيم والمبادئ والمفاهيم الدينية الصحيحة لدى أبنائنا؛ لتثقيفهم وتأديبهم وفقاً لديننا، ولما تتمتع به القصة والرسوم المتحركة من طريقة جذب لانتباه الطفل واهتماماته.

2. الانتماء الثقافي: ترتبط الإحياءات والرموز الاتصالية الموجودة في الرسوم المتحركة بمدى التغيير الثقافي، وتكرار المشاهد فيها ينمي عند الطفل التخيل للجوانب المراد تعزيزها وتنميتها (عبيدة، 2013: 13).

3. الناحية التعليمية: أفلام الرسوم المتحركة ومسلسلات الأطفال، إذا أعدت بشكل إيجابي، من شأنها أن تغرس التفكير العلمي في أذهان الأطفال، وتساعدهم في حل مشكلاتهم، فأبطال تلك الأفلام المحببة للأطفال، يساعدون على التعلم، لا سيما في القصص الخيالية العلمية، مثل مختبر نينا التي تبثها قناة «براعم». وكثيراً ما تساعد على استخدام الأجهزة العلمية الحديثة والتدريب عليها، وتشجيعهم على الاهتمام بالتكنولوجيا التي غدت سمة هذا العصر. (الجيلاني، 2011: 15).

4. تعلم الأخلاق والقيم للأطفال، من خلال توازن قوى الخير والشر في العالم، فهم يسمعون لكي يحققوا لأنفسهم الشعور بالأمن الذي يتوقون إليه دائماً (عثمان، د.ت: 21).

5. تلبية العديد من احتياجاته وخاصة الاستكشاف وحب

كثير من السلوكيات التي يمكن أن تؤثر سلباً على الطفل وتستخدم طرقات جافة لعرض وتصوير القيم الجيدة، وأنها تزيد من العدوان على المدى الطويل فتؤدي إلى الفهم غير الصحيح للواقع الاجتماعي الخاص بالطفل.

دراسة (عبد الكافي، 1999): هدفت الدراسة إلى التعرف على مدى وجود الحاجات الثقافية في الرسوم المتحركة التي تعرضها القنوات العربية، وأشارت نتائجها إلى أن الدراسات التي عنيت بتحليل بحوث الطفل أجمعت على أن الحاجات الثقافية للطفل العربي لم تنل الاهتمام المتوقع من البحث في مجال الطفولة. وأن ثقافة الطفل لا تزال تحتاج إلى مزيد من العناية، وأن أغلب البحوث التي اهتمت بتحليل أدب الأطفال اهتمت بوسائل ثقافية للطفل العربي قليلة للغاية بلغت نسبة (1.8%) من الدراسات الخاصة بالطفل في مصر، وجاءت هذه النقطة بنسبة (8.2%) من قاعدة معلومات المجلس العربي للطفولة والتنمية.

دراسة (Betrancourt, 2002 Tversky & Morrison &): هدفت الدراسة إلى التعرف على مدى فاعلية الرسوم المتحركة في التدريس، ومدى قدرتها على تنمية الفهم والتحليل والاستنتاج لدى الأطفال. واستخدم الباحثون المنهج الوصفي التحليلي، فقاموا بتحليل العديد من أفلام الرسوم المتحركة التي لها أهداف تعليمية، ودراسة مدى أثرها على الأطفال المشاهدين لها، وقد خلصوا إلى النتائج التالية: أن العناية بتصميم الرسوم المتحركة لها دور كبير في تحقيق أهدافها، وكذلك تطابق شكل الرسوم مع محتواها، وأن الرسوم المبسطة أفضل من الرسوم المعقدة، والرسوم ذات السرعة المناسبة أفضل من الرسوم سريعة العرض، وأخيراً تسلسل تلك الرسوم وارتباطها ببعضها البعض لتكون مفهوماً متكاملًا لدى الطفل.

دراسة (الطوخي، 2006): هدفت الدراسة إلى التعرف على العلاقة بين تعرض الطفل لبرامج الأطفال في قنوات الأطفال العربية واكتسابهم للمفاهيم العلمية، وانتمت الدراسة إلى الدراسات الوصفية مستخدمة (منهج المسح) لعينة من برامج الأطفال التي تقدم مفاهيم علمية للتعرف على السمات والخصائص الأساسية لأفراد العينة في علاقتهم ببرامج الأطفال المقدمة في قنوات الأطفال العربية. وتمثلت عينة الدراسة الميدانية في الأطفال (ذكور - وإناث) ممن يشاهدون قنوات الأطفال العربية ممن تتراوح أعمارهم بين 9 : 12 سنة، وذلك خلال الفترة من 15 نوفمبر إلى 15 ديسمبر خلال العام الدراسي 2006 وجاء عددهم 260 طفلاً وطفلةً من مدينة القاهرة، واستخدم الباحث أداتين هما صحيفة تحليل مضمون برامج الأطفال، واستبانة المقابلة، وقد أظهرت النتائج أن الأطفال يتحدثون حول المفاهيم العلمية المكتسبة من برامج الأطفال مع بعض الشخصيات: الأسرة، الأصدقاء والجيران، المدرسون، والأقارب، وقد جاءت مشاركة الأطفال في برامجهم المقدمة من قنواتهم العربية من خلال الرسائل عبر البريد الإلكتروني.

- بينت النتائج إدراك الأطفال لواقعية المضمون المقدم من قنواتهم العربية.

- بينت النتائج ارتفاع مشاركة الأطفال في برامجهم من خلال الاتصال بالإنترنت.

◆ رحلة موسى - عليه السلام - مع العبد الصالح الخضر.

◆ قصة إسرائ النبي - صلى الله عليه وسلم - مليئة بالأخبار العملية العظيمة قال تعالى ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ الإسرائ: (1)

أقسام الرحلات التعليمية: (www.mohtrev.com بتاريخ 7-2007)

تنقسم الرحلات التعليمية إلى قسمين:

1. الرحلات المفيدة للطلاب بشكل عام: فمن الرحلات ما يفيد الطالب في مسيرته التعليمية، كإقامة رحلة تتعلق بمقرر ما.
2. الرحلات الترفيهية: إن الرحلات الترفيهية في هذا الواقع لا تحمل في طياتها هدفاً تعليمياً واضحاً.

أهمية الرحلات العلمية: (اللوغانى، 2008: 122)

- ◆ جزء مكمل للمنهج ووسيلة ناجحة من وسائل التعلم.
- ◆ نشاط تعليمي هادف يركز على التعليم في المواقع الحقيقية.
- ◆ تنمي حب التعاون.
- ◆ توفر خبرات تعليمية مباشرة وتحقق تعلمًا فعالاً.
- ◆ تعرفهم بالبيئة المحلية والمحافظة عليها.
- ◆ تقوّي التفاعل بين الطلبة والمجتمع.
- ◆ تثير التفكير في مشكلات عملية وعلمية وبيئية.
- ◆ تعزز الجانب العملي في المنهج.
- ◆ تنمي اتجاهات إيجابية للدراسة.
- ◆ تكسب المتعلم خبرات نافعة من خلال المشاهدة وكتابة التقارير.
- ◆ تثير حب الاكتشاف.
- ◆ تعود المتعلم على النظام وتحمل المسؤولية.
- ◆ توفر خبرات تعليمية مباشرة وتحقق تعلمًا فعالاً.

الدراسات السابقة

من خلال الاطلاع على الدراسات السابقة التي تناولت موضوع الرسوم المتحركة وجد الباحث بعضاً من تلك الدراسات التي تناولت تأثير الرسوم المتحركة على تنمية قدرات الطلبة لكن لم يجد دراسات تناولت استخدام الرسوم المتحركة والرحلة كما في دراسته..

دراسة (أبو الحسن، 1998): هدفت الدراسة إلى تحديد الدور الذي يمكن أن تلعبه الرسوم المتحركة في تنمية الجوانب المعرفية للطفل، والكشف عن مدى ملائمتها للطفل في مرحلة الطفولة الوسطى من الناحية المعرفية، واستخدمت الدراسة منهج المسح للعينة في اختيار العينة التحليلية والميدانية، وقد تم تحليل جميع أشكال الرسوم المتحركة، وذلك باستخدام صحيفة تحليل المضمون، وأظهرت النتائج أن الموضوعات البوليسية والحربية تحتوي على

وذلك لصالح القياس البعدي مما يدل على فاعلية التدريس باستخدام قصص الرسوم المتحركة.

التوصيات:

قدمت الباحثة بعض التوصيات، ومنها:

1. تبني مشرفات رياض الأطفال والمعلمات لاستخدام أفلام الرسوم المتحركة كأحد مصادر التعلم في رياض الأطفال.

2. حفز لجان تطوير مناهج رياض الأطفال من قبل وزارة التربية والتعليم لإنتاج وتصميم رسوم متحركة للمناهج التعليمية، تتضمن القيم والمفاهيم وبعض الجوانب التربوية الأخرى التي يشملها المقرر، وإتاحتها للمعلمات لاستخدامها في التدريس.

دراسة (سيد أحمد: 2012): هدفت الدراسة إلى تناول أهم العوامل المؤثرة في تشكيل المعرفة لدى الأطفال وهي الرسوم المتحركة، فقد كان الهدف الرئيس من البحث توظيف علاقة الرسوم المتحركة بالجوانب المعرفية بشكل إيجابي يفيد منه الأطفال، كذلك اطلعت الدراسة على دراسات الباحثين السابقة في مجال الرسوم المتحركة التي تتفق مع أسس الدراسة، وتختلف في طريقتها واتجاهاتها مما ساعد الباحثة على تحديد مسار البحث ومنهجه التاريخي المسحي الوصفي، واستخدمت ثلاث أدوات بحثية أولها الاستبيان الذي استخدم طريقة العينة العمدية لأطفال الطفولة المتأخرة وأولياء أمورهم، وثانياً المقابلة مع صناع ونجوم الرسوم المتحركة، ومن هنا فتحت أبواب الأداة الثالثة وهي الملاحظة حيث تم التوصل إلى أهم نتيجة وهي أن الرسوم المتحركة لها أثر إيجابي وسلبى على معرفة الأطفال من نواح عدة، وهي الإدراك والذاكرة والانتباه واللغة. وتوصي الباحثة بضرورة توعية الأبناء أن الرسوم المتحركة هي إحدى وسائل اكتساب المعرفة، وليست كل وسائل المعرفة، وتوجيههم إلى تنوع الأنشطة، ومصادر اكتساب المعلومات الصحيحة، والقيم الصحيحة من المسجد والرحلات والقراءة من الكتب والقصص النافعة.

دراسة (Islam and Others, 2014): هدفت هذه الدراسة إلى دراسة تأثير المواد التعليمية المرئية التي تعتمد على الرسوم المتحركة على اكتساب المعرفة أو المهارات الجديدة في إحدى المدارس الابتدائية في مدينة دكا لموضوع (النظام الشمسي) من خلال مجموعتين من الطلبة، درست المجموعة الأولى طريق النظام التقليدي، أما المجموعة التجريبية فقد درست من خلال المواد التعليمية المرئية، ومنها الرسوم المتحركة، وأظهرت النتائج تفوق المجموعة التجريبية على الضابطة في قدرة الطلاب على اكتساب المعارف والمهارات، كذلك استجابتهم وإدراكهم للتفاعل في المادة التفاعلية المعروضة.

دراسة (الهذلي، 2014) هدفت الدراسة إلى دراسة فاعلية الرسوم المتحركة والتفاعل المباشر في تنمية مفاهيم الأشكال الهندسية وفق نظرية فيجوتسكي الثقافية الاجتماعية لدى الأطفال قبل المدرسة، واستخدمت الباحثة المنهج شبه التجريبي القائم على تصميم مجموعتين تجريبيتين، المجموعة التجريبية الأولى (عرضت عليها الرسوم المتحركة والتفاعل المباشر من خلال الأنشطة المصاحبة)، والمجموعة التجريبية الثانية (عرضت عليها الرسوم المتحركة فقط)، وتكونت العينة القصدية للبحث من (40) طفلاً تم استخدام طريقتين وهي: الرسوم المتحركة التي تقدم مفاهيم الأشكال الهندسية الثنائية والثلاثية الأبعاد، وأنشطة التفاعل المباشر، وكذلك أداتين هما: بطاقة الملاحظة لأنشطة

- أظهرت النتائج أن إنتاج برامج الأطفال التي تقدم مفاهيم علمية كان إنتاجاً أجنبياً ثم إنتاجاً محلياً.

- بينت النتائج أن الصور المصاحبة للمادة المعروضة، جاءت أكثر الأشكال الفنية استخداماً في برامج الأطفال.

دراسة (Williamson & Abraham, 2006): هدفت الدراسة إلى الكشف عن تأثير الرسوم المتحركة بالكمبيوتر على التصورات العقلية للطبيعة الجزيئية للمادة لدى طلاب الجامعات، تم استخدام اختبار التقييم (A Particulate Nature of Matter Evaluation Test, PNMET) أداة لتحديد طبيعة تصورات الطلاب، وبالتالي فهمهم للمفاهيم الكيميائية المطلوب دراستها، تم تقسيم الطلبة لمجموعتين (ضابطة وتجريبية)، فدرست المجموعة الضابطة بالمحاضرات العادية، أما التجريبية فدرست الرسوم المتحركة باستخدام الكمبيوتر، وتمت المقارنة بين المجموعتين، فخلصت الدراسة إلى تفوق المجموعة التجريبية على المجموعة الضابطة من حيث تكوين تصورات عقلية أفضل للطبيعة الجزيئية للمادة الكيميائية.

دراسة (قربان: 2012): هدفت الدراسة إلى الكشف عن فاعلية استخدام قصص الرسوم المتحركة في تنمية بعض المفاهيم العلمية والقيم الاجتماعية لأطفال الروضة في مدينة مكة المكرمة. منهج الدراسة:

اتبعت الدراسة المنهج شبه التجريبي القائم على تصميم المجموعتين المتكافئتين: التجريبية والضابطة.

مجتمع وعينة الدراسة:

تكون مجتمع الدراسة من أطفال الروضة في مستوى التمهيدي (المستوى الثاني) بمدينة مكة المكرمة، واختيرت العينة من بينهم بواقع (50) طفلاً تم اختيارهم بالطريقة القصدية من الروضة العاشرة، وتم توزيعهم بالتساوي على مجموعتين، إحداها تجريبية والأخرى ضابطة.

الأدوات:

تمثلت أداة الدراسة في اختبار تحصيلي مصور تم بناؤه اعتماداً على محتوى وأهداف أفلام الرسوم المتحركة التي صممها الباحثة لغرض الدراسة، وهي أربعة أفلام، يمثل كل فيلم قصة تركز على تنمية المفاهيم العلمية وتنمية القيم الاجتماعية، وقد استخدمت لتحليل البيانات والكشف عن الفروق الإحصائية مجموعة من الأساليب الإحصائية، منها:

اختبار (T) لعينتين مستقلتين، واختبار (T) لعينتين مرتبطتين، ومربع إيتا أو حجم التأثير (Effect Size)، وقد توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج، كان أبرزها:

1. وجود فروق دالة إحصائية بين المجموعتين التجريبية والضابطة في القياس البعدي لمستوى المفاهيم العلمية والقيم الاجتماعية كل على حدة وللمجالين معاً لصالح المجموعة التجريبية، الأمر الذي يعني فاعلية قصص الرسوم المتحركة في تنمية المفاهيم العلمية والقيم الاجتماعية.

2. وجود فروق دالة إحصائية بين القياسين القبلي والبعدي لصالح المجموعة التجريبية لمستويي تنمية القيم الاجتماعية والمفاهيم العلمية وكذلك في الدرجة الكلية للاختبار التحصيلي،

◆ لأفلام الرسوم المتحركة إيجابيات تتمثل في (المعلومات والمعارف والعلوم، عادات وقيم إيجابية والخيال الخصب) كما في دراسة (السيد).

وعليه تصبح أفلام الرسوم المتحركة الموجهة للأطفال مادة ثرية نستطيع من خلالها التأثير على تحصيل الطلبة وبناء تصوراتهم العقلية وتنمية قدراتهم العقلية إن أحسننا تصميم وتقديم تلك الرسوم بما يخدم أهدافنا التربوية وثقافتنا وقيمتنا.

واتفقت دراستنا مع الدراسات السابقة في أنها :

ركزت على تأثير الرسوم المتحركة على الأطفال ومدى حاجة الأطفال إلى التعلم بالرسوم المتحركة.

إجراءات الدراسة

يتناول هذا الجزء عرضاً للإجراءات التنفيذية للدراسة، وبالتالي فإن هذا الفصل يتناول وصفاً لمنهج الدراسة، وكذلك المعالجات الإحصائية المستخدمة لاختيار أسئلة الدراسة.

أولاً : منهج الدراسة:

لما كان الهدف من الدراسة هو بناء برنامج مقترح بالرسوم المتحركة لتدريس نظام معالجة المياه العادمة من وحدة الأنظمة في كتاب التكنولوجيا للصف العاشر الأساسي، فقد استخدمت الدراسة منهجين هما:

● المنهج البنائي:

لبناء البرنامج المقترح بالرسوم المتحركة لتدريس نظام معالجة المياه العادمة من وحدة الأنظمة في كتاب التكنولوجيا للصف العاشر الأساسي، ويعرف (الأغا، 2001: 22) المنهج البنائي بأنه خطوات منظمة لإيجاد هيكل معرفي تربوي جديد، لم يكن معروفاً بالكيفية نفسها يتعلق باستخدامات مستقبلية، ويتواءم مع الظروف المتوقعة والامكانات الواقعية، يفاد منها لتحقيق الأهداف.

● المنهج التجريبي:

لتجريب البرنامج المقترح على عينة الدراسة (المكونة من ثلاث مجموعات المجموعة التجريبية الأولى درست باستخدام برنامج محوسب بالرسوم المتحركة، أما المجموعة التجريبية الثانية فدرست بطريقة الرحلة التعليمية، والمجموعة الثالثة درست بالطريقة الاعتيادية)، وطبق اختبار قبلي وبعدي على المجموعات الثلاثة، وذلك للوقوف على مدى أثر البرنامج والرحلة التعليمية على تحصيل الطلبة، ويعرف (ملحم، 2000، 359) المنهج التجريبي بأنه أقرب مناهج البحث لحل المشكلات بالطريقة العلمية، كذلك يعبر التجريب عن محاولة للتحكم في جميع المتغيرات والعوامل الأساسية باستثناء متغير واحد يقوم الباحث بتغييره وتطويعه بهدف تحديد وقياس تأثيره في العملية.

ثانياً: عينة الدراسة :

تم اختيار عينة الدراسة بطريقة عشوائية من طالبات الصف العاشر الأساسي بمدرسة كفر قاسم الثانوية للبنات من الفصل الدراسي الثاني (2013-2014). وتكونت عينة الدراسة من (130) طالبة.

◆ (45) طالبة مجموعة ضابطة.

◆ (85) طالبة مجموعتين تجريبيتين، كانت على النحو التالي:

التفاعل المباشر، واختبار مفاهيم الأشكال الهندسية، وتم تحليل البيانات كميًا باستخدام اختبار (T-Test) لعينتين مرتبطتين وعينتين مستقلتين، وكيفية بحساب التكرار والنسبة المئوية لترميز مجموعات التحليل الكيفي للمجموعة التجريبية الأولى من خلال تحليل تسجيلات الفيديو لأنشطة التفاعل المباشر، وتوصل البحث إلى النتائج التالية:

1. وجود فروق بين متوسطات درجات أطفال المجموعتين التجريبتين في التطبيق القبلي والبعدي لكل من مفاهيم الأشكال الهندسية ثنائية الأبعاد، ومفاهيم الأشكال الهندسية ثلاثية الأبعاد لصالح التطبيق البعدي.

2. عدم وجود فروق بين متوسطات درجات أطفال المجموعتين التجريبتين في التطبيق البعدي لكل من مفاهيم الأشكال الهندسية ثنائية الأبعاد، ومفاهيم الأشكال الهندسية ثلاثية الأبعاد. وقد بين التحليل الكيفي أن عدم وجود فروق بين المجموعتين يرجع إلى عدم وجود تفاعل اجتماعي بين المعلمة والأطفال بالعمق المطلوب إلى جانب تفاعل الطفل مع الأدوات، وأوصت الدراسة بتضمين رسوم متحركة تعليمية تعمق فهم الطفل للمفاهيم الرياضية.

دراسة (القلاف، 2015): هدفت الدراسة الحالية إلى التحقق من أثر مختارات الرسوم المتحركة على القدرات الإبداعية للطفل (الطلاقة، المرونة، الأصالة، وشملت عينة الدراسة (20) طفلاً من أطفال الروضة، ممن تتراوح أعمارهم بين (5 - 6 سنوات)، مقسمين لمجموعتين (10 أطفال) مجموعة تجريبية، (10 أطفال) مجموعة ضابطة، واستخدم المنهج شبه التجريبي، وتكونت أدوات الدراسة من قائمة خصائص الأطفال الموهوبين (للجيمان وعبد الحميد) للكشف عن الأطفال؛ واختبار التفكير الإبداعي لطفل الروضة (للمشرفي) كتطبيق قبلي وبعدي، وبعد المعالجة الإحصائية باستخدام (المتوسط الحسابي والانحراف المعياري واختبار ولكوكسون (Wilcoxon) للعينات المرتبطة واختبار مان وتني (Man-Whitny)، جاءت النتائج لتبين فروق ذات دلالة إحصائية لصالح الاختبار البعدي؛ وفروق دالة إحصائية لصالح المجموعة التجريبية، مما يشير إلى أثر مختارات الرسوم المتحركة في تنمية القدرات الإبداعية لدى الأطفال الموهوبين في مرحلة رياض الأطفال.

التعليق على الدراسات السابقة :

◆ أشارت بعض الدراسات السابقة (أبو الحسن، الهذلي، قربان، سيدأحمد، Tversky, Islam)، إلى أثر الرسوم المتحركة الإيجابي على تحصيل الطلبة وتنمية قدراتهم المعرفية، وهذا يتوافق مع ما أكدته دراستنا

◆ هناك عدم استخدام جيد للرسوم المتحركة للحاجات الثقافية لأطفالنا، كما أشارت بذلك دراسة (عبد الكافي).

◆ دراسات ركزت على تنمية التفكير الإبداعي لدى الأطفال باستخدام الرسوم المتحركة مثل دراسة (القلاف)، وهذه النتيجة تتوافق مع توجهنا ومبررات استخدامنا للرسوم المتحركة في التدريس.

◆ ذكرت دراسة (Abraham & Williamson) تأثير الرسوم المتحركة الإيجابي على بناء التصورات العقلية لدى الطلبة، وهو من أهم المبررات التي سعت دراستنا إلى تحقيقه بربط الطلبة ببيئتهم.

- (46) طالبة مجموعة تجريبية تدرس بوساطة رحلة البرنامج. تعليمية إلى محطة مستشفى الأوروبي.
 - (39) طالبة مجموعة تجريبية تدرس بوساطة البرنامج المقترح.

ثالثاً: البرنامج المقترح بالرسوم المتحركة :-

لبناء البرنامج المقترح اتبعت الدراسة الخطوات التالية :

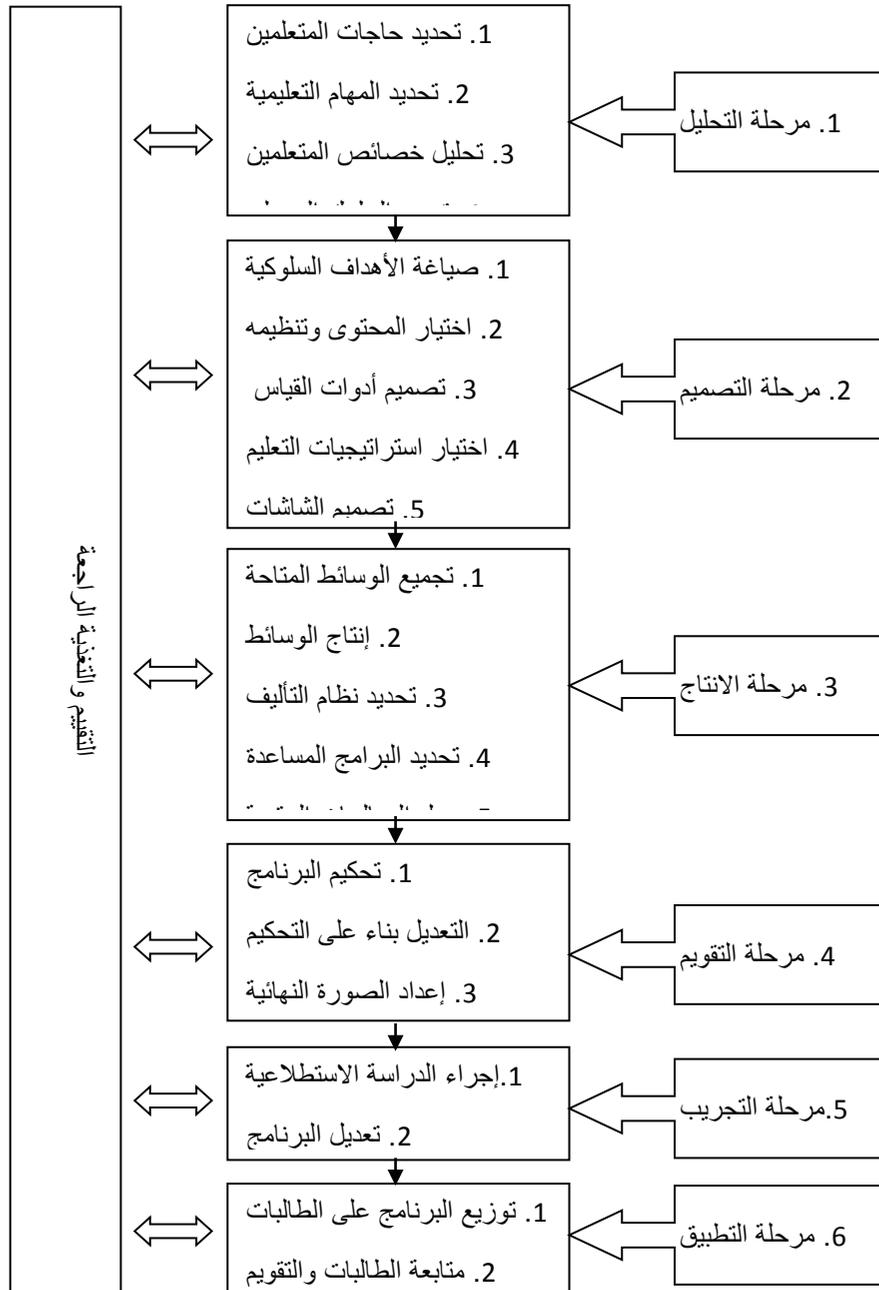
1. الاطلاع على الأدب التربوي في مجال بناء البرنامج.
2. وضع وصف عام للبرنامج المقترح.
3. وضع أهداف محددة للبرنامج المقترح.
4. إعداد المادة الدراسية والوسائل التي ستستخدم في على النحو التالي:

والشكل رقم (1) التالي يوضح مراحل التصميم المختلفة،

على النحو التالي:

شكل رقم (1)

النموذج المتبع وفق استيفن واستانلي



محكية المرجع التي تركز على قياس مدى تحقق الأهداف، وترتبط مباشرة بمحكات الأداء المحددة في الهدف. ويتضمن التقييم المبدئي، التقييم التكويني والتقييم البعدي.

- اختيار المحتوى وتنظيمه: قام الباحث بتحديد عناصر المحتوى اللازم لتحقيق الأهداف التعليمية من خلال تحديد المعارف والاتجاهات والمهارات اللازمة لوحدة الأنظمة وتنظيمها بالتتابع؛ لكي يؤدي إلى تحقيق الأهداف بما يتناسب وخصائص المتعلمين وأنماط تعلمهم، كما قام الباحث بتابع التنظيم المنطقي للمحتوى.

- اختيار الاستراتيجيات التعليمية: اتبع الباحث استراتيجيات عدة تتناسب مع طبيعة برامج الرسوم المتحركة، وهي: استراتيجية التمرين والممارسة، المحاكاة والنمذجة، الألعاب التعليمية، حل المشكلات.

- تصميم شاشات العرض: قام الباحث بتصميمات الشاشة والأزرار التي تحقق نوع التحكم المناسب. وتتمثل المبادئ العامة لتصميم الشاشات في بساطة التكوين، والدمج بين التقنية التعليمية والفنية في إخراجها حتى لا تفقد أهميتها التعليمية، وتحديد كل المعلومات الواجب تقديمها في الشاشة الواحدة، وكذلك عدد الألوان المستخدمة في التصميم، ومراعاة الاتساق بين المناطق أو المساحات المخصصة للعرض في الشاشة، واستخدام التأثيرات البصرية المناسبة عند الانتقال من شاشة لأخرى.

- تحديد أنماط التفاعل: حيث تم تحديد أنماط التفاعل بين المستخدم والبرمجية ومستويات هذا التفاعل وحجم كل منها وأساليب تنفيذها، ويمكن للمتعلم التفاعل مع البرمجية التعليمية عن طريق نمط أو أكثر من أنماط الاستجابات.

- كتابة النص التعليمي: تعدّ عملية كتابة النص التعليمي بمنزلة البنية الأساسية للبرمجية اللازمة لعرض المحتوى التعليمي بطريقة منطقية متتابعة وبصياغة مرئية في شكل كتابي يوضح تفاصيل وتسلسل الأحداث التي تظهر على شاشة الحاسوب.

3. مرحلة الإنتاج، وتتضمن الخطوات التالية:

- تجميع الوسائط المتاحة: يتمثل بتحديد كل الوسائط المطلوبة لإنتاج البرمجية، سواء كانت صوراً ثابتة، أو رسومات ثابتة، أو متحركة، أو لقطات فيديو، أو ملفات صوتية، أو موسيقى، وذلك أثناء تصميم السيناريو، بحيث يتم جمع هذه الوسائط من المصادر المتاحة مثل الأقراص الضوئية أو من شبكة الإنترنت.

- إنتاج الوسائط المطلوبة: تأتي عملية إنتاج الوسائط المطلوبة بعد عملية تحديد دقيق، وتحديد الأجهزة اللازمة لإنتاجها، وقبل إنتاج الوسائط تأتي مرحلة البدء في تصميم البرمجية، وتجميع الوسائط المستخدمة في البرمجية كافة قبل البدء فيها، وجمع الوسائط في مجلد واحد بحيث يكون هذا المجلد مصدر كل الوسائط المستخدمة في البرمجية.

- اختيار نظام التأليف: حدد الباحث نظام التأليف الذي يتناسب مع خبرات الباحث، ومع أهداف البرنامج، ونظام التأليف

مراحل وخطوات بناء البرنامج المحوسب بالرسوم المتحركة:

1. مرحلة التحليل، وتتضمن الخطوات التالية:

- تحديد حاجات المتعلمين: حدد الباحث الحاجات التعليمية من وحدة الأنظمة في منهج التكنولوجيا للصف العاشر الأساسي التي تشمل الجوانب المختلفة للنمو الشامل للمتعلم (معرفياً ونفسحركياً، وجدانياً) وتقدير النقص والحاجة في هذه الجوانب، وتنتهي هذه الخطوة بتحديد الهدف العام من البرنامج، وصياغة الأهداف العامة، والأهداف السلوكية لمحتوى البرمجية. قام الباحث بالاطلاع على أهداف مقرر تكنولوجيا التعليم والدراسات والكتب ذات الصلة بالموضوع.

- تحديد المهام التعليمية: حدد الباحث المادة العلمية ووصفها حسب الأهداف المطلوب تحقيقها في كتاب التكنولوجيا، لتأتي مفرداتها مترجمة ومحقة لهذه الأهداف. وهذا يتحقق من خلال تحليل المهام التعليمية وفقاً للأهداف التعليمية والمهام الفرعية لإبراز الخطوات التي يتوقف عليها نجاح التصميم التعليمي في تعلم المهام الفرعية والتي تسهل تعلم المهام الرئيسية الخاصة بنظام تحليل المياه العادمة.

- تحديد خصائص المتعلمين: قام الباحث بتحديد خصائص المتعلمين من حيث المستوى التعليمي والاجتماعي، وخبراتهم السابقة المرتبطة بمساق تكنولوجيا التعليم وخاصة وحدة الأنظمة.

- تحديد السلوك المدخلي: حدد الباحث المعارف والمعلومات والمهارات التي يمتلكها المتعلمون بالفعل لتعلم المهارات المحددة من خلال الاختبار القبلي.

- تحديد مصادر التعلم: قام الباحث بتحديد المصادر التعليمية التي تم الاعتماد عليها في الحصول على المادة العلمية التي يتم بناء البرنامج في ضوءها.

- تحديد المهارات المطلوبة: حدد الباحث المهارات اللازمة لتشغيل البرنامج المحوسب.

- تحديد المتطلبات القبلية: حدد الباحث الإمكانيات التي يجب توفرها في الأنظمة المادية مثل توفر الأجهزة التعليمية- أجهزة الحاسوب، أدوات الإدخال، وسائط التخزين، أجهزة الصوت، توفير برامج تشغيل البرنامج ثلاثي الأبعاد، وهنا يلزم برنامج لتشغيل ملفات الفيديو.

- تحديد مهارة الغلق: حدد الباحث المرحلة التي تنتهي عندها البرمجية من خلال الأهداف العامة والسلوكية التي تمت صياغتها، وكذلك المعلومات الإثرائية المطلوبة في البرمجية..

2. مرحلة التصميم، وتتضمن الخطوات التالية:

- صياغة الأهداف السلوكية: قام الباحث بتحديد وصياغة الأهداف التعليمية إجرائياً وتتابعها وفقاً لشروط تصميم الأهداف الصحيحة.

- تصميم أدوات القياس: تضمنت الأدوات والاختبارات

◆ **التخطيط:** من خلال تحديد أهداف البرمجية التعليمية المرتبطة بالبرنامج، وتضم ما يتعلق بدراسة الجانب المعرفي الخاص بتحلية المياه.

◆ **كتابة المحتوى:**

اشتمل المحتوى التعليمي على الموضوعات التالية:

- مقدمة تحلية المياه
- الأهداف السلوكية لدراسة المادة من خلال البرنامج.
- وتضمنت الأهداف السلوكية دراسة تحلية المياه بشكل كامل بما يراعي التصميم على جهاز الحاسوب.

◆ **تصميم صفحات المحتوى:**

مراعاة القواعد الخاصة بتصميم البرمجية التي توصلت إليها الدراسات والبحوث النظرية السابقة.

◆ **المواد التعليمية اللازمة للبرنامج ثلاثي الأبعاد:** تكونت المواد التعليمية مما يلي:

- الصور والرسوم التوضيحية: حيث استخدم الباحث مجموعة من الصور المسلسلة لتوضيح المعارف والمهارات التي تناولها المحتوى، وتمثلت مصادر هذه الصور من تصوير محطة التحلية، وكذلك بعض المواقع المتخصصة على شبكة الإنترنت، وتم تحرير ومعالجة هذه الصور باستخدام برنامج Adobe Photoshop
- البرامج المستخدمة في تصميم البرمجية: استعان الباحث ببرنامج Adobe Photoshop لتحرير ومعالجة الصور، وكذلك برنامج 3D MAX الذي يتميز بالتصميم ثلاثي الأبعاد، وقد روعي استخدام اللغة اللفظية وغير اللفظية عند صياغة المحتوى، وكذلك روعي تنوع المثير للحصول على استجابة سريعة من المتعلم.

◆ **تقويم البرنامج ثلاثي الأبعاد بعد التصميم:**

بعد الانتهاء من تنفيذ البرنامج المحوسب تم اختبار صلاحيته للاستخدام وذلك بعرضه على المحكمين لاستطلاع آرائهم حول الكفاءة التعليمية للبرنامج، وكذلك الكفاءة التقنية، وقد أبدى المحكمون ملاحظاتهم ومقترحاتهم حول البرمجية وتم إجراء التعديلات المقترحة بحيث أصبح البرنامج في صورته النهائية الصالحة للتطبيق.

◆ **تنفيذ إنتاج البرمجية:**

اكتمل إنتاج البرمجية، وكتابة التعليمات حول استخداماتها، وشروط عملها على جهاز الحاسوب، وقام الباحث بتوزيع البرنامج للطالبات عبر اسطوانة CD، وكذلك نسخها على أجهزة الحاسوب في مختبر المدرسة.

◆ **خامساً: أداة الدراسة:**

تم إعداد أداة الدراسة التي تمثلت في اختبار تحصيلي يشمل نوعين من الأسئلة، وكان الهدف منه قياس مستوى التحصيل لدى الطالبات، وهذه الأسئلة حسب جدول المواصفات التالي:

في هذه البرمجية هو (Adobe Flash, Photo Shop)

- اختيار البرامج المساعدة: تتمثل في البرامج التي تساعد المصمم في إنتاج البرمجية وإنتاجها بشكل جيد والبرامج المستخدمة في هذه الدراسة هي (Swish max audio, Director, Gif)

- عمل المعالجات الرقمية: تتمثل في معالجة العناصر التي جمعت بطريقة رقمية تمكن من تخزينها على الحاسوب، واستخدامها في عملية الإنتاج على هيئة صور ثابتة ومتحركة ورسوم ثابتة ومتحركة وصوت، ورسوم ثلاثية الأبعاد.

- إنتاج البرمجية المبدئية: يقصد بها ترجمة أو تنفيذ السيناريو حسب الخطة والمسئوليات المحددة، وتشمل كتابة النصوص، إعداد الرسومات، التقاط الصور الفوتوغرافية، تسجيل الصوت، القيام بعمليات المونتاج والتنظيم لعناصر البرمجية.

4. مرحلة التقويم، وتشمل الخطوات التالية:

- تحكيم البرمجية: تتمثل في عرض النسخة المبدئية على الخبراء والمتخصصين في تكنولوجيا التعليم والتعليم الإلكتروني من داخل فلسطين وخارجها، وكذلك في المادة العلمية للتأكد من مناسبتها لتحقيق الأهداف (ملحق رقم 2)، وتسلسل العرض، ومناسبة العناصر المكتوبة والمرسومة والمصورة وجودتها، والترابط والتكامل بهذه العناصر، وسهولة الاستخدام.

- إجراء التعديلات: تتمثل في إجراء التعديلات اللازمة على نسخة العمل المبدئية في ضوء النتائج التي تم الحصول عليها من قبل الخبراء والمتخصصين.

5. مرحلة التجريب، وتشمل الخطوات التالية:

- تجريب البرمجية: بعد الانتهاء من تصميمات الشاشات وإعداد البرمجية قام الباحث بتجريب البرمجية على (7) طالبات من طالبات الصف العاشر، ورصد التقديرات الكمية لاستجابة الطالبة عند التعامل مع البرمجية التعليمية.

- المراجعة النهائية: تمثلت في مراجعة النسخة المبدئية، وإضافة التعديلات والمقترحات التي تم الحصول عليها من خلال عملية التجريب المبدئي، وذلك استعداداً لإعداد النسخة النهائية وتجهيزها للعرض.

6. مرحلة الاستخدام، وتشمل الخطوات التالية:

- توظيف البرمجية: وتعني استخدام البرمجية بتوزيع البرنامج على العينة التجريبية التي تدرس باستخدام البرنامج المحوسب بالرسوم المتحركة وعددهن (39) طالبة.

- المتابعة المستمرة: تجري المتابعات المستمرة للبرمجية لمعرفة ردود الأفعال وإمكانيات التطوير المستقبلي.

رابعاً : خطوات تصميم وإنتاج البرنامج المحوسب للرسوم المتحركة الإنتاج الفعلي:

مرت عملية تصميم وإنتاج البرنامج المحوسب بالخطوات التالية:

جدول رقم (1)

المحور	الأهداف المعرفية			عدد الأسئلة	أرقام الأسئلة	التوزيع النسبي
	معرفة	فهم	تطبيق			
تعريف المياه العادمة	2	2	1	5	5, 4, 3, 2, 1	33.3 %
طرق معالجة المياه العادمة	1	2	2	5	10, 8, 9, 7, 6	33.3 %
نموذج نظام التنقية	1	2	2	5	11, 12, 13, 14, 15	33.3 %
الإجمالي				15		100 %

* صياغة مفردات الاختبار:

جدول رقم (2)

مستوى الدلالة الإحصائية	المتوسط الحسابي	عدد الطلبة	المجموعة
غير دالة عند 0.05	4.3	45	مجموعة ضابطة
	4.06	46	مجموعة التجريبية الأولى (البرنامج المقترح)
	3.76	39	مجموعة التجريبية الثانية (الرحلة التعليمية)

ويتبين من خلال حساب المتوسط الحسابي في الجدول السابق أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين المجموعات وهذا يدل على تجانس المجموعات.

وللتحقق من صحة الفرضية تم استخدام اختبار T-Test للمقارنة بين متوسط تحصيل الطالبات في المجموعتين الضابطة والتجريبية الأولى (التي درست باستخدام برنامج الرسوم المتحركة).

والجدول التالي يوضح العدد، والمتوسط الحسابي، والانحراف المعياري، وقيمة اختبار "ت" ومستوى الدلالة للمقارنة بين متوسط تحصيل الطالبات في المجموعتين وذلك في الاختبار البعدي.

جدول رقم (3)

يوضح نتائج الطلبة في الاختبار البعدي

مستوى الدلالة	قيمة "ت" المحسوبة	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	عدد الطلبة	المجموعة
دالة عند 0.000	-3.9	3.5	22.7	45	المجموعة الضابطة
		2.7	25.6	39	مجموعة التجريبية (البرنامج المعد)

وبذلك نرفض الفرض الصفري، ونقبل بالفرض البديل الذي ينص على أنه «توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى $\alpha \leq 0.05$ بين متوسط تحصيل الطلبة في المجموعة الضابطة التي درست (بالطريقة الاعتيادية) والمجموعة التجريبية (التي درست بواسطة البرنامج المقترح بالرسوم المتحركة)»، وذلك لصالح المجموعة التجريبية.

مناقشة النتيجة:

يعزو الباحث النتيجة إلى مدى التشويق والجاذبية التي تتمتع بها الرسوم المتحركة وخاصة ثلاثية الأبعاد لدى الطالبات، وهي من طرق التدريس التي تزيد من دافعية الطلبة نحو التعلم مما ساعد

اختار الباحث الاختبار من نوع اختيار من متعدد، ويعدّ هذا النمط من أفضل أنواع الاختبارات الموضوعية من حيث ملائمتها لقياس عدد كبير من الأهداف التعليمية والسلوكية. (كاظم، 2001: 56) وتكون الاختبار من (15) سؤالاً.

• صدق الاختبار:

عرض الاختبار التحصيلي على مجموعة من المحكمين في مجال تكنولوجيا التعليم من الجامعة الإسلامية بغزة، وأبدوا ملاحظاتهم وقد تم التعديل على الأسئلة (3، 8، 9، 13، 14).

• ثبات الاختبار:

عند حساب معامل ألفا كرونباخ قبل تطبيق الاختبار على عينة الدراسة، ظهرت قيمة معامل ألفا كرونباخ (0.70)، ويلاحظ أن قيمة معامل ألفا أعلى من القيمة المحايدة وهي (0.52) مما يشير إلى أن الاختبار يتمتع بثبات عالٍ.

نتائج الدراسة وتفسيرها والتوصيات والمقترحات.

أولاً: نتائج الدراسة

يشمل هذا الفصل التحليل الإحصائي لنتائج التجربة، وكان السؤال الرئيس لتلك الدراسة:

◀ ما أثر البرنامج المقترح بالرسوم المتحركة والرحلة التعليمية لتدريس نظام معالجة المياه العادمة لوحدية الأنظمة من كتاب التكنولوجيا للصف العاشر الأساسي؟

وللإجابة عن السؤال الأول من أسئلة الدراسة الذي نصه:

◀ ما البرنامج المقترح بالرسوم المتحركة والرحلة التعليمية لتدريس نظام معالجة المياه العادمة لوحدية الأنظمة من كتاب التكنولوجيا للصف العاشر الأساسي؟

تم تصميم برنامج محوسب مقترح بالرسوم المتحركة ثلاثية الأبعاد تم تطبيقه.

وللإجابة عن السؤال الثاني للدراسة تم صياغة الفرضية الآتية: «لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى $\alpha \leq 0.05$ بين متوسط تحصيل الطلبة في المجموعة الضابطة التي درست (بالطريقة الاعتيادية) والمجموعة التجريبية (التي درست بواسطة البرنامج المقترح بالرسوم المتحركة)».

وقد تم تطبيق الاختبار التحصيلي على المجموعات الثلاث قبل البدء في التجربة، والجدول التالي رقم (2) يوضح نتائج الطلبة في الاختبار القبلي.

جدول رقم (5)

يوضح نتائج الطلبة في الاختبار البعدي

المجموعة	عدد الطلبة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة "ت" المحسوبة	مستوى الدلالة
المجموعة التجريبية (البرنامج المقترح)	39	25.6	2.7	1.2	غير دالة عند 0.2
مجموعة التجريبية (الرحلة)	46	24.8	2.8		

وبذلك نقبل بالفرضية الصفرية التي تنص على أنه «لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى $\alpha \leq 0.05$ بين متوسط تحصيل الطلبة في المجموعة التجريبية (التي درست بواسطة البرنامج المقترح بالرسوم المتحركة) وبين المجموعة التجريبية (التي درست بالرحلة التعليمية)».

مناقشة النتيجة:

يعزو الباحث تلك النتيجة إلى اهتمام الطالبات بالرسوم المتحركة، والرحلة التعليمية على حد سواء وذلك لما فيهما من تغيير في نمطية التعليم، والخروج من غرفة الفصل خلال الموقف التعليمي، مما يدعونا دائماً إلى التغيير في نمطية الموقف التدريسي، واستحداث أساليب وطرق غير تقليدية، وهذا يتضح من تفاعل الطالبات مع الطريقتين غير التقليدية التي تحتاج من المعلم فقط تغيير الطريقة والتحفيز والتخطيط الجيد حتى لو كانت تلك الطريقة بسيطة.

ثانياً: توصيات ومقترحات الدراسة:

1. استخدام الرسوم المتحركة المحسوبة في تدريس مادة التكنولوجيا في جميع المراحل وخاصة الدنيا منها.
2. وضع برنامج من قبل وزارة التربية والتعليم لتدريب المعلمين على استخدام الوسائط المتعددة بالحاسوب في التعليم وإنتاج الرسوم المتحركة.
3. تشكيل ورشة عمل من المتخصصين في إنتاج البرامج التعليمية بمساعدة المدرسين في المرحلة الثانوية، وإشراف وزارة التربية والتعليم، وكذلك المتخصصين من الجامعات الفلسطينية، لإعداد برامج تعليمية كرتونية مناسبة لمفردات المواد الدراسية المنفذة في هذا الإطار وتحقق الأهداف التربوية.
4. استخدام الرحلات التعليمية وسيلة للتدريس الفعال.
5. تقديم سلسلة من المشاريع التي تنهض بالمجتمع الفلسطيني لتواكب التطور في التكنولوجيا.
6. تعزيز قدرات الطالبات المهارية في التصميم، واحتوائهن لتنمية تلك القدرات وتوجيهها نحو خدمة التعليم بشتى سبله، وذلك بتكوين فريق عمل تشرف عليه وزارة التربية والتعليم.

المصادر والمراجع:

أولاً: المراجع العربية:

القرآن الكريم.

1. إبراهيم، مجدي (2002)، "التقنيات التربوية رؤى وسائل لتوظيف وسائل

في حدوث تعلم لدى الطالبات باستخدام الرسوم المتحركة، وقد لوحظ ذلك من خلال مدى الرغبة والدافعية التي أبدتها الطالبات عند دراسة الموضوع باستخدام البرنامج المحسوب بالرسوم المتحركة وسهولة التعامل معه مما أدى إلى ارتفاع التحصيل.

وللإجابة عن السؤال الثالث للدراسة تم صياغة الفرضية الآتية «لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى $\alpha \leq 0.05$ بين متوسط تحصيل الطلبة في المجموعة الضابطة التي درست (بالطريقة الاعتيادية) والمجموعة التجريبية (التي درست بواسطة الرحلة التعليمية)».

وللتحقق من صحة الفرضية تم استخدام اختبار T-Test للمقارنة بين متوسط التحصيل الطالبات في المجموعتين الضابطة والتجريبية التي درست بالرحلة التعليمية.

والجدول التالي يوضح العدد، والمتوسط الحسابي، والانحراف المعياري، وقيمة اختبار "ت"، ومستوى الدلالة للمقارنة بين متوسط تحصيل الطالبات في المجموعتين وذلك في الاختبار البعدي.

جدول رقم (4)

يوضح نتائج الطلبة في الاختبار البعدي

المجموعة	عدد الطلبة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة "ت" المحسوبة	مستوى الدلالة
المجموعة الضابطة	45	22.7	3.5		
مجموعة التجريبية (الرحلة)	46	24.8	2.8	-3.01	دالة عند 0.000

وبذلك نرفض الفرض الصفرية ونقبل بالفرض البديل الذي ينص على أنه «توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى $\alpha \leq 0.05$ بين متوسط تحصيل الطلبة في المجموعة الضابطة التي درست (بالطريقة الاعتيادية) والمجموعة التجريبية (التي درست بواسطة الرحلة التعليمية)»، وذلك لصالح المجموعة التجريبية.

مناقشة النتيجة:

يعزو الباحث تلك النتيجة إلى اهتمام الطالبات بالرحلة التعليمية وكذلك وجود مرشدة خلال الرحلة، وكذلك اقتران الأنشطة التعليمية خلال الرحلة بالترفيه والترويح عن الطالبات، خاصة وأن الطالبات قلما يجتمعن في جو حميمي مثل الرحلة التي يبرز فيها الانطلاق، وحب المعرفة، والتعمق فيها، والعمل الجماعي، والحرية في التعامل مع المعلمات، مما أدى إلى ارتفاع تحصيل الطالبات.

وللإجابة عن السؤال الرابع للدراسة تم صياغة الفرضية الآتية «لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى $\alpha \leq 0.05$ بين متوسط تحصيل الطلبة في المجموعة التجريبية (التي درست بواسطة البرنامج المقترح بالرسوم المتحركة) وبين المجموعة التجريبية (التي درست بالرحلة التعليمية)».

للتحقق من صحة الفرضية تم استخدام اختبار T-test للمقارنة بين متوسط تحصيل الطالبات في المجموعتين التجريبيتين.

والجدول التالي يوضح العدد والمتوسط الحسابي والانحراف المعياري وقيمة اختبار "ت" ومستوى الدلالة للمقارنة بين متوسط تحصيل الطالبات في المجموعتين وذلك في الاختبار البعدي.

- الاتصال وتكنولوجيا التعليم“، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية.
2. الأغا، إحسان (2001)، البحث التربوي: عناصره، مناهجه، أدواته، مجلة الجامعة الإسلامية، غزة.
3. بالعبيد، شيخة (2015)، القيم التربوية المتضمنة في القصص ضمن النشاط غير المنهجي – بالمرحلة الابتدائية – بالمملكة العربية السعودية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية – جامعة أم القرى، مكة المكرمة.
4. بيرتسون، مايكل تود (1999)، ”أساسيات ثري دي ماكس 3“.
5. الجيلاني، ياسين (2011)، إيجابيات أفلام الرسوم المتحركة ومسلسلات الأطفال... وسلبياتها، مجلة الرأي – الأردن، العدد الصادر بتاريخ 20-11-2011م.
6. حنفي، عبد العليم (1982)، ”علاقة الشخصية والحدث بالمكان في فيلم الرسوم المتحركة“، رسالة ماجستير غير منشورة، المعهد العالمي للسينما، قسم الرسوم المتحركة، أكاديمية الفنون: وزارة الثقافة المصرية.
7. حمادنة، مؤنس والقطيش، حسين (2014)، فاعلية استخدام الرحلات المعرفية عبة الويب (Web Quests) في تحسين التفكير الرياضي وحل المسألة الرياضية لدى طالب الصف العاشر الأساسي واتجاهاتهم نحو مادة الرياضيات في الأردن، الأمانة العامة لجائزة خليفة التربوية، أبو ظبي، الكتاب (19).
8. الحولي، عليان (2004)، ”القيم المتضمنة في أفلام الرسوم المتحركة – دراسة تحليلية–“، المؤتمر التربوي الأول بالجامعة الإسلامية ”التربية في فلسطين وتغيرات العصر“، كلية التربية، الجامعة الإسلامية: غزة.
9. الحيلة، محمد ونوفل، محمد (2008)، أثر استراتيجيات الويب كويست في تنمية التفكير الناقد والتحصيل الدراسي في مساق تعليم التفكير لدى طلبة كلية العلوم التربوية الجامعية (الأونروا)، المجلة الأردنية في العلوم التربوية، المجلد (4)، العدد (3).
10. أبو خرمة، عثمان (2013)، أثر التدريس باستخدام الرحلات المعرفية ونموذج سوخمان الاستقصائي في تنمية التفكير الناقد والدافعية واكتساب المفاهيم العلمية لدى طالبات الصف الثامن الأساسي في مادة العلوم في المدارس التابعة لـ ”مشروع مدارس الأردن“، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية – جامعة اليرموك، الأردن.
11. خليل، محمد (1996)، ”الإعلام والتنشئة الاجتماعية“، مجلة جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني، العدد (249)، مؤسسة سنابل للنشر والتوزيع: قبرص.
12. زيتون، كمال (2002)، ”تكنولوجيا التعليم في عصر المعلومات والاتصالات“، القاهرة: عالم الكتب.
13. زين الدين، محمد (2010)، المعايير البنائية لجودة برمجيات الواقع الافتراضي التعليمي والبيئات ثلاثية الأبعاد، كلية التربية – جامعة الملك سعود.
14. الرافد، العدد (7)، مجلة فصلية جامعة، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة: الإمارات العربية المتحدة.
15. سيد أحمد، بلسم (2012)، دور الرسوم المتحركة في تشكيل المكون المعرفي لدى الأطفال: دراسة تطبيقية على تحليل مجموعة من أفلام الرسوم المتحركة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الجزيرة – السودان.
16. الشهري، عائشة (2011)، نماذج من القيم التي تعززها أفلام الرسوم المتحركة المخصصة للأطفال من وجهة نظر التربية الإسلامية – دراسة تحليلية، رسالة ماجستير غير منشورة – كلية التربية – جامعة أم القرى، مكة المكرمة.
17. صالح، ماجدة (2002)، ”الحاسب الآلي التعليمي وتربية الطفل“، الإسكندرية: المكتب العلمي للنشر والتوزيع.
18. الطوخي، عربي (2006)، العلاقة بين تعرض الطفل لبرامج الأطفال في قنوات الأطفال العربية واكتسابهم للمفاهيم العلمية.
19. عبد الجواد، محمد رجائي (2006)، تأثير برنامج تعليمي باستخدام الرسوم المتحركة بالحاسب الآلي على تعلم بعض مهارات الكرة الطائرة بدرس التربية الرياضية لتلميذات الحلقة الثانية من التعليم الأساسي بمدينة بني سويف، مجلة علوم الرياضة، المجلد (19)، الجزء (4)، ص 101-136.
20. عبد الكافي، إسماعيل (1999)، ”دراسة عن تحليل المضمون في أدب الطفل العربي“، رسالة الخليج العربي، العدد (73)، مكتب التربية لدول الخليج: الرياض.
21. عبندة، هيثم (2013)، لغة الجسد في برامج الرسوم المتحركة – دراسة تحليلية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الشرق الأوسط – الأردن.
22. عثمان، نزار (د.ت)، الرسوم المتحركة وأثرها على تنشئة الأطفال، موقع صيد الفوائد ”http://www.saaid.net/Doat/nizar/2.htm“
23. العريفي، محمد (2010)، الرسوم المتحركة وأثرها على عقيدة الناشئة، جامعة الملك سعود – الرياض.
24. عسقول، محمد (2003)، ”الوسائل والتكنولوجيا في التعليم بين الإطار الفلسفي والإطار التطبيقي“، مكتبة آفاق: غزة.
25. عفانة، عزو وأبو ملوح، محمد (2005)، ”أثر نموذج مقترح لعلاج التصورات الخطأ للمفاهيم الرياضية لدى الطلاب منخفضي التحصيل في الصف السابع الأساسي بغزة“، مؤتمر الطفل الفلسطيني بين تحديات الواقع وطموحات المستقبل، الجامعة الإسلامية، الجزء الثاني.
26. عيادات، يوسف (2004)، ”الحاسوب التعليمي وتطبيقاته“، عمان: دار الميسرة.
27. فتح الرحمن، عازة والصدقي، مختار (2008)، ”الإبداع في التدريس الجامعي باستخدام الوسائط التعليمية المتعددة“، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا.
28. الفرجاني، عبد العظيم (1997)، ”التربية التكنولوجية وتكنولوجيا التربية“، القاهرة: دار غريب.
29. فرجون، خالد (2002)، ”الوسائط المتعددة بين التنظير والتطبيق“، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع.
30. قربان، بثينة (2012)، فاعلية استخدام الرسوم المتحركة في تنمية بعض المفاهيم العلمية والقيم الاجتماعية لأطفال الروضة في مدينة مكة المكرمة، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة أم القرى – مكة المكرمة.
31. القلاف، خديجة (2015)، أثر مختارات من الرسوم المتحركة على القدرات الإبداعية لدى الأطفال الموهوبين في مرحلة رياض الأطفال في دولة الكويت، المؤتمر الدولي الثاني للموهوبين والمتفوقين – تحت شعار ”نحو استراتيجية وطنية لرعاية المبتكرين“، كلية التربية – جامعة الإمارات العربية المتحدة، 19 – 21 مايو.
32. كاظم، علي (2001)، ”القياس والتقويم في التعليم والتعلم“ دار الكندي

للنشر والتوزيع، الأردن.

33. كحامي، حمد واللامي، باقر وداود، عماد (2009)، "حقيبة حاسوبية لمحاكاة نظريات تحليل الدوائر الكهربائية"، المعهد التقني - البصرة.
34. اللوغاني، منى (2008)، كتاب: المناهج وطرق التدريس، الجامعة العربية المفتوحة - الكويت.
35. ملحم، سامي (2000)، "مناهج البحث في التربية وعلم النفس"، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان.
36. مينا، فايز (1994)، "قضايا في تعليم وتعلم الرياضيات مع إشارة خاصة للعالم العربي"، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
37. الموسى، عبد الله (2002)، "استخدام تقنية المعلومات والحاسوب في التعليم الأساسي"، الرياض: مكتب التربية لدول الخليج.
38. المومني، مأمون ودولات، عدنان والشلول، سعيد (2011)، "أثر استخدام برامج رسوم متحركة علمية في تدريس العلوم في اكتساب التلاميذ للمفاهيم العلمية"، مجلة جامعة دمشق، المجلد 27، العدد 3 + 4.
39. النعيمي، فاطمة (2000)، أفلام جذابة تفسد وجدان الأطفال، مجلة كل الأسرة، العدد (354).
40. الهذلي، إسراء (2014)، فاعلية الرسوم المتحركة والتفاعل المباشر في تنمية مفاهيم الأشكال الهندسية وفق نظرية فيجوتسكي الثقافية الاجتماعية لدى طفل ما قبل المدرسة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الملك عبد العزيز - جدة.

ثانياً: المراجع الأجنبية:

1. 1- Islam, Baharul and Ahmed, Arif & Islam, Kabirul & Shamsuddin, Abu Kalam (2014) «Child Education Through Animation: An Experimental Study», International Journal of Computer Graphics & Animation (IJCGA) Vol.4, No.4, October.
2. 2- Stephen, A. & Stanley, T. (2001) «Multimedia for Learning – Methods and Development», U.S.A., Person Education Company.
4. 3- Tversky, Barbara and Morrison, Julie & Betrancourt, Mireille (2002) «Animation: can it facilitate?», Int. J. Human-Computer Studies 57, 247–262, Published by Elsevier Science Ltd.
5. 4- Williamson, Vickie and Abraham, Michael (2006) «The effects of computer animation on the particulate mental models of college chemistry students», Journal of Research in Science Teaching, Vol 32 Issue 5.

ثالثاً: مواقع الإنترنت:

رابعاً: الرحلات التعليمية: www.mohtrev.com.

خامساً: الرحلات التعليمية المدرسية: www.drmosad.com.

سادساً: الرسوم المتحركة: www.mawsoah.net.

**أبو تمام وابن القيسراني بين التقليد والتجديد
من خلال قصيدتيهما:
(فتح عمورية) لأبي تمام، و(معركة إنب) لابن القيسراني***

د. فيصل حسين غوادرة**

*تاريخ التسليم: 2015/7/6م، تاريخ القبول: 2015/9/16م.
**أستاذ مشارك/ جامعة القدس المفتوحة/ فلسطين.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، وبعد:

فقد جمع الشاعر أبو تمام، بين التقليد والتجديد، فقلد من سبقه، ولكنه نهج لنفسه نهجاً جديداً، فهو وإن قلد في البديع وأنواعه، لكنه توسع فيه إلى حد الإسراف والمبالغة، مع النزوع نحو التجديد، فهو الإنسان المثقف بالثقافة العالية، ولذا فعليه أن يبرز مقدرته الفنية واللغوية والشعرية العالية، وهذا ما حاولت أن أظهره في شعره من خلال قصيدته البائية في فتح عمورية.

أما الشاعر ابن القيسراني، الذي جاء بعد أبي تمام بنحو ثلاثة قرون، في عصر الحروب الصليبية، فقد جاء وهو يحمل راية التقليد لمن سبقه من الشعراء المعدودين، وكان من بينهم الشاعر أبو تمام، الذي قلده في بديعه وألفاظه ومعانيه، والنظم على بحوره وأوزانه وقوافيه، وغير ذلك. وهذا ما عملت على بيانه في هذا البحث من خلال قصيدته في وصف معركة إنب.

وقد جاء هذا البحث في فصلين، الفصل الأول يتحدث عن أبي تمام وحياته الشخصية والشعرية، وأبي تمام بين التقليد والتجديد، ثم عرض لقصيدته في فتح عمورية. أما الفصل الثاني فقد تحدث عن حياة ابن القيسراني الشخصية والشعرية، وعن ابن القيسراني بين التقليد والتجديد، ثم عرض لقصيدته في معركة إنب، ثم تحدثت عن البديع عند الشعارين، ثم عقدت مقارنة بين القصيدتين. وبذلك أنهيت البحث.

هذا ما وفقني الله إليه، أرجو أن ينال إعجاب متلقيه، فهو جهد متواضع، وما عندكم خير كثير.

والله ولي التوفيق

الفصل الأول:

حياة أبي تمام الشخصية والشعرية:

أبو تمام هو «حبيب بن أوس الطائي»، من نفس طيئ صليبه، ولد ونشأ في منبج، بقرية يقال لها جاسم، وهو شاعر مطبوع، فطن، دقيق المعاني، غواص على ما يستصعب منها، ويعسر متناوله على غيره⁽¹⁾، نشأ في مصر، وجالس أدباءها، وأخذ عنهم، كان أسمر طويلاً فصيحاً، حلو الكلام فيه تمتمة خفيفة، ذكياً، محباً للشعراء وأصحاب الفضل، فلم يزل يعاني الشعر حتى ملكه، وسار ذكره في العصر، قدمه المعتصم على شعراء عصره، ولد أبو تمام سنة (190هـ)، وتوفي في الموصل سنة (228هـ) بعد أن عمل على بريدها، وهو أشعر الأولين والآخرين⁽²⁾.

قيل إن والده مسيحي اسمه تدوس العطار، وحرّف بعد إسلام الشاعر إلى أوس، ويرجعون نسبه إلى طيئ، ولذلك لقب بالطائي، وفي ديوانه مواقف يفاخر بنسبه هذا⁽³⁾:

عديّ العديّين القلمسُ أو عمرو
و بطنانها منه وظهر أنها تبر
فأمردنا كهل وأشيبنا حبر⁽⁴⁾

ملخص:

هدف هذا البحث إلى الكشف عن ميزات شعر أبي تمام، كالتعمق في المعاني، والإكثار من الغريب والمعاني الفلسفية موازنة مع ابن القيسراني؛ ليظهر الباحث النزعة الاتباعية في شعره الحربي الذي يحاكي فيه أبا تمام، وأشعاره في حرب الدولة العباسية مع الروم. وقد حاول الباحث في هذا البحث إظهار مدى تأثير ابن القيسراني بأبي تمام، من خلال قصيدته فتح عمورية، ومدى التعلق أو التناسل بينهما، مع بيان جوانب الاتفاق والاختلاف بينهما، وصورة الممدوح (البطل) عندهما، بالإضافة إلى النواحي الفنية والبلاغية في قصيدتهما. وقد نحا الباحث في ذلك منحى المنهج التكاملي في هذا البحث.

الكلمات المفتاحية: أبو تمام، ابن القيسراني، التقليد، التجديد، فتح عمورية، معركة إنب

Abu Tammam and Ibn Al- Qaysarani between tradition and innovation

Abu Tammam's poem (The Conquest of Amorium and Ibn Al-Qaysarani's (The Battle of Innab as a model

Abstract:

The objective of this research is to detect the features of Abu Tammam's poetry in terms of thorough meanings, abundant, strange and philosophical meanings compared with Ibn Al-Qaysarani, to show the trend of imitation in his epics in which he simulates Abu Tammam as well as his poetry about the wars of the Abbasids with The Romans. The research also tried to show how Ibn Al-Qaysarani was influenced by Abu Tammam through his poem "The Conquest of Amurium" and the extent of correlation and intertextuality between them, besides aspects of agreement and disagreement between them and the image of the acclaimed (Hero) to them, in addition to the technical and rhetorical aspects of the two poems. It is noteworthy that the study used an integrative approach

Key words: Abu Tammam, Ibn Al-Qaysarani, imitation, novelty, The Conquest of Amurium, The Battle of Innab.

وهل خاب من جذمأه في أصل طيئ
لنا جوهر لو خالط الأرض أصبحت
مقاماتنا وقف على الحلم والحجى

فأبو تمام هو زعيم المذهب التجديدي في القرن الثالث الهجري، ويمثل مذهبه الخروج على عمود الشعر، والتحرر من تلك التقاليد الفنية الموروثة التي تلقاها الشعراء من الشعر القديم. والناظر في شعره يلاحظ أنه كان يصوغ قصائده كما يفصل الحائك الثياب (كما هي مهنة أبي تمام)، فلكل مقام مقال يناسبه، وأسلوب بلائمه، وسر الاختلاف في مذهبه يعود إلى أمرين، وأولهما: قضية مفهوم الشعر، فأبو تمام يفهمه على أنه صناعة عقلية يمتزج فيها العقل بالشعور، أو الفكر بالعاطفة، فالشعر عنده عمل عقلي يستمد مادته من العاطفة كما يستمدها من العقل، فأساس العمل الفني عنده هو هذه المزاجية بين العقل والشعور، أو بين الفكر والعاطفة، أما ثانيهما فهي قضية الغاية من الشعر، فهو يؤمن أن الشعر للخاصة لا للعامة؛ لأن الخاصة هي الطبقة المثقفة المستنيرة الواسعة الاطلاع، ولذا على الشاعر ألا ينزل بمستواه الفني إلى مستوى العامة. وقد وصف شعر أبي تمام بالغموض والتعقيد بسبب عمق الفكرة، وغرابة الصورة، واستخدامه لمعانٍ فلسفية، وألفاظ غريبة في شعره⁽¹⁵⁾.

وأبو تمام أسرف في طلب الطباق والجناس، وغيرهما، وكثيراً ما يأتي بالاستعارة دون أن يراعي التناسب بين الحقيقة والمجاز، وهو واسع الخيال دقيق التصوير، بعيد مرامي النظر، لكن شعره على كثرة تصنعه كثير التعقيد والإغراب، لا يهيمه فهو المتلقي ما يقول أم لم يفهم، كما أثر عنه، ولعل من أسباب إغرابه وغموضه شغفه الزائد بالطباق والجناس⁽¹⁶⁾.

فلئن كان أبو تمام مجدداً في شعره، فقد كان مقلداً، إذ إنه قلد من جاء قبله، خاصة في البديع، فأول من جاء به بشار، ثم جاء مسلم بن الوليد فحشا به شعره، ووسع به، ثم جاء أبو تمام فأفرط وتجاوز وأسرف في الطباق والجناس ووجوه البديع الأخرى. ولم يكن أبو تمام يستخدمه بصورة بسيطة، وإنما كان يشق على نفسه، ويبذل الجهد والعناء، حتى تستقيم له على الصورة التي تحقق له مذهبه الفني؛ لأنه كان يقصدها قصداً، ويعتمدها تعمداً، وكأنه امتداداً لمدرسة «عبيد الشعر» في العصر الجاهلي⁽¹⁷⁾.

وهذا يؤكد قول لاشين بأن أبا تمام اتجه «اتجاه مسلم في البديع: فقد أغرم بالزينة، وتعمق في التأنيق، فكل بيت في القصيدة، إنما هو وحدة من وحدات هذا التمنيق والزخرف، ليس زخرفاً لفظياً فحسب، بل هو لفظي ومعنوي، يودع ظاهره براعة الألفاظ، وباطن خفيات المعاني، وبذلك انتهى عنده مذهب البديع والصنعة»⁽¹⁸⁾. وكذلك قال عبد العزيز المولى: كان «أبو تمام يتصل بمسلم، ويتأثر به في البديع، وفي الملاءمة الموسيقية بين المعاني والألفاظ، ثم يزيد عنه تعمق المعاني والبحث عن غرائبها»⁽¹⁹⁾.

ومنهم من يرى أن مفهوم التجديد والابتكار عنده يمس المحتوى، بينما التقنية العروضية ولاسيما القوافي ليست سوى تقليد مشترك بين الشعراء⁽²⁰⁾، وفن البديع لم يكن فناً جديداً تماماً في هذا العصر، فقد سبق استعماله عند شعراء العرب المتقدمين، وقد كان مسلم بن الوليد هو إمام الصنعة البديعية - كما أشرنا - وله مكانة الأستاذية، إذ ظل شعره يتمتع بالسهولة أكثر من شعر أبي تمام، ولم يكلف جمهوره، الأعباء التي فرضها أبو تمام على جمهوره حين طالبه بضرورة الارتفاع إلى مستواه⁽²¹⁾.

نشأ أبو تمام وعنده مزيتان بارزتان: صبره على المشاق لبلوغ المنى، وشدة عنفوانه وإعجابه بنفسه، يميل إلى الإسراف في المال، مغامراً في سبيل الجاه والمال، زادت أسفاره عزماً ومضاً. موصوفاً بكرم النفس وحسن الأخلاق⁽⁵⁾. أخذ أبو تمام نفسه بثقافة واسعة ومتنوعة، فكان يحذق علم الكلام وفروعه وأصوله، وكثيراً من الثقافات التاريخية والإسلامية واللغوية والعقائد والنحل المختلفة⁽⁶⁾.

كان شعر أبي تمام مدحياً، وديوانه يضم قصائد مدحية توشك أن تكون حجم ثلثيه، إضافة إلى ما فيه من غزل أو رثاء أو فخر، والرثاء والفخر صنوان للمدح⁽⁷⁾، حتى إن «القصيدة المادحة عند أبي تمام تشكل المجال الخصب والميدان الرحب لكثير من صورته التشبيهية، ذلك أن شريحة الممدوح هي الشريحة الأساسية، والمحور المركزي الذي تدور في فلكه جل تشبيهاته»⁽⁸⁾.

ونجد الشعر السائر في جميع أبواب شعر أبي تمام، «من مدح أو رثاء أو وصف أو هجاء، وله أبيات تدل على فهم ذكاء، وأسباب السيرورة في شعره هي التوفيق في الصناعة والإيجاز والبيان والوضوح، وسهولة اللفظ، وقوة السيل الشعري المنبعث من النفس، وسلامة الفطرة، والذوق»⁽⁹⁾.

وقد وضع أبو تمام ديوان الحماسة (الحماسة الكبرى)، الذي كان أول اختيار يقوم على التصنيف والتبويب، ويعتمد على الفنون الشعرية الرائجة، ثم أتبعه بالوحشيات، وهو (الحماسة الصغرى)، وهي مطابقة في عدد أبوابها وتسمياتها للحماسة الكبرى، مع تغيير طفيف لتسمية الباب الثامن، وهو باب السير والنعاس، إذ أطلق عليه أبو تمام في الوحشيات باب المشيب⁽¹⁰⁾.

وبشكل عام فقد تميز شعر أبي تمام بالتأنق البديعي، والتفنن المعنوي، والشغف بالإغراب⁽¹¹⁾، وهو زعيم المذهب التجديدي في القرن الثالث الهجري، وهو شاعر حضري نشأ في الحاضرة وعاش بها، ومات فيها⁽¹²⁾.

لقد وقف أبو تمام عند التراث يستعين به، فأفاد من القرآن الكريم والحديث الشريف والقصص الديني، والتاريخ الإسلامي، كما وقف على ثقافة عصره، من فلسفة ومنطق، وجدل دار بين الفرق الإسلامية المختلفة، «وصاحب ثنائية الثقافة في تكوين أبي تمام، ثنائية المصادر المكانية التي عاش متردداً عليها، فكانت مصر والشام قلعتين راسختين، أثرتا في فكره إذ أمده كل منهما بمصادر مختلفة من تلك الثقافات»⁽¹³⁾.

أبو تمام بين التقليد والتجديد:

عدّ بعضهم مسلم بن الوليد هو واضع أسس الطريقة التي انتهجها أبو تمام فيما بعد، وأهم ما تمتاز به العناية بالبديع من جهة، والغوص في المعاني من جهة أخرى، ونراهم أحياناً يجعلون بشاراً زعيم المحدثين جميعاً، ويجعلون أبا نواس حيناً آخر، وأحياناً يتخطونهم إلى مسلم وأبي تمام، ولعل أبا تمام كان يصدر عن ذوق وعقلية مغايرة، فقد وضع نصب عينيه جودة المعاني وغرابتها من جهة، وازدحام المحسنات البديعية التي قد تجف، وترك عذوبة اللفظ وجمال الموسيقى، ولذا جاءت أشعاره ثقيلة على الأسماع والألسنة، وهو بذلك يتحدى الذوق العام والأوضاع الموسيقية أحياناً⁽¹⁴⁾، وهو أمر لم يألّفه كثير من النقاد والأدباء؛ مما زاد من معارضيته.

قصيدة أبي تمام البائية في فتح عمورية⁽²²⁾:

● اللوحة الأولى: يقول أبو تمام في مطلع قصيدته:

في حده الحدُّ بينَ الجدِّ واللَّعبِ
مُنُونَهِنَّ جِلاءُ الشَّكِّ والرَّيبِ
بَيْنَ الخَمِيسَيْنِ لَافِي السَّبْعَةِ الشَّهْبِ
صَاغُوهُ مِنْ زُخْرَفٍ فِيهَا وَمَنْ كَذَبَ
لَيْسَتْ بِتَبَعٍ إِذَا عُدَّتْ وَلَا غَرَبَ
عَنْهُنَّ فِي صَقَرِ الأَصْفَارِ أَوْ رَجَبَ
إِذَا بَدَأَ الكوكِبُ الغَرِيبِيُّ ذُو الذَّنَبِ
مَا كَانَ مُنْقَلَبًا أَوْ غَيْرَ مُنْقَلَبِ
مَا دَارَ فِي فَلَكَ مِنْهَا وَفِي قَطْبِ
لَمْ تُخَفِ مَا حَلَّ بِالأوثانِ وَالصَّلْبِ

السَّيْفُ أَصْدَقُ إنبَاءٍ مِنَ الكُتُبِ
بِيضُ الصَّفَانِحِ لَا سَوْدُ الصَّحَائِفِ فِي
والعِلْمُ فِي شَهْبِ الأَرْمَاحِ لَامِعَةٍ
أَيْنَ الرُّوَايَةِ بَلْ أَيْنَ النُّجُومِ وَمَا
تُخْرَصًا وَأَحَادِيثًا مَلْفَقَةً
عَجَائِبًا زَعَمُوا الأَيَّامَ مُجْفَلَةً
وَحَوَّفُوا النَّاسَ مِنْ دَهْيَاءِ مُظْلَمَةٍ
وصَيَّرُوا الأَبْرَجَ العَلِيَّا مُرْتَبَةً
يَقْضُونَ بِالأَمْرِ عَنْهَا وَهِيَ غَافِلَةٌ
لَوْ بَيَّنْتَ قَطْ أَمْرًا قَبْلَ مَوْقِعِهِ

التي اعتمد فيها على الأفكار الواقعية، والخلاصات والمقابله والاستنتاج، فإنه «يرد تخرسات المنجمين في النصر والهزيمة، وكان هؤلاء يعزون بأن النصر لا يكون إلا في زمن نضج العنب، والشاعر يرد ذلك وينقضه ويقرر ما دونه»⁽²⁵⁾.

سيطر الانفعال على أبي تمام في القصيدة منذ مطلعها، وتجاوز به المستوى التقليدي حين كرر فيه ما اقتنع به من فلسفة القوة والإيمان بسيادتها وسطوتها، يستشهد بالتاريخ والواقع دون أن يستسلم للوهم والخرافة، إذ حاول الشاعر أن يثبت فشل التنجيم والوهم والدجل، أمام حقيقة نصر المعتصم في هذه المعركة، «ولكي يطمئن الشاعر إلى ما يصوغه في المقدمة، وتأثيره في المتلقي جعلها حكمية عامة؛ لأنها تتعلق بتسجيل حقائق ثابتة... يقينية، استغلها في صياغة الحكم العام التي غلب عليها التعميم أحياناً، وانتشر فيها التخصيص في كثير من الأحيان، كما ظهر في معالجته لقضية التنجيم والمنجمين، وموقفه العنيف ضد فلسفتهم وفكرهم»⁽²⁶⁾.

تدور مقدمة القصيدة هذه حول محاولة أبي تمام إثبات أن المعركة التي خاضها المعتصم ضد الروم في عمورية، قد حققت نصراً مؤزراً، حاول علماء الفلك والنجوم والأبراج أن يخوفوا الخليفة من إقدامه على هذه المعركة، وبأن الفشل سيكون مصيره فيها. لكن أبا تمام يقرر في مطلع قصيدته بأن السيف قد حسم الأمر، وكذب كل الروايات التي حاولت ثني الخليفة عن عزمه في مجابهة الروم. وكان فتح المعتصم بالله لعمورية وإحراقها وإزالتها من الوجود حدثاً ضخماً في وقته، وكان الخليفة ثار لانتهاك الروم لمدينة زبطرة الإسلامية، وهي الثغر الذي كان مسقط رأس المعتصم، حيث دخلها الروم وأفسدوا فيها وروّعوا أهلها، وأهان قائدهم امرأة هاشمية، فصاحت يومئذ وامتصاه... فأزعم المعتصم أن يخرب أعظم مدنها بعد القسطنطينية، وهي عمورية، وكانت عندهم مدينة دينية مكرمة، فقال أبو تمام بانيته هذه معظماً أمرها⁽²³⁾.

وتكاد تكون هذه القصيدة ملحمة للبطولة، وتجسيدا للقائد الذي يهب نفسه فداءً لأهداف أمته⁽²⁴⁾، وأبو تمام في هذه المقدمة

● ثم يقول في اللوحة الثانية:

نَظْمٌ مِنَ الشَّعْرِ أَوْ نَثْرٌ مِنَ الخُطْبِ
وتَبَرُّزُ الأَرْضِ فِي أَثْوَابِهَا القَشْبِ
مِنْكَ المَنَى حُفْلاً مَعسُولَةَ الحَلْبِ
والمَشْرِكِينَ وَدَارَ الشَّرِكِ فِي صَبَبِ

فَنَجِّحِ الفُتُوحَ تَعَالَى أَنْ يُحِيطَ بِهِ
فَتَحُّ فَتَفْتَحِ أَبْوَابَ السَّمَاءِ لَهُ
يَا يَوْمَ وَقَعَةَ عَمُورِيَّةَ انصَرَفَتْ
أَبْقَيْتَ جَدَّ بَنِي الإسلامِ فِي صَعْدِ

الإعجاب والانبهار بهذا النصر العظيم، ومن جهة أخرى حتى يظهر للمتلقي مقدرته الفنية في التصوير من خلال إيراد مكونات مختلفة للصورة.

إن هذا الفتح العظيم (فتح الفتوح) و(فتح تفتح) و(وقعة عمورية) تعبيرات أعلت من قيمة الإسلام، ورفعت رايته عالياً، بينما أبقَت الشرك والكفر في هزيمة وانكسار وخذلان دائم. ويرى الشاعر أن الطبيعة احتفلت وارتدت أثوابها القشبية، وهذا المعنى يمثل حالته النفسية الفرحة، وهي تمثل مستوى أعلى من التعبير، «وكان الطبيعة لها ثياب وثيرية أخرى، وأنها ترتدي وتخلع وفقاً لانفعالاتها، والبدعيون يكثرون من ذلك، ولكنهم قلما يلمسون البعد الذي يتلمسه أبو تمام»⁽²⁹⁾.

بالغ أبو تمام في تصوير الفتح على يد المعتصم أمير المؤمنين، فهو فتح لا يحيط به شعر أو نثر، وهو فتح تفتحت له أبواب السماء ابتهاجاً، وبرزت له الأرض بأثوابها القشبية فرحاً، وقد مال إلى التشخيص عندما صور الأماني وكأنها قد شبت وروبت، وأن أذائها بانث ملأى عملاً، أي أن أمانيه كلها تحققت وملأت الأنفس سعادة وفرحاً⁽²⁷⁾.

حاول أبو تمام أن يثير الدهشة والإعجاب عن طريق عرض الصورة، الأمر الذي قد يؤدي -كما يبدو- «إلى تعديل نواميس الطبيعة، من وجهة نظر أبي تمام وخاصة في تصوير تفتح أبواب السماء، أو تزيين الأرض، ونظائر ذلك من صورته الفنية الكثيرة»⁽²⁸⁾، ويبدو أن ميل أبي تمام إلى المبالغة في تصويره للفتح جاء من باب

● وفي اللوحة الثالثة يقول :

فدأها كل أم برة وأب
كسرى وصدت صدوداً عن أبي كرب
شابت نواصي الليالي وهي لم تشب
ولا ترقت إليها همّة النوب
مخض البخيلة كانت زبدة الحقب
منها وكان اسمها فرجة الكرب
إذ غودرت وحشة الساحات والرحب

أَمْ لَهُمْ لَوْ رَجَوْا أَنْ تُفْتَدَى جَعَلُوا
وَبِرْزَةَ الْوَجْهِ قَدْ أَعَيْتَ رِيَاضَتَهَا
مِنْ عَهْدِ إِسْكَندَرَ أَوْ قَبْلَ ذَلِكَ قَدْ
بَكَرَ فَمَا افْتَرَعَتْهَا كَفْ حَادِثَةً
حَتَّى إِذَا مَخَّضَ اللَّهُ السَّنِينَ لَهَا
أَتَتْهُمْ الْكُرْبَةُ السَّوْدَاءُ سَادِرَةً
جَرَى لَهَا الْفَالُ نَحْسًا يَوْمَ أَنْقَرَةَ

استعصت على الفاتحين والغزاة. أجد الشاعر هنا قد مزج بين الجنس والحدث، بحيث خلع على عملية الفتح لعمورية وهزيمة أهلها كافتراع البكر؛ لأن هذه المدينة لم يدخلها غاز منذ أبد الدهر، وهنا يريد الشاعر أن يظهر قوة المعتصم وجيشه، والمعتصم بهذا الفتح يكون قد كسر القاعدة التي تقول: إن عمورية التي صمدت أمام الليالي التي شابت ولم تشب هي، والتي وقفت بثبات أمام الأهوال والحروب عبر السنين الطويلة، وحلت عليهم الكربة السوداء : لتسمى بفرجة الكرب؛ لأنه جاء بعدها من دمرها، وهو المعتصم الذي انتقم من أهلها لفلطتهم بزيطرة. والشاعر جاء بهذا «الحس الأسطوري العام الذي أخذ به العرب في التشاؤم والتفاؤل، أو السعد والنحس، وقد وظف الشاعر هذا الفتح من خلال هذا المستوى التصويري في خدمة قضية لمدح، وكأنه يسترجع التاريخ الأدبي، فلا يرى غضاضة في تصوير عظمة عدو ومدوحه، كما صور عظمة ومدوحه»⁽³¹⁾.

والشاعر في هذه اللوحة، يتحدث فيها عن عمورية التي كانت حصينة قوية، وعجز عن فتحها جبابرة العالم ككسرى وأبي كرب والإسكندر، ها هي اليوم تفتح أمام قوة المعتصم وصلابة جيشه، والشاعر في هذه الصورة التي جاء بها إلى عمورية، مزج فيها بين الشخصيات التاريخية، و الزمن، مشبهاً عمورية بامرأة كان لها قيمتها عند أهلها، يصل الأمر بهم في احترامها وتقديرها إلى درجة التقديس، وهذه المرأة السافرة (عمورية) لم يتمكن عتاة الأرض من النيل منها، والشاعر إذ يستذكر كسرى وأبي كرب والإسكندر، إنما يورد هذه الأسماء في نطاق التعظيم والملحمية؛ لأن لهم إلهابهم التاريخي المغنى على باب الأسطورة، وهذا يمنح هالات لا نهائية من الإيحاءات على الفتوح والانتصارات، ولا نهائية الصور سمة من سمات الإبداع؛ لأن التجربة ذاتها لا نهائية، ولأن هذه الأسماء منحت الصفة شبه الملحمية للموقعة والقصيدة⁽³⁰⁾.

والشاعر عندما جاء بمصطلح (وبرزة الوجه) في البيت الثاني، وهي المرأة السافرة التي لا تهاب الرجال، مشبهاً بها عمورية التي

● ويقول في اللوحة الرابعة:

كَانَ الْخَرَابُ لَهَا أَعْدَى مِنَ الْجَرَبِ
قَانِي الذَّوَانِبِ مِنْ أَنِّي دِمَّ سَرِبِ
لَا سِنَةَ الدِّينِ وَالْإِسْلَامِ مَخْتَصِبِ
لِلنَّارِ يَوْمًا ذَلِيلَ الصَّخْرِ وَالخَشْبِ
يُقْلِبُهُ وَسَطَهَا صَبِغٌ مِنَ اللَّهَبِ
عَنْ لُونِهَا وَكَانَ الشَّمْسُ لَمْ تَغِبِ
وِظْلَمَةٌ مِنْ دَخَانٍ فِي ضَحَى شَحْبِ
وَالشَّمْسُ وَاجِبَةٌ مِنْ ذَا وَلَمْ تَجِبِ
عَنْ يَوْمٍ هِجَاءٍ مِنْهَا طَاهِرِ جُنْبِ
بَانَ بِأَهْلٍ وَلَمْ تَغْرَبْ عَلَى عَزْبِ

لَمَّا رَأَتْ أَخْتَهَا بِالْأَمْسِ قَدْ خَرِبَتْ
كَمْ بَيْنَ حَيْطَانِهَا مِنْ فَارِسٍ بَطَلِ
بِسِنَةِ السَّيْفِ وَالخَطِيٍّ مِنْ دَمِهِ
لَقَدْ تَرَكْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِهَا
غَادِرَتْ فِيهَا بِهِمِ اللَّيْلِ وَهُوَ ضَحَى
حَتَّى كَانَ جَلَابِيبَ الدَّجَى رَغِبَتْ
ضِيءً مِنَ النَّارِ وَالظُّلْمَاءِ عَاكِفَةً*
فَالشَّمْسُ طَالَعَةٌ مِنْ ذَا وَقَدْ أَفْلَتْ
تَصِيرُحَ الدَّهْرِ تَصْرِيحَ الْغَمَامِ لَهَا
لَمْ تَطْلُعِ الشَّمْسُ فِيهِ يَوْمَ ذَاكَ عَلَى

لأن الليل قد أشعل فيها نارا أحرقت بلدة الروم، فالليل لم يحل بهم، وكان الشمس ما زالت لم تغب، ولفداحة الأمر الذي شمل المتزوج والأعزب، كناية عن شمول أهل البلدة كلها، فقد أصيب هؤلاء كلهم بما حل في البلدة من خراب وتدمير وتفتيل، فهو يوم مميز لم تطلع شمس يوم على أهل هذه البلدة مثل هذا اليوم. والشاعر عندما جعل الصخر والخشب يحترقان، ويذلهما الشاعر، يكون قد أنزل الصخر من مكانته الصامدة الصلبة القوية وأسقطه من كبريائه، وكذا الأمر بالنسبة للخشب، والشاعر في هذا الأمر يلجأ إلى أسلوب التشخيص : ليفعل من الصور التي حشدها في ذهن المتلقي، ويعطي فاعلية وحيوية للحدث أكثر.

يستمر الشاعر في تصوير ما حل بعمورية على يد الخليفة المعتصم، فقد أصابها عدوى الخراب والتدمير كعدوى الجرب، وفرسانها قد تلطخت رؤوسهم بالدم، وما حل بهم -في البيت الثالث- كان بسببهم هم لا بسبب الإسلام، فقد قتلوا بسيفهم؛ لأنهم جرؤا الويل على أنفسهم، وهذا بيت تعليلي وتبريري، ولا تخلو القصائد المدحية من مثل هذه الأبيات⁽³²⁾.

تتجلى مقدرة الشاعر في البيت الرابع إلى آخر أبيات هذه اللوحة، عندما يصف الشاعر ما أذاقه أمير المؤمنين للروم، إذ أذاقهم يوماً شديداً قويا مذلاً لهم ذلاً أصاب الجماد من صخر وخشب، حتى كأن الناس أصبحوا لا يدرون ما حل بهم، ولا يدرون الليل من النهار؛

«وإنما سبيل هذه المعاني سبيل الأصباغ التي تعمل منها الصور والنقوش»⁽³³⁾. وهنا تظهر مقدرة الشاعر في تصويره الصخر والخشب والدجى والشمس، وكأنها كائنات حية تشعر لما يصيبها أو يعتريها.

وإذا ما طالعنا الأبيات من (5-8) نجد الشاعر يرسم صوراً متعارضة متناقضة غريبة، يستخدم الأصباغ البديعة التي مزجها من خلال خبرته الواسعة بأسرار صنعه الفنية، ليخرج منها صوراً حسية يمزج فيها اللون بالمشاعر ليحقق المعنى الذي يريد،

● ثم يقول في اللوحة الخامسة:

غَيْلَانُ أَبْهَى رَبِي مِنْ رَبْعِهَا خَرِبٍ
أَشْهَى إِلِي نَاطِرِي مِنْ خَدِّهَا التَّرِبِ
عَنْ كُلِّ حَسَنِ بَدَأَ أَوْ مِنْظَرَ عَجَبٍ
جَاءَتْ بِشَاشَتِهِ عَنْ سُوءِ مَنْقَلَبٍ
لَهُ الْعَوَاقِبُ بَيْنَ السُّمْرِ وَالْقَضِبِ
لِلَّهِ مَرْتَقِبٌ فِي اللَّهِ مَرْتَعِبٌ
يَوْمًا وَلَا حَجَبَتْ عَنْ رُوحٍ مَحْتَجِبِ
إِلَّا تَقَدَّمَهُ جَيْشٌ مِنَ الرَّعْبِ
مَنْ نَفْسِهِ، وَحَدَّهَا، فِي جَحْفَلٍ لَجِبِ
وَلَوْ رَمَى بِكَ غَيْرَ اللَّهِ لَمْ يَصِبِ
وَاللَّهُ مِفْتَاحُ بَابِ الْمَعْقَلِ الْأَشْبِ
لِلسَّارِحِينَ وَلَيْسَ الْوَرْدُ مِنْ كَثْبِ
ظُلْبِي السِّيُوفِ وَأَطْرَافِ الْقَنَا السُّلْبِ
دَلَّوْا الْحَيَاتِينَ مِنْ مَاءٍ وَمِنْ عَشْبِ

مَا رِبْعُ مِيَّةٍ مَعْمُورًا يَطِيفُ بِهِ
وَلَا الْخُدُودُ وَقَدْ أَدْمِينَ مِنْ خَجَلِ
سَمَاجَةٍ غَنِيَّتْ مِنْ الْعَيُونَ بِهَا
وَحُسْنُ مَنْقَلَبٍ تَبْدُو عَوَاقِبِهِ
لَوْ يَعْلَمُ الْكُفْرُ كَمْ مِنْ أَعْصِرِ كَمَنْتِ
تَدْبِيرِ مَعْتَصِمٍ بِاللَّهِ مُنْتَقِمِ
وَمِطْعِمِ النَّصْرِ لِمَ تَكْهَمُ أَسْنَتَهُ
لَمْ يَغْزِ قُوْمًا، وَلَمْ يَنْهَضْ إِلَى بَلَدِ
لَوْ لَمْ يَقْدِرْ جَحْفَلًا، يَوْمَ الْوَعْيِ، لَغَدَا
رَمَى بِكَ اللَّهُ بِرَجِيهَا فَهَدَمَهَا
مَنْ بَعْدَ مَا أَشْبُوها وَاثْقِينَ بِهَا
وَقَالَ ذُو أَمْرِهِمْ لَا مَرْتَعُ صَدْرِ
أَمَانِيَا سَلَبْتَهُمْ نَجْحَ هَاجِسَهَا
إِنَّ الْحَمَامِينَ مِنْ بَيْضٍ وَمِنْ سُمْرِ

المعتصم بالله، المنتقم لله، المراقب لله، والخائف الوجل منه الراغب بما عنده، فهذا المعتصم الذي يتقدمه جيش الرعب والفرع الذي يحيق بأعدائه قبل أن يصل إليهم خوفاً منه، فهذا هو المعتصم الذي رمى به الله أبراج عمورية فهدمها، بعدما حصنوها بكل ما يملكون من قوة، ولكن السيوف الحادة والرماح القوية تمكنت من تدميرها، ونزول المعتصم وجيشه إلى ساحتها يعمل فيها ما يريد.

والشاعر يحاول في هذه الأبيات أن يقدم صورة تعكس مقاييس الجمال والقبح طبقاً لواقعه الانفعالي إزاء الحدث الضخم، الأمر الذي دفع الشاعر إلى هذا العرض التصويري الطريف لقوانين الأشياء، وقد تغايرت طبقاً لقياسه الفني، وتخلت عن القياس المنطقي والطبيعي لها⁽³⁶⁾. وأجد الشاعر يحقق تناسلاً عندما قال: (تقدمه جيش من الرعب) مع الحديث الشريف: (نصرت بالرعب مسيرة شهر)، وهذا يدل على توظيف الشاعر لثقافته الدينية التي يتمتع بها. والشاعر في البيت السادس يعمد إلى ظاهرة بديعية وهي ظاهرة التقسيم؛ ليظهر مقدرة الشعرية في تطويره للغة وتوظيفها توظيفاً دلالياً مناسباً.

كَأْسَ الْكُرَى وَرُضَابَ الْخُرْدِ الْعُرْبِ
بَرْدِ الثُّغُورِ وَعَنْ سَلْسَالِهَا الْحَصْبِ
وَلَوْ أَجَبْتَ بِغَيْرِ السَّيْفِ لَمْ تَجِبِ
وَلَمْ تَعْرِجْ عَلَى الْأَوْتَادِ وَالطَّنْبِ

ولهذا المقطع مع المقطع الأخير من القصيدة أهمية في توصيف القصيدة كلها، وإدراجها ضمن فن المديح الحربي، ولعل هذه القصيدة حملت في طياتها دفقات شعورية، وطاقت انفعالية صادقة، برز فيها موقف الشاعر، ورويته الخاصة للحدث، والشاعر لا يتوانى في تصويره للمعتصم بطلاً عملاقاً يذكرنا بأبطال السيرة التاريخية أو الملحمة مع ما أضفى عليه من الصفات الدينية⁽³⁷⁾.

يستذكر الشاعر في هذه اللوحة ذا الرمة ومحبوته مية، وما بينهما من حب؛ ليجعله واقعاً في باب الأسطورة؛ ليتوانى في الذهن مع كسرى والإسكندر في إحياء لامتناهي، وأبو تمام هنا يسترجع ذلك في شعره، ويزعم أن منظر الخراب في عمورية أجمل من منظر ربع الحبيبية المعمور، وكأن أبا تمام يوطد لإحساسه في الفرح بالخراب والدمار، ولعله في ذلك يؤلف بين مظاهر الحياة والموت والحب والحقد والفرح والترح؛ ليظهر شماتته بما حل بالأعداء⁽³⁴⁾. ويحاول الشاعر أن يتساوق مع موقف ذي الرمة مع محبوته بما فيه «من لهفة وشوق حين يدور حول ديارها، وما في الموقف النفسي لأبي تمام هنا بما يشف عنه من سعادته وفرحته بطبيعة المشهد، فهنا تسيطر روح التشفي ورغبته في الانتقام من أعداء الإسلام»⁽³⁵⁾.

وإن سوء المنقلب الذي حلّ بعمورية نتج عنه حسن منقلب للمعتصم وجيشه، الذي توج بالانتصار، حينما أذقت سيوف المعتصم ورماحه الدمار لأهل عمورية، وهذا كله كان من تدبير

● اللوحة السادسة: سبب المعركة وتلبية المعتصم يقول الشاعر:

لَبَيْتَ صَوْتًا زِبْطِيًّا هَرَقْتَ لَهُ
عِدَاكَ حُرَّ الثُّغُورِ الْمَسْتَضَامَةَ عَنْ
أَجْبَتَهُ مُعَلْنَا بِالسَّيْفِ مُنْصَلْتَا
حَتَّى تَرَكْتَ عَمُودَ الشَّرْكَ مُنْقَعِرًا

يعمد الشاعر في هذه الأبيات إلى ذكر سبب المعركة، عندما لبي المعتصم استغاثة المرأة الزبطرية، إذ بدأ الاستعداد، وترك الراحة، حتى أذاق ثغور الروم حر المعركة، وأجاب ذلك الصوت بصوت السيوف حتى هزم الكفار، وترك عمود شركهم ورايتهم مهزومة، وبيوتهم لم تقم لها قائمة.

به في البيت الأول (كأس الكرى) و(رضاب الخرد)، والبيت الثاني (جر الثغور) و(برد الثغور)، وفي البيت الرابع (تركت عمود الشعر مُنقراً)... فأبو تمام «يقول الشعر أحياناً لذاته، وتحقيقاً لرغباته، وتعبيراً عما يجيش به صدره»⁽³⁸⁾.

وأجد الشاعر في هذه اللوحة يتعامل مع ما نسميه اليوم بقضية التلقي والتأويل، حتى يتيح للمتلقي أن يتلقى شعره بطرق تأويلية تتناسب مع شعره، الذي يفاخر به بأنه للخاصة وليس للعامة، وهذا ما اتضح في مواضع كثيرة من شعره، ومنه ما جاء

● اللوحة السابعة: ثم يصف أبو تمام قائد الروم «توفلس» وما حل بجيشه:

وَالْحَرْبُ مَشْتَقَّةٌ مَعْنَى مِنَ الْحَرْبِ
فَعَزَّهُ الْبَحْرُ ذُو النِّبَارِ وَالْعَبَبِ
عَنْ غَزْوٍ مُحْتَسِبٍ لَا غَزْوٍ مُكْتَسِبٍ
عَلَى الْحَصَى وَبِهِ فَقَرَ إِلَى الذَّهَبِ
يَوْمَ الْكَرْيَةِ فِي الْمَسْلُوبِ لَا السَّلْبِ
يَسْكُنَةُ تَحْتَهَا الْأَحْشَاءُ فِي صَحْبِ
يَحْتِ أَنْجَى مَطَايَاهُ مِنَ الْهَرْبِ
مَنْ خَفَةَ الْخَوْفَ لَا مِنْ خَفَةِ الطَّرِبِ
أَوْسَعَتْ جَاحِمَهَا مِنْ كَثْرَةِ الْحَطَبِ
جَلُودَهُمْ قَبْلَ نَضْجِ النَّيْنِ وَالْعِنَبِ

لَمَّا رَأَى الْحَرْبَ رَأَى الْعَيْنَ تُوْفَلِسَ
غَدَاً يَصْرِفُ بِالْأَمْوَالِ جَرِيَّتَهَا
هَيْهَاتَ! زَعَزَعْتَ الْأَرْضَ الْوَقُورُ بِهِ
لَمْ يُبْفِقِ الذَّهَبَ الْمَرِيْبِي بِكَثْرَتِهِ
إِنَّ الْأَسْوَدَ أَسْوَدَ الْغَابِ هَمَّتْهَا
وَلِي، وَقَدْ الْجَمَ الْخَطِيَّ مَنْطِقَهُ
أَحْسَى قَرَابِينَهُ صَرْفَ الرَّدَى وَمَضَى
مُوكَلًّا بِبِفَاعِ الْأَرْضِ يَشْرِفُهُ
إِنْ يَعْدُ مِنْ حَرِّهَا عَدُوَّ الظَّلِيمِ، فَقَدْ
تَسْعُونَ أَلْفًا كَأَسَادِ الشَّرَى نَضَجَتْ

وفراراً من أرض المعركة، ولم ينفعه تسعون ألفاً من مقاتليه الذين هزموا على يدي المعتصم وجنده، والشاعر في هذه اللوحة يعرض صور الهزيمة المادية والمعنوية التي لحقت بتوفلس الرومي، فهو يوزع الأموال وينفق الذهب، لكنها لم تفعل له شيئاً، وفرّ خائباً خاويًا ترتعد فرائصه خوفاً...

ويتجه الشاعر الآن إلى ذكر قائد الروم (توفلس) الذي حلت به الهزيمة، وولى هارباً ولم يعقب، والخوف يملأ عليه كيانه، ولم تنفعه الأموال التي كان يوزعها استرضاءً أو رشوةً للآخرين، إذ تفرق جيشه بعد أن قتل منه كثير، وأخذ يعدو كالظليم خوفاً وجبناً

● وفي اللوحة الثامنة، يقول:

طَابَتْ وَلَوْ ضُمَخَتْ بِالمَسْكَ لَمْ تَطْبِ
حَيَّ الرُّضَى مِنْ رِدَاهُمْ مَيْتَ الغُضْبِ
تَجْتَوُ الْقِيَامَ بِهِ صُغْرًا عَلَى الرُّكْبِ
وَتَحْتِ عَارِضُهَا مِنْ عَارِضِ شَنْبِ
إِلَى الْمُخْذِرَةِ الْعِذْرَاءِ مَنْ سَبِ
تَهْتَرُ مِنْ قَضْبِ تَهْتَرُ فِي كَثْبِ
أَحْقُ بِالْبَيْضِ أَبْدَانًا مِنَ الْحَجْبِ

يَا رَبَّ حُوبَاءَ لَمَّا اجْتَثَّ دَابِرَهُمْ
وَمُعْضِبَ رَجَعَتْ بِيضَ السُّيُوفِ بِهِ
وَالْحَرْبُ قَائِمَةٌ فِي مَازِقِ لَجِجِ
كَمْ نَيْلٍ تَحْتِ سَنَاهَا مِنْ سَنَا قَمَرِ
كَمْ كَانَ فِي قَطْعِ أَسْبَابِ الرُّقَابِ بِهَا
كَمْ أَحْرَزَتْ قَضْبَ الْهِنْدِيِّ مُصْلِتَةً
بِيضَ، إِذَا انْتَضَيْتِ مِنْ حَجْبِهَا، رَجَعَتْ

والجناس تنطق حيوية وفاعلية، مثل: (من خدها الترب، لم يعلم الكفر، كمننت له المنية، مطعم النصر، أجم الخطي منطق، خفة الخوف، الحرب في مازق لجب...) ولذلك «حين ننظر في نصوص أبي تمام التي حفلت بالشعرية -الانزياح واللاتجانس والتنافر- نجدتها قد انعطفت بالسياق الشعري العربي، مما جعلها تحدث هزة استقبالية حادة في عصره، دفعت نقاد عصره إلى أن يتنكروا له ويرفضوه، ويحاولوا نفيه من دائرة الشعر»⁽³⁹⁾.

ويستمر الشاعر في وصف مشهد الهزيمة ذاته، فقد اجتث دابر الأعداء، وأصبح جنود الأعداء في مازق شديد، جاثين على ركبهم، أذلاء مهزومين، ويأتي الشاعر بـ (كم) التكريرية للمبالغة وتعظيم ما حل بالمهزومين، من جراء السيوف المعتمية القوية القاطعة. والشاعر أبو تمام في لوحاته الأخيرة حاول أن يقدم صوراً جعل معانيها -وإن كانت قديمة- وبعد أن مزجها بالطباق

● اللوحة التاسعة: ثم يقول في الختام:

جُرْثُومَةَ الدِّينِ وَالْإِسْلَامِ وَالْحَسْبِ
نَنَالُ إِلَّا عَلَى جِسْرِ مِنَ التَّعَبِ
مُوصُولَةَ أَوْ نَهَامَ غَيْرِ مُنْقَضِ
وَبَيْنَ أَيَّامِ بَدْرِ أَقْرَبِ النَّسْبِ
صَفَرَ الْوُجُوهِ وَجَلَّتْ أَوْجُهُ الْعَرَبِ

خَلِيفَةَ اللَّهِ جَارِي اللَّهِ سَعْيِكَ عَنْ
بَصُرَتْ بِالرَّاحَةِ الْكَبِيرِي فَلَمْ تَرَهَا
إِنْ كَانَ بَيْنَ صُرُوفِ الدَّهْرِ مِنْ رَحِمِ
فَبَيْنَ أَيَّامِكَ اللَّاتِي نَصُرْتَ بِهَا
أَبْقَتْ بَنِي الْأَصْفَرِ الْمِمْرَاضِ كَأَسْمِهِمْ

بها، وغلبت نسبته إليها، ثم جاء دمشق نحو سنة 494هـ، وبقي فيها إلى نحو سنة 527هـ، زار خلالها بغداد، ثم استقر في حلب وتولى فيها خزانة الكتب. سافر خلالها إلى الموصل وأنطاكية، ثم قدم دمشق سنة 547هـ، مات في دمشق في 22 شعبان سنة 548هـ. وأعقب الشاعر، وبقيت الوجاهة والنباهة والعلم والتقوى في عقبه إلى ق 8هـ.

تعلم الأدب واللغة والنحو، وتمرس بنظم القريض. درس الأحكام والهيئة، وتعلم الحساب والهندسة والتنجيم، وتولى مهنة إدارة الساعات على باب جيرون عند المسجد الأموي. وكان وافر الحظ للأخبار والتواريخ، وتمرس بالكثير من مسميات الحرب ومصطلحاتها، كان مثقفاً بالعلوم الدينية التي تتصل بالقرآن والفقه والحديث، وعندما هزم نور الدين الفرنج في معركة إنب وقاتل جمعاً كبيراً منهم، ومن بينهم البرنس صاحب أنطاكية، قال ابن القيسراني قصيدته -موضع الدراسة- منشداً إياها لنور الدين بجسر الحديد الفاصل بين عمل حلب وبين عمل أنطاكية⁽⁴²⁾.

قرأ الأدب على توفيق بن محمد الدمشقي، واتصل بشاعر الشام في عصره ابن الخياط، وتأدب عليه، ويبدو أنه لمس عنده موهبته الشعرية، فعني به وشجعه، وبصره بمذاهب الفني، مدح ملوك الزنكيين، كعماد الدين ووزيره الجواد جمال الدين، ثم مدح نور الدين الذي استقر في بلاد الشام بعد والده؛ لأنه كان معجباً بنور الدين زكي الذي أنقذ الدين وطهر بلاد الشام من الصليبيين، فسجل الشاعر فتوحه ووقائعه؛ ليؤرخ بشعره الفتوح ويعبر عن شعوره وعواطفه، ولعل أبرز المعارك التي أرخ لها هي معركة إنب، وذلك في سنة 544هـ، كقول ابن القيسراني:

عِنْدَ مَلُوكِ الشُّرَكَ مَشْهُودِ

ومما يؤخذ على ابن القيسراني في شعره الجهادي، هو اتخاذه السابقين من الشعراء قدوة له في نظم هذا الشعر، كإقتدائه بأبي تمام والمتنبي مثلاً، فهو حين يريد أن يعبر بشعره عن وقائع الحروب الصليبية، «تراءى له أنه لا يفياها حقها من الوصف والتصوير، إلا إذا استعار أدوات الفحول السابقين له في التعبير عن وقائع مشابهة، فكان أن تراءت أحداث العصر له صوراً من الأحداث الماضية، لا يفرقها عنها إلا الأسماء الجديدة للناس والأماكن... ومن ثم بهتت سمة الواقعية فيها، وأصبحت نسخاً منقولة عن صور سابقة»⁽⁴⁴⁾.

وشعر ابن القيسراني يبدو «وكأنه معرض لأنواع الزخارف اللفظية ما بين جناس وطباق وتقسيم وحسن تعليل وتورية وترصيع، ولعب على الألفاظ وغلو ومفارقات... إلى آخر أنواع فن الزخرف البديعي»⁽⁴⁵⁾، لعله في ذلك يحاول أن يطاول أبا تمام، ويصل إلى درجته الشعرية، أو على الأقل يرفع من قدرته الفنية في شعره.

وبين التقليد والتجديد اتجه ابن القيسراني وغيره من شعراء الحروب الصليبية نحو عمالقة الشعر العربي قبلهم، فجاءت الحركة الشعرية متساوقة بين فن الشعر وحركة الحروب الصليبية بدءاً من تصوير دوافعها وطبيعتها ومساراتها، إلى عرض الحركة المضادة

ويأتي مشهد الختام بدعاء من الشاعر أن يجزي الله الخليفة خير الجزاء؛ لما قام به من دفاع عن الدين وأهله، فأمرير المؤمنين المعتمصم رأى أن راحته الكبرى، وسعادته العظمى، لا تكون إلا بالتعب، وقتال الأعداء، ودرهمهم، ثم يحاول الشاعر أن يجعل صلة أو مشابهة بين فتح عمورية ومعركة بدر من حيث الأهمية والمكانة، وأن هذه المعركة أبقت الكفار في ضلال وهزيمة وذلة وخسران، وأبقت أمة العرب والإسلام في عز ونصر وفرح، وهذه الصورة التاريخية التي سيطرت هنا يرى فيها أبو تمام دقة الصلة بين غزوة بدر الكبرى، وبين هذا الفتح المعتمصمي، «ولكن أضاف في هذا الختام تلك الموازنة الطريفة بين مشهد وجوه الروم، وقد سيطرت عليهم الذلة والهزيمة، ومشهد وجوه المسلمين وما بدا عليها من البشر والسعادة بنتائج هذا الفتح وعظمة صاحبه»⁽⁴⁰⁾، وما عمورية إلا امتداد لبدر، فقد جاء هذا النصر بعد تعب ومشقة، عز بعدهما العرب، وذل الأعداء، وهلت أضواء النصر بدل ظلمة دهماء⁽⁴¹⁾، وبذلك استطاع الشاعر أن يصور فرحة النصر عند المسلمين، وكيف بدت بشائر العزة على جيش المعتمصم، وعلامات الهزيمة والانكسار على جيش الروم.

الفصل الثاني:

حياة ابن القيسراني الشخصية والشعرية:

هو أبو عبد الله، محمد بن نصر بن صغير، المعروف بابن القيسراني، وبالقيسراني، يصل نسبه في بعض المصادر إلى الصحابي خالد بن الوليد، ولد في مدينة عكا الفلسطينية سنة 478هـ، ثم انتقلت به أسرته إلى مدينة قيسارية الساحلية، فنشأ

وَكَمْ لَهُ مِنْ وَقَعَةٍ يَوْمَهَا

وكان قد مدحه سنة 534هـ حين انتصر على الصليبيين في بعض المواقع، وفي سنة 539هـ حين استولى على الرها. وللشاعر قصائده الثغريات عندما كان يتردد على أنطاكية والتي تعد من أجمل قصائده الشعرية، وعند عودته إلى دمشق بعد حلب نظم قصائد مدحية كثيرة في الأسرة الحاكمة، حيث لقي منهم التكريم والاحترام، بعد الجفاء بينه وبين نور الدين قبل رحيله من حلب إلى دمشق، ونلمح في شعره اتجاهات عامة ثلاثة هي: تصور الأحداث الكبرى في بلاد الشام، والاتجاه التقليدي في المدح، والتجديد في معاني الغزل والنسيب. أشار الأقدمون إلى ديوان كبير للشاعر، ولكنه لم يصل إلينا، وما وصل هو ديوان صغير اختاره من شعره وقصره على الثغريات، وعلى مقطعات متفرقة، وأهم قصائده الطنانة في مدح نور الدين وغيره⁽⁴³⁾.

ابن القيسراني بين التقليد والتجديد:

لئن لبس أبو تمام ثوب التقليد وتسربل ثوب التجديد، فإن ابن القيسراني لبس ثوب التقليد فقط، وإن حاول أن يتسربل ثوب التجديد، ولكنه سرعان ما يخلعه تحت ضغط التقليد، وخاصة تقليده لأبي تمام والمتنبي، تحت اتباعية عنيفة جعلته يحتذي حذوهم في أفكارهم ومعانيهم وألفاظهم، حتى في أوزانهم وقوافيهم، كما فعل في بائيته في مدح نور الدين زكي بعد انتصاره على الروم في معركة إنب، مقلداً في ذلك أبا تمام تقليداً كبيراً إلى درجة الاقتداء والاحتذاء.

فيها الأبيات المطبوعة، وقد لاحظنا أن الشاعر كان يتخذ في بعض قصائده هذا المذهب، ويظهر فيه التصنع والتكلف، بيد أنه كان يقتصد في الصنعة أحياناً كما في ثغرياته؛ لأنه كان يستجيب لنداء العاطفة الصادقة، هكذا كان الشاعر في صنعته مطبوعاً تارةً، ومتصنعاً تارةً أخرى، وعلى ذلك ذاع صيته بين معاصريه، فكان رائداً من رواد مذهب التصنع البديعي في هذا العصر⁽⁴⁷⁾، ومن بين الشعراء الذين كان لهم دورهم الواضح والجلي في التصنع.

لها من قبل المسلمين للدفاع عن الدين والوطن، فتوحد الشعراء في تكوين تصوير تقليدي يضع في اعتبارهم موروثهم من الموضوعات القديمة، وصراع المسلمين مع المشركين، ثم «راح شعراء العصر يوثقون التاريخ بقصائدهم، وكأنهم يتلمسون خطى شعراء الروميات من أقطاب العباسيين على نهج أبي تمام في قصائده المشهورة، التي أبرزت تفاصيل الواقع والحروب في عصره»⁽⁴⁶⁾.
ونجد عند ابن القيسراني أن «الأشعار المصنوعة قلما يتفق

قصيدة ابن القيسراني البائية في معركة إنب⁽⁴⁸⁾:

يقول ابن القيسراني يمدح نور الدين بعد انتصاره في معركة إنب، أنشده إياها في جسر الحديد الفاصل بين عمل حلب و عمل أنطاكية:

● اللوحة الأولى:

وذي المكارم لا ما قالت الكتب
تعثرت خلفها الأشعار والخطب
براحة للمساعي دونها تعب
حتى ابتنى قبة أوتادها الشهب
أفضى اتساعاً بما ضاقت به الحقب
وثابت القلب والأحشاء تضطرب
فؤاد رومية الكبرى لها يجب
أودي بها الصلب وانحطت بها الصلب
قولاً لصم القنا في نكره أرب
من يوم يغرا بعيد لا ولا كئيب
كم أسلم الجهل ظناً غره الكذب

هذي العزائم لا ما تدعي القضب
وهذه الهمم اللاتي متى خطبت
صافحت يا ابن عماد الدين ذورتها
ما زال جدك يبني كل شاهقة
لله عزمك ما أمضي وهمك ما
يا ساهد الطرف والأجفان هاجعة
أغررت سيوفك بالإفرنج راجفة
ضربت كبشهم منها بقاصمة
قل للطغاة وإن صمت مسامعها
ما يوم إنب والأيام دائلة
أغرکم خدعة الآمال ظنكم

الشاعر في لوحته الأولى، وفي مطلع قصيدته المدحية لنور الدين زنكي، يعتمد إلى الماضي مقلداً، وإلى شاعر كبير كأبي تمام مقتدياً به في قصيدته التي مطلعها:

في حده الحد بين الجد واللعب

السيف أصدق أنباء من الكتب

ويهتم بما سيقوله الشاعر، وبأن ما سيقوله هو أمر عظيم جليل. ثم يحشد مفردات أضيفت إلى غيرها في سياقات تحتاج من المتلقي أن يقف عندها، حتى يؤولها وفق رؤيته الفنية والجمالية، وذلك مثل: (تدعي القضب، الهمم خطبت، تعثرت الأشعار والخطب، صافحت ذروتها، ابتنى قبة، ضاقت الحقب، الأجفان هاجعة، الأحشاء تضطرب، سيوفك راجفة، خدعة الآمال،...) إن مثل هذه الألفاظ وما ورد غيرها في اللوحات الأخرى تتطلب من المتلقي وقفات تأملية وتأويلية؛ لأن "اللغة المعيارية هي الخلفية التي ينعكس عليها التحريف الجمالي المتعمد للمكونات اللغوية للعمل، أو بعبارة أخرى الانتهاك المتعمد لقانون اللغة المعيارية"⁽⁴⁹⁾؛ ولهذا فإن للنص إذا ما أنجز حياة مستقلة عن صاحبه، قد تتجاوز تجاوزاً كاملاً ما أرادته صاحبه منه⁽⁵⁰⁾.

ولذا أجد ابن القيسراني يتفق مع أبي تمام في هذه القصيدة، فهو يسير على نهجه في وزن القصيدة، وهو البحر البسيط، وفي رويها حرف (الباء)، وفي الكثير من المعاني والألفاظ، حتى في الصور وأنواع البديع كالتطابق والجناس وغيرها.

والشاعر ابن القيسراني، وكما قال أبو تمام، يكذب ادعاءات المنجمين، ويثبت أن الإصرار على جهاد الصليبيين، وشحن الهمم، والزحف والقتال وخوض المعارك هو أفضل طريق لصد الغزاة المحتلين، والشاعر في هذا المطلع يعرض صوراً لنور الدين، يظهر من خلالها عزائم الماضي، ومكارمه الواسعة، وهممه العالية، ويأنه ابتنى له مجداً أوتاده الشهب، ويأنه أعمل سيوفه في أحشاء الإفرنج، فسيطر عليهم الخوف والهلع، إلى أن أصبح يوم إنب من الأيام التي لها صدارتها في التاريخ الإسلامي المجيد. والتي كشفت الآمال الخادعة التي كان يعيشها الإفرنج بأنهم أقوياء، حتى دك حصونهم، وهزمهم نور الدين.

ويبدو لابن القيسراني أن نور الدين كان نموذجاً للقائد الذي يتصف بمضاء العزم، وعلو الهمة، والسهر على مصلحة الأمة، وثبات القلب، وقوة البأس، وشدة الفتك، والاهتمام بتحسين البلاد وتقويتها⁽⁵¹⁾ إلى غير ذلك من الصفات التي خلعتها عليه في المحطات القادمة.

ولعل الشاعر وفق في توظيفه لبعض المفردات، كما حصل في استخدامه لاسم الإشارة (هذي، هذه) كمنبهات للمتلقي حتى ينتبه

● اللوحة الثانية: يقول فيها:

وكان دين الهدى مَرْضَاتِهِ الغَضْبُ
طَهَارَةٌ كُلِّ سَيْفٍ عِنْدَهَا جَنْبُ
فَالْحَرْبُ تُضْرِمُ وَالْأَجَالُ تُحْتَطَبُ
قَوَائِمُ خَائِنُهُنَّ الرِّكَضُ وَالخَبَبُ
كَمَا اسْتَقَلَّ دَخَانُ تَحْتَهُ لَهَبُ
لَا الْبَيْضُ ذُو ذِمَّةٍ فِيهَا وَلَا الْيَلْبُ
سِوَى الْقَسِيِّ وَأَيْدٍ فَوْقَهَا سَحَبُ
كَأَنَّمَا الضَّرْبُ فِيمَا بَيْنَهُمْ ضَرْبُ
مَصَادِرِ أَقْلُوبٍ تَلِكُ أُمَّ قَلْبُ

غَضِبْتُ لِلدِّينِ حَتَّى لَمْ يَفْتِكْ رَضَى
طَهَّرْتُ أَرْضَ الْأَعَادِي مِنْ دِمَائِهِمْ
حَتَّى اسْتَطَارَ شَرَارُ الزُّنْدِ قَادِحَةٌ
وَالخَيْلُ مِنْ تَحْتِ قِتْلَاهَا تَحْرَلُهَا
وَالنَّقْعُ فَوْقَ صِقَالِ الْبَيْضِ مَنْعَقِدُ
وَالسَّيْفُ هَامٌ عَلَى هَامٍ بِمَعْرَكَةٍ
وَالنَّبْلُ كَالْوَيْلِ هَطَالٌ وَليْسَ لَهُ
وَاللَّظْبِيُّ ظَفْرٌ حَلَوٌ مَذَاقَتُهُ
وَلِلْأَسْنَةِ عَمَّا فِي صُدُورِهِمْ

كالبئر الذي تنزل فيها الدلاء.

والشاعر في هذه اللوحة يقدم صوراً تتناسب مع النصر الذي أحرزه نور الدين، فيصور عملية تطهير البلاد من الروم بطهارة السيف من نجاسة دمهم، وصور الحرب كأنها نار تضرم، والآجال تحتطب، والنقع منعقد، والسيف هام على هام، إلى غير ذلك، كل هذه الصور التي عمل الشاعر على تركيبها وإبرازها - مع ما ظللها به من الطباق والجناس - ما هي إلا إعادة إنتاج عقلية لتجربة عاطفية⁽⁵²⁾ ملأت قلب الشاعر وكيانه، لفرحه بالنصر العظيم.

فاستسلموا وهي لا نبع ولا غربُ
لاقى العدى والقنا في كفه قصبُ
يا رب حائنة منجاتها العطبُ
ثارت عليهم بها من تحتها النوبُ
مَسْلُوبَةٌ وَكَأَنَّ الْقَوْمَ مَا سَلَبُوا
فِيمَا مَضَى نَسِيَتْ أَيَامَهَا الْعَرَبُ
مِنَ الْمَلُوكِ فَنُورِ الدِّينِ مَحْتَسِبُ
إِلَّا تَمَرَّقَ عَن شَمْسِ الضَّحَى الْحَجْبُ
وَوَجْهَهُ نَائِبٌ عَن وَصْفِهِ اللَّقْبُ
شَغَلَ فِكْلَ مَدِيحِي فِيهِ مَقْتَضِبُ

خَانُوا فَخَانَتْ رِمَاحُ الطَّعْنِ أَيْدِيَهُمْ
كَذَاكَ مَنْ لَمْ يَوْقِ اللَّهَ مَهْجَتَهُ
كَانَتْ سِيُوفُهُمْ أَوْحَى حَتُوفِهِمْ
حَتَّى الطَّوَارِقُ كَانَتْ مِنْ طَوَارِقِهِمْ
أَجْسَادُهُمْ فِي ثِيَابٍ مِنْ دِمَائِهِمْ
أَنْبَاءٌ مَلْحَمَةٌ لَوْ أَنَّهَا ذَكَرَتْ
مَنْ كَانَ يَغْزُو بِلَادَ الشَّرِكِ مَكْتَسِبًا
ذُو غِرَّةٍ مَا سَمَتْ وَاللَّيْلُ مَعْتَكِرُ
أَفْعَالُهُ كَاسْمِهِ فِي كُلِّ حَادِثَةٍ
فِي كُلِّ يَوْمٍ لِفِكْرِي مِنْ وَقَائِعِهِ

● وفي اللوحة الثالثة: يقول:

غرقى بدمائهم. ثم يبدأ الشاعر بتصوير عظم هذه المعركة التي هي ملحمة عظيمة لا تنسى، كان قائدها وبطلها نور الدين، الذي غزا بلاد الروم محتسباً أجره عند الله، ففعاله أصبحت واضحة للجميع كشمس الضحى، وأخذت من اسمه نوراً وإشعاعاً، ومهما أمدحه - كما يقول الشاعر - لا أفيه حقه. والشاعر هنا يقدم صوراً حسية رآها الناس بأعينهم، ولمسوها بأيديهم، وتمثلوها بعقولهم، فالصورة عند ابن القيسراني هي «تشكيل لغوي، يكونها خيال الفنان، من معطيات متعددة، يقف العالم المحسوس في مقدمتها، فأغلب الصور مستمدة من الحواس إلى جانب ما لا يمكن إغفاله من الصور النفسية والعقلية»⁽⁵³⁾.

ويستمر الشاعر في بداية اللوحة الثالثة يصف ما حلَّ بالأعداء على يد نور الدين، فيصور استسلامهم، وعدم تمكنهم من تسديد رماحهم نحو المسلمين، ويكني الشاعر عن فشلهم في ذلك بخيانة الرماح لأيديهم، والرماح لا تخون، ولكن أصحابها أصابهم الخور والجبن والخوف. ثم يأتي الشاعر بحكمة مفادها: أن من لم يتق الله ويتحصن إيمانه بقوة الله سيلاقي الأعداء خاوياً خائفاً جباناً، كأن الرماح في يديه، كنبات القصب لا قيمة لها.

ويستمر الشاعر في عرض مسلسل الأحداث التي أصابتهم وصور الهزيمة والخذلان الذي لحق بهم، فسيوفهم لم تبعد عنهم مصرعهم، وطوارقهم لم تحمهم من ضربات المسلمين، وأجسادهم

● اللوحة الرابعة، ويقول فيها:

هل يأسر الغلب إلا من له الغلب
وهل له غير أنطاكية سلب
وإن بسائرهما من تحته قتب
برأسه إن إثمار القنا عجب
أنبويه في صعود أصلها صبب
إلا وهامته تاج ولا عذب
بدأ لتعلبها من نخره سرب
فملكتك الظبي ما ليس نحتسب
كأن تسليم هذا عند ذا جرب
كما التقوى بعد رأس الحية الذنب

من باتت الأسد أسرى في سلاسله
فملكوا سلب الإبريز قاتله
من للشقي بما لاقت فوارسه
عجبت للصدرة السمراء مثمرة
سما عليها سمو الماء أرهقه
ما فارتقت عذبات التاج مفرقة
إذا القناة ابتغت في رأسه نفقا
كنا نعد حمى أطرافنا ظفرا
عمت فتوحك بالعدى معاقلها
لم يبق منهم سوى بيض بلا رمق

فتوحه وانتصاراته معاقل وحصون الروم، وينهي الشاعر لوحته هذه بتشبيه الروم كالأفعى التي لا أمان لها؛ لأنها تلدغ عندما يحين الوقت المناسب لها.

وقد عدّ بعضهم الاستعارات والتشبيهات الواردة في هذه الأبيات من صور الإغراب الواردة في شعر ابن القيسراني، ولعل تلمسهم لاختراع المعاني يجيء عن طريق انقذاحها لهم من خلال معانٍ سبقوا إليها⁽⁵⁴⁾.

ويعمد الشاعر في هذه اللوحة إلى تصوير قوة نور الدين، فشبه أسرى الأعداء بأسود مقيدتين بسلاسل الأسر، فلو لم يكن هو أسد قوي هصور لما استطاع أسر هؤلاء. وقد وصل الأمر بنور الدين إلى أن أعطى قاتل (البرنس) القائد الرومي ممتلكاته كغنيمة له، ثم يصف البرنس بالشقي المهزوم، ويصور كيف قتل عندما تعرض رأسه لضربة رمح أجهزت عليه.. ثم يأتي إلى الثناء على القائد نور الدين زنكي، وكيف ملك الأرض وبلاد الروم بحد السيف، الذي عمّت

● اللوحة الخامسة: ويقول في ختام القصيدة:

يوليك أقصى المنى فالقدس مرتقب
فإنما أنت بحر لجه لجب
من الظبي عن ثغور زانها الشنب
حتى أقمت وأنطاكية حلب
فاستحلفت وإلى ميثاقك الهرب
وكيف يثبت بيت ماله طناب
جري الجفون امترها بارح حصب
جسر الحديد هزبر غيله أشب
ياوي إلى جنة المأوى لها حسب
فلا نتمارى أنك القطب
لكان بينكما من عفة نسب
إلا شهدت وعباد الهوى غيب

فانهض إلى المسجد الأقصى بذى لجب
وانذن لموجك لموجك في تطهير ساحله
يا من أعاد ثغور الشام ضاحكة
ما زلت تلحق عاصيها بطائعها
حللت من عقلها أيدي معاقلها
وأيقنت أنها تتلو مراكزها
أجريت من ثغر الأعناق أنفسها
وما ركزت القنا إلا ومنك على
فأسعد بما نلته من كل صالحه
إلا تكن أحد الأبدال في فلك التقوى
فلو تناسب أفلاك السماء بها
هذا ، وهل كان الإسلام مكرمة

إن الذي يستعرض أبيات هذه القصيدة، وما حشد فيها ابن القيسراني من صور واستعارات وتشبيهات، وطباق وجناس، يجد أن الشاعر وإن مال إلى التقليد والمحاكاة لمن سبقه، لكنه وفق في توظيفها، بحيث جاءت معبرة عما يكنه الشاعر في نفسه نحو قائله نور الدين زنكي، وما أحرزه من نصر على الأعداء، وهزيمة للروم، ولعل ذلك يبرز دور المتلقي، وتظهر أهمية نظرية التلقي التي أرسى دعائمها «ياوس» و «إيزر» والتي أعطت المتلقي دورا في تأويل العمل الفني وتحليل أبعاده⁽⁵⁵⁾.

وقد أفاد الشاعر في قصيدته من استخدامه أسلوب المقابلات البلاغية التي جاءت كالطباق والجناس والاستعارة... والتي وردت كأساليب للتعبير عن الحركة في القصيدة، وكشفت عن ملموسات أو مرئيات أو مسموعات في الصورة الشعرية⁽⁵⁶⁾، مما يشكل شبكة

ويأتي المشهد الأخير في اللوحة الأخيرة من هذه القصيدة، ليدعو الشاعر القائد نور الدين للنهوض لتحرير المسجد الأقصى على رأس جيش قوي، يظهر معه القدس والسواحل الفلسطينية والشامية من الصليبيين، كما فعل بأنطاكية وحلب وغيرها، التي أخذت تتساقط الواحدة تلو الأخرى. والشاعر في هذا المقطع يعمد في خطابه إلى القائد نور الدين طالبا منه أن يستمر في تحرير البلاد الإسلامية، وأن يستمر في حرب الروم حتى يقصدهم عن بلاد المسلمين، ولعل الشاعر قد عرض في هذا المشهد كثيرا من الصور والتشبيهات والاستعارات والكنائيات، (فالقدس مرتقب، وأنت تعيد ثغور الشام ضاحكة، ثغور زانها الشنب، على جسر الحديد هزبر غيله أشب، تناسب أفلاك السماء) إلى غير ذلك. حتى يستثير همة نور الدين، ويشجعه على الزحف صوب المسجد الأقصى لتحريره من الصليبيين.

أولهما: المستوى السطحي النطقي اللساني، كالجناس والسجع، والآخري يتمثل في المستوى الأعمق، وهو ما يمكن تسميته بالنطق الفكري، وهو ما يتصل بالفصاحة المعنوية كالتطابق والمقابلة⁽⁶²⁾.

وأجد الشاعرين أبا تمام وابن القيسراني في قصيدتيهما قد حشدا من ألوان البديع الشيء الكثير، ولكنني سأقتصر على الآتي منها:

الطباق:

يتحول الطباق عند أبي تمام إلى صور تخالف ما يعرفه القدماء من طرق استخدامه، بما فيه من مبالغة وعمق وتعقيد، وهي تلك الصورة التي كان هو يطلق عليها «نوافر الأضداد». «فهو لا يستخدم الطباق استخداماً ساذجاً، ولا يجعل التضاد فيه تضاداً لفظياً فحسب، وإنما يستخدمه استخداماً معقداً بما يلونه من ألوان عقلية مختلفة، تجعل المقابلة المعنوية عنصراً أساسياً في الصورة إلى جانب المقابلة اللفظية»⁽⁶³⁾. والمطابقة: هي الجمع بين الشيء وضده، ولها فائدة فكرية تحقق دينامية في بنية النص⁽⁶⁴⁾.

ويظهر الطباق في قصيدة أبي تمام في صور متعددة، ومناطق كثيرة منها: (الجد/اللعب، بيض/سود، نبع/غرب، دهياء-مظلمة/الكوكب، منقلب/غير منقلب، فلك/قطب، نظم/نثر، شعر/خطب، سعد/صعب، الإسلام/المشركين، أم/أب، شابت/لم تشب، الفأل/نحس، الليل/ضحى، صبح/الدجى، الشمس/النار، الظلماء/ظلمة، ضحى/طالعة، واجبة/لم تجب، طاهر/جنب، تطلع/تغرب، بان/غرب، معمور/الخراب، حسن منقلب/سوء منقلب، السمر/القضب، لاجب/محتجب، بيض/سمر، حر الثغور/برد الثغور، أجب/لم تجب، غزو/لا غزو، محتسب/مكتسب، المسلوب/لا السلب، ألجم/صخب، الخوف/الطرب، طابت/لم تطب، حي/ميت، الراحة/التعب) بالإضافة إلى الطباق العمودي، والطباق في قوافي الأبيات الشعرية.

أما الطباق في شعر ابن القيسراني فقد ورد على صور متنوعة منها: (تدعي القضب/قالت الكتب، الأشعار/الخطب، راحة/تعب، ذروتها/دونها، أمضى/أفضى، اتساعاً/ضاقاً، ساهد/ثابت، هاجعة/تضطرب، طهارة/جنب، الركض/الخبب، فوق/تحت، دخان/لهب، السيف/اليلب، الويل-سحب/نبع، غرب/القنا-قصب، حتوف/منجاة، مسلوقة/ما سلبوا، ذكرت/نسيت، مكتسب/محتسب، الليل/شمس الضحى، صعود/صعب، رأس/الذنب، عاصيها/طائعها، حلت/عقلها، تتلو/يثبت)، بالإضافة إلى الطباق العمودي، وقوافي الأبيات الشعرية.

إن اجتماع الضدين من الحلى البديعية الذي سماه البلاغيون الطباق⁽⁶⁵⁾، فالطباق الذي نتج عن التضاد الذي انتشر في القصيدة «يكتسب أهمية كبيرة عند حضوره في سياق شعري؛ إذ إنه يشكل مخالفة، والمخالفة تغدو فاعلية أساسية يتلقاها القارئ عبر كسر السياق والخروج عليه»⁽⁶⁶⁾؛ لأن المخالفة التي نتجت عن التضاد أو الطباق في كثير من الأحيان أكثر أثراً في نفس المتلقي من الموافقة والمواءمة.

وأجد كلاً من أبي تمام وابن القيسراني قد ملأ قصيدته بصور متنوعة من الطباق، وإن كان أبو تمام مقلداً لمن سبقه كبشار ومسلم بن الوليد وغيرهما، وتفوق عليهم في طريقة عرض الطباق وصوره، ممزوجاً مع أنماط بديعية أخرى كالجناس والاستعارة وغيرها.

من الحواس في رسم الصورة الشعرية. ونجد ابن القيسراني ينوه في قصيدته بنور الدين فهو نموذج للقائد الصالح، والملك العادل، الذي تعمق الإسلام في نفسه، وسعيه إلى الأعمال الصالحة، مستعيراً له بعض ألقاب المتصوفة ومصطلحاتهم التي كانت شائعة في ذلك العصر مثل: (الأبدال، القطب) ليوازن بينه وبين الحكام الآخرين الذين تحكمت بهم شهواتهم. ويرى بعضهم أن الشاعر لم يحضر المعركة، وإنما وصفها وتحدث عنها بشكل غيبي دون أن يشهدها، ولذلك جاء بأوصاف عامة تحدث في أي معركة، ولو أنه لم يذكر اسم المعركة (إنب) لما استطعنا أن نتعرف على أن هذه الأوصاف تخصها⁽⁵⁷⁾.

أما عن الصور التي حشدها ابن القيسراني في قصيدته، فهي صور مستوحاة من الحياة العسكرية والدينية والاجتماعية، وصور أخرى مستمدة من السلوك الإنساني، وما يعترىها من أحوال وتقلبات، فالسيف جنب، ومعامل الأعداء مصابة بالجرب، ومستمدة من مصطلحات العلوم وغيرها. ولعل الشاعر مزج في قصيدته بين الصور الحركية (الخيال تخر بقتلاها)، واللونية: (أجساد أعدائهم حمراء من دمائهم)، وذوقية: (حلو مذاقته)، وصوتية، إضافة إلى التشخيص عندما جعل بيت المقدس يرتقب يوم التحرير، وثور الشام فتيات ضاحكات، بالإضافة إلى الإغراب في تشبيهاته واستعاراته، كما في قوله: (والنبل كالوبل هطال...) ⁽⁵⁸⁾. كل هذه الصور والتشبيهات والاستعارات شكلت لوحة جميلة للمعركة وما جراً فيها.

البديع عند الشاعرين: الطباق والجناس:

بذل الشعراء في العصر العباسي -والعصور الأخرى- جهودهم في مديح خلفائهم، ونجد الشاعر أبا تمام في قصيدته المطولة هذه يمدح المعتصم بعد فتح عمرية، ويأتي بمعان جديدة وظفها لأول مرة، كالذي دار حول التنجيم والكتب، مع سيطرة المعاني الجهادية والإسلامية على القصيدة بشكل واضح؛ لأن طبيعة هذه القصيدة السيفية الحربية وموضوعها يحتاج إلى مثل هذه المعاني⁽⁵⁹⁾.

وقد عرف أبو تمام باتجاهه الخاص في الشعر، وطريقته التي اشتهر بها بين النقاد والعلماء بالشعر في ميله للبديع والإكثار من الصنعة في اللفظ والمعنى، والبحث عن الطريف البعيد على حساب العبارة ورونق اللفظ، مع عدم مراعاة القيم التقليدية المتوارثة في عمل الشعر، وكان إغراقه في محاولات التجديد في المعاني، والخروج عن القيم التقليدية سبباً في غموض شعره وميله إلى التعقيد، وفي نهاية الأمر أصبح البديع عند أبي تمام قضية فنية وفكرية معاً، ولم يعد صيغاً فنية تكسب الشعر رونقاً ظاهرياً، وحلاوة شكلية فحسب⁽⁶⁰⁾. وكذلك فعل ابن القيسراني في شعره، وفي قصيدته التي مدح فيها نور الدين زنكي بعد معركة إنب، حيث حشد فيها ما يماثل سابقه ومن قلده الشاعر أبو تمام.

والبديع عند البلاغيين أصبح وسيلة تعبيرية من الطراز الأول، يجعل من المفارقة الحسية، أو المعنوية لغة أصيلة لها دورها في تنظيم العناصر التعبيرية، وهذه الظاهرة البديعية أصبحت تجد نوعاً من القبول، ثم الإعجاب والاستحسان، حتى استقرت علامة مميزة لتجليات الحدائث⁽⁶¹⁾. وتدور مباحث البديع في مستويين،

الجناس:

يوصف الجناس بأنه ظاهرة إيقاعية بلاغية، وقد عرفه البلاغيون بأنه «تشابه لفظين في النطق، أو تقاربهما في اللفظ، واختلافهما في المعنى، وتجيء للتوكيد أو الوصول إلى معنى مزدوج، ويستخدم لتحسين الأسلوب»⁽⁷²⁾. ومن صور الجناس التي وردت في قصيدة أبي تمام: (حدّه/ الحد، الحد/ الجد، الصفائح/ الصحائف، صفر/ الأصفار، فتح/ الفتوح، فتح/ تفتح، برة/ برزة، صدت/ صدوداً، شابت/ تشب، قاني/ أني، واجبة/ لم تجب، منتقم/ مرتقب/ مرتغب، حجت/ محتجب، أشوها/ الأشب، الثغور/ الثغور، أجبته/ أجبته/ لم تجب، الحرب/ الحرب، محتسب/ مكتسب، المسلوب/ السلب، الردي/ مضى/ أنجى، خفة/ الخوف، يعد/ عدو، طابت/ تطب، عارضها/ عارض، المصفر/ صفر. بالإضافة إلى الجناس الذي ورد في قوافي الأبيات الشعرية والجناس العمودي.

أما الجناس الذي ورد في قصيدة ابن القيسراني، فمنه: (القضب/ الكتب، خطبت/ الخطب، أمضى/ أفضى، الصلب/ الصلب، صمت/ صم، أغركم/ غره، هام/ هام، النبل/ الوبل، الضرب/ ضرب، صدورهم/ مصادر، قلوب/ قلب، خانوا/ فخانوا، أوحى/ حائنة، الطوارق/ طوارقهم، مكتسب/ محتسب، أسرى/ يأسر، الغلب/ الغلب، ثمرة/ إثمار، عذبات/ عذب، فارقت/ مفرقه، هذا/ ذا، لجة/ لجب، ثغور/ ثغور، عقلها/ معاقلها، حلت/ استحلقت، يأوى/ المأوى، تناسب/ نسب) بالإضافة إلى الجناس الذي ورد في قوافي الأبيات الشعرية، والجناس العمودي.

لقد لاحظ الأقدمون عناية كل من الشعارين بالتجنيس، فنعتوا ابن القيسراني وهو المقلد لأبي تمام -بأنه كثير التجنيس، وصاحب التطبيق والتجنيس⁽⁷³⁾، ووصفوا أبا تمام بأنه قد أكثر من الجناس، وأشرك معه الطباق والتساوير، إضافة إلى إشراكه صوراً جديدة من زخرف الفكر ووشيه⁽⁷⁴⁾. وإذا كان أبو تمام قد جاء بهذا الحشد من الجناس، وما عرضنا قبله من الطباق، وعبر لوحات قصيدته المختلفة، فإنه حتى يحاول أن يوظفهما في رسم الصورة المشرقة للفتح العظيم، ولما حدث في فتح عمورية من نصر عظيم على يد المعتمصم⁽⁷⁵⁾.

ولعل الشعارين أفادا من تقنية ثنائيات الجناس التي «تؤدي إلى وجود وظيفة إيقاعية جمالية، تنتج عن التشابه الكبير في البنية الصوتية المتمثلة في عدد الحروف ونوعها، وترتيبها، وحركاتها، وعن التعادل الوزني من الناحية الصرفية، مما يجعل الكلمات أكثر بروزاً وإشعاعاً من غيرها في النص»⁽⁷⁶⁾. وهذا ما حاول الشعاران الإفادة منه، وتغذية شعرهما به بشكل مكثف في جميع لوحاتهما الشعرية، ونستطيع أن نسجل هنا إلى أن هذه التجنيسات قد أضفت على الأبيات حركة إيقاعية سريعة معبرة عن الانفعال القوي للشاعر، وصورة لأجواء المعركة وما فيها من حركة عنيفة⁽⁷⁷⁾.

- بين القصيدتين:

إن الناظر إلى قصيدة ابن القيسراني يجد أنه قد سار على نهج أبي تمام في كثير من جوانب القصيدة، وقلده في كثيرة من القضايا الفنية، وأبو تمام -كما أشرنا- قلد من سبقه خاصة في جوانب البديع المختلفة، فمنهم من جعل مسلم بن الوليد بأنه أكثر صناعة وإلحاحاً على البديع من بشار وأبي نواس، وهو يطلب البديع من كل

وكذلك فعل ابن القيسراني ولكنه -وخاصة في هذه القصيدة- قد حدا حذو أبي تمام في تقليده له، والمطلع على صور الطباق عندهما يجد التشابه بينهما. فلو أخذنا مثلاً مطلع القصيدة عند أبي تمام، لعرفنا كيف أفاد من الجمع بين الأضداد التي تشكل أساساً عنده في بناء نصه الشعري، فاستخدم مثلاً: بهيم الليل والضحي، وصبح من اللهب والدجى والشمس، والضوء والظلماء وظلمة في ضحى، والشمس طالعة وقد أقلت وهي واجبة ولم تجب، فالشاعر بإحساسه المرهف صنع من هذه الصور التي تتجاذبها الأضداد في جانبيين متناقضين، ولكنهما يمثلان إحساسين متغيرين، فكيف كانت عمورية قبل الفتح، وكيف أصبحت بعده، وكيف ضاقت على الروم، وكيف رحبت على جيش المعتمصم، وهكذا...⁽⁶⁷⁾

وقد أخذت نوافر الأضداد تظهر عند أبي تمام بشكل أوضح، فإذا به ينشر فيها تلك الأضداد المتنافرة التي تتحكم فيها فكرة المقابلة والتضاد بين الألوان، التي يستمدّها من ظاهرة اختلاف ألوان الطبيعة التي تحولت من خلال رؤيته الجديدة، إلى ألوان غير مألوفة، تستمد أصباغها الغريبة من تلك المفارقة بين النور والظلام، أو بين الصباح والليل، وهي مفارقة ينشرها في براعة نادرة في كل جانب من جوانب لوحته الفنية، التي تجسم هذا التضاد بين الألوان، وتظهره في أقوى أوضاعه، وأدق زواياه تعبيراً عنه⁽⁶⁸⁾. ولعل زحام الطباق في القصيدتين يعكس إحساس كل منهما بالتفاعل الحيوي مع مشاهد وأحداث كل قصيدة، وذلك لمشابهة الأحداث بين القصيدتين.

ونلاحظ عند أبي تمام أن «في تصويره غرابية في جمع المتضادات، والابتعاد في الاستعارة عما هو مألوف، وكذلك في استخدام ألوان البديع، حيث أصبح أبو تمام من أكثر الشعراء إفادة من نهج مسلم بن الوليد في استخدام البديع، ولكنه كان يغوص على المعاني فيستخرج ما هو جديد وغريب منها»⁽⁶⁹⁾. ولعل من أسباب الغموض عند أبي تمام، هو لجوؤه إلى المعنى البعيد يصوغه في ألفاظ تتولى فيها أشكال البديع، وبخاصة الطباق، ويلوي المعنى ليتم له الطباق، فهو يؤثر صحته على صحة المعنى وتمامه، كما فعل في كثير من مواضع الطباق التي سجلناها، فحتى يتم له الطباق مع ما أراد من المعنى فإنه يجهد المتلقي، ويجعله يظن أنه يتعامل مع لغز، ولكن بعد تفكير يجد الأمر يسيراً، فهو يريد من متلقيه أن يركب الصعب⁽⁷⁰⁾.

أما ابن القيسراني، فقد ألع بالطباق أيضاً ولعاً شديداً، فهو عنده يمثل تداعياً يحركه معنى اللفظة: «لأن الشيء قد يذكر بنقيضه، كما يذكر بشببيه وحين يورد نقيض الشيء أو الأشياء، يتولد الطباق أو المقابلة... ولعل انفساح الخيال الذي يتميز به المشتغلون بالفن-ومنه الشعر- تجعل عملية القفز الذهني من الشيء إلى نقيضه أمراً شائعاً عندهم، وصور المطابقة والمقابلة عند ابن القيسراني من الكثرة شأنها في ذلك شأن تجنيساته بحيث يصعب استقصاؤها»⁽⁷¹⁾. ويبدو أن الشعارين قد أوجد كل منهما في قصيدته صوراً مختلفة للطباق وظفها لأداء المعنى، فقد توسل الواحد منهما بالطباق لإظهار التباين في المواقف، أو ليكون ضرباً من المفارقات التي توهم التناقض ليثبت الصفة ونقيضها للشخص نفسه، أو يكون لتحقيق المبالغة، أو لغير ذلك من الأمور.

التشابه في الأبيات والمعاني:

قصيدة أبي تمام	قصيدة ابن القيسراني
1	1
11	2
12	39
50	32

- ووجدت أن كلتا القصيدتين من البحر البسيط، وحرف الروي فيهما الباء.

- التشابه في الطباق والجناس: يتضح فيما عرضته منهما عند الشعراء.

- بالإضافة إلى كثير من الصور التي تصور نفسية كل من المعتمض ونور الدين، وتصور الأجواء التي نهض بها كل منهما للمعركة، من حيث الاستعداد والزحف، وما حصل للروم وقائدهم، وخسائرهم، وعزة المسلمين وفرحهم بالنصر المبين والفتح العظيم.

- اختلفت القصيدتان في عدد الأبيات، فقصيد أبي تمام عدد أبياتها (72) بيتاً، أما قصيدة ابن القيسراني فتتقل عنها بعشرين بيتاً.

- اختلفت القصيدتان في حركة الروي، فعند أبي تمام (الباء مكسورة)، وعند ابن القيسراني (الباء مضمومة)، ولعل في الباء المكسورة دلالة على انكسار الروم وسرعة القضاء عليهم، وسيلان الشعر وتدفعه على لسان أبي تمام، أما الباء المضمومة، فإن فيها دلالة البناء والقوة والتمكن مع شيء من الصعوبة.

- رغم قلة عدد أبيات قصيدة ابن القيسراني عن قصيدة أبي تمام، إلا أنها استطاعت أن تتشابه معها في كثير من الأفكار والمعاني والصور والألفاظ، وحتى في صور الطباق والجناس وغير ذلك.

الخاتمة:

إضافة إلى ما ذكرته في القصيدتين من نقاط التشابه والاختلاف آنفاً فقد:

جاءت هذه الدراسة في شعر شاعرين، تميز شعر الأول منهما (أبي تمام) بالتألق البيديعي، والتفنن المعنوي، والشغف بالإغراب، مع جودة المعاني وغرابتها، وازدحام المحسنات البيديعية، حتى جعله البعض زعيم المدرسة التجديدية في القرن الثالث الهجري.

أما شعر الثاني منهما (ابن القيسراني)، فإننا نلمح في شعره اتجاهات عامة ثلاثة، هي: تصوير الأحداث الكبرى في بلاد الشام، والاتجاه التقليدي في المدح، والتجديد في معاني الغزل والنسيب، ونلمس في شعره الجهادي التقليدي، واتخاذ السابقين من الشعراء قدوة له، كأبي تمام والمتنبي.

ولئن عدُّ أبو تمام قصيدته (فتح عمورية) مبدعاً في أفكاره ومعانيه وألفاظه وصوره، فقد عدَّ ابن القيسراني في قصيدته (في معركة إنب) مقلداً لأبي تمام في كثير من أفكاره ومعانيه وألفاظه،

وجهة، يطلبه في اللفظ، ويطلبه في الصورة، ويستخدمه في كل نوع وسيلة للتعبير عن معانيه⁽⁷⁸⁾. ثم قلده بشار وأبو نواس، وجاء أبو تمام مقلداً ومجدداً في طريقة عرض البديع والتنويع والتلوين فيه، وحمل الراية من بعده ابن القيسراني، ولكنه لم يصل إلى المرتبة التي وصل إليها أبو تمام، ونحن عندما نعقد مقارنة بين الشاعرين في قصيدتيهما موضع الدراسة، نجد أن ابن القيسراني قد تابع أبا تمام ونهج نهجه، وحذا حذوه في كثير من الأمور، منها:

- لقد وجدت أن القصيدتين تتشابهان في القوافي، حتى في اللفظ كما يلي:

كلمة	رقم البيت	كلمة	رقم البيت
الشهب	3	الشهب	4
غرب	5	غرب	21
قطب	9	القطب	50
الصلب	10	الصلب	8
الخطب	11	الخطب	2
صيب	14	صيب	35
حلب	13	حلب	44
النوب	18	النوب	24
الحقب	19	الحقب	5
سرب	23	سرب	37
اللهب	26	لهب	16
تجب	29 و 48	يجب	7
لجب	40	لجب	42
تشب، الأشب	17 و 42	أشب	48
كئب	43 و 66	كئب	10
السلب	44 و 54	سلب، سلبوا	25 و 32
العرب	46 و 72	العرب	26
الحصب	47	حصب	47
الطنب	49	طنب	46
الهرب	57	الهرب	45
الغضب	62	الغضب	12
شئب	64	شئب	43
الحجب	67	الحجب	28
الحسب	68	حسب، نحسب	38 و 49
النسب	71	نسب	51
التعب	69	تعب	3
الذئب	7	الذئب	40

- وحتى في صورته.
- ومع ذلك، فالشاعران قدما لنا في قصيدتيهما شعراً جهادياً متميزاً في الأسلوب واللغة والصور والمعاني، محاولين تصوير طبيعة الصراع مع الأعداء، وكيفية التصدي لهم.
- ### الهوامش:
1. الأصفهاني، علي بن الحسين، 1997، كتاب الأغاني، إعداد مكتب تحقيق دار إحياء التراث العربي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط2، ج16، ص: 525.
 2. أبو تمام، 2003، شرح ديوانه، ضبطه وشرحه: شاهين عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، ص: 8-7، ابن خلّكان، أحمد بن محمد بن أبي بكر، (د.ت)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، علق عليه: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج2، (د.ط)، ص"12-11
 3. المقدسي، أنيس، 1989، أمراء الشعر العربي في العصر العباسي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط17، ص: 185.
 4. أبو تمام، شرح ديوانه، ص: 483.
 5. المقدسي، أمراء الشعر العربي في العصر العباسي، ص: 189، 192.
 6. لاشين، عبد الفتاح، (د.ت)، الخصومات البلاغية والنقدية في صنعة أبي تمام، دار المعارف، القاهرة، (د.ط)، ص: 26.
 7. الحاوي، إيليا، 1989، أبو تمام فنه ونفسيته خلال شعره، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط1، ص: 30.
 8. القاسمي، محمد، 2005، الصورة الشعرية-دراسة في شعر أبي تمام، مطبعة أنفو برانتت، فاس، المغرب، ط1، ص: 15.
 9. شكري، عبد الرحمن، 1994، دراسات في الشعر العربي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، ص: 99.
 10. كمال، محمد 1993، وحشيات أبي تمام، مجلة التراث العربي: تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق، ع52، ص: 29-28.
 11. النوري، محمد جواد، من أعلام الفكر والأدب في التراث، مجلة الحياة، حيفا، ص: 43.
 12. خليف، يوسف، (د.ت)، في الشعر العباسي نحو منهج جديد، مكتبة غريب، مصر، (د.ط)، ص: 88-87.
 13. التطاوي، عبد الله، (د.ت)، القصيدة العباسية قضايا واتجاهات، مكتبة غريب، الفجالة، مصر، (د.ط)، ص: 96.
 14. الكفراوي، محمد عبد العزيز، (د.ت)، الشعر العربي بين الجمود والتطور، دار القلم، بيروت، ط2، ص: 180، 182، الأعرجي، محمد حسين، (د.ت)، الصراع بين القديم والجديد في الشعر العربي، المركز العربي للثقافة والعلوم، (د.ط)، ص: 56.
 15. خليف، يوسف، في الشعر العباسي، ص: 87، 88، 96.
 16. المقدسي، أنيس، أمراء الشعر في العصر العباسي، ص: 197، 203، 206، 209.
 17. خليف، يوسف، في الشعر العباسي، ص: 100-99.
 18. لاشين، عبد الفتاح، الخصومات البلاغية والنقدية في صنعة أبي تمام، ص: 28.
19. المولى، عبد العزيز، (د.ت)، حركة التجديد في الشعر العباسي، مطبعة التقدم، القاهرة، (د.ط)، ص: 265.
 20. عكام، فهد، 1983، نظرية أبي تمام في الفن الشعري، مجلة الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب بدمشق، ع: 147، ص: 8.
 21. التطاوي، عبد الله، (د.ت)، القصيدة العباسية قضايا واتجاهات، ص: 32-33.
 22. أبو تمام، شرح ديوانه، ص: 21-18.
 23. مجلة التراث الأدبي، اتحاد الكتاب العرب بدمشق، 1992، العدد: 46، ص: 28.
 24. المولى، محمد عبد العزيز، حركة التجديد في الشعر العباسي، ص: 65.
 25. الحاوي، إيليا، أبو تمام فنه ونفسيته من خلال شعره، ص: 107.
 26. التطاوي، عبد الله، القصيدة العباسية، ص: 151.
 27. الحاوي، إيليا، أبو تمام فنه ونفسيته، ص: 110، 108.
 28. التطاوي، عبد الله، القصيدة العباسية، ص: 151.
 29. حاوي، إيليا، أبو تمام فنه ونفسيته، ص: 110.
 30. انظر، حاوي، إيليا، أبو تمام فنه ونفسيته من خلال شعره، ص: 144.
 31. التطاوي، عبد الله، القصيدة العباسية قضايا واتجاهات، ص: 152.
 32. حاوي، إيليا، أبو تمام فنه ونفسيته من خلال شعره، ص: 116.
 33. الجرجاني، عبد القاهر، (د.ت)، دلائل الإعجاز في علم المعاني، صحح أصله الشيخ محمد عبده، وعلق على حواشيه الشيخ محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ط)، ص: 70.
 34. حاوي، إيليا، أبو تمام فنه ونفسيته من خلال شعره، ص: 119.
 35. التطاوي، عبد الله، القصيدة العباسية، ص: 153.
 36. التطاوي، عبد الله، 2006، مرجعية الشعر العباسي بين الخبر والنص، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، ص: 73.
 37. التطاوي، عبد الله، القصيدة العباسية قضايا واتجاهات، ص: 153.
 38. الجبر، خالد عبد الرؤوف، 2007، جدل الإبداع والتلقي - أثر التلقي في حركة الشعر العربي القديم، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع، ط1، ص: 67.
 39. الرواشدة، سامح، 2001، إشكالية التلقي والتأويل، منشورات أمانة عمان الكبرى، ط1، ص: 21.
 40. التطاوي، عبد الله، القصيدة العباسية قضايا واتجاهات، ص: 155.
 41. الزبيدي، صلاح مهدي، دراسات في الشعر العباسي، ص: 193.
 42. ابن القيسراني، شعره، 1991، جمع وتحقيق ودراسة: عادل جابر صالح محمد، الوكالة العربية للنشر والتوزيع، الزرقاء، الأردن، ط1، ص: 15-18، 22، 69. ابن خلّكان، أحمد بن محمد بن أبي بكر، (د.ت)، وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط4، (د.ط)، ص: 458-461. انظر: إبراهيم، محمود، 1988، صدى الغزو الصليبي في شعر ابن القيسراني، دار البشير، عمان، الأردن، ط2، ص: 11-9.
 43. انظر: باشا، عمر موسى، 1989، الأدب في بلاد الشام عصور الزنكيين والأيوبيين والمماليك، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ودار الفكر،

للنقد الأدبي، 1997، القاهرة، جماليات التلقي والتأويل، إشراف عز الدين إسماعيل، ط1، ص:63.

67. الزبيدي، صلاح الدين مهدي، 2009، دراسات في الشعر العباسي، الأكاديميون للشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، ص:193.

68. خليف، يوسف، في الشعر العباسي نحو منهج جديد، ص:103.

69. الزبيدي، صلاح مهدي، دراسات في الشعر العباسي، ص:186.

70. سلام، محمد زغلول، الأدب في عصر العباسيين، ص:462-463.

71. إبراهيم، محمود، صدى الغزو الصليبي في شعر ابن القيسراني، ص:204.

72. التونجي، محمد، 1993، المعجم المفصل في الأدب، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ط.)، ص:328.

73. إبراهيم، محمود، صدى الغزو الصليبي في شعر ابن القيسراني، ص:205.

74. انظر: ضيف، شوقي، (د.ت)، عصر الدول والإمارات، الشام، دار المعارف، القاهرة، ط4، ص:135.

75. غوادرة، فيصل، التمرد في شعر العصر العباسي الأول، ص:141.

76. أبو حمادة، عاطف، 2011، البنية الإيقاعية في جدارية محمود درويش، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، ع:25، م:2، ص:71.

77. نصوص شعرية (2)، جامعة القدس المفتوحة، ص:324.

78. البهيتي، نجيب محمد، 1982، تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري، دار الثقافة، (د.ط.)، ص:467.

المصادر والمراجع:

1. إبراهيم، محمود، 1988، صدى الغزو الصليبي في شعر ابن القيسراني، دار البشير، عمان، الأردن، ط2.

2. الأصفهاني، علي بن الحسين، 1997، كتاب الأغاني، إعداد مكتب تحقيق دار إحياء التراث العربي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط2، ج6.

3. الأعرجي، محمد حسين، (د.ت)، الصراع بين القديم والجديد في الشعر العربي، المركز العربي للثقافة والعلوم، (د.ط.).

4. باشا، عمر موسى، 1989، الأدب في بلاد الشام عصور الزنكبين والأيوبيين والمماليك، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ودار الفكر، دمشق، سورية، ط1.

5. البطل، علي، 1983، الصورة في الشعر العربي، دار الأندلس، بيروت، ط3.

6. البهيتي، نجيب محمد، 1982، تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري، دار الثقافة، (د.ط.).

7. التطاوي، عبد الله، (د.ت)، القصيدة العباسية قضايا واتجاهات، مكتبة غريب، الفجالة، مصر، (د.ط.).

8. التطاوي، عبد الله، 2006، مرجعية الشعر العباسي بين الخبر والنص، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1.

9. تغري بردى، جمال الدين أبو المحاسن يوسف، 1992، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، علق عليه محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج5، ط1.

10. أبو تمام، 2003، شرح ديوانه، ضبطه وشرحه: شاهين عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3.

دمشق، سورية، ط1، ص:187-174. ضيف، شوقي، (د.ت)، عصر الدول والإمارات-الشام، دار المعارف، القاهرة، ط4، ص:153. تغري بردى، جمال الدين أبو المحاسن يوسف، 1992، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، علق عليه محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج5، ط1، ص:275.

44. إبراهيم، محمود، صدى الغزو الصليبي في شعر ابن القيسراني، ص:195، 197.

45. نفسه، ص:202.

46. التطاوي، عبد الله، مرجعية الشعر العباسي، ص:84-83.

47. باشا، عمر موسى، الأدب في بلاد الشام، ص:204.

48. ابن القيسراني، ديوانه، ص:69-75.

49. ونسكي، يان موكار، 1984، اللغة المعيارية واللغة الشعرية، ترجمة: ألفت كمال الروبي، مجلة فصول، م45، ع1، ص:49.

50. روتفن، ك، 1989، قضايا في النقد الأدبي، ترجمة عبد الجبار المطلبي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، ص:287.

51. جامعة القدس المفتوحة، 2008، نصوص شعرية (2)، جامعة القدس المفتوحة، ص:310.

52. ويليك، رينيه (وزميله)، (د.ت)، نظرية الأدب، ترجمة: محيي الدين صبحي، مراجعة: د. حسام الخطيب، (د. دار نشر)، ط3، ص:194.

53. البطل، علي، 1983، الصورة في الشعر العربي، دار الأندلس، بيروت، ط3، ص:30.

54. إبراهيم، محمود، صدى الغزو الصليبي في شعر ابن القيسراني، ص:207-208، 211.

55. الرواشدة، سامح، إشكالية التلقي والتأويل، ص:141.

56. عبد الجواد، إبراهيم، 1994، الاتجاهات الأسلوبية في النقد العربي الحديث، وزارة الثقافة، عمان، الأردن، (د.ط.)، ص:119.

57. نصوص شعرية (2)، جامعة القدس المفتوحة، ص:312، 314.

58. نصوص شعرية (2)، جامعة القدس المفتوحة، ص:327-325.

59. غوادرة، فيصل حسين، 2005، التمرد في شعر العصر العباسي الأول، دار جهينة، عمان، الأردن، ط1، ص:149.

60. سلام، محمد زغلول، (د.ت)، الأدب في عصر العباسيين، منشأة المعارف بالإسكندرية، (د.ط.)، ص:456-455.

61. عبد المطلب، محمد، 1988، بناء الأسلوب في شعر الحداثة، التكوين البديعي، (د. دار نشر)، (د.ط.)، ص:90.

62. عبد المطلب، محمد، 1984، البلاغة والأسلوبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.ط.)، ص:196.

63. خليف، يوسف، في الشعر العباسي، ص:101.

64. عثمان، أسامة عبد الملك إبراهيم، 2001، ظواهر أسلوبية وفنية في سورة النحل، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، ص:167-166.

65. لاشين، عبد الفتاح، 1986، البديع في ضوء أساليب القرآن الكريم، مكتبة الأنجلو المصرية، ط3، ص:22.

66. ربابعة، موسى، 1999، الأسلوبية والاتصال والتأثير، المؤتمر الدولي الأول

11. التونجي، محمد، 1993، المعجم المفصل في الأدب، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ط).
12. جامعة القدس المفتوحة، 2008، نصوص شعرية(2)، جامعة القدس المفتوحة.
13. الجبر، خالد عبد الرؤوف، 2007، جدل الإبداع والتلقي - أثر التلقي في حركة الشعر العربي القديم، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع، ط1.
14. الجرجاني، عبد القاهر، (د.ت)، دلائل الإعجاز في علم المعاني، صحح أصله الشيخ محمد عبده، وعلق على حواشيه الشيخ محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ط).
15. الحاوي، إيليا، 1989، أبو تمام فنه ونفسيته خلال شعره، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط1.
16. أبو حمادة، عاطف، 2011، البنية الإيقاعية في جدارية محمود درويش، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، ع: 25، م: 2.
17. ابن خلكان، أحمد بن محمد بن أبي بكر، (د.ت)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، علق عليه: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج2، (د.ط).
18. ابن خلكان، أحمد بن محمد بن أبي بكر، (د.ت)، وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، م4، (د.ط).
19. خليف، يوسف، (د.ت)، في الشعر العباسي نحو منهج جديد، مكتبة غريب، مصر، (د.ط).
20. ربابعة، موسى، 1999، الأسلوبية والاتصال والتأثير، المؤتمر الدولي الأول للنقد الأدبي، 1997، القاهرة، جماليات التلقي والتأويل، إشراف عز الدين إسماعيل، ط1.
21. الرواشدة، سامح، 2001، إشكالية التلقي والتأويل، منشورات أمانة عمان الكبرى، ط1.
22. روتفن، ك ك، 1989، قضايا في النقد الأدبي، ترجمة عبد الجبار المطليبي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1.
23. الزبيدي، صلاح الدين مهدي، 2009، دراسات في الشعر العباسي، الأكاديميون للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1.
24. سلام، محمد زغلول، (د.ت)، الأدب في عصر العباسيين، منشأة المعارف بالإسكندرية، (د.ط).
25. شكري، عبد الرحمن، 1994، دراسات في الشعر العربي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1.
26. ضيف، شوقي، (د.ت)، عصر الدول والإمارات، الشام، دار المعارف، القاهرة، ط4.
27. عبد الجواد، إبراهيم، 1994، الاتجاهات الأسلوبية في النقد العربي الحديث، وزارة الثقافة، عمان، الأردن، (د.ط).
28. عبد المطلب، محمد، 1984، البلاغة والأسلوبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.ط).
29. عبد المطلب، محمد، 1988، بناء الأسلوب في شعر الحداثة، التكوين البديعي، (د. دار نشر)، (د.ط).
30. عثمان، أسامة عبد الملك إبراهيم، 2001، ظواهر أسلوبية وفنية في سورة النحل، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية.
31. عكام، فهد، 1983، نظرية أبي تمام في الفن الشعري، مجلة الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب بدمشق، ع: 147.
32. غوادرة، فيصل حسين، 2005، التمرد في شعر العصر العباسي الأول، دار جهينة، عمان، الأردن، ط1.
33. ابن القيسراني، شعره، 1991، جمع وتحقيق ودراسة: عادل جابر صالح محمد، الوكالة العربية للنشر والتوزيع، الزرقاء، الأردن، ط1.
34. القاسمي، محمد، 2005، الصورة الشعرية - دراسة في شعر أبي تمام، مطبعة أنفو برانتت، فاس، المغرب، ط1.
35. الكفراوي، محمد عبد العزيز، (د.ت)، الشعر العربي بين الجمود والتطور، دار القلم، بيروت، ط2.
36. كمال، محمد 1993، وحشيات أبي تمام، مجلة التراث العربي: تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق، ع: 52.
37. لاشين، عبد الفتاح، (د.ت)، الخصومات البلاغية والنقدية في صنعة أبي تمام، دار المعارف، القاهرة، (د.ط).
38. لاشين، عبد الفتاح، 1986، البديع في ضوء أساليب القرآن الكريم، مكتبة الأنجلو المصرية، ط3.
39. مجلة التراث الأدبي، اتحاد الكتاب العرب بدمشق، 1992، العدد: 46.
40. المقدسي، أنيس، 1989، أمراء الشعر العربي في العصر العباسي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط17.
41. المولى، عبد العزيز، (د.ت)، حركة التجديد في الشعر العباسي، مطبعة التقدم، القاهرة، (د.ط).
42. النوري، محمد جواد، من أعلام الفكر والأدب في التراث، مجلة الحياة، حيفا.
43. ونسكي، يان موكار، 1984، اللغة المعيارية واللغة الشعرية، ترجمة: ألفت كمال الروبي، مجلة فصول، م45، ع1.
44. ويليك، رينيه (وزميله)، (د.ت)، نظرية الأدب، ترجمة: محيي الدين صبحي، مراجعة: د. حسام الخطيب، (د. دار نشر)، ط3.

أسباب التغيير الاجتماعي ودور التربية فيه، أساليبها ومبادئها في التغيير من منظور قرآني*

د. نديم هاراتشيتش**

* تاريخ التسليم: 2015/7/7م، تاريخ القبول: 2016/2/23م.
** أستاذ مساعد/ وزارة الأوقاف الكويتية/ الكويت.

مقدمة:

ملخص:

من المعلوم أن لهذا الكون قوانين جعلها المولى - عز وجل - ثابتة لا تقبل التغيير، والتي تسمى بالمصطلح القرآني سنن الله. وهذه السنن تمضي في هذا الكون على وتيرة ديناميكية معينة، وباتجاه محدد، وفي بعد وزمان محددين. كل في حركة وتغير، لكنها تبقى ضمن قوانين الله، كما قال الله عز وجل: ﴿سِنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسِنََّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ (1).

ومن هذه القوانين الإلهية ما يخص التغيير بين البشر، أفراداً وجماعات، حيث يحدث ذلك خلال فترة زمنية محددة وضمن مجريات التاريخ. كما يمكن حصول هذا التغيير لفرد بذاته، أو لجماعة معينة، أو حتى لجيل بأكمله، أو لحضارة عند ضعفها وتراجعها أو قوتها ونهضتها. ولهذه التغييرات أسباب تعد جزءاً لا يتجزأ من هذه القوانين والسنن. إن التساؤلات ومحاولة الفهم لتلك التغييرات التي نشهدها جميعاً بالفترة الأخيرة، ونعني بالتغييرات تلك التي وقعت في أشهر قليلة وجلبت أحداثاً تحتاج - بالنظر عبر التاريخ - إلى عقود بل قرون، تمثل نقطة البداية والأساس لهذا البحث.

ومن الأسئلة المطروحة في هذا الخصوص ما يلي: لماذا تحدث التغييرات؟ ما أسبابها وقوانينها من وجهة نظر القرآن الكريم؟ في أي لحظة تبدأ تحديداً؟ وما دور الإنسان في هذه التغييرات؟... إلخ. من خلال استقراء القرآن لإيجاد الفترات الزمنية التي حدث التغيير فيها، وتحليل الآيات التي تستعرض الأحداث التي غيرت وأسهمت في صناعة التاريخ، سترك هذا لنا انطباعاً جلياً أن القرآن ذاته كتاب يحمل في طياته التغيير. وأكثر ما يشهد على ذلك تحول المجتمع العربي بعد الوحي، والذي لم يكن يتقيد بكتاب سماوي وكانوا يعيشون في بيئة وثنية، إلى مجتمع متحضر ناهض ليصبح قائداً للحضارة العالمية وذلك في غضون عقود قليلة، كان القرآن فيها هو المربي والمعلم. وسنجد أن الظلم من جهة والضلال من جهة أخرى هما سببان مهمان لحدوث التغييرات الحاسمة من الناحية السلبية، حتى يكاد يكون هلاك أمة بأكملها متعلق بتصرفات أفرادها التي تستوجب العقوبة. وفي الحقيقة، فإن الفرد قادر على أن يتحكم بقدر معين بالتغييرات التي تحدث في المجتمع. وما يدعم هذا الرأي ما جاء في تلك الآيات التي تتحدث مباشرة عن التغيير، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (2)، وقوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (3).

إن بعض المصطلحات القرآنية تدل بقوة على أن الإنسان قادر على إحداث تغييرات حاسمة، وأن لهذا التغيير يوجد قانون وطريقة ومنهج، حيث نجد مصطلح «الإصلاح» في القرآن تكرر في 170 موضعاً، (4) وفي ظروف مختلفة، كأسلوب تعليمي - تربوي، تقليدي لأجل تغيير الحال. قال تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (5). هذا الإصلاح بين الناس يمكن أن يكون عن طريق تهدئتهم وإحداث الصلح والسلام بعد الخصومة، أو يكون في جعل المسلمين على كلمة واحدة، (6) أو يكون في أي شيء يدل على تصحيح الحال بين الناس وجعله أفضل

يعد التغيير الاجتماعي عملية مستمرة الحدوث، وهي - حسب شموليتها وعمقها وميدان وقوعها - تحدث ضمن قوانين وأسباب محددة. فقد يقع التغيير في نفس الإنسان، وهذا النوع من التغيير يعد نقطة الانطلاق لتغيير المجتمع ككل، ويحدث التغيير كذلك في طبقة اجتماعية معينة، ويكون أحياناً جذرياً، أو عالمياً، كما يتم التغيير حسب قانون المداولة أو الصراع أو التراقب الدوري. وكل تغيير يخضع للقوانين التي وضعها الخالق سبحانه، حيث أنه جعل لكل تغيير أسباباً تؤدي إليها، وقد تكون كثيرة ومعقدة. لكن الجانب الأقوى في الغالب يتعلق بدور الإنسان، إما بعمله الصالح والإيجابي، أو السيء والسلبى. والتربية والتعليم من أهم الطرق التي يمكن من خلالها إحداث التغيير، وجوهر ما يدعو إليه القرآن بأكمله هو تربية الناس وتعليمهم، والدعوة للتغيير الإيجابي، فهما، أي التربية والتعليم الطريقتان الأساسيان اللذان يؤديان إلى التغييرات المطلوبة والمأمولة. والمنهج القرآني في التغيير تربوي في الأساس، يستخدم أساليب مختلفة في ميادين محددة.

الكلمات المفتاحية: التغيير الاجتماعي، التربية، منظور، قرآني.

The Reasons of Social Change and the Role of Mentoring Therein; Its Methods and Contexts in Change from a Quranic Perspective

Abstract:

Social change is considered to be a continuous process that occurs within specific laws and causes in accordance to its comprehensiveness, profoundness, and context of occurrence. Change may occur within the human self, which is considered the starting point of changing society as a whole. Change may also occur within a specific social class, which may experience change at the root, or a change of rule in accordance with the laws of recurrence, conflict, or consecutive observation, while it may be global change. All forms of change are subject to the laws set by the Creator, as He made for each type of change its own reasons, which may be numerous and complicated. However, the most powerful side usually relates to the role of humans, who may make it good and positive, or bad and negative. Mentoring and education are among the most important ways through which change can be made. The essence of what the Qur'an advocates as a whole is to mentor people and to educate them, and to advocate positive change. The Quranic method of change is, at essence, that of mentoring by applying various methods in specific contexts.

Key words: Social change, mentoring, perspective, Quranic.

من كل حقة ومن كل قومية. أول من ذكر مصطلح التغيير الاجتماعي هو عالم الاجتماع آدم سميث (1723 - 1790) في كتابه: «ثروة الأمم»، لكن معنى هذا الاصطلاح استخدم بشكل أوسع في بداية القرن العشرين في كتاب يحمل نفس الاسم «التغيير الاجتماعي» من قبل الكاتب: وليم أوجبرن (1922). لكن بحثاً مبكرة كمعظم الأبحاث الاجتماعية المعاصرة التي تختص بالتغيرات القانونية، لا تزال قاصرة بدون المنظور القرآني عن المجتمع.

هناك القليل من الأبحاث التي تتحدث عن التغيير الاجتماعي كموضوع متكامل من منظور القرآن، ولا يكاد يوجد بحث تربوي في إطار التعليم يبحث في هذا الموضوع إلا في السنين المتأخرة.⁽²⁰⁾ مع أن الأجيال الأولى من علماء المسلمين دللوا على وجود قوانين وأسباب للتغيير في المجتمع، إلا أنها بقيت مجرد مبادئ جزئية من غير تحليل موضوعي لهذه الفكرة. كان ابن خلدون أول عالم مسلم ناقش وتكلم عن الأفكار التي هي جزء من القانون الاجتماعي مباشرة، تحدث عن الظاهرة الاجتماعية (التعاقب الدوري)، حيث تنهض فيها حضارة معينة وتسير نحو تطورها إلى حد معين يمثل قمتها، ومن ثم تعيش حالة تدهور وسقوط.⁽²¹⁾ وهناك نظرية عن مبدأ التغيير الذي يحدث بسبب الصراع بين طبقات مختلفة، إذ إن الاختلافات بينها هي السبب الأساسي للمؤدي للصراع، ومنها إلى التغيير. كذلك توجد نظرية حول العامل المادي الاقتصادي وهو السبب المحوري للتغيير؛ في حين يراه بعضهم أنه تقدم تنموي يحدث التغيير، وبعضهم الآخر يراه قوة فكرية في مجتمع معين، وآخرون يرون أنه عبارة عن عوامل توفر التوازن بسبب التغيير، سواء بدأ من أفراد أو من مجتمع ككل. وهكذا يتشكل لدينا عدد من التعريفات لمصطلح التغيير الاجتماعي، ويمكننا تلخيصها بالجملة الآتية: ظاهرة طبيعية وعفوية تحدث باستمرار، وتدرجياً، وتشمل أعضاء كل مجتمع وتؤثر بأحوالهم وأوضاعهم.

أنواع التغييرات الاجتماعية في القرآن حسب شموليتها

ذكر القرآن الكريم في طياته أمثلة عن التغيير العالمي، وقد نجد هذا النوع من التغيير في الآيات التالية من سورة الروم، قال تعالى: ﴿أَلَمْ غَلَبَتِ الرُّومُ ﴿۱﴾ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِّنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿۲﴾ فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلِ وَمِنْ بَعْدِ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿۳﴾. فالقرآن إذن، بخطابه المعجز يشير إلى حدوث تغيير على الحضارات في مستقبل قريب، وذلك عند نشوء صراع بين امبراطوريتين عظيمتين، ويحدث إثرها تغلب الروم على قوة الفرس. وقد حددت الآيات وقت حدوث تلك التغييرات في بضع سنين، أي ما بين ثلاث إلى تسع سنوات، وهذا يمثل إعجازاً قرآنياً، وبهذا يعطي للمسلمين فرصة للتغييرات الجذرية التي تلوح في الأفق. وتتحدث الآيات في سورة الكهف عن التغييرات الاجتماعية التي ستحدث لطبقة بأكملها من النخبة التي كانت وثنية الديانة، وقدوم طبقة جديدة تدين لله تعالى وتحتكم لأمره. وهذا التغيير تم حدوثه في مدة زمنية تقرب من ثلاثمائة عام، وهي المدة التي قضاه فتية الكهف المؤمنين في سبات عميق. يقول تعالى: ﴿هُؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيْنَ يَدَيْهِمْ لَظَلَمُوا مَن آفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿۱﴾ وَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدَا ﴿۲﴾ وَكَذَلِكَ عَصَيْنَا عَلَيْهِمْ لِيُعَلِّمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ

مما كان عليه.⁽⁷⁾ وإن كان لهذه الآية سبب للنزول، لكن العبرة التربوية المستوحاة منها عامة لكل المجتمع.⁽⁸⁾ أو قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿۹﴾. أي أن الله لن يعاقب السابقين إذا كانوا ممن يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويصلحون في الأرض، ولكنهم معاقبون لأنهم لم يدعوا للخير والإصلاح. كما يفهم من الآية السابقة أيضاً أن السابقين لم يعاقبهم الله لأجل شركهم (إذا فهمنا كلمة ظلم في الآية بمعنى الشرك) كما تدل عليه آيات أخرى، بل كانوا معاقبين لأنهم لم يصلحوا ولم يدعوا للإصلاح.⁽¹⁰⁾

تعد التربية الوسيلة الأولى والأهم لتغيير الإنسان والمجتمع، لأن مبدأها تغيير النفس بناءً على التعليم والتوعية. ومصطلح التربية واسع الاستخدام لأنه يشمل جوانب عدة لبناء الشخص وتعليمه، وهذا يتبين من خلال معنى التربية اللغوي ومن خلال ورود هذا المصطلح ومشتقاته وأجزائه ومرادفاته في القرآن الكريم وما تضمنه من معانٍ ودلالات.

كلمات محورية

التغيير، أي تغير حاله، فليس على حاله السابق،⁽¹¹⁾ أو أنه استبدل بشيء آخر، أي أنه تبدل فجاء محله شيء أو شخص آخر.⁽¹²⁾ والمعنى اللغوي لا يختلف عن المعنى الاصطلاحي، وقد جاء في القرآن كلمات مساوية أو مشابهة بالمعنى، مثل: تبديل، تحويل، نسخ.

المجتمع، لم تأت هذه الكلمة في القرآن بهذه الصيغة، بل جاءت بصيغة أمة أو قرية كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴿۱۳﴾، وقوله: ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ ﴿۱۴﴾. إذن، تحت مسمى المجتمع يدخل معنى الجماعة والأمة والمجموعة التي تعيش في أرض مشتركة والذين تربطهم قوانين مشتركة، وأحكام وعادات وتقاليد... الخ.

التربية، لم ترد لفظة التربية في القرآن الكريم بنصها، ولكن وردت بعض مشتقاتها في ثلاثة مواضع بصيغتين، صيغة الفعل ووردت في قول الله تعالى: ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلْدِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿۱۵﴾ كما ربياني ورحماني بتربيتهما. فالتربية تكملة للوجود. وفي قوله تعالى على لسان فرعون: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عَمْرِكَ سِنِينَ ﴿۱۶﴾ والتربية هنا: كفالة الصبي وتدريب شؤونه. قال مقاتل: ذكر موسى وفرعون، لأن أهل مكة ازدروا محمداً - صلى الله عليه وسلم - واستخفوا به، لأنه ولد فيهم، كما أن فرعون أزدري موسى، لأنه رباه ونشأ فيما بينهم.⁽¹⁷⁾ أما في صيغة الاسم فقد وردت في موضع واحد، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَ وَالنَّبُوءَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿۱۸﴾ أي: يأمرهم بأن يكونوا ربانيين، علماء حكماء حلماء معلمين للناس ومربيهم بصغار العلم قبل كبارهم.⁽¹⁹⁾

مفهوم التغيير الاجتماعي

درست التغييرات الاجتماعية من قبل عدد من العلماء عبر التاريخ، بداية بالفلسفة اليونانية، واستكمالاً بالعلماء والمفكرين

مفهوم التربية في عملية التغيير الاجتماعي

إن القرآن الكريم يربي الأفراد والجماعات على أساس توحيد الله، وتعليم هذه الحقيقة هو أصل في التربية، كما قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾⁽³¹⁾ ثم يبني على هذه الحقيقة أسساً أخرى عقديّة وفكرية وخلقية واجتماعية تمتد إلى نهاية عمر الإنسان وتنفعه في الدنيا والآخرة. وكان نبينا - صلى الله عليه وسلم - بسيره على المنهج القرآني التربوي مربياً مثالياً إذ استطاع في سنوات قليلة أن يغير المجتمع الجاهلي والوثني ليصبحوا أفضل جيل عرفه التاريخ إيماناً وخلقاً وجهاداً في سبيل الله تعالى. فالعملية التربوية إذن تشمل (تعليم الأفراد قيماً ومهارات اجتماعية تؤهلهم ليكونوا مشاركين في الحياة على أسس من قواعد والتزامات العقيدة الإسلامية السمحة التي تحفظ لهم ولمجتمعهم هويتهم، وتجعلهم متمتعين بحصانة ثقافية تمكنهم من التفاعل اليقظ مع الهويات الثقافية في زمن صار فيه العالم متواصلاً).⁽³²⁾ والتربية والتعليم هما من الأساسات الهامة في تغيير المجتمع الذي يبدأ من تغيير ما بالأنفس. لذلك فإن المنهج القرآني في الإصلاح هو سبب محوري في تغيير المجتمع بأكمله، فهو منهج تدريجي وثابت، يبدأ في تعليم العقيدة الصحيحة وغرس تعاليم الدين الواضحة والحازمة، ثم يقوم بتحديد الالتزامات والعبادات المفروضة. والمبادئ ذاتها في النشاط التربوي والتعليمي هي مبادئ ثابتة كالتعليم بالنصيحة والكلمة الطيبة، والتعليم بالأسوة الحسنة، والتعليم من خلال قصص التاريخ والوقائع السابقة، وهناك التعليم بالترغيب وبالحث على الخير والتحبيب لدخول الجنة، وكذلك بالترهيب، وهو بالتحذير من معصية الله وبالتحذير من النار. لذلك تعتبر التربية أهم وسيلة لتغيير الإنسان والمجتمع، لأن مبادئها تغيير النفس بناءً على التعليم والتوعية وفقاً لكتاب الله تعالى.

ومصطلح التربية واسع الاستخدام لأنه يشمل جوانب عدة لبناء الشخص وتعليمه، وهذا يتبين من خلال معنى التربية اللغوي ومن خلال ورود هذا المصطلح ومشتقاته وأجزائه ومرادفاته في القرآن الكريم وما تضمنه من معانٍ ودلالات. ولذلك تعددت دلالات كلمة (التربية) وتنوعت في موسوعات المصطلحات ومعاجم اللغة، إلا أنها تشير في معظمها إلى أصول لغوية عدة يمكن من خلالها تحديد المعنى الأساسي للتربية وفهمه. فالأصل الأول هو (ربا يربو ربوا وربوا) وله عدة معانٍ، فهو يعني: الزيادة والتنمية أي ربا ربوا وربوا زاد ونما وارتبته وأربيته ونميته.⁽³³⁾ ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِّن رَّبٍّ لَّيْرِبُو فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾⁽³⁴⁾ والمعنى الآخر هو: نشأ وترعرع، ويقال ربي فلان في بني فلان أي نشأ فيهم، وتقول رباة بمعنى أنشأه ونمي قواه الجسدية والعقلية والخلقية. كما جاء بمعنى: حفظ ورعى. ويعني أيضاً: التغذية ويقال ربيته تربية وتربيته أي غذوته وهو لكل ما ينمي كالولد والزرع ونحوه.⁽³⁵⁾ والأصل الثاني رَبُّ يَرْبُ ويندرج تحته المعاني التالية: المُلْك والقيام عليه وتدبير أموره والرب هو الله - عز وجل - هو رب كل شيء، أي مالكة، ولا يقال الرب في غير الله إلا بالإضافة. ورب كل شيء مالكة ومستحقة، فالرب يطلق في اللغة على المالك والسيد والمدبر والمربي والقيم والمنعم. كما يعني: الحفظ والرعاية، والإصلاح والإتمام، يقال رَبُّ الضيعة أي أصلحها وأتمها. ورب الرجل ولده يربه ربا ورببه وتربيته بمعنى رباة.⁽³⁶⁾ ويعني الجمع

يَتَنَزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُيُوتًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا⁽²³⁾. إذن، خلال ثلاثة قرون من الزمان تحول حال رؤساء تلك الأمة من الظلم وعبادة الأوثان وصددهم عن دين الله إلى الدعوة للإيمان وعمارة المساجد. ونجد في القرآن الكريم مثالا واضحا عن تغيير الحكم من خلال قصص تتحدث عن مصر التي تعاقب عليها عدد من الحكام ذوي النفوذ والسلطة على قلة فنتهم في المجتمع، وهم من ذكرهم القرآن باسم (الملا)، فقد حكمهم الفراعنة فترة طويلة من الزمن، إلى أن جاء عصر يحكمهم فيه الملوك. كما جاء في سورة يوسف عندما طلب العزيز- ملك مصر- تفسير منامه، ففسره له يوسف - عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ انْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النَّسُوءِ الَّذِي قَطَعْتَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾⁽²⁴⁾. ومن جهة أخرى، يظهر في قصة موسى - عليه السلام- أن فرعون هو الذي كان يسيطر على مصر آنذاك، لقوله تعالى على لسان فرعون: ﴿قَالَ لَنِ أَتَّخِذَ إِلَهاً غَيْرِي لَاجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾⁽²⁵⁾

وفي كتاب الله تعالى آيتان كريمتان تدلان بوضوح على التغييرات في أحوال الناس أفراداً وجماعات بناءً على أمر بيّنه تعالى في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾⁽²⁶⁾، وفي الآية الأخرى قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾⁽²⁷⁾. فكلهما تبينان أن للمجتمع دوراً محورياً في التغيير، وذلك حينما يقوم الأفراد بتغيير ما بأنفسهم. إن حرف الباء في الآيتين - كما يورد المفسرون - هو للسببية، أي أن التغييرات التي يقوم بها الناس في أنفسهم هي السبب الذي لأجله يأذن الله تعالى ببداية التغييرات العامة. على هذا، فإن التغييرات تبدأ من التغيير في الفرد نفسه، من خلال قناعاته وإيمانه، وهذه القناعة تنعكس بدورها على أعماله، هكذا في الأفراد، ومن ثم في الجماعات، ممثلة في مؤسسات مختلفة، سياسية، اقتصادية وتعليمية.⁽²⁸⁾

يمكن ملاحظة هذه الأنواع من التغييرات الاقتصادية والاجتماعية في فترات زمنية، كما في مثال السبع سنين الوافرة والغنية بالخيرات، وما عقبها من سبع سنين شديدة وجافة، والتي ورد ذكرها جميعاً في سورة يوسف.

التغييرات كسنة الله في الأرض - قانون التدافع والصراع والمداولة بين الناس

يقول تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾⁽²⁹⁾، تبين الآية أن الله - عز وجل - يصد ويدفع الناس بعضهم ببعض، أي أن المؤمنين المخبتين لله تعالى يصدون من يسعى فساداً في الأرض ويمنعونهم من تحقيق مآربهم إذا ما أتحت لهم الفرصة. وهذا القانون الاجتماعي يكفل التوازن على الأرض.

أما التداول فيقول الله - عز وجل - في كتابه: ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾⁽³⁰⁾. يتبين لنا أن المداولة بين الناس في الظفر والخسارة قانون اجتماعي، ويلعب دوراً هاماً في الحياة.

الألوهية، فيقول تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ (46) ثم يخرس القرآن في العقل الإنساني أن الملك لله تعالى لا غيره: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّن تَشَاءُ﴾ (47) ثم يقرر تفرد الله تعالى بالخلق: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ﴾ (48) فينبه تعالى عباده ويرشدهم إلى الاستدلال على توحيده في أفراد العبادة له، كما أنه المستقل بالخلق والرزق، ولهذا فليفرد بالعبادة، ولا يشرك به غيره من الأصنام والأنداد والأوثان، ولهذا قال تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَى تَوْفُكُونَ﴾؟ أي: فكيف توفكون بعد هذا البيان، ووضوح هذا البرهان، وأنتم بعد هذا تعبدون الأنداد والأوثان؟ (49) وهكذا فرغ القرآن العقل من المعتقدات الخاطئة والانحرافات العقائدية، وبين توحيد الله سبحانه وتعالى، وأنه المدبر والمسبب، وأنه جعل كل شيء بمقدار، وأن للإنسان الدور الرئيس بين سائر المخلوقات وأنه خليفة الله في الأرض، وأن له من الصلاحيات ما يؤهله للقيام بالواجبات والمسؤوليات. ويعنى القرآن الكريم بتربية الروح والجسم ويحيطهما بسياس من العناية والرعاية بما يتفق مع الفطرة باستخدام الوسائل المشروعة التي تعين تمكين الروح والجسم من تحمل أعباء الرسالة التي أناطه الله بها من تعمير الكون وأداء الفرائض والتكاليف والدفاع عن شريعة الله.

والقرآن يخلق في ذات الفرد توازناً بين حاجاته وريغباته، ويعادل بين متطلباته المادية وأشواقه الروحية، فلا يهمل إحداها في سبيل الاهتمام بالأخرى. (50) وفي سبيل تربية الجسد يحدد القرآن للإنسان أنواع الأطعمة التي يأكلها ويشترط فيها أن تكون حلالاً طيباً: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ (51) وبفرائض الصلاة والزكاة والصوم والحج يطهر الله تعالى جسد وروح الإنسان ليكون قوياً قلباً وقالباً، كما يدعو دائماً إلى أن يحفظ نفسه من الدنس. فأمره بغض البصر عن المحرمات: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ (52) وأمرهم بنظافة الجسد والروح، بالوضوء والتوبة لأن القرآن يهدف إلى إقامة مجتمع نظيف.

التغيير التربوي بالموعظة والقصة والتقدوة الحسنة

يقدم كتاب الله لأتباعه من خلال منهج التربية مجموعة من المواعظ التي تدعو إلى تهذيب النفس وتطهيرها، وهي تحت الإنسان على تغيير نفسه بالعمل الذي يجعله من الناجين، فقال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿فَالهَمَّهَا فَجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ (53) أي: طهر نفسه من الذنوب، ونقاها من العيوب، ورقاها بطاعة الله، وعلاها بالعلم النافع والعمل الصالح. ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾، أي: أخفى نفسه الكريمة، التي ليست حقيقة بقمعها وإخفاءها، بالتدسس بالردائل، والدنو من العيوب، والاقتراف للذنوب، وترك ما يكملها وينميها، واستعمال ما يشينها ويدنسها (54) فتزكية النفس وتطهيرها حتى لا يبقى فيها من أمراضها شيء، وإشاعة المحبة في المجتمع وتجميل الحياة بنبل النفس وسلامة أخلاقها كل ذلك من أهداف التربية.

ومن الأهداف أيضاً سلامة القلب حتى يحب الله ويحب في الله ونزع ما فيه من حظ الشيطان من وسوسة تبعد الحق وشكوك تقرب من الباطل. (55) فهذه المواعظ وغيرها في القرآن الكريم تعد توجيهها واضحاً للإنسان إلى ما ينفعه في الدنيا والآخرة، وهي في الوقت نفسه نقطة الطرق للتغيير في نفس كل إنسان يسعى إلى

والزيادة، يقال ربّ جمع وزاد، ومن هذا الباب الربابة، وهو العهد وسمي العهد ربابة لأنه يجمع ويؤلف. (37) ويعني: الرسوخ في العلم، ومنه العالم الرباني أي الراسخ في العلم. (38)

تدور التعريفات اللغوية حول الرعاية والمحافظة والسياسة والعلم والتنمية والزيادة والنشأة والترعرع وأما علماء التربية فيعرفونها بأنها: (نمو الكائن البشري من خلال الخبرة المكتسبة من مواقف الحياة المتنوعة، ويقصد بالنمو اكتساب خبرات جديدة متصلة ومرتبطة ارتباطاً معيناً لتكون نمطاً خاصاً بشخصية الفرد وتوجهه إلى المزيد من النمو ليتحقق بذلك أفضل توافق بين الفرد وبيئته. (39) ومنهم من ربطها بالمفهوم الإسلامي للتربية فعرّفها بأنها: (المفاهيم التي يرتبط بعضها ببعض في إطار فكري واحد يستند إلى المبادئ والقيم التي أتى بها الإسلام والتي ترسم عدداً من الإجراءات والطرائق العملية يؤدي تنفيذها إلى أن يسلك الفرد سلوكاً يتفق مع عقيدة الإسلام. (40) فهي: (عملية نمو واكتساب للخبرة، وتغيير مرغوب فيه في سلوك الفرد والجماعة عن طريق تفاعل الفرد مع الكائنات والأشياء المحيطة به ومع البيئة العامة التي يعيش فيها) (41) وعن طريق (استخراج ما لدى الفرد من قدرات كامنة وتنميته خلقياً وعقلياً حتى يصبح حساساً بالنسبة للاختيارات الفردية والاجتماعية، قادراً على العمل والنشاط الحقيقي بمقتضى ما يختاره منها. (42)

أما التغيير التربوي فيعد (عملية تشكيل السلوك الاجتماعي للفرد وهو عبارة عن عملية نمو يتحول الفرد خلالها من طفل متركز حول ذاته معتمد على غيره ويستهدف فقط إثبات حاجاته الفسيولوجية إلى فرد ناضج يدرك معنى المسؤولية الاجتماعية وكيف يتحملها ويستطيع أن يضبط انفعالاته، ويتحكم في إشباع حاجاته بما يتفق مع المعايير الاجتماعية. (43) وبذلك فإن التربية الإسلامية منهج شامل للحياة في مجالاتها جميعها، ونظام اجتماعي تربوي يتناول المجتمع بكل مظاهره الفكرية والثقافية والعلمية فهي تشمل تنمية جميع جوانب الشخصية الفكرية والعاطفية والجسدية والاجتماعية، وتنظيم سلوكها على أساس من مبادئ الإسلام وتعاليمه، بغرض تحقيق أهداف الإسلام في شتى مجالات الحياة.

الأساليب التربوية في التغيير

يبدأ القرآن الكريم في تغيير الإنسان بتربية عقله بتفريغته من كل المعتقدات والتصورات المخالفة لمنهجه وتصوراته عن الألوهية وطبيعة الكون كما خلقه الله تعالى. لذلك للعقل في القرآن الكريم مكانة عظيمة ولم يأت ذكره إلا من باب المدح والتعظيم لشأنه وله دور عظيم في قضية الإيمان والرسالة والتدبر في خلق الله والتعامل مع الناس، فهو الخطوة الأولى في طريق التغيير الذي يخطط له القرآن الكريم. يقول الله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (44) أي: من تفرغ عقله من كل المعتقدات وخلع الأنداد والأوثان، وما يدعو إليه الشيطان من عبادة كل ما يعبد من دون الله، ووجد الله، فعبدته وحده، وشهد أنه لا إله إلا هو ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾، أي: فقد ثبت في أمره، واستقام على الطريقة المثلى، والصرراط المستقيم. (45) وبذلك يبدأ القرآن الكريم الجولة التربوية الطويلة مع العقل الإنساني للكشف عن هذه الانحرافات ويأخذ في نقضها واحدة تلو الأخرى، بداية بتفهم

ويعد الترغيب والترهيب من الأساليب التربوية المتقابلة في القرآن الكريم، حيث يعرض صوراً متقابلة بين الترغيب والترهيب مثلما في قوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٦٦﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ (66) والغرض من هذا التصوير هو ترغيب النفوس في هذا الفضل ودفعها إلى العمل بما يوصل إلى هذه المنزلة، ثم انتقلت الآيات إلى وصف آخر: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٦٧﴾ تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ (67) وشتان بين الوصفين ففي كل منهما استخدم من الألفاظ ما سيتناسب مع المعاني الوجدانية التي أريد إثارتها في النفوس. (68) ومع هذه الإشارة تبدأ علامات التغيير في النفس لتسير في طريقها إلى ما وعده الله من الخير والبركات. يقول تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ (69) والمثاني (تثنية القصص والأحكام، والوعد والوعيد، وصفات أهل الخير وصفات أهل الشر). (70) وكثير من آيات القرآن الكريم ترغيب الناس في قبول دعوة الحق، وإلى ما فيه خيرهم في الدنيا والآخرة، كما أن كثيراً منها تنفر الناس من الكفر وترهبهم بالعذاب والعقوبة اذا اتبعوا طريق الهوى والشيطان.

وأما التغيير بالترهيب فيكون بالتخويف والوعيد من عواقب ما حرمه الله تعالى ونهى عنه، سواء كان هذا التغيير خفياً في النفس بإصلاح النية وترك المحذور، كما في قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ (71) فهنا توعد الله من تعدد قتل المؤمنين بالخلود في جهنم واللعنة والعذاب مما يثير في القلب نفوراً تاماً من تعدد القتل والأذى للمؤمنين، أم أن يكون التغيير مشاهداً في الأخلاق والأفعال.

ونجد القرآن الكريم في سبيل التغيير التربوي للنفوس يجمع كثيراً بين أسلوب الترغيب والتربية بالقوة الحسنة، قال تعالى: ﴿وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٧٢﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ (72) كما يكثر أيضاً ترغيب المدعو بذكر ما يترتب على الطاعة من أجر وثواب، كما في قول الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿٧٣﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿٧٤﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ (73) والأمثلة لذلك في القرآن الكريم كثيرة.

دور التربية في تغيير ما بالنفس

إن كثيراً من الآيات والأحاديث النبوية تدل على أن للتربية دوراً في تغيير الطبيعة الإنسانية، فقد قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: (ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه) (74) وإن الرسول -عليه الصلاة والسلام- قد بعث مربياً ومعلماً، رافعاً لواء التعليم والتزكية، واضح المنهج ومطبقاً له، فكان قدوة عظيمة اقتدى به الصحابة وخرجوا على يديه فغيروا ما بأنفسهم فتغير مجرى التاريخ. (75) إذن، يمكن تهذيب سلوك الناس ونفوسهم وتزكيتها عن طريق التربية وبالأساليب المختلفة، ويُعد إبراز دور الإنسان في منهج التغيير بدرجة كافية غداً من الضروريات الملحة جداً، ذلك لأن الإسلام جعل الإنسان مدار الحركة الحضارية، وأوكل إليه مهمة التغيير والبناء وكلفه لتحقيق الخلافة على هذه الأرض. (76)

الخير. ثم يعظ القرآن الكريم الإنسان أن يبقى على الاستقامة بأنه يكون معتدلاً وماضياً على النهج دون انحراف. إن التربية كمنهج تطلب من الإنسان الاستقامة، ودوام اليقظة والتدبير والتحري لحدود الله، وضبط انفعالاته من الانحراف. يقول تعالى: ﴿فَأَسْتَقِمْ كَمَا أَمَرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ ﴿٥٦﴾﴾ وكما أن في طرح القصة المؤثرة دوراً كبيراً في تغيير الإنسان فهي تترك الأثر المرجو في نفوس السامعين فتحركها بشكل إيجابي وتوجهها للتغيير المطلوب. وإن من أهم معطيات القصة القرآنية والمتضمنة غير قليل من الأخلاق الحميدة إيجاد القدوة البشرية، والمتمثلة في الشخوص المقصودين بالقصة، وهو مرتكز مهم في التربية، لأن وجود من تمثل بالخلق، أو القضية المقصودة دليل على إمكانية العمل بمثل عملهم. يقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (57) كما أنها تعطي العظة والعبرة وقد دل على ذلك ختم كثير من القصص القرآنية بما يفيد أن إيرادها عبرة وذكرى، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةً لَأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (58) وفي المقابل فإن هناك قصصاً فيها العظة والعبرة، وهي تذكر نماذج سيئة من البشر والتي تدعو قصصهم إلى مذمة مماثلتهم (59) قال تعالى: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مَوْسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ (60) فقصة قارون تحت العاقل على التواضع وشكر النعم كما أنها تنفره من الكبر وبطر الحق، ليصبح متواضعاً شاكراً لنعم الله تعالى. وقد عدد القرآن الكريم الأخلاق السيئة وأصحابها وبينها، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (61) أي: إن فرعون تجبر وطغى في الأرض وجاوز الحدود المعهودة في الظلم والعدوان، لأنه كان من الراسخين في الإفساد. (62)

التغيير التربوي بالعقوبة والترغيب والترهيب

إن من الناس من تكفيه الإشارة والتلميح حتى يتوجه للصاب، ومنهم من يستجيب للترهيب دون الترغيب، أو العكس، وهناك من لا يردعه إلا الشدة والتهديد بالعقوبة أو العذاب. والقرآن الكريم يراعي هذه الطبائع المختلفة لدى الناس فيخاطبهم بكل هذه الأساليب على اختلاف عقولهم وطبائعهم. ومن تلك الأساليب في القرآن الكريم أسلوب العقاب الإلهي الدال على عدم رضا الله عن بعض الأعمال، وهو نوع من الترهب البسيط، يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا يَأْتِيَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (63) وفي الآية عتاب مؤثر من الله تعالى إلى تلك القلوب التي لم تستجب لأمره بعدما أرسل لها الرسل والآيات والمعجزات. وقد يكون العتاب أشد ببيان غضب الله صراحة، كما جاء في قوله تعالى عن حادث الإفك: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِالسُّنَّتِمْ وَتَقُولُونَ بَأْفَاؤُهُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ (64) ومثل هذا الفعل يستحق العذاب الشديد، إذ ألقى الكلام في أم المؤمنين عائشة، رضي الله عنها، بلا تدبير ولا فحص ولا إنعام نظر، ولكن الله احتسبها درساً قاسياً للمسلمين، فكان بيان غضب الله العتاب التربوي. (65)

والحديث في الآية عن قوم وعن مجتمع، له خصائصه بما يشمل الرجال والنساء، الصغار والكبار، بكل محتويات القوم أو المجتمع المعين أو الأمة وأنه لا يشترط أن يغير الله ما بشخص إذا غير ما بنفسه، كما أنه لا يشترط أيضاً أنه لا يغير الله بالشخص إن غير ما بنفسه، لأن البحث ليس عن شخص معين، وإنما البحث عن مجتمع باعتباره كياناً واحداً. إذ إن الفرد، يمكن أن يتغير ما به في بعض الجوانب، إن غير ما في نفسه، ولكن ذلك ليس دائماً في كل الأمور، فهناك أمور خاصة بالمجتمع، لا بد من تغييرها، حتى ينال الفرد نصيبه من هذا التغيير. وعلى هذا يكون مضمون الآية (إن الله لا يغير ما بقوم) ما بمجتمع أو كيان اجتماعي حتى يغير المجتمع، أو الكيان الاجتماعي، ما بأنفسهم أو الدولة بما فيها. (85) فالآية توضح المسؤولية الاجتماعية، أي مواظدة المجتمع كله، وللتربية في هذه المسؤولية دور رئيسي في تغيير وبناء المجتمع القادر بقيام على هذه المهمة.

مبادئ التربية في القرآن الكريم

الميدان التربوي الأول في القرآن الكريم هو تزكية النفس والعقيدة يقول الله تعالى: ﴿يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّكُمْ﴾ (86) فهذا الميدان التربوي هو عام، أي أنه موجه للناس كافة، ومن خلال معنى كلمة «آياتنا» يمكن أن نفهم سعة هذا الميدان التربوي، فهو يشمل القرآن الكريم بأكمله بما فيه من عقيدة وأخلاق وأحكام، وهو من أوله إلى نهايته لم يدع باباً من الخير إلا أتى به ولا موعظة نافعة إلا ذكرها للناس. وهذا الميدان التربوي في العقيدة يتسع إلى إبراز الأدلة والبراهين، بحيث يثبت الإيمان عند الإنسان، ويزيل شكوكه وليتقين في توحيد الله تعالى. ومن هنا نفهم أن التربية على العقيدة تعتمد على الأدلة لا على الإكراه، كما قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ﴾ (87)، أي لم يجر الله أمر الإيمان على الإكراه والقسر، ولكن على التمكين والاختيار، فقد تميز الإيمان من الكفر بالدلائل الواضحة. (88) وميدان التربية في مجال العقيدة ليس له حدود كما أن لا حد لكلمات الله، وتبرز في هذا الميدان الشواهد الربوبية وغرس الاتجاهات الإيمانية في نفوس الأفراد، بما في ذلك من الإيمان بالغيبات وما فيها مما يتعلق بحياة الناس من تقدير الأرزاق والآجال، والذي يثمر إحساساً بالطمأنينة والثقة بالله والتوكل عليه. أما ميدان التزكية فهو ما يعبر عنه كلمة (ويزكيتهم) من الآية، والتزكية التطهير من النقائص وأكبر النقائص الشرك بالله، وفي هذا تعريض بالذين أعرضوا عن متابعة القرآن وأبوا إلا البقاء على الشرك.

وتعني التزكية لغة الإصلاح والتطهير والتنمية، وتتضمن أيضاً تعديل السلوك بتهذيب ما هو غير مرغوب من العادات والتقاليد الجاهلية وتعزيز ما هو مرغوب من سلوك. وقدم التزكية على التعليم في هذه الآية وأخرها عنه في دعوة إبراهيم في سورة البقرة لاختلاف المراد بها في الموضعين، ولكل مقام مقال. والتزكية عبارة عن تكميل النفس بحسب القوة العملية وتهذيبها المتفرع على تكميلها بحسب القوة النظرية الحاصلة بالتعليم المترتب على التلاوة، إلا أنها وسطت بين التلاوة والتعليم المترتب عليها للإيدان بأن كلاً من الأمور المترتبة نعمة جليلة على حيالها مستوجبة للشكر. ولو روعي ترتيب الوجود كما في دعوة إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - لتبادر إلى الفهم كون الكل نعمة واحدة. (89) كما أن ميدان التزكية يشمل تزكية الجسم بمراعاة الأحكام المتعلقة بذلك، فمنها أن يكون

ويؤكد القرآن الكريم دور الإنسان في عملية التغيير، وأنه قد يكون في الاتجاه الإيجابي أو السلبي، يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (77) ويقول: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (78) فهذا الجانب يقرر عدل الله في معاملة العباد، فلا يسلبهم نعمة وهبهم إياها إلا بعد أن يغيروا نواياهم، ويبدلوا سلوكهم ويقلبوا أوضاعهم، ويستحقوا أن يغير ما بهم مما منحهم إياه للابتلاء والاختبار ثم لم يقدروه ويشكروه، ومن جانب آخر يكرم هذا المخلوق الإنساني أكبر تكريم، حين يجعل قدر الله به ينفذ ويجري عن طريق حركة هذا الإنسان وعمله، ويجعل التغيير القدري في حياة الناس مبنياً على التغيير الواقعي في قلوبهم ونواياهم وسلوكهم وعملهم. فأخبر الله تعالى بأنه لا يغير ما بقوم حتى يقع منهم تغيير، إما منهم أو من الناظر لهم، أو ممن هو منهم بسبب، وإذا أراد الله أن يغير ما بقوم حين يغيرون ما بأنفسهم لا يرد إرادته شيء (79) فهو يتعقبهم بالحفظ من أمره لمراقبة ما يحدثونه من تغيير بأنفسهم وأحوالهم، فيرتب على ذلك تصرفه بهم. فإنه لا يغير نعمة ولا يغير عزا أو ذلة، ولا يغير مكانة أو مهانة، إلا أن يغير الناس من مشاعرهم وأعمالهم وواقع حياتهم، فيغير الله ما بهم وفق ما صارت إليه نفوسهم وأعمالهم. ففي الآية من سورة الرعد جاء بعد تقرير المبدأ السياق عن حالة تغيير الله ما بقوم إلى السوء؛ لأنهم، حسب المفهوم من الآية، غيروا ما بأنفسهم إلى الأسوء فأراد لهم الله السوء. (80) ولكن إذا غير العباد ما بأنفسهم من المعصية، فانتقلوا إلى طاعة الله، غير الله عليهم ما كانوا فيه من الشقاء إلى الخير والسرور والغبطة والرحمة. (81) أما في الآية من سورة الأنفال ففيها إشارة إلى ما أنزله من عذاب على الأمم المكذبة الكافرة الظالمة، وإلى بيان سنته في عباده، وهي أنه تعالى لم يكن من شأنه أن يغير نعمة أنعمها على قوم كالآمن والرخاء، أو الطهر والصفاء حتى يغيروا هم ما بأنفسهم بأن يكفروا ويكذبوا، ويظلموا أو يفسقوا ويفجروا. وذلك كدأب كفرة قريش المذكورين حيث كانوا قبل البعثة كفرة عبدة أصنام، غافلين عن نعم الإمهال وسائر النعم الدنيوية عليهم، كصلة الرحم، فلما بعث النبي - صلى الله عليه وسلم - غيروا على أسوأ حال منها وأسخط حيث كذبوه وعادوه ومن تبعه من المؤمنين، وتحزبوا عليهم وقطعوا أرحامهم، فغير الله تعالى ما أنعم به عليهم من نعمة الإمهال ووجه إليهم نبال العقاب والنكال. (82)

وفي ضوء الآيات السابقة يمكننا القول إن التغيير الذي يقود الأمم لصنع التقدم، إنما يعني إحداث ثورة داخل كيان الإنسان لصالح نفسه ولصالح الحياة من حوله، وتتم هذه الثورة أولاً داخل النفس، ثم تتجه بعد ذلك إلى إحداث التغيير في المجتمع. (83) ولكن هذا التغيير ينبغي أن يكون على مستوى القوم أو من يمثل المجتمع أو الدولة، فيحدث التغيير منهم أولاً، وهو التغيير الذي جعله الله مهمة القوم وواجبهم، بإقدار الله تعالى لهم على ذلك، حتى يغير الله حالهم. وإن حدثت أي تهاون في الخلط بين التغييرين، وإدخال التغيير الذي يحدثه الله بالتغيير الذي يقوم به القوم، أو العكس، يفقد الآية فعاليتها، وتضيع فائدة السنة الموجودة فيها. ولكن، وإن كان تغيير ما في النفس أساس تغيير المجتمع، أو تغيير الدولة، إلا أن الفردية وحدها ليس لها حظ في التغيير الشامل، الذي يقوم على العمل الجماعي، وليس على أساس الجهود الفردية غير المتسقة التي أحياناً تكون متضاربة ولا تؤدي إلى الغرض المطلوب. (84)

بعضها الآخر على جانب تطبيقي أو عملي يتعلق بالإدارة ونفاذ البصيرة وإيجاد الحلول الملائمة وجوانب أخرى، ومن معاني الحكمة سنة الرسول ونبوته، يقول تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾⁽¹⁰⁴⁾، والحكمة هنا النبوة والسنة.⁽¹⁰⁵⁾ وبهذا الميدان التربوي يتربى الإنسان على حسن التعامل والتصرف ومخاطبة الناس، يقول تعالى: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾⁽¹⁰⁶⁾، أي بالمقالة المحكمة الصحيحة، وهي الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة.⁽¹⁰⁷⁾ كما يتربى الإنسان على فهم المبادئ التي تحكم السلوك، لأن من معاني الحكمة فهم الأمور ومعرفتها، يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لَقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾⁽¹⁰⁸⁾، أي: الفهم والعلم والتعبير.⁽¹⁰⁹⁾ والتربية على الحكمة تعني التربية على كسب القدرة للتمييز بين الخطأ والصواب، والنافع والضار، يقول تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾⁽¹¹⁰⁾، والحكمة هنا إتقان العلم وإجراء الفعل على وفق ذلك العلم، وهي مشتقة من الحكم، وهو المنع، لأنها تمنع صاحبها من الوقوع في الغلط والضلال. ومن يشاء الله تعالى إيتاءه الحكمة هو الذي يخلقه مستعداً لذلك، من سلامة عقله واعتدال قواه، حتى يكون قابلاً لفهم الحقائق منقاداً إلى الحق إذا لاح له، لا يصدّه عن ذلك هوى ولا عصبية ولا مكابرة ولا أنفة، ثم ييسر له أسباب ذلك من حضور الدعاة وسلامة البقعة من العُتاة، فإذا انضم إلى ذلك توجهه إلى الله بأن يزيد أسبابه تيسيراً ويمنع عنه ما يحجب الفهم فقد كمل له التيسير.

وفسرت كذلك الحكمة بأنها معرفة حقائق الأشياء على ما هي عليه بما تبلغه الطاقة، أي بحيث لا تلتبس الحقائق المتشابهة بعضها مع بعض ولا يغلط في العلة والأسباب.⁽¹¹¹⁾ والتربية في هذا الميدان تُعد الإنسان لحسن التخطيط والإدارة، ولمواجهة المشكلات والعمل على حلها، كما يُربى على استنباط القوانين وحسن التعامل، وعلى مراعاة الاستعدادات والفروق الفردية بين الأفراد وفهم كل فرد لدوره وقدراته وكل جماعة ودورها وقدراتها منفتحاً إلى ما عند المجتمعات الأخرى من تنظيمات ووسائل، لأن الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها. وبهذا الميدان التربوي تتم دائرة ميادين التربية التي تتضمن أموراً كثيرة وأنشطة مختلفة تتعلق بالنفس الإنسانية ومجالات تغييرها من تعديل سلوكها، وبما يتضمن من مهارات فكرية وعقلية وعملية، وإمكانات ما بالنفس التي هي أساس تغيير المجتمع.⁽¹¹²⁾

الخاتمة:

إن التغييرات تنشأ من الإنسان نفسه كفرد يحدث التغيير في ذاته، إما إلى الأفضل، بالإصلاح والرقى والتقدم، وإما إلى الأسوأ، بالفساد والتخلف. فكيفما كانت تلك التغييرات، كانت على شاكلتها النتائج. ويركز القرآن الكريم بخطاب خاص على سنن الله تعالى، فتارة يعلم بها، وتارة يصحح بها المفاهيم الخاطئة لدى أولئك الذين يظنون أن الأمور في هذه الدنيا تجري بشكل عفوي، مؤكداً أن قانون الله تعالى لا يتغير. ويذكر القرآن قواعد محددة في التغيير: كي يستفيد منها الناس، ويتعلموا الأسباب التي تقود للتغييرات الإيجابية ويعلموها لغيرهم، كي يتجنبوا التغييرات التي تعود بهم إلى الوراء وبالتالي السقوط. ليس ضرورياً أن يتحسن الناس

الطعام حلالاً طيباً، حتى لا يكون ذلك مفسدة للعقل والجسم غير مكتسب من حرام ولا يحتوي خبيث، يقول تعالى: ﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالًا طَيِّبًا وَأَتَقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾⁽⁹⁰⁾ وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾⁽⁹¹⁾ يحرم عليهم الخبائث أي ما يستخبث من الدم والميتة ولحم الخنزير، وما أهل لغير الله به، يحرم الخمر وكل الذي يضر في جسم وعقل الإنسان.⁽⁹²⁾ وبعد ميدان العقيدة والتزكية يأتي ميدان التعليم والإعداد، وذلك لأن التفكير السليم ينبغي أن يُزرع في موضع نظيف، حتى يتناسب مع الوظيفة التي يجب أن يتحملها الإنسان. ولذلك كان دور التربية في ميدان التزكية مهتماً بتزكية العقل قبل ميدان التعليم والإعداد الفكري. ويدعو القرآن إلى التفكير العلمي بدلاً من الظني والهوى، وذلك بإقرار المنهج العلمي للنظر العقلي، ورفض الظنون المجردة، قال تعالى: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى﴾⁽⁹³⁾، أي ليس لهم مستند إلا حسن ظنهم بأبائهم الذين سلكوا هذا المسلك الباطل قبلهم، وإلا حظ نفوسهم في رياستهم وتعظيم آبائهم الأقدمين.⁽⁹⁴⁾

وندد القرآن الكريم بمن يتبع الهوى، ودعا إلى التثبت من كل أمر، ونهى عن تبديد الطاقات السمعية والبصرية والعقلية في أشياء لا أساس لها. قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾⁽⁹⁵⁾، أي: هذه الصفات من السمع والبصر والفؤاد سيسأل العبد عنها يوم القيامة، وستسأل عنه عما عمل فيها.⁽⁹⁶⁾ ويستنكر القرآن التقليد الأعمى ويقرر التجديد، لأن التقليد يعني عدم استعمال العقل، كما يدعو إلى التفكير والتحرر من الأوهام.⁽⁹⁷⁾ ويعبر عن ميدان التعليم والإعداد الفكري في قوله تعالى من الآية: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾⁽⁹⁸⁾، يعلمهم الشريعة فالكتاب هنا هو القرآن باعتبار كونه كتاب تشريع، ويعلمهم أصول الفضائل ويفهمهم ألفاظه ويبين لهم كيفية أدائه، ويوقفهم على حقائقه وأسراره، ويخرجهم من ظلمة الجهل إلى نور العلم.⁽⁹⁹⁾ ويتركز في هذا الميدان تعليم الأمور التي تتعلق بالمبادئ والتشريعات والثقافة العامة والمهارات الفكرية والعملية التي تمكنه من تخطيط حياة الإنسان وإدارة شؤونه المختلفة.

ويشمل هذا الميدان أيضاً التنظيمات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والعسكرية ووضع خطواتها العريضة وفتح باب الاجتهاد. ويهدف هذا الميدان التربوي أن يعلم الإنسان ويجهزه علمياً وفكرياً ليكون مستعداً لحمل المسؤوليات التي لكل إنسان منها نصيب، وكلما ارتفع الإنسان درجة في العلم كلما زادت مسؤوليته وأهميته، قال تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾⁽¹⁰⁰⁾ وبعد ميدان التزكية والإعداد الفكري والتعليمي يبقى على الإنسان أن يمر بميدان الإعداد الوظيفي، ويعبر عن هذا الميدان قول الله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾⁽¹⁰¹⁾، أي حتى يضعوا الأشياء مواضعها، والحكمة تعني ما يزيل من القلوب وهج حب الدنيا، أو تعني الفقه في الدين، أو السنة المبينة للكتاب أو الكتاب نفسه. وتعليم الحكمة الإيقاف على ما أودع في الكتاب، وبما تكمل به النفوس من المعارف والأحكام، فتشمل الحكمة النظرية والعملية.⁽¹⁰²⁾ والحكمة هي التعاليم المانعة من الوقوع في الخطأ والفساد.⁽¹⁰³⁾ ولها معان عدة يدل بعضها على جانب نظري يتمثل في المعرفة والفهم والقدرة والتمييز، ويدل

- جميعاً وأن يعيشوا التغييرات الإيجابية، بل من الممكن أن تتغير فئة من المجتمع إيجاباً مما يؤثر على الآخرين فيشملهم هذا التغيير. إن الظلم هو أحد الأسباب الرئيسة الذي يمكن أن يقود المجتمع كله ليعيش تغييرات غير مرغوبة. والتربية والتعليم ضروريان ليغرسا في الناس الحافز للقيام بالأعمال التي عن طريقها يتحقق التغيير الإيجابي، والأمر ذاته في توعية الناس أن لا شيء يحدث في الكون بشكل عفوي، بل هناك أسباب وضعها الخالق، جل وعلا. والتغييرات الإيجابية في الإسلام هي ثمرة الإيمان، والعلم والعمل، والتربية هي الأسلوب الرئيس في التغيير المرغوب. وقد أرسل الرسل جميعاً لهدف إصلاح أحوال الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور. وتتمثل هذه المهمة اليوم بالتربية الإسلامية والدعوة والتوعية من قبل الدعاة والعلماء والمربين. وللوصول إلى نتائج المرجوة يتعين عليهم الصبر والحزم والرغبة القوية بذلك.
- الهوامش:**
1. سورة الأحزاب، الآية 62.
 2. سورة الرعد، آية 11.
 3. سورة الأنفال، آية 53.
 4. عبد الباقي، محمد فؤاد/ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: ص 504.
 5. سورة النساء، آية 114.
 6. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير/ جامع البيان عن تأويل أي القرآن: ج 9، ص 201.
 7. القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري/ الجامع لأحكام القرآن: ج 5، ص 384.
 8. ابن عاشور، محمد الطاهر/ تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد وتفسير الكتاب المجيد: ج 9، ص 254.
 9. سورة هود، الآية 117.
 10. القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري/ الجامع لأحكام القرآن: ج 9، ص 114، الزمخشري، أبو قاسم محمود بن عمر/ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: ج 2، ص 413.
 11. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين/ لسان العرب، ج 23، ص 2077.
 12. مجموعة مؤلفين/ الموسوعة الفقهية، ج 13، ص 70.
 13. الحجر، الآية 4.
 14. الحجر، الآية 5.
 15. سورة الإسراء: آية 24.
 16. سورة الشعراء: آية 18.
 17. القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري/ الجامع لأحكام القرآن: ج 19، ص 48.
 18. سورة آل عمران: آية 79.
 19. السعدي، عبدالرحمن بن ناصر/ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: ص 136.
 20. الأنصاري، د. محمد جابر/ رؤية قرآنية للمتغيرات الدولية: ص 9.
 21. ابن خلدون/ المقدمة: ص 38، ص 588.
 22. سورة الروم، الآية 4-1.
23. سورة الكهف، الآيات 21-20.
 24. سورة يوسف، الآية 50.
 25. سورة الشعراء، الآية 29.
 26. سورة الرعد، الآية 11.
 27. سورة الأنفال، الآية 53.
 28. الزامل، محمد عبد الله/ التأصيل الإسلامي للتغيير الاجتماعي: ص 3.
 29. سورة البقرة، الآية 251.
 30. سورة آل عمران، الآية 140.
 31. سورة محمد: آية 19.
 32. علي، سعيد إسماعيل/ التربية الإسلامية المفهومات والتطبيقات: ص 23-24.
 33. أبادي، محمد بن يعقوب الفيروز/ القاموس المحيط: ج 4، ص: 364.
 34. سورة الروم: آية 39.
 35. بن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم/ لسان العرب: ج 2، ص 401 و ج 5، ص 127-128.
 36. الجواري، إسماعيل بن حماد/ الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية: ج 6، ص 2349-2351.
 37. بن فارس، أحمد زكريا أبو الحسين/ معجم مقاييس اللغة: ص 378.
 38. إسماعيل، أ.د. سعيد، وبن محجب، أ.د. محمد، وإبراهيم، أ.د. عبد الراضي/ التربية الإسلامية المفهومات والتطبيقات: ص 17.
 39. النجيجي، محمد/ مقدمة في فلسفة التربية: ص 117.
 40. محمد، علي سعيد ومحمد الحامد وعبد الراضي/ التربية الإسلامية المفهومات والتطبيقات: ص 6.
 41. أبو لاوي، أمين/ أصول التربية الإسلامية: ص 18، الشيباني، عمر محمد التوم/ فلسفة التربية الإسلامية: ص 38.
 42. القضاة، خالد/ المدخل إلى التربية والتعليم: ص 17.
 43. داغستاني، بلقيس إسماعيل/ التربية الدينية والاجتماعية للأطفال: ص 97.
 44. سورة البقرة: آية 256.
 45. ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل/ تفسير القرآن العظيم: ج 1، ص 683.
 46. سورة محمد: آية 19.
 47. سورة آل عمران: آية 26.
 48. سورة فاطر: آية 3.
 49. ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل/ تفسير القرآن العظيم: ج 6، ص 533.
 50. عميرة، د. عبد الرحمن/ منهج القرآن في تربية الرجال: ص 59.
 51. سورة البقرة: آية 168.
 52. سورة النور: آية 30.
 53. سورة الشمس: آية 10-6.
 54. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر/ تيسير الكريم الرحمن في تفسير الكلام المنان: ص 926.

55. عميرة، د. عبد الرحمن/ منهج القرآن في تربية الرجال: ص 155.
56. سورة هود: آية 112.
57. سورة الأحزاب: آية 21.
58. سورة يوسف: آية 111.
59. يوسف، زينب بشارة/ من أساليب التربية في القرآن الكريم: 65.
60. سورة القصص: آية 76.
61. سورة القصص: آية 4.
62. الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود البغدادي/ تفسير روح المعاني: ج 20، ص 42.
63. سورة الحديد: آية 16.
64. سورة النور: آية 15-14.
65. عميرة، د. عبد الرحمن/ منهج القرآن في تربية الرجال: ص 195.
66. سورة القيامة: آية 23-22.
67. سورة القيامة: آية 24، 25.
68. يوسف، زينب بشارة/ من أساليب التربية في القرآن الكريم: ص 53.
69. سورة الزمر: آية 23.
70. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر/ تيسير الكريم الرحمن في تفسير الكلام المنان: ص 723.
71. سورة النساء: آية 93.
72. سورة مريم: آية 54-55.
73. سورة البقرة: آية 155، 156.
74. أخرجه البخاري/ صحيح البخاري/ كتاب الجنائز/ باب ما قيل في أولاد المشركين/ ص 222، حديث رقم 1385، وأخرجه إمام مسلم/ صحيح مسلم/ كتاب القدر/ باب معنى كل مولود يولد على الفطرة: ص 1157، حديث رقم 2658.
75. مطر، د. سيف الإسلام علي/ التغيير الاجتماعي: دراسة تحليلية من منظور التربية الإسلامية/ ص 78.
76. عبد الحميد، محسن/ منهج التغيير الاجتماعي في الإسلام: ص 40.
77. سورة الرعد: آية 11.
78. سورة الأنفال: آية 53.
79. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري/ الجامع لأحكام القرآن: ج 8، ص 29، ابن عاشور، محمد الطاهر/ تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد وتفسير الكتاب المجيد: ج 13، ص 100.
80. قطب، سيد/ في ظلال القرآن: ج 7، ص 335-333.
81. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر/ تيسير الكريم الرحمن في تفسير الكلام المنان: ص 324 و 414.
82. الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود البغدادي/ تفسير روح المعاني: ج 10، ص 20.
83. سبع، توفيق محمد/ نفوس ودروس في إطار التصوير القرآني: ج 2، ص 364.
84. علي، سعيد إسماعيل/ أصول التربية الإسلامية: ص 179.
85. سعيد، جودت/ حتى يغيروا ما بالأنفس: ص 38.
86. سورة البقرة: آية 151.
87. سورة البقرة: آية 256.
88. الزمخشري، أبو قاسم محمود بن عمر/ الكشاف عن حقائق التنزيل وعبون الأقاويل في وجوه التأويل: ج 1، ص 331.
89. الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود البغدادي/ تفسير روح المعاني: ج 10، ص 10.
90. سورة المائدة: آية 88.
91. سورة الأعراف: آية 157.
92. الزمخشري، أبو قاسم محمود بن عمر/ الكشاف عن حقائق التنزيل وعبون الأقاويل في وجوه التأويل: ج 2، ص 156.
93. سورة النجم: آية 23.
94. ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل/ تفسير القرآن العظيم: ج 7، ص 457.
95. سورة الإسراء: آية 36.
96. ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل/ تفسير القرآن العظيم: ج 5، ص 75.
97. مطر، د. سيف الإسلام علي/ التغيير الاجتماعي: دراسة تحليلية من منظور التربية الإسلامية: ص 54.
98. سورة البقرة: آية 151.
99. الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود البغدادي/ تفسير روح المعاني: ج 1، ص 387، ابن عاشور، محمد الطاهر/ تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد وتفسير الكتاب المجيد: ج 1، ص 93.
100. سورة المجادلة: آية 11.
101. سورة البقرة: آية 151.
102. الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود البغدادي/ تفسير روح المعاني: ج 1، ص 387.
103. ابن عاشور، محمد الطاهر/ تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد وتفسير الكتاب المجيد: ج 2، ص 49.
104. سورة النساء: آية 113.
105. ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل/ تفسير القرآن العظيم: ج 2، ص 410، ابن عاشور، محمد الطاهر/ تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد وتفسير الكتاب المجيد: ج 5، ص 197.
106. سورة النحل: آية 125.
107. الزمخشري، أبو قاسم محمود بن عمر/ الكشاف عن حقائق التنزيل وعبون الأقاويل في وجوه التأويل: ج 2، ص 601.
108. سورة لقمان: آية 12.
109. ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل/ تفسير القرآن العظيم: ج 6، ص 335.
110. سورة البقرة: آية 269.
111. ابن عاشور، محمد الطاهر/ تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد وتفسير الكتاب المجيد: ج 3، ص 61.
112. مطر، د. سيف الإسلام علي/ التغيير الاجتماعي: دراسة تحليلية من منظور التربية الإسلامية: ص 60.

المصادر والمراجع:

1. القرآن الكريم
2. أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز/ القاموس المحيط/ مؤسسة الرسالة/ الطبعة الثامنة - 1426 هـ/ 2005 م
3. أحمد، د. رفعت سيد/ من الإسلام الى التغيير: أسرار وحقائق الإسلام و قضايا التغيير الاجتماعي/ دار الملتقى للنشر/ قبرص/ الطبعة الأولى 1993 م
4. الأصفهاني، الراغب أبو القاسم الحسين بن محمد / مفردات ألفاظ القرآن/ دار القلم- دمشق و الدار الشامية - بيروت/ الطبعة الثانية - 1418 هـ / 1997 م
5. الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود البغدادي/ تفسير روح المعاني/ دار إحياء التراث العربي/ بيروت- بدون سنة طبعة
6. الأنصاري، د. محمد جابر/ رؤية قرآنية للمتغيرات الدولية/ دار شروق/ القاهرة - 1999 م
7. البخاري/ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل/ صحيح البخاري/ دار السلام للنشر والتوزيع/ الطبعة الثانية، الرياض - 1419 هـ/ 1999 م
8. بدوي، أحمد زكي/ معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية: مكتبة لبنان، بيروت - 1986 م
9. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد ولي الدين/ مقدمة ابن خلدون/ دار القلم/ الطبعة الحادية عشر/ بيروت - 1413 هـ / 1992 م
10. الرازي، محمد بن عمر فخر الدين/ مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) / دار الكتب العلمية/ الطبعة الأولى - 2000 م
11. الزعبلوي، محمد السيد/ تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس/ مؤسسة الكتب الثقافية/ الطبعة الأولى - 1414 هـ / 1988 م
12. الزمخشري، أبو قاسم محمود بن عمر/ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجه التأويل / دار إحياء التراث العربي/ الطبعة الثانية/ بيروت - 2001 م
13. د. سداد، ساهر حسن/ نظرية التغيير النفسي والاجتماعي من منظور إسلامي/ الطبعة الأولى/ دار النفائس، الأردن/ دار الفجر، بغداد - 1432 هـ / 2011 م
14. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر/ تيسير الكريم الرحمن في تفسير الكلام المنان/ تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق/ مؤسسة الرسالة/ بيروت/ الطبعة الأولى - 1420 هـ / 2000 م
15. سعيد، جودت / حتى يغيروا ما بأنفسهم/ الطبعة الثامنة/ القاهرة - 1989 م
16. الشيباني، عمر محمد التوم/ فلسفة التربية الإسلامية/ المنشأ العام للنشر والتوزيع والإعلام، ليبيا، طرابلس - 1983 م
17. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير/ جامع البيان عن تأويل أي القرآن/ ضبط وتوثيق وتخريج صدقي جميل العطار/ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - 1415 هـ / 1995 م
18. ابن عاشور، محمد الطاهر/ «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد وتفسير الكتاب المجيد المسمى بالتحليل والتنوير/ الدار التونسية للنشر- 1984 م
19. عبد الباقي، محمد فؤاد/ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم/ دار إحياء التراث العربي/ بيروت/ بدون سنة طبعة
20. عبد الحميد، محسن/ منهج التغيير الاجتماعي في الإسلام/ مؤسسة الرسالة ودار الفرقان للنشر والتوزيع/ الطبعة الأولى، بيروت - 1983 م
21. عثمان، د. محمد/ أساليب التقويم التربوي/ دار أسامة للنشر والتوزيع/ الطبعة الأولى، عمان، الأردن 2001- م
22. علي، سعيد إسماعيل/ أصول التربية الإسلامية/ دار الفكر العربي/ القاهرة - 1413 هـ/ 1993 م
23. علي، سعيد إسماعيل وآخرون/ التربية الإسلامية المفهومات والتطبيقات/ الطبعة الثانية، مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية - 1426 هـ / 2005 م
24. عميرة، د. عبد الرحمن/ منهج القرآن في تربية الرجال/ مكتبة عكاظ للنشر والتوزيع/ الطبعة الأولى/ 1401 هـ- 1981 م
25. أبو عيينة، علي خليل/ التربية الإسلامية وتنمية المجتمع/ مكتبة إبراهيم حلي، المدينة النبوية - 1408 / 1987 م
26. القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري/ الجامع لأحكام القرآن/ دار الكتب العلمية/ بيروت/ البعة الأولى - 1988 م
27. قطب، سيد/ في ظلال القرآن/ دار الشروق/ الطبعة العاشرة - 1402 هـ / 1982 م
28. القضاة، خالد/ المدخل إلى التربية والتعليم/ دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن - 1418 / 1988 م
29. ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن الخطيب أبو حفص عمر الشافعي/ تفسير القرآن العظيم/ المحقق سامي بن محمد سلامة/ دار الطيبة للنشر والتوزيع/ الطبعة الثانية - 1420 هـ - 1999 م
30. مجموعة من المؤلفين/ الموسوعة الفقهية/ وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية/ الكويت/ مطبعة الصوفا للطباعة والنشر والتوزيع/ الطبعة الأولى - 1412 هـ / 1992 م
31. مسلم، أبو الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري/ دار السلام للنشر والتوزيع/ الطبعة الثانية/ الرياض - 1421 هـ / 2000 م
32. مطر، د. سيف الإسلام علي/ التغيير الاجتماعي - دراسة تحليلية من منظور التربية الإسلامية/ دار الوفاء للنشر والطباعة والتوزيع/ الطبعة الثانية/ القاهرة - 1409 هـ / 1988 م
33. المناوي، محمد عبدالرؤوف/ التوقيف على مهمات التعاريف/ تحقيق: عبد الحميد صالح حمدان/ القاهرة - 1410 هـ
34. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد ابن مكرم الأفرقي المصري/ لسان العرب: دار الكتب العلمية/ بيروت/ الطبعة الأولى - 1412 هـ / 1992 م
35. ناصر، د. إبراهيم عبد الله/ علم الاجتماع التربوي/ دار وائل للنشر والتوزيع/ الطبعة الأولى/ الأردن، عمان - 2011 م
36. النووي، محيي الدين أبو بكر زكريا يحيى بن شرف/ شرح النووي على صحيح مسلم/ دار إحياء التراث العربي/ الطبعة الثانية/ بيروت - 1972 م.

10. Kupetz, Rita & Ziegenmeyer, Birgit. (2005). Blended learning in a teacher training course: Integrated interactive e-learning and contact learning. *ReCALL* 17 (2): 179–196. Cambridge University Press.
11. Moebs, S. and Weibelzahl, S. (2006). Towards a good mix in blended learning for small and medium-sized enterprises – Outline of a Delphi Study. Proceedings of the Workshop on Blended Learning and SMEs held in conjunction with the 1st European Conference on Technology Enhanced Learning Crete, Greece, pp 1-6.
12. Mohammad. A. Alseweed. (2013). Students' achievement and attitudes toward using traditional learning, blended learning, and virtual classes learning in teaching and learning at the University level. *Studies in Literature and Language*, 6(1), 65-73.
13. Onasanya, S. A ; Daramola F. O.; Asuquo E. (2007). : Effect of computer assisted instructional package on secondary school students' performance in introductory technology In Ilorin, Nigeria. *The Nigeria Journal of Educational Media and Technology*. Vol. 12 _o. 1. 2006
14. Palacios , M. Aljaro and Gascón , E. González. (2010). Self-Regulated Learning in Blended Learning Environments . Attitude as Antecedent Variable. ICERI2010 Proceedings <http://library.riated.org/view/ALJAROPALACIOS2010SEL>
15. Polding, Liz.(2007). Leading Change – Integrating E-learning into an existing course. *Legal Information Management*, 7 (2007), pp. 63–72
16. Schober , Barbara; Wagner , Petra ; Reimann ,Ralph ; and Atria,Maira. (2006). Teaching research methods in an Internet-Based blended-learning setting vienna E-Lecturing (VEL). *Methodology* 2006; Vol. 2(2): 73–82. Hogrefe & Huber Publishers.
17. Schrum. Lynne. (2011). Considerations on Educational Technology Integration: The Best of JRTE. International Society for Technology in Education. Washington . DC
18. Sharpe, R., Benfield, G., Roberts, G. and Francis, R. (2006). *The Undergraduate Experience of Blended E-Learning: a review of UK literature and practice*, York, Higher Education Academy.
19. Valiathan, Purnima (2002). *Blended Learning Models* . Available at : <http://www.astd.org>
20. Wan Ahmad , Wan Fatimah Bt; Afza Bt Shafie, ; Janier Josefina Barnachea . Students' perceptions towards Blended Learning in teaching and learning Mathematics: Application of integration . Available at :http://atcm.mathandtech.org/EP2008/papers_full/2412008
21. Wieling, M. B.; Hofman, W. H. A. (2005). The Impact of Online Video Lecture Recordings and Automated Feedback on Student Performance *Computers & Education*, v54 n4 p992-998 May 2010
22. Young, Pat; Glogowska, Margaret; Lockyer, Lesley, and Moule, Pam.(2010). An evaluation of the introduction of blended learning to Continuing Professional Development. Available at http://eprints.uwe.ac.uk/7997/1/blended_learning_final_report_2010.pdf

Another implication is that if the instructors at QOU and other universities are the persons to be responsible for improving methods of delivery of the instructional materials, they must be trained and motivated to improve their skills and potentials in this regard. Moreover, *ELT Methodology (2)* textbook and other English Language courses should be supplemented with more practical sides and a variety of possible YouTube and website links that help both the instructors and the learners to invest the best of their capacities and skills for the benefit of creating competent and expert (experienced skillful qualified) teachers in Palestine, this is clearly revealed in Brooks (2009) study which finds that faculty members with more positive perceptions of educational technology have positive attitudes toward a BL environment. Thus administrators and teachers should find the results of this study useful in recruiting and training teachers of BL courses. It is also suggested by Polding (2007) study which suggests that keeping staff engaged with the process of integration is the most important aspect of e-learning as it leads them to feel confident and supported throughout the entire cycle causing the process of change run more smoothly and yield to better results. Taking into consideration the advantages of blended learning should not be the objective as the human element will always be the most dominant factor in running the process of learning. Blended learning can be used to support and supplement the human teacher and learner when enriching the educational setting and make it very relevant and appealing. So the human element and technology should be integrated together to yield successful and permanent leaning.

References:

1. Adas , Dana and Abu Shmais, Wafa (2011). Students' perceptions towards blended learning environment using the OCC. An - Najah Univ. J. Res. (Humanities). Vol. 25(6), 2011.
2. Al-Saai, Ahmad, Aisha Al-Kaabi, & Sarah Al-Muftah (2011). Effect of a blended E-learning environment on students' achievement and attitudes toward using E-learning in teaching and learning at the University Level. *International Journal for research in Education (IJRE)*, 29, 34-55. Retrieved from http://www.fedu.uaeu.ac.ae/journal/docs/pdf/pdf29/3_E.pdf
3. Alseweed, Mohammad. (2013). Students' achievement and attitudes toward using traditional learning, blended learning, and virtual classes learning in teaching and learning at the University level .*Studies in Literature and Language*, 6(1), 65-73.
4. Allan, Barbara.(2007). *Blended Learning: Tools for teaching and training*. London, Facet Publishing. Alshwiah, Abeer Aidh S. (2009). *The Effects of a Blended Learning Strategy in Teaching Vocabulary on Premedical Students' Achievement, Satisfaction and Attitude toward English Language*. Master's Thesis, Arabian Gulf University.
5. Brooks, Lori. (2009) . An analysis of factors that affect faculty attitudes toward a blended learning environment. Ph.D., Dissertation . TUI University
6. Budka , Philipp ; Mader , Elke ; Anderl , Elisabeth ; Johann Stockinger .(2008). *Strategies for Networked Learning in Social Science Education in Lu ca*, J.&E.R. Weippl(eds.) *Proceedings of ED-MEDIA 2008: World Conference on Educational Multimedia, Hypermedia and Telecommunications*. Chesapeake, VA: AACE.
7. Garnham, C., & Kaleta, R. (2002). Introduction to hybrid courses. *Teaching with Technology Today*, 8(6). Retrieved October 3, 2006, from <http://www.uwsa.edu/ttt/articles/garnham.htm>
8. Grandzol, J. (2004). Teaching MBA statistics online: A pedagogically sound process approach. *Journal of Education for Business*, 79(4), 237-244.
9. Kavadella A, Tsiklakis K, Vougiouklakis G, Lionarakis A. (2011). Evaluation of a blended learning course for teaching oral radiology to undergraduate dental students. *Eur J Dent Educ*. 2012 Feb;16(1): e88-95.

the students' achievement tests scores, although there was significant difference in their attitudes towards the teaching approach in favor of blended learning which indicates that using blended learning has positive impact.

The result might be also interpreted as that nearly all students, regardless of their age and place of residence whether it is in the city, the village or the camp, think that blended learning is a good educational choice that suits their conditions and ambitions as well, and this agrees with Young et al (2010) where students by the end of the course showed increased confidence in the potential of BL that confirms studying online provided useful skills for continuing learning and was more convenient for part-time study. It also agrees with Palacios and Gascon (2010) study which revealed that BL methodology is seen nearly flexible and positive and facilitates learning with the SRL framework. The result also agrees with that of Kupetz & Ziegenmeyer (2005) who found that a combination of different methods and activities, various traditional and electronic media, learning spaces covering contact and distance learning, and task-based learning modules was highly appreciated by learners and represented the concept of integrated interactive e-learning and contact learning.

On the other hand, the results seem to disagree with that of Alseweed (2013) and Al-Saai, Al-Kaabi, and Al-Muftah (2011) who found significant difference in students' attitudes towards blended learning.

Conclusion and Recommendations

The purpose of this study was to investigate the attitudes of ELT Methodology (2) students towards the proposed model of blended learning at QOU and the effect of age and place of residence on these attitudes. The findings revealed that age and place of residence had no significant effect on the students' attitudes while the overall attitudes were high and positive since the blended learning strategy was highly appreciated by learners and represented the concept of integrated interactive

e-learning and contact learning which helped learners to learn the teaching materials much better. The high positive attitudes revealed in this study could be seen as a natural consequence of using different methods, approaches, tools and activities such as videos followed by class discussions, YouTubes that cover the teaching of the four skills and the sub-skills, videotaped model classes, PowerPoint slides, university academic portal, PowerPoint presentations, cartoons, taped materials, visual aids, native speakers of English from Project Hope Organization emailing links to browse, CD which includes some dialogues and conversations and class announcements via email. This variety helps students to be more engaged and motivated to participate in the given tasks and activities especially the in-class activities.

The merits of using this blended learning might be based on the fact that such strategy has the potential to offer more learning opportunities added to the face-to-face lectures so as to enable students who are often absent from the regular face-to-face lectures to be able to improve their course grade by viewing the lectures online or to use recorded supplementary materials at home.

Depending on the previously mentioned findings, some important implications and recommendations can be given in this regard. First, since students have positive attitudes towards the proposed model of blended learning, teachers and instructors should try their best efforts to create a more flexible environment that employs a combination of resources and involves the provision of additional materials and guidance to enable learners to optimize their learning experience. Second, and based on the researchers' personal observation, students showed an obvious interest and involvement in this course to the extent that some of them expressed frankly that the course is one of the most useful and enjoyable courses in their specialization since it combined theory and practice and enabled them benefit from the preceding courses. Such feelings and views necessitate a wise employment of a variety of modern technologies and traditional audio-visual aids.

On the other hand , the lowest means was given to the item “ I found BL unnecessary and not useful “ which scored (3.28). Such low means indicates that Blended leaning is seen to be useful and necessary since it incorporates different methods and techniques for delivering information and educational materials including ICT. This result seems to be consistent with Young et al (2010) who found that studying online provides useful skills for continuing learning and was more convenient for part-time study. It also agrees with Palacios and Gascios (2010) who found that BL is seen nearly flexible and positive, and can be a construct with a potential to facilitate learning with the SRL framework .The result also agrees with Wieling and Hofman (2010) study which showed that students who attended few lectures had more benefit from viewing online lectures than students who attended many lectures as it enables them to improve their course grade by viewing the lectures online. Furthermore, such result agrees with Alshwiah (2009) study which revealed that the experimental group demonstrated high degree of satisfaction toward the online unit in three dimensions of the scale and medium satisfaction and also with Wan Ahemed et al (2009) who revealed that 87.5% of the students in their study indicated that the teaching methods had helped them to learn the topic better and that the different delivery methods used had assisted them in understanding the important concepts regarding the topics, had helped them to visualize, learn at their own pace and time, and motivate them in solving the exercises from the textbook.

2. Results related to the Second Question. “Are there any statistical significant differences between the attitudes of students of ELT Methodology 2 due to age and place of residence?”.

To answer this question, frequencies, means, standard deviations in addition to Two-Way ANOVA were used as shown in Tables (3, 4 ,5) respectively.

Table (3)

Frequencies , Means and Standard Deviations of Learners' Attitudes Due to Age

Age	Level	N	Mean	S.D
Attitudes of learners of ELT Methodology2	21-25	37	3.95	0.28
	26-30	2	3.72	0.42
	31 or over	3	4.11	0.22
Total		42	3.95	0.28

Table(4)

Frequencies , Means and Standards Deviations of Learners' Attitudes Due to Place of Residence.

Place of residence	Level	N	Mean	S.D
Attitudes of learners of ELT Methodology2	City	13	4.02	0.39
	Village	26	3.92	0.23
	Camp	3	3.97	0.04
Total		42	3.95	0.28

Table (5)

Results of Two –Way ANOVA of Learners' Attitudes Due to the Interaction Between Age and Place of Residence

Source	Type III Sum of Squares	df	Mean Square	F	Sig.
Age	0.233	2	0.116	1.400	0.260
Place	0.047	2	0.024	0.285	0.754
Age * Place	2.281	1			
Error	2.991	36	2.281 0.083	0.000	0.987
Total	660.352	42			

Table (5) above shows that there were no statistically significant differences at ($\alpha =0.05$) in the attitudes of students due to the interaction between age and place of residence. This result indicates that students regardless of their age and place of residence believed in the potentials of Blended Learning in the educational processes in general and distance and open learning in particular. This result seems to be in consistent with Wan Ahmad et al (2009)who found that students demonstrated positive perceptions using BL and their feedback was also positive seeing that BL helped and motivated them to learn the topic better. The result seems to agree with that of Al-Saai, Al-Kaabi, and Al-Muftah (2011) whose study showed no significant difference in

No.	No.in the tool	Item	Means	standard deviations	Estimation level
30.	38	I felt confident about on- line learning by the end of the course.	3.88	0.94	Medium
31.	14	BL helped me meet instructor's expectations carefully/easily.	3.85	0.84	Medium
32.	42	There were too many tasks and I could not do them all.	3.85	1.02	Medium
33.	21	BL offered the instructor more opportunities for simulations, interactive learning modules, e-mail, bulletin boards interactions.	3.76	0.69	Medium
34.	29	BL was a threatening experience .	3.76	1.10	Medium
35.	36	With BL , I was able to access the on-line materials without difficulty.	3.71	0.96	Medium
36.	37	I felt confident about on- line learning from the beginning of the course.	3.64	0.95	Medium
37.	33	Using BL enabled me to accomplish tasks more quickly.	3.64	0.98	Medium
38.	15	The instructor combined a wider number of delivery mediums by using the blended options.	3.61	0.76	Medium
39.	39	I had insufficient time to access the on-line materials. There was not enough time	3.54	1.08	Medium
40.	41	I responded to all on-line tasks because they were all relevant and interesting.	3.52	1.04	Medium
41.	34	By using BL , I could follow and study the course material easily.	3.47	0.96	Low
42.	35	I found BL unnecessary and not useful.	3.28	1.15	Low
Total			3.95	0.28	High

Table (2) shows that the total degree of students' responses towards blended learning was (3.95) which suggests a high level of attitudes. This result agrees with Kavadella.A.et al (2011) and Adas and Abu Shmais (2011) who found that students performance and attitudes concerning BL in the blended group performed significantly better than their colleagues of the conventional group in the post-course knowledge test, in addition to their appreciation of the course design, materials, clarity and effectiveness. The highest means given to the item " BL helped me have a continuous learning experience " which scored (4.33) and this means that the students believe that blended learning provides them with more opportunities to learn at university and at home using the available technologies and resources . Such result might be due to the fact that technology has positive impact

on education , according to Schrum (2011) and also with Valiathan (2002) who maintained that blended learning has the potential to provide the most efficient and effective instruction experience by combining delivery modalities within online learning and face-to-face learning. Moreover , the result might be explained by referring to Moebis and Weibelzahl (2006) and (Garnham & Kaleta, (2002) who stated that blended learning integrates learning activities through a mixture of online and face-to-face learning in addition to merging the best features of in-class teaching practices with the best accessible features of online learning. The result, however, seems to disagree with Grandzol (2004) who found no significant differences between the students' perceptions in terms of enthusiasm, preparation, grading, and clarity of instruction.

No.	No.in the tool	Item	Means	standard deviations	Estimation level
6.	17	The instructor was not the only source of information since learners working in groups could cooperate and manage their learning experience.	4.14	0.64	High
7.	16	The BL experience made me adapt my time , roles and resources to benefit from this approach	4.14	0.75	High
8.	4	BL helped me improve self-paced instruction.	4.14	0.47	High
9.	1	Blended learning (BL) helped me combine online with face to face learning.	4.11	0.77	High
10.	10	BL helped me know and use online resource links.	4.11	0.63	High
11.	27	BL developed my ability to exploit different teaching supports (blackboard, audio, video , etc.).	4.11	0.80	High
12.	25	BL provided me with an opportunity for time management.	4.11	0.63	High
13.	19	BL offered the instructor great flexibility and great effectiveness as it could choose the best medium for every objective.	4.11	0.80	High
14.	28	BL built my capacity to use simulations to make the classroom activity more relevant and real.	4.09	0.61	High
15.	20	In BL , the classroom was better for discussion , practicing, exercises and feedback activities.	4.09	0.90	High
16.	9	BL allowed me to use the classroom for effective learning.	4.07	0.63	High
17.	32	I would prefer to study with a blended approach to learning again.	4.04	0.73	High
18.	30	BL helped me reduce the level of fear and anxiety.	4.04	0.96	High
19.	26	BL provided me with ample opportunities to experiment with a variety of teaching strategies.	4.04	0.73	High
20.	8	BL allowed for using online learning in addition to live instruction.	4.04	0.66	High
21.	5	BL improved my satisfaction with self-study content.	4.04	0.73	High
22.	22	BL was good for online interaction and online feedback.	4.02	0.74	High
23.	23	BL gave room for improving online discussion.	4.02	0.74	High
24.	18	The BL environment provided for good communications between the instructor and the learner.	4.00	0.76	High
25.	2	BL provided me with an effective instruction experience.	4.00	0.76	High
26.	3	The Blended course combined several delivery methods , such as collaboration software, You Tubes and Web-based materials.	3.97	0.74	Medium
27.	6	BL provided several options for using relevant links.	3.95	0.62	Medium
28.	7	BL provided me with different ways to study the content.	3.95	0.82	Medium
29.	40	BL helped practice microteaching successfully.	3.92	0.92	Medium

- ◆ Providing learners with a CD which includes some dialogues and conversations
- ◆ class announcements via email and sending and receiving assignments.
- ◆ At the end of the course, students were given the modified questionnaire answer its statement and provide the required information.

Sampling

The sample consisted of forty-two English language students at Al-Quds Open University in Nablus Branch in the academic year 2013/2014. The respondents were varied in terms of age and place of residence as shown in Table (1) below.

Table (1)

Distribution of Sample According to Study Independent Variables

Variable	Class	Frequency	Percentage %
Age	21-25	37	88.1
	26-30	2	4.8
	31 or over	3	7.1
Place of residence	City	13	31.0
	Village	26	61.9
	Camp	3	7.1
Total		42	100%

Data Collection, Procedures and Analysis

Nearly at the end of the second semester

of the year 2013-2014 and after the students practiced different types of activities, the final draft of the questionnaire was distributed to the sample during the last week of the semester to be filled out in one face-to-face lecture after giving them instructions on how to respond to the items . The data collected, then, analyzed using (SPSS) to provide answers to the questions of the study. Means, frequencies, standard deviations, and One-Way Analysis of Variance (ANOVA) were used.

Results and Discussion

This study aimed at investigating the learners' attitudes towards the use of blended learning for teaching ELT methodology (2) at Al-Quds Open University in addition to identifying the effect of age and place of residence on these attitudes. To achieve the study objectives, the researcher analyzed the data in accordance with the study **questions and the results were as follows:**

I. Results related to the First Question.

- » What are the attitudes of ELT Methodology?
- » students towards blended learning?

To answer this question, means and standard deviations were used as shown in Table (2) based on the following scale to represent the estimation level of students' responses.

4.5 - and more:Very High	4 – 4.49 :High
3-50–3.99:Medium	
3- 3.49 : Low less than 3: Very Low	

Table (2)

Means, Standard Deviations and Estimation Value of Learners Attitudes Towards Blended Learning

No.	No.in the tool	Item	Means	standard deviations	Estimation level
1.	13	BL helped me to gain a continuous learning experience.	4.33	0.47	High
2.	31	BL helped teachers add variety and interest to the teaching process.	4.26	0.79	High
3.	24	BL promoted instructors' ability to handle individual differences affectively.	4.21	0.68	High
4.	11	BL helped me manage instructional complexity by using supplementary materials and links.	4.19	0.77	High
5.	12	BL helped me learn how to manage my roles& responsibilities.	4.16	0.79	High

the number of items into (42).

The reliability of the questionnaire, calculated using Cronbach Alpha formula, was (0.83) which is acceptable for the purpose of the study.

ELT Methodology 2

English Language Teaching Methodology (2) is a practical course, based on ELT Methodology (1) and following it. While, ELT(1) emphasizes the notion of competence, ELT (2) emphasizes the notion of performance. Both of them are studied by senior students who major in TEFL at QOU branches and centers. The course aims at providing the learners with the knowledge and skills necessary for teaching the various classroom teaching learning activities. This includes preparing supplementary materials, A/V. aids, short-term plans, long-term plans and classroom tests. According to the course objectives, learners learn how to share experiences, teach each other, evaluate each other, and criticize each other. They also learn how to be competent observers, how to use technology equipments including different types of visual aids, software, hardware, LCD, PowerPoint presentations, music, games and role playing.

Additionally, the learners are given good opportunities to practice lesson planning, to prepare exams and worksheets, to design visual aids, to observe recorded classroom lessons and carry out actual classroom lessons. Moreover, the learners of this course are given the chance to practice the so-called "micro-teaching" through teaching micro lessons for about (10-15) minutes in front of their peers or classmates. Such microteaching is conducted in a simulated environment where the students receive prompt feedback "critique" from the teacher and their peer-students. This means that all students are given equal opportunities to practice and observe different styles of teaching that cover the four skills on the one hand, and the sub-skills, on the other hand, for the aim of furnishing these would-be teachers with meaningful content for reflection on their microteaching. With regard to the roles of the academic supervisors who teach this course, they try their best to give learners good models of teaching practices, they harness the trainees

power of analysis. Furthermore, the supervisors are accustomed to using skill-specific observation schedules to provide an agenda for discussion and they harness the use of "critique", mainly focusing on several points including correction of errors, clarity of exposition, nature and effect of questioning techniques, students' participation and the level of their motivation, feedback management, class management and using visual aids, handouts and technology.

Procedures

To achieve the objectives of the study, the researchers used a number of techniques, methods, procedures and different types of materials. For example:-

- ◆ Students were asked to watch a video entitled "Make a Difference" to participate in a class discussion that followed it.
- ◆ Students were sent a number of excellent YouTubes that cover the teaching of the four skills and the sub-skills to watch and to give their own feedback and comments.
- ◆ Students were given the opportunity to watch two videotaped model classes given by two student-teachers who took the practicum followed by one-hour discussion.
- ◆ The instructors sent the students PowerPoint slides via the university academic portal that summarize the seven units of the course to be prepared and presented by the students with the help of the instructors and discussed in the classroom.
- ◆ Students prepared PowerPoint presentations, cartoons, taped materials, visual aids and other resources to be used in the classroom during their microteaching experiences.
- ◆ A native speaker of English from Project Hope Organization /Nablus was invited by two students and interviewed in the class so as to give the students the opportunity to practice the listening and the speaking skills.
- ◆ Activating the Academic Portal of QOU mainly emailing and e-course to communicate with the instructor.
- ◆ Students were sent links to browse, watch, listen and read materials talking about this or that topic

appreciated by learners and represented the concept of integrated interactive e-learning and contact learning.

Grandzol (2004) investigated students' responses to blended learning and traditional delivery methods. The results found that students' perceptions in terms of enthusiasm, preparation, grading, and clarity of instruction were similar for the two sections. The results revealed no significant differences between the students.

Purpose of the Study

The overall objective of this study was to investigate how traditional teaching methods, based on face-to-face lectures, and a supplement environment that employs a combination of resources are blended in an English major course entitled "English Language Teaching Methodology (2)" that is being taught at Al-Quds Open University in Palestine since 1992.

The study, in particular, aimed to investigate the effect of using the proposed blended learning strategy on students' attitudes toward blended learning at Al-Quds Open University in the second semester of the academic year 2013/2014 in addition to investigating the effect of age and place of residence on these attitudes.

Questions of the study

1. **What are the attitudes of ELT Methodology (2) students towards blended learning?**
2. **Are there any statistical significant differences between the students' attitudes due to age and place of residence?**

Significance of the Study

The findings of this study are hoped to be useful for the instructors who teach this course in the 21 branches of QOU in particular and other instructors who teach similar courses in other universities. Furthermore, the findings might be helpful to the decision makers at QOU who can benefit from the results to adapt and improve the quality of delivering the instructional materials that suit the students of the open education with their own unique characteristics and conditions.

The findings are also hoped to bridge the gap between theory and practice with regard to teaching methodologies and add to the growing body of literature in this promising area especially in the fields of using non-traditional methodologies, programs and syllabus design.

Materials and Instrument

The main objective of this study was to investigate the effect of using a blended learning strategy in teaching ELT Methodology (2) on students attitudes toward blended learning at Al-Quds Open University in the second semester of the academic year 2013/2014. To achieve this objective, the researchers designed a (42)-item questionnaire to collect information about the two possible predictors (age and place of residence) and the predicted or dependent variable (students attitudes towards the blended learning).

Section one of the questionnaire gathered information regarding age and students' place of residence. Section two was built to measure students' attitudes towards blended learning. ELT Methodology (2) learners were asked to rate their agreement with the items on a (5)-point Likert-type scale ranging from 1 (strongly agree) to (5) (strongly disagree).

Validity and Reliability of the Questionnaire

To ensure both the validity and content validity of the questionnaire, it was revised and validated by a jury of four EFL instructors from QOU and An-Najah University and e-learning specialists from the Palestinian Ministry of Education to rate each item for clarity and appropriateness in measuring the students' attitudes. The questionnaire, then, was piloted on (10) students with similar level of learning. The purpose of the pilot study was to determine whether the questions were comprehensible and can be interpreted by the students as they are intended to measure. The students who were involved in the pilot study were excluded from the actual research. The respondents' comments and the jury's suggestions were taken into consideration to modify and improve the questionnaire's content and wordings by omitting, adding or rephrasing items bringing

courses because the relationships between educational technology, personal incentives, and attitudes have been clarified.

Wan Ahmad et al (2009) aimed to determine the influence of blended learning approach on students' perceptions towards learning application of integration. A total of 30 engineering students were involved in the study. A set of questionnaire was given to evaluate the students' attitudes and learning perceptions. The results showed that students demonstrated positive perceptions using the blended learning approach and the use of BL in teaching this topic has positive feedback on students' learning. This result showed that the adoption of a Blended Learning approach resulted in an improved students' performance. In addition, majority of the students (87.5%) indicated that the teaching methods helped them to learn the topic better.

Budka et al (2008) developed strategies to include selected online learning tools, methods, and technologies into the teaching and learning practices of undergraduate social anthropology students at the Faculty of Social Sciences of the University of Vienna. To achieve this objective, a learning environment has been created, which has been tested and evaluated in the scope of several blended learning scenarios. The results showed that it is necessary to develop flexible and individual blended learning scenarios by using e-learning tools, which can be combined and integrated into didactical concepts and models. Processes of identifying strategies, implementing tools and methods and evaluating scenarios and models for e-learning in the social sciences need to be planned and conducted openly and holistically by integrating also the critical voices.

Polding (2007) examined the effect of integrating e-learning resources into existing law courses at the Oxford Institute of Legal Practice. Resources used included open source options, such as Moodle, webcams, podcasts, interactive noticeboards, chat rooms and e-portfolios. The findings concluded that keeping staff engaged with the process of integration is the most important aspect of e-learning, and that the staff felt confident and supported throughout the entire cycle. This did more to keep them engaged and motivated than

having someone outside their course who might not necessarily understand the way the subject fits together. Finally, it was concluded that if tutors are motivated and engaged, then the process of change can run more smoothly and will ultimately produce a better result.

Schober et al (2006) introduced a survey of a blended learning approach called Vienna E-Lecturing (VEL), implemented in the course Research Methods and Evaluation at the University of Vienna, Austria. The Internet-based course lasted two semesters and was composed of 10 online learning modules and (11) face-to-face meetings (including tutorials). In the 2004/2005 academic year, (50) students taking part in the VEL administration of Research Methods and Evaluation were divided into (10) groups of 5 students each. **The evaluation of VEL was organized in a treatment control- group design and has three levels:**

1. data collection integrated into the modules, which is to deliver the foundation for the optimization of the modules as well as their individual building blocks;
2. an effectiveness analysis through comprehensive collection of subject-related and motivational personality characteristics.
3. qualitative interviews with all group members. It was concluded that VEL should be developed to a well-documented concept that helps to improve teaching on the basis of central principles of instructional and motivational psychology.

Kupetz & Ziegenmeyer (2005) proposed a blended learning concept for a university teacher training course for teachers of English. The concept aimed at purposeful learning using different methods and activities, various traditional and electronic media, learning spaces covering contact and distance learning, and task-based learning modules that begin with multimedia-based case stories. The activities included classroom recordings and multimedia-based case stories, an electronic interview with an expert who is an experienced grammar school teacher, and mini-practices, which implement micro teaching in a classroom setting. This combination was highly

aimed to make full creative use of the interactive potential of on-line media and maximize learning opportunities. Findings indicated that staff views of blended learning in the beginning were more negative than positive. Concerns about blended learning included the loss of relationships with students and the time-consuming nature of providing on-line learning. Findings also revealed that over half the respondents agreed that they felt confident about on-line learning at the beginning of the course; this increased to 75% of respondents by the end of the course. Most students accessed materials from home and work, with home access the most popular. Regarding resources which were seen as most useful were: links to web materials; multiple choice quizzes, course information; the introductory exercise; PDFs; Power-points; 'drag and drop' self tests; image labeling exercises; images; 'fill the gap exercises: case- studies; and self test questions with answers. Finally, the majority of respondents agreed that studying on-line provided useful skills for continuing learning and was more convenient for part-time study.

Palacios and Gascón (2010) tested a model where the blended learning and the attitude towards this are antecedent factors to students Self-Regulated Learning (SRL) strategies. The study was carried out with freshmen and sophomores students in Computer Engineering, University Miguel Hernández, Spain. Students answered a three-page questionnaire. In general, the students viewed the flexible and self-management aspects of blended learning method positively, but with some attitudinal differences. So, the attitude towards blended learning is a construct with potential to facilitate learning within the SRL framework. Results showed that attitudes towards blended learning and the use of blended learning methodology are significantly related to the use of SRL strategies.

Wieling and Hofman (2010) investigated to what extent a blended learning configuration of face-to-face lectures, online on-demand video recordings of the face-to-face lectures and the offering of online quizzes with appropriate feedback has an additional positive impact on the performance of the students compared to the traditional face-to-face course approach. (474) students (161 men and 313 women) of a course

on European Law participated in the experiment. Students who attended few lectures had more benefit from viewing online lectures than students who attended many lectures. It was found that the regression analysis did not show a significant effect of automated feedback on student performance. Offering recordings of face-to-face lectures was an easy extension of a traditional course and was of practical importance, because it enabled students who were often absent from the regular face-to-face lectures to be able to improve their course grade by viewing the lectures online.

Alshwiah(2009) investigated the effects of a proposed blended learning strategy in teaching medical vocabulary at Arabian Gulf University (AGU) on some outcomes of the learning process. The study attempted to assess the effects of the proposed strategy on pre-medical students' achievement, attitudes towards the English language, and their satisfaction with the unit. The study sample consisted of 50 students randomly divided into two groups; (22) students in the control group and 28 in the experimental group. The research instruments included: AGU English language unit exams in English (151), attitude towards English language and satisfaction with the unit scales that were developed by the researcher. Data analysis revealed that the experimental group members demonstrated high degree of satisfaction toward the online unit in three dimensions of the scale and medium satisfaction in one dimension.

Brooks (2009) examined faculty attitudes toward a blended learning environment which included traditional face to face interaction as well as an Internet component . A total of 107 university faculty members in various degree programs completed the Faculty Attitudes Towards Technology-based Distance Education survey on blended learning. Results showed that faculty with more positive perceptions of educational technology, and women tended to have positive attitudes toward a blended learning environment. The qualitative results confirmed the quantitative results in that faculty with more positive attitudes toward a blended learning environment also tended to have a positive perception of educational technology, School administrators and teachers should find the results of this study useful in recruiting and training teachers for blended

can be applied to a very broad range of teaching and learning situations, particularly language teaching especially when the teaching situation involves a parallel self-study components such as chat rooms, discussion boards, PowerPoint slides, wiki, blogs, online quizzes, CD-ROMs or DVDs, iPods, emails, social networking software such as MySpace or Facebook, weblogs and message systems and even smart mobile phones. The key to blended learning is selecting the right combination of media that will drive the highest business impact for the lowest possible cost.

However, for the purpose of this study, "blended learning" will be used, for consistency objectives, to mean a supplement to traditional course that employs a combination of resources and involves the provision of additional materials and guidance to enable learners to optimize their learning experience. This combination includes the following : face-to-face lectures, traditional materials (textbook), self-paced instruction, e-mailing, PowerPoint slides, audio and video resources and YouTube materials.

Exploring the advantages and the experiences gained through blending learning in different contexts, in addition to exploring learners' attitudes ,necessitate an urgent need to review some relevant studies and experiments in different contexts.

Alseweed (2013) aimed to investigate the effects of the traditional learning, blended learning and virtual classes learning on university students' achievement and attitudes of 34 male students studying at the English Language Program, Qassim University. The results showed significant differences in students' attitudes in favor of blended learning.

Kavadella, et al (2011) aimed to develop and implement a blended course on undergraduate oral radiology and evaluate it by comparing its educational effectiveness to that of a conventional course. The course was attended by two groups of final-year students, who were taught by either the conventional face-to-face methodology or the blended learning methodology. Students answered a series of questionnaires, before and after following the course, regarding their perceptions, attitudes and evaluation of the course. Additionally,

they completed knowledge assessment tests and their grades (before and after the course) were compared. Results showed that students in the blended group performed significantly better than their colleagues of the conventional group in the post-course knowledge test, and female students of the blended group performed better than male students. Students evaluated high the course content, organization, educational material, and the blended group students additionally appreciated the course design and clarity of instructions. Students' attitudes towards elements of blended learning (effectiveness, motivation and active engagement) were very positive. Most of the blended group students (91%) evaluated it as helpful for summarizing the subject and clarifying difficult issues.

Adas and Abu Shmais (2011) investigated An-Najah National University students' perceptions towards Blended Learning environment using traditional methods in addition to OCC (Online Course Container) to aid EFL learners improve their four language skills. The study included (92) students enrolled in a general English course (10103) offered at the language Center at the university. A questionnaire was designed to measure the students' attitudes towards BL (Blended Learning) using (OCC) in terms of: the process, ease of use, and content. The study concludes that in general the students' attitudes towards BL were positive in terms of the three domains. Moreover, it reflects the students' internet and IT skills and interests due to internet availability and accessibility.

Al-Saai, Al-Kaabi, and Al-Muftah (2011) examined forty -three Qatari university female students' achievement tests and their attitudes towards blended learning and traditional learning. Although results showed no significant difference in the students' achievement tests scores, there was significant difference in their attitudes towards the teaching approach in favor of blended learning.

Young et al (2010) developed a blended learning model for Continuing Professional Development (CPD) through exploring staff and student experiences .The blended learning model consisted of core modules and a series of further specialist learning options. The model

number of the students at QOU in the academic year 2014/2015 amounts to 67,000 students attending 21 branches in all of Palestine including the Gaza strip. Under these conditions, there is an apparent, compelling demand and a dire need to shift from face-to-face meetings and lectures to ones that involve a more flexible blend of face-to-face and e-learning activities. One of these trends recently applied is blended learning which aims at skillfully combining e-learning with face to face instruction so as to create a positive experience for both of the instructors and the students.

As a result of the frequent use of blended learning with its well-known popularity, especially in the last two decades, some educators now claim that blended learning has the potential to go hand in hand with the philosophy of distance and open learning to the extent that blended learning can supplement the objectives of such distance and open learning in many fields. The question then is: what does blended learning mean and involve?

To begin with, Valiathan (2002) stated that blended learning combines online learning with face-to-face learning. The goal of blended learning is to provide the most efficient and effective instruction experience by combining delivery modalities. Therefore, the term blended learning is used to describe a solution that combines several different delivery methods, such as collaboration software, Web-based courses, the Educator Performance and Support System (EPSS), and knowledge management practices. Blended learning is also used to describe learning that mixes various event-based activities, including face-to-face classes/meetings, live e-learning, and self-paced instruction. Five years later, Allan (2007) defines blended learning as a mixture of face-to-face and e-learning' or 'the use of different internet based tools including chat rooms, discussion groups, podcasts and self-assessment tools to support a traditional course. .

In this respect, Sharpe et al. (2006) offered three distinct models for the purpose of thinking about blended learning from a historical perspective. The first model is blended learning as a supplement to traditional programs, e.g. the provision of additional materials and guidance through a virtual learning environment, e-mailing

PowerPoint slides to delegates, use of online communication tools such as chat rooms or discussion boards, use of social software such as wiki or blogs, use of online quizzes, or additional resources provided via CD-ROMs or DVDs. In such a model we can notice that the face-to-face activities encompass e-activities or e-resources and vice versa. The second model is a transformative approach where new programs are designed or previously existing programs are redesigned to integrate a wide range of approaches to learning and teaching relevant to the learners and the context of learning. The third model is the learner-led one, which is holistic and typified by the use of a wide range of technologies, including mobile phones, iPods, emails, social networking software such as MySpace or Facebook, weblogs and message systems.

These are tools that are commonly used on day-to-day basis, e.g. for social reasons, and they are often the preferred communication tools of different groups of learners. According to Moebs and Weibelzahl (2006), blended learning (BL) or hybrid learning describes a learning environment that either combines teaching methods, delivery methods, two media formats or a mixture of all these. It also refers to the integrated learning activities such as a mixture of online and face-to-face learning. Blended learning, however, is usually referred to as a hybrid model at university practices, which are courses in which a significant portion of the learning activities have been moved online, and time traditionally spent in the classroom is reduced but not eliminated. The main objective behind that is to merge the best features of in-class teaching practices with the best accessible features of online learning to promote active, Self-Directed Learning (SDL) opportunities for students with added flexibility (Garnham & Kaleta, 2002).

In a nutshell, blended learning is based on a wise and balanced rated combination of traditional learning with web-based online approaches, which in turn, involves a combination of media and tools deployed in an e-learning environment and the combination of a number of pedagogical approaches. Such combination necessitates mixing various event-based activities and tasks. To this extent, one might state that blended learning

Abstract:

This study aimed at investigating the effect of using a blended learning strategy on students' attitudes toward blended learning at Al-Quds Open University. To achieve this objective the two researchers designed a 42-item questionnaire to collect information about students' attitudes toward the blended learning. The questionnaire was administered on a purposeful sample consisted of forty-two English language students at Al-Quds Open University in Nablus Branch in the academic year 2013/2014. The data was collected, then, was analyzed using (SPSS) to answer the questions of the study. Means, frequencies, standard deviations, One-Way ANOVA and Two-Way ANOVA were used. The results showed that the total degree of students' responses towards blended learning scored a high level of attitudes. The results also revealed that there were no statistically significant differences at ($\alpha = 0.05$) on the attitudes of learners due to age and place of residence and to the interaction between them as well. In the light of the results, some recommendations were suggested.

Keywords: Blended Learning, Students' Attitudes, ELT Methodology 2. Quds Open University.

اتجاهات الطلبة نحو التعلم المدمج في جامعة
القدس المفتوحة
ملخص:

هدفت هذه الدراسة إلى تقصي أثر استخدام إستراتيجية التعلم المدمج على اتجاهات الطلبة نحو التعلم المدمج في جامعة القدس المفتوحة. ولتحقيق هذا الهدف، قام الباحثان بتصميم استبانة من اثنتين وأربعين فقرة لجمع المعلومات حول اتجاهات الطلبة نحو التعليم المدمج. ومن ثم تم توزيع الاستبانة على العينة المقصودة المكونة من اثنتين وأربعين طالباً في تخصص اللغة الانجليزية في جامعة القدس المفتوحة/ فرع نابلس للسنة الدراسية 2013-2014. ثم تم تحليل البيانات بعد جمعها باستخدام برنامج التحليل الإحصائي (SPSS) وذلك للإجابة عن أسئلة الدراسة، واستخدمت المتوسطات الحسابية والتكرارات وكذلك الانحرافات المعيارية إضافة

إلى التحليل الإحصائي الثنائي . وقد أظهرت النتائج أن مجمل إجابات الطلبة بخصوص التعلم المدمج كانت إيجابية وحصلت على نسبة عالية من القبول، ولم يظهر فرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى الدالة ($\alpha = 0.05$) على اتجاهات الطلبة تعزى للعمر ومكان السكن والتفاعل بينهما . وفي ضوء هذه النتائج قدمت بعض التوصيات. كلمات مفتاحية: التعلم المدمج، اتجاهات الطلبة، مقرر طرائق تدريس اللغة الانجليزية (2)، جامعة القدس المفتوحة .

Introduction:

During the past three decades, education in general, and modes of learning in particular, are changing and developing dramatically leaving major impacts on the educational process as a whole. As the pace of change in technology is accelerating in today's information and communication world, people, in general and learners, in particular, can choose the time, the place, and the delivery system they find accessible and convenient. Schrum (2011) avers that technological advances have exceeded even the most optimistic expectations. She also states that technology has had a positive impact on education, even if it has not yet resulted in wholesale educational transformation. Hence, introducing Information & Communication Technologies (ICT) into education, the way we exchange and interact with information, how information informs and shapes us, methods and trends we adopt to teach and learn and other educational issues are continuously being raised here and there. As a result of such heated issues, new modes and trends have emerged to cope with such ongoing changes in the field of (ICT). Examples of these trends and modes are Open Learning, Distance Education, E-learning and Blended Learning. These trends, on the other hand, have expanded and shifted their focus to the extent that a large number of academic institutions are now concerned with blended learning programs. One of these institutions is Al-Quds Open University (QOU) in Palestine which believes that the time has come to meet the needs and expectations of its learners who are working in the context of increased responsibilities and time pressures. The

Students' Attitudes towards Blended Learning at Al-Quds Open University*

Dr. Khaled Abdul-Jaleel Dweikat**

Mr. Othman Diab Amer***

***Received: 3/11/2015, Accepted: 17/2/2016.**

**** Associate Professor/ Al-Quds Open University/ Palestine**

***** Instructor/ Birzeit University/ Palestine**

3. Beck, A.T. & Emery, G. (1985). Anxiety disorders and phobias. A cognitive perspectives. New York, Basic Books.
4. Brown, H.D. (1994). Principles of language and teaching. Englewood Cliffs NS: Prentice Hall.
5. Choy, S.C.&Lam,A.(2008). Student,s learning difficulties and strategies. Paper presented at the TARC International Conference on Teaching and Learning. Putrajaya, Malaysia.
6. Colak, A. (2008). Attitudes, motivation and study habits of English learners. The case of Baskent University second year students. A master thesis. Baskent University.
7. Ellis, R. (1994). The study of second language acquisition. Oxford. Oxford University Press.
8. Gardner, R.C. (1985). Social Psychology and Second Language Learning: The role of attitudes and motivation. London: Edward Arnold.
9. Garner, B. A. (2001). Legal writing in plain English. A text with exercises. Chicago: The University of Chicago Press.
10. Jalil, N. &Kamarudin, M. (2009). ELAP needs analysis for law students. Journal of Human Capital Development. 2 (2).
11. Javid, C. Z. Al-Asmari, A. R &Farouq,U. (2012). Saudi undergraduates' motivational orientations towards English language learning along gender and university major line: A comparison study. European Journal of Social Sciences.27 (2).283-300.
12. Kara, A. (2009). The effect of a learning theories' unit on student,s attitudes towards learning. Australian Journal of Teaching Education. 34(4).100-130.
13. Liu, M. & Zhang, X. (2013). An investigation of Chinese university student,s foreign language anxiety and English learning motivation. English Linguistic Resarch.2(1).1-13.
14. Moriam, Q. M. (2008). A study on motivation and strategy use of Bangladesh university students to learn spoken English. Journal of international development and co-operation. 14(2).51-66.
15. Rahimi, A. &Favardin, M .(2009).The relationship between attitudes, self-confidence, compensation strategies, teachers' evaluation in Iranian University students. SamaraAltlinguoE-Journal.4-8 .<http://Samaraaltlinguo.Narod.ru/ejournal/409rahim>.

The third question:- Are there any statistically significant differences related to the university accumulate average between law students towards learning legal terms course in English?

Table (8)

The means according to the (university average)

	N	M	Std. Deviation	F	Significance	Correlations
from 65-65.9	9	2.79	0.370			
from 70-77.9	35	3.29	0.600			
from 78-84.9	47	3.61	0.406	10.458	0.000	0.429**
from 85 -100	14	3.71	0.360			
Total	105	3.45	0.534			

Since the Significance level (0.000) is less than (0.05) , the null hypothesis is rejected That is, the students who have got high averages at the university have positive attitudes towards learning legal course .

Recommendations

In order to reinforce positive attitudes towards learning legal terms course in English, the researcher recommended the following:

1. More researches should be carried out to identify the attitudes of students in other majors towards learning English as a foreign language, such as psychology, criminology, MIS, security sciences, etc....
2. The faculty of law should hold competitions between law students with generous rewards for the best moot court, defense, pleading, etc...
3. Opening up future horizons for law students to take part effectively in local and international conferences, workshops, and the faculty can organize visits to other universities.
4. The university should recruit faculty law members who are competent in English in order to keep up with the modern developments in the law, especially public law.
5. The faculty of law should adopt two legal courses in its plan: The first one is legal terminology course, and the second one should be dedicated for the legal system in England and the U.S.A, to make the students

familiar with the legal systems in these two countries.

6. The university should make a kind of association between English courses at the university, “the requirement courses as English 1 and English 2”, and the legal terminology course, so as to integrate each other, and enhance the students’ knowledge in English.
7. Some courses at the faculty of law could be taught in English, especially public international law and international humanitarian law, since they are essential for the higher studies.
8. Promoting interaction between students. Interaction is essential if all students in the classroom possess have adequate practice. This can be achieved by getting students to help each other, allowing students to take over the teacher’s role, and encouraging students to talk in pairs or in groups about what interests them.

References:

1. Ajzan, I .(1988). Attitude,s personality and behavior. Chicago: Dorsey Press.
2. Baker,C. (1992). Attitudes and language. Cardiff: University of Wales Press.

Two of the items got a medium rank, and the other three got a low rank.

This result reveals how much the participants feel and behave when they learn legal course in a foreign language though they have positive attitudes towards learning legal terms course. This study disclosed the common anxiety factor among legal course learners: confusion and nervousness, lack of confidence, embarrassment and fear of mockery. This is probably a result of the instructors' class management and lack of task – based instruction and student-centered activities such as role-play, dramatization, projects and creating a semi native speaker environment in the lecture.

Fourth:-The pedagogical attitude towards legal terms course

The pedagogical aspect is mainly related to teaching strategies. The mean score of this aspect is (3.23). Table 6 below shows the results in figures.

Table (6)

The Pedagogical aspect of attitude towards legal terms course

Item no.	Item	Percent	M	Rank
5	What I learn from the legal course does not help me to improve my English.	50	2.52	Medium
9	My English lecturers help me to learn legal course well.	72	3.58	Medium

Item no.	Item	Percent	M	Rank
10	I hardly learn English from my legal course lecturers.	58	2.91	Medium
11	My English classes are good places to learn legal course.	62	3.10	Medium
13	My legal course lecturers do not pay much effort to help me understand more legal terms in English.	60	3.00	Medium
23	My legal course lecturers know how to help me.	66	3.31	Medium
27	I know more English now because of what I am learning in my legal classes.	73	3.66	Medium

All of the items got a medium rank. This result verifies the importance of English instructors in promoting positive attitudes in their students towards learning legal terms course in English. The lowest mean score is for item 5, and the highest is item 27, where the respondents stressed that they learn from their legal instructors and they help them learn legal terms course well. This means that they benefited from the legal course and the instructors who implemented this educational process.

The second question:- Are there any statistically significant gender differences between law students' attitudes towards learning legal terms course in English?

Table (7)

The Results according to the (Gender)

	Gender	N	M	Std. Deviation	T-test	Significance
overall Attitudes	Male	61	3.48	0.497	0.721	0.473
	Female	44	3.40	0.585		

Since the significance level (0.473) is more than 0.05, the null hypothesis is accepted. That is, the attitudes of law students at Al-Istiqlal University towards leaning legal terms course are not affected by their gender as shown in table 7.

Item no.	Item	Percent	M	Rank
12	Studying legal course can be important to me because it will allow me to meet and communicate with more and varied people, especially people who are interested in law.	75	3.74	High
14	Learning legal course can be important for me only because I will need it for my future career.	54	2.69	Medium
15	Studying legal course can be important for me because it will make me a more knowledgeable person.	75	3.76	High
18	Studying legal course can be important for me because it will allow me to be more at ease with fellow students who speak English.	73	3.66	Medium
28	Studying legal course can be important for me because I will be able to participate more freely in the activities of other cultural groups.	74	3.69	High
30	Studying legal course can be important because it enables me to understand and appreciate English or American legal system.	70	3.48	Medium

There are 4 items which got a high rank, and 4 items got a medium rank.

The results suggest that the motivations of legal course students at Al-Istiqlal University are both integrative and instrumental. That is, the overall mean score of items 12,30,28 and 18

(which represent the integrative motivation) is (3.38) On the other hand, items (6,7,14) and 15 (which represent the instrumental motivation in the questionnaire) have an overall mean score of (3.41). This signals the high motivation of law students at Al-Istiqlal University. More specifically, the differences in the mean scores of the eight items underline the importance of legal course in the field of law. According to Al-Istiqlal law students, legal course is a source of knowledge, a means for building relationships, understanding other legal systems, finding a job and booting intercultural communication, and an instrument for effective legal communication.

Third: The behavioral aspect of attitude towards legal terms course

With a mean score of (3.40), the behavioral aspect is quite different from other dimensions. As can be seen from table (5), the level of anxiety is considered fairly high when it comes to learning legal terms course.

Table (5)

The Behavioral aspect of attitudes towards legal terms course

Item no.	Item	Percent	M	Rank
17	It embarrasses me to participate by answering in our legal class.	44	2.22	Low
20	I never felt quite sure of myself when I am speaking in our legal class.	46	2.29	Low
21	I always feel that the other students speak English better than me in the legal class.	56	2.80	Medium
22	I get nervous and confused when I am speaking in my legal class.	52	2.59	Medium
25	I am afraid the other students will laugh at me when I speak English in the legal class.	46	2.28	Low

N= Number of students M=Mean

This result reveals that the participants have positive attitudes towards learning legal terms course in English Language in general.

First: The emotional attitude towards legal course.

The emotional aspect represents the highest mean score (3.64), which means that the participants have positive emotional attitudes as shown in table 3 below.

Table (3)

The emotional attitude towards legal course (10 items)

Item no.	Item	Percent	M	Rank
1	I really enjoy learning legal terminology course in English.	73	3.66	Medium
2	I love learning legal terminology course.	76	3.78	High
3	When I leave college, I shall give up the study of English entirely because I am not interested in it.	48	2.39	Medium
4	I plan to get benefit as much as possible from the legal terms course.	70	3.50	Medium
8	Learning legal terms course is a waste of time.	42	2.08	Low
16	I hate learning legal terms course in English.	48	2.40	Medium
19	I think that learning legal terms course is useless.	48	2.38	Medium
24	Learning legal terms course is really great.	73	3.66	Medium
26	Legal terms course is an important part of the college program.	76	3.82	High

Item no.	Item	Percent	M	Rank
29	I would rather spend my time on subjects other than learning legal course.	56	2.81	Medium

There are 2 items which got a high rank, 7 got medium, and one got a low rank.

Items with the highest ranks are, “Legal terminology course is an important part of the college program” (3.82), and “I love learning legal terminology course” (3.78). The lowest item is, “ Learning legal terminology course is a waste of time “(2.08). The rest of the items got a medium rank. This reveals that law students at Al- Istiqlal University love learning legal course, and see that it is an important part of the college program although their instruction language is Arabic. This result is in line with Rajeswar (2006) who asserted that the first step in learning English Language is to have a positive behavioral attitude.

Second:- The cognitive aspect of attitudes towards legal terminology course

The cognitive aspect represents a high mean score of attitudes towards legal course (mean= 3.52). The majority of respondents showed positive cognitive attitude as shown in table (4).

Table (4)

The Cognitive aspect of attitudes towards legal terms course (8 items)

Item no.	Item	Percent	M	Rank
6	Studying legal course can be important to me because I think it will someday be useful in getting a good job in the field of law.	74	3.68	High
7	Studying legal course can be important to me because other people will respect me more if I have knowledge of law in a foreign language.	70	3.50	Medium

Instrument of the study

The study is quantitative. So, a questionnaire was developed as a measuring instrument. The participants were asked to answer all the items of the questionnaire, stating their gender, university accumulative average, and attitudes (emotional, behavioral, cognitive, and pedagogical) towards learning legal terminology course in English.

The researcher had consulted several researches of attitudes and developed a 5-point Likert Scale. The questionnaire was developed in English and then translated into Arabic to make sure the students who have low English proficiency, would have more confidence in responding to the statements. The first part of the questionnaire included three variables: gender, the year of study, the university accumulative average; while the second part included thirty items largely adapted from the Attitude and Motivation Test Battery designed by Gardner (1985), while other items were developed by the researcher.

Reliability of the instrument

The reliability of the instrument was tested by using the Alpha Cronbach formula which yielded a reliability coefficient of 0.90, which is significant and acceptable for the purpose of the study.

Validity of the instrument

To investigate the validity of the instrument, the questionnaire was given to two faculty members from Al-Istiqlal University. They suggested some amendments on the questionnaire which was modified accordingly.

The statistical analysis

The collected data were analyzed using SPSS Program aiming to answer the research questions quantitatively. To answer the first research question, descriptive statistics was conducted to determine the percentages, the means, and the standard deviation of the gathered data. Besides, since we needed to draw a comparison between the two variables (males and females, and the university accumulative average), an independent T-test and ANOVA were conducted to answer the

research question. Cronpach's Alpha formula was used to determine the reliability coefficient of the questionnaire.

Results and discussion

To answer the four questions of the study, the researcher examined the null hypothesis: "There are no significant differences at the ($\alpha = .05$) in the mean scores of Al-Istiqlal University law students, attitudes towards learning legal terms course in English as demonstrated in their emotional, behavioral, cognitive and pedagogical aspects; while the students who have got high averages at the university have positive attitudes towards learning legal course, since the significance level (0.000) is less than (0.05), and the null hypothesis is rejected". The researcher analyzed the data using means, standard deviations and percentages.

The first Question: What are the attitudes of Al-Istiqlal University law students towards learning legal terminology course in English? What are the manifestations of these attitudes at emotional, behavioral, cognitive and pedagogical aspects?

Students' attitudes towards learning legal terminology course in English

The result of this descriptive analysis showed that the overall mean score of law students' attitudes towards learning legal terminology course at Al-Istiqlal University in the four aspects of attitudes is 3.45 (SD 0.534). This mean score is equivalent to 69% as shown in table (2).

Table (2)
Students' Attitudes towards legal course

Aspects of attitudes	N	Percent	M	Rank
The emotional aspect	105	72.8	3.64	Medium
The cognitive aspect	105	70.4	3.52	Medium
The behavioral aspect	105	68	3.40	Medium
The pedagogical aspect	105	64.6	3.23	Medium
overall Attitudes	105	69	3.45	Medium

In addition, many studies have been conducted to explore the nature of law students' attitudes towards learning English as a foreign language in particular. In his study of the Turkish ' Baskent University ', Colak (2008) found that most of the participants of the study had moderately positive attitudes towards learning English. In addition, Political Sciences students had the highest mean score. However, students from law faculty had the lowest mean score regarding the integrative motivation and instrumental motivation. The researcher also found that Political Sciences students got the highest scores because they study English not only in English language courses, but also in some political sciences courses. Furthermore, the students were required to do their assignments making use of articles written in English. By contrast, the students from law faculty had the lowest scores because they study English only in English courses and in their department only international law course in English. The researcher also noted that students of law do not need English in their job to be successful lawyers. In case they need English, they can ask for assistance from a professional translator.

Jalil and Kamardum (2009) stressed the necessity of English language in the legal profession and so they considered proficiency in the language as a prerequisite for effectiveness in law profession. Lawyers should be equipped with the necessary English language skills to be able to deal with the complex legal terms, textbooks, journals, and reports, they added. This argument was repeated by a previous study by these authors who investigated the needs of law students at the International Islamic University in Malaysia. The study surveyed 102 male and female students and concluded with the following: law students acknowledge the importance of English for both their academic success and future career; the students ranked writing skill as the most important followed by speaking, reading and writing; the students were highly motivated but lacked the confidence in using the language; and the majority of law students hardly use English outside the classroom. On the other hand, they use their mother tongue as the sole means of communications instead.

Garner (2013) asserted that the twenty first century is the age of globalization of law, and the South East Asia countries should rise to this challenge. One of the challenges is the use of English among lawyers. He cited some attempts being implemented in Thailand where the government and other educational institutions are offering some courses in English for undergraduate students. As a result, more and more of their lawyers now speak English well, and they are looking forward to improving their level in the four skills of English, especially writing.

Methodology

The researcher used the descriptive analytic approach since it fits the goals of study.

Sample of the study

The sample of the study comprised 105 law students who are studying law at the faculty of law in Al-Istiqlal University in Jericho-Palestine. They are students in the second, the third and the fourth years who had studied legal terminology course in their college.

Table (1)

Distribution of the sample of study (Gender),(year of study), (university average)

A simple random sample, selected by drawing numbers, comprised 105 (61 males and 44 females) law students as shown in the Table (1) below according to the gender, year of study and university average.

	Variable	Frequency	Percent
Gender	male	61	58.1
	female	44	41.9
year of study	second year	35	33.3
	third year	35	33.3
	fourth year	35	33.3
	from 65-65.9	9	8.6
university average	from 70-77.9	35	33.3
	from 78-84.9	47	44.8
	from 85 -100	14	13.3

Review of the related literature

Since this research deals with attitudes, it is very crucial to define this term. Different scholars have tried to define it differently, and yet they do not have agreed upon the definition of attitude. Baker defined attitudes as a person persistent way of behaving in particular way (Baker, 1992). Ajzan claimed that the attitude of a person is positive or of negative attributes to anything (Ajzan, 1988). Gardner proposed that attitude is the overall feelings of a person towards any particular thing (Gardner, 1980). Beck (1985) added that, "Attitudes as the perception of self, of others and of the culture we are living in".

Attitudes can be categorized into thoughts (cognitive) and feelings (affective). Thus, it is generally assumed that the negative attitudes towards the foreign language can definitely impede the teaching and learning of that language. Conversely, positive attitudes towards the foreign language improve learning. The study found that the instructors, supportive attitude helped relieve students, anxiety and motivated them to exert more efforts in achieving the goals of learning the language.

All students possess positive and negative attitudes in varying degrees, and the negative ones can be changed by thoughtful instructional methods, such as using materials and activities that help students achieve an "understanding and an appreciation of the foreign culture", (Brown, 2000). Kara (2009) argues that positive attitudes towards any subject can enhance the students' interest and eagerness to solve problems as well useful for their daily life. In his pioneering research in the field of attitudes, Gardner (1985) found that students' attitudes are closely related to two types of motivation: integrative and instrumental. He concluded that integrative motivation is key for predicting classroom participation, language proficiency and persistence in language learning.

Liu and Zhang (2013) conducted a study on the general patterns of Chinese EFL students, learning anxiety and motivation and their relationship to the students' performance in English. The sample of the study consisted of 1697 students (921 females and 776 males) from five universities. The researchers found that

learners who are high on integrative motivation worked harder and learned faster than those who are low. In addition, one third of the students were scared of English classes and feared of being negatively evaluated. The study subjects were largely integratively and instrumentally motivated to learn English, fairly strongly motivated to learn English by personal development, moderately motivated to learn English by going abroad, and not to learn English in their current learning situation.

A few years earlier, Moriam conducted a survey to find out what motivates the university students in Bangladesh to speak English. The study, conducted in 2008, involved 355 university undergraduate and graduate students (187 males and 168 females). Moriam was able to identify seven factors behind the drive to learn spoken English: foreign residence and friendship, second language speaking anxiety, determination to learn, securing a good job and gaining financial benefits, intrinsic motivation, the social appeal and increasing the social status.

(Javid ,2012) investigated Saudi undergraduates, motivational orientations for learning English as a foreign language. The participants of the study (709 male and female students), they showed higher extrinsic (instrumental) motivation with fairly high intrinsic (integrative) motivation. In comparison to their female counterparts, the male subjects were more positive towards both motivational orientations.

Rahimi and Favardin (2009) conducted a study to investigate the relationship between attitudes, self- confidence, teacher and class evaluation of Iranian university students. The study comprised 50 participants (28 male and 22 female students). The researchers concluded that the students who evaluated their teachers favorably also evaluated their classes positively and vice versa. What's more, students with high self- confidence evaluated their teachers positively and believed that their English teachers' role in their self-confidence was effective and crucial. In addition, the study showed that the students' attitudes can greatly affect students' evaluation of teacher and class. Even more, students who had more faith in teachers' abilities proved to have positive attitudes towards language learning.

learning legal terminology course in English. As a result, it seeks to identify the attitudes of law students at Al-Istiqlal University towards legal terminology course in English, with a particular focus on gender and the university accumulative average differences, if any.

Statement of the problem

English is considered the global language in many fields of knowledge, especially public law. As such, having positive attitudes towards learning English facilitates the learning process (Al-Qamsh,2011). It is assumed that attitudes are very decisive and essential factors in the second and foreign language learning process.

From many observations of law students at Al-Istiqlal University, the researcher had an impression that law students have negative attitudes towards learning legal terminology course in English. These students complain about studying legal terminology course in English, arguing that the legal system in Palestine does not depend on English in the suitcases at the Palestinian courts. Moreover, the students' marks, attendance, readiness, preparation and interest in English are unsatisfactory. This phenomenon has been noticed especially in legal terminology course. However, observations are not always informative, so a questionnaire must be applied to analyze the students' attitudes towards learning legal terminology course in English.

Research Questions

- » What are the attitudes of Al-Istiqlal University law students towards learning legal terminology course in English? What are the manifestations of these attitudes at the emotional, behavioral, cognitive and pedagogical aspects?
- » Are there any statistically significant gender differences between law students' attitudes towards learning legal terminology course?
- » Are there any statistically significant differences related to the university accumulative average between law students and towards learning legal terminology course in English?

- » What is the relationship between the legal terminology course learning and its association with their academic achievement?

Hypotheses of the study

1. There are no significant differences at the ($\alpha = 0.05$) in the mean scores of Al-Istiqlal law students, towards learning legal terms course in English as demonstrated in their emotional, behavioral, cognitive and pedagogical aspects.
2. There are no significant gender differences at the ($\alpha = 0.05$) in the mean scores of Al-Istiqlal law students, attitudes towards learning English as a foreign language.
3. There are no significant differences at the ($\alpha = .05$) in the mean scores of Al-Istiqlal law students, related to the university accumulative average towards learning legal terminology course in English?

Significance of the study

The findings of this study would hopefully familiarize law students at Al-Istiqlal University with the importance of the legal terminology course for their professional development and distinction, especially in the field of law. I hope that the results of this study would lay a solid foundation for a new legal terminology curriculum, which keeps up with the modern developments in law and the age of globalization, especially public law. I seek to encourage Al-Istiqlal University to recruit faculty members who are competent both in the fields of law and English language.

Definition of terms

EFL= English as a foreign language

Motivation: An intrinsic (internal) or extrinsic (external) stimulus for action.

Limitation of the study

The scope of this study is restricted to law students at Al-Istiqlal University for the second semester 2014/2015.

Introduction

Over the past three decades, there has been a growing interest in learning legal terminology course in English in the Palestinian Universities. Studying legal terminology course had become essential in our modern world, because English is the second language in most of the world countries, and it functions as a bridge between different nations of different tongues. There are a lot of advantages that students can obtain from leaning English: The researchers can get information related to a certain problem under study, learning English can develop intellectual skills, and lastly it enables students in expressing their views in a correct English language (Telfah, 2010).

According to Affoun 2012, English dominates international communications in all areas of life: law, politics, business, economy, etc. It is also instrumental in learning different disciplines at the universities, and increasingly becoming the language of communication among lawyers throughout the world. In addition, most members of language teaching profession realize that students' learning potential increase when attitudes are positive and motivations run high (Affoun,2012). (Jail and Kamarudin,2009) argue that law students are required to learn and even be competent when it comes to English so as to be capable of attaining the basic knowledge of their specialization, master the skill of reading international declarations and agreements, keep up with the most recent updates of the international legislations and keep contact with qualified universal sources of law.

The process of learning English as a foreign language is influenced by many factors, such as students' attitudes and motivation (Al-Qamsh,2011). As viewed by Choy and Lam (2006), attitudes can help learners express whether they like or hate the objects and surrounding situations. The researcher underlined the inner feelings and emotions of foreign language learners that influence their perspectives and attitudes towards the target language. Thus, attitudes can highly influence how individuals approach different situations including foreign language learning.

The current study considers attitudes as one of the major effective factors of success in

Abstract:

This study aimed to shed light on the attitudes of law students at Al-Istiqlal University in Jericho Governorate towards learning legal terminology course in English. The researcher surveyed the perceptions of 105 (61 male, 44 female) students using a questionnaire developed according to a 5 –point Likert Scale. Cronbach Alpha Formula was used to determine the reliability coefficient of the questionnaire.

A descriptive analysis was made to measure the target students' attitudes (percentages, means and standard deviations). Gender differences were also considered via an independent T-test. Results revealed that law students at Al-Istiqlal University have positive attitudes towards learning legal terminology course in English in general, especially the students who have got high accumulative average at the university, with no gender differences.

Key words: gender, attitude, motivation, EFL

ملخص:

هدفت هذه الدراسة إلى إلقاء الضوء على اتجاهات طلبة القانون في جامعة الاستقلال نحو تعلم مادة مصطلحات قانونية باللغة الانجليزية. قام الباحث باستطلاع آراء 105 (61 ذكور، 44 إناث) من الطلبة باستخدام استبانة تم تصميمها وفقا لمقياس 5 –point Likert. وقد استخدم معامل Cronbach Alpha لقياس درجة صدق وثبات الاستبانة. كذلك تم إجراء تحليل وصفي لقياس اتجاهات الفئة المستهدفة (النسب المئوية، المتوسط الحسابي والانحراف المعياري). هذا وقد تم الأخذ بعين الاعتبار الاختلافات بين الجنسين أيضا عن طريق اختبار T-Test المستقل. خلص البحث إلى أن لدى طلبة القانون في جامعة الاستقلال اتجاهات ايجابية نحو تعلم مادة مصطلحات قانونية بلغة أجنبية بشكل عام ، ولا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين الجنسين.

الكلمات المفتاحية: الجنس، اتجاه، دافعيه، اللغة الانجليزية كلغة أجنبية.

Attitudes of Law Students at Al-Istiqlal University-Jericho towards Learning Legal Terminology Course in English*

Dr. Ahmad Hasan Abu Jafar *

***Received: 15/8/2015, accepted: 27/3/2016.**

**** Assistant Professor/ Al-Istiqlal University/ Palestine.**

5. Dr. Basiuoni, Mahmoud, (2004), *Transnational Organized Crime*, First Edition, Dar Alshurouq Publishing, Cairo, P 237.
6. Dr. Abdel Rahman, Ahmad, (2012), *Explanation of Penal Code/ general section*, Amman.
7. Dr. Abu Afifa, Talal, (2012), *Explaining Penal Code/ General section*, Althaqafa House of Publishing, Jordan
8. Dr. Hani Subki, (2015), *money laundering*, Althaqafa House of Publishing, Jordan.
9. Dr. Huda, Qashqoush, (2010), *Explaining Penal Code, General Section*, Alnahdha Al Arabia Publishing House, Egypt.
10. William C. Gilmore *Dirty Money, The Evolution of Money Laundering Countermeasures*, Council of Europe Publishing , Volume 609 .
11. UNITED NATIONS (2001), *Russian Capitalism and money laundering*, Global Programme Against Money Laundering, UN Sales Publications, sales n° E.01.XI.6 .
12. Dr. Mona Al Ashqar & etal, (2003), *Money Laundering and Terrorism*, Aid real .
13. Dr. THONY, Jean-François, LABORDE Jean-Paul (1997) “Crime organisé et blanchiment”, *Revue Internationale de Droit Pénal* 1997 No 1-2
14. Dr. Beare, Margaret E., ed. (2003), *Critical Reflections on Transnational Organized Crime, Money Laundering, and Corruption*. Toronto: University of Toronto Press.
15. Dr. Lilley, Peter (2003), *Dirty Dealing: The Untold Truth about Global Money Laundering*. 2d ed. Sterling, Va.: Kogan .
16. Dr. Abdullah Bin Juhaim, *Money Laundering in Saudi Arabia*, Law & Economics Library, 1st Edition.
17. the Financial Information Units, *European Journal of Crime, Criminal Law and, Criminal Justice*, 1996 .
18. FATF Working Group on Typologies, 2010, *Operation Issues: Recommendation 27 & 28*. Paris, France. 18 , Oct 2010. Paris: FATF/OECD.
19. <http://www.tomohna.com> , 13/6/2013.
20. United Nations Convention against Illicit Traffic in Narcotic Drugs and Psychotropic Substances, 1988 , Publications of the Legal Justice Center. Amman, Jordan. www.adaleh.info and www.unodc.org .
21. http://www.laundryman.u-net.com/page6_mlmeth.htm, lists and clarifies methods used in Money Laundering.
22. United Nations Convention against Illicit Traffic in Narcotic Drugs and Psychotropic Substances, 1988 , Publications of the Legal Justice Center. Amman, Jordan, www.unodc.org .

- Publications, Lebanon, P 55.
8. Jacqueline Riffaut : Le Blanchiment des capitaux , illicites , Le blanchiment de capitaux en droit compare – Rev . Sc . crim . – 1999 – Doc . P. 232 .
 9. Dr.Basiuoni,Mahmoud,(2004),Transnational Organized Crime, First Edition, Dar Alshurouq Publishing, Cairo, P 237.
 10. Dr. Abdel Rahman, Ahmad(2012), Explanation of Penal Code/ general section, Amman P.136 .
 11. Dr. Abu Afifa, Talal(2012), Explaining Penal Code/ General section, Althaqafa House of Publishing, Jordan .P.265 .
 12. Subki, Hani(2015),money laundering, Althaqafa House of Publishing, Jordan, p. 20
 13. Dr.Qashqoush,Huda(2010), Explaining Penal Code, General Section, Alnahdha Al Arabia Publishing House, Egypt .p190 .
 14. Some of them are the Vienna Convention of 1988, the BASEL Declaration for 1988, FATF Recommendations, European Cooperation Council Agreement at Strasburg in 1990, The European Gathering Guide of 1991.
 15. William C.Gilmor Dirty Money, The Evolution of Money Laundering Counter-measures, Council of Europe Publishing , Volume 609 , p 29
 16. UNITED NATIONS (2001), Russian Capitalism and money laundering, Global Programme Against Money Laundering, UN Sales Publications, sales n° E.01.XI.6 .
 17. Jacqueline Riffaut , previous reference , P . 232
 18. Refer for this ; Al Ashqar, Mona & etal(2003), Money Laundering and Terrorism, Aid real, P28.
 19. THONY, Jean-François, LABORDE Jean-Paul (1997) “Crime organisé et blanchiment”, Revue Internationale de Droit Pénal 1997 No 1-2 P. 411
 20. Beare, Margaret E.ed. (2003). Critical Reflections on Transnational Organized Crime, Money Laundering, and Corruption. Toronto: University of Toronto Press.p50 .
 21. Lilley, Peter(2003). Dirty Dealing: The Untold Truth about Global Money Laundering. 2d ed. Sterling, Va.: Kogan P. 37 .
 22. The Web site http://www.laundryman.u-net.com/page6_mlmeth.htm, lists and clarifies methods used in Money Laundering.
 23. Explanation of this reviewed by ; Bin Juhaim, Abdullah, Money Laundering in Saudi Arabia, Law & Economics Library, 1st Edition, P 35 and the following pages
 24. the Financial Information Units,(1996) European Journal of Crime, Criminal Law and, Criminal Justice,, p. 257
 25. The FBI in New York has followed some websites known for their deceptive practices and money laundering, with great deal of emphasis on gambling executives and managers, where it was evident, that such sites are indeed located in Carakao, the island of Antigua and the Dominican Republic. Following five months of extensive and complex investigations, charges were filed, many of sites executives & Managers were apprehended and arrested
 26. Abdullah Bin Juhaim, previous reference, P 37.

References

1. Dr. Nashed, Suzie, Human Trafficking between the Official Economy and the Hidden one, House of Publications, Egypt .
2. Dr. Khouri, Janan, International Financial Crimes and cross border crimes, law publications. Issued, Lebanon.
3. Dr. Qashqoush, Huda,(2002). Crime of Money Laundering within International Law, third section, First Edition, 2002, Halabi Publications, Lebanon.
4. Dr. Riffaut, Jacqueline,(1999) Le Blanchiment des capitaux, illicites, Le blanchiment de capitaux en droit compare – Rev. Sc . crim.

the financial sector and more generally the private sector must also be thorough.

Lastly, money laundering is crucial for a criminal to run a successful operation. The money he makes is no good if he cannot use it to finance his operation and lifestyle. Therefore, attacking that aspect of his operation is one of the most effective ways to take down the whole thing.

Findings and Recommendations:

1. the crime of money laundering Require Previous crime

so we must tackle the problem at the root, and close the door of criminality, Such as eradicating sources terrorism, crime organization, prostitution and tighten sanctions on drugs and eradicating the sources of human trafficking .

2. Need to create training programs and curricula at law schools and schools of the gendarmerie and the police and banking institutes , so as to frame the human cadres capable of dealing with this phenomenon in places confrontation Field
3. The need to raise the level of workers in the field of criminal investigations because many of them are not familiar with the requirements of the investigation into the crimes of money laundering .
4. For banks, the danger lies in the lack of dissemination of evidence and control methods on all of its employees and limited only in the category of senior management, the behavior is wrong because the largest money laundering processes revealed mostly by professional staff noticed suspicious activities, whether customers or persons departments of the bank.
5. Restrict handle cash payments and transfers control.
6. Oversight of the financial operations of the ordinary, such as Operations that do not comply with the activity of the client , or with huge sums of money.
7. Controls on financial transactions with countries that have a weakness in controls

on money laundering, through the creation of a global network for all countries constitute security cooperation.

8. Put sanctions in the event of failure to report up to the point of withdrawal of bank license in and the confiscation of its own funds .
9. The need for a computer network in all sectors of the state, this network linked to the central bank, to see people's property and money .

Footnotes

1. Hidden economy is defined as a set of legal or illegal financial activities conducted by ordinary individuals, where earning go unreported, not claimed under the GNP data See for example the Anti-Money Laundering & Counter Terrorism Financing Act 2006 (Australia), the Anti-Money Laundering and Countering Financing of Terrorism Act 2009 (New Zealand), and the Anti-Money Laundering and Counter-Terrorist Financing (Financial Institutions) Ordinance (Cap 615) (Hong Kong. See also (for example) guidance on IMF and FATF websites similarly conflating the concepts .
2. Dr. Suzie Adly Nashed, Human Trafficking between the Official Economy and the Hidden one, House of Publications, Egypt, P4.
3. <http://www.tomohna.com> , 13/6/2013.
4. United Nations Convention against Illicit Traffic in Narcotic Drugs and Psychotropic Substances, 1988 , Publications of the Legal Justice Center. Amman, Jordan . www.adaleh.info and www.unodc.org .
5. Dr. Khouri, Janan, International Financial Crimes and cross border crimes, law publications. Issued, Lebanon, P 92.
6. FATF Working Group on Typologies, 2010, Operation Issues: Recommendation 27 & 28. Paris, France. 18 , Oct 2010. Paris: FATF/OECD.
7. Dr. Qashqoush, Huda(2002) , Crime of Money Laundering within International Law, third section, First Edition, Halabi

an adequate concealment and legitimate cover up for illegal earnings from criminal offense⁽¹⁹⁾, therefore, legislations proceeded with the process of expanding judicial Incrimination to eliminate such a lesion, like prosecution of anyone who is involved with providing partnership, agreement, assistance, advise, facilitation, abetting, concealment or any other act punishable by the Law as was acted by the Saudi Legislator.

Second Demand

Money Laundering Places

Historically, methods of money laundering have included smurfing , or the structuring of the banking of large amounts of money into multiple small transactions, often spread out over many different accounts, to avoid detection; and the use of currency exchanges, wire transfers and “mules” or cash smugglers to move money across borders. Other money laundering methods involve investing in mobile commodities such as gems and gold that can be easily moved to other jurisdictions; discretely investing in and selling valuable assets such as real estate; gambling; counterfeiting; and creating shell companies⁽²⁰⁾. While these methods are still in play, any type of money laundering must also include modern methods that put a new spin on the old crime by making use of the Internet.

Money can also be laundered through online auctions and sales, gambling websites and even virtual gaming sites, where ill-gotten money is converted into gaming currency, then transferred back into real, usable and untraceable “clean” money⁽²¹⁾.

The process of Money laundering is carried out at places⁽²²⁾ which are considered a fertile environment, **also favored by criminals, in an attempt to transform an illegal status t a legal one, and the most important and complex places are as follow⁽²³⁾:**

First: Commercial Banks: As for their advanced, complex and abundant financial systems, commercial banks are considered the most used in money laundering operations that gave offenders opportunities to conduct suspicious transactions undetected.

Second: Currency Exchange companies:

Following the use by banks, of installed High Tech Surveillance and Monitoring devices within their various locations, money launderers resorted to other financial establishments, where Currency Exchange companies topped the list of places for money laundering operatives, because of their weak monitoring apparatus, their modest control systems and their possession to current accounts in banks that will enable money launderers transfer of huge sums of money, via their accounts to other countries, and received by the recipient in a legitimate manner while evading any suspicion of the source⁽²⁴⁾.

Third: *Internet Gambling Clubs*: also termed “Virtual Casinos”, based on their online claim, their physical location is the Caribbean Basin⁽²⁵⁾.

Fourth: Smuggling

Oldest and simplest method used in money laundering, where money launderers conduct the operations themselves or by employing others to do the job, by using simple concealment methods to transport funds aboard air, ground or sea vessels⁽²⁶⁾.

Fifthly: Credit Cards:

According to this method, money launderers use credit cards at the porous ATM machines scattered around the globe, to purchase merchandize, or for cash withdrawals, where the bank that accepted the withdrawal will demand re- embarrassment for the full amount from the issuing bank, and the issuing bank deducts the money from clients account.

Should we, therefore, question the effectiveness of the current strategy? In fact, the strategies are sound, however, it must be noted that the objectives the international community set for itself in combating money laundering and terrorism financing are far from being attained, given the lack of universal implementation of the established standards. It is on this point that all efforts must henceforth be brought to bear, in order to ensure sufficient financial transparency for tracking the movements of funds of criminal origin. The mobilization of governments must be incessantly pursued, and the collaboration of both

Second Topic

Punishment for an Accomplice or partner and the legal nature of the crime

Punishing an accomplice

Partner in this type of crime is an individual who will be considered accessory in committing, aiding, inciting, abetting, advising, facilitating, concealing and committing any of the elements mentioned above, shall receive similar sentence to the one handed down to perpetrators.

Personally, I would like to have laws amended to increase the severity of the sentence to anyone who participate indirectly in money laundering, by confiscating all the capital in the partner's possession and closure of any legitimate business a partner may owns⁽¹⁵⁾.

Even though, banks are considered one of the main venues for money laundering globally, as to the magnitude of the financial apparatus around the world, that provides easiness for money launderers to carry out suspicious transactions and be able to conceal the source of the funds⁽¹⁶⁾, however, Criminals became alert to the heightened surveillance, and the strict scrutiny that banks conduct of their clients, thus, making banks not the fertile environment once was, for the majority of criminals and became aware of the restrictions they must encounter at banks, forcing them to alternate methods to launder their illicit funds, especially when they begin the complex process of money laundering stages, from placement to concealment to the final stage of consolidating or the emergence of funds into the legitimate economy, had to find a safer venue by combining the illicit with an individual who happened to have a legitimate business with no suspicions surrounding him/her, as to the efficiency of this strategy that would achieve their objectives, making extremely difficult to trace back the source of the funds and criminals a step or more, away from law enforcements, courts and prosecution, therefore, laws must be amended , and punishments must increase in severity to all who are proven to be involved, as accomplices, accessories or partners, in money laundering, by confiscating all of their properties and completely, and permanently shut down all their legitimate businesses⁽¹⁷⁾.

First Demand

Legal Nature of the Crime of Money Laundering

The crime of money laundering and the original crime that produced laundered funds, are considered two faces to one coin, so, one cannot imagine the existence of money laundering without a preceding crime to produce funds, that makes money laundering a subordinate crime as pointed out by the United Nations charter to confront Transnational organized crime for the year 2000 in the First Article, Clause E that all properties acquired directly or indirectly from a crime are considered earnings generated from a criminal act.

This indicates that a predicate crime is a prerequisite for the occurrence of money laundering.

On the other hand Uncovering money laundering is also an effective crime-fighting tool in that it frequently helps restore stolen money or property to its rightful owner. For example, when money that was laundered to cover up embezzlement is discovered, it can usually be traced back to the source of the embezzlement. While this does not necessarily nullify the original crime, it puts the money in question back in the proper hands and parts it from the perpetrator.

Money laundering is also considered an economy involved crime, which is apparent from the means, utilized for the commission of the crime, such as investments in legitimate businesses, financial institutions, bank transactions, construction, service agencies, hotels and other financial and commercial activities⁽¹⁸⁾.

It is also considered a technical crime: due to the fact that many of the methods, instruments and technologies used by offenders are advanced and considered high tech that require Law specialist and Law firms, since the procedure used in money laundering requires modern techniques and methods that average criminal, who only possesses a low level of education may not be able to master, also requires the art in utilizing legally sound methods, especially in financial field and in the field of regular economy in general, to secure

First Part: Material Element

The following Three prerequisites are required in the Material Element:

First: Activity

Activity in money laundering is usually followed by the Source Crime that resulted with the production of illicit funds, therefore, it is mandatory for the perpetrators to conceal their sources by Laundering them, such source crimes are: trafficking of illegal drugs, guns trade, and prostitution, that made the main objective from such activities

Is to conceal the source of the funds produced by a criminal act in an attempt to impart legitimacy on the illicit funds, **stipulated in the 1988 Vienna Treaty a follows:**

1. Diversion or transfer of funds upon prior knowledge of its illegal sources. Like trafficking of Narcotics, and other similar crimes, assisting anyone who committed such acts, in evading prosecution.
2. Concealing or disguising the true nature, source, the location, means of disposition, any litigation attached, or true ownership, although, prior knowledge of the funds illegal sources and the fact that it was generated via criminal acts punishable by the law.
3. Acquisition, possession or use of funds, with prior knowledge, at the time it was received, that it was generated by a criminal act punishable by the law

Second: Criminal Results

The net result is a valid component of the material element of a crime, since the net result can alter the world beyond and people's lives as to the effects of criminal behaviors, and money laundering is no different from other crimes, where the perpetrators aspire for the objectives or the end result from the moment they began their criminal activities, therefore, if the net result was a success of merging funds, as the last stage of money laundering, it will be an easier task to diverge, circulate and rotate funds within the

fiscal economy with being subjected to the threat of exposing the source, fear of having the funds pursued confiscated and prosecution of offenders.

This will be followed by the next stage, where investing the funds in other criminal acts represents the most dangerous stage⁽¹⁰⁾.

Third: Relationship of Causality

Relationship of Causality in this crime falls within the connection between Action with End result, cause and Effect⁽¹¹⁾, in the sense that, activities mentioned in all its forms, has led to the criminal end result. As a final stage, to convert funds from illegal sources to legitimate ones, by inserting them into legitimate businesses to become part of the legal economy.

Funds and revenues earned via criminal means, will, then, be diverted, transferred or kept in the possession of someone else for the purpose of concealing their criminal source, and to give the impression that the funds were generated via legitimate means without revealing the identity of the perpetrators or their accomplices who committed the money laundering crime⁽¹²⁾.

Second Part: Moral Element Criminal Intent

This part is based on intent and prior knowledge, where the perpetrator is well informed of the elements of a scheme that formulates money laundering crime, also, to enable the justice system to prosecute such cases, offenders must have prior knowledge, funds were earned through criminal or illegal act⁽¹³⁾.

Second Part: Judicial Element

As stated in the Judicial part that, there shall be no criminal prosecution or punishment unless stipulated in a legislated law, directing law makers to legislate penal codes that criminalize such phenomenon, and agree on treaties to criminalize money laundering⁽¹⁴⁾.

In reference to UN charter with regard to trafficking of narcotics and mind altering drugs of 1988, it never had a definition for the criminal act of money laundering, it had only mentioned the terms like "illegal money and revenues", also mentioned in Article 3, paragraph B, clauses 1&2, that "Each country shall take all necessary measures, to prosecute the following acts, within its domestic law, in the event that such acts were premeditated and intentional, (Concealing or disguising the true nature of the money, its source, location. Disposition, diversions, any litigation attached to it and ownership while being aware that it was generated via criminal acts...etc)⁽⁴⁾.

First Demand

Stages in money laundering

Money laundering involves three basic steps to disguise the source of illegally earned money and make it usable: placement, in which the money is introduced into the financial system, usually by breaking it into many different deposits and investments; layering, in which the money is shuffled around to create distance between it and the perpetrators; and integration, in which the money is then brought back to the perpetrators as legitimate income, or "clean" money.

The scheme of money laundering will pass through 3 complex stages:

Placement stage, Where the Dirty Money will be presented to the bank in small increments to be deposited into bank accounts, so the owner of this large amount, is able take this dirty money off his/her hands⁽⁵⁾, also be able to divert the money to the targeted location while the deposited money, that was obtained via criminal acts, are credited in a legitimate billing cycle, therefore, this stage is considered to be the riskiest in the scheme, since the money are subject to have its source exposed, thus, uncover the criminal act that generated it, or trace back the money through surveillance of the depositors. Money laundering operations prompted specialized agencies to intensify their efforts to uncover attempts to deposit suspicious money in financial institutions, and to enforce certain measures and procedures to curb any

attempts to bring illicit money undetected, like the establishment of the (Financial Action Task Force on Money Laundering) in 1989, recommendations adopted by the Action Committee FATF⁽⁶⁾ to combat this type of crime, and standards put in place by (BASEL) Banking Supervision Committee with regard to identity verification of banks clients .

Covering up stage or ALYERING: this is executed through a chain of complex transactions, to conceal any ties between the illicit funds and their original source which is a criminal act that produced them, by conducting multiple, consecutive financial transactions. Or successive funds transfers between accounts, with the intent to conceal the illegality of the source and the source itself that generated the funds, while doing so, perpetrators were attempting to give the procedure sense of normalcy and legitimacy⁽⁷⁾, that added to the difficult task of uncovering the sources of such funds. What complicated matters even more, is the diversion of funds into accounts in countries where absolute financial secrecy is a guaranteed by banks to their clients, like Switzerland, Panama and the Bahamas.

Consolidation or (Integration) and laundering stage: is considered the final stage, where the illicit funds are fused into public economy via pumping funds to purchase real estate and properties, ultimately, will imply legitimacy of the illicit fund and enable.

Money launderers utilization of funds in profitable venues in an overt fashion, as if, was generated by legal means⁽⁸⁾, ultimately, making it difficult to it trace back to the source or distinguish from legitimate funds⁽⁹⁾ .

Second Demand

Elements of the Crime of Money Laundering

It evident from the previous discussion that the criminal act of Money Laundering shall have present elements that are available in a typical crime:

the money laundering , and constitutes the basis of studies to be conducted in the future by researchers interested to know about the money laundering .

2. **Scientifically:** It provided the investigation authority, the judge and the lawyers enlightened information in the absence of a text. Hypotheses
 - » What does money laundering mean? Its definition was it the result of legislative efforts or a” fiqh “ matter?
 - » Why does fighting money laundering reduce overall crime?
 - » What methods are used to launder money?
 - » Is the money laundering regarded as an offence or is it so perilous that it might be considered as felony in terms of incrimination and punishment?
 - » If money laundering is a crime, what are the main elements that constitute it?
 - » Is there any criminal intent behind the money laundering ?

Introduction

Money laundering, as a phenomenon, was spreading so rapidly due to the rise in illegal activities like illegal drugs and human trafficking, slavery, currency counterfeiting, trading in chemical, biological & nuclear weapons and stolen artifacts & antiquities, also the fact that such activities are linked to political and administrative corruption and the hidden⁽¹⁾ or shadowy⁽²⁾ economy they represent, which made the task of estimating precise amounts of laundered money annually, extremely difficult, as to variety of estimations among the different monetary organizations, however, according to the IMF, the amount of money being laundered is estimated to be between 450 Billion and 5.1 Trillion annually, an equivalent of 2 to 5 % of the world’s GNP (Gross National Product), where the numbers may not reflect the actual amount, or the amount of money directed to fund terrorism around the globe, or estimates of laundered money in the Arab countries.

It is also worth mentioning that money laundering activities are dependent, primarily

on money generated by illegal means, called dirty money “ Largent sale “, which differs from “ Black Money” or “La’ argent noire”, which was generated by legal means, but kept in secret accounts to evade income taxation. World community was provoked by its grave threats, resulted in mobilization of resources and efforts to counter this phenomenon.

Money laundering is a crime that does not differ from other crimes in general, thus, elements of a crime must be present, along with a previous crime to generate funds, for its commission, therefore, the methodology to base this research on, will be defining money laundering as a crime, its stages, addressing involved elements, legal nature of the crime, what kind of punishment should an accomplice or partner receive, does face the same charges as the perpetrator of the crime? Which countries or regions makeup a fertile ground for criminals to commit this type of crime?

First Topic

Money Laundering Definition & Its stages

Defining Money Laundering

Criminal science Scholars and criminologists were not able to put together a comprehensive and a preclusive definition to this type of crime, as to its recentness and the kept up pace by criminals with modern technology, while attempts to develop a solid and specific definition lacked essence, in their content, due to the vast number of methods utilized to commit this type of crime, and the fact that most definition had some form of discrepancy with one another with regard to money laundering objective, location and nature of this criminal phenomenon⁽³⁾.

In March of 1990, European Union defined the term, money laundering, as follow: “It is the transfer or diversion of money and properties, with prior knowledge of the criminal sources of such properties, for the purpose of concealing its illegal origination or assisting anyone committing this type of criminal act”.

Abstract:

The phenomenon of crime money laundering is an important and one of the most serious financial crimes that have emerged in the era of the digital economy. This crime is also called the the crime of white-collar. It is well known that whiteness is a symbol of serenity and purity. Criminals of money laundering are called themselves so, to appear as innocent people in their community, and this enables them to hide their crimes.

Despite the fact that commercial banks represent one of the most important tributaries of money laundering globally because of the magnitude of the banking and financial system, and easily pass the suspicious transactions and hide the sources of the money, but the criminals alerted strictly controlled on the banking business, and became the subject of money laundering is not a bank fertile environment for washing with the vast majority of criminals have noticed all criminals strictly controlled the work of banks, especially when the exhibits offender stages of the washing stage replacement then phase coverage then the merger which stages the degree of complexity, prompting the perpetrators of these crimes to change their destination in the washing, as has become a safe haven only the perpetrator is running money with someone else out of his money legitimately, they are considered one of the most successful means to commit the crime and the attainment of the result with the difficulty of detection and the advantage that it does not have an impact and thus remains the offender is a step or more of the powers of investigation, and the investigation and trial. Which means that legislation should be amended to tighten punishment for those involved washing partner, the confiscation of all his assets and shut down all of its projects, which originated the project.

Keywords: definition , money laundering , stages , solutions , Elements

الطبيعة القانونية لجريمة غسل الأموال

ملخص :

تعتبر ظاهرة غسل الأموال جريمة من أهم الجرائم المالية الخطيرة التي ظهرت في عصر الاقتصاد الرقمي

وما يسمى جرائم ذوي الياقات البيضاء والتي سميت كذلك ، دلالة الصفاء والنقاء حيث يبدو هؤلاء في المجتمع بوضعهم الاجتماعي الذي يمكنهم من إخفاء جرائمهم . وبالرغم من أن البنوك التجارية تمثل أحد أهم روافد غسل الأموال عالمياً وذلك بسبب ضخامة النظام المصرفي والمالي ، وسهولة تمرير العمليات المشبوهة وإخفاء مصادر الأموال ، إلا أن المجرمين تنبهوا للرقابة الصارمة على أعمال البنوك ، وأصبح موضوع غسل الأموال لا يشكل لدى البنوك البيئة الخصبة للغسيل لدى الغالبية العظمى من المجرمين فقد تفتن جميع المجرمين للرقابة الصارمة على أعمال البنوك ، خاصة حينما يسلك الجاني مراحل الغسيل من مرحلة الإحلال ثم مرحلة التغطية ثم الدمج وهي مراحل على درجة من التعقيد، مما دفع بمرتكبي هذه الجرائم إلى تغيير وجهتهم في الغسل إذ أصبح الملاذ الآمن الوحيد لمرتكب الجريمة هو تشغيل الأموال مع شخص آخر أصل أمواله مشروعة ، فهي تعتبر من أنجع الوسائل لارتكاب الجريمة وبلوغ النتيجة مع صعوبة كشفها وتمتاز بأنها لا تترك أثراً وبالتالي يبقى المجرم على بعد خطوة أو أكثر من سلطات التحري ، والتحقيق والمحاكمة . مما يعني وجوب تعديل التشريعات بتشديد العقوبة على من يثبت تورطه بعميلة الغسل كشريك ، بمصادرة جميع أمواله وإغلاق كافة مشاريعه التي أصلها مشروع .

الكلمات المفتاحية: تعريف ، غسيل الأموال ، مراحل ،

الحلول ، العناصر

The Paper's Approach

The paper takes an analytical descriptive approach to study the MONEY LAUNDERING compliance solutions , by searching in the sources that have pointed to or dealt with the subject in any way through the scientific references.

Practically, we will discuss as much rules as possible in connection with the MONEY LAUNDERING “ in order to achieve the paper's major objectives.

The Paper's Importance:

This paper is of vital importance at two levels:

1. **Theoretically:** This paper adds some knowledge to the legal library concerning of

The Legal Nature of the Crime of Money Laundering*

Dr. Ayman Nawaf Sharif Al Hawawsheh**

***Received: 9/5/2015, Accepted: 21/10/2015.**

****Assistant Professor / University of Northern Border / Saudi Arabia**

- S. Ludvigsen, T. de Jong, A. Lazonder, & S. Barnes (Eds.), *Technology Enhanced Learning: Principles and Products* (pp. 233-249). Heidelberg: Springer.
27. Stockwell, G. (2007). Vocabulary on the move: Investigating an intelligent mobile phone based vocabulary tutor. *Computer Assisted Language Learning*, 20, 365–383.
 28. Stockwell, G. (2008). Investigating learner preparedness for and usage patterns of mobile learning. *ReCALL*, 20, 253–170. James E, Katz, (n.d) *Mobile Phone in Educational Settings*. Retrieved June 22, 2008 from <http://www.scils.rutgers.edu/ci/cmcs/publications/articles/mobile%20phones%20in%20educational%20settings.pdf>.
 29. Tai, Y. (2012). Contextualizing a MALL: Practice Design and Evaluation. *Educational Technology & Society*, 15(2), 220-230.
 30. Thornton, P. and Houser, C., 2005, "Using mobile phones in English education in Japan," *Journal of Computer Assisted Learning*, Vol. 21, No. 3, pp. 217-228.
 31. Traxler, J. (2007) 'Current state of mobile learning', *International Review on Research in Open and Distance learning*, vol. 8, no. 2, pp. 1-10.
 32. Zilber, J. (2013, March 1). SMARTPHONE APPS FOR ESL: Finding the Wheat Amidst the Chaff. *CONTACT*, 15-21.

- Mobile Phones and Flash Cards. TOJET: The Turkish Online Journal of Educational Technology, 9(3).
6. Beatty, K. (2003). Teaching and researching computer-assisted language learning. Essex, England: Pearson Education Limited.
 7. Chen, N., Hsieh, S., & Kinshuk. (2008, October 1). Effects of Short-Term Memory and Content Representation Type on Mobile Language Learning. Language, Learning & Technology, 93-113.
 8. Chinnery, G. (2006). Emerging Technologies Going to the MALL: Mobile Assisted Language Learning. Language Learning & Technology, 10(1), 9-16.
 9. Darmofal, D., 2002, "Enhancing conceptual understanding," M.I.T. Faculty Newsletter. Vol. 15, No. 2.
 10. El-Hussein, M.O.M., & Cronje, J.C. (2010). Defining mobile learning in the higher education landscape. Educational Technology & Society, 13(2), 12-21.
 11. Geva, E., & Ryan, E. B. (1993). Linguistic and cognitive correlates of academic skills in first and second languages. Language Learning, 43(1), 5-42.
 12. Harrington, M., & Sawyer, M. (1992). L2 working memory capacity and L2 reading skill. Studies in Second Language Acquisition, 14(1), 25-38.
 13. James E, KatZ, (n.d) Mobile Phone in Educational Settings. Retrieved June 22, 2008 from <http://www.scils.rutgers.edu/ci/cmcs/publications/articles/mobile%20phones%20in%20educational%20settings.pdf>.
 14. Jones, A., & Issroff, K. (2007). Motivation and mobile devices: Exploring the role of appropriation and coping strategies. ALT-J, 15(3), 247-258.
 15. Kim, J., Altmann, J., & Ilon, L. (2012, January 1). Using Smartphone Apps for Learning in a Major Korean University. Retrieved February 11, 2015, from <https://ideas.repec.org/p/snv/dp2009/201292.html>.
 16. Koole. M. (2009). "A model for framing mobile learning" . In M. Ally (Ed.), Mobile learning: Transforming the delivery of education & training, pp. 25-47. Athabasca: AU Press.
 17. Kukulska-Hulme, A. (2007). Mobile Usability in educational contexts: What have we learnt? International Review of Research in Open and Distance Learning , 8(2), 1-6
 18. Kukulska-Hulme, A. (2009). Will mobile learning change language learning? ReCALL, 21(2), 157-165.
 19. McNeal, T. and van't Hooft, M., 2006. Anywhere, anytime: Using mobile phones for learning Journal of the Research Center for Educational Technology, Vol. 2, No. 2.
 20. Alavi, M. & Leidner, D. E. (2001), "Research commentary: technology-mediated learning - a call for greater depth and breadth of research", Information Systems Research, Vol. 12, No. 1, pp. 1-10.
 21. .Mehta, N. (2012). Mobile Phone Technology in English Teaching: Causes & Concerns. The Modern Journal for Applied Linguistic, 4(2), 82-92.
 22. Mayer, R. E. & Sims, K. (1994). For whom is a picture worth a thousand words? Extensions of a dual- coding theory of multimedia learning. Journal of Educational Psychology, 86(3), 389-401.
 23. Rattray, L. (2013). Can m-learning Improve Connectivity and Reduce Waste in ESL? TRANSACTIONS ON MOBILE LEARNING, 2, 10-14.
 24. Sharples, M. (2000). The design of personal mobile technologies for lifelong learning. Computers & Education, 34(3-4), 177-193.
 25. Saxberg, B., & Hess, F. (2014, January 21). Schooling Rebooted - Education Next. Retrieved January 6, 2015, from <http://educationnext.org/schooling-rebooted/>
 26. Sharples, M., Arnedillo-Sánchez, I., Milrad, M., & Vavoula, G. (2009). Mobile Learning: Small devices, Big Issues. In N. Balacheff,

on topics and skills for academic essays writing. Grammar apps are also various, Noun Plus ,English Grammar ,Johny Grammar and English Verbs Reference are apps that teach grammar very attractively.

How to Speak, English Speaking and English Conversation also can be downloaded from app-stores are apps that have many videos and very interactive exercises. These apps can motivate the learner to use language by providing a proper cultural context.

4. Limitations of MALL

Like any other technique, MALL has some limitations because it has been proven that it is affected by many variables, such as the social and financial status of the learner, and sometimes, the nature of the curriculum. Usually, students with lower financial status are not exposed to technological modern tools compared to their peers from higher status. Not only that, but it was observed that usually students from rural backgrounds do not have the same technological skills as their peers from cities. Furthermore, Aamri (2011) found that: "There are striking differences in the role of technology in wealthier school districts compared with poorer school districts and that there are clear generational differences among teachers when it comes to their comfort with technology and its use in their classrooms". This finding displays the impact of some individual characteristics on MALL, however, group work, and well-designed activities can control and restrict this problem.

The price of these smart devices is another problem that must be considered. Also, the possibility for these mobiles to be misplaced, stolen or corrupted makes it risky to completely depend on. But, backing up information on emails is an option added in almost all apps (Mehta,2012). In addition, Beatty (2003) believes that putting such a big effort in "unproven technology" is a mere waste. However, all educators know that every new idea is a risk until proving its value, and without risks, education would be losing its main goal of innovation.

5. Conclusion

In the final analysis, apps in classrooms can be very helpful despite their limitations, which if compared with its advantages seem almost none. After manifesting m-learning as an essential, required, and productive pedagogy for teaching English as a second language, considering apps to leap from traditional classes, which might have the possibility of time and connectivity waste, to alternative classes cuts down all possible chances of waste. Moreover, it emphasizes the learners' rule in their own education.

6. Recommendations

Obviously, research in mobile learning in teaching English has elicited its powerful results on Language learners, which emphasizes the need to quarry it deeper in relation to the methodology that can be approached to employ it. Also, looking for ways that can minimize its limitations and downsides would be very gainful for ESL, and can bring forth many unexpected outcomes

References:

1. Aamri, K. (2011). The Use of Mobile Phones in Learning English Language by Sultan Qaboos University Students: Practices, Attitudes and challenges. *Canadian Journal on Scientific & Industrial Research*, 2(3), 143-152.
2. Ahmad,J. (2013). Effectiveness of Internet Capable Mobile-Phones in Learning Vocabulary with Special Reference to Working Class Saudi EFL Learner. *Archives Des Sciences*, 66(1), 533-543.
3. Alavi, M., & Leidner, D. E. (2001). Research commentary: Technology-mediated learning - a call for greater depth and breadth of research. *Information Systems Research*, 12(1), 1-10.
4. Baddeley,A. (2003). Working memory and language: An overview. *Journal of Communication Disorders*, 36(3), 189-206
5. BAŞOĞLU, E., & AKDEMİR, Ö. (2010). A Comparison of Undergraduate Sstudents' English Vocabulary Learning: Using

management in such classes is much easier and wiser than traditional classrooms, because the class becomes the place that is elaborated on in digital classes. The teacher can take advantage of using this additional space and time very professionally.

3.1.3 How to Utilize Apps and m-learning

Getting acquainted with smartphones is the first thing a teacher has to do in order to use in classrooms. In addition, they have to keep balance between depending on these magical devices and on their pedagogy; which brings forward motivation and assessment. A teacher using MALL must make sure that he or she is motivating and stimulating students' appetite to learn English, so they can depend on them to learn on their own outside classroom using mobiles..

Tai (2012) wrote a very distinguished inspiring task-based paper on "Contextualizing a MALL". The researcher employed mobiles in a very simple scenario about a burglary committed in a museum and foreign international agents came to help in investigating the case. The students had to "investigate" and interview "suspects" using English, and using some hints sent on their mobiles in authentic English language. Of course, this activity was reported using mobile phones and the students showed very deep interest in playing that game while learning the new words. They were observed to be very engaged in the task willingly and enthusiastically.

This activity would appear ridiculous for some, and of course it would have been not the researcher had planned it in details well. First, there was a pre-task phase at which the task was introduced including the instructions, the objectives and the motivators. Second came the main task phase which aimed at practicing students' ability to read and write through spotting the differences found in a portrait, locating the place using a map that has been found, decoding and SMS and checking some items missing. Their ability to listen and speak was practiced also through interviewing the witnesses, and listening to an MP3 recorded important information about the crime. All the hints ; the portrait, the map, the items and all

others were sent via SMS , MMS or stored on their mobiles before giving the device to them.

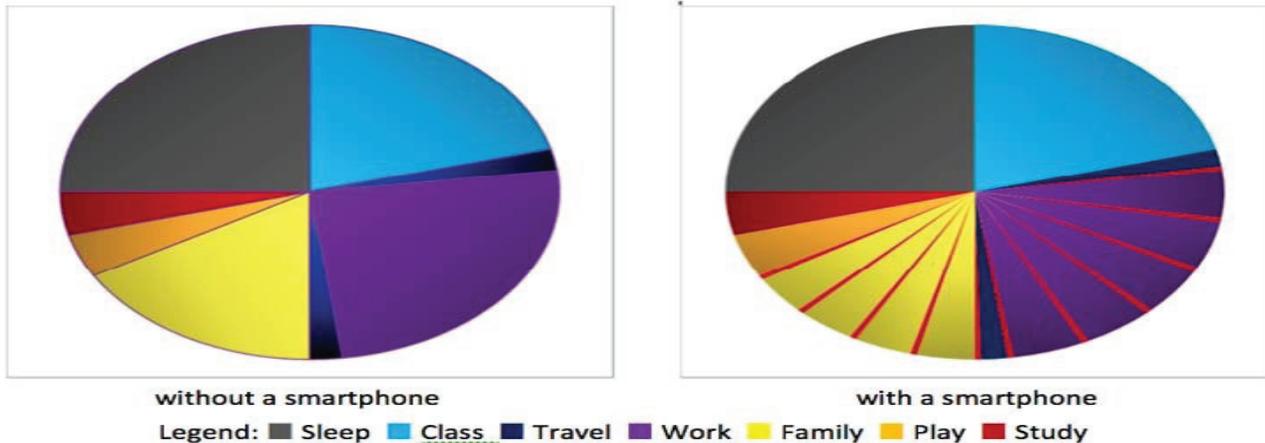
This is only one example of what a creative teacher can experience using smartphones. It would be the simplest and cheapest idea to send to the college students some vocabulary and sample sentences during the day using WhatsApp or Viber. A teacher can attach a sketch that symbolizes the word or any annotation he or she finds suitable. Another simple idea would be to take pictures and use them as a trigger for essay writing, discussion, or a warmer for any reading comprehension.

3.2 Apps to Use in ESL

As has been noted, the apps market is stuffed with different kinds of apps that serve the purpose of learning. Of course, each app can be employed in a unique way that the educator specifies according to the circumstances, this makes apps very flexible. Using the best app is only up to the educator and his or her own creativity and perspective. For example, there are many apps that can serve reading skills, such as Learnist, Flipboard, CNN, and Yahoo News Digest. The first two apps are very interesting, because the articles and news are all presented up to the user's main interests, for he or she gets to choose what to appear in the feeds for the user. Similarly, CNN and Yahoo New Digest present the latest news in different areas, and they provide notifications for the user to remember checking them two or three times a day. This might offer much more frequency than that offered by the class that ends in 50 minutes. Besides reading apps, many interesting academic apps aim at teaching vocabulary, such as GRE vocabulary, Vocabulary Builder, Fun Easy Earning, English Vocabulary and Word Learners all of which present a variety of useful words with exercises and many levels that the user has to pass. A very nice app I find very productive is Vocabulary Notes because it is like building the user's own dictionary with the word family, meaning and sentence example.

Other apps deal with writing skills, starting from very simple making sentences apps to brainstorming and planning apps ,such as Mindomo and Simple Mind Free, moving to essay writing teaching apps that give instructions

continuously without having mobiles, while with smartphones they tend to study in segment in a prolonged time session.



This proves that gaining information using smartphones or technological devices is not as vague and not meaningful as some argue, otherwise students wouldn't have used it for many different times daily. This also shows that it does motivate them and engage them, which is the second standard that Zilber chose. She found that an application is working best when it is addictive, engaging and entertaining at the same time. Of course, this is very obvious in applications that teach language using games. Any teacher knows that fun is good to boost the students' achievement and trap their attention whatever their age is. When people are in good psychological status they concentrate more and absorb more information. This shouldn't conflict with the fact that the application should be academically focused and enrich the material given in class. All of that can be seen in many applications that teach speaking, pronunciation, sentence structure and many others. Zilber says: "The best apps don't try to do everything...unlike desktop application users, smartphone users don't want one application that does everything: they want lots of little applications, each of which does one thing well" (2013, p.5). Not to forget that the developer of the application must be native English speaker or, at least, very proficient in English. This can help learners to live a semi-English environment that invokes their abilities to use English in public.

3.1.2 Time Management

Some educators hypothesize that utilizing m-learning can only be a waste of class time and efforts, as being a major distracter and energy consuming. Actually, as much as it might look right, looking closely would prove that using mobiles could reduce time and effort waste if planned well. It might be the hardest part of all; managing your class time in a novel way that incorporates mobile learning, but it is what makes your class be perfect and very productive.

In fact, m-learning and Apps utilizing can reduce time wasted on connectivity, that is the time that a teacher loses when trying to bond and connect with students. It minimizes the distance and saves time. Also, as Rattray (2013) explained, MALL is the perfect solution for information and teaching waste. Mobiles create an information-centered classroom for it provides a very rich informative environment; they offer a more challenging language context that is full of new vocabulary. Moreover, it reduces teaching waste which all teachers have to bear in any activity they apply in our classes. For example, when teachers gives their students a group activity it is almost impossible to know or hear all the students' output and ideas, or the process they went through to get to their final decisions. Nevertheless, there are many apps that create a digital classroom that all students elaborate in while the teacher observes their suggestions and ideas very clearly. Time

2.2 Models

A study was applied in Jeddah Community College by Ahmad (2013), aimed at ascertaining the validity and effectiveness of using internet capable mobiles in learning and memorizing vocabulary. This study found that students who had galaxy mobiles, iPhones or iPods acquired the linguistic skills faster than those who did not have. 80% of the students agreed that internet mobile phones will have an important control on learning English in the near future, while 70% believed that materials for learning English should be developed and uploaded on Internet for mobile phones, and 94% were sure that bilingual dictionaries must be downloaded on these mobiles. Not only that they agreed on these statements, but also they showed a very good achievement after following a MALL experience. Those Saudi students could exceed those who followed the traditional method twice (Ahmad, 2013).

Another study conducted by Amari in Sultan Qaboos University in 2011 showed that 30.77% said they used their mobiles for learning English directly every day, while 31.87% said they used it a few times a week and only 18 % said they hardly do. It also showed that 95% of students believed that mobiles can be used in teaching English language while only 5% found that it cannot be useful in learning English.

In 2012, Kim, Altmann, and Ilon published a paper that reflected a study they conducted in a major Korean university. They surveyed the type of apps students used and downloaded on their mobiles in order to learn English. It showed that they used apps for translation and dictionary 13%, document viewer 7%, books 4%, Web searching 11%, Media (newspaper, radio, TV):11%. The results in general mirrored the students' curiosity about their surroundings.

3. Apps in Education

3.1 The Teacher's Role in Utilizing Apps in ESL Classrooms

The environment of learning that the teacher draws includes many factors; the class setting, the curriculum and content, and the kind of relationship he or she has with their students. Accordingly, there should be specific criteria when choosing which application to utilize in your classroom. Naturally, a teacher uses the application that serves their course, class, or activity intended objectives, which is related to the content or the curriculum. This could be deliberately achieved by the dozens of applications available on smartphones and tablets, and by the wise creative design of the activity that fulfils the aim of the lesson. This design of course necessitates the teacher to reshape their class setting, to paraphrase, and to plan their lesson in a timeline that suits the original purposes and the application. To make it clear for those opposing applications in classrooms, Apps in general are very flexible and a teacher can choose how to do what and when very easily. In brief, utilizing applications in classroom is just like considering any other activity or aid; it only needs good planning and preparing to produce the best learning outcomes.

3.1.1 How to Choose the Academic Purpose-Serving Apps?

Many researchers investigated the criteria by which the educator can choose best applications. Zilber (2013) illustrated how to find the "Wheat amidst the chaff" as she titled it. The first standard was that the application should be designed in small segments, meaning that it can provide the user a complete experience in a short time. She found that students tend to study more

benefit from pictorial and written combined representation. Second, students with higher verbal ability could benefit from the written annotations, and could attain the same with the pictorial and written combined presentations. Unfortunately, those with lower verbal and visual abilities could not really benefit from any type of presenting, maybe using advanced apps like the ones available now that use auditory presentation could have benefited them slightly.

Basoglu and Akdemir (2010) compared between introducing vocabulary to learners using flashcards and mobile phones. They found that : “ Not only did mobile phones improve students’ vocabulary learning, but students also showed positive attitudes towards the use of mobile phones for English vocabulary learning”(2010, p.5). Indeed, Thornton and Houser (2005) have compared the results of two groups in two experiments; one receiving the words through an app called Learning on the Move, and the other was receiving the words in posts on a mobile-supported website. In the other experiment, vocabulary was given on paper for one group and for the other on LOTM (Learning on the Move). It appeared that the group that received words through the LOTM gained a bigger amount of words. However, a survey showed that both groups felt positively about learning using their mobiles. But it proved to the researchers that using a designed educational material mobile-oriented benefited the students and they had positive attitude towards it.

Although the students showed less usage of webs on mobiles, they evaluated the educational material that is designed for mobile phones positively. In other words, they preferred the educational apps rather than the random websites. Indeed, their research has shown that students were not bothered by reading through small screens, as rich multimedia could catch their attention effectively.

The Framework for the Rational Analysis of Mobile Education (FRAME) model gives some insights into the effectiveness of mobile learning and how it would collaborate with the curriculum itself. It illustrates the relationship between the learner, the device, the society and the way

they all intersect to form the mobile learning, as a natural result. The (D) aspect symbolizes all the physical features a mobile has, while the (L) aspect takes into account the learner’s prior knowledge, memorizing ability and feelings. As for the (S) aspect, it relates to the social interactions, conversations and cooperation. The intersections that are formed out of this formula are the device usability, the social technology, and the interaction learning. To begin with, the device usability terms the cognitive skills with the mobile characteristics, such as the portability and psychological comfort. Coming to the second, the social technology intersection frames the style of communication provided by the technology. Explaining that, Koole (2009) wrote: “Mobile devices enable communication and collaboration amongst multiple individuals and systems; device hardware and software provide various means of connectivity” (p.34). While the interaction learning reflects this model’s ability to portrait according to Kool (2009): “Learning and instructional theories, but relies very heavily upon the philosophy of social constructivism” (p36). In other words, learning is collaborative and stresses the social interaction, while presenting the learning communities with a situated cognition. This intersection brings forth a new essential junction: The Mobile learning Process. This implies the learner’s ability to navigate knowledge in their own way, and select information authentically and accurately.

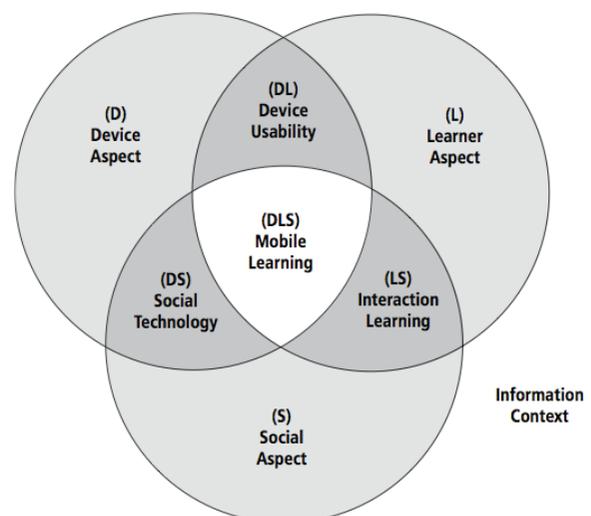


FIGURE 1 The FRAME Model

Hence, apps in general are very user-friendly and personal, this provides a very relaxing atmosphere for students to learn and acquire knowledge the way they find the most suitable. Most applications are not only very interactive and colorful, they are also very stimulating, because they have more than one level that the user must pass. It can be a game or a very simple competition or a pre-designed quiz that shows the user their mistakes and the correct answers. Apps are very challenging and motivating, the user cannot pass to the next level if not proven that they learnt their mistake after which he or she is given a reward. Having to repeat the same experience is very useful for acquiring the word since many theories propose that: "Distributed practice is superior than massed practice" (Houser & Thornton, 2005), also recent research concerning the brain and learning indicated that learning new words or concepts requires multiple experiences, giving repeated practice and exposure, so that the neural network for the word can be developed and strengthened" (Houser & Thornton, 2005).

To put it simply, apps are free teachers for all students from all social classes, especially that smartphones are relatively affordable and actually in hand for all students, even those coming from a poor background. Smartphones compared to a PC are generally cheaper and can serve the same as a PC for any normal college student. It appears very tempting to parents when they know that many apps on smartphones are designed by iconic institutions, such as the British Council, BBC, and many other international universities. This gives their sons or daughters a chance to learn what they cannot afford in any of these institutions.

2. Literature Review

In fact, many educators saw the correct path to employ mobiles in teaching language and conducted many studies on their students to verify its effectiveness through many methods that all poured in the MALL or the Mobile Assisted Language Learning.

2.1 Theories

The first person who coined the term MALL for mobile assisted language learning

was Chinnery in 2006, he presented some of the pioneer ventures for using mobiles in education proving its validity in serving the main objectives of teaching. He was followed by Chen, Hsieh and Kinshuk in 2008, who shed the light on MALL by clarifying the relationship between the Learning Content Representation (LCR), the Dual Coding theory, and the Working Memory Model. They explained their experiment based on remarkable cognition theories and on the Psychological Learning Process theory. Alavi and Leinder (2001) pointed out the importance of this process which includes, according to Chen, Hsieh and Kinshuk: observation, attention, identification, transformation and memorization. The researchers assumed that the best model to use for the cognitive information processing is Atkinson & Shiffrin's (1968) called the Multi-Score model, which proposes that there are three types of memory: Sensor, Short-term and Long-term memory. Of course, many previous researches proved that the second language vocabulary learning depends to a great extent on the short term memory (Geva & Rayan, 1993; Harrington & Sawyer, 1992). Then, they linked that to a different representation of the Working Memory Model by Baddeley (2003) that classifies the STM into three essential sections; the Central executive, the Fluid systems and the Crystallized systems. The value of this model is that it presents the short term memory not as a mere store place but rather as a working memory that deals with different data based on how it has been introduced to the learner. Researchers then connected that to the Level of Processing Theory which poses and suggests that data can live longer in the Long term memory if it involves a deeper level of processing. Next, they discussed the Dual Coding theory which also states that learning is more effective when learners use more than one sensory modality, (Chen, Hsieh, and Kinshuk, 2008). Based on that, Chen and the researchers decided to assign the subjects to four groups according to their different STM abilities.

The results proved the power of presentation, which emphasizes the importance of using apps on mobiles to help a variety of students who have different processing abilities to store more vocabulary easily. First, it was proved that all students with higher visual ability could benefit from pictorial presentations and they could

and visual processing together learning is more effective. Based on this, Chen, Hsieh and Kinshuk (2008) argued that :“We therefore hypothesize providing multi-sensory learning content by combining written and pictorial annotations will have a differential effect on the learning performance of students with different verbal and visual abilities” (2008,p.95). They experienced teaching vocabulary using mobiles and proved that it did help students with higher verbal and/or visual ability.

Obviously, any given mobile has at least an alarm, a recorder, a camera, a note taking and to-do-list options, an SMS and MMS sending and receiving even if not equipped with internet connection. Having internet on mobiles and tablets widens those options to micro blogging, researching, free calling, free chatting , and downloading hundreds of up-to-date applications that deals with different aspects of knowledge. As English teachers, it would be a loss not to use these qualities to help our students organize material and manage their time and tasks through their mobiles. For example, recording an interview between two students in English would be the simplest idea to apply using these mobiles and the most exciting for the students!

Finally, MALL highly motivates learners because it gives them a substitute setting for learning language than the traditional, sometimes, boring whiteboard and teacher. It makes them their own teachers for a while, which stimulates their responsibility and raises their awareness about many causes around. Using their mobiles to do a research, revise a lecture, or prepare a presentation opens the doors for infinite knowledge that one teacher in a limited time and space cannot give. “Using real world resources for teaching and learning in the classroom can make education more meaningful and relevant to our students” (Mcneal and Hooft, 2006, p.1).

They will be exposed to a variety of broad information around them; this actually motivates them to find reasons behind facts and to find their passion for knowledge. The small mobiles they have in their pockets can trigger their inner willingness to exceed our expectations, and to learn for the sake of knowing rather than

graduating, if given the chance. Eventually, this all goes for the benefit of the class itself, because students will bring the outside environment into their classes; when asked they can only tip tap their screens and find the answers the teacher is looking for. Some people, however, think that in this way students will forget information easily because they are not going for libraries digging in hundreds of books to find the suitable answers, well, this is not actually the case for many reasons. To start with, the system in online libraries saves time, and it is very rich. Besides that, online libraries offer many choices of resources to find the answer for the question acquired . Then, one has to think about the current generation who does appreciate technological devices and finds them very valuable. Indeed, touching the tablet or the mobile phone is not enough to find the answer for the question needed; a student needs to know the skills of searching such as the keywords and the authentic resources and many other elements before moving it to a note-taking application that saves the information in a very organized way.

As for the advantages of the apps on mobiles, they are unlimited. Before investigating them, from the learner’s perspective, it would be a very good way to find out those advantages. So, if a student wants to look for an application that teaches English vocabulary, the first thing to do is to search the market on Apple Store or Play Store using some key words, such as: learning English vocabulary, play with words, or maybe simply: words. Then, a list of tens of suggestions will appear on that screen. The next step is that the user checks the app so to make sure that it’s academic enough. Until now, all is safe, private, secure, easy and quick. The ratings of the app can help decide whether it is helpful enough or not, and the pictures and description give a clear idea about it. After choosing an application and downloading it ,which takes no more than 5 minutes, the learner starts to check it and see if he or she likes it or not. The decision must depend on the feeling of comfort, the design of the app, the easiness of using it, and how much it challenges them. Well, this tells that downloading an application is not as blind and random as some people might think. This can be also be ensured by giving the students some instructions on how to choose the best app and measure the authenticity of the data it offers.

methods. Furthermore, the limitations that should be understood and encountered are also essential to the field of studying this new method.

1.2 Why Mobile Learning?

Smartphones came in hand for all people and caused many changes in several fields. People started keeping track of their health, news, economics, education, people living in their small circle and those living around the globe. This breakthrough had necessarily affected the way learners sense and respond to their surroundings, especially that they started conveying their feelings in a techno-digital way; symbols became very expressive and short pauses in online chatting rooms became meaningful. Neglecting this marvelous fact and keeping those magical devices away from any given classroom is only a very big loss a teacher can cause, especially when examining their effectiveness in teaching English as a second language.

First, the mobility that smartphones possess is very crucial in the learning process. EL-Hussein and Cronje (2010) linked the term “mobility” to three different areas in education. The first is the mobility of technology, which is very vivid when looking at the way mobiles, PDAs, laptops, tablets ...etc. access the Internet and connects with satellites. This allows them to be used anywhere and everywhere on the planet. A learner can access the internet outside classroom easily and contact the teacher or find the material he or she needs. This fact has led to the idea of “flipped classroom” which was found in 2004 by two teachers from Colorado: Bergmann and Sams. Flipped Classroom is based on giving the materials to the students to study at home before dealing with it with their teachers; they watch a video or listen to a recording by the teacher explaining the new lesson. After that, they come to class only to practice what they learnt at home or to ask questions. This technique saves much time and guarantees the involvement of students in the material given. Clearly, based on Darmofal’s statement that: “Lectures are relatively ineffective in delivering information. Rather material ought to be used to process and reinforce the information used” (Kim, Altmann, Ilon, 2012, p.5), flipped classroom was proved to

have a wider influence and academic basis than it thought to have. Kim , Altmann and Ilon (2012) led an innovative experiment on Seoul National University using a web-based approach. They managed to send the material to students before classroom, and achieved the best understanding of the course material in class time. Of course, bearing in mind the very limited time and setting of classrooms, and the load students have each semester makes it very good idea to apply such a method, because it helps them to occupy the time they have outside the campus.

Not only that it reduces time waste, but also mobile phones can guarantee the learners’ individuality and productivity, that is the mobility of the learner. MALL can help students learn independently outside classroom; according to Jones and Issrrof (2007): “Ownership is often highlighted as a key motivational factor but can refer to ownership of the learning or of learning products. In the context of mobile devices it also refers to physical ownership of the devices and their personal nature” (2007, p.248). Furthermore, it can also help students with low self-esteem and those who are shy to speak English in front of others since it removes the formality of the learning experience (Sulaiman, 2011). Circular writing including SMS, MMS, emails, and micro blogging also help those students to overcome their inner fear of using English in public. On the other hand, the mobility of learning itself gives the floor for other sociable students who enjoy learning in a collaborative environment to practice their leadership and solidify their personalities while acquiring language. This correlation given by El-Hussein and Cronje (2010) was preceded by another focus on mobility ;(kukilska-hulme, 2007; 2009; Sharples, 2006; Traxler,2007) proposing that mobility needs to be understood not only in terms of spatial movement, but also the ways in which such movement may enable time-shifting and boundary-crossing.

Another factor is that m-learning offers learners a chance to have a hands-on experience, which agrees with the Dual Cognitive theory that states that the more senses involved in the learning process the longer it stays in the long-term memory. According to Mayer and Sims (1994), when learners, for example, use verbal

between the generations and to bring something real from the students' real life to the classroom environment. Experiments have proven the power of owning ; a little boy in the kindergarten is always "happier", which means more motivated, willing, and opened to new ideas and suggestions, if allowed to bring his toy with him. Consequently, a modern student-centered classroom should allow smartphones as the first step in improving the teaching it has, and then fulfilling the matter of the MALL, or the Mobile Assisted Language Learning for what it has of significant positives. This, naturally, needs planning and much thinking before applied in order to ascertain the maximum benefits with the minimum costs.

In *School Rebooted* by Hess and Saxberg (2014), the writers believe that educators must think as engineers since these people are the best problem solvers. However, educators are actually super problem solvers, because they simply deal with real people with different characters, ideologies, backgrounds and abilities which finally form a special receptive style for each one of them. A teacher spends nights imagining and designing scenarios for his or her next lesson trying to find out the best way that lessens the distance between that new lesson and the students, and the difference among the individuals. Nowadays, Personal Digital Assistants (PDAs) and especially smartphones have become an inseparable common part of students' lives, they gain knowledge in various fields, and ingrate their best moments on those gadgets which proved that they are part of their existence. They chat; check their emails, read, send messages, research data, take pictures and notes using these tools. However, it is still common to ask students to leave these gadgets outside classroom by asking them not to use them as being a major distracter and time waster. In fact, this is the biggest mistake any teacher can make, because in this way they are being asked to get rid of an essential part of their personalities, hence, a wide door for any teacher to send information through is being closed. Smartphones and PDAs are priceless tools that can help the teacher effectively in their classroom

(Chinnery, 2006; Sharples,2009).

Most modern learning perspectives

concentrate on the ubiquity of learning as an omniscient power that happens all the time and in all places. So, according to these definitions, learning is best fulfilled if smartphones are used in classrooms, since these magical gadgets will help teachers and students to keep up with the environment and employ it to its most. According to this definition, part of learning is to use all the coming ups in the classroom. Many have actually realized this fact and took advantage of it. One of the earliest attempts was in 1988 by Twarog and Pinter ,when they communicated with their distant students language learners with traditional telephones. In 1996, a course was taught from Hawaii Brigham Young University to Tonga via telephone (Chinnery, 2006).

That was followed by Chinnery's research in 2006 in which he coined the MALL term for Mobile Assisted Language Learning. On the other hand, many have argued that mobiles' small screens, slow systems, complicated keyboards, and expensive cost are some of the elements that make computers better assisting tools. Recently, academics do not need research to prove that they are, if not better, at least as same as practical as computers. It is believed that with the new big touch screens, high resolutions, ease of use, smart systems, cheap prices, availability everywhere, and Internet capability, smartphones have proven their ability to achieve many tasks in different fields of life.

Research questions:

The question that stay standing is how to use smartphones and specially apps in teaching English as a second language ; how does it affect the teacher's role in classroom and how does it reshape the content of the curriculum. Another important question would be whether there is any connection with the students' background, social status, or abilities and the efficiency of using mobiles in ESL. Allowing those gadgets into any classroom needs to be analyzed well in order to be used efficiently. So, looking through the approaches on how and when to use m-learning purposefully to serve the teacher's pedagogical objectives, and how it can change the curriculum of the course are some of the major issues relating to using mobiles in classrooms as teaching

أهمية وأساليب استخدام الهواتف والتطبيقات الذكية في تعليم اللغة الانجليزية كلغة ثانية لدى طلاب الجامعات ملخص:

يهدف هذا البحث الوصفي إلى إظهار أهمية استخدام الهواتف الذكية في تعليم اللغة الانجليزية بوصفها لغة ثانية، علاوة على توضيح فعالية وكفاءة هذا الاسلوب باعتباره محفزاً قوياً للمتعلمين يجلب البيئة الخارجية للمتعلم إلى داخل البيئة التعليمية الصفية، وكما يؤكد انفرادية كل متعلم، مع المحافظة على مفهوم العمل الجماعي بالإضافة الى ذلك، فإن هذا البحث يركز على الأهمية لاعتبار توظيف التطبيقات الذكية حجر أساس في تعليم اللغة الانجليزية؛ بسبب توفر هذه التطبيقات وحجم تأثيرها. وقد أثبتت هذه الفرضيات من خلال عرض بعض النظريات والدراسات نحو Dual Coding Theory والـ Working Memory Model والـ Rational Analysis of Mobile Education.

كما عرض هذا البحث بعض النماذج الجامعية، لتطبيق استخدام الهواتف الذكية في تعليم اللغة الانجليزية ونتائجها. وقد خلصت هذه الورقة البحثية إلى الكشف عن العديد من الإيجابيات في تعزيز مخرجات التعليم وتحسين إيجابية البيئة التعليمية، بالإضافة إلى الحد من خسارة الوقت والجهد. كما أنها تضمن تعلماً أفضل للمفردات الجديدة. على الرغم من ذلك، تبقى بحاجة للمزيد من الأبحاث لدراسة أفضل الطرق التعليمية من أجل تفعيل دور الهواتف الذكية والتطبيقات لتعليم اللغة الإنجليزية والبحث عن محدداتها لإيجاد أفضل الطرق التي تمكن المعلمين من تحمل مسؤولياتهم الجديدة التي تلائم التعليم الفعال الحديث.

الكلمات المفتاحية: صفوف تعليم اللغة الانجليزية كلغة أجنبية، الهواتف أو التطبيقات الذكية، الدافعية، أسلوب تعلم.

Abstract:

This descriptive paper aims at pointing out the importance of utilizing mobiles in teaching English as a second language. Moreover, it presents the efficiency of m-learning, or Mobile Assisted Language Learning (MALL), as a powerful motivator that brings the outside

reality to English as a Second Language (ESL) classroom, and it ensures students' individuality while keeping up the team work. Furthermore, it focuses on embracing applications or apps as a cornerstone in teaching English for their broad availability, deep action and prolonged effect. This has been proved by discussing the Dual Coding theory, the Working Memory Model and the Frame of the Rational Analysis of Mobile Education (FRAME). Also, some models were displayed to show real experience in applying m-learning in teaching English as a second language at university level. The paper concluded that MALL has many qualities that can enhance the learning outcomes, elevates the positivity of the class environment and reduce time and connectivity waste. Besides, it guarantees better vocabulary acquiring and practicing. However, more research on the methodology of employing mobiles and Apps in teaching English and its limitations is still badly needed so as to help educators take responsibilities of their new roles in such classes.

Key words: MALL, m-learning, Apps, smartphones, student- centered.

1.1 Introduction

Many researchers have aimed at shedding the lights on using technology as a pedagogical method to teach English as a second language. Some have started forty years ago addressing the Computer Assisted Language Learning (CALL), after people started integrating the Internet in their classrooms as a revolutionary step in the world of education. It had not been long until the humanity was shocked again with the invention of mobiles and then smartphones that enabled people to achieve a variety of developments that were thought to be impossible years ago. Smartphones made conferences less expensive and time consuming, clinical advices more affordable and understandable, politics more readable and available, and made education richer, deeper, cheaper, faster, and most of all closer to our students. This great advance came to ground as a result of the simple options available in mobiles and the market of apps. Applications have gifted the existence of education and knowledge a marvelous blessing; a key to bridge the distance

**Opening the Doors for Mobile Assisted
Language Learning
Mobile Apps for ESL: Value and Methods***

Fatima Yaqoub Quresh**

*Received: 25/2/2015, accepted: 13/4/2015.

**Lecturer / Birzeit University / Palestine.

10. Butler, J. D. (1966). *Idealism in Education*. New York: Harper & Row.
11. Crook, J. (1998). "Socrates' Last Words: Another Look at an Ancient Riddle." *Classical Quarterly* 48 117-125. Elias, J. L., & Merriam, S. (1980). *Philosophical foundations of adult education*.
12. Huntington, NY: Robert E. Krieger Publishing Co.
13. Huffman, C. (2009). 'Pythagoras', *Stanford Encyclopedia of Philosophy*.
14. Khasawneh, O. (2002). *Looking at the Present, Looking towards the Future: Sport and Physical Education in Jordan*. Ph. D. Dissertation: Ohio State University, Columbus, Ohio.
15. Klemke, E. D., Kline, A. D. Hollinger, R. (1986). *Philosophy: The basic Issues*. (2nd ed.). New York: St. Martin's Press.
16. Lewis, David. "What Experience Teaches", in *Papers in Metaphysics and Epistemology*, Cambridge: Cambridge University Press, 1999, pp. 262-290.
17. Lycan, William (1996) "Philosophy of Mind" in *The Blackwell Companion to Philosophy*, ed.
18. Maheshwari, V. K. & Bansal, S. (2010). *Idealism in education*. Roorkee: Meerut, India.
19. Nicholas Bunnin and E. P. Tsui-James, Oxford: Blackwell Publishers.
20. McNeil, J. D. (1983). *Curriculum: A comprehensive introduction*. Boston: Little, Brown and Company.
21. Nails, D. (2009). 'Socrates', *Stanford Encyclopedia of Philosophy*.
22. Noonan, J. P. (1957). *General Metaphysics*. Chicago, Ill. Loyola University Press.
23. Ozmon, H. A., & Craver, S. M. (1981). *Philosophical foundations of education* (2nd Ed.). Columbus, OH: Merrill Publishing Co.
24. Plato. (1991). 'The Republic', Jowett, B. (trans.), *Forgotten Books*, Charleston
25. Plato's Arguments for the Immortality of the Soul I: The Argument from Opposites Coming from Opposites. (FROM PHAEDO 70C-72E).
26. Rorty, R. (1979). *Philosophy and the mirror of nature*. Princeton: Princeton University Press.
27. Seale, P. (1983). *The Shaping of an Arab Statesman*. London, Melbourne, New York: Quartet Books Limited.
28. Stewart, D. (1972). "Socrates' Last Bath." *Journal of the History of Philosophy* 10 253-9. The Official web site of the Ministry of Education in Jordan.
29. Wilson, E. (2007). *The Death of Socrates*. Harvard University Press.

which is viewed by the educational system as a true challenge because inviting democratic values into Jordanian schools may be merely a dream. He adds: “another challenge for the future school is maintaining the national societal identity as part of Arab identity, which had been formed by the Arab/Islamic civilization” (Al Sheikh, 1999, 25).

The educational system in Jordan can still play a remarkable role in developing or establishing the type of learning institutions equipped to produce the sort of society which honors and cherishes the best of mankind. This may seem a powerful statement, but it is perhaps one of the few cards that Jordanian educators have. By rediscovering the earlier work of the Islamic heritage, which has been scattered through many studies and treaties, the Jordanian educational system, can collect, classify and analyze the earlier educational thought and make it the basis of the new proposed philosophy (Khasawneh, 2002, 55).

To sum, the new proposed philosophy is one of the major key principles of the Jordanian education system based upon, first, the Jordanian constitution, the Islamic Arab civilization, the principles of the Great Arab Revolt, and Jordanian national heritage (Al Sheikh, 1999; Amayreh, 1997; Al-Tal, 1998). Second, education must be receptive to current and future necessities in addition to sustaining the growth of the country both socially and economically. Third, the quality of the education system facilitates global contact to educational opportunities and fairness in terms of providing services, in addition to the advantages of the improvement in information technology. Moreover, a good education system endorses civilized levels of student achievement as deliberated via a system of performance indicator based on principles rooted in learning products. The vision and mission of the Jordanian education system ought to be continuously and definitely incorporated into national policy augmentation (Amayreh, 1997; Al-Tal, 1998).

Recommendations

Based on the above findings, the researchers recommended:

1. Elementary teacher education programs should be developed and improved. There

should be concentration on learning philosophical theories through workshops.

2. Curriculum should be included the educational philosophical implications of idealism as an educational theory in the elementary stage. The curriculum has to focus on providing opportunities for research and applied the educational philosophical implications of idealism in a new situation.
3. Conducting similar studies employing a qualitative method such as ‘interviewees’.

References

1. Abo-Hula, I and Al-Doulat, A. (2009). Science Teachers’ perceptions about learning theories and its relation with their teaching practices. *Journal of Arab Universities Union for Education and Psychology*, (52): 159-211
2. Al Sheikh, O. (1999). *The Jordanian School and the twenty-first Century’s Challenges: The Introduction*. Amman, Jordan: Abdel hameed Shoman Institute Publications.
3. Al-Tal, A. Y. (1998). *Higher Education/ Learning in Jordan*. Amman, Jordan: Committee of Jordan’s History Publications.
4. Amayreh, M. H. (1997). *Education and Learning in Jordan: From Ottoman Era to 1997*. Amman, Jordan: Al-Massereh Publication Company.
5. Baker, G. & Morris, K. J. (1996). *Descartes’ Dualism*, London: Routledge.
6. Benson, H. C. (2000). *Socratic Wisdom*. New York: Oxford University Press
7. Brickhouse, Thomas C., and Nicholas D. Smith. 2000 *The Philosophy of Socrates*. Boulder, Colo.: Westview Press
8. Brickhouse, Thomas C., and Nicholas D. Smith. 1994 *Plato’s Socrates*. New York: Oxford University Press.
9. Brumbaugh, R. S. & Lawrence, N. M. (1963). *Philosophers on Education: Six Essays on the Foundations of Western Thought*. Houghton Mifflin: Boston.

information to their pupils which helps in storing their minds with definite facts” came in the first rank among the methods used by the teachers. The teachers rated the item, “Teachers use such teaching methods as dialogue, discussions, and mental activities in order to solve problems” in the last rank.

Table.5

Means and Standard Divisions of Teachers’ Responses about the Curriculum in Idealism

Items	Rank	Mean	Std. Deviation
Q 9. The school views knowledge as an independent entity far from the sensual experience	1	2.63	1.102
Q 14. Educational objectives concentrate on exercising the human mind while ignoring physical entities	2	2.59	1.192
Q 7. Facts perceived by the human mind are more accurate than direct sensual experience	3	2.43	1.035
Q 4. Curriculum which is taught to pupils must provide subject matters that should be kept constant for all	4	2.39	1.165
Q 22. Philosophy, history, and art studies are considered the major subject matters the school offers.	5	2.25	1.026
Q 10. The school views subject matter as the core curriculum	6	2.22	1.196
Q13. The school maintains popular culture through teaching	7	2.19	1.039
Q23. Mathematics is the subject matter that school offers in order to educate the human mind.	8	2.09	0.961
Q8. The role of school is to transfer knowledge from generation to another	9	2.05	0.964
curriculum		2.316	0.54893

Table. 5 shows that the item, “The school views knowledge as an independent entity far from the sensual experience” occupied the first rank with a mean of (2.6) amongst the implications of idealism concerning the curriculum. The item was ranked by the teachers last with a mean of (2.0).

Discussions of the Findings

The study findings showed that the general perceptions of the elementary teachers in Jordan towards implementing the idealistic educational views in elementary schools were unenthusiastic with a mean of (2.13). Moreover, the results revealed that the content occupied the first rank with mean of (2.3), and the perception was ranked the last with mean of (1.9).

This result could be due to some issues related to the Jordanian society that reflect the Jordanian educational philosophy based, on many of its aspects, on the Islamic philosophy. On other hand, the teachers’ perceptions couldn’t be accurate. According to Conti (2007), there is no accurate or inaccurate philosophy because everyone basically stands for a various belief system regarding the learning method nature. As instructors, educational philosophy would most likely support everything accomplished in the teaching/learning business because philosophy is based on theories with reference to the meaning of learning and observation on mankind nature, intention of education, curriculum nature, teachers/learners’ roles, and instructional process nature.

Within Jordanian educational system general framework, the educational system for the last three decades has been completely autonomous, instituting its philosophy depending upon Arab nationalism and notably on Islam. Islam has an extremely imperative function in the development of the society, culture and youths; moreover, Islamic teachings are of assistance to meet the technological age challenges. Islam can also “provide humanity with a rich source of values worthy of leading men to a better life in this world and to salvation in the hereafter” (Nashabi, 1977, P.28).

According to Al-Sheikh (1999), currently the Jordanian educational system faces a combination of linked problems. The social and political issues may possibly be allied with one another in terms of entailing democratic principles in order to endure and survive during the twenty-first century. To create a civilized society, people ought to be active participants in the political matters he argued. Nevertheless, the Jordanian people never practiced actual “Democracy”,

Items	Rank	Mean	Std. Deviation	Items	Rank	Mean	Std. Deviation
Q 21. The school is concerned to teach students methods as to respect spiritual values and individual values through studying the local environment	6	1.86	0.875	Q 16. Teacher is the ideal role model before his/her students mentally as well as morally.	7	1.58	0.693
Q 17. School motivates learners to become cooperative, obedient, and respect other learners	7	1.53	0.623	Teacher		1.9223	0.53068
		2.178	0.48742				

The findings obtained in table2 revealed that the most acceptable implication of idealism regarding to the learner was «School uses punishment in order to adjust students» behavior» with a moderate degree. School uses punishment in order to adjust students» behavior. This item occupied the first rank with a mean of (2.7) amongst the implications. On the other hand, table (2) shows that the item «School motivates learners to become cooperative, obedient, and respect others was rated by elementary teachers to be the last with a mean of (1.5).

Table.3

Means and Standard Divisions of Teachers» Responses about the Teacher Role in Idealism

Items	Rank	Mean	Std. Deviation
Q 18. School works on implementing suggestions and instructions.	1	2.20	1.004
Q 12. The teacher is the main core in the education process	2	2.15	1.141
Q 31. Official examinations are the best way to measure students» achievements.	3	1.96	1.154
Q 27. Individual differences are taken into consideration by the school	4	1.96	0.896
Q 29. Teachers evaluate their students in light of accurate measurements governed by the governing body which is the ministry of education	5	1.86	1.058
Q 30. Teachers evaluate their students in light of accurate measurements governed the teachers themselves.	6	1.74	1.000

It can be seen from Table (3) that the items gained a mean of 1.9 in relation to the learner. The item»». School works on implementing suggestions and instructions» occupied the first rank with mean of 2.2 among the implications. The item, «Teacher is the ideal role model before his/her students mentally as well as morally «was rated by elementary teachers in the last rank with a mean of (1.5).

Table.4

Means and Standard Divisions of Teachers' Responses about the Teaching Methods in Idealism

Items	Rank	Mean	Std. Deviation
Q 25. Teachers use lecturing as a teaching method to transform real information to their pupils which helps in storing their minds with definite facts.	1	2.39	1.323
Q 24. Extracurricular activities such as school clubs and classroom activities are taken into account by the school.	2	2.17	1.216
Q 11. Teachers focus on curricular activities that are parts of school curricula	3	2.17	1.086
Q 28. School uses such teaching methods as analyzing as well as synthesizing to solve problems.	4	1.95	0.933
Q 15. Through discussions and dialogue, the teacher focuses on brainstorming to get ideas and meanings	5	1.80	0.632
Q 26. Teachers use such teaching methods as dialogue, discussions, and mental activities in order to solve problems	6	1.69	0.970
Teaching Methods		2.027	0.52295

Table 4 shows that the item, «Teachers use lecturing as a teaching method to transform real

study instrument soundness and consistency, the researchers intentionally measured both its validity and reliability.

Instruments of Validity and Reliability:

The questionnaire was reviewed by a panel of experts who are faculty members within the College of Education at Yarmouk University in order to determine its validity. Their feedback was taken into account, and changes as well as suggestions recommended by the validation panel of experts have been incorporated into the study instrument. The quantitative approach was integrated in this study in order to support this style to aid the researchers to gain knowledge of the characteristics of large number of individuals challenging a multiple number of issues within a moderately short phase. The quantitative component presented data from a cluster of people to portray some features and qualities of larger group. Demographic information that includes teachers' specializations, experience and gender were added to the questionnaire.

The researchers estimated the internal consistency of the instrument in order to examine whether the items are correlated with each other and whether they have the same value. The internal reliability of the instrument was found to be 0.80 in this study. That helped to underwrite and present the study findings which will be obtainable in the next part.

The Study Findings

This part analyzes the data obtained from the (104) school teachers. The dependent variable was the study questionnaire, which contained (32) statements to which the study individuals responded. To respond to the study primary question, means and standard deviation for every item in the questionnaire according to the main domains of the questionnaire were obtained as shown in the following tables. To begin with, table 1 shows the findings of items according to the aims of education. These items have been ranked first according to the means as shown in table (1).

Table.1

Means and Standard Divisions of Teachers' Responses according to the educational aims

Item N	Items	Rank	Mean	Std. Deviation
Q2	2.The mind/soul is the primary source for human understanding	1	2.25	0.967
Q3	3.Ideals form the ultimate goal in education and life	2	2.14	1.085
Q1	1. The mind/soul is the most important human organ that school curriculum must focus on.	3	2.10	0.891
All			2.1618	0.74369

The findings in the above table show that the item «The mind/soul is the primary source for human understanding» gained the first rank, whereas the item «The mind/soul is the most important human organ that school curriculum must focus on» was rated by teachers in the last rank.

With regard to the learner the following table (2) shows the means and standard deviations of the elementary teachers' responses.

Table.2

Means and Standard Divisions of Teachers' Responses about the Learner in Idealism

Items	Rank	Mean	Std. Deviation
Q 32. School uses punishment in order to adjust students' behavior.	1	2.79	1.499
Q 5. Organizing the child's ability and improving his/her intelligence could be accomplished through liberal arts and reading.	2	2.60	1.060
Q 20.the school views the relationship between the student and the teacher official	3	2.40	1.382
Q 6. Senses are no less important than mind in terms of understanding.	4	2.17	0.981
Q 19. All students study the same courses within the school	5	1.90	0.934

with learning practices and how they acquired personal teaching theories. To collect the data, the researchers analyzed teachers' documents, and the science lessons of six teachers from two schools followed two Educational Directorates in Amman were observed. The researcher interviewed all the teachers. Results revealed that teachers do not have perception about learning theories except one, and having or not having perceptions were reflected on their practices. At the same time, one teacher acquired his personal teaching theory through his knowledge from theories, while others acquired their teaching theories from professional friendship and the imitation of other teachers.

Al-Hadidi (2013) conducted a study aimed at exploring the prevailing philosophical patterns of instructors in the Faculties of Physical Education in the Jordanian Universities. The sample of this study consisted of (75) instructors, (62) males and (13) females. The researcher prepared a questionnaire with philosophical patterns, consisted of (49) paragraphs, distributed on five philosophical spheres: the ideal, natural, real, pragmatic and existential. An investigation has been done to ensure the truthfulness and steadiness of the questionnaire. To answer the questions and objectives of the study, arithmetic means, standard deviations and mono-analysis of variance (ANOVA) are used and utilized. The results indicated that the pragmatic philosophy pattern occupied the first rank with an arithmetic mean of (4.26) and rate of (85.23%). The natural philosophy pattern came last with an arithmetic mean (3.73) and rate (74.59). The researcher deduced that there are no differences due to both variables of academic rank and sex.

Detentions of Study Terms:

1. Idealism: It is an ancient philosophy exercised a potent influence on the mind of man throughout the ages.
2. Implications of Idealism: It is the application of Idealism philosophical thoughts on educational problems reflected on the items of the instrument.
3. Teachers' perspectives: Qualifying elementary teachers who are able to respond to the items of the instrument according to their points of view.

Methods and Procedures:

This section of the research paper presents the study sample, instrument, content validity of the study questionnaire and its reliability. The study findings will be presented at the end of this section.

The survey strategy implemented in this study depended on the quantitative method to collect data due to its appropriateness for this study.

Population and Sample

The population of this study included all elementary teachers in Irbid Educational Directorate in the second semester of the academic year 2012/ 2013. The study sample consisted of (104) elementary teachers randomly selected from Irbid District schools of whom (47) males, and (57) females.

Instrument:

The quantitative component was employed to strengthen this study by collecting data from a large number of individuals responding to a multiple number of questions within a relatively short period of time. According to Neuman (2000), survey questionnaires are valuable as response rates are usually high for a target population who is well educated and has an interest in the research topic.

The quantitative method was useful in this study, as the researchers were competent to draw together extensive information from the study sample, in addition to relationships between variables. This approach helped in generating broad information on Jordanian elementary school teachers who articulated a somewhat moderate degree to the extent of their belief that "Idealism" is implemented in Jordan.

The researchers used a questionnaire consisted of thirty two statements as a quantitative method built by the researchers to collect data as one of the techniques and descriptive due to its appropriateness for this study. To insure the

of mankind (Elias, & Merriam, 1980). That is; the aim of education, the disposition of the curriculum, the teacher's role, the learner's role, and the nature of the educational process. Indeed, there is neither accurate nor inaccurate philosophy as each basically symbolizes a unique conviction scheme regarding the learning process situation (McNeil, 1983; Noonan, 1957).

Idealistic viewpoints are found in subjects such as fine arts, classic humanities, theology, philosophy, history and literature. These subjects emphasize intellectual processes and acuity of the mind. They form a major part of liberal arts curricula, which dwell on cultural concerns above those of a utilitarian nature (McNeil, 1983). The implication in education holds that students will tend to choose classes that appeal to their intellects. Taken to an extreme, an Idealist will not be attracted to sign up for a particular major course just to find a job to earn a living or be interested in any ambitious undertaking to acquire wealth and power (Wilson, 2007).

In Idealism, the aim of education is to discover and develop each individual's abilities and full moral excellence in order to better serve society. The curricular emphasis is subject matter of mind: literature, history, philosophy, and religion. Teaching methods focus on handling ideas through lecture, discussion, and Socratic dialogue which is a technique of teaching employing questioning to aid students realize and elucidate knowledge (McNeil, 1983). Introspection, intuition, insight, and whole-part logic are used to bring to consciousness the forms or concepts which are latent in the mind. Character is developed through imitating examples and heroes (Baker & Morris, 1996).

An Idealist finds reality in the unknown world through ideas in his mind; a realist finds reality in the known world through his senses. You can reach a better understanding of idealism by contrasting idealism with realism. The implication in education holds that students will tend to choose classes that appeal to their intellects. Taken to an extreme, an idealist will not be attracted to sign up for a particular major course just to find a job to earn a living or be interested in any ambitious undertaking to acquire wealth and power (Noonan, 1957).

Idealism has had great influence in education. Study in the arts reveal a bit of ultimate reality and promotes the quality of life as no other area can. It draws attention to truths that do not change; through religious study, idealism can bring a meaning to existence on Earth that remains permanent. It addresses the reality of intangible things that are experienced but cannot be seen, such as, love, trust, hope and faith. Even though they may not be equally represented, both idealistic and realistic philosophies are generally recognized in school curricula (Noonan, 1957).

Idealism stresses mental functionality instead of the world's objectivity. In the philosophy of mind, Idealism is the opposite of Materialism, or the belief that reality is solely based on the material world. Idealism puts more emphasis on consciousness and ideas; therefore, one key aspect of idealism is the will, or "mind over matter." There are consequently many different advantages of idealism (Wilson, 2007).

A great deal of literature worldwide has been written about Idealism in general and as an educational philosophy in particular. Nevertheless, there is no exclusive work as such that has been reported in the literature to the best of the authors' knowledge that presented the implementation of Idealism as an educational philosophy in Jordanian public schools from Jordanian teachers' perspectives. An extensive literature along with research studies would be found in the western world. Therefore, for the purpose of this study, a review of previous research studies conducted in the West and some in the Middle Eastern region appeared to be appropriate. To start with, the researchers suppose that it is adequate to commence this part by means of presenting it in several parts and the influence of Idealism as an educational philosophy in general and its influence on education in particular. In addition, a concise look at the educational system in Jordan would be incorporated.

recently, some studies have examined school teachers' attitudes and perceptions towards some educational philosophies and theories implications in teaching learning process. Abu-Hula and Al-Doulat (2009) surveyed science teachers' perceptions about learning theories and its relation

however, had never been dead and does not die when we enter the other world, the world of ideas, and the real world where truth is instituted and brought into being. A lover of truth and wisdom wishes to die but does not commit suicide since it is not legitimate and who is not responsible for giving and taking lives (Benson, 2000).

Idealism could be separated into different schools, although for the purposes of this study, both researchers are comfortable and content to identify simply the Idealists common assumptions. Even though Idealists differ exceedingly on numerous details, they harmonize on the fact that human soul or mind is the principal aspect in life and the universe is basically nonmaterial in its ideal nature as well (Baker & Morris, 1996).

Idealists believe that all knowledge is independent of sense experience. The act of knowing takes place within the mind. The mind is active and contains innate capacities for organizing and synthesizing the data derived through sensations. Man can know intuitively; that is to say, he can apprehend immediately some truth without utilizing any of his senses. Man can also know truth through the acts of reason by which an individual examines the logical consistency of his ideas. Some Idealists believe that all knowledge is a matter of recall. Plato was one who held this notion. He based this conclusion upon the assumption that the spirit of man is eternal. Whatever he knows is already contained within his spirit. Objective Idealists, such as Plato, think that ideas are essences, which have an independent existence (Wilson, 2007). Subjective Idealists, such as George Berkeley, reason that man is able to know only what he perceives. His only knowledge is of his mental states. Existence depends upon mind. Every stimulus received by the mind is derived ultimately from God. God is the Infinite Spirit (Benson, 2000).

Idealists generally root all values either in a personal God or in a personal spiritual force of nature. They all agree that values are eternal. Theistic Idealists assert that eternal values exist in God. Good and evil, beauty and ugliness are known to the extent that the idea of good and the idea of beauty are consistent with the absolute good and the absolute beauty found in God.

Pantheistic Idealists identify God with nature. Values are absolute and unchanging because they are a part of the determined order of nature (Crook, 1998). The purpose of education is to contribute to the development of the mind and self of the learner. The education-imparting institute should emphasize intellectual activities, moral judgments, aesthetic judgments, self-realization, individual freedom, individual responsibility, and self-control in order to achieve this development (Wilson, 2007; Elias, & Merriam, 1980).

The curriculum is based upon the idea or assumption of the spiritual nature of man. This idea in turn leads to an idea of the nature of the larger units of family, community, state, earth; the universe, and infinity. In preserving the subject matter content, which is essential for the development of the individual mind, the curriculum must include those subjects essential for the realization of mental and moral development. These subjects provide one with culture, and they should be mandated for all pupils. Moreover, the subject matter should be kept constant for all (Crook, 1998; Wilson, 2007; Elias, & Merriam, 1980).

The classroom structure and atmosphere should provide the learners with opportunities to think, and to apply the criteria of moral evaluation to concrete within the context of the subjects. The teaching methods must encourage the acquisition of facts, as well as skill in reflecting on these facts. It is not sufficient to teach pupils how to think (Elias, & Merriam, 1980). It is very important that what pupils think about be factual; otherwise, they will simply compound their ignorance. Teaching methods should encourage learners to enlarge their horizons; stimulate reflective thinking; encourage personal moral choices; provide skills in logical thinking; provide opportunities to apply knowledge to moral and social problems; stimulate interest in the subject content; and encourage learners to accept the values of human civilization (McNeil, 1983; Wilson, 2007).

Educational philosophy reinforces everything instructors execute in the teaching-learning business. Philosophy is based upon theories concerning the meaning of learning as well as inspections regarding the natural world

the major philosophies from which educators in general take into account.

Therefore, the problem of this study stems from both implementing the idealistic philosophical method in Jordanian schools which have limited research and the vagueness of the determination of any educational philosophy over time. Yet no study has probed to identify the educational philosophical implications of Idealism as an educational theory throughout the Jordanian public schools from the elementary teachers' perspectives.

The Study Question

Consequently, this study aims to respond to the following primary question:

- » **What are the elementary teachers' perspectives towards the implications of Idealism as an educational philosophy in Jordan?**

The Importance of the Study

The value of this study could be obtained from the possibility of building bridges between the thoughts of Idealism and Jordanian elementary teachers. It might aid Jordanian educators better understand how much this Idealistic philosophy is implemented in Jordan. It may also serve as a grounded theory for them to establish and or realize the need for a clear educational philosophy within the Jordanian educational system. On the other hand, this paper might draw Jordanian teachers' curiosity to learn more about the principles of this philosophy.

Review of Literature

Since educational philosophy could be defined as the application of philosophical thoughts to educational problems, several philosophers were concerned about education because they viewed it as a fundamental element of life, that is, it is complicated to reflect. Thus, an analysis of one's educational philosophy can be framed in the context of the major philosophies. The permanent and everlasting importance of Plato's educational philosophy is broadly prosperous and harmonious in current education. His contemplations and meditations take numerous forms due to much

useful modifications (Klemke, Kline, & Hollinger, 1986).

In conclusion, Idealism embraces that ideas are the solitary correct and proper truth. This school of philosophy searches for realizing true knowledge instead of generating information. The intentions of idealism are to seek for reality and further the quality growth of pupils. The teacher's role is to guide, direct, and lecture or addresses young learners, moderate subject matters, and emulates proper behavior (Klemke, Kline, & Hollinger, 1986). The idealistic educational process is 'holistic' that looks for amplifying critical thinkers, and introducing expansive notions instead of precise abilities. This educational philosophy is a content-centered method with a profound stress on looking for general truths as well as standards, with a significant, clear role of instructors.

Idealism is the school of educational philosophy that focuses on reasoning and how human beings bring knowledge up from within. The world stays alive exclusively in the common sense of people and that definitive reality depends on a stability of ideas. Idealism searches for establishing a perfect certainty throughout logic. Persons are born with enormous knowledge which could be earned by the ability to ask questions that guide students to superior knowledge (Wilson, 2007). Accordingly, every student is similarly competent of pounding internal foundations of knowledge as well as wisdom. An idealist teacher, for example, searches for the role of facilitator, guide, direct, and lead learners in the direction of truth (Klemke, Kline, & Hollinger, 1986). In this way, learners can look for truth by themselves, thinking liberally with teacher's cautious supervision. As a facilitator, the teacher will not play the role of complete authority, rather as a moderate guide and a role model before his/her students (Crook, 1998).

Socrates' ideas concerning the soul and immortality could be summarized as one subject due to the connections he explained about them both. The soul is immortal and invisible whereas the body dies and separates from the soul or the mind when the person dies (Klemke, Kline, & Hollinger, 1986). The existence at birth, the soul,

critical thinking and dealing with broader topics, the idealist creates an environment in which a learner can rationalize information across curriculum. Idealism as a philosophy had its greatest impact during the nineteenth century. Its influence in today's world is less important than it has been in the past. Idealism is the conclusion that the universe is expression of intelligence and will, that the enduring substance of the world is the nature of the mind, that the material is explained by the mental (Maheshwari & Bansal, 2010,1).

Educational philosophy could refer to a complete and steady set of beliefs regarding the teaching/learning process. Its primary function is assisting instructors to be acquainted with the need to reflect visibly on what they are liable for. Particularly, the purpose is to perceive what they are doing in the improved framework of private and collective progress (Ozmon & Craver, 1981). Accordingly, it is merely to aid educators reflect upon what they are responsible for. Consequently, they could be capable of witnessing the relations between the diverse essentials in the teaching/learning process such as learners, study programs, school management, and learning objectives, which is able to confer a helpful foundation to assist them, think unmistakably concerning educational matters (Ozmon & Craver, 1981; Conti, 2007).

Since not all ideas of each philosophy are harmonious and congruent with children or adult learning values, there will never be a right or wrong philosophy upon which any educational system relies. The reason is that all five major philosophies in addition to slender ones are generated by human beings.

According to Conti (2007), there is no accurate or inaccurate philosophy because every one basically stands for a various belief system regarding the learning method nature. For example, in the West, five fundamental educational philosophies: Idealism, Realism, Pragmatism, Existentialism, and Reconstructionism have been tolerated from time to time. As instructors, educational philosophy would most likely support everything accomplished in the teaching/learning business because Pphilosophy is based on theories with reference to the meaning of learning

and observation on mankind nature, intention of education, curriculum nature, the roles of both teachers and learners, and instructional process nature.

Statement of the Problem

Due to the fact that study problems sources could be derived from major research and academic interests of the researcher or researchers, the problem of this study has been amplified as a result of several motives such as casual observation, deductions from theory, related literature, current social and political issues, practical situations, and personal insights and experiences of the researcher. The initial step for being a qualified instructor would be to know why one thinks and works the way he or she does in a certain learning environment. Although a philosophy signifies what educators believe about the teaching-learning deal, not all tenants of each philosophy are harmonious with children/adult learning values. Thus, the educator's duty as a professional practitioner could be to discover one's own philosophy and upon this detection, critically emulate as how to build this learning environment events consistent with established principles related to children/adult learning.

As academic trainers, guides, or educators involved in the teaching/learning business, a business of changing lives, educational philosophy may play a vital role in strengthening and supporting all that need to be accomplished. Philosophy is based on postulation pertaining to meaning of learning, the nature of mankind views, the aim of education, the curriculum nature, teachers' and learners' roles and instructional process nature. As has already been mentioned, there is no true or false philosophy because each one stands for a particular conventional system regarding the teaching/learning process. For example, throughout the Western World there have been several philosophical thoughts which have been tolerated from time to time. Such philosophies are Idealism, Realism, Pragmatism, Existentialism, and Reconstructionism. Even though those philosophies differ in terms of their principles as well as teachings, but at the same time they may complement each other. Idealism has been the oldest philosophy, but still one of

are satisfied (Klemke, Kline, & Hollinger, 1986).

In other words, human beings must possess a healthy body by not neglecting it and at the same time not giving it a great attention, which would help to liberate the mind so it can function at its ultimate and fullest potential. Philosophers who seek truth in this life are suited to become at an ultimate stage after death because their focus in this world is on their souls or minds whose purpose is to return back to God and the world of perfection (Stewart, 1972). Socrates (469 B.C.-399 B.C.), who is considered the founder of Idealism, felt that it is necessary to have insights into questions that really mattered, such as: What is the purpose of life? What are the values by which man should live? How does man perfect his character? (Brickhouse & Smith, 1994).

For Socrates, the dialogue was an essential source of knowledge, and reason was the only proper guide to the most crucial problem of human existence, that is, the question of good and evil. He believed that rational inquiry was a priceless tool that allowed one to test opinions, weigh the merit of ideas, and alters beliefs on the basis of knowledge and affirmed that the acquisition of knowledge was a creative act (Klemke, Kline, & Hollinger, 1986). In addition, dialogue implied that reason was meant to be used in relations between human beings, who could learn from each other, help each other, teach each other and improve each other (Pery, Chase, Jacob, Von Laue, 1989). The notion of opposites is a feature that Socrates focused on as a way of knowledge and reason conveying to his students as to how human individuals come to know things and knowledge is powerful (Hugh, 2000).

Knowledge and deeds have a long history whose roots go back to ancient thinkers, Socrates and Plato along with Aristotle (Huffman, 2009). The origins of experience and of reason were created by the two eminent scholars; they celebrated experience with solely realistic apprehension. Knowledge subsisted in support of its own sake liberated from sensible orientation and created its foundation as well as element in a solely immaterial intelligence. Ancient thinkers were provoked to philosophize by mounting failure of their conventional civilization and

values to adjust life led to a smooth resistance of experience along with reason. Modern thinkers, nevertheless, measured experience as wholesome cognition and recognized it with a passive reaction of secluded "sensations" (Nails, 2009; Klemke, Kline, & Hollinger, 1986).

Socrates illuminates that "when a thing becomes bigger, it must have been smaller before it became bigger and if it becomes smaller, it must be bigger first and becomes smaller afterwards" (Plato's *Phaedo*, 70C-72E). This is an additional argument which proves that the 'soul is immortal' and it exists in the metaphysical world since people along with living creatures come from the deceased. He adds:

When the man dies the visible part of him, the body-which lies in the visible world, and which we call the corps, for which it is proper to dissolve and disappear-does not suffer any of this at once but instead remains a good long time, and if a man dies with his body in a nice condition and age, a very long time...But the soul, the "unseen" part of us, which goes to another place noble and pure and unseen like itself, a God, where if God will, my soul must go very soon....here we have nothing but a soul loving wisdom rightly, and in reality practicing death-do not you think this would be a practice of death (Plato's *Phaedo*, 70C-72E).

Furthermore, all souls of living things as well as people are evenly good and do not have evilness seeing that they are souls or spirits (mental states), not anything else. They have the aptitude to rule man, particularly provided that they are prudent and wise souls. As the souls are immortal, they require our care, concern, and attention not only for the earthy life but for the hereafter also (Lycan, 1996).

The educational method of idealism is of a holistic nature in which self-realization and character growth is vigorously supported. The idealist feels that with the growth of a fine moral character as well as personal reflection, wisdom is gained according to Maheshwari & Bansal. They state:

The holistic approach is supported instead of a specialized concentration on a specific targeted area. By combining experiences gained through

Abstract:

The purpose of this study is to identify the educational philosophical implications of idealism as an educational theory throughout the Jordanian public schools from elementary teachers' perspectives. The study sample consisted of (104) elementary teachers randomly selected from Irbid District schools of whom (47) males, and (57) females. The researchers used a questionnaire consisted of 32 statements as a quantitative method to collect data due to its appropriateness for this study. The study findings showed that the Jordanian elementary teachers rated negatively the implementation of the idealistic educational views at schools with a mean of (2.13). The content domain occupied the first rank with a mean of (2.3), while the teachers' domain ranked last with a mean of (1.9).

Key Words: Idealism, Educational implications, Elementary curriculum, Elementary teachers, Jordan.

التطبيقات التربوية للنظرية المثالية في مناهج المرحلة الابتدائية في الأردن من وجهة نظر المعلمين

ملخص

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على التطبيقات التربوية للنظرية المثالية في مناهج المرحلة الابتدائية من وجهة نظر المعلمين في الأردن. تكونت عينة الدراسة (104) فرداً؛ منهم (47) معلماً و(57) معلمة، طبق عليهم استبانة من تطوير الباحثين مكونة من (32) فقرة. أظهرت نتائج الدراسة أن درجة تطبيق المبادئ التربوية للنظرية المثالية في المناهج الأردنية كانت ضعيفة بشكل عام وبمتوسط حسابي بلغ (2.13). وقد احتل مجال المحتوى المرتبة الأولى من حيث مدى انعكاسه وتطبيقه في مناهج المرحلة الابتدائية الأردنية بمتوسط حسابي بلغ (2.3)، بينما كان مجال المعلم الأقل تطبيقاً وبمتوسط حسابي بلغ (1.9).

الكلمات المفتاحية: النظرية المثالية، التطبيقات التربوية، مناهج المرحلة الابتدائية، معلمو المرحلة الابتدائية، الأردن.

Introduction:

The idealistic philosophy of Socrates (469 - 399 BC) and Plato (427- 347 BC) has had many social implications, mainly on the idea of the model state government and education (Brickhouse, and Nicholas, 2000). A need to offer an appropriate social milieu would be mandatory provided that the State wishes the fine natural prospective of its teens is apprehended and ideal to their fullest potential. In other words, the State must introduce an outstanding social and educational structure which is capable of fostering children's growth (Butler, 1966).

As the oldest philosophical movement known to mankind, Idealism is a system that stresses the greatest importance of mind, soul, or spirit indicating that its central belief emphasizes the 'human spirit' as the most fundamental constituent in the person's life. The world is analyzed as an essence 'nonmaterial' in its definitive scenery (Benson, 2000). As an educational philosophy, on the other hand, Idealism views learning as just recollection; meaning, people collect what would prove that their souls had existed somewhere before entering the human shape. Therefore, it is very possible that the soul is immortal or everlasting (in other words, eternal). Furthermore, knowledge is remembering, not discovering something new, plus the true knowledge is not revealed from experience. At the same time, experience might fool man by not giving him the ultimate truth. Still, reality is not based on experience; it is, however found in the world of ideas. Experience, on the other hand, is instituted in the world of senses (Lewis, 1999).

In the world of senses, inhabitants can never see truth because they are limited to their bodies which are in the way of enabling them to see the complete reality. Wise people must not, however, rid themselves of their bodies by neglecting or by committing suicide. On the contrary, they must provide their bodies with their basic needs in terms of foods, which would be obstructions from enabling people in general and wise people in particular from focusing on the usage of the mind (Lewis, 1999). Consequently, human beings can see the truth, reason, and recollect through the mind not the body provided that their bodily needs

The Implications of Idealism as an Educational Philosophy in Jordanians' Elementary Curriculum Stage as Perceived by Teachers*

Dr. Mohammad A. Momany **

Dr. Omar Khasawneh ***

Dr. Arwa Alrefaie ****

***Received: 29/9/2014, Accepted: 4/1/2015.**

**** Associate Professor, Um Al-Qura University, Mecca, KSA.**

*****Associate Professor, Al-Aine University, UAE.**

****** Assistant Professor, Um Al-Qura University, Mecca, KSA.**

Journal of Al-Quds Open University

for Research & Studies

No. 42 - Vol. 1

Contents

The Implications of Idealism as an Educational Philosophy in Jordanians' Elementary Curriculum Stage as Perceived by Teachers.
Dr. Mohammad A. Momany
Dr. Omar Khasawneh.
Dr. Arwa Alrefaie 9

Opening the Doors for Mobile Assisted Language Learning Mobile Apps for ESL: Value and Methods
Fatima Yaqoub Quresh 22

The Legal Nature of the Crime of Money Laundering.
Dr. Ayman Nawaf Sharif Al Hawawsheh 35

Attitudes of Law Students at Al-Istiqlal University-Jericho towards Learning Legal Terminology Course in English.
Dr. Ahmad Hasan Abu Jafar 45

Students' Attitudes towards Blended Learning at Al-Quds Open University.
Dr. Khaled Abdul-Jaleel Dweikat
Mr. Othman Diab Amer 56

3. Commit to state references soundly, to avoid plagiarism in the research.
4. Commit to avoid conducting research papers that harm humans or environment. The researcher must obtain in advance an approval from the University or the institutions he/she works at, or from a committee for scientific research ethics if there is any, when conducting any experiments on humans or the environment.
5. Obtain a written acknowledgement from the individual/individuals who are referred to in the research, and clarify to them the consequences of listing them in the research. The researcher has also to maintain confidentiality and commit to state the results of his/her research in the form of statistical data analysis to ensure the confidentiality of the participating individuals.

Seven- Intellectual Property Rights:

1. The editorial board confirms its commitment to the intellectual property rights
2. Researchers also have to commit to the intellectual property rights.
3. The research copyrights and publication are owned by the Journal once the researcher is notified about the approval of the paper. The scientific materials published or approved for publishing in the Journal should not be republished unless a written acknowledgment is obtained by the Deanship of Scientific Research.
4. Research papers should not be published or republished unless a written acknowledgement is obtained from the Deanship of Scientific Research.
5. The researcher has the right to accredit the research to himself, and to place his name on all the copies, editions and volumes published.
6. The author has the right to request the accreditation of the published papers to himself.

Journal of Al-Quds Open University

for Research & Studies

Five- Peer Review & Publication Process:

All research papers are forwarded to a group of experts in the field to review and assess the submitted papers according to the known scientific standards. The paper is accepted after the researcher carries out the modifications requested. Opinions expressed in the research paper solely belong to their authors not the journal. The submitted papers are subject to initial assessment by the editorial board to decide about the eligibility of the research and whether it meets the publication guidelines. The editorial board has the right to decide if the paper is ineligible without providing the researcher with any justification.

The peer review process is implemented as follows:

1. The editorial board reviews the eligibility of the submitted research papers and their compliance with the publication guidelines to decide their eligibility to the peer review process.
2. The eligible research papers are forwarded to two specialized Referees of a similar rank or higher than the researcher. Those Referees are chosen by the editorial board in a confidential approach, they are specialized instructors who work at universities and research centers in Palestine and abroad.
3. Each referee must submit a report indicating the eligibility of the research for publication.
4. In case the results of the two referees were different, the research is forwarded to a third referee to settle the result and consequently his decision is considered definite.
5. The researcher is notified by the result of the editorial board within a period ranging from three to six months starting from the date of submission. Prior to that, the researcher has to carry out the modifications in case there are any.
6. The researcher will receive a copy of the journal in which his/her paper was published, as for researchers from abroad, a copy of the Journal volume will be sent to the liaison university office in Jordan and the researcher in this case will pay the shipping cost from Jordan to his/her place of residency.

Six- Scientific Research Ethics:

The researcher must:

1. Commit to high professional and academic standards during the whole process of conducting research papers, from submitting the research proposal, conducting the research, collecting data, analyzing and discussing the results, and to eventually publishing the paper. All must be conducted with integrity, neutralism and without distortion.
2. Acknowledge the efforts of all those who participated in conducting the research such as colleagues and students and list their names in the list of authors, as well as acknowledging the financial and morale support utilized in conducting the research.

9. The research must include two research abstracts, one in Arabic and another in English of (150-200) words. The abstract must underline the objectives of the paper, statement of the problem, methodology, and the main conclusions. The researcher is also to provide no more than six keywords at the end of the abstract which enable an easy access in the database.
10. The researcher has to indicate if his research is part of a master thesis or a doctoral dissertation as he/she should clarify this in the cover page, possibly inserted in the footnote.
11. The research papers submitted to the Deanship of Scientific Research will not be returned to the researchers whether accepted or declined.
12. In case the research does not comply with the publication guidelines, the deanship will send a declining letter to the researcher.
13. Researchers must commit to pay the expenses of the arbitration process, in case of withdrawal during the final evaluation process and publication procedures.
14. The researchers will be notified of the results and final decision of the editorial board within a period ranging from three to six months starting from the date of submitting the research.

Four- Documentation:

1. References and resources should be written at the end of the paper as follows; if the reference is a book, it is cited in the following order, name of the author, title of the book or paper, name of the translator if any or reviser, place of publication, publisher, edition, year of publishing, volume, and page number. If the reference is a journal, it should be cited as follows, author, paper title, journal title, journal volume, date of publication and page number.
2. References and resources are arranged at the end of the paper as follows, references in alphabetical order starting with the surname of author, followed by the name of the author, title of the book or paper, place of publishing, edition, year of publication, and volume. The list should not include any reference which is not mentioned in the body of the paper.
 - In case the resource is with no specified edition, the researcher writes (N.A)
 - In case the publishing company is in not available, the researcher writes (N.P)
 - In case there is no author, the researcher writes (N.A)
 - In case the publishing date is missing , the researcher writes (N.D)
3. The researcher can use APA style for documenting resources in the text, placing the references immediately after the quote in the following order, surname of the author, year of publication, page number.
4. Opaque terms or expressions are to be explained in footnotes

Note: for more information about using APA style for documenting please check the following link:

<http://journals.qou.edu/resources/pdf/apa.pdf>

Third- Publication Guidelines:

The editorial board of the journal stresses the importance of the full compliance with the publication guidelines, taking into note that research papers that do not meet the guidelines will not be considered, and they will be returned to the researchers for modification to comply with the publication guidelines.

1. Papers are accepted in Arabic and English only, and the language used should be well constructed and sound.
2. The researcher must submit his/her research via email (sprgs@qou.edu) in Microsoft Word format, taking into consideration the following:
 - For papers written in Arabic: Font type should be Simplified Arabic, and the researcher should use bold font size 14 for head titles, bold font size 13 for subtitles, font size 12 for the rest of the text, and font size 11 for tables and diagrams.
 - For papers written in English: Font type should be Times New Roman, and the researcher should use bold font size 14 for head titles, bold font size 13 for subtitles, font size 12 for the rest of the text, and font size 11 for tables and diagrams.
 - the text should be single-spaced
 - Margins:
 - For papers written in Arabic margins should be set to: 3cm top/bottom, 3cm right, 2.5 cm left.
 - For papers written in English margins should be set to: 3cm top/bottom, 2.5 cm right, 3 cm left
3. The paper should not exceed 25 (A4) pages or (7000) words including figures and graphics, tables, endnotes, and references, while annexes are inserted after the list of references, though annexes are not published but rather inserted only for the purpose of arbitration.
4. The research has to be characterized by originality, neutrality, and scientific value.
5. The research should not be published or submitted to be published in other journals, and the researcher has to submit a written acknowledgment that the research has never been published or sent for publication in other journals during the completion of the arbitration process. In addition, the main researcher must acknowledge that he/she had read the publication guidelines and he/she is fully abided by them.
6. The research should not be a chapter or part of an already published book.
7. Neither the research nor part of it should be published elsewhere, unless the researcher obtains a written acknowledgement from the Deanship of Scientific Research.
8. The Journal preserves the right to request the researcher to omit, delete, or rephrase any part of his/her paper to suit the publication policy. The Journal has also the right to make any changes on the form/ design of the research.

Publication & Documentation Guidelines

First- Requirements of preparing the research:

The research must include the following:

1. A cover page which should include the title of the research stated in English and Arabic, including the name of researcher/researchers, his/her title, and email.
2. Two abstracts (English and Arabic) around (100-150 word). The abstract should include no more than 6 key words.
3. Graphs and diagrams should be placed within the text, serially numbered, and their titles, comments or remarks should be placed underneath.
4. Tables should be placed within the text, serially numbered and titles should be written above the tables, whereas comments or any remarks should be written underneath the tables.

Second- Submission Guidelines:

1. The Researcher should submit a letter addressing the Head of Editorial Board in which he/she requests his paper to be published in the Journal, specifying the specialization of his/her paper.
2. The researcher should submit his research via email to the Deanship of Scientific research (sprgs@qou.edu) in Microsoft Word Format, taking into Consideration that the page layout should be two columns.

(Check the attached digital form on the website of Scientific Research)

3. The researcher should submit a written pledge that the paper has not been published nor submitted for publishing in any other periodical, and that it is not a chapter or a part of a published book.
4. The researcher should submit a short Curriculum Vitae (CV) in which she/he includes full name, workplace, academic rank, specific specialization and contact information (phone and mobile number, and e-mail address).
5. Complete copy of the data collection tools (questionnaire or other) if not included in the paper itself or the Annexes.
6. No indication shall be given regarding the name or the identity of the researcher in the research paper, in order to ensure the confidentiality of the arbitration process.

Journal of Al-Quds Open University

for Research & Studies

Vision

Leadership, excellence and creativity in the field of open learning, community service, and scientific research, besides imbedding its leading role in establishing the Palestinian society based on knowledge and science.

Mission

Preparing qualified graduates to meet the needs of the community, who have the capabilities to compete in both local and regional labor markets, and to contribute efficiently and distinctly in scientific research and capacity-building of technical and human aspects. This will be achieved through providing educational and training programs in accordance with the best practices of open and blended learning; as well as, strengthening and enhancing the scientific research environment, within a framework of community interaction and co-operation and exchange of expertise with the stakeholders, based on the latest standards of quality and excellence.

Core Values

- ◆ Leadership and excellence.
- ◆ Patriotism and nationalism.
- ◆ Democracy in Education and equal opportunities.
- ◆ Academic and intellectual freedom.
- ◆ Commitment to regulations and bylaws.
- ◆ Partnership with the community
- ◆ Participative management.
- ◆ Enforcing the pioneer role of women.
- ◆ Integrity and Transparency.
- ◆ Competitiveness.

The Journal

Journal of Al-Quds Open University for Research & Studies is a scientific refereed Journal, issued quarterly by the Deanship of Scientific Research. The first volume was issued in October 2002. Recently the journal obtained the Arab Impact Factor. The journal publishes original research papers & scientific studies in the field of the faculty staff specializations and other researchers from Al-Quds Open University & other International, Arabic and local universities. The journal also publishes refereed papers, reviews, scientific reports and translated research papers as long as they have not been previously published in any conferences' publications or journals.

Journal of Al-Quds Open University

for Research & Studies

GENERAL SUPERVISOR

Prof. Dr. Younis Murshid Amro

President of the University

EDITOR - IN - CHIEF

Prof. Dr. Samir Dawood Al-Nejdi

SUPERVISING - EDITOR

Prof. Dr. Husni Mohammad Awad

Dean of Scientific Research

EDITORIAL BOARD

Prof. Dr. Abdul Nasser Qasim Al- Farra

Prof. Dr. Mohamed Mohamed Al-Shalash

Prof. Dr. Hani Hussein Abu AL-Rob

Prof. Dr. Imad Saleh Abdel Haq

Dr. Rushdi Yousef Al-Qawasmah

Dr. Atef Husni AL-Asuli

Prof. Dr. Faisal Husain Gawadrah

Prof. Dr. Jamal Mohammad Ibrahim

Prof. Dr. Sami Awad Abu Izhak

Dr. Mutasem Tawfiq Al-Khader

Dr. Ghassan Ismail Fatafta

Dr. Musa Ali Talib